



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للغلام



ارسلنا
عليكم يا صابغ
الرماد

www.ghaemiyeh.com
www.ghaemiyeh.org
www.ghaemiyeh.net
www.ghaemiyeh.ir

كتاب الدعوى

م تأليف

أبي الفرج الأصفهاني عميد علماء المسلمين

المكتبة سنة 1431 هـ

مكتبة تحقيق دار الحديث الكويت

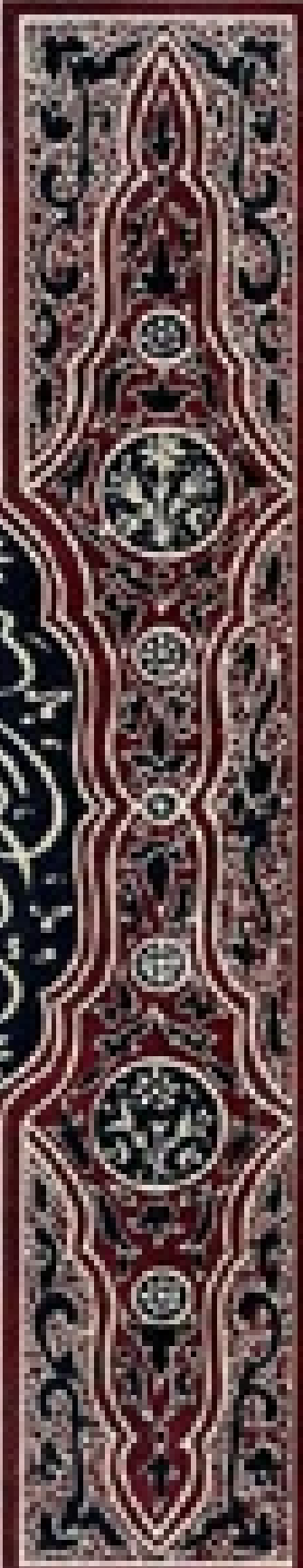
طبعة كلاسية راجعة، مخرقة، مخرقة
مخرقة على أسس المخطوطات والمطبوعات، بقواعد ومخاطبة

«١٣ - ١٤»

دار الحديث الكويت

الكويت - الكويت

كتاب الدعوى



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كتاب الأغاني

كاتب:

أبي الفرج الأصفهاني علي بن الحسين

نشرت في الطباعة:

دار احياء التراث العربي

رقمي الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

5	الفهرس
45	الأغاني المجلد 13-14
45	هوية الكتاب
45	المجلد 13
45	إشارة
49	تممة التراجم
49	1 - أخبار أبي الطمحن القيني
49	اسمه ونسبه
49	إدراكه الجاهلية والإسلام واتصاله بالزبير بن عبد المطلب
49	وقوع قيسبة السكوني في أسر العقيليين وحمل أبي الطمحن خيره إلى قومه
53	اجتماع السكون وكنة لإنقاذ قيسبة
53	اعتراف أبي الطمحن بأدنى ذنوبه
53	التجاؤه إلى بني فزارة من جناية جناها وإقامته عندهم حتى هلك
55	شعره في الاعتذار لامراته من ركوبه الأهوال
55	شعره في بجير بن أوس الطائي وإطلاقه من الأسر
57	حرب جديلة والغوث الطائيين
57	شعر أبي الطمحن لما أسر في هذه الحرب
59	جواره في بني جديلة وقتل تيس له غلاما منهم وشعره في ذلك
59	انتعاش المأمون ببين لأبي الطمحن في ساعة اكتنابه
61	استشهاد خالد بن يزيد ببنتين له في رية اعتذر عنها الحسن لعبد الملك
61	استنذانه الزبير بن عبد المطلب في الرجوع إلى أهله وشعره في ذلك
61	إشارة
63	صوت

64 نسبه و منزلته في الشعر

64 توقف سوزان القاضي في شهادة دارمي بجهل الأسود بن يعفر

66 وعد الرشيد بعشرة آلاف لمن يروي قصيدة «نام الخلي...»

68 التمثل بشعره لما انتهى علي إلى مدائن كسرى

68 التمثل بشعره لما مرّ عمر بن عبد العزيز بقصر لآل جفنة

68 ما قاله في استنقاذ إبل له أخذتها بكر بن وائل

70 طلب طلحة من الأسود بن يعفر أن يسعى له في إبله

72 رد الإبل مكرمة للأسود

72 النعمان يحث خالد بن مالك على المطالبة بثأر عمه الذي قتله وائل و سليط العجليان

72 الأسود و خالد يجمعان جمعا و يغيران على كاظمة فقتل وائل و سليط

72 ما قاله الأسود في مرضه

74 ما قاله في فرس أخذها ابنه جراح من بني الحارث بن تيم الله و استولدها أمهارة

76 رثاؤه مسروق بن المنذر النهشلي و كان كثير البر به

78 ما أجاب به بنته و قد لامته على جوده

78 ما قاله في ابنه جراح و كان ضئيلا و ضعيفا

78 ما قاله لما أسنّ و كف بصره

80 شعر لأخيه حطانط و قد لامته أمه على جوده

80 إشارة

80 صوت

82 3 - أخبار اوطاة و نسبه

82 نسبه من قبل أبويه و بيان أن أمه كانت لضرار بن الأزور فصارت إلى زفر و هي حامل بأوطاة

82 منزلته في الشعر

82 إنشاده عبد الملك بعض ما ناقض به شبيب بن البرصاء

84 معرفة عبد الملك مقادير الناس على بعدهم

- 84 ما قاله لعبد الملك و قد أسنّ .
- 84 مدحه مروان لما اجتمع له أمر الخلافة
- 86 هجاؤه شيبيا و قد وقع فيه عند يحيى بن الحكم .
- 88 حرص العوفيين على العمى عند الكبر .
- 88 ما كان له مع شبيب و قد تمنى لقاءه في يوم قتال
- 90 خير حبه لوجزة و بعض ما قال فيها .
- 90 أرطاة ينسب بوجزة .
- 94 أرطاة و زميل يتلاحيان .
- 94 عبد الرحمن بن سهيل يتزوِّج أم هشام و يأخذ عليها الموائيق عند وفاته ألا تتزوِّج بعده و لكنها تزوجت عمر بن عبد العزيز .
- 96 أرطاة يقيم عند قبر ابنه حولاً و يرق قومه لحاله بعد ذلك فيقيمون عامهم ذلك .
- 98 أرطاة يناجي قبر ولده في العشي حولاً كاملاً .
- 100 مسرف بن عقبة يطرد قومه و معهم أرطاة لما استرقدوه بعد التهنية و المديح بفوزه على أهل الحرة .
- 100 أرطاة يسب من تناولت على أمه و يضربها فيلومه قومه .
- 100 إشارة
- 102 صوت
- 103 4 - أخبار جعفر بن علبه الحارثي و نسبه .
- 103 أخبار جعفر بن علبه الحارثي و نسبه .
- 104 جعفر بن علبه و علي بن جعلدب يغيران على بني عقيل
- 108 عامل مكة أخذ بحق بني عقيل و يقتل جعفر بن علبه
- 114 بنت يحيى بن زياد تبكيه و تستجد له الكفن و ترثيه بأبياته .
- 116 علبه ينحر أولاد النوق و الشياه لتصبح مع النسوة بكاء على جعفر .
- 116 إشارة
- 116 صوت
- 118 5 - أخبار العجير السلولي و نسبه .
- 118 أخبار العجير السلولي و نسبه .

- 118 العجبر يذهب ليلا إلى عبد الملك حين طلبه
- 120 نافع الكنانى يطلبه ليقيم الحد أو يقيم عليه ذلك بنو حنيفة فيهرب
- 124 العجبر يقول حين حرمة العامري العطاء
- 124 العجبر يشرب حتى ينتشي فيأمر بنحر حملته و يقول شعرا
- 124 ندمه على ذلك بعد صحوه و ارتحاله على بعير وهب له
- 126 العجبر يكل زواجه ابنته إلى خالها ثم يطلقها من المولى بعد قدومه
- 126 قول العجبر في رفيق
- 126 اشارة
- 128 صوت
- 130 العجبر يقد على عبد الملك فيقيم ببابه
- 132 عطاء عبد الملك له لطول مقامه
- 132 قوله في ابنه الفرزدق
- 134 بنت عمه تختار العامري عليه و تزوجه ليساره
- 136 تحبب العجبر إلى امرأة من عامر فاتهبوا ماله، فشكاهم إلى محمد بن مروان
- 140 وصية عبد الملك لمؤدب ولده أن يرويه مثل قول العجبر
- 142 سليمان بن عبد الملك يعجب بشعر العجبر و يأمر له بثلاثين ألفا ردها على قومه و وهبها لهم
- 142 رثاء العجبر لابن عمه
- 142 اشارة
- 142 صوت
- 144 6 - أخبار خزيمه بن نهد و نسبه
- 144 أخبار خزيمه و نسبه
- 144 خزيمه يشبب بفاطمة بنت يذكر بن عنزة
- 144 مقتل يذكر بن عنزة و إشعاله الشربين قضاة و نزار
- 146 القارطان
- 146 انهزام قضاة و قتل خزيمه بن نهد

- 146 الزرقاء بنت زهير تتحدّث بقول الكهان في الرحيل و النزول بأرض عبقر
- 148 بهراء تلحق بالبرك و تهزمهم
- 148 سليح بن عمرو و نزولها ناحية فلسطين
- 148 اشارة
- 150 صوت
- 151 7 - نسب المغيرة بن حنساء و أخباره
- 151 اشارة
- 151 مديحة لطلحة الطلحات
- 153 مديحة للمهلب بن أبي صفرة
- 155 سبب قوله قصيدة الصوت
- 157 سبب التهاجي بين زياد الأعجم و المغيرة بن حنساء
- 161 مناقضات زياد الأعجم و المغيرة بن حنساء
- 163 المغيرة يهجو زيادا بتحريض من ربيعة
- 165 عبد القيس تعتذر إلى المغيرة
- 167 المغيرة و جوائز المهلب
- 167 صخر و المغيرة يتلاحيان لما تعتب المغيرة عليه
- 167 أخت صخر تشكوه إلى المغيرة
- 171 حنساء بن عمرو ينتقل إلى نجران و امرأته تلومه لما ضرب ابنه
- 171 زياد الأعجم يهجو أسرة المغيرة بأدوائهم
- 171 زياد يمسك عن الهجاء
- 171 جادة المغيرة في تفضيل الأخ على أخيه
- 173 قول الحجاج في يزيد بن المهلب
- 173 مصرع ابن حنساء و كتابته اسمه على صدره
- 173 اشارة
- 173 صوت

- 8 - أخبار سويد بن أبي كاهل و نسبه .. 176
- اشارة .. 176
- طبقة سويد .. 176
- قول الأصمعي في عينية سويد .. 176
- بين سويد وزياد الأعجم .. 176
- خير أم سويد و سبب تسميته .. 178
- انتماء سويد إلى قيس .. 178
- سويد يهجو بني شيبان لأخذ ماله و ينتقل عنهم .. 180
- يعير بني شيبان لأن بهراء ردت نساءهم حبالى بعد الأسر .. 180
- بنو شيبان تستعدي عامر بن مسعود على سويد و قيس تتعصب له .. 182
- سويد و ابن الغبري يتهاجان ثم يهربان لما طلبهما عبد الله بن عامر و عامل الصدقة يحبسهما و بنو حمال يفكون ابن الغبري .. 182
- و يخذل سويدا قومه .. 182
- عبس و ذبيان تستهبه لمديحه لهم و إطلاقه بغير فداء .. 184
- اشارة .. 184
- صوت .. 184
- 9 - أخبار العتابي و نسبه .. 185
- اشارة .. 185
- قيل في شعر العتابي تكلف و نفاه آخرون .. 185
- رذاذ يضع لحنا .. 187
- أبو العبيس يسقط لحن رذاذ .. 187
- المأمون يكتب في إشخاص العتابي .. 187
- المأمون يداعب العتابي .. 187
- إسحاق بن إبراهيم يعارض العتابي .. 189
- مصادقة العتابي لإسحاق .. 189
- إعجاب عبد الله بن طاهر بشعر العتابي .. 189

- 189 جوائز الرشيد و سرور العتابي بما خلع عليه
- 191 بشار يحقد على إجادة العتابي
- 191 العتابي و يحيى بن خالد
- 191 سخرية العتابي من الناس
- 191 إعجاب يحيى اليرمكي بالعتابي
- 192 كتاب للعتابي
- 193 يحيى بن أكرم يستأذن المأمون للعتابي
- 193 كلمتان للعتابي
- 193 تقدير المأمون للعتابي و إكرامه لما أسنّ
- 193 دعبل و ابن مهرويه يحسدانه و يحقدان عليه
- 195 عبد الله بن طاهر يجيزه ثلاث مرات و نعم عليه بخلعة سنوية بعد إنشاده
- 195 العتابي و طوق ابن مالك
- 196 شكوى النمري للعتابي إلى طاهر بن الحسين و إصلاحه ما بينهما
- 197 العتابي يفضل العلم و الأدب على المال
- 197 قول العتابي في عزل طاهر بن علي
- 199 مدحه جعفرًا لما أمنه عند الرشيد
- 199 عودة عبد الله بن طاهر له في مرضه
- 199 عبد الله بن هشام التغلبي يصله بعد العتب و الكتابة إليه
- 199 إشارة
- 199 صوت
- 200 ربيعة تقتل واحدا من فزارة في خفارتة فاستعدى القيسي الحاكم على ربيعة
- 201 شعر العتابي يجعل عبد الملك يأمر بالكف عن قتال ربيعة
- 203 الرشيد يأمر بطرده
- 203 يحيى بن سعيد العقيلي يشتري له دابة توصله إلى رأس عين و قد فضح سعيدا بأفعاله
- 203 لوم زوجته له و ما قال في ذلك

- 204 عتب الرشيد على العتابي و قطع الهبات فيتصل بقصيدته هذه .
- 205 الرشيد يرضى عن العتابي و يرد أرزاقه و يصله
- 205 اشارة
- 205 صوت
- 207 10 - أخبار الأبيرد و نسبه
- 207 أخبار الأبيرد و نسبه
- 207 الأبيرد ليس مكثرًا و لم يتكسب بشعره
- 207 الأبيرد يهوى امرأة من قومه فزوّجت غيره
- 207 لم يرض الأبيرد من حارثة بن بدر ثوبين يدخل بهما على ابن زياد
- 209 حارثة منع عنه الكسوة لما بلغه هجاؤه
- 211 الأبيرد و سعد العجلي
- 215 و قال أيضا الأبيرد مجيبا له:
- 217 مجانل و عرادة يتفاخران بنحر الشياه و الإبل
- 217 الأبيرد و ابن عمه الأحوص يحرضان رجلا على سحيم بن وثيل الرياحي
- 221 قصيدة الصوت
- 221 اشارة
- 225 صوت
- 226 11 - أخبار منصور النمريّ و نسبه
- 226 أخبار منصور النمري و نسبه
- 226 منصور النمري يسأل أن يذكر عند الرشيد ثم يمدحه
- 228 مروان ينشد الرشيد
- 228 النمري لا يحتفل بقول مروان
- 230 كان هارون الرشيد يحتمل أن يمدح بما يمدح به الأنبياء و يغضب لمن قال كأنه رسول
- 232 مروان ينشد الرشيد
- 232 الرشيد يميز شاعره الخاص عن سائر الشعراء

- 232 إعجاب الرشيد بشعر منصور ..
- 234 محمّد الراوية المعروف بالبيدق ينشد قصيدة النمري
- 236 الرشيد يبعث بمن يقتل النمريّ في يوم وفاته ..
- 236 سبب غضب الرشيد على النمري ..
- 236 غضب الرشيد و طلبه نبش جثة النمري ..
- 236 الفضل بن الربيع يحمي النمري ..
- 238 عفة النمري ..
- 240 نسبة هذه القصيدة إلى منصور بن بجرة ..
- 240 منصور بن سلمة يستوحيها منه و يطلبه الرشيد و لكنه يرده فيستنجد بيزيد الشيباني فيدخله ..
- 240 الرشيد يرفع السيف عن ربيعة ..
- 240 جلساء الرشيد يظنون في هذا البيت حتف منصور ..
- 242 منصور النمري ينشد الرشيد و معه الكسائي و يأمر له بجائزة ..
- 242 جماعة من الشعراء يتهكمون بالنمري لعدم اشتراكه في الشراب ..
- 242 إشارة ..
- 242 صوت ..
- 244 قصيدة للعتابي كتبها إلى منصور النمري ..
- 244 النمري ينشد يزيد بن مزيد فيعطيه مائة دينار ..
- 246 منصور يتحسر على شبابه لما نظرت الغانية إلى غيره ..
- 248 النمري لم يعد مدحا و لكنه أطال المعنى فيما قال فينال صلة ..
- 248 إشارة ..
- 248 صوت ..
- 249 12 - نسب عبد الله بن الحجاج و أخباره ..
- 249 نسب عبد الله بن الحجاج و أخباره ..
- 249 الحجاج و تسرعه إلى الفتن ..
- 249 دخوله على عبد الملك بتحليل منه أو من غيره ..

- 253 التجاؤه إلى أحيح بن خالد و هجاؤه إياه حين غدر به
- 257 هجاؤه لكثير بن شهاب بن الحصين
- 259 عبد الله بن الحجاج يضرب كثيرا بعمود عند خروجه من دار المغيرة
- 259 و قال في ذلك أيضا عبد الله بن الحجاج:
- 261 انتصار معاوية لعبد الله بن الحجاج
- 261 قال أبو زيد: و قال خلاد الأرقط في حديثه.
- 261 الحراث ينش قبر جندب بن عبد الله بن الحجاج
- 261 عبد الله بن الحجاج يستوهب جرم ابنه من عبد الملك
- 263 إنشاده عبد الملك أرجوزة يستعطفه بها
- 263 مغاضبته عبد العزيز بن مروان، ثم رجوعه إليه
- 265 عبد الله بن الحجاج يعاونه قومه على عمر بن هبيرة
- 267 الحجاج يحرض عبد الملك على قتل عبد الله بن الحجاج
- 267 عبد الملك يمنع الحجاج من التعرض لعبد الله
- 269 الوليد و ابن هبيرة يأمران عبد الله بمبارزة رجل في بركة ماء
- 269 اشارة
- 269 صوت
- 271 13 - أخبار ناهض بن ثومة و نسبه
- 271 أخبار ناهض بن ثومة و نسبه
- 275 ناهض ينشد أيوب بن سليمان قصيدة من شعر جدّه نصيح
- 275 الفضل بن العباس يتحدث في بداوة ناهض
- 275 ناهض يصف وليمة وصف البدوي لما لم يره من قبل
- 278 الكعبي يستعدي قومه بني كلاب على من عقر إبله
- 282 ما وقع بين بني نمير و بني كلاب و شعر ناهض في ذلك
- 284 فخر ناهض بقومه
- 284 شعر عمارة في تحريض كعب و كلاب على بني نمير

284	اشارة
286	صوت
289	14 - أخبار المخيل ونسبه
289	اشارة
289	أخبار المخيل ونسبه
289	طبقتة في الشعراء
289	جزعه على ولده شيبان حين هاجر
291	عمر بن الخطاب يأمر بعودة شيبان إلى أبيه
291	رواية أخرى في ذلك
292	الزبرقان لا يزوّج أخته خليدة المخيل
293	هزال و عبد عمرو يضريان قاتل الجلاس حتى يموت
293	المخيل يعير الزبرقان لتزويج هزال بعد قتله جاره و تلاحيهما
295	زرارة بن المخيل يضرب الطباوي بحجر فيطلب أبوه إلى بغيض بن عامر أن يحمل الدية ثم يكسوه
295	خير ابن بيض
297	سعى المخيل في إبل جار بني قشير
299	المخيل و خليدة بنت بدر
299	من قصيدة الغناء
299	المخيل و الزبرقان و عبدة و عمرو يحكمون في شعرهم
301	استمنح روق للمخيل
301	اشارة
301	صوت
303	15 - أخبار غيلان و نسبه
303	أخبار غيلان و نسبه
303	وصف بادية بنت غيلان
303	قول له قبل إسلامه

- 303 اتهام ولده عمار بسرقة و ما كان بينهما من تدابر .
- 305 غيلان يرثي ولده عامرا .
- 305 ما قاله فيما حدث لجاره الباهلي .
- 307 تهديده لامرأته حين ملته .
- 307 ثقيف تنتصر على بني عامر و غيلان يصف تخلف بني نصر عنهم .
- 307 شعره في انتصار ثقيف على عامر .
- 307 شعر غيلان في هزيمة خثعم .
- 309 كيسان ينشد عبد الله الثقفي شعر غيلان .
- 309 وصية غيلان بن سلمة لبنيه .
- 311 وفود غيلان على كسرى .
- 311 رواية أخرى في هذا الخبر .
- 311 ما دار بين غيلان و بين كسرى .
- 313 رثاؤه لأخيه نافع و قد قتل بدومة الجندل .
- 313 اشارة .
- 313 صوت .
- 315 16 - أخبار حاجز و نسبه .
- 315 أخبار حاجز و نسبه .
- 315 نسخت أخبار حاجز من رواية أبي عمرو الشيباني .
- 319 عمرو بن معد يكرب يطعن حاجزا .
- 319 خثعم تحيط بحاجز و عجوز تسحر سلاحه ثم ينجو .
- 321 حاجز يغير على بني هلال .
- 323 أخت حاجز ترثيه حين انقطعت أخباره .
- 323 ما قيل من الشعر في فرار حاجز .
- 323 اشارة .
- 325 صوت .

- 326 17 - أخبار الحارث بن الطفيل و نسبه .
- 326 اشارة .
- 326 وفود الطفيل على رسول الله صلى الله عليه وسلم .
- 328 النبي يدعو لدوس بالهداية .
- 328 سبب أبيات الغناء .
- 330 يوم حضرة الوادي .
- 330 اشارة .
- 334 صوت .
- 335 18 - أخبار عبد الصمد بن المعذل و نسبه .
- 335 اشارة .
- 335 تهاجى أبان و المعذل .
- 337 المعذل و عبد الله بن سوار .
- 337 هجاء عبد الصمد لشروين المغني .
- 338 هجاؤه لزان متزوج زانية .
- 339 شعره في الفتى الكاتب الذي عشق جارية ابن الجوهري .
- 341 هجاؤه لجار له يمشي مشية منكرة .
- 341 رثاؤه لأبي سلمة الطفيلي .
- 343 شعره في فتى عشقه .
- 343 اشارة .
- 343 صوت .
- 343 هجاؤه لقينة بصرية .
- 345 عتابه لبعض الأمراء .
- 345 هجاؤه للمهلب الذي كان يخدع الفتيات .
- 345 جزع عبد الصمد من هجاء الجماز .
- 347 وهبان و عبد الصمد .

- 347 تدخل الحمدوي بين عبد الصمد ومضطبان .
- 347 تهاجي الجماز و عبد الصمد .
- 349 شعره في بستان له .
- 349 شعره في يزيد و الجارية التي عشقها و اشتراها .
- 351 هجاؤه للجماز و أبي قلابة .
- 351 عتابه لصديق ارتفعت حاله .
- 353 هجاؤه لصديق كذوب .
- 353 شعره في هجاء بن المنجاب .
- 355 ما وقع بينه و بين ابني هشام الكرنابي و شعره في ذلك .
- 357 عتبه لعبد الله بن المسيب .
- 357 هجاؤه لشروين المغني .
- 359 هجاء أبي قلابة لأبي رهم .
- 359 سبب هجاء عبد الصمد أبا رهم .
- 361 وصف عبد الصمد لنزهة .
- 363 شعره في الأفشين و هو غلام أمرد .
- 365 شعره في مقيم و ما جرى بينه و بين ابن أكنم بسبب ذلك .
- 365 هجاؤه لأخيه أحمد بن المعذل .
- 367 صلة إسحاق بن إبراهيم لعبد الصمد .
- 367 هجاؤه لأبي نقة .
- 367 هجاؤه يزيد المهلب و نسبه إلى الشؤم .
- 369 هجاؤه لأخيه أحمد .
- 369 شعره في غلام له يدعى المغيرة .
- 370 قصيدة له في صفة الحمى .
- 371 هجاؤه لأبي تمام .
- 371 هجاء أبي تمام له .

- 371 نقد عبد الصمد لأبي تمام
- 371 هجاء عبد الصمد لرجل من ولد جعفر
- 373 هجاء ليزيد المهلبى
- 373 شعره في علي بن عيسى وقد شرب الدهن
- 375 جوابه بالشعر عن رقعة رفعت إلى الإسكافى
- 375 هجاؤه لابن أخيه
- 375 إشارة
- 377 صوت
- 378 19 - أخبار عبد الرحمن ونسبه
- 378 إشارة
- 378 خير قدومه على معاوية معاتباً لعزله أخاه مروان
- 378 قدوم عبد الرحمن بن الحكم على معاوية مغاضباً
- 382 بكاء عبد الرحمن حين رأى رأس الحسين و ما قال فى ذلك
- 382 بكاء ابن عباس لما حدث بين الأمويين و العباسيين
- 384 ولوع عبد الرحمن بن الحكم بجارية مروان، و ما قال فى ذلك
- 384 شعر عبد الرحمن فى ادعاء معاوية لزياد و غضب معاوية عليه
- 386 هجاء عبد الرحمن لأخيه الحارث حين استعفى من الغزو
- 386 هجاؤه لمروان حين أعدى عليه الحنائط
- 386 رثاؤه لقتلى قريش يوم الجمل
- 388 غضب معاوية على عبد الرحمن ثم عفو عنه
- 388 إشارة
- 388 صوت
- 390 20 - أخبار مسعدة و نسبه
- 390 إشارة
- 390 تشبيب مسعدة بنائلة

- 390 عاتكة بنت الفرات و ما قيل فيها
- 390 ما قيل في أمها الملاءة
- 390 قصة عاتكة بنت الملاءة
- 392 قصة ذات النحيين
- 392 ما جرى بين الملاءة و عمر بن أبي ربيعة
- 392 اشارة
- 394 صوت
- 395 21 - أخبار مطيع بن إياس و نسبه
- 395 اشارة
- 395 نكاح أم خارجة
- 395 تشاحن ابن الزبير و جد مطيع
- 397 والد مطيع بن إياس
- 397 رجوع الخبر إلى سبابة نسب مطيع بن إياس و أخباره
- 397 صفة مطيع و ذكر نشأته
- 397 صلته بالولادة و الخلفاء
- 397 رأي بعض الناس فيه
- 399 إعجاب الوليد بن يزيد بمطيع
- 401 صحبته لجماعة من الزنادقة
- 401 صلته بعبد الله بن معاوية
- 401 ما قاله هو و عمارة في صاحب شرطة ابن معاوية
- 403 احتجاجه للأبنة
- 403 ما حدث بينه و بين ظبية الوادي
- 403 إفساد مطيع لها على حماد
- 404 هجاؤه حمادا
- 405 جنح حماد من هجائه

- 405 اجتماعهما بصاحبة مطيع و ما كان في ذلك
- 407 إفسادة صديقة يحيى الحارثي عليه
- 407 عتاب حماد على مطيع
- 407 ما حدث بينهما حين اجتماعهما بصدقيتهما
- 409 نسبة هذا الصوت
- 409 صوت
- 409 معاتبة عمر بن سعيد له في أمر مكنونة و ما قال في ذلك
- 409 رأي مطيع في النساء
- 409 ابتداعه حديثاً مصنوعاً و إخراجة للعباس بن محمد حين استشهد به
- 411 خشية أبي جعفر على ابنه جعفر من مطيع
- 411 إصابة جعفر بن المنصور بالصرع
- 413 شعره في جارية خرجت من قصر الرصافة
- 413 بكاء ينته حين عزم على الرحلة إلى السند، و ما قال في ذلك
- 415 شعره في قبنة أوما إليها بقبلة فصدته
- 415 إشارة
- 415 صوت
- 415 سرعة بديهته
- 416 فضيحتة لأبي دهمان
- 419 خير مطيع مع علي بن القاسم
- 419 من سرعة بديهته
- 421 بنت مطيع بن إياس، و ما رميت به من الزندقة
- 421 عقب مطيع بن إياس
- 421 دعوته يحيى بن زياد للشراب
- 423 دعوة عوف بن زياد لمطيع و جوابه على ذلك
- 423 مدح مطيع للغمر بن يزيد

- 425 استعطفه ليحيى بن زياد
- 425 شعره في جوهر حين بيعت
- 427 شعره في ريم
- 429 من شعره في جوهر
- 430 عبث مطيع بأبي العمير
- 431 ما دار بينه وبين صديق له حين سقط له حائط
- 431 مدحه جرير بن يزيد
- 433 إجازة جرير له سرا
- 433 بعض ما غنى فيه من شعره
- 433 أطيب الأشياء عند مطيع
- 435 عريضة مطيع على يحيى بن زياد و ذمه له ثم استرضاه
- 435 نزوله بدير كعب و شعره في جليس ثقيل
- 439 قول مطيع لمحمد بن سالم و شعره فيه
- 439 إشارة
- 439 صوت
- 441 و ما فيها من الأغاني قول مطيع
- 441 صوت
- 441 مطيع و جوهر المغنية
- 442 هجاء مطيع لحمامد عجرد
- 443 مطيع و مكنونة جارية المروانية
- 444 مطيع يشيب بجوهر ثم يهجرها
- 445 المهدي يسمع شعر مطيع في جوهر فيقول اجمعوا بينهما
- 447 مطيع يهجو كلواذي
- 447 أثر مطيع و أصحابه في معامل من تجار الكوفة
- 449 رأي المهدي في أخلاق مطيع

- 451 تولية مطيع صدقة البصرة
- 451 مطيع يهجو مالك بن أبي سعدة
- 452 مطيع يشكو الفقر أيام المنصور و يمدح أيام بني أمية ..
- 453 مطيع يصف ليالي قضاها في بستان له بالكرخ و يشوق إلى يحيى بن زياد ..
- 455 روايته شعرا لفتى كوفي ..
- 455 المهدي يعاتب مطيع بن إياس ..
- 455 مطيع و أصحابه يشربون و معهم جوهر المغنية ..
- 455 اشارة ..
- 456 صوت ..
- 457 مطيع يهجو أباه ..
- 457 مطيع يمدح معن بن زائدة ..
- 459 مطيع و صديق له عربي ..
- 461 مجون مطيع و أصحابه في الصلاة ..
- 461 إعجاب المهدي بتهنئة مطيع ..
- 461 مطيع ينصح يحيى بن زياد ..
- 465 مطيع يغلب خمسة ممن يكابدونه ..
- 465 احتجاج مطيع لفسقه ..
- 465 تعريض حماد ابنة مطيع ..
- 465 مطيع يشاق إلى جارته جودانة ..
- 469 الرشيد يتداوى بالجمار و يقطع إحدى نخلتي حلوان ..
- 469 نسبة هذا الصوت الذي غنته حسنة ..
- 471 المنصور و نخلتا حلوان ..
- 471 قول حماد عجرد في نخلتي حلوان ..
- 471 لشاعر آخر فيهما ..
- 472 لأحمد بن إبراهيم فيهما ..

- 472 اشارة
- 473 صوت
- 473 صوت
- 473 صوت
- 475 صوت
- 475 صوت
- 476 22 - أخبار محمد بن كناسة و نسبه
- 476 اشارة
- 476 ما قاله ابن كناسة في إبراهيم بن أدهم
- 476 رأي ابن كناسة في حديثه
- 476 ابن كناسة يداعب جوريرة
- 478 تفسير ابن كناسة لبيت فيه ذكر الجوزاء و الثريا
- 478 تعريض ابن كناسة بامرأته التي كان يبغضها
- 478 قول ابن كناسة فيمن يخدم عياله
- 478 ابن كناسة ينوه بذكاء جاريتيه دنانير
- 479 دنانير ترثي صديق أبي الحسين
- 480 ابن كناسة يحتفظ بكرامته في إملاقه
- 480 سرور ابن كناسة بلقاء الاوفياء و الكرام
- 480 ابن كناسة يرثي إبراهيم بن أدهم
- 482 رد ابن كناسة على عتاب صديق
- 482 رأي ابن كناسة في الدنيا
- 482 ابن كناسة يصف الحيرة و ما جاورها
- 484 ابن كناسة ينصح ابنه في اختيار الصديق
- 484 شعر ابن كناسة في رجل يخالف ظاهره باطنه
- 485 خبر جد ابن كناسة مع امرأة من بني أود

- 486 جارية ابن كناسة تقول شعرا فيمن يعرض لها بأنه يهواها
- 486 ابن كناسة يرثي جاريته
- 486 رواية ابن كناسة للحديث
- 488 طائفة مما روي من الأحاديث
- 489 23 - أخبار قلم الصالحية
- 489 إشارة
- 489 قلم الصالحية وإعجاب الواثق بها
- 491 علي بن الجهم يمدح الواثق
- 493 شراء الواثق لقلم الصالحية
- 493 إشارة
- 493 صوت
- 494 24 - أخبار الشمردل ونسبه
- 494 نسبه
- 494 خروجه وإخوته إلى خراسان وهجاؤه وكيع بن أبي سود لإنفاذهم في وجوه مختلفة
- 494 رثاؤه لأخويه قدامة وائل
- 496 رثاؤه أخاه وائلا أيضا
- 500 رثاؤه لأخيه حكيم
- 502 ادعاء الفرزدق بيتا من شعر الشمردل بعد تهديده
- 502 تأويل رؤيا للمشردل ينعي على إثرها أخوه وائل
- 502 شعره حين سكر مع نديمين ونسي أحدهما نعله
- 504 هجاؤه هلال بن أحوز حين لم يرض عطاءه
- 504 هجاؤه للضبي حين شمت بمصرع إخوته
- 506 رثاؤه لعمر بن يزيد الأسدي
- 508 أرجوزته في وصف الصقر والقنص
- 510 أرجوزته في الذنب الذي قتله بعد أن فك بغنمه

510	استجادة الأصمعي أبياتا للشمر دل
510	اشارة
512	صوت
514	فهرس موضوعات الجزء الثالث عشر
516	المجلد 14
516	هوية الكتاب
519	مقدمة التحقيق
519	بيان
521	تممة التراجم
521	اشارة
521	1 - أخبار الحصين بن الحمام و نسبه
521	نسبه
521	مكائه في قومه
521	وفود ابنه على معاوية
521	حرب قومه بني سهم بن مرة مع بني صرمة بن مرة
525	شعره في لوم بني عمه على تجردهم لقتاله
527	انتصاره عليهم و شعره في ذلك و فخره بقومه
529	رثاؤه نعيم بن الحارث
529	لومه بني حميس حين فارقوا قومه
531	قوله في بني حميس أيضا يلومهم و يذكر يده عليهم
533	الحصين و البرج بن الجلاس
535	غارته على بني عقيل و بني كعب و شعره في ذلك
537	إدراكه الإسلام و شعره الدال على ذلك
539	موته و رثاء أخيه إياه
539	اشارة

- 541 صوت
- 542 2 - أخبار محمد بن يسير ونسبه
- 542 نسبه
- 542 قصته مع والي البصرة
- 542 اشارة
- 543 صوت
- 545 فعلة شاة منيع معه و هجاؤه اياها
- 553 شعره إلى امرأته و قد كتبت إليه تعاتبه
- 553 هجاؤه أبا النجم المغني
- 555 قصته مع صديق له يدعى داود
- 555 شعره في رثاء داود
- 557 أبيات له في شاة منيع
- 557 قوله في يوسف بن جعفر و قد عربد عليه وشجبه
- 557 شعر له في غلام
- 559 شعر له في عمرو القصافي و قد عان مغبة
- 559 استعار حمارا من جار له فأبى عليه فقال شعرا يشكوه
- 561 قصة جلة التمر و شعره إلى والي البصرة في ذلك
- 563 قصته مع أحمد بن يوسف
- 563 قصته مع أبي عمرو المدني و شعره في ذلك
- 569 قوله في قصر خرب
- 569 قوله في رثاء نفسه
- 571 قصته مع داود بن أحمد بن أبي دواد
- 571 أبيات له في الحكم
- 573 أبيات له في وصيفة بخرته و طبيته
- 575 أبيات له في أهل الجدل

- 575 قوله في استغناؤه عن تدوين ما يسمعه
- 575 بيتان من الشعر الحكيمى
- 577 قوله في نعل خلق له
- 577 قوله و قد أخذ من قثم بن جعفر ألواح آبنوس بعد أن أسكره
- 579 هجاؤه أحمد بن يوسف
- 579 قوله في ألواح الآبنوس أيضا
- 581 شعره إلى بعض الهاشميين و قد جفاه
- 581 قوله و قد أفلق من سكر
- 583 شعره إلى والى البصرة يستسقيه نبذا
- 583 إشارة
- 585 صوت
- 586 3 - أخبار ديك الجنّ و نسبه
- 586 نسبه و نبذة في ترجمته
- 586 قصيدته في هجاء ابن عمه
- 590 قصته مع زوجته ورد
- 600 قوله في غلامه اللّذي يقال له بكر
- 604 الأقبيل: اللّذي في عينه قبل، و هو دون الحول
- 606 رثاؤه جعفر بن علي الهاشمي
- 608 أبيات له في أهل حمص و قد عزلوا إمام مسجدهم
- 608 إشارة
- 610 صوت
- 611 4 - أخبار قيس بن عاصم و نسبه
- 611 نسبه
- 611 بعض صفاته
- 611 وأده بناته في الجاهلية

- 612 سبب وأده لبناته
- 612 خبره مع زوجته منفوسة بنت زيد الفوارس
- 614 أبيات للعباس بن مرداس يمدح فيها قيسا و يهجو جويننا الطائي
- 616 حلمه و عفوه عن ابن أخيه و قد قتل ابنه
- 616 وفود قيس على الرسول عليه السّلام
- 616 قصته مع تاجر خمار
- 618 خدعه الزبرقان بن بدر حتى فرّق الصدقات في قومه
- 618 أسباب سيادته
- 618 نصيحته لبنيه
- 618 حديث له مع رسول الله صلّى الله عليه و سلّم في المال
- 620 خبره مع الحوفزان
- 622 أبياته التي قالها في يوم حدود
- 622 إغارته على اللهازم يوم النجاج و ثبتل و ما قال ابنه علي في ذلك اليوم
- 624 قتاله عبد القيس
- 624 كان رئيس بني سعد يوم الكلاب الثاني
- 624 ما قاله لأولاده حين حضرته الوفاة
- 626 رثاء عبدة بن الطبيب له
- 626 تمثل هشام بن عبد الملك بيت من أبيات عبدة في رثائه
- 628 هو و عبدة بن الطبيب
- 628 سبب تحريمه الخمر على نفسه
- 630 قصته مع امرأته و قد فارقتة لإسلامه
- 630 كان يكنى أبا علي
- 632 بعض صفات قومه بني منقر
- 632 وصيته لبنيه بحفظ المال
- 632 وفوده على النبي مع عمرو بن الأهنم و تهاترهما أمامه

- 634 ارتداده
- 634 قصته مع عبادة بن مرثد
- 634 قصته مع زيد الخيل
- 636 إسلامه
- 636 حديثه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
- 636 إشارة
- 636 صوت
- 638 5 - أخبار محمد بن حازم ونسبه
- 638 نسبه و شيء من أخباره
- 638 قصته مع الطاهري
- 638 خبره مع أحمد بن سعيد بن سالم
- 640 خبره مع سعد بن مسعود
- 640 قصيدته في مديح الشباب و ذم الشيب
- 642 بكاهه الشيب أيضا
- 642 هجاؤه ابن حميد
- 644 هجاؤه ابن حميد أيضا
- 644 خانه محمد بن حميد فهجاه
- 646 ردّه على من عابه بقصر شعره
- 646 خبره مع أبي ذؤيب
- 648 ترصاه صديق له فقال شعرا
- 650 خبره مع أحمد بن يحيى
- 650 ردّه على كتاب أحمد بن أبي نهيك
- 652 خبره مع الحسن بن سهل
- 654 شعره في صديق تغير عليه
- 656 خبره مع إبراهيم بن المهدي

- 656 خيره مع النوشجاني
- 658 خيره مع بعض ولد سعيد بن سالم
- 660 تمثل المتوكل بشعره حينما غاضبته قبيحة
- 660 هجاؤه بني نمير
- 662 هجاؤه عاملا لمحمد بن حامد على الأهواز
- 664 وصفه للشيب
- 664 خيره مع محمد بن زبيدة
- 665 6 - أخبار ابن القصار ونسبه
- 665 نسبه
- 665 ثلبة جحظة و تادر عليه
- 667 كان مفضلا بحضرة السلطان
- 667 خيره مع زوج البلوري
- 667 اشارة
- 667 صوت
- 669 7 - أخبار معبد
- 669 نسبه
- 669 خيره مع غلام من المدينة
- 669 اشارة
- 669 صوت
- 673 صوت
- 674 8 - أخبار ابن أبي الزوائد ونسبه
- 674 نسبه
- 674 شعره في جارية كان يتعشقها
- 676 هجاؤه لأبي عبيدة بن عبد الله
- 676 شعره في قبان حماد بن عمران

- 676 هجاؤه لامرأته الأنصارية
- 680 قدومه بغداد و تشوقه إلى المدينة و شعره
- 682 شعره حين شرب خمرا
- 682 اشارة
- 684 صوت
- 684 أمر المنصور بزواج بني عبد مناف بالمنافيات
- 684 اشارة
- 686 صوت
- 687 9 - أخبار أبي الأسد و نسبه
- 687 نسبه
- 687 شعره في جارية ترقبها فأخلفت
- 687 طلب من موسى بن الضحاك غلاما فشاطره غلمانه
- 689 سبب هجاؤه أحمد بن أبي دواد
- 689 سبب الهجاء
- 691 مدحه الفيض بن صالح
- 691 مدحه حملون بن إسماعيل و هجاؤه علي بن المنجم
- 697 عتابه لأبي دلف لحجبه إياه
- 697 شعره في صديقه بسطام
- 697 رثاؤه إبراهيم الموصلي
- 699 هجاؤه شاهين ابن أخي أبي دلف
- 699 اشارة
- 701 صوت
- 703 10 - أخبار قيس بن الحدادية و نسبه
- 703 اشارة
- 703 أغار على بني قميير و قتل ابن عشا و قال شعرا

- 707 أغار على هوازن وقتل أبو زيد وعروة وقال شعرا
- 709 شعره في حرب خزاعة و عامر بن الظرب
- 711 شعر لابن الأحب في غارة هوازن على خزاعة
- 711 أجاب قيس على ابن الأحب وغيره بأنه فخر بيوم لم يكن لهم
- 711 مدح أسد بن كرز لحمايته له، وقال شعرا في ذلك
- 713 شعره في غارة ضريس على بني ضاطر
- 713 مدحه بني عدلي بن عمرو من خزاعة
- 715 مدحه عدلي بن نوفل
- 715 هجرة خزاعة لجلب أصابهم و شعر له في ذلك
- 721 شعره في معشوقته نعم
- 723 أراد قوم من مزينة أسره فقاتلهم حتى قتل وهو يرتجز
- 723 اشارة
- 725 صوت
- 726 11 - أخبار ابن قنبر و نسبه
- 726 نسبه
- 726 هجازه مسلم بن الوليد
- 728 أنشد المأمون بيتين له و أمر ابن محرز بتلحينها
- 728 اشارة
- 728 صوت
- 728 شعره في النسيب
- 730 قصته مع جوار تعرضن له
- 730 حفظ علي بن محمد النوفلي من شعره
- 730 رواية محمد بن سلام لشعره و اعتراضه عليه
- 730 اشارة
- 731 صوت

- 732 شعر منسوب إليه أو للعتابي .
- 732 ذم كل قرشيّ لم يتخلق بأخلاق قريش
- 732 تمثل الرشيد بشعره للعباس بن محمّد
- 734 شعره في مرض موته .
- 734 إشارة
- 734 صوت
- 735 12 - أخبار الأسود و نسبه .
- 735 نسبه و أخباره
- 735 إشارة
- 735 صوت
- 735 ولايته بيت المال
- 737 شعره في محمّد بن عبد الله بن كثير .
- 737 قصته مع محبوبته مريم
- 737 قصته في بيتين من شعره
- 739 شعره في تولية أبي جعفر المدينة .
- 739 إشارة
- 739 صوت
- 742 13 - أخبار علي بن الخليل .
- 742 نسبه و أخباره
- 742 كان مولى معن بن زائدة الشيباني .
- 742 حبسه الرشيد مع صالح بن عبد القدوس ثم مدحه فأطلقه .
- 746 شعره في يعقوب بن داود و ابن علاثة .
- 746 ولاية ابن الجهم السوس لإنشاده شعره .
- 748 تهنئة يزيد بن مزيد بمولوده .
- 750 المهدي يذكره بشعره في الخمر .

- 752 ملحه معن بن زائدة
- 752 هجاؤه لدهقان
- 756 شعره في تعلق أحد أولاد المنصور بجارية
- 759 14 - أخبار محمد الزّرقّ
- 759 إشارة
- 759 نسبه و بعض أخباره
- 759 إشارة
- 759 صوت
- 761 قوة حفظه و براعته في الغناء
- 761 غناء لابن جامع بحضرة الرشيد
- 761 إشارة
- 761 صوت
- 763 صوت
- 763 صوت
- 763 صوت
- 765 صوت
- 765 صوت
- 766 15 - أخبار أبي الشَّبل و نسبه
- 766 نسبه
- 766 معجونه و اتصاله بالمتوكل
- 766 دعتة جاريتة فقال شعرا
- 768 ملحه مالك بن طوق ثم ذمه
- 768 رثاؤه لطبيب
- 770 عبثه بخالد بن الوليد
- 770 عرض شعره على المازني فذمه

- 772 بعض نواتره .
- 772 خبره مع خمار يهودي .
- 772 هجاؤه هبة الله بن ابراهيم .
- 774 قصته مع جارتين .
- 776 شعره في الشيب .
- 776 خبره مع حاتم بن الفرج .
- 776 شعره في جارية سوداء يحبها .
- 778 هجاؤه جارية لهاشمه النحوي .
- 778 شعره في ذم المطر .
- 780 هجاؤه مولى عبد الله بن يحيى .
- 780 هجاؤه محمد بن حماد .
- 780 شعره في كبش كسر قنديلته .
- 786 سرق منه قرطاس فرثاه .
- 791 16 - أخبار عثث .
- 791 نسبه .
- 791 ما وقع له في مجلس غناء .
- 793 غناؤه في مجلس المتوكل .
- 793 اشارة .
- 793 صوت .
- 793 نسبة ما في هذه الأخبار من الغناء .
- 793 صوت .
- 795 صوت .
- 795 صوت .
- 795 غناؤه في شعر .
- 795 اشارة .

- 796 صوت
- 797 صوت
- 798 17 - أخبار عبد الله بن الزبير ونسبه
- 798 نسبه
- 798 خبره مع عبد الرحمن بن أم الحكم
- 802 شعره حين عزل عبد الرحمن عن الكوفة
- 804 خبره مع عمرو بن عثمان بن عفان
- 806 مدحه أسماء بن خارجة
- 806 اشارة
- 806 صوت
- 806 حبسه ابن أم الحكم وشعره
- 810 شعره بين يدي عبيد الله بن زياد
- 812 بقية أخبار عبد الله بن الزبير
- 812 معاونة ابن زياد على قتل هاني بن عروة
- 818 شعره عند عبيد الله بن زياد
- 818 اشارة
- 818 صوت
- 820 شعره في صديقه
- 822 رثاؤه لصديقه
- 826 رثاؤه يعقوب بن طلحة
- 826 له من بني نهشل يقال له: ذنب، فقال ابن الزبير:
- 828 دخوله المدينة مع عبد الرحمن بن الحكم
- 828 حبسه زفر فقال شعرا
- 830 خبره مع الحجاج
- 833 مدحه لبشر بن مروان

- 835 خروجہ مع الحجاج
- 837 مدح ابن أم الحكم فلم يعطه فهجاه
- 837 شعره في مقتل عبد الله بن الزبير
- 837 شعره في المحل وفي الحجاج
- 839 هجاؤه عبد الله بن الزبير
- 839 مدحه بشر بن مروان
- 841 شعره لبشر بن مروان
- 843 شعره في أمير المؤمنين
- 845 شعر الفرزدق في بشر بن مروان
- 845 خبره مع حجار بن أبيجر
- 847 منعه عبد الرحمن الخروج إلى الشام
- 849 حاجب بشر قال شعرا
- 849 شعر لآبيه
- 851 شعر لابنه
- 851 هرويه إلى معاوية
- 853 مدحه إبراهيم بن الأستر
- 853 إشارة
- 853 صوت
- 855 18 - أخبار ثابت قطنية
- 855 نسبه
- 855 صلاته الجمعة بالناس
- 857 خير حاجب الفيل مع يزيد بن المهلب
- 859 خبره مع حاجب الفيل عند يزيد
- 861 هجاء حاجب له
- 861 شعره عن نفسه

- 869 هجاؤه لقتيبة بن مسلم
- 870 رثاؤه المفضل بن المهلب
- 870 رده على ابن الكواء
- 872 كتابه إلى يزيد بن المهلب
- 874 خطب امرأة، فدفعه عنها جوير بن سعيد
- 874 رثاؤه يزيد بن المهلب
- 876 هجاؤه لربيعة
- 876 شعره لما منعه قتيبة بن مسلم
- 878 شعره في قومه
- 878 خبره مع أمية بن عبد الله بن خالد
- 878 إشارة
- 878 صوت
- 880 19 - أخبار كعب الأشقرى ونسبه
- 880 نسبه وبعض أخباره
- 880 شعره للحجاج عن وقعة الأزارقة
- 884 شعره في المهلب وولده
- 886 تهاجيه وزباد الأعجم
- 888 هجاؤه عبد القيس
- 888 هجاؤه ربيعة واليمن
- 890 شعره في المهلب أمام رسول الحجاج
- 892 هروبه إلى عمان
- 894 شعره في مقتل بني الأهم
- 894 شعره في عمرو بن عمير
- 896 شعر له فيه غناء
- 898 شعره في المهلب وولده

- 900 هجاؤه لأخيه وخبر ذلك
- 900 مقتله
- 902 مدحه لقتيبة بن مسلم
- 902 إشارة
- 902 صوت
- 905 20 - أخبار العباس بن مرداس ونسبه
- 905 نسبه
- 905 خبره مع صنم كان لهم
- 907 خروجه إلى النبي صلى الله عليه وسلم وإسلامه
- 911 زوجته توثبه على إسلامه
- 911 شعره لرسول الله حين فضل غيره عليه في الغنائم وخبر ذلك
- 915 كتب عبد الملك كتابا فيه شعر لابن الزبير يتوعدده ورده على ذلك
- 915 خير قتل أخيه هريم
- 917 خروجه لحرب بني نصر
- 921 حربه مع بني زيد
- 921 شعره في جلاء بني النضير وجواب خوات له
- 925 رثاه أخوه بشعر
- 927 دعاء النبي عليه السلام لأمته
- 927 إشارة
- 927 صوت
- 929 21 - أخبار حماد عجرد ونسبه
- 929 نسبه
- 929 كان أبوه مولى لبني هند، وهجاء بشار له
- 931 الحمادون الثلاثة
- 931 سبب مهاجاة بشار

- 933 كان من كبار الزنادقة
- 935 هجاء بشار له
- 935 هجاء بشار له و لصديقه سليم
- 935 دخل بينه وبين بشار رجل بصري
- 941 هجاء بشار له
- 941 هجاؤه لبشار
- 942 اتصاله بالربيع
- 943 هجاؤه لبشار
- 943 شعره في قطرب
- 945 كان أبو حنيفة صديقا له
- 945 كان يحيى بن زياد صديقا له
- 947 شعره لصديق انقطع عن مجلسه
- 947 كان من ندماء الوليد بن يزيد
- 949 اجتماعه بوجوه البصرة
- 949 شعر لمحمد بن الفضل السكوني يعتذر إليه به
- 951 مديحه لجلّة من أبناء ملوك فارس
- 953 حريث بن أبي الصلت يعيه بالبخل و شعر له في ذلك
- 955 قوله في رجل حبق في مجلسه
- 955 شعر له في قریش حين صلّى به
- 955 خبره مع غلام أمرد
- 955 شعره في جوهر
- 957 رثاؤه للأسود بن خلف
- 957 اشارة
- 957 صوت
- 957 هجا أبا عون مولى جوهر بشعر

- 961 هجا بشارا بيت من الشعر .
- 963 هجاؤه له أيضا .
- 965 راوية بشار يشده شعرا لحماد .
- 965 إعجاب محمد بن النطاح بشعره .
- 967 هجاه بشار أكثر مما هجاه هو .
- 967 مجاشع بن مسعدة يهجو حمادا .
- 967 شعره في جارية .
- 969 شعره في محمد بن طلحة .
- 969 ردّة على حفص بن أبي وزة حين طعن على مرثش .
- 971 شعره في جبة لبعض الكتاب .
- 971 مرض فلم يعده مطيع بن اياس فقال شعرا في ذلك .
- 973 خبره مع المفضل بن بلال .
- 973 خبره مع سعاد الجارية .
- 975 خبره مع غلام بعث به إليه مطيع .
- 975 شعر له و لمطيع في بنت دهقان .
- 975 اشارة .
- 977 صوت .
- 977 شعره في وداع أبي خالد الأحول .
- 979 ممازحته لمطيع بن اياس و شعرهما في ذلك .
- 979 هجاؤه عيسى بن عمرو .
- 981 و له يهجو أيضا .
- 981 هجا حشيشا الكوفي .
- 983 هجا أباعون .
- 985 هجاؤه غيلان جدّ عبد الصّمّد بن المعدّل .
- 985 اشارة .

- 985 صوت
- 987 شعره في يحيى بن زياد
- 987 شعره في عيسى بن عمرو
- 989 هجا يقطينا بشعر
- 990 شعره في ولد لبشار
- 991 قال شعرا حين سمع بيتي مطيع
- 991 استجازة محمد بن أبي العباس وعدا
- 992 شعره في عثمان بن شيبة
- 993 هجازه مطيع بن إياس
- 995 مدحه و تعزيتة داود بن إسماعيل بن علي بن عبد الله بن العباس
- 995 كان ماجنا زنديقا
- 997 أدبه محمد بن أبي العباس
- 997 إشارة
- 997 صوت
- 997 نسيب محمد بن أبي العباس بزینب بنت سليمان
- 997 إشارة
- 999 صوت
- 999 خطبته لها
- 999 إشارة
- 999 صوت
- 999 غنى دحمان في شعر قيس بن الخطيم
- 1000 إشارة
- 1001 صوت
- 1001 شعر لابن أبي العباس غنى فيه
- 1001 إشارة

- 1001 صوت
- 1002 سكر حماد مع حكم الوادي عند محمد بن أبي العباس فناموا دونه
- 1003 محمد بن أبي العباس يشيب بزینب بنت سليمان
- 1003 كان محمد نهاية في الشدة
- 1003 حماد يمدح محمد بن أبي العباس
- 1003 خير عزل محمد بن أبي العباس عن البصرة
- 1005 شبب حماد مجرد بزینب بنت سليمان
- 1005 رثى حماد محمد بن أبي العباس بشعر
- 1006 خبر موت محمد بن أبي العباس
- 1007 اتصله لأخي زينب بشعر
- 1009 اعتذر إلى محمد بن سليمان بشعر
- 1009 هجاؤه محمد بن سليمان
- 1009 وقال أيضا بهجوه
- 1011 خبر مقتله
- 1011 شعر له وهو يحتضر
- 1011 اشارة
- 1013 صوت
- 1014 22 - أخبار حريث و نسبه
- 1014 نسبه
- 1014 يشيب بحبي بنت الأسود
- 1018 مر بنسوة فضحك منه فقال شعرا
- 1018 خير إغاراته على قوم من بني أسد
- 1019 فهرس موضوعات الجزء الرابع عشر
- 1021 تعريف مركز

الأغاني المجلد 13-14

هوية الكتاب

الأغاني

المؤلفين الآخرين

مدقق لغوي و مترجم:

مكتبة تحقيق دار احياء التراث العربي

المجلدات : 25 ج

لسان: العربية

ناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان

سنة النشر: 1415 هجرى قمرى 1994 ميلادى

رمز الكونغرس: PJA 3892 / الف 1374 6

إعداد النص الرقمي : ميثم الحيدري

ص: 1

المجلد 13

إشارة

1 - أخبار أبي الطّمحان القيني

اسمه و نسبه

أبو الطّمحان اسمه حنظلة بن الشّرقي(1)، أحد بني القين بن جسر بن شيع الله، من قضاة. وقد تقدّم هذا النسب في عدّة مواضع من الكتاب في أنساب شعرائهم.

إدراكه الجاهلية و الإسلام و اتصاله بالزبير بن عبد المطلب

و كان أبو الطّمحان شاعرا فارسا خارباً(2) صعلوكا. و هو من المخضرمين، أدرك الجاهلية و الإسلام، فكان خبيث الدّين فيهما كما يذكر. و كان تراباً للزبير بن عبد المطلب في الجاهلية و نديماً له. أخبرنا بذلك أبو الحسن الأسديّ عن الرّياشيّ عن أبي عبيدة.

وقوع قيسبة السكوني في أسر العقيلين و حمل أبي الطّمحان خيره إلى قومه

و مما يدلّ على أنه قد أدرك الجاهلية ما ذكره ابن الكلبيّ عن أبيه قال: خرج قيسبة بن كلثوم السّكوني، و كان ملكا، يريد الحجّ - و كانت العرب تحجّ في الجاهلية فلا يعر (3)، بعضها لبعض - فمرّ ببني عامر بن عقيل، فوثبوا عليه فأسروه و أخذوا/ماله و ما كان معه، و ألقوه في القدّ(3)، فمكث فيه ثلاث سنين، و شاع باليمن أن الجنّ استطارته(4). فبينما هو في يوم شديد البرد في بيت عجوز منهم إذ قال لها: أ تأذنين لي أن آتي الأكمة فأتشرّق(5) عليها فقد أضرب بي القرم(6)؟! فقالت له نعم. كانت عليه جبة له حبرة(7) لم يترك عليه غيرها، فتمشّى في أغلاله

ص: 5

1- قال الأمدى في «المؤتلف و المختلف في أسماء الشعراء»: «أبو الطّمحان القيني اسمه حنظلة بن الشّرقي، كذا وجدته في «كتاب بني القين بن جسر». و وجدت نسبه في «ديوانه المفرد»: أبو الطّمحان ربيعة بن عوف بن غنم بن كنانة بن القين بن جسر». و في «الحماسة» طبع أوربا ص 558: «و اسمه حنظلة بن الشّرقي و قيل ربيعة بن عوف بن غنم بن كنانة بن جسر».

2- الخارب: سارق الإبل خاصة، ثم نقل إلى غيره اتساعا. قال الجوهري: خرب فلان بإبل فلان و يخرب خرابة مثل كتب يكتب كتابه، أي سرقتها، و خرب فلان: صار لصا.

3- القد: سير يقدر من جلد غير مدبوغ، فتشدّ به الأقتاب و المحامل، و يتخذ منه السوط، و يقيد به الأسير. قال يزيد بن الصعق يعيب بعض بني أسد: فرغتم لتمرين السياط و كنتم يصب عليكم بالقنا كل مربع فأجابه شاعرهم: أعبتم علينا أن نمّرّن قدنا و من لم يمرّن قدّه يتقطع

4- استطارته الجن: ذهبت به. و في حديث ابن مسعود: «فقدنا رسول الله صلّى الله عليه و سلّم فقلنا: اغتيل أو استطير»، أي ذهب به بسرعة، كأن الطير حملته أو اغتاله أحد.

5- تشرق: جلس بالمشرقة، و هو موضع القعود للشمس، و الموضع الذي تشرق عليه الشمس.

6- القَرّ، بالضم: البرد، أو هو برد الشتاء خاصة؛ سمي بذلك من الاستقرار و السكون كأنه يسكن الحرّ و يطفئه.

7- في «مختار الأغاني الكبير» (نسخة مأخوذة بالتصوير الشمسي و محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم 4646 أدب): «جبة من

حبرة».

وقيوده حتى صعد الأكمة، ثم أقبل يضرب ببصره نحو اليمن، و تغشاها عبرة فبكى، ثم رفع طرفه إلى السماء وقال:

اللهم ساكن السماء فَرِّجْ لي مما أصبحت فيه. فبينما هو كذلك إذ عرض له راكب يسير، فأشار إليه أن أقبل، فأقبل الراكب، فلما وقف عليه قال له: ما حاجتك يا هذا؟ قال: أين تريد؟ قال: أريد اليمن. قال: ومن أنت؟ قال [أنا] (1) أبو الطَّمحان القيني، فاستعبر باكيا. فقال [له] (1) أبو الطَّمحان: من أنت؟ فإني أرى عليك سيما الخير و لباس الملوك، و أنت بدار ليس فيها ملك. قال: أنا قيسبة بن كلثوم السكوني، خرجت عام كذا و كذا أريد الحج، فوثب عليّ هذا الحيّ فصنعوا بي ما ترى، و كشف عن أغلاله/وقيوده؛ فاستعبر أبو الطَّمحان، فقال له قيسبة: هل لك في مائة ناقة حمراء؟ قال: ما أحوجني إلى ذلك! قال: فأنخ، فأناخ. ثم قال له: أ معك سكين؟ قال نعم. قال:

ارفع لي عن رحلك، فرفع له عن رحله حتى بدت خشبة مؤخره(2)؛ فكتب عليها قيسبة بالمسند(3)، و ليس يكتب به غير أهل اليمن:

بلغا كندة(4) الملوك جميعا *** حيث سارت بالأكرمين الجمال

أن ردوا العين بالخميس(5) عجالا *** و اصدروا عنه و الروايا(6) تقال

هزئت جارتني و قالت عجيبا *** إذ رأتنني في جيدي الأغلال

إن تريني عاري العظام أسيرا *** قد براني تضعضع و اختلال

فلقد أقدم الكتيبة بالسي *** ف عليّ السلاح و السربال

و كتب تحت الشعر إلى أخيه أن يدفع إلى أبي الطَّمحان مائة ناقة. ثم قال له: أفرئ هذا قومي؛ فإنهم سيعطونك مائة ناقة حمراء. فخرج تسير به ناقته، حتى أتى/حضر موت، فتشاغل بما ورد له و نسي أمر قيسبة حتى فرغ من حوائجه. ثم سمع نسوة من عجائز اليمن يتذاكرن قيسبة و يبكين، فذكر أمره، فأتى أخاه الجون بن كلثوم، و هو أخوه لأبيه و أمه، فقال له: يا هذا، إني أدلك على قيسبة و قد جعل لي مائة من الإبل. قال له: فهي لك.

فكشف عن الرحل، فلما قرأه الجون أمر له بمائة ناقة، ثم أتى قيس بن معديكرب الكنديّ أبا الأشعث بن قيس، فقال له: يا هذا، إن أخي في بني عقيل أسير، فسر معي بقومك، فقال له: أ تسير تحت لوائني حتى أطلب ثارك و أنجدك، و إلا فامض راشدا. فقال له الجون: مسّ السماء أيسر من ذلك و أهون عليّ مما خيرته. و ضجّت

ص: 6

1- زيادة عن نسخة ط.

2- يجوز فيه سكون الهمزة مع فتح الخاء و كسرهما، و فتح الهمزة مع تشديد الخاء مفتوحة و مكسورة، كما يقال فيه آخرة الرحل و آخره و مؤخرته، و في «مؤخرته» من اللغات ما في «مؤخره».

3- المسند: هو خط حمير و هو مخالف لخطنا. و قد نشرت كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول كتابا في حروف هذا الخط، و حل الآثار اليمينية المكتوبة به من تأليف الأستاذ أغناطيوس جويدي، اسمه «المختصر في علم اللغة العربية الجنوبية القديمة». و يعدّ أجود المراجع في خط اليمن و لغتها.

4- كان قيسبة من قبيلة السكون. و السكون: بطن من كندة. لذلك استنجد بملوكهم.

5- الخميس: الجيش الكامل، وهو المؤلف من خمس فرق: المقدمة، والقلب، والميمنة، والميسرة والساقة.

6- الروايا: جمع راوية وهي هنا المزادة فيها الماء. وتطلق الرواية أيضا على البعير أو البغل أو الحمار الذي يستقى عليه الماء. والرجل المستقى أيضا راوية. و من الأول قول عمرو بن ملقظ: ذاك سنان محلب نصره كالجمل الأوطف بالراويه و من الثاني قول أبي طالب: و ينهض قوم في الحديد إليكمو نهوض الروايا تحت ذات الصلاصل

السكون (1) ثم فاءوا ورجعوا وقالوا له: و ما عليك من هذا! هو ابن عمك و يطلب لك بئارك! فأنعم له بذلك (2).

اجتماع السكون و كندة لإتقاد قيسبة

و سار قيس و سار الجون معه تحت لوائه، و كندة و السكون معه؛ فهو أول يوم اجتمعت فيه السكون و كندة لقيس، و به أدرك الشرف. فسار حتى أوقع بعامر بن عقيل فقتل منهم مقتلة عظيمة و استنقذ قيسبة. و قال في ذلك سلامة بن صبيح الكندي:

لا تشتمونا إذ جلبنا لكم *** ألفي كميث كلها سلهبه (3)

نحن أبلنا (4) الخيل في أرضكم *** حتى ثارنا منكم قيسبه

و اعترضت من دونهم مذحج *** فصادفوا من خيلنا مشغبه (5)

اعتراف أبي الطمحان بأدنى ذنوبه

حدّثنا إبراهيم بن محمّد بن أيّوب قال حدّثنا عبد الله بن مسلم قال:

بلغني أنّ أبا الطّمحان القينيّ قيل له، و كان فاسقا خاربا، ما أدنى ذنوبك؟ قال: ليلة الدّير. قيل له: و ما ليلة الدير؟ قال: نزلت بديرائيّة فأكلت عندها طفيشلا (6) بلحم خنزير، و شربت من خمرها، و زويت بها، و سرقت كساءها (7)، ثم انصرفت عنها.

التجاؤه إلى بني فزارة من جنابة جناها و إقامته عندهم حتى هلك

أخبرني عمي قال حدّثني محمّد بن عبد الله الحزنبلي عن عمرو بن أبي عمرو و الشيبانيّ عن أبيه قال:

جنى أبو الطّمحان القينيّ جنابة و طلبه السلطان، فهرب من بلاده و لجأ إلى بني فزارة فنزل على رجل منهم يقال له: مالك بن سعد أحد بني شمش؛ فأواه و أجاره و ضرب عليه بيتا و خلطه بنفسه. فأقام مدّة، ثم تشوّق يوما إلى أهله و قد شرب شرابا ثمل منه، فقال لمالك: لو لا أن يدي تقصر عن دية جنابتي لعدت إلى أهلي. فقال له: هذه إبلي فخذ منها دية جنابتك و اردد (8) ما شئت. فلمّا أصبح ندم على ما قاله و كره مفارقة موضعه و لم يأمن على نفسه، فأتى مالكا فأنشده:

سأمذح مالكا في كلّ ركب *** لقيتهم و أترك كل رذل

فما أنا و البكاراة أو مخاض *** عظام جلة سدس و بزل (9)

ص: 7

1- السكون كصبور: بطن من بطون العرب بكندة.

2- أنعم له، أي قال له: نعم.

3- الكميث: الّذي خالط حمرة سواد. السلهب: الطويل من الخيل و الناس؛ يقال فرس سلهب و سلهبة إذا عظم و طال و طالت عظامه. و

فرس مسلّهَبّ: ماض.

4- أبال الخيل و استبالها: وقفها للبول؛ يقال: لنبيّلن الخيل في عرصاتكم.

5- مشغبة: من الشغب بسكون الغين، و هو هيجاء القتال.

6- الطفيشل كسميدع: نوع من المرق.

7- كساء هنا: جمع كسوة مثل كسى كما ورد في القاموس.

8- في «المختار»: «وازدد» و لعلها أ صوب.

9- البكاره: جمع بكر. و البكر بالفتح: الفتى من الإبل بمنزلة الغلام من الناس، و الأثى بكرة. و المخاض: الحوامل من النوق. و جلة

الإبل: مسانّها، و هو جمع جليل مثل صبي و صببية. و السدس: جمع سديس كرغيف و رغف، و هي من الإبل ما دخل في السنة الثامنة، و

ذلك إذا ألقى السن التي بعد الرباعية. و البزل: جمع بازل، و هو الناقة و البعير إذا استكمل السنة الثامنة و طعن في التاسعة و فطر نابه. و في

قافية البيت إقواء.

وقد عرفت كلابكم ثيابي *** كأني منكم ونسيت أهلي

نمت (1) بك من بني شمعخ زناد *** لها ما شئت من فرع وأصل

قال فقال مالك: مرحبا! فإنك حبيب ازداد حبا، إنما اشتقت إلى أهلك و ذكرت أنه يحبسك عنهم ما تطالب به من عقل (2) أو دية، فبذلت لك ما بذلت، و هو لك على كل حال، فأقم في الرّحب و السّعة. فلم يزل مقيما عندهم حتى هلك في دارهم.

قال أبو عمرو في هذه الرواية: و أخبرني أيضا بمثله محمّد بن جعفر النّحوي صهر المبرّد، قال حدّثنا ثعلب عن ابن الأعرابي قال:

شعره في الاعتذار لامرأته من ركوبه الأهوال

عانتب أبا الطّمحان القينيّ امرأته في غاراته و مخاطرته بنفسه، و كان لصّا خاربا خبيثا، و اكثرت لومه على ركوب الأهوال و مخاطرته بنفسه في مذاهبه، فقال لها:

لو كنت في ريمان (3) تحرس بابه *** أراجيل أحبوش و أغضف ألف

إذا لآتني حيث كنت منيتي *** يخبّ بها هاد بأمرى قائف (4)

فمن رهبة آتي المتالف سادرا *** و آية أرض ليس فيها متالف (5)

شعره في بجير بن أوس الطائي و إطلاقه من الأسر

فأمّا البيت الذي ذكرت من شعره أنّ فيه لعريب صنعة و هو:

أضاءت لهم أحسابهم و وجوههم

فإنه من قصيدة له مدح بها بجير بن أوس بن حارثة بن لأم الطائي، و كان أسيرا في يده. فلما مدحه بهذه القصيدة أطلقه و جرّ ناصيته، فمدحه بعد هذا بعدة قصائد. و أوّل هذه الأبيات:

إذا قيل أيّ الناس خير قبيلة (6) *** و أصبر يوما لا توارى كواكبه

ص: 8

1- كذا في الأصول. و المعروف «ورت». و وري الزناد يضرب مثلا للظفر و النجاح أي هم ينجحون فيدركون ما يطلبون بك.

2- العقل هو الدية، و هي ما يدفع فدية للقتيل.

3- ريمان بفتح الراء موضعان: أحدهما حصن باليمن و هو المقصود هنا، و قصر باليمن وصفه الأعشى في أبياته التي يقول فيها: يا من يرى

ريمان أم سى خاويبا خربا كعابه و البيت في «معجم البكري» منسوب لأوس بن حجر. و أراجيل: جمع أرجال، و أرجال: جمع راجل كصاحب و أصحاب، و هو خلاف الفارس. و الأحبوش: جماعة الحبش، أو الجماعة أيا كانوا؛ لأنهم إذا تجمعوا اسودّوا. و جمعه أحابيش. و الأغضف: المسترخي الأذن من الكلاب و الآلف: المستأنس بمن يحرسهم، من الإلف بكسر الهمزة.

4- يخب بها: يسير بها خببا، و هو ضرب من العدو السريع. و الهادي بالأمر: العارف به، المهتدي. و القائف: متتبع الآثار العارف بها.

5- السادر: الذي لا يهتم بشيء، و لا يبالي ما صنع. و المتالف: المهالك.

6- «قبيلة» منصوبة على التمييز، و كذلك «يوما»، و يعني بذكر اليوم الوقعات و الحروب. و قوله لا توارى كواكبه، أي لا تتوارى، فحذفت إحدى التاءين تخفيفا. و يروى: لا توارى كواكبه (بضم التاء بالبناء للمفعول)، أي لا تستر. و الأصل في هذا و ما يجري مجرى الأمثال «يوم حليلة». و ذلك أن غطيت عين الشمس في ذلك اليوم بالغبار الثائر في الجو فرئيت الكواكب ظهرا، على ما ذكر واقيل: «ما يوم حليلة بسر» و صار الأمر إلى ما قيل في التوعد «لأرينك الكواكب ظهرا». (عن التبريزي في شرحه على حماسة أبي تمام ج 4 ص 73 طبع بولاق).

فإن بني لأم بن عمرو وأرومة *** علت فوق صعب لا تنال مراقبه(1)

أضاعت لهم أحسابهم وجوههم *** دجى الليل حتى نظم الجزع(2) ثاقبه

//لهم مجلس لا يحصرون(3) عن الندى *** إذا مطلب المعروف أجذب راكبه

أو أمّا خبر أسره و الوقعة التي اسر فيها فإن علي بن سليمان الأخفش أخبرني بها عن أحمد بن يحيى ثعلب عن ابن الأعرابي قال:

حرب جديلة و الغوث الطائين

كان أبو الطّمحان القيني مجاورا في جديلة من طيّ، و كانت قد اقتتلت بينها و تحاربت الحرب التي يقال لها «حرب الفساد»(4) و تحزبت حزبين: حزب جديلة و حزب الغوث، و كانت هذه الحرب بينهم أربعة أيام، ثلاثة منها للغوث و يوم لجديلة. فأما اليوم الذي كان لجديلة فهو «يوم ناصفة». و أما الثلاثة الأيام التي كانت للغوث فإنها «يوم قارات حوق»(5) و «يوم البيضة»(6) و «يوم عرنان»(7) و هو آخرها و أشدها و كان للغوث، فانهمزت جديلة هزيمة قبيحة، و هربت فلحقت بكلب و حالفتهم و أقامت فيهم عشرين سنة.

شعر أبي الطّمحان لما أسر في هذه الحرب

و أسر أبو الطّمحان في هذه الحرب: أسره رجلان من طيّ و اشتركا فيه، فاشتراه منهما بجير بن أوس بن حارثة لما بلغه قوله:

/

أرقت و آبتى الهموم الطّوارق *** و لم يلق ما لاقت قبلي عاشق

ص: 9

1- الأرومة: الأصل. و المراقب: جمع مرقبة، و هي المنظرة في رأس جبل أو حصن. و روى في «الكامل للمبرد» هذا البيت ضمن أبيات في هذه القصيدة لم يذكرها المؤلف، و ها هي ذي: و إني من القوم الذين هم هم إذا مات منهم سيد قام صاحبه نجوم سماء كلما غار كوكب بدا كوكب تأوي إليه كواكبه أضاعت لهم أحسابهم و وجوههم دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه و ما زال منهم حيث كانوا مسود تسير المنايا حيث سارت كتائبه («الكامل» ص 30 طبع ليسك).

2- الجزع اليماني: الخرز اليماني و الصيني، و هو الذي فيه سواد و بياض. و هو يختلط على ناظم العقد في الظلام.

3- لا يحصرون عن الندى: لا يبخلون. و فعله من باب فرح.

4- حرب الفساد من أيام العرب كانت كما قال المؤلف بين الغوث و جديلة من طيّ، سميت بذلك لما حدث فيها من الفظائع و الأهوال؛ فقد قيل إن هؤلاء خصفوا نعالهم بأذان هؤلاء، و هؤلاء شربوا الشراب بأقحاف رءوس هؤلاء. و فيه يقول جابر بن الحريش الطائي: إذ لا تخاف حد و جنا قذف النوى قبل الفساد إقامة و نذيرا و يقال له أيضا: زمن الفساد، و عام الفساد.

5- حوق بالضم: موضع. و هذا اليوم هو المعروف أيضا بيوم اليحامين. و سببه أن الحارث بن جبلة النسائي كان قد أصلح بين طيّ، فلما هلك عادت إلى حربها، فالتقت جديلة و الغوث بموضع يقال له عرنان فقتل قائد بني جديلة و هو أسبع بن عمرو بن لأم عم أوس بن خالد بن حارثة بن لأم، و أخذ رجل من سنسب يقال له مصعب أذنيه فنخسف بهما نعليه. و في ذلك يقول أبو سروة السنبسي: نخصف بالأذان

منكم نعالنا ونشرب كرها منكم في الجماجم و تناقل الحيان في ذلك أشعارا كثيرة. (ابن الأثير ج ص 476 طبع أوربا). وقارات جمع قارة وهي أصاغر الجبال والآكام.

6- البيضة: عين ماء لبني دارم، كما ذكر أبو محمد الأعرابي الأسود.

7- عرنان: جبل بين تيماء و جبلي طين.

إليكم بني لأم تحب هجانها *** بكلّ طريق صادفته شبارق(1)

لكم نائل غمر و أحلام سادة *** و السنة يوم الخطاب مسالق(2)

و لم يدع داع مثلكم لعظيمة *** إذا وزمت بالساعدين السوارق(3)

السوارق: الجوامع(4)، واحدها سارقة.

قال فابتاعه بجير من الطائين بحكمهما، فجزّ ناصيته و اعتقه.

جواره في بني جديلة و قتل تيس له غلاما منهم و شعره في ذلك

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا أبو أيّوب المديني قال: حدّثني مصعب بن عبد الله الزبيري قال:

كان أبو الطمّحان القينيّ مجاورا لبطن من طيئ يقال لهم بنو جديلة، فنطح تيس له غلاما منهم فقتله، فتعلّقوا أبا الطمّحان و أسروه حتى أدّى(5) ديتة مائة من الإبل. و جاءهم نزيله، و كان يدعى هشاما، ليدفع عنه فلم يقبلوا قوله؛ فقال له أبو الطمّحان:

أتاني هشام يدفع الضيم جاهدا *** يقول ألا ما ذا ترى و تقول

فقلت له قم يا لك الخير أدها *** مذلّة إنّ العزيز ذليل

فإن يك دون القين أغبر شامخ *** فليس إلى القين الغداة سبيل(6)

انتعاش المأمون ببني أبي الطمّحان في ساعة اكتابه

أخبرني عمي قال: حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدّثني محمّد بن عبد الله بن مالك، عن إسحاق قال:

دخلت يوما على المأمون فوجدته حائرا متفكرا غير نشيط، فأخذت أحده بملاح الأحاديث و طرفها، أستميله لأن يضحك أو ينشط، فلم يفعل. و خطر ببالي بيتان فأنشدته إياهما، و هما:

ألا علّاني قبل نوح التّوائح(7) *** و قبل نشوز(8) النفس بين الجوانح

و قبل غد، يا لهف نفسي على غد *** إذا راح أصحابي و لست برائح(9)

ص: 10

1- تحب: تسير الخبب، و هو العدو السريع. و الهجان: كرام الإبل. و الشبارق: جمع شبرق بكسر الشين و الراء، و هو شجر منبته نجد و تهامة، و ثمرته شاكة صغيرة الجرم حمراء مثل الدم منبتها السباخ و القيعان، و إذا يبس فهو الضريع.

2- مسالق: ذربة حادة؛ و منه قوله تعالى: سَلَقُوكُمْ بِالسِّنَةِ حِدَادٍ.

3- في ب، س، ط: «إذا رزمت» وهو تحريف. ووزمت: عضت. ورواية «اللسان» و«أساس البلاغة» (مادة أزم): «إذا أزمتم». والأزم: العض كالوزم.

4- الجوامع: القيود التي تشد بها سواعد الأسرى والمحبوسين.

5- لعلها: يؤدي.

6- القين: قبيلة أبي الطمحان منسوبة إلى جدّه القين بن جسر. يقول: إنه منقطع عن قبيلته وأهل نصرته بما يقوم بينه وبينهم من مفازة و جبل، فلا مناص من أداء دية الغلام المقتول. وإذا كان في أدائها معنى من معاني الذل، لأن جرح العجماء جبار (بضم الجيم) وهو يذهب هدرا، فإن العزيز يذل إذا وقع في مثل ما وقع فيه أبو الطمحان.

7- وفي «الحماسة»: «ويروى قبل صدح الصوادح». والصدح: شدة صوت الديك والغراب وغيرهما.

8- النشوز: ارتفاع الشيء عن موضعه، ونشوز النفس بين الجوانح: خروجها منها عند الموت. وفي «الحماسة»: «وقبل ارتقاء النفس فوق الجوانح». والجوانح: ضلوع الصدر. وارتقاء النفس فوقها: بلوغها التراقي.

9- راح أصحابي: رجعوا في العشية إلى منازلهم وبقيت في قبري منفردا.

فتنبّه كالمتمزّع ثم قال: من يقول هذا ويحك؟ قلت: أبو الطّمحان القينيّ يا أمير المؤمنين. قال: صدق والله، أعدهما عليّ. فأعدتهما عليه حتى حفظهما. ثم دعا بالطعام فأكل، ودعا بالشراب فشرب. وأمر لي بعشرين ألف درهم.

استشهاد خالد بن يزيد ببنتين له في ريبة اعتذر عنها الحسن لعبد الملك

أخبرني حبيب بن نصر المهلهبيّ قال: حدّثني أحمد بن الحارث الخزاز قال: [حدّثني] المدائنيّ قال:

عاتب عبد الملك بن مروان الحسن بن/الحسن عليهما السلام على شيء بلغه عنه من دعاء أهل العراق إيّاه إلى الخروج معهم على عبد الملك، فجعل يعتذر إليه ويحلف له. فقال له خالد بن يزيد بن معاوية: يا أمير المؤمنين، ألا تقبل عذر ابن عمك وتزيل عن قلبك ما قد أشربته إيّاه؟ أما سمعت قول أبي الطّمحان القينيّ:

/

إذا كان في صدر ابن عمك إحنة *** فلا تسترها سوف يبدو دفينها

وإن (1) حمأة المعروف أعطاك صفوها *** فخذ عفوه لا يلتبس بك طينها

استذانه الزبير بن عبد المطلب في الرجوع إلى أهله وشعره في ذلك

إشارة

قال المدائنيّ: ونزل أبو الطّمحان على الزّبير بن عبد المطلب بن هاشم، وكانت العرب تنزل عليه، فطال مقامه لديه، واستأذنه في الرجوع إلى أهله وشكا إليه شوقاً (2) إليهم، فلم يأذن له. وسأله المقام، فأقام عنده مدّة، ثم أتاه فقال له:

ألا حنّت المرقال وائتّب (3) ربّها *** تذكّر أوطاناً (4) وأذكر معشري

ولو عرفت صرف البيوع لسرّها *** بمكة أن تتباع حمضا بادخر (5)

أسرك لو أتا بجنبي عنيّة (6) *** وحمض (7) وضمران (8) الجناب وصعتر

إذا شاء راعيها استقى من وقية (9) *** كعين الغراب صفوها لم يكدر

فلما أنشده إيّاه أذن له فانصرف، وكان نديماً له.

ص: 11

1- الحمأة: الطين الأسود المنتن. والمقصود هنا عين الماء وفيها صفو وكدره. وهو يوصيه بأخذ الصفو وترك الطين.

2- في «المختار»: «شوقه».

- 3- المرقال: الناقة تسرع في سيرها، من الإرقال، وهو ضرب من العدو فوق الخبب. واثتب: تهباً للذهاب و تجهز، كآب الثلاثي من بابي نصر و ضرب.
- 4- رواية الشعر و الشعراء ص 229: «أرماما». و أرمام: موضع، و له يوم يعرف بيوم أرمام.
- 5- يقول: إن ناقته لو عرفت صرف البيوع، لسرها أن تنتقل من بلاد الإذخر إلى بلاد الحمض لسوقها إلى البادية. و الحمض من النبات كل نبت مالح أو حامض يقوم على سوق و لا أصل له كالنجيل و الرمث و الطرفاء و ما أشبهها. و من الأعراب من يسمي كل نبات فيه ملحوة حمضاً ضد الخلة من النبات و هو ما كان حلواً. و العرب تقول: الخلة خيز الإبل، و الحمض فاكهتها. و إذا شبت الإبل من الخلة اشتهدت الحمض. و الإذخر: حشيش طيب الرائحة.
- 6- عنيزة: قارة سوداء في بطن وادي فلج من ديار بني تميم.
- 7- حمض بفتح أوله هنا: موضع بالبحرين. و إذخر هنا: مكان بمكة.
- 8- الضمران: موضع، و صعتر بفتح أوله و إسكان ثانيه: موضع. قاله أبو حنيفة عند ذكر الصعتر في أصناف النبات («معجم ما استعجم») ص 608). و البيت في رواية أبي حنيفة كما في «تاج العروس» (مادة: صعتر): بودك لو أنا بفرش عنازة بحمض و ضميران الجناب و صعتر
- 9- الوقعة: مكان صلب يمسك الماء.

لا يعتري شربنا اللحاء وقد *** توهب فينا القيان والحلل (1)

وفتية كالسيوف نادمتهم *** لا حصر (2) فيهم ولا بخل

الشعر للأسود بن يعفر، والغناء لسليم، خفيف ثقيل أول بالبنصر. /

ص: 12

-
- 1- الشرب (بالفتح): القوم يجتمعون على الشراب. و اللحاء: النزاع. و القيان: جمع قينة، وهي الأمة المغنية. يقول: إنهم قوم لا يعتريهم النزاع، وقد يوجد الواحد منهم بالقينة والحلة.
- 2- الحصر هنا: البخل.

نسبه و منزلته في الشعر

الأسود بن يعفر - و يقال يعفر بضم الياء(1) - ابن عبد الأسود بن جندل بن نهشل بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم. و أم الأسود بن يعفر رهم بنت العَبَّاب، من بني سهم بن عجل. شاعر متقدّم فصيح، من شعراء الجاهلية، ليس بالكثير. و جعله محمّد بن سلام في الطبقة الثامنة(2) مع خدّاش بن زهير، و المخبّل السعديّ، و النّمر بن تولب العكليّ. و هو من العشي - و يقال العشو بالواو - المعدودين في الشعراء.

و قصيدته الدالية المشهورة:

نام الخليّ و ما أحسّ رقادي *** و الهَمّ مختصر لديّ و سادي

معدودة من مختار أشعار العرب و حكمها، مفضّلية مأثورة.

توقف سوار القاضي في شهادة دارمي جهل الأسود بن يعفر

أخبرني هاشم بن محمّد الخزاعيّ و أبو الحسن أحمد بن محمّد الأسديّ قالا: حدّثنا الرّياشيّ عن الأصمعيّ قال:

/تقدّم رجل من أهل البصرة من بني دارم إلى سوار بن عبد الله ليقيم عنده شهادة، فصادفه يتمثل قول الأسود بن يعفر(3):

و لقد علمت لو أنّ علمي نافع(4) *** أنّ السبيل سبيل ذي الأعواد(5)

إنّ المنية و الحتوف كلاهما *** يوفي المخارم يرميان سوادي(6)

ص: 13

1- إذا فتحت الياء منع من الصرف لشبهه بالفعل. و إذا ضمت الياء مع الفاء صرف؛ لأنه زال عنه شبه الفعل. و يقال فيه أيضا: يعفر (بفتح الياء و كسر الفاء) كما يقال: يونس و يوسف (بضم النون و السين و كسرهما).

2- كذا في جميع الأصول. و في «خزانة الأدب» (ج 1 ص 195 طبع بلاق): «قال السيوطي: و جعله محمّد بن سلام في الطبقة الثانية مع خدّاش بن زهير، و المخبّل السعدي، و النمر بن تولب». و الذي في «طبقات الشعراء» لابن سلام تحت عنوان: الطبقة الخامسة: «و هم أربعة رهط: خدّاش بن زهير بن ربيعة ذي الشامة بن عمرو - و هو فارس الضحياء - بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، و الأسود بن يعفر بن عبد الأسود بن جندل بن نهشل بن دارم، و أبو يزيد المخبّل بن ربيعة بن عوف بن قتال ابن أنف الناقعة بن قريع، و تميم ابن أبي مقبل بن عوف بن حنيف بن العجلان بن عبد الله بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة».

3- من قصيدة له هي إحدى مختارات المفضل الضبي، و هي عنده في ستة و ثلاثين بيتا.

4- في س: «نافع». و رواية الضبي لهذا الشطر: «و لقد علمت سوى الذي نبأتي».

5- ذو الأعواد، من أجداد أكثم بن صيفي حكيم تميم. و قيل له ذو الأعواد لسرير كانوا يحملونه عليه لما أسنّ، فكان سريره ملاذ الخائف و

ملجأ المحتاج. و اسم ذي الأعواد مخاشن بن معاوية. يقول الأسود: إن سبيل كل حي سبيل ذي الأعواد بعد أن عمر طويلاً، فكان مصيره إلى الموت.

6- في ج والمفضليات وشعر الأعشين: «يرقبان» بدل «يرميان». ويوفى: يعلو. ورجع الضمير هنا مفرداً وفي «يرميان» مثني، وهو جائز. و المخارم: أفواه الفجاج والطرق في الجبال، واحدها مخرم. وسواد الرجل: شخصه.

ما ذا أوَمَّل بعد آل محرَّق *** تركوا منازلهم و بعد إياد(1)/

/أهل الخورنق و السدير و بارق *** و القصر ذي الشرفات من سنداد(2)

نزلوا بأنقرة يفيض عليهم *** ماء الفرات يفيض من أطواد(3)

جرت الرياح على محلّ ديارهم *** فكأنما كانوا على ميعاد

ثم أقبل على الدارمِي فقال له: أتروي هذا الشعر؟ قال: لا. قال: أفتعرف من يقوله؟ قال: لا. قال: رجل من قومك له هذه النباهة وقد قال مثل هذه الحكمة لا ترويهها ولا تعرفه! يا مزاحم، أثبت شهادته عندك، فإني متوقّف عن قبوله حتى أسأل عنه، فإني أظنّه ضعيفا.

أخبرني عمّي قال حدّثنا الكرانيّ عن الرياشيّ عن أبي عبيدة بمثله.

وعد الرّشيد بعشرة آلاف لمن يروي قصيدة «نام الخليّ...»

أخبرني عمّي قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني الحكم بن موسى السلوليّ قال حدّثني أبي قال:

بيننا نحن بالرافقة(4) على باب الرّشيد وقوف، و ما أفقد أحدا من وجوه العرب من أهل الشام و الجزيرة و العراق، إذ خرج وصيف كأنه درّة فقال: يا معشر الصحابة، إنّ أمير المؤمنين يقرأ عليكم السلام و يقول لكم:

من كان منكم يروي قصيدة الأسود بن يعفر:

نام الخليّ و ما أحسّ رقادى *** و الهَمّ مختصر(5) لديّ و سادى

فليدخل فلينشدها أمير المؤمنين و له عشرة آلاف درهم. فنظر بعضنا إلى بعض، و لم يكن فينا أحد يرويها. قال:

فكأنما سقطت و الله البدره عن قربوسى(6). قال الحكم: فأمرني أبي فرويت شعر الأسود بن يعفر من أجل هذا الحديث.

ص: 14

1- آل محرَّق هنا: هم ملوك الحيرة من لخم. و محرَّق الذي أضيفوا إليه هو امرؤ القيس بن عمرو بن عدي أحد ملوكهم، و يقال له: المحرق الأكبر. و لقب به أيضا من اللخمين عمرو بن هند من ملوكهم، و يقال له: المحرَّق الثاني. و محرَّق أيضا: لقب الحارث بن عمرو أبي شمر ملك الشام من آل جفنة؛ لأنه أوّل من حرَّق العرب في ديارهم. و يقال لآل جفنة أيضا: آل محرَّق. (ملخص عن «اللسان» و «القاموس» و «شرحه» مادة حرق، و «المعارف» لابن قتيبة ص 317). و إياد: حي من معد بن عدنان، و هم بنو إياد بن نزار، منهم قس بن ساعدة الذي يضرب به المثل في الجود و الفصاحة. و كانت ديارهم مع العدنانية، و حين تكاثر بنو إسماعيل و تفردت مضر بالرئاسة خرج بنو إياد إلى العراق، و كان لهم مع الأكاسرة أيام مشهودة إلى أن أغار عليهم سابور ذو الأكتاف من ملوك الأكاسرة فأبادهم و أفناهم. راجع كتاب «نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب» للقلقشندي ص 82 طبع مطبعة الرياض ببغداد).

2- الخورنق كسفرجل: قصر من قصور الحيرة، و الخورنق هو بالفارسية خورنكاه و هو بيت الضيافة، بناه شخص رومي اسمه سنمار

للنعمان بن امرئ القيس اللخمي، و كمله في عشرين سنة، فلما وقف عليه النعمان استجاده و أثنى على سنمار فقال له سنمار: لو شئت أن أجعله يدور مع الشمس لفعلت، فأمر به أن يطرح من أعلى شرفاته، فضرب به المثل فقيلاً: «جزاه جزاء سنمار». (عن «مسالك الأبصار» ج 1 ص 230 طبع دار الكتب). و السدير: قصر كان ما بين نهر الحيرة إلى النجف إلى كسكر من هذا الجانب. و بارق: ماء بالعراق، أو هو نهر كما في معجم البلدان بين القادسية و البصرة، و هو من أعمال الكوفة. و سنداد: منزل لإياد، و هو أسفل سواد الكوفة. و قال ابن الكلبي في القصر ذي الشرفات: إن العرب كانت تحج إليه.

3- أنقرة: مدينة بالأناضول على طريق القسطنطينية و هي عاصمة الدولة التركية اليوم، لها ذكر في رحلة امرئ القيس إلى الروم، و افتتحها المعتصم في طريقه إلى عمورية سنة 223، و كانت إياد قد نزلتها لما نفاها كسرى عن بلاده.

4- الرافقة: بلد متصل البناء بالزقة على ضفة الفرات، ثم خربت الرقة و غلب اسمها على الرافقة، و صار اسم المدينة الرقة، و هي من أعمال الجزيرة، و هي مدينة كبيرة كثيرة الخيرات (عن «معجم البلدان»).

5- المحتضر: الحاضر.

6- القربوس: حنو السرج و هو الجزء المعوج في السرج.

التمثل بشعره لما انتهى علي إلى مدائن كسرى

أخبرني محمد بن القاسم الأنباري قال: حدّثني أبي قال: حدّثني عبد الله بن عبد الرحمن المدائني قال: حدّثنا [أبو] (1) أمية بن عمرو بن هشام الحرّاني قال: حدّثنا محمد بن يزيد بن سنان قال: حدّثني جدّي سنان بن يزيد قال:

كنت مع مولاي جرير بن سهم التميمي وهو يسير أمام علي بن أبي طالب عليه السلام ويقول:

يا فرسي سيّري و أمّي الشاما *** و خلفي الأخوال و الأعماما

و قطعني الأجواز و الأعلاما (2) *** و قاتلي من خالف الإماما

إني لأرجو إن لقينا العاما *** جمع بني أمية الطّغاما

أن نقتل العاصي و الهماما *** و أن نزيل من رجال هاما

فلما انتهى إلى مدائن كسرى وقف علي عليه السلام و وقفنا، فتمثّل مولاي قول الأسود بن يعفر:

جرت الرّياح على مكان ديارهم *** فكأنّما كانوا على ميعاد

/فقال له علي عليه السلام: فلم لم تقل كما قال الله جلّ و عزّ: كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنّاتٍ وَ عُيُونٍ. وَ زُرُوعٍ وَ مَقَامٍ كَرِيمٍ. وَ نِعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَاعْبِهينَ. كَذَلِكَ وَ أَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ .

ثم قال: يا ابن أخي، إن هؤلاء كفروا النعمة، فحلّت بهم النّعمة، فإياكم و كفر النّعمة فتحلّ بكم النّعمة.

التمثل بشعره لما مرّ عمر بن عبد العزيز بقصر آل جفنة

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن موسى قال حدّثنا أحمد بن الحارث عن المدائني قال:

مرّ عمر بن عبد العزيز و معه مزاحم مولاه يوما بقصر من قصور آل جفنة، و قد خرب، فتمثّل مزاحم بقول الأسود بن يعفر:

جرت الرّياح على محلّ ديارهم *** فكأنّما كانوا على ميعاد

و لقد غنوا (3) فيها بأنعم عيشة *** في ظلّ ملك ثابت الأوتاد

فإذا النّعيم و كلّ ما يلهي به *** يوما يصير إلى بلى و نفاذ

فقال له عمر: هلاّ قرأت: كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنّاتٍ وَ عُيُونٍ، إلى قوله جلّ و عزّ: كَذَلِكَ وَ أَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ .

ما قاله في استنقاذ إبل له أخذتها بكر بن وائل

نسخت من كتاب محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي عن المفضل قال:

كان الأسود بن يعفر مجاورا في بني قيس بن ثعلبة ثم في بني مرة بن عباد بالقاعة(4)، فقامرهم فقمروه، حتى حصل عليه تسعة عشر بكرا، فقالت لهم أمه وهي رهم بنت العباب: يا قوم، أتسلبون ابن أخيكم(5) ماله؟ قالوا:

ص: 15

1- الزيادة عن نسخة ط.

2- الأجواز جمع جوز بقصد الجهات. والأعلام: الجبال.

3- غنوا: أقاموا. ويستعمل إذا كانت الإقامة في غنى ونعيم. ومنه المغنى وجمعه مغان.

4- القاعة من بلاد سعد بن زيد مناة بن تميم قبل يبرين، وقيل منازل بني مرة بن عباد بن قيس بن ثعلبة، وتسمى الأجواف أيضا. (عن «معجم ما استعجم»).

5- في نسخة ط: «ابن أختكم».

فما ذا نصنع؟ قالت: احبسوا قداحه (1). فلما راح القوم قالوا له: أمسك (2). فدخل ليقامرهم فردّوا قداحه. فقال:

لا أقم بين قوم لا أضرب فيهم بقدح؛ فاحتمل قبل دخول الأشهر الحرم، فأخذت إبله طائفة من بكر بن وائل؛ فاستسعى الأسود بني مرة بن (3) عباد وذكّرهم الجوار وقال لهم:

يا لعباد دعوة بعد هجمة *** فهل فيكم من قوّة وزماع (4)

فتسعوا لجار حلّ وسط بيوتكم *** غريب و جارات تركزن جياع

و هي قصيدة طويلة، فلم يصنعوا شيئاً. فادّعى جوار بني محلم بن ذهل بن شيبان، فقال:

قل لبني محلم يسيروا *** بدمّة يسعى بها خفير (5)

لا قدح (6) بعد اليوم حتى توروا

ويروى «إن لم توروا». فسعوا معه حتى استنقذوا إبله، فمدحهم بقصيدته التي أولها:

أجارتنا غصّبي من السّير أو قفي *** وإن كنت قد أزمعت بالبين فاصرفي (7)

أسانلك أو أخبرك عن ذي لبانة *** سقيم الفؤاد بالحسان مكلف (8)

/يقول فيها:

تداركني أسباب آل محلم *** وقد كدت أهوي بين نيقين نفنن (9)

هم القوم يمسي جارهم في غضارة *** سوياً سليم اللحم لم يتحوّف (10)

فلما بلغتهم آياته ساقوا إليه مثل إبله التي استنقذوها من أموالهم.

طلب طلحة من الأسود بن يعفر أن يسعى له في إبله

قال المفضّل: كان رجل من بني سعد بن عوف بن مالك بن حنظلة يقال له طلحة، جارا لبني ربيعة بن عجل بن لجيم (11)، فأكلوا (12) إبله، فسأل في قومه حتّى أتى الأسود بن يعفر يسأله أن يعطيه ويسعى له في إبله. فقال له الأسود: لست جامعهما لك، ولكن اختر أيّهما شئت. قال: اختر أن تسعى لي بإبلي. فقال الأسود لأخواله من بني عجل:

يا جار طلحة هل تردّ لبونه *** فتكون أدنى للوفاء وأكرما

- 1- القداح جمع قدح: سهام الميسر التي كانوا يتقامرون بها. وفي س، ش: «أقداحه».
- 2- كذا في ط. وفي سائر الأصول: «أمسك قدحك».
- 3- في س، ب، ط: «فاستسعى الأسود بن مرة بن عباد» وهو تحريف. والتصويب عن نسخة ج.
- 4- الزماع (كسحاب وكتاب): المضاء في الأمر والعزم عليه.
- 5- الخفير هنا: المانع المجير.
- 6- القدح: طلب الإبراء، يقال: قدح بالزند يقدح قدحا. واقتدح: رام الإبراء به. و تورون: تستخرجون نار الزند، يقال: وري الزند خرجت ناره، وأوراه غيره إذا استخرج ناره. و وري الزناد وإيراؤها يراد به الإنجاح وإدراك المطالب.
- 7- الصرف هنا: رد الشيء عن وجهه. يريد: اعدلي عما أزمعته من البين.
- 8- مكلف: مولع.
- 9- النيق: حرف من حروف الجبل، وأرفع موضع فيه. والنفنف: مهواة ما بين جبليين. وكل شيء بينه مهوى، فهو نفنف.
- 10- الغضارة: النعمة والسعة في العيش. ويتحوف: يتنقص. وفي كل الأصول بالراء بدل الواو وهو تحريف.
- 11- في ب، س، ج: «جشم» والتصويب من ط و كتب «الأنساب».
- 12- يريد أخذوها.

تالله لو جاورتموه بأرضه *** حتى يفارقكم إذا ما أحرما(1)

وهي قصيدة طويلة.

رد الإبل مكرمة للأسود

فبعث أخواله من بني عجل يابل طلحة إلى الأسود بن يعفر فقالوا: أما إذ كنت شفيعه فخذها، وتولّ ردّها لتحرز المكرمة عنده دون غيرك.

النعمان يحث خالد بن مالك على المطالبة بثأر عمه الذي قتله وائل و سليط العجليان

وقال ابن الأعرابي: قتل رجلان من بني سعد بن عجل يقال لهما وائل و سليط ابنا عبد الله، عمّا لخالد بن مالك بن ربعي النهشلي يقال له عامر بن ربعي، و كان خالد بن مالك عند النعمان حينئذ و معه الأسود بن يعفر.

فالتفت النعمان يوما إلى /خالد بن مالك فقال له: أيّ فارسين/في العرب تعرف هما أثقل على الأقران و أخفّ على متون الخيل؟ فقال له: أبيت اللعن! أنت أعلم. فقال: خالا ابن عمك الأسود بن يعفر و قاتلا عمك عامر بن ربعي (يعني العجليين وائلا و سليطا). فتغيّر لون خالد بن مالك. و إنما أراد النعمان أن يحثه(2) على الطلب بثأر عمه. فوثب الأسود فقال: أبيت اللعن! عصّ بهن أمّه من رأى حقّ أخواله فوق حقّ أعمامه. ثم التفت إلى خالد بن مالك فقال: يا ابن عمّ، الخمر عليّ حرام حتى أثار لك بعمك. قال: و عليّ مثل ذلك.

الأسود و خالد يجمعان جمعا و يغيران على كاظمة فقتل وائل و سليط

و نهضا يطلبان القوم؛ فجمعا جمعا من بني نهشل بن دارم فأغاروا بهم على كاظمة(3)، و أرسلوا رجلا من بني زيد بن نهشل بن دارم يقال له عبيد يتجسّس لهم الخبر، فرجع إليهم فقال: جوف كاظمة ملآن من حجاج و تجار، و فيهم وائل و سليط متساندان(4) في جيش. فركبت بنو نهشل حتى أتوهم، فنادوا: من كان حاجبا فليمض لحجه، و من كان تاجرا فليمض لتجارته. فلما خلس لهم وائل و سليط في جيشهما اقتتلوا، فقتل وائل و سليط، قتلهما هزان بن زهير بن جندل بن نهشل، عادى بينهما(5). و ادعى الأسود بن يعفر أنه قتل وائلا. ثم عاد إلى النعمان فلما رآه تبسّم و قال: و في نذرك يا أسود؟ قال: نعم أبيت اللعن! ثم أقام عنده مدّة ينادمه و يؤاكله.

ما قاله الأسود في مرضه

ثم مرض مرضا شديدا، فبعث النعمان إليه رسولا يسأله عن خبره و هول ما به؛ فقال:

/

نفع قليل إذا نادى الصدى(6) أصلا *** و حان منه لبرد الماء تغريد

و ودّعوني فقالوا ساعة انطلقوا *** أودى فأودى التدى و الحزم و الجود

فما أبالي إذا ما متّ ما صنعوا *** كلّ امرئ بسبيل الموت مرصود

- 1- لعلها «ما أجرما».
- 2- في ط: «يبعثه».
- 3- كاظمة: موضع على سيف البحر في طريق البحرين من البصرة بينها وبين البصرة مرحلتان. وفيها ركايا كثيرة و ماؤها شروب. وهي الواردة في «بردة البوصيري».
- 4- متساندان: متعاونان يسند كل واحد منهما الآخر ويعضده، وكل منهما تحت راية.
- 5- عادى الفارس بين رجلين، إذا طعنهما طعنتين متواليتين.
- 6- الصدى هنا: الطائر الذي يخرج من هامة الميت إذا بلى، و جمعه أصداء، و هو من خرافات العرب. و أصلا (بضمتين): جمع أصيل و هو العشي.

ونسخت من كتاب عمرو بن أبي عمرو الشيباني يآثره عن أبيه، قال:

ما قاله في فرس أخذها ابنه جراح من بني الحارث بن تيم الله و استولدها أمهارة

كان أبو جعل أخو عمرو بن حنظلة من البراجم قد جمع جمعا من شدّاذ أسد و تميم و غيرهم، فغزوا بني الحارث بن تيم الله بن ثعلبة، فنذروا(1) بهم و قاتلوهم قتالا شديدا حتى فضّوا جمعهم، فلحق رجل من بني الحارث بن تيم الله بن ثعلبة جماعة من بني نهشل فيهم جراح بن الأسود بن يعفر، و الحرّ بن شمر بن هزّان بن زهير بن جندل، و رافع بن صهيب بن حارثة بن جندل، و عمرو و الحارث ابنا حرير(2) بن سلمى بن جندل، فقال لهم الحارثي(3): هلمّ إليّ طلقاء(4)؛ فقد أعجبني قتالكم سائر اليوم، و أنا خير لكم من العطش. قالوا نعم. فنزل ليجزّ نواصيهم. فنظر الجراح بن الأسود إلى فرس من خيلهم فإذا هي أجود فرس في الأرض، فوثب فركبها و ركضها و نجا عليها. فقال الحارثيّ للذين بقوا معه: أ تعرفون هذا؟ قالوا: نعم نحن لك عليه خفراء. فلمّا أتى جراح أباه أمره فهرب بها في بني سعد فابتطنها(5) ثلاثة أبطن، و كان يقال لها: العصماء. فلما رجع الثغر النهشليّون إلى قومهم قالوا إنّا خفراء فارس العصماء، فوالله لناخذنها، فأوعده(6). و قال حرير(7) و رافع: نحن الخفيران/بها.

و كان بنو جرول حلفاء بني سلمى بن جندل على بني حارثة بن جندل، فأعانه على ذلك التّيحان بن بلج بن جرول بن نهشل. فقال الأسود بن يعفر يهجوّه:

//

أتاني و لم أخش الذي ابتعثا به *** خفيرا بني سلمى حرير و رافع

هم خيبوني يوم كلّ غنيمة *** و أهلكتهم(8) لو أنّ ذلك نافع

فلا أنا معطيهم عليّ ظلامه *** و لا الحقّ معروفا لهم أنا مانع

و إني لأقري الضيف و صّى به أبي *** و جار أبي التّيحان ظمآن جانع

فقولا لتيحان ابن عاقرة استها *** أمجر(9) فلاقي الغي أم أنت نازع(10)

و لو أنّ تيحان بن بلج أطاعني *** لأرشدته و للأمر مطالع

و إن يك مدلول(11) عليّ فإني *** أخو الحرب لا قحم(12) و لا متجاذع(13)

ص: 18

1- نذر بالشيء و بالعدو (بكسر الذال) نذرا: علمه فحذره.

2- في الأصول: «حدين» صوابه من نقل البغدادي في «الخرّانة» 1: 195 عن «الأغاني».

3- في سائر الأصول: «الحارث» و ظاهر أنه تحريف، إذ هو الرجل الذي لحق بجماعة بني نهشل. و هو منسوب إلى بني الحارث بن تيم الله بن ثعلبة، و سيأتي بعد سطور بلفظ «الحارثي».

4- طلقاء: جمع طليق، وهو الأسير أطلق عنه إيساره.

5- ابتطنها: نتجها ثلاث مرات.

6- أوعدوه: هددوه.

7- كذا في ط. وفي سائر الأصول «جرير» بالجيم.

8- كذا في الأصل و«خزانة الأدب».

9- مجر: قاصد إلى الشر، يقال: أجرى إلى الشيء قصده؛ وأكثر ما يستعمل الإجراء، محذوف المفعول، في الأمر المنكر المذموم. قال

غلاق بن مروان بن الحكم بن زنباع: هم قطعوا الأرحام بيني وبينهم وأجروا إليها واستحلوا المحارما

10- النازع من النزوع وهو الكف عن الشيء، و الانتهاء عنه.

11- مدلولاً علي: أي اجترأ القوم علي.

12- القحم: الكبير السن.

13- المتجاذع: الذي يرى أنه صغير السن. و الجذع: الصغير السن.

ولكنّ تيحان ابن عاقرة استهها *** له ذنب(1) من أمره و توابع

قال: فلمّا رأى الأسود أنهم لا يقلعون عن الفرس أو يردّوها، أحلفهم عليها فحلفوا أنهم خفراء لها، فردّ الفرس عليهم وأمسك أمهارها، فردّوا الفرس إلى صاحبها. ثم أظهر الأمهار بعد ذلك، فأوعده فيها أن يأخذوها.

فقال الأسود:

أحقّا بني أبناء سلمى بن جندل *** وعيدكم إياي وسط المجالس

فهلّا جعلتم نحوه من وعيدكم *** على رهط قعقاع و رهط ابن حابس

اهم منعوا منك تراث أبيكم *** فصار التّراث للكرام الأكاس

هم أوردوكم ضفّة البحر طاميا *** وهم تركوكم بين خاز(2) و ناكس(3)

رثاؤه مسروق بن المنذر النهشلي و كان كثير البر به

وقال أبو عمرو: كان مسروق بن المنذر بن سلمى بن جندل بن نهشل سيّدا جوادا، و كان مؤثرا للأسود بن يعفر، كثير الرّفد له و البرّ به. فمات مسروق و اقتسم أهله ماله، و بان فقده على الأسود بن يعفر فقال يرثيه:

أقول لمّا أتاني هلك سيّدنا *** لا يبعد الله ربّ الناس مسروقا

من لا يشيعة(4) عجز و لا بخل *** و لا بيت لديه اللّحم موشوقا(5)

مردى حروب(6) إذا ما الخيل ضرّجها(7) *** نضخ الدماء و قد كانت أفاريقا(8)

و الطاعن الطعنة التّجلاء تحسبها *** سنا(9) هزيما(10) يمّج الماء مخروقا

و جفنة(11) كنضيق(12) البئر متأفة(13) *** ترى جوانبها باللّحم مفتوقا(14)

يسرّتها ليتامى أو لأرملة *** و كنت بالبأس المتروك محقوقا(15)

يا لهف أمّي إذ أودى و فارقني *** أودى ابن سلمى نقيّ العرض مرموقا

ص: 19

1- له ذنب: لأمره عواقب.

2- الخازي، من خزي بالكسر يخزي خزيا، إذا ذل و هان، كما فسرّها البغدادي في «الخزانة».

3- الناكس: المطأطى رأسه.

4- يشيعه: يصحبه و يتبعه.

5- الموشوق: المقدد. يقال و شق اللحم بشقه إذا شرحه و قدّده، يقول: إنه لكرمه لا يدّخر اللحم إلى غد.

6- مردى حروب: شجاع صبور عليها، غالب؛ و أصل المردى: الحجر الذي تكسر به الصخور، و يكسر به النوى، و أكثر ما يقال في الحجر الثقيل.

7- ضرجها: لطخها.

8- الأفريق: جمع أفرق، و أفرق جمع فرقة و هي: الطائفة و الجماعة.

9- الشن: القرية القديمة الصغيرة.

10- الهزيم: اليباس المتكسر.

11- الجفنة: القصعة.

12- نضيج البئر: حوضها.

13- المتاقاة: الممثلة.

14- المفتوق: المشقوق. قال في «اللسان» «مادة فتق» بعد أن ذكر هذا الشطر: «إنما أراد مفتوقة فأوقع الواحد موقع الجماعة». و في ط و «اللسان»: «... بالشحم مفتوقا».

15- المحقوق هنا: الخليق. قال في «اللسان»: «قال شمر: تقول العرب: حق علي أن أفعل ذلك، و حق، و إني لمحقوق أن أفعل خيرا، و هو حقيق به، و محقوق به، أي خليق له، و الجمع أحقاء و محقوقون».

ما أجاب به بنته و قد لامته على جوده

وقال أبو عمرو: عاتبت سلمى بنت الأسود بن يعفر أباهما على إضاعته ما له فيما ينوب قومه من حمالة (1) و ما يمنحه فقراءهم و يعين به مستمنحهم، فقال لها:

وقالت لا أراك تليق شيئا *** أ تهلك ما جمعت و تستفيد (2)

فقلت بحسبها يسر و عار *** و مرتحل إذا رحل الوفود (3)

فلومي إن بدا لك أو أفيقي *** فقبلك فاتني و هو الحميد

أبو العوراء لم أكمده عليه *** و قيس فاتني و أخي يزيد

مضوا لسبيلهم و بقيت وحدي *** و قد يغني رباعته الوحيد (4)

/فلو لا الشامتون أخذت حقي *** و إن كانت بمطلبه كنود (5)

و يروى:

و إن كانت له عندي كنود

ما قاله في ابنه جراح و كان ضئيلا و ضعيفا

قال أبو عمرو: و كان الجراح بن الأسود في صباه ضئيلا ضعيفا، فنظر إليه الأسود و هو يصارع صبيًا من الحيّ - و قد صرعه الصبيّ - و الصبيان يهزءون منه، فقال:

سيجرح جراح و أعقل ضيمه *** إذا كان مخشيًا من الصلّع المبدي (6)

فأبأ جراح ذؤابة دارم *** و أخوال جراح سراة بني نهد

قال: و كانت أمّ الجراح أخيدة، أخذها الأسود من بني نهد في غارة أغارها عليهم.

ما قاله لما أسنّ و كف بصره

وقال أبو عمرو: لما أسنّ الأسود بن يعفر كفّ بصره، فكان يقاد إذا أراد مذهبا. و قال في ذلك:

قد كنت أهدي و لا أهدي فعلمني *** حسن المقادة أني أفقد البصرا

أمشي و أتبع جتّابا ليهديني *** إنّ الجنيبة مما تجشم الغدرا (7)

- 1- الحمالة: ما يحمله عنهم من مغارم.
- 2- يقال: فلان ما يليق شيئا أي ما يمسك شيئا.
- 3- اليسر: القوم المجتمعون على الميسر. و العاري: الذي يعرو القوم يلتمس معروفهم. و المرتحل: الذي يرتحل البعير، أي يركبه بالقتب.
- 4- الرباعة، بالفتح و بالكسر: الشأن و الأمر و هي القبيلة أيضا.
- 5- كئود صفة لموصوف محذوف و هو العقبة التي تعترض من الطريق، و كان تامة. و رواية ط: فلو لا الشامتون لأخذ حقي و إن كانت بمطلبه كئود
- 6- أعقل: أحمل عنه. الضلع: الاعوجاج خلقة. و المعنى أن هذا العيب لا يمنع من أنه سيقوى فأبأؤه و أخواله رؤساء و سادة و لن يتخلف عن صفاتهم و شمائلهم. و المبدي، لعلها «المندي» بالنون، أي المخزي.
- 7- جناب بضم الجيم لا بالفتح: الذي يسير مع الرجل إلى جنبه (كما ورد في «اللسان»). و الجنيبة: الدابة تقاد. و الغدر: ما وارك و سد بصرك.

إشارة

و ذكر محمد بن حبيب، عن ابن الأعرابي، عن المفصّل: أن الأسود كان له أخ يقال له حطائط بن يعفر شاعر، وأن ابنه الجراح كان شاعرا أيضا. قال: و أخوه حطائط الذي قال لأمههما رهم بنت العباب، و عاتبتة على جوده فقال:

تقول ابنة العباب رهم حربتي *** حطائط لم تترك لنفسك مقعدا(1)

إذا ما جمعنا صرمة بعد هجمة *** تكون علينا كابن أمك أسودا(2)

فقلت و لم أعي الجواب: تأملي *** أكان هزلا حنّف زيد و أربدا(3)

أريني جوادا مات هزلا لعلني *** أرى ما ترين أو بخيلا مخلّدا

ذريني أكن للمال ربّا و لا يكن *** لي المال ربا تحمدي غبّه غدا

ذريني فلا أعيأ بما حلّ ساحتي *** أسود فأكفي أو أطيع المسودا

ذريني يكن مالي لعرضي وقاية *** يقي المال عرضي قبل أن يتبدّدا

أجارة أهلي بالقصيمة لا يكن *** عليّ - و لم أظلم - لسانك مبردا(4)

صوت

أعاذلتي ألا لا تعذلينا *** أقلّي اللوم إن لم تنفعينا

فقد أكثرت لو أغنيت شيئا *** و لست بقابل ما تأمرينا

الشعر لأرطاة بن سهيب، و الغناء لمحمد بن الأشعث، خفيف رمل بالبصرة، من نسخة عمرو بن بانه.

ص: 21

1- حربتي: سلبتي مالي.

2- في «الحماسة» (طبع أوربا ص 755): «أفدنا» بدل جمعنا. و الصرمة: القطعة من الإبل نحو الثلاثين. و الهجمة: أربعون من الإبل إلى سبعين فما دون المائة. فإذا بلغت المائة فهي الهنيدة. و قد روى «عليها» و في الأصول: «علينا». يريد: تعود عليها سالكا طريق أخيك الأسود بن يعفر في السخاء بذلك المال.

3- يقول: إن زيدا وأريدا من كرام قومنا لم يموتا من هزال. وفي «الحماسة»: «نهدي» بدل «زيد». وفيها أيضا: «وقيل إن بهذا وأريدا كانا أخوين لحطائط».

4- القصيمة: (بالفتح ثم الكسر) الرملة التي تنبت الغضى. وفي «معجم البلدان»: القصيمة بلفظ التصغير، ويضاف فيقال قصيمة الطراد. قال الأسود بن يعفر: بالجوّ فالأمراج حول مرامر فبضارج فقصيمة الطراد

نسبه من قبل أبويه و بيان أن أمه كانت لضرار بن الأزور فصارت إلى زفر و هي حامل بأرطاة

هو أرطاة بن زفر بن عبد الله بن مالك بن شدّاد بن عقفان(1) بن أبي حارثة بن مرّة بن نشبة بن غيظ بن مرّة [بن عوف](2) بن سعد بن ذبيان. و قد تقدّم هذا النسب في عدّة مواضع من هذا الكتاب. و سهية أمّه؛ و هي بنت زامل بن مروان بن زهير بن ثعلبة بن حديج بن أبي جشم/بن كعب بن عوف بن عامر بن عوف، سبيّة من كلب، و كانت لضرار بن الأزور ثم صارت إلى زفر و هي حامل فجاءت بأرطاة من ضرار على فراش زفر؛ فلما ترعرع أرطاة جاء ضرار إلى الحارث بن عوف فقال له:

يا حارث افكك لي بني من زفر

- و يروى:

«يا حار أطلق لي»

-

في بعض من تطلق من أسرى مضر

إنّ أباه امرؤ سوء إن كفر(3)

فأعطاه الحارث إياه و قال: انطلق بابنك، فأدركه نهشل بن حرّي بن غطفان فانتزعه و ردّه إلى زفر. و في تصدّاق ذلك يقول أرطاة لبعض أولاد زفر:

فإذا خمصتم(4) قلتم يا عمّنا *** و إذا بطنتم(5) قلتم ابن الأزور

/قال: و لهذا غلبت أمه سهية على نسبه فنسب إليها. و ضرار بن الأزور هذا قاتل مالك بن نويرة الذي يقول فيه أخوه متمّم:

نعم القتيل إذا الرّياح تناوحت *** تحت البيوت، قتلت يا ابن الأزور

منزلته في الشعر

و أرطاة شاعر فصيح، معدود في طبقات الشعراء المعدودين من شعراء الإسلام في دولة بني أمية لم يسبقها و لم يتأخّر عنها. و كان امرأ صدق شريفًا في قومه جوادًا.

إنشاده عبد الملك بعض ما ناقض به شبيب بن البرصاء

أخبرني هاشم بن محمّد الخزاعيّ قال حدّثنا أبو غسان ربيع بن سلمة الملقّب بدماد، قال: حدّثنا أبو عبيدة قال:

- 1- في الأصول: «غطفان» والتصويب مما سيأتي في الشعر. وقد صححها كذلك الشنقيطي في نسخته.
- 2- الزيادة من «شرح شواهد المغني للبغدادي» (ج 2 ص 572) نسخة مخطوطة و محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم (2 نحو - ش) و«القاموس المحيط» مادة (غيظ) و مما تقدّم في هذا الكتاب و من ذلك ما ورد في أخبار النابغة و نسبه. (الجزء الحادي عشر الصفحة الثالثة من هذه الطبعة).
- 3- كفر: جحد حقه في أبوته.
- 4- خمصتم: جعتم.
- 5- بطنتم: شبعتم.

دخل أرطاة بن سهية على عبد الملك بن مروان، فاستشده شيئا مما كان يناقض (1) به شبيب بن البرصاء، فأنشده:

أبي كان خيرا من أبيك ولم يزل *** جنيا لأبائي وأنت جنيب (2)

فقال له عبد الملك بن مروان: كذبت، شبيب خير منك أبا. ثم أنشده:

وما زلت خيرا منك مذعض كارها *** برأسك عادي التجاد رسوب (3)

معرفة عبد الملك مقادير الناس على بعدهم

فقال له عبد الملك: صدقت، أنت في نفسك خير من شبيب. فعجب من عبد الملك من حضر و من معرفته مقادير الناس (4) على بعدهم منه في بواديهم، وكان الأمر على ما قال: كان شبيب أشرف أبا من أرطاة، وكان أرطاة أشرف فعلا و نفسا من شبيب.

ما قاله لعبد الملك و قد أسن

/أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا عمرو بن بحر الجاحظ و دماذ أبو غسان، قالا جميعا، قال أبو عبيدة:

دخل أرطاة بن سهية على عبد الملك بن مروان، فقال له: كيف حالك يا أرطاة؟ - وقد كان أسن - فقال:

ضعفت أوصالي، وضاع مالي، وقلّ منّي ما كنت أحبّ كثرته، و كثر مني ما كنت أحبّ قلته. قال: فكيف أنت في شعرك؟ فقال: والله يا أمير المؤمنين ما أطرب و لا أغضب و لا أرغب و لا أرهب، و ما يكون الشعر إلا من نتائج هذه الأربع، و على أيّ القائل:

رأيت المرء تأكله الليالي *** كأكل الأرض ساقطة الحديد

و ما تبغي المنية حين تأتي *** على نفس ابن آدم من مزيد

و أعلم أنها ستكرّ حتى *** توفي نذرها بأبي الوليد

فارتاع عبد الملك ثم قال: بل توفي نذرها بك و يلك! ما لي و لك؟ فقال: لا ترع يا أمير المؤمنين، /فإنما عنيت نفسي - و كان أرطاة يكنى أبا الوليد فسكن عبد الملك، ثم استعبر باكيا و قال: أما و الله على ذلك لتلمنّ (5) بي.

أخبرني به حبيب بن نصر المهلبّي قال: حدثنا عمر بن شبة قال حدثني أبو غسان محمد بن يحيى عن عبد العزيز بن أبي ثابت، فذكر قريبا منه يزيد و ينقص و لا يحيل (6) معنى.

مدحه مروان لما اجتمع له أمر الخلافة

أخبرني عبد الملك بن مسلمة القرشيّ الهشاميّ بأنطاكية (7) قال أخبرني أبي عن أهلنا أن أرطاة بن سهية دخل على مروان بن الحكم لما اجتمع له أمر الخلافة.

- 1- يناقض: يعارض، و المناقضة هي أن يعارض الشاعر غيره في قصيدته من نفس الوزن و الروي.
- 2- الجنيب: الطائع المنقاد.
- 3- النجاد: حمائل السيف. و عادي النجاد: سيف قديم، كأنه لقدمه أدرك زمن عاد، و الرسوب: الماضي الذي يغيب في الضريبة و يرسب. و في ب، س، ط: «ركوب» و لا وجه له.
- 4- في ط «بئس الناس».
- 5- لتلمنّ بي: لتنزلن بي.
- 6- أحال الكلام يحيله إحالة: غيره و فسده.
- 7- أنطاكية (بتخفيف الياء): بلد معروف في شمال الساحل الشامي.

أوفرغ من الحروب التي كان بها متشاغلا. و صمد(1) لإنفاذ الجيوش إلى ابن الزبير لمحاربتة، فهتأه و كان خاصا به و بأخيه يحيى بن الحكم، ثم أنشده:

تشكى قلوصي إليّ الوجى *** تجرّ السريج و تبلي الخداما(2)

تزور كريما له عندها(3) *** يد لا تعدّ و تهدي السّلاما

و قلّ ثوبا له أنّها *** تجيد القوافي عاما فعاما

و سادت معدّا على رجمها *** قريش و سدت قريشا غلاما

جعلت على الأمر فيه صغا(4) *** فما زال غمّك حتى استقاما

لقيت الرّحوف فقاتلتها *** فجزّدت فيهنّ عضبا حساما

تشقّ القوانس(5) حتى تنا *** ل ما تحتها ثم تبرى العظاما

نزعت(6) على مهل سابقا *** فما زادك التّزع إلا تماما

فزاد لك الله سلطانه *** و زاد لك الخير منه فداما

فكساه مروان و أمر له بثلاثين ناقة و أقرهنّ له برّا و زيبيا و شعيرا.

هجاؤه شبيا و قد وقع فيه عند يحيى بن الحكم

قال: و كان أوطاة يهاجي شبيب بن البرصاء، و لكلّ واحد منهما في صاحبه هجاء كثير، و كان كلّ واحد منهما ينفي صاحبه عن عشيرته في أشعاره، فأصلح بينهما يحيى بن الحكم، و كانت بنو مرة تألفه و تنتجعه لصهره فيهم.

فلما افترقا سبعة(7) شبيب عند يحيى بن الحكم؛ فقال أوطاة له:

رمتك فلم تشو(8) الفؤاد جنوب *** و ما كلّ من يرمي الفؤاد يصيب

و ما زوّدتنا غير أن خلطت لنا *** أحاديث منها صادق و كذوب

ألا مبلغ فتیان قومي أنّي *** هجاني ابن برصاء الیدین شبيب

و في آل عوف من يهود قبيلة *** تشابه منها ناشئون و شيب

أبي كان خيرا من أبيك و لم يزل *** جنيا لأبائي و أنت جنيب(9)

- 1- صمد: قصد.
- 2- القلوص: الناقة الشابة. الوجى: الحفا. و السريج: الذي تشدّ به الخدمة فوق الرسغ. و الخدام جمع خدمة (بالتحريك) هي السير الغليظ المحكم مثل الحلقة يشدّ في رسغ البعير ثم يشدّ إليها سرائج نعلها.
- 3- في س: «عنده» و هو تحريف.
- 4- الصغا: الميل.
- 5- القوانس: جمع قونس، و هو أعلى البيضة من الحديد.
- 6- نزعت: جريت.
- 7- سبعة: شتمه و وقع فيه بالقول القبيح.
- 8- لم تشو: لم تصب الشوى، و الشوى: كل ما كان غير مقتل من الأعضاء. و جنوب: اسم امرأة.
- 9- الجنيب: المنقاد.

و ما زلت خيرا منك مذ عَصَّ كارها *** برأسك عاديّ النَّجاد رسوب

فما ذنبنا إن أم حمزة جاورت *** ييشرب أتياسا لهنّ نيب(1)

وإن رجالا بين سلع و واقم(2) *** لاير أبيهم في أبك نصيب

فلو كنت عوفيا عميت و أسهلت *** كذاك و لكنّ المريب مريب(3)

حرص العوفيين على العمى عند الكبر

فأخبرني عمي قال حدّثنا الكرانيّ قال حدّثنا العمريّ عن العتبيّ قال: لمّا قال هذا الشعر أرطاة في شبيب بن البرصاء كان كلّ شيخ من بني عوف يتمنّى أن يعمى - و كان العمى شائعا/في بني عوف كلّما أسنّ منهم رجل عمي - فعمر أرطاة و لم يعم، فكان شبيب يعيره بذلك. ثم مات أرطاة و عمي شبيب، فكان يقول بعد ذلك: ليت أرطاة عاش حتى يراني أعمى فيعلم أنّي عوفيّ.

ما كان له مع شبيب و قد تمنى لقاءه في يوم قتال

و نسخت من كتاب ابن الأعرابيّ في شعر أرطاة قال: كان شبيب بن البرصاء يقول: وددت أنّي جمعني و ابن الأمة أرطاة بن سهية يوم قتال فأشفي منه غيظي. فبلغ ذلك أرطاة فقال له:

إن تلقني لا ترى غيري بناظرة *** تسس السلاح و تعرف جهة الأسد(4)

ما ذا تظنّك تغني في أخي رصد *** من أسد خفّان جابي العين ذي لبد(5)

- جابي العين و جائب العين: شديد النظر -

أبي ضراغمة غبر يعوّدها *** أكل الرجال متي يبدأ لها يعد

يا أيها المتمنّي أن يلاقيني *** إن تنأ آتاك أو إن تبغني تجد

نقض اللبانة من مرّ شرانعه *** صعب المقادة تخشاه فلا تعد(6)

متي تردني لا تصدر لمصدره *** فيها نجاة و إن أصدرك لا ترد

لا تحسبني كفقع(7) القاع ينقره *** جان(8) ياصبعه أو بيضة(9) البلد

أنا ابن عقفان معروف له نسبي *** إلا بما شاركت أم على ولد

- 1- النبيب: صياح التيوس عند هياجها.
- 2- سلع: جبل متصل بالمدينة. وواقم: أطم من أطامها وإليه تنسب حرة واقم.
- 3- كدى: جمع كدية (بالضم) والكدية: الأرض الغليظة. يريد: لو كنت من بني عوف بن سعد بن ذبيان لعميت مثل كثيرين منهم و
لسهلت أرضك الغليظة.
- 4- الناظرة: العين.
- 5- في ب، س «ما ذا أظنك». والتصحيح من نسخة ط. أخي رصد، يقال رصده رصدًا ورسدا بفتح الصاد: رقبه، كرصده. والراصد:
الأسد. والرصيد: السبع يرصد الوثوب، كما في «القاموس». و خفان: موضع قرب الكوفة كان مأسدة.
- 6- الشرائع: (جمع شريعة) وهي مورد الشاربة، يقول: إن من يطمع في موارد يجد ماء مرا.
- 7- فقع القاع: الكمأة.
- 8- الجاني: الذي يجنيها.
- 9- بيضة البلد: الخامل الذي لا يعرف نسبه، و يضرب به المثل للذل.

لاقي الملوک فأنأى(1) في دمائهم *** ثم استقرّ بلا عقل ولا قود(2)

من عصبه يطعنون الخيل صاحية(3) *** حتى تبدّد كالمزءودة(4) الشرد(5)

ويمنعون نساء الحيّ إن علمت *** ويكشفون قتام(6) الغارة العمد

/أنا ابن صرمة إن تسأل خيارهم *** أضرب برجلي في ساداتهم و يدي(7)

و في بني مالك أم وزافرة *** لا يدفع المجد من قيس إلى أحد(8)

ضربت فيهم بأعرافي كما ضربت *** عروق ناعمة في أبطح ثند(9)

جدّي قضاة معروف و يعرفني *** جبارفيدة أهل السرو و العدد(10)

خبر حبه لوجزة و بعض ما قال فيها

أخبرني عمي قال حدّثنا محمّد بن عبد الله الحزنبلي عن عمرو بن أبي عمرو والشيبانيّ عن أبيه قال:

كان أرطاة بن سهية يتحدّث إلى امرأة من غنيّ يقال لها وجزة، و كان يهواها ثم افترقا و حال الزمان بينهما و كبر أرطاة، ثم اجتمعت غنيّ و بنو مرّة في دار، فمرّ أرطاة بوجزة و قد هرمت و تغيّرت محاسنها و افتقرت، فجلس إليها و تحدّث معها و هي تشكو إليه أمرها، فلما أراد الانصراف أمر راعيه فجاء بعشرة من إبله فعقلها بفنائها و انصرف و قال:

مررت على حدّثي(11) برمان(12) بعد ما *** تقطّع أقران الصّبا و الوسائل

فكنت كظبي مفلت ثمّ لم يزل *** به الحين(13) حتى أعلقتة الحبال(14)

أرطاة ينسب بوجزة

قال أبو الفرج الأصبهانيّ: و قد ذكر أرطاة بن سهية و جزة هذه، و نسب بها في مواضع شعره، فقال في قصيدة:

/

و داوية(15) نازعتها الليل زائرا *** لوجزة تهديني النجوم الطوامس(16)

ص: 26

1- أثنأى: جرح و طعن.

2- أي لم يبرزاً بديّة و لا قصاص.

3- الصاحية: البارزة.

- 4- المزةودة: المدعورة.
- 5- الشرد (جمع شروذ): النافر.
- 6- القتام: الغبار.
- 7- صرمة: هو ابن مرة بن عوف بن سعد، من أسلاف أوطاة.
- 8- زافرة الرجل: عشيرته وأنصاره.
- 9- أعراقي: أصولي. و الناعمة: النبتة الحسنة الغذاء و الري. و الأبطح: المسيل الواسع، و ثند: نديّ.
- 10- قضاة: جد الشاعر لأمه و هي سهية الكلبيّة. الجبا، بالفتح: الحوض، و ما حول البئر. يعني به جماعة القبيلة. و رفيدة ابن ثور الجد الأعلى لقبائل كلب الذين تنسب إليهم أم الشاعر. و السرو: المروءة و الندى.
- 11- الحدث: المحدث و المسامر.
- 12- رمان: جبل في بلاد طيئ.
- 13- الحين: الهلاك.
- 14- الحبائل جمع حباله (بالكسر) و هي: التي يصاد بها.
- 15- الداوية، بتشديد الياء و تخفيفها: الفلاة الواسعة المستوية.
- 16- النجوم الطوامس: التي ذهب نورها.

أعوج(1) بأصحابي عن القصد(2) تعتلي(3) *** بنا عرض كسريها(4) المطي(5) العرامس(6)/

فقد تركتني لا أعيج(7) بمشرب *** فأروى ولا ألهو إلى من أجالس

و من عجب الأيام أن(8) كلّ منزل *** لوجزة من أكناف رمان دارس

وقد جاورت قصر العذيب(9) فما يرى *** برمان إلا ساخط العيش بأس

طلاب بعيد و اختلاف من النوى *** إذا ما أتى من دون و جزة قادس(10)

لئن أنجح الواشون بيني و بينها *** و طال التنائي و النفوس النوافس(11)

لقد طالما عشنا جميعا و ودنا *** جميع إذا ما يتغي الأنس أنس(12)

كذلك صرف الدهر ليس بتارك *** حيبا و يبقى عمره المتقاعس

ش /و قال ابن الأعرابي: كانت بين أرطاة بن سهية و بين رجل من بني أسد يقال له حيان مهاجاة، فاعترض بينهما حباشة الأسدي فهجا أرطاة فقال فيه أرطاة:

أبلغ حباشة أني غير تاركه *** حتى أذللّه إذا كان ما كانا

الباعث القول يسديه و يلحمه *** كالمجتدي الثكل إذ حاورت حيانا

إن تدع خندف بغيا أو مكاثرة *** أدع القبائل من قيس بن عيلانا

قد نحبس الحق حتى ما يجاوزنا *** و الحق يحبسنا في حيث يلقانا

بنبي لآخرنا مجدا نشيده *** إنا كذاك وورثنا المجد أولانا

وقال ابن الأعرابي: وفد أرطاة بن سهية إلى الشام زائرا لعبد الملك بن مروان عام الجماعة(13)، وقد هتاه

ص: 27

1- أعوج: أميل.

2- القصد: استقامة الطريق.

3- تعتلي: ترتفع.

4- كسرا كل شيء: ناحيته.

5- المطي: جمع مطية، وهي الناقة التي يركب مطاها أي ظهرها.

6- العرامس: جمع عرمس (بالكسر)، وهي الناقة الصلبة الشديدة.

7- لا أعيج بمشرب: لا أكثرث له ولا أباليه.

8- أن هنا: مخففة من الثقيلة.

9- العذيب: واد بظاهر الكوفة، أو هو ماء بين القادسية والمغيثة، بينه وبين القادسية أربعة أميال. وقصر العذيب: هو القصر الذي أشرف منه سعد بن أبي وقاص على جيش المسلمين في قتاله مع جيش الفرس في وقعة القادسية. انظر «معجم ما استعجم للبكري»، و «معجم البلدان لياقوت» و «تاريخ الطبري» (القسم الأول ص 2351 طبع أوربا).

10- النوى: النية، والقصد لبلد غير الذي أنت مقيم فيه، والبعد والتحول. وقادس: أراد بها القادسية. قال الكميت: كأني على حب البويب وأهله يرى بالجباتين العذيب وقادسا انظر «معجم ما استعجم» في رسم: «الجأب».

11- كذا في ج. والنوافس: جمع نافس، وهو الحاسد. وفي بقية الأصول: «النفاثس» وهو تحريف لأن «فعائل» لا يطرد في «فاعل» سواء أكان اسما أو وصفا، وإنما الذي يطرد فيه «فواعل». انظر «شرح الأشموني» (ج 3 ص 177 طبع بولاق).

12- كذا في ب، س، وفي ط: «إلى ما يبتغي». وفي ج: «إلى من يبتغي».

13- المعروف أن عام الجماعة هو عام 41 هـ حينما تنازل الحسن رضي الله عنه عن الخلافة إلى معاوية وعبد الملك بن مروان ولي الخلافة سنة 65. و عام الجماعة هنا العام الذي فرغ فيه عبد الملك من قتال الزبيريين والخوارج، وقتله عمرو بن سعيد الأشدق وكان يشارك عبد الملك في الخلافة.

بالظفر، و مدحه فأطال المقام عنده، و أرجف أعداؤه بموته، فلما قدم - وقد ملأ يديه - بلغه ما كان منهم، فقال فيهم:

إذا ما طلعنا من ثبّة لفلن(1) *** فخبّر رجالا يكرهون إياي

و خبّره من أي رجعت بغبطة *** أحدد أظفاري و يصرف(2) ناي

و إني ابن حرب لا تزال تهزني *** كلاب عدوي أو تهزّ كلابي

أرطاة و زميل يتلاحيان

وقال أبو عمرو و الشيباني: وقع بين زميل(3) قاتل ابن دارة و بين أرطاة بن سهية لحاء؛ فتوعده زميل، و قال:

إني لأحسبك ستجرع مثل كأس ابن دارة. فقال له أرطاة:

/

يا زميل إني إن أكن لك سائقا *** تركض برجليك النجاة و ألحق

لا تحسبني كامري صادفته *** بمضيعة فخدشته بالمرفق

إني امرؤ أوفي إذا قارعتكم *** قصب الرّهان و ما أشأ أتعرّق(4)

فقال له زميل:

يا أرط إن تك فاعلا ما قلته *** و المرء يستحي إذا لم يصدق

ففاعل كما فعل ابن دارة سالم *** ثم امش هونك(5) سادرا لا تتق

و إذا جعلتك بين لحبي شابك الأ *** نيا فارع ما بدا لك و ابرق

أخبرني أبو الحسن الأسديّ، قال: حدّثنا الرّياشيّ، قال: حدّثنا الأصمعيّ قال: قال أرطاة بن سهية للربيع بن قعنّب:

لقد رأيتك عريانا و مؤتزرا *** فما عرفت أنثى أنت أم ذكر؟

/فقال له الربيع: لكن سهية قد عرفتني. فغلبه و انقطع أرطاة.

عبد الرحمن بن سهيل يتزوّج أم هشام و يأخذ عليها الموائيق عند وفاته ألا تتزوّج بعده و لكنها تزوجت عمر بن عبد العزيز

أخبرني عمي، قال: حدّثنا الحسن بن عليل العنزيّ قال: حدّثنا قعنّب بن المحرز عن الهيثم بن الربيع عن عمرو بن جبلة الباهليّ قال: تزوّج

عبد الرحمن بن سهيل بن عمرو أم هشام بنت عبد الله بن عمر بن الخطاب، و كانت من أجمل نساء قریش(6)، و كان يجد بها وجدا

- 1- لفلط: بلد تجاه برد من حرة ليلي. و هي من أداني ديار بني مرة (عن «معجم ما استعجم للبكري»). وفي هامش ط: «و يروي فبشر رجالا».
- 2- صريف الأناب: حرقها و سماع صوتها.
- 3- زميل: هو زميل بن عبد مناف الفزاري، تولى قتل ابن دارة لأنه هجا ثابت بن رافع الفزاري و هجا كذلك فزارة جميعا فقال: لا تأمنن فزاريا خلوت به على قلوصلك و اكتبها بأسيار و ابن دارة هذا: هو سالم بن مسافع. و دارة أمه. (انظر «الشعر و الشعراء» ص 236 طبع ليسك).
- 4- أتعرق: أذهب.
- 5- الهون و مثله الهوينى: التؤدة و الرفق. و السادر هنا: الذي لا يهتم لشيء و لا يبالي ما صنع.
- 6- في أغلب النسخ: «قيس». و التصويب من ج و نسخة الشنقيطي.

إليها وهي عند رأسه، فقالت له: إنك لتتظر إليّ نظر رجل له حاجة، قال: إي والله إن لي إليك حاجة لو ظفرت بها لهان علي ما أنا فيه. قالت: وما هي؟ قال: أخاف أن تتزوجي بعدي. قالت: فما يرضيك من ذلك؟ قال: أن توثقي لي/بالإيمان المغلظة. فحلفت له بكلّ يمين سكنت إليها نفسه ثم هلك. فلما قضت عدتها خطبها عمر بن عبد العزيز وهو - أمير المدينة - فأرسلت إليه: ما أراك إلا وقد بلغتك يميني، فأرسل إليها: لك مكان كلّ عبد و أمة عبدان و أمتان، و مكان كلّ علق(1) علقان، و مكان كلّ شيء ضعفه. فتزوجته، فدخل عليها بطال بالمدينة، وقيل:

بل كان رجلا من مشيخة قريش مغفلاً، فلما رآها مع عمر جالسة قال:

تبدلت بعد الخيزران جريدة *** و بعد ثياب الخزّ أحلام نائم

فقال له عمر: جعلتني و يلك جريدة و أحلام نائم! فقالت أم هشام: ليس كما قلت، ولكن كما قال أوطاة بن سهية:

و كائن ترى من ذات بئ و عولة *** بكت شجوها بعد الحنين المرجع

فكانت كذات البو(2) لمّا تعطفت *** على قطع من شلوه المتمزّع

متى لا تجده تنصرف لطياتها(3) *** من الأرض أو تعمد لإلف فتربع

عن الدهر فاصفح إنه غير معتب *** وفي غير من قد وارت الأرض فاطمع

و هذه الأبيات من قصيدة يرثي بها أوطاة ابنه عمرا.

أوطاة يقيم عند قبر ابنه حولا و يرق قومه لحاله بعد ذلك فيقيمون عامهم ذلك

أخبرني محمّد بن عمران الصّيرفيّ، قال: حدّثنا الحسن بن عليل، قال: حدّثنا قعنب بن المحرز عن أبي عبيدة، قال: كان لأوطاة بن سهية ابن يقال له: عمرو، فمات، فجزع عليه أوطاة حتى كاد عقله يذهب، فأقام على قبره، و ضرب بيته عنده لا يفارقه حولا. ثم إن الحيّ أراد الرّحيل بعد حول لنجعة بغوها، فغدا على قبره، فجلس عنده/حتى إذا حان الرواح ناداه: رح يا ابن سلمى معنا! فقال له قومه: نشدك الله في نفسك و عقلك و دينك، كيف يروح معك من مات مذ حول؟ فقال: أنظروني الليلة إلى الغد. فأقاموا عليه، فلمّا أصبح ناداه: اغدا يا ابن سلمى معنا، فلم يزل الناس يذكرونه الله و يناشدونه، فانتضى سيفه و عقر راحلته على قبره، و قال: و الله لا أتبعكم فامضوا إن شئتم أو أقيموا. فرقوا له و رحموه، فأقاموا عامهم ذلك، و صبروا على منزلهم. و قال أوطاة يومئذ في ابنه عمرو يرثيه:

وقفت على قبر ابن سلمى فلم يكن *** وقوفي عليه غير مبكى و مجزع

هل انت ابن سلمى إن نظرتك رائح *** مع الركب أو غاد غداة غد معي

أنسى ابن سلمى و هو لم يأت دونه *** من الدهر إلا بعض صيف و مربع/

وقفت على جثمان عمرو فلم أجد *** سوى جدث عاف ببذاء بلقع

- 1- العلق: النفيس من كل شيء.
- 2- البؤ: جلد الحوار يحشى تماما أو تبنا أو غيرهما فيقرب من أم الفصيل فتعطف عليه فتندر.
- 3- طياتها (غير مشددة): أراد بها طياتها (بالتشديد) فحذف الياء الثانية. وهي جمع طية. و الطية هنا: الوجه الذي يراد ويقصد. وقد نص صاحب «اللسان» على تخفيف ياء هذا الجمع في الشعر.

ضربت عمودى بانه(1) سموا معا *** فخرت و لم أتبع قلوصي بدعدع

و لو أنها حادت(2) عن الرسم نلتها *** ببادرة من سيف أشهب(3) موقع

تركتك إن تحيي تكوسي(4) و إن تنؤ *** على الجهد تخذلها توال فتصرع

فدع ذكر من قد حالت الأرض دونه *** وفي غير من قد وارت الأرض فاطمع

أرطاة يناجي قبر ولده في العشي حولاً كاملاً

وقد أخبرني بهذا الخبر محمد بن الحسن بن دريد عن أبي حاتم عن أبي عبيدة، فذكر أن أرطاة كان يجيء إلى قبر ابنه عشياً فيقول: هل أنت رائح معي يا ابن سلمى؟ ثم ينصرف فيغدو عليه ويقول له مثل ذلك حولاً، ثم تمثّل قول لبيد:

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما *** و من يبك حولاً كاملاً فقد اعتذر

/أخبرني حبيب بن نصر المهلبّي، قال: حدّثنا عمر بن شبة قال حدّثنا المدائني قال: قال أرطاة بن سهية يوماً للربيع بن قعنّب كالعابث به:

لقد رأيتك عريانا و مؤتزرا *** فما دريت أنثى أنت أم ذكر

فقال له الربيع:

لكن سهية تدري إذ أتيتكم *** على عريجاء لما احتلت الأزر(5)

فغلبه الربيع، ولجّ الهجاء بينهما، فقال الربيع بن قعنّب يهجو أرطاة:

و ما عاشت بنو عقفان إلا *** بأحلام كأحلام الجوّاري

و ما عقفان من غطفان إلا *** تلمس مظلم بالليل ساري

إذا نحرت بنو غيظ جزورا *** دعوهم بالمراجل و الشّفار

طهارة اللحم حتى ينضجوه *** و طاهي اللحم في شغل و عار

فقال أرطاة يجيبه و يعيره بأن أمّة من عبد القيس:

و هذا الفسوّ(6) قد شاركت فيه *** فمن شاركت في أير الحمار(7)

و أيّ الناس أخبث من(8) هبلّ *** فزاريّ و أخبث ريح دار

- 1- البانة: واحدة شجر البان، وهو شجر يسمو و يطول في استواء. وسموا معا و ارتقعا. وفي النسخ «شمرا» و لا وجه له. شبه بها راحلته التي عفرها على قبر ابنه. و دعدع: كلمة يدعى بها للعائر في معنى قم و انتعش و اسلم.
- 2- في ط: «جارت».
- 3- الأشهب: النصل الذي برد بردا خفيفا فلم يذهب سواده كله. و الموقع هنا: الوقيع. و الوقيع من السيوف ما شحذ بالحجر.
- 4- تكوسى: تمشى على ثلاث قوائم.
- 5- عريجاء: موضع. احتلت، كذا وردت. و المعروف «انحلت».
- 6- الفسو عرف به حي من عبد القيس يقال لهم الفساة. حكى أنه جاء رجل منهم يقال له زيد بن سلامة ببردى حبرة إلى سوق عكاظ فقال: من يشتري منا هذا الفسو بهذين البردين، فقام رجل من مهو، يقال له: عبد الله بن بيذرة فارتدى بأحدهما و انتزر بالآخر فسمى مشتري الفسو ببردى حبرة فضرب به المثل فقيل «أخيب صفقة من شيخ مهو». انظر اللسان و القاموس و شرحه (مادة فسا).
- 7- نبزه بذلك لما كانت تعير به فزاره من أكل أير الحمار. قال سالم بن دارة: لا تأمنن فزاريا خلوت به على قلوصلك و اكتبها بأسيار لا تأمننه و لا تأمن من بوائقه من بعد ما امتل أير العير في النار
- 8- الهبل: الثقيل المسن الكبير من الناس و الإبل.

مسرف بن عقبة يطرد قومه و معهم أرطاة لما استرفدوه بعد التهنة و المديح بفوزه على أهل الحرة

أخبرني عبد الله بن محمد اليزيدي، قال: حدّثنا أحمد بن الحارث الخراز، قال: حدّثنا المدائني عن أبي بكر الهذلي، قال: قدم مسرف بن (1) عقبة المريّ المدينة، و أوقع بأهل الحرة، فأتاه قومه من بني مرة و فيهم أرطاة فهتّوه بالظفر و استرفدوه (2) فطردهم و نهرهم، و قام أرطاة بن سهية ليمدحه فتجهّمه بأقبح قول و طرده. و كان في جيش مسرف رجل من أهل الشام من عذرة، يقال له عمارة، قد كان رأى أرطاة عند معاوية بن أبي سفيان، و سمع شعره، و عرف إقبال معاوية عليه، و رفده له، فأوماً إلى أرطاة فأتاه، فقال له: لا يغررك ما بدا لك من الأمير، فإنه عليل ضجر، و لو قد صحّ و استقامت الأمور لزال عما رأيت من قوله و فعله، و أنا بك عارف، و قد رأيتك عند أمير المؤمنين - يعني معاوية - و لن تعدم مني ما تحبّ. و وصله و كساه و حمله على ناقه، فقال أرطاة يمدحه و يهجو مسرفاً:

لحا الله فودي مسرف و ابن عمه *** و آثار نعلي مسرف حيث أثرا

مررت على ربعيهما فكأنني *** مررت بجبارين (3) من سرو حميرا

- و يروي: «تصنّقت جبارين» -

على أن ذا العليا عمارة لم أجد *** على البعد حسن العهد منه تغيرا

حباني بيرديه و عنس (4) كأنما *** بنى فوق متنيها الوليدان قهقرا

أرطاة يسب من تناولت على أمه و يضربها فيلومه قومه

اشارة

و قال أبو عمرو و الشيباني: خاصمت امرأة من بني مرة سهية أم أرطاة بن سهية، و كانت من غيرهم أخيدة أخذها أبوه، فاستطالت عليها المرأة و سبّتها، فخرج أرطاة إليها فسبها و ضربها، فجاء قومه، و لاموه، و قالوا له مالك تدخل نفسك في خصومات النساء! فقال لهم:

يعيرني قومي المجاهل (5) و الخنا *** عليهم و قالوا أنت غير حلیم

هل الجهل فيكم أن أعاقب بعد ما *** تجوز سبي و استحلّ حريمي

إذا أنا لم امنع عجوزي منكم *** فكانت كأخرى في النساء عقيم

و قد علمت أفناء (6) مرة أنا *** إذا ما اجتدانا (7) الشرّ كلّ حميم

1- مسرف: لقب مسلم بن عقبة المرى، لقب به لأنه أسرف في القتل في وقعة الحرة.

2- استرفدوه: طلبوا الردف و هو العطاء.

3- الجبار هو: الملك أو هو المتكبر الذي لا يرى لأحد عليه حقا. و سرو حمير: محلثهم. و به فسر قول ابن مقبل: بسرو حمير أبوال البغال به أني تسديت و هنا ذلك البينا انظر «تاج العروس» مادة (سرو).

4- العنس: الناقة الصلبة القوية. و الوليد هنا: العبد أو الغلام. و القهقر: جمع القهقرة، و هي الصخرة العظيمة. يريد: إن ما على متنيها من اللحم مثل الصخرة العظيمة. و قد يكون «القهقر» لغة في «القهور» كعصفور، و هو بناء من حجارة طويل بينيه الصبيان. «القاموس» (قهر).

5- المجاهل: هذا الجمع ليس له واحد يجمع عليه إلا قولهم «جهل» و فعل لا يكسر على مفاعل، فمجاهل هنا: واحده جهل على غير قياس، كما كسروا ملامح و محاسن على لمححة و حسن على غير قياس.

6- كذا في ط. و الأفاء: الأخطا. و في سائر الأصول «أبناء».

7- اجتدانا الشر: طلب إلينا الشر، و هو يريد طلب معونتنا لدفع الشر. فسمى المعونة شرا للمشاكلة.

حماة لأحساب العشيرة كلها *** إذا ذم يوم الرّوع كلّ ملّيم (1)

و تمام الأبيات التي فيها الغناء، المذكورة قبل أخبار أرتاة بن سهية، و ذكرت في قوله في قتلى من قومه قتلوا يوم بنات قين (2) - هو:

فلا و أبيك لا ننفك نبكي *** على قتلى هنالك ما بقينا

على قتلى هنالك أوجعتنا *** و أنستنا رجالا آخرينا

/سنبكي بالرّماح إذا التقينا *** على إخواننا و على بنينا

بطعن ترعد الأحشاء منه *** يرّد البيض و الأبدان جونا (3)

كأنّ الخيل إذ أنسن كلبا (4) *** يرين وراءهم ما بيتغينا

صوت

عجبت لمسراها و أنّي تخلّصت *** إليّ و باب السجن بالقفل (5) مغلق

ألّمت فحيّت ثم قامت (6) فودّعت *** فلما تولت كادت النفس تزهق

الشعر لجعفر بن علبة الحارثي، و الغناء لمعبد ثقيل أوّل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق. و ذكر عمرو بن بانه أن فيه خفيفا ثقيلًا أوّل بالوسطى لابن سريج. و ذكر حماد بن إسحاق أن فيه خفيف الثقيل للهدلي.

ص: 32

- 1- المليم: الذي يأتي ذنبا يلام عليه.
- 2- بنات قين: آكام معروفة في ديار بني كلب كانت بها وقعة لبني فزارة على كلب زمن عبد الملك بن مروان. قال عويّف القوافي: صبحناهم غداة بنات قين مملمة لها لجب طحونا انظر «اللسان» (مادة قين) و «معجم ما استعجم للبكري».
- 3- البيض: السيوف. و الأبدان معناه: الدروع القصيرة. و الجون هنا: الحمر من كثرة الدم السائل من الجراح.
- 4- كلب: قبيلة.
- 5- كذا في ب، س. و في ج و «أشعار الحماسة» (طبع أوربا ص 22): «دوني مغلق».
- 6- في ط: «ولت»، و كتب بهامشها: كلمة «قامت» و تحتها لفظة (صح).

أخبار جعفر بن علبه الحارثي و نسبه

هو جعفر بن علبه بن ربيعة، بن عبد يغوث الشاعر أسير يوم الكلاب بن معاوية(1) بن صلاة بن المعقل بن كعب بن الحارث بن كعب، و يكنى أبا عارم، و عارم، ابن له قد ذكره في شعره. و هو من مخضرمي الدولتين الأموية و العباسية، شاعر مقلّ غزل فارس مذكور في قومه، و كان أبوه علبه بن ربيعة شاعرا أيضا، و كان جعفر قتل رجلا من بني عقيل: قيل: إنه قتله في شأن أمة كانا يزورانها فتغايروا عليها. و قيل: بل في غارة أغارها عليهم. و قيل: بل كان يحدث نساءهم فنهوه فلم ينته، فرصدوه في طريقه إليهن فقاتلوه فقتل منهم رجلا فاستعدوا عليه السلطان فأقاد(2) منه. و أخباره في هذه الجهات كلّها تذكر و تنسب إلى من رواها.

أخبرني محمّد بن القاسم الأنباري، قال: حدّثني أبي، قال: حدّثني الحسن بن عبد الرحمن الربيعي، قال:

حدّثنا أبو مالك اليماني، قال: شرب جعفر بن علبه الحارثي حتى سكر فأخذه السلطان فحبسه، فأنشأ يقول في حبسه:

لقد زعموا أني سكرت وربّما *** يكون الفتى سكران و هو حلیم

لعمرك ما بالسّكر عار على الفتى *** ولكنّ عارا أن يقال لئيم

و إنّ فتى دامت موثيق عهده *** على دون(3) ما لاقيته لكریم

/قال: ثمّ حبس معه رجل من قومه من بني الحارث بن كعب في ذلك الحبس، و كان يقال له دوران(4)، فقال جعفر:

إذا باب دوران ترّمت في الدّجى *** و شدّ بأغلاق علينا و أقفال

و أظلم ليل قام عالج بجلجل(5) *** يدور به حتّى الصباح بإعمال

ص: 33

1- كذا في جميع الأصول و فيما سيأتي في أخبار عبد يغوث و نسبه. و المعروف أن عبد يغوث أسير يوم الكلاب هو: عبد يغوث بن وقاص بن صلاة. انظر «النقائض» ص 149 (طبع أوروبا) و «الأمالى» ج 3 ص 130 (طبع دار الكتب) و «الأغاني» ج 15 ص 72 (طبع بولاق).

2- أقاد منه: قتله به.

3- في ج: «مثل».

4- كذا في جميع الأصول. و لم نهتد إلى مكان هذا السجن فيما لدينا من المصادر. و إنما المعروف - كما في «معجم ما استعجم» و «معجم البلدان» - «دوّار» بفتح الدال و تشديد الواو. و هم اسم سجن باليمامة. قال جرير، و قد نهى قوما من بني كليب عن شيء وقع بينهم فلم ينتهوا فحبسوا و قيدوا في سجن اليمامة: لما عصتني كليب اللؤم قلت لها ذوقي الحديد و شمي ريح دوّار و قال السمهري و قد سجن فيه: كانت منازلنا التي كنا بها شتّى فألف بيننا دوّار راجع «معجم ما استعجم للبكري» و كذلك «معجم البلدان لياقوت».

5- العالج هنا: الرجل الشديد الغليظ. و الجلجل: الجرس الصغير.

و حراس سوء ما ينامون حوله *** فكيف لمظلوم بحيلة محتال

و يصبر فيه ذو الشجاعة و الندى *** على الذل للمأمور و العالج و الوالي

جعفر بن علبة و علي بن جعدب يغيران علي بن عقييل

فأما ما ذكر أن السبب في أخذ جعفر و قتله في غارة أغارها علي بن عقييل، فإني نسخت خبره في ذلك من كتاب عمرو بن أبي عمرو الشيباني يآثره عن أبيه، قال: خرج جعفر بن علبة و علي بن جعدب الحارثي القناني و النضر بن مضارب المعاوي، فأغاروا علي بن عقييل، و إن بني عقييل خرجوا في طلبهم و افرقوا عليهم في الطريق و وضعوا عليهم الأرصاء على المضايق، فكانوا كلما أفلتوا من عصابة لقيتهم أخرى، حتى انتهوا إلى بلاد بني نهدي فرجعت عنهم بنو عقييل، و قد كانوا قتلوا فيهم، ففي ذلك يقول جعفر:

/

ألا لا أبالي بعد يوم بسحب (1) *** إذا لم أعدب أن يجيء حما ميا

تركت بأعلى سحب و مضيقه *** مراق دم لا يبرح الدهر ثاويا

شفيت به غيظي و جرب موطني (2) *** و كان سناء (3) آخر الدهر باقيا

أرادوا ليشنوني فقلت تجنبوا *** طريقي فما لي حاجة من ورائيا

فدى لبني عم أجابوا لدعوتي *** شفوا من بني القرعاء عمي و خاليا

كان بني القرعاء يوم لقيتهم *** فراخ القطا لاقين صقرا يمانيا

تركناهم صرعى كأن ضجيجهم *** ضجيج دباري (4) التيب لاقت مداويا

أقول و قد أجلت من اليوم عركة (5) *** لبيك العقيليين من كان باكيا

فإن بقرى (6) سحب لأماره *** و نضح دماء منهم و محاييا

- المحايي: آثارهم، حبوا من الضعف للجراح التي بهم - /

و لم أترك لي ريبة غير أنني *** وددت معاذًا كان فيمن أتانيا

- أراد: وددت أن معاذًا كان أتاني معهم فأقتله -.

شفيت غليلي من خشينة بعد ما *** كسوت الهذيل المشرفي اليمانيا (7)

أحقًا عباد الله أن لست رائيا *** صحاري نجد و الرياح الذواريا

- 1- سحبل: موضع في ديار بني الحارث بن كعب. و هو الموضع الذي أدركت فيه بنو عقيل جعفر بن علبه فقائلهم و قتل منهم كما سيأتي. و يقال لكل ما عظم و اتسع سحبل كالجراب و الوطب.
- 2- موطني: موقفي.
- 3- السناء (بالمدّ): المجد و الشرف و الرفعة. و النيب جمع ناب، و الناب: الناقة المسنة.
- 4- دبارى النيب: التي أصابها الدبر.
- 5- العركة: المرة من العراك.
- 6- قرى هنا: موضع في بلاد بني الحارث بن كعب. و حكى البكري في «معجم ما استعجم» عن أبي حنيفة أن: قرى مائة قريبة من تبالة. و في جميع الأصول: «بقرني» و هو تحريف. و ما أثبتناه عن «معجم ما استعجم للبكري» و «معجم البلدان لياقوت» و «أشعار الحماسة» (ص 19 طبع أوربا).
- 7- خشينة و الهذيل: شخصان كانا فيمن التقى بجعفر من العقيليين فقتل جعفر خشينة و عرقب الهذيل: ضربه في عرقوبه.

إذا ما أتيت الحارثيات فانعني *** لهن و خبرهن أن لا تلاقيا

وقود قلوصي بينهن فإنها *** ستبرد أكبادا و تبكي بواكيا(1)

أوصيكم إن مت يوماً بعارم(2) *** ليغني شيئاً أو يكون مكانياً

و يروى:

و عطل قلوصي في الركاب فإنها *** ستبرد أكبادا و تبكي بواكيا(3)

و هذا البيت بعينه يروى لمالك بن الربيع في قصيدته المشهورة التي يرثي بها نفسه. و قال في ذلك جعفر أيضاً:

و سائلة عنا بغيث و سائل *** بمصدقنا في الحرب كيف نحاول

عشية قرى سحبل إذ تعطفت *** علينا السرايا و العدو المباسل(4)

ففرج عنا الله مرحى(5) عدونا *** و ضرب ببيض المشرفية خابل

إذا ما قرى(6) هام الرؤوس اعترامها(7) *** تعاورها(8) منهم أكف و كاهل(9)

إذا ما رصدنا مرصدا فرجت لنا *** بأيماننا بيض جلتها الصياقل

و لما أبوا إلا المضي و قد رأوا *** بأن ليس منا خشية الموت ناكل

حلفت يمينا برة لم أرد بها *** مقالة تسميع و لا قول باطل(10)

ليختصمن الهندواني منهم *** معاقد يخشاها الطبيب المزاول(11)

و قالوا لنا ثنتان لا بد منهما *** صدور رماح أشرعت أو سلاسل

ص: 35

1- قود: أكثر القياد. و القلوص: الفتية من الإبل بمنزلة الجارية الفتاة من النساء. و في «أساس البلاغة»: «في الركاب» بدل «بينهن».

2- عارم: ابن جعفر بن علبة و به كان يكنى. و في «مختار الأغاني الكبير» القسم الثاني ص 248 نسخة بالتصوير الشمسي: «أوصيهم» بدل «أوصيكم».

3- رواية بيت مالك بن الربيع في «الخزانة» (ج 1 ص 319 طبع بولاق) هي: و عطل قلوصي في الركاب فإنها ستفلق أكبادا و تبكي بواكيا و

روايته في «الأمالى» (ج 3 ص 138 طبع دار الكتب المصرية) هي: و عر قلوصي في الركاب فإنها ستفلق أكبادا و تبكي بواكيا

4- السرايا: جمع سرية، و هي الطائفة من الجيش يبلغ أقصاها أربعمئة رجل. و المباسلة: المصاولة في الحرب. و البيت في «أشعار

الحماسة» في إحدى روايته و في «معجم البلدان» و «مختار الأغاني الكبير»: ألهفى بقرى سحبل حين أحلبت علينا الولايا و العدو

المباسل وأحلبت: جاءت من كل أوب للنصرة. والولايا هنا: العشائر والقبائل. وفي «معجم ما استعجم»: «أحلبت» بالجيم بدل «أحلبت» أي صار لها جلبية وضوضاء.

5- المرحى: الموضع الذي تدور عليه رحي الحرب.

6- قراه: أطعمه القرى، وهو كناية عن كثرة الضرب.

7- اعترامها: اشتدادها.

8- تعاورها: تداولها.

9- الكاهل: مقدّم أعلى الظهر مما يلي العنق، وهو الثلث الأعلى فيه ست فقر. وفي ج: «احتدامها» بدل «اعترامها».

10- التسميع: التشهير والتشنيع. والبيت فيه إقواء.

11- الاختضام: القطع. وفي الأصل: «ليختصمن».

فقلنا لهم تلکم إذا بعد كرة *** تغادر صرعی نهضها متخاذل(1)

وقتلی نفوس في الحياة زهيدة *** إذا اشتجر الخطيّ و الموت نازل

نراجعهم في قالة بدءوا بها *** كما راجع الخصم البذي المناقل(2)

لهم صدر سيفي يوم بطحاء سحبل *** ولي منه ما ضمت عليه الأنامل

عامل مكة أخذ بحق بني عقيل و يقتل جعفر بن علبه

قال: فاستعدت عليهم بنو عقيل السري بن عبد الله الهاشمي عامل مكة لأبي جعفر؛ فأرسل إلى أبيه علبه بن ربيعة فأخذه بهم، و حبسه حتى دفعهم و سائر من كان معهم إليه، فأما النضر فاستقيد(3) منه بجراحة(4)، و أمّا عليّ بن جعدب فأفلت من الحبس، و أما جعفر بن علبه فأقامت عليه بنو عقيل قسامة(5): أنه قتل صاحبهم فقتل به.

هذه رواية أبي عمرو.

و ذكر ابن الكلبي أن الذي هاج الحرب بين جعفر بن علبه و بني عقيل أن إياس بن يزيد الحارثي و إسماعيل بن أحمر العقيلي اجتمعا عند أمة لشعيب بن صامت الحارثي، و هي في إبل لمولاهما في موضع يقال له صمعر من بلاد بلحارث(6)، فتحدّثا/عندها فمالت إلى العقيلي، /فدخلتهما مؤاسفة(7) حتى تخانقا بالعمائم، فانقطعت عمامة الحارثي و خنقه العقيلي حتى صرعه، ثم تفرّقا. و جاء العقيليون إلى الحارثيين فحكّموهم فوهبوا لهم، ثم بلغهم بيت قيل، و هو:

ألم تسأل العبد الزيادي ما رأى *** بصمعر و العبد الزيادي قائم

فغضب إياس من ذلك فلقى هو و ابن عمه النضر بن مضارب ذلك العقيلي، و هو إسماعيل بن أحمر، فشجّه شجّتين و خنقه؛ فصار الحارثيون إلى العقيليين فحكّموهم فوهبوا لهم. ثم لقي العقيليون جعفر بن علبه الحارثي فأخذوه فضرّبوه و خنقوه و ربطوه و قادوه طويلا ثم أطلقوه. و بلغ ذلك إياس بن يزيد فقال يتوجع لجعفر:

أبا عارم كيف اغتررت و لم تكن *** تغرّ إذا ما كان أمر تحاذره

فلا صلح حتى يخفق(8) السيف خفقة *** بكفّ فتى جرّت عليه جرائره

ثم إن جعفر بن علبه تبعهم و معه ابن أخيه جعدب، و النضر بن مضارب، و إياس بن يزيد، فلقوا المهدي بن عاصم و كعب بن محمّد بحبرّ - و هو موضع بالقاعة(9) - فضرّبوهما ضربا مبرّحا، ثم انصرفوا فضلّوا عن الطريق، فوجدوا العقيليين و هم تسعة، فاقتتلوا قتالا شديدا حتى خلّى لهم العقيليون الطريق ثم مضوا حتى وجدوا من عقيل جمعا آخر

ص: 36

2- المناقل: الذي يتحدّث مع غيره و يراجع.

3- استقيد منه: اقتص منه.

4- الجراحة: الضربة أو الطعنة.

5- القسامة: الجماعة يقسمون على الشيء أو يشهدون. ويمين القسامة منسوبة إليهم. وراجع «اللسان» (مادة قسم) ففيه تفصيل واف عن القسامة.

6- هم بنو الحارث بن كعب، كما في «معجم البلدان».

7- المؤاسفة: المغاضبة.

8- خفق السيف: اضطرابه. وفي ط: «خفقة» بالتاء.

9- الذي في «معجم البلدان» و «معجم ما استعجم» أنه جبل لبني سليم. وأنشد لابن مقبل: سل الدار من جنبي حير فواهب إذا ما رأى هضب القليب المضيق

بسحب فاقتلوا قتالا شديدا، فقتل جعفر بن علبة رجلا من عقيل يقال له خشينة، فاستعدى العقيليون إبراهيم بن هشام المخزومي عامل مكة، فرفع الحارثيين (1) الأربعة من نجران حتى حبسهم بمكة، ثم أفلت منه رجل فخرج هاربا، فأحضرت عقيل قسامة: حلفوا أن جعفر قتل صاحبهم. فأقاده إبراهيم بن هشام. /قال وقال جعفر بن علبة قبل أن يقتل وهو محبوس:

عجبت لمسراها و أني تخلصت *** إلي و باب السجن بالقفل (2) مغلق

ألمت فحييت ثم قامت فودعت *** فلما تولت كادت النفس ترهق

فلا تحسبي أني تخشعت بعدكم *** لشيء ولا أني من الموت أفرق

و كيف وفي كفي حسام مذلق (3) *** يعص بها مات الرجال و يعلق

و لا أن قلبي يزدهيه و عيدهم *** و لا أنني بالمشي في القيد أخرق (4)

و لكن عرتني من هواك (5) صباة *** كما كنت ألقى منك إذ أنا مطلق

فأما الهوى و الودّ مني فطامح *** إليك و جثماني بمكة موثق

و قال جعفر بن علبة لأخيه [ماعرز] (6) يحرضه:

و قل لأبي عون إذا ما لقيته *** و من دونه عرض الفلاة يحول

- في نسخة ابن الأعرابي:

... إذا ما لقيته *** و دونه من عرض الفلاة محول

بالميم، و بسمّ الهاء في «دونه» بالرفع و تخفيفها، و هي لغتهم خاصة - /

تعلم و عدّ الشكّ أني يشفني *** ثلاثة أحراس معا و كبول (7)

إذا رمت مشيا أو تبوّأت مضجعا *** يبيت لها فوق الكعاب صليل

و لو بك كانت لابتعثت مطيّي *** يعود الحفا أخفافها و تجول

إلى العدل حتى يصدر (8) الأمر مصدرا *** و تبرأ منكم قالة و عدول

ص: 37

1- رفعهم: أرسلهم إلى الوالي.

2- الرواية في «أشعار الحماسة»: «دونني» بدل «بالقفل».

3- مذلق: محدّد.

4- في ج و «أشعار الحماسة» و «مختار الأغاني» و «معاهد التنصيص» (ص 57 طبع بولاق): «وعيدكم». ورواية الشطر في «أشعار الحماسة»: ولا أن نفسي يزدهيها وعيدكم وقال التبريزي في شرحه لهذا البيت: (ويروى «وعيدهم»). والأخرق هنا: الدهش فزعا، أو هو القليل الرفق بالشيء.

5- كذا في جميع الأصول. وفي معاهد التنصيص و ط: «ضمانة». وكتب بهامشها: ويروى: و لكنّ ما بي من هوائك ضمانة و الضمانة: المرض و الزمانة.

6- زيادة عن ج.

7- يشفه: يهزله و يضمه و يذهب بعقله. و الكبول: القيود، واحدها كبل (بالفتح و بكسر). و الكبل: القيد أو هو أعظم ما يكون من القيود.

8- في ط: «حتى تصدر» بالتاء.

و نسخت أيضا خبره من كتاب للنضر بن حديد، فخالف هاتين الروايتين، وقال فيه: كان جعفر بن علبه يزور نساء من عقيل بن كعب، و كانوا متجاورين هم و بنو الحارث بن كعب، فأخذته عقيل، فكشفوا دبر قميصه، و ربطوه إلى جمته، و ضربوه بالسياط، و كتفوه، ثم أقبلوا به و أدبروا على النسوة اللاتي كان يتحدث إليهن على تلك الحال ليغيظهن، و يفضحوه عندهن، فقال لهم: يا قوم، لا تفعلوا فإن هذا الفعل مثله، و أنا أحلف لكم بما يثلج صدوركم ألا أزور بيوتكم أبدا، و لا ألجها. فلم يقبلوا منه. فقال لهم: فإن لم تفعلوا ذلك فحسبكم ما قد مضى، و متوا علي بالكف عني فإني أعدّه نعمة لكم و يدا لا أكفرها أبدا، أو فاقتلوني و أريحوني، فأكون رجلا أذى قوما في دارهم فقتلوه. فلم يفعلوا، و جعلوا يكشفون عورته بين أيدي النساء، و يضربونه، و يغرون به سفهاءهم حتى شفوا أنفسهم منه، ثم خلوا سبيله. فلم تمض إلا أيام قليلة حتى عاد جعفر و معه صاحبان له، فدفع، راحلته حتى أولجها البيوت، ثم مضى. فلما كان في نقرة من الرمل أناخ هو و صاحبا، و كانت عقيل ألقى خلق الله لأثر، فتبعوه حتى انتهوا إليه و إلى صاحبيه، و العقيليون مغترون ليس مع أحد منهم عصا و لا سلاح، فوثب عليهم جعفر بن علبه و صاحبا بالسيوف فقتلوا منهم رجلا و جرحوا آخر و افترقوا، فاستعدت عليهم عقيل السريّ/ابن عبد الله الهاشميّ عامل المنصور على مكة، فأحضرهم و حبسهم، فأقاد من الجراح، و دافع عن جعفر بن علبه - و كان يحب أن يدرأ عنه الحدّ لخنولة أبي العباس السفاح في بني الحارث، و لأن أخت جعفر كانت تحت السريّ بن عبد الله، و كانت حظية عنده - إلى أن أقاموا عليه قسامة: أنه قتل صاحبهم. و توعده بالخروج إلى أبي جعفر و التظلم إليه، فحينئذ دعا بجعفر فأقاد منه، و أفلت علي بن جعدب من السجن فهرب. قال و هو ابن أخي جعفر بن علبه. فلما أخرج جعفر للقوق قال له غلام من قومه: أسقيك شربة من ماء بارد؟ فقال له: اسكت لا أم لك، إني إذا لمهياف(1).

و انقطع شسع نعله(2) فوقف فأصلحه، فقال له رجل: أ ما يشغلك عن هذا ما أنت فيه؟ فقال:

أشدّ قبال نعلي(3) أن يراني *** عدوي للحوادث مستكينا

قال: و كان الذي ضرب عنق جعفر بن علبه نجبة بن كليب أخو المجنون، و هو أحد بني عامر بن عقيل، فقال:

في ذلك:

شفى النفس ما قال ابن علبه جعفر *** و قولي له اصبر ليس ينفعك الصبر

هوى رأسه من حيث كان كما هوى *** عقاب تدلّي طالبا جانب الوكر(4)

أبا عارم، فينا عرام(5) و شدة *** و بسطة أيمان سواعدها شعر

هم ضربوا بالسيف هامة جعفر *** و لم ينجه برّ عريض و لا بحر

و قدناه قود البكر قسرا و عنوة *** إلى القبر حتى ضم أثوابه القبر

/و قال علبه يرثي ابنه جعفرا:

لعمرك إني يوم أسلمت جعفرا *** و أصحابه للموت لما أقاتل

لمتجنب حبّ المنايا و إنما *** يهيج المنايا كلّ حق و باطل

- 1- المهيف: الذي لا يصبر على العطش.
- 2- شسع النعل: أحد سيورها، وهو الذي يدخل بين الإصبعين ويدخل طرفه في الثقب الذي في صدر النعل المشدود في الزمام. و الزمام: السير الذي يعقد فيه الشسع.
- 3- قبال النعل (بالكسر): شسعها.
- 4- كذا في الأصول ولا يستقيم بغيره الشعر، وفيه إقواء. و الذي في «كتب اللغة»: أن العقاب مؤنثة. وقيل العقاب يقع على الذكر و الأنثى، إلا أن يقولوا: هذا عقاب. ذكره في «اللسان» مادة عقب.
- 5- العرام (بالضم): الشدة والقوة والشراسة.

فراح بهم قوم ولا قوم عندهم *** مغللة أيديهم في السلاسل
ورب أخ لي غاب لو كان شاهدا *** رآه التبايئون (1) لي غير خاذل
وقال علبة أيضا لامرأته أم جعفر قبل أن يقتل جعفر:

لعمرك إن الليل يا أم جعفر *** عليّ وإن علّلتني لطويل
أحاذر أخبارا من القوم قد دنت *** ورجعة أنقاض لهنّ دليل (2)
فأجابته فقالت:

أبا جعفر أسلمت للقوم جعفرا *** فمت كمدا أو عش وأنت ذليل

بنت يحيى بن زياد تكيهه و تستجيد له الكفن و ترضيه بأبياته

قال أبو عمرو في روايته: وذكر شداد بن إبراهيم أن بنتا ليحيى بن زياد بن عبيد الله الحارثي حضرت الموسم في ذلك العام لما قتل فكفنته و
استجادت له الكفن، وبكته و جميع من كان معها من جواريتها، و جعلن يندبنه بأبياته التي قالها قبل قتله:

أحقا عباد الله أن لست رائيا *** صحاري نجد و الرياح الدواريا
وقد تقدمت في صدر أخباره. وفي هذه القصيدة يقول جعفر:

وددت معاذا كان فيمن أتانيا

/فقال معاذ يحييه عنها بعد قتله، و يخاطب أباه، و يعرض له أنه قتل ظلما لأنهم أقاموا قسامة كاذبة عليه حين قتل، و لم يكونوا عرفوا القاتل
من الثلاثة بعينه، إلا أن غيظهم على جعفر حملهم على أن ادعوا القتل عليه:

أبا جعفر سلّب بنجران و احتسب *** أبا عارم و المسمنات العواليا (3)

وقود قلو صا أتلّف السيف ربها *** بغير دم في القوم إلا تماريا (4)

إذا ذكرته معصر (5) حارثية *** جرى دمع عينيها على الخد صافيا

فلا تحسبنّ الدين يا علب منسا *** و لا الثائر الحران ينسى التقاضيا

سنقتل منكم بالقتيل ثلاثة *** و نغلي و إن كانت دماء غواليا

تمنيت أن تلقى معاذا سفاهة *** ستلقى معاذا و القضيبي اليمانيا

ووجدت الأبيات القافية التي فيها الغناء في نسخة النَّضْر بن حديد أتمّ مما ذكره أبو عمرو والشيباني. و أولها:

ألا هل إلى فتیان لهو ولذّة *** سبيل و تهتاف الحمام المطوق(6)

ص: 39

-
- 1- التبايون: المنسوبون إلى تباله، و هو بلد باليمن.
 - 2- الأتقاض: جمع تقض (بالكسر)، و هو المهزول من الإبل و الخيل كأن السفر تقض بنيته. «ذليل» بدل «دليل» و في «مختار الأغاني»: «هزيل».
 - 3- سلب: ألبس ثياب الحداد السود. و الأصل في التسلب أن يكون للمرأة الذي يموت زوجها أو حميمها. يقال تسلب المرأة إذا لبست ثياب المأتم السود. و المسمنات: ذوات السمنة.
 - 4- قود: اجعلها تقاد و لا تركب. و القلوص: الشابة أو الباقية على السير، و أول ما يركب من إناثها إلى أن تثنى ثم هي ناقة و الناقة الطويلة القوائم خاص بالإناث. تماريا: تكذيبا.
 - 5- المعصر: الجارية التي بلغت عصر شبابها و أدركت.
 - 6- المطوق من الحمام: ما كان له طوق في عنقه.

و شربة ماء من خدوراء(1) بارد *** جرى تحت أظلال(2) الأراك المسوّق

و سيرى مع الفتیان(3) كلّ عشية *** أبارى مطاياهم(4) بصهباء سيلق

إذا كلحت(5) عن نابها مَجّ شذقتها *** لغاما(6) كمحّ البيضة المتفرق

و أصهب جونيّ كأن بغامه *** تبعم مطرود من الوحش مرهق(7)

ابرى(8) لحم دقيّه و أدمى أظله اج *** تيابي الفيافي سملقا بعد سملق(9)

و ذكر بعده الأبيات الماضية. و هذا وهم من النضر، لأن تلك الأبيات مرفوعة القافية و هذه مخفوضة، فأتيت بكل واحدة منهما منفردة و لم أخلطهما لذلك.

علبة ينحر أولاد النوق و الشياه لتصبح مع النسوة بكاء على جعفر

إشارة

أخبرني الحسين بن يحيى المرداسيّ عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن أبي عبيدة قال: لما قتل جعفر بن علبة قام نساء الحيّ يبكين عليه، و قام أبوه إلى كلّ ناقّة و شاة فنحر أولادها، و ألقاها بين أيديها و قال: ابكين معنا على جعفر! فما زالت النوق ترغو و الشاء تتغو و النساء يصحن و يبكين و هو يبكي معهنّ؛ فما رئى يوم كان أوجع و أحرق مأتما في العرب من يومئذ.

صوت

/

عللاني إنما الدنيا علل *** و اسقياني عللا بعد نهل(10)

أصحب الصاحب ما صاحبني *** و أكفّ اللوم عنه و العذل(11)

الشعر للعجيز السلولي. و الغناء لابن سريج ثقيل أول بالوسطى عن حبيش. و ذكر الهشاميّ أنه من منحول يحيى المكيّ.

ص: 40

1- خدوراء: موضع في بلاد بني الحارث بن كعب ذكره ياقوت في «معجم البلدان».

2- في «معجم البلدان لياقوت» في روايته لهذا البيت: «أفنان» بدل «أظلال».

3- في ط: «و سير مع الفتیان».

4- كذا أصلحها الشنقيطي في نسخته، و في سائر الأصول: «ندامهم». و الأصهب من الإبل: الذي يخالط بياضه حمرة، و هو أن يحمّر

أعلى الوبر و تبيض أجوافه. وإنما خص الإبل الصهب بالذكر لأنها خير الإبل لسرعتها. والسيلق: الماضية في سيرها. ورواية البيت في «اللسان» (مادة سلق): و سيري مع الركبان كل عشية أباري مطاياهم بأدماء سيلق و الأدماء من الإبل: البيضاء ذات المقلتين السوداوين.

5- كلحت: كشرت في عبوس.

6- اللغام: زيد أفواه الإبل، و هو من البعير بمنزلة البزاق أو اللعاب من الإنسان. و مح البيضة و محتها: صفرتها. وفي «اللسان» (مادة محح): «وقال ابن شميل: مح البيض: ما في جوفه من أصفر و أبيض كله مح. و منهم من قال: المححة: الصفراء. و الغرقى: البياض الذي يؤكل». و المترقق: المتحرك جيئة و ذهوبا.

7- يريد: بعيرا جونيا، و هو الأسود المشرب حمرة. و بغامه: صوته. يقال بغمت الناقة تبغم (بالكسر) بغاما: قطعت الحنين و لم تمده. و يكون ذلك للبعير أيضا. و تبغم (بالتشديد) لبغم. انظر «اللسان» (مادة بغم).

8- في سائر الأصول: «ترى» بالتاء و هو تحريف. و ما أثبتنا عن نسخة الشنقيطي مصححا بقلمه.

9- دفا البعير: جنباه. و أظله: باطن منسمه، أو هو باطن إصبعه. السملق: الأرض المستوية الجرداء لا نبات فيها.

10- العل و العلل (محركة): الشربة الثانية، و قيل الشرب بعد الشرب تباعا. و النهل (بالتحريك): أول الشرب.

11- العذل (بالتحريك): الاسم من عدله يعذله عدلا فاعتذل و تعذل: لامة فقبل منه و أعتب.

أخبار العجير السلولي ونسبه

هو - فيما ذكر محمد بن سلام - العجير بن عبد الله بن عبدة(1) بن كعب بن عائشة(2) بن الربيع(3) بن ضبيط بن جابر بن عبد الله بن سلول. ونسخت نسبه من نسخة عبدة بن محمد بن يزيد عن ابن حبيب قال: هو العجير بن عبدة بن كعب بن عبدة بن جابر بن عمرو بن سلول(4) بن مرة بن صعصعة، أخي عامر بن صعصعة. شاعر مقل إسلامي من شعراء الدولة الأموية. وجعله محمد بن سلام في طبقة أبي زيد الطائي؛ وهي الخامسة من طبقات شعراء الإسلام.

أخبرني أبو خليفة في كتابه إليّ قال: حدثنا محمد بن سلام الجمحي، قال: حدثنا أبو الغراف(5) قال: كان العجير السلولي دليّ عبد الملك بن مروان على ماء يقال له مطلوب(6)، وكان لناس من خثعم، فأنشأ يقول:

لا نوم إلا غرار العين ساهرة *** إن لم أرّوع بغیظ أهل مطلوب(7)

إن تشتموني فقد بدلت أیکتکم *** ذرق الدجاج بحفان العاقب(8)

و كنت أخبرکم أن سوف یعمرها *** بنو أمیة وعدا غیر مکذوب

العجیر یذهب لیلا إلى عبد الملك حین طلبه

قال: فركب رجل من خثعم يقال له أمية إلى عبد الملك حتى دخل عليه فقال: يا أمير المؤمنين، إنما أراد العجير أن يصل إليك وهو شويعر سأل(9). و حرّبه(10) عليه. فكتب إلى عامله بأن يشدّ يدي العجير إلى عنقه ثم يبعثه في الحديد. فبلغ العجير الخبر فركب في الليل حتى أتى عبد الملك فقال له: يا أمير المؤمنين، أنا عندك فاحتسني

ص: 41

1- عبدة (بفتح العين و كسر الباء): هكذا ضبطه البغدادي في «خزانة الأدب». ثم قال بعد ذلك: «و يقال ابن عبدة بضم العين».

2- كذا في سائر الأصول ما عدا ط. و في ط: «ابن عابسة».

3- في المؤلف و المختلف للآمدي: «... بن ضبيط بن رفيع بن جابر بن عمرو بن مرة بن صعصعة و هم سلول».

4- في «الخزانة» ما يفيد أن «سلول» اسم امرأة؛ ففيها: «و أم بني مرة سلول بنت ذهل بن شيان بن ثعلبة غلبت عليهم و بها يعرفون. و جاء في المعارف لابن قتيبة: «فأما بنو مرة فيعرفون ببني سلول و هي أمهم. منهم أبو مريم السلولي و منهم العجير السلولي الشاعر و عبد الله بن همام الشاعر السلولي». انظر «خزانة الأدب» (ج 2 ص 298 طبع بلاق) و المؤلف و المختلف (ص 166 طبع السلفية) و «المعارف لابن قتيبة» (ص 42 طبع أوربا).

5- في الأصول: «العرف» بالعين المهملة، و هو تحريف و التصويب من «طبقات الشعراء لابن سلام» (ص 132 طبع أوربا).

6- مطلوب: اسم بئر بين المدينة و الشام بعيدة القعر يستقى منها بدلاء.

7- غرار العين: قلّة نومها.

8- الأيكة: الغيضة تنبت السدر والأراك ونحوهما من ناعم الشجر. وذرقة الدجاج: خرؤه. واليعاقب جمع يعقوب. وهو هنا ذكر

الحجل. وحقان اليعاقب: فراخها.

9- السأل: الملحاح في السؤال.

10- حربته: حرّضه عليه وأثار عليه حرب الغضب.

و ابعث من يبصر الأرضين و الضياع، فإن لم يكن الأمر على ما أخبرتك فلك دمي حلّ (1) و بلّ، فبعث فاتخذ ذلك الماء، فهو اليوم من خيار ضياع بني أمية.

نافع الكناني يطلبه ليقم الحد أو يقيم عليه ذلك بنو حنيفة فيهرب

نسخت من كتاب عبيد الله بن محمد اليزيدي عن ابن حبيب عن ابن الأعرابي قال: هجا العجير قوما من بني حنيفة و شتمهم، فأقاموا عليه البيّنة عند نافع بن علقمة الكنانيّ، فأمرهم بطلبه و إحضاره ليقم عليه الحدّ و قال لهم: إن وجدتموه أنتم فأقيموا عليه الحد و ليكن ذلك في ملاً يشهدون به لئلا يدّعي عليكم تجاوز الحق. فهرب العجير منهم ليلاً حتى أتى نافع بن علقمة، فوقف له متنكراً حتى خرج من المسجد، ثم تعلق بثوبه و قال:

إليك سبقنا السوط و السجن، تحتنا *** حيال يسامين الظلال و لّح (2)

إلى نافع لا نرتجي ما أصابنا *** تحوم علينا السانحات و تبرح

فإن أك مجلوداً فكن أنت جالدي *** و إن أك مذبوحاً فكن أنت تدبح

فسأله عن المطر و كيف كان أثره، فقال له:

يا نافع يا أكرم البرية (3) *** و الله لا أكذبك العشية

إننا لقينا سنة قسيّه (4) *** ثم مطرنا مطرة رويه

فنبت البقل و لا رعيه (5)

- يعني أن المواشي هلكت قبل نبات البقل - فقال له: انج بنفسك فأني سأرضي خصومك، ثم بعث إليهم فسألهم الصنفح عن حقهم و ضمن لهم أن لا يعاود هجاءهم.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال:

حدّثنا الزبير بن بكار قال: حدّثني عمر بن إبراهيم السعدي عن عباس بن عبد الصمد السعدي قال: قال هشام بن عبد الملك للعجير السلولي: أصدقت فيما قلته لابن عمك؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، إلا أنني قلت:

فتى قد قد السيف لا متضائل *** و لا رهل لبّاته و بآدله (6)

/ - هذا البيت يروى لأخت يزيد بن الطثريّة (7) ترثيه به -

- 1- حل: حلال. وبل: مباح مطلق. وبل من برد الماء أي أن دمي يبرد صدرك. وقيل: «بل» إتباع «لحل» أي توكيد. إلا أن أبا عبيدة وابن السكيت لم يرتضيا هذا الاتباع لمكان الواو بينهما. انظر «اللسان» (مادة بلل).
- 2- حيال: جمع حائل. والحائل: الناقة التي ضربها الفحل فلم تحمل. ولقح: جمع لاقح. واللاقح: الناقة الحامل. ويسامين الظلال: يبارينها. وفي ط: «طلح» بدل «لقح» وكتب بهامشها كلمة «لقح» إشارة إلى الروايتين. وطلح: جمع طالح. و الطالح: الناقة التي أجهدتها السير فأصابها الكلال والإعياء.
- 3- رواية «اللسان» لهذا الشطر منسوباً إلى العجير السلولي (مادة قسا): يا عمرو يا أكبرم البرية
- 4- القسية: الشديدة لا مطر فيها، من القسوة.
- 5- الرعية: الماشية الراعية أو المرعية. (كما في «القاموس»).
- 6- الرهل: يقال رهل لحمه اضطرب واسترخى أو ورم من غير داء. اللبة: موضع النحر. والبادل: جمع بأدلة؛ وهي اللحمية بين العنق و الترقوة. وفي «الأغاني» (ج 8 ص 183 طبع دار الكتب) وهامش ط: «أباحله». والأباجل: جمع أبجل؛ وهو عرق غليظ في الرجل، وقيل في باطن الذراع.
- 7- في «أشعار الحماسة» (ص 416 طبع أوربا) ذكر هذا البيت ضمن ستة منسوبة إلى العجير السلولي، لكن مع اختلاف في تقديم الأبيات وتأخيرها وكذلك في ألفاظ بعض الأبيات. وفي «أشعار الحماسة» أيضا (ص 468) و«الأمالي» (ج 2 ص 85 طبع دار الكتب) و «الأغاني» (ج 8 ص 182 طبع دار الكتب) ورد هذا البيت ضمن قصيدة لزينة بنت الطثرية ترثي أخاها يزيد بن الطثرية؛ وفي هذه القصيدة أبيات مما نسب للعجير مع اختلاف في اللفظ أيضا. و الطثرية (ياسكان التاء)؛ هكذا ضبطه ابن خلكان بالعبارة في ترجمته ليزيد بن الطثرية فقال: «و الطثرية بفتح الطاء وإسكان التاء وبعدها راء ثم ياء النسب و هاء وهي أمة ينسب يزيد المذكور إليها؛ وهي من بني طثر بن عنز بن وائل. و الطثرة: الخصب وكثرة اللبن. يقال: إن أمه كانت مولعة بإخراج زبد اللبن». وفي «القاموس و شرحه» (مادة طثر): «و طثرية (محركة): أم يزيد بن الطثرية الشاعر القشيري». وقد ضبط بالقلم في ط ياسكان التاء. وفي «أشعار الحماسة» و «الشعر و الشعراء» و «طبقات ابن سلام» و «الكامل للمبرد» ضبط بالحركة ياسكان التاء أيضا.

جميل إذا استقبلته من أمامه *** وإن هو ولى أشعث الرأس جافله (1)

طويل سطي (2) الساعدين عذور (3) *** على الحي حتى تستقلّ مراجله

ترى جازيه يردان و ناره *** عليها عداميل الهشيم وصامله (4)

ايجران ثنيا (5) خيرها عظم جاره *** على عينه لم تعد (6) عنها مشاغله

تركنا أبا الأضياف في كل شتوة (7) *** بمر (8) و مردى (9) كل خصم يجادله

مقيما سلبناه دريسي مفاضة *** و أبيض هنديًا طوالا حمائله (10)

فقال هشام: هلك و الله الرجل.

ص: 43

1- الشعث: تلبد الشعر و اغبراره. يقال: شعث يشعث شعثا و شعوثه فهو شعث و أشعث و شعثن إذا اغبر شعره و تلبد. و جافله هنا: من

الجفال؛ و هو الشعر الكثير. و رواية البيت في «الحماسة» و «الأمالى»: كريم إذا لاقيته مبتسما و إما تولى أشعث الرأس جافله

2- سطي الساعدين: ذو بطش، و هو مبالغة من سطا عليه و به سطوا و سطوة، إذا بطش به برفع اليد.

3- العذور: السيئ الخلق. و إنما جعله عذورا لشدة تهممه بأمر الأضياف و حرصه على تعجيل قراهم، حتى تنصب المراجل و تهيأ

المطاعم للضيفان ثم يعود إلى خلقه الأول. و رواية البيت في «الحماسة» و «الأمالى»: إذا نزل الأضياف كان عذورا على الحي حتى

تستقل مراجله

4- يردان: تصيهما الرعدة إما من خوفه لاستعجاله إياهما و إما من البرد. يخبر أنه ينحرف في الشتاء و الجذب. و إنما جعل له جازرين على

عادتهم في جعلهم أصحاب المهن فيهم اثنين اثنين؛ كالبائن و المستعلي في الحلب و الماتح و القابل في الاستقاء. انظر «شرح التبريزي

للحماسة» 470، و في «اللسان»: «و للناقة حالبان أحدهما يمسك العلبة من الجانب الأيمن، و الآخر يحلب من الجانب الأيسر. و الذي

يحلب يسمى المستعلي و المعلى، و الذي يمسك يسمى البائن». و العداميل جمع عدمل: الضخم القديم من الشجر. و الصامل و

الصميل: اليبس. و يروي «عدولي» كما في ح و «اللسان» «مادة عدل». و العدولي هنا: نسبة إلى عدولي، و هو موضع بنواحي البحرين

تنسب إليه السفن. و الهشيم هنا: الشجرة البالية يأخذها الحاطب كيف شاء لأنها بدون ثمر. و صامله: يابسه. يقول: على النار حطب يابس.

و في «اللسان» (مادة صمل) ورد هذا البيت منسوباً للعجير و لبنت الطثرية بلفظ «عداميل» بدل «عدولي». و في بقية الأصول: «... السنام

و ناصله» و هو تحريف. و رواية الشطر في الحماسة و الأمالى: عليها عداميل الهشيم و صامله

5- الثنى: الناقة التي ولدت بطنين. و ولدها الثاني يسمى ثنيا أيضا. و خيرها عظم جاره يريد أن خير عظم فيها يهديه لجاره.

6- لم تعد: لم تصرف. يريد: لم يشغله عن نحرها ضنه بها لبصرة بقري الأضياف و النحر لهم. و في «الحماسة» و «الأمالى»: «بصيرا بها»

يدل «على عينه».

7- كذا في جميع الأصول. و في «أشعار الحماسة»: «في ليلة الصبا»، و في «معجم البلدان»: «في ليلة الدجا».

8- «مر»: مائة لبني أسد بينها و بين الخوة يوم شرقي سميراء و بهامات ابن عم العجير و اسمه جابر بن زيد. انظر «معجم البلدان» في رسم

«مر». و في «أشعار الحماسة»: «مرو» و هو تحريف.

9- المردى في الأصل: صخرة يكسر بها النوى. يقال: فلان مردى الحروب أو الخصوم أي يرمون به فيكسرهم.

10- الدريس هنا: الدرع الخلقية. و المفاضة: الدرع الواسعة. و أبيض هندية: يريد سيفاً. و جعله طويل الحمائل لطول قوامه. يقول: إنه أنفق ماله فيما نشر له حمدا فلم يكن لإرثه إلا ما ذكر من السلاح. و رواية البيت في «الحماسة» و «اللسان» (مادة درس): مضى و ورثناه دريس مفاضة و أبيض هندية طويلا حمائله

ونسخت من كتاب ابن حبيب قال ابن الأعرابي: اصطحب العجير وشاعر من خزاعة إلى المدينة فقصده الخزاعي الحسن بن الحسن بن علي عليهم السلام، وقصد العجير رجلا من بني عامر بن صعصعة كان قد نال سلطانا، فأعطى الحسن بن الحسن الخزاعي وكساه ولم يعط العامري العجير شيئا، فقال العجير:

العجير يقول حين حرمه العامري العطاء

يا ليتني يوم حرّمت القلوص له *** يّممتها هاشميًا غير ممذوق(1)

محض النّجار(2) من البيت الذي جعلت *** فيه النبوّة يجري غير مسبوق

لا يمسك الخير إلا ريث يسأله *** ولا يلاطم(3) عند اللحم في السوق(4)

فبلغت آياته الحسن، فبعث إليه بصلة إلى محلّة قومه وقال له: قد أتاك حظك وإن لم/تتصدّ له.

العجير يشرب حتى ينتشي فيأمر بنحر حمله ويقول شعرا

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدّثنا محمّد بن الحسن بن دينار الأحول قال: حدّثني بعض الرواة أن العجير بن عبد الله السلولي مر بقوم يشربون فسقوه فلما انتشى قال: انحروا جملي وأطعمونا منه. فنحروا وجعلوا يطعمونه ويسقونه ويغنّونه بشعر قال يومئذ، وهو:

عللاني إنما الدنيا علل *** واسقياني عللا بعد نهل

وانشلا(5) ما اغبرّ من قدريكما *** وأصبحاني(6) أبعد الله الجمل

أصبح الصاحب ما صاحبي *** وأكفّ اللوم عنه والعذل

وإذا أتلف شيئا لم أقل *** أبدا يا صاح ما كان فعل

/قال: فلما صحا سألت عن جملة فقيل له: نحرته البارحة. فجعل يبكي ويصيح: واغربتاه! وهم يضحكون منه. ثم وهبوا له بعيرا فارتحلته(7) وانصرف إلى أهله.

ندمه على ذلك بعد صحوه وارتحاله على بعير وهب له

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حدّثنا محمّد بن يزيد قال: حجّ العجير السلولي فنظر إلى امرأته وكان قد حجّ بها معه وهي تلحظ فتى من بعد وتكلمه فقال فيها:

يا ربّ لا تغفر لعثمة ذنبها *** وإن لم يعاقبها العجير فعاقب

أشارت وعقد الله بيني وبينها *** إلى راكب من دونه ألف راكب

- 1- المذق: الخلط. يريد أنه هاشمي صريح النسب.
- 2- النجار (بالكسر و بضم): الأصل و الحسب. و محضه: خالصه.
- 3- في جميع الأصول: «يطاعم» و هو تحريف. و التصويب عن المرحوم الشنقيطي في نسخته. و الملاطمة: مفاعلة من اللطم، و هو ضرب الجسد و صفحة الجسد بالكف مفتوحة.
- 4- يريد أنه لا يشتري لضيفانه اللحم من السوق وإنما يذبح لهم في بيته.
- 5- انشلا: أمر من نشل اللحم ينشله (بضم الشين و كسرهما) نشلا إذا أخرجه من القدر بيده من غير مغرفة فهو نشيل. و النشيل: ما طبخ من اللحم بغير توابل. و ما اغبر: ما بقي.
- 6- أصبحاني: أعطيتاني الصبح. و هو هنا ما أكل أو شرب عدوة.
- 7- ارتحله: خط عليه الرحل.

العجبر يكل زواجه ابنته إلى خالها ثم يطلقها من المولى بعد قدومه

وقال ابن الأعرابي: غاب العجبر غيبة إلى الشام، و جعل أمر ابنته إلى خالها، وأمره أن يزوجه بكفء.

فخطبها مولى لبني هلال كان ذا مال، فرغبت أمها فيه وأمرت خال الصبية الموصى إليه بأمرها أن يزوجه ففعل.

فلاذت الجارية بأخيها الفرزدق بن العجبر، ورجال من قومها، وبن عم لها يقال له قيل، فمنعوا جميعا منها سوى ابن عمها القيل فإنه ساعد أمها على ما أرادت، و منع منها الفرزدق. فلما قدم العجبر أخبر بما جرى ففسخ النكاح و خلع ابنته من المولى وقال:

ألا هل لبعجان الهاللي زاجر *** وبعجان مأدوم الطعام سمين

أليس أمير المؤمنين ابن عمها *** وبالحنو(1) آساد لها وعرين

وعاذت بحقوى(2) عامر و ابن عامر *** ولله قد بتت علي يمين

تناونها(3) أو يخضب الأرض منكم *** دم خرّ عنه حاجب و جبين

أو قال أيضا في ذلك:

إذا ما أتيت الخاضبات أكفها *** عليهن مقصور الحجال المروق(4)

فلا تدعون القيل(5) إلا لمشرب *** رواء و لكنّ الشجاع الفرزدق

هو ابن ليضاء الجبين نجية *** تلقت(6) بطهر لم يجيء و هو أحرق

تداعى إليه أكرم الحيّ نسوة *** أطفن بكسري بيتها حين تطلق(7)

فجاءت بعريان اليدين كأنه *** من الطير باز ينفض الطلّ أزرق

قول العجبر في رقيق

إشارة

وقال ابن الأعرابي: كان للعجبر رقيق يقال له أصبح، و كانا يصيبان الطريق، وفيه يقول العجبر:

و منخرق عن منكبيه قميصه *** و عن ساعديه، للأخلاء و واصل

إذا طال بالقوم المطافى تنوفة *** و طول السرى ألفيته غير ناكل(8)

دعوت وقد دبّ الكرى في عظامه *** وفي رأسه حتّى جرى في المفاصل

كما دبّ صافي الخمر في مخّ شارب *** يميل بعطفه، عن اللبّ ذاهل

ص: 45

-
- 1- الحنو: حنو ذي قار قرب الكوفة.
 - 2- الحقو (بالفتح وبكسر): معقد الإزار. ويسمى الإزار كذلك حقوا لأنه يشد على الحقو، كما تسمى المزادة الراوية لأنها تحمل على الراوية، وهو الجمل. و العرب تقول: «عدت بحقوه إذا عاذ به ليمنعه».
 - 3- تنالونها: لا تنالونها. وحذف «لا» النافية في مثل هذا كثير.
 - 4- المروق: ذو الستور. والرواق: ستر دون السقف، أو مقدّم البيت. وورد في هامش ط: «المروق الذي عليه رواق، أي ستر».
 - 5- كذا في ج و هامش ط، وفي سائر الأصول: «فلا يذعرك القيل». والقيل: اللبن يشرب في القانلة.
 - 6- تلتقت: علفت، أي حبلت.
 - 7- الكسر: جانب البيت أو الشقة السفلى. وتطلق بالبناء للمجهول من طلقت، كعنى، في المخاض أصابها وجع الولادة.
 - 8- المطا هنا: التمطي، والتمطي: السير الممتد. و التنوفة كالتنوفية: الأرض الواسعة البعيدة الأطراف وتسمى المفازة. و الناكل هنا: الجبان الضعيف.

فلبي ليشيني بشبي لسانه *** ثقلين من نوم غلوب الغياطل(1)

فقلت له قم فارتحل ليس هاهنا *** سوى وقفة الساري مناخ لنازل

فقام اهتزاز الرمح يسرو قميصه *** ويحسر عن عاري الذراعين ناحل(2)

او قال ابن الأعرابي: كانت للعجيرة امرأة يقال لها أم خالد، فأسرع في ماله فأتلفه و كان جوادا، ثم جعل يدان حتى أثقل بالدين و مد يده إلى مالها، فمنعته منه و عاتبته على فعله، فقال في ذلك:

تقول و قد غالبتها أم خالد *** على مالها أغرقت دينا فأقصر(3)

أبي القصر من يأوى إذا الليل جنني *** إلى ضوء ناري من فقير و مقتر

أيا موقدي ناري ارفعها لعلها *** تشب لمقو(4) آخر الليل مقفر

أ من راكب أمسى بظهر تنوفة *** أواريك أم من جاري المتنظر

و لا قدر دون الجار إلا ذميمة *** و هذا المقاسي ليلة ذات منكر

تكاد الصبا تبتزه من ثيابه *** على الرّحل إلا من قميص و مئزر(5)

و ما ذا علينا أن يخالس ضوأها *** كريم نثاه شاحب المتحسر(6)

- المتحسر: ما انكشف و تجرد من جسمه -

فيخبرنا عمّا قليل و لو خلت *** له القدر لم نعجب و لم نتخبّر

صوت

صوت(7)

سلي الطارق المعتريا أم مالك *** إذا ما أتاني بين قدري و مجزرى(8)

أ أبسط وجهي أنه أول القرى *** و أبذل معروفى له دون منكرى(9)

فلا قصر حتى يفرج الغيث من أوى *** إلى جنب رحلي كلّ أشعث أغبر(10)

أفي العرض بالمال التّلالاد(11) و ما عسى *** أخوك إذا ما ضيّع العرض يشتري

- 1- الغياطل: جمع غيطلة، و الغيطلة هنا: غلبة النعاس.
- 2- يسرو قميصه: يلقيه عنه. يقال: سروت الثوب عن سروا و سريته إذا ألقيته عنك و نصوته.
- 3- الإقصار: الامتناع.
- 4- المقوى: الذي لا زاد معه، يقال: أقوى الرجل إذا نفذ طعامه و فني زاده.
- 5- الصبا: ريح مهبها من مطلع الثريا إلى بنات نعش و تبتزه: تجرده. و الرحل بالحاء المهملة في ط، و وردت بالجيم في باقي الأصول، و هو تحريف.
- 6- يخالس: ينتهز. و النثا: ما أخبرت به عن الرجل من حسن أو سيئ.
- 7- كلمة «صوت» ليس في ب، ج.
- 8- الطارق: الآتي بالليل. و المعتر: الذي يطيف بك يطلب ما عندك، سألك أو سكت عن السؤال. و الجزر، وردت بفتح الزاي في ط خطأ و الصواب كسرهما مثل مشرق و مغرب.
- 9- ورد في ج «قبل» بدل «دون».
- 10- يفرج بكسر الراء.
- 11- التلاد: المال القديم الأصلي الذي ولد عندك من مالك أو نتج. و كل مال قديم من حيوان و غيره يورث عن الآباء. و هو التالذ و التليد و المتلد.

يُؤدِّي إليَّ النَّيل(1) قنيان ماجد *** كريم و مالي سارحا مال مقتر

- القنيان(2): ما اقتنى من المال. يقول: إنه لبذله القرى كأنه موسر، وإذا سرح ماله علم أنه مقتر(3) -

إذا متَّ يوماً فاحضري أمَّ خالد *** تراثك من طرف و سيف و أقدر(4)

قال ابن حبيب: من الناس من يروي هذه الأبيات الأخيرة التي أولها:

سلي الطارق المعترِّ يا أمَّ مالك

لعروة بن الورد، وهي للعجير.

العجير يفد على عبد الملك فيقيم ببابه

أخبرني حبيب بن نصر المهلبِّي قال: حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدَّثنا علي بن الصَّبَّاح عن هشام بن محمَّد قال: وفد العجير السَّلُوليَّ - و سلول بنو مرّة بن صعصعة - على عبد الملك بن مروان، فأقام ببابه/شهرًا لا يصل إليه لشغل عرض لعبد الملك، ثم وصل إليه فلما مثل بين يديه أنشد:

/

ألا تلك أمَّ الهبرزيَّ تبيّنت *** عظامي و منها ناحل و كسير(5)

وقالت تضاءلت الغداة و من يكن *** فتى قبل عام الماء فهو كبير(6)

فقلت لها إنَّ العجير تقلّبت *** به أبطن أبلينه و ظهور

فمنهنَّ إدلاجي على كلِّ كوكب *** له من عمانيّ النجوم نظير(7)

ص: 47

1- النيل و النائل: ما نلته. ورواية ط لهذا الشطر: يؤدي إليَّ الليل قنوان ماجد و في مثل هذا المعنى قال الشاعر: ليس العطاء من الفضول

سماحة حتى تجود و ما لديك قليل

2- يقال بضم القاف و كسرهما. و في ط: «القنوان». و هي صحيحة و قافها مضمونة، بمعنى القنيان.

3- في ط: «فقير».

4- الطرف هنا: الكريم من الخيل. و الأقدر: الفرس الذي يجاوز حافرا رجله مواقع حافري يديه.

5- أم الهبرزي: الحمى. هكذا في «لسان العرب» و «تاج العروس» حيث روى البيت منسوبًا للعجير شاهدا على ذلك، مع اختلاف في بعض ألفاظ الشطر الأول. و مثله كذلك ما أورده المحيي في «ما يعول عليه في المضاف و المضاف إليه» حيث قال: «أم الهبرزي هي الحمى». ثم قال في موضع آخر: «أم الهدبذي، بالبدال و الذال، هي الداهية و الحمى». ثم أورد البيت شاهدا على ذلك، مع اختلاف في

بعض ألفاظ الشطر الأول كذلك. ناحل: مهزول دقيق. وفي جميع الأصول: «ناصل»، والتصويب من «لسان العرب» و«تاج العروس» و ما يعول عليه. ورواية البيت في «اللسان» و«التاج» (مادة هبرز): فإن تك أم الهبرزي تمصرت عظامي فمنها ناحل و حسير و تمصرت: اعتصرت. و حسير: تعب. وروايته في (ما يعول عليه): فمنهن أم الهبرزي تتابعت عظامي فمنها ناحل و كسير و الكسير: المكسور.

6- عام الماء، قال أبو حنيفة: «إذا كان عام خصيب مشهور بالكالا و الكمأة و الجراد سمي عام الماء». انظر «المخصص» (10:17). و رواية البيت في «اللسان» (مادة عوم): رأنتي تحادبت الغداة و من يكن فتى عام عام الماء فهو كبير قال في «اللسان» هنا: «فسره ثعلب. فقال: العرب تكرر الأوقات فيقولون: أتيتك يوم يوم قمت، و يوم تقوم». و انظر ما سيأتي في ص 75.

7- العماني: المنسوب إلى عمان.

وقرعي بكفّي باب ملك كأنما *** به القوم يرجون الأذنين نسور(1)

أو يوم تبارى ألسن القوم فيهم *** وللموت أرحاء بهنّ تدور(2)

لو ان الجبال الصّمّ يسمعن وقعها *** لعدن وقد بانت بهنّ فطور(3)

فرحت جوادا والجواد مئاب *** على جريه، ذو علة ويسير

عطاء عبد الملك له لطول مقامه

فقال له: يا عجبر ما مدحت إلا نفسك، و لكننا نعطيك لطول مقامك. و أمر له بمائة من الإبل يعطاها من صدقات بني عامر، فكتب له بها.

أخبرني حبيب بن نصر المهلبّي قال: حدّثنا محمّد بن سعد الكرانيّ قال: حدّثنا العمريّ عن العتبيّ قال: نظر أبي إلى فتى من بني العبّاس يسحب مطرف(4) خزّ عليه و هو سكران - و كان فتى متهتكا - فحرك رأسه مليّا ثم قال:

لله درّ العجبر السلوليّ حيث يقول:

و ما لبس الناس من حلّة *** جديد و لا خلقا يرتدى(5)

كمثل المروءة للأبسين *** فدعني من المطرف المستدى(6)

فليس يغيّر فضل الكريم *** خلوقه أثوابه و البلى(7)

أو ليس يغيّر طبع اللّثيم *** مطارف خز رقاق السدى(8)

يجود الكريم على كلّ حال *** و يكبو اللّثيم إذا ما جرى

قوله في ابنه الفرزدق

أخبرني عمّي قال: حدّثني محمّد بن القاسم بن مهرويه قال: حدّثني أبو القاسم اللّهبّي عن أبي عبيدة قال:

كان العجبر السلولي له ابن يقال له الفرزدق، وفيه يقول العجبر:

و لقد وضعتك غير متّرك *** من جابر(9) في بيتها الصنخم

و اخترت أمك من نسانهم *** و أبوك كلّ عدوّر شههم(10)

- 1- الأذنين: الحاجب الذي يبلغ إذن الملك للمثول بين يديه، وهو الأذن. والنسور: جمع نسر. وفي ج بالشين المعجمة، وهو تحريف. و المعنى أن طلاب المغنم يتجمعون على باب الملك مثل تجمع النسور.
- 2- الألسن: جمع لسان، و«اللسان»: المقول يذكر ويؤنث، ففي حالة التذكير يجمع على ألسنة كحصان وأحصنة، وفي حالة التأنيث يجمع على ألسن كذراع وأذرع. (انظر «اللسان» مادة لسن). ورواية البيت في ج: و يوم تنادي ألسن القوم فيهم وللقوم أرحاء بهن تدور
- 3- الفطور: الشقوق جمع فطر بالفتح.
- 4- المطرف (بالضم و يكسر) وأحد المطارف، وهي أردية من خر مربعة لها أعلام.
- 5- الحلة: إزار ورداء، بردا كان أو غيره. ولا تكون حلة إلا من ثوبين أو ثوب له بطانة. وخلق: بال، الذكر والأنثى فيه سواء.
- 6- المستدى هنا: المنسوج.
- 7- الخلوقة، بضم الخاء: البلى. وفي الأصل: «خلوقات».
- 8- السدى من الثوب: ما مد منه، وهو خلاف اللحمية.
- 9- من جابر: يريد من قبيلة جابر، و جابر من آباء العجير.
- 10- العذور: السيئ الخلق، القليل الصبر فيما يريده و يهيم به.

فلئن كذبت المنح من مائة *** فلتقبلن بسائغ وخم(1)

إن الندى و الفضل غايتنا *** ونجاتنا و طريق من يحمي

أخبرني عمي قال: حدّثنا الكرايني قال قال الحرمازي: وقف العجير السلولي لبعض الأمراء، وقد علق به غريم له من أهله فقال له:

أتيتك إن الباهلي يسوقني(2) *** بدين و مطلوب الديون رقيق

ثلاثتنا إن يسّر الله: فائر *** بأجر، و معطى حقّه، و عتيق

فأمر بقضاء دينه.

بنت عمه تختار العامري عليه و تزوجه ليساره

وقال ابن الأعرابي: كانت للعجير بنت عمّ و كان يهواها و تهواه، فخطبها إلى أبيها فوعده و قاربه(3). ثم خطبها رجل من بني عامر موسر، فخيرها أبوها بينه و بين العجير، /فاختارت العامريّ ليساره، فقال العجير في ذلك:

ألّمّا على دار لزينب قد أتى *** لها بلوى ذي المرخ صيف و مربع(4)

و قولاً لها قد طالما لم تكلمني *** و راعاك بالعين الفؤاد المروّع

و قولاً لها قال العجير و خصّني *** إليك، و إرسال الخليلين ينفع

أ أنت التي استودعتك السّرّ فانتحي *** لي الخون مراح من القوم أفرع(5)

إذا مت كان الناس نصفين: شامت *** و مثن بما قد كنت أسدي و أصنع(6)

و مستلحم قد صكّه القوم صكّة *** بعيد الموالي نيل ما كان يمنع(7)

رددت له ما أفرط القتل بالضحي *** و بالأمس حتى اقتاله فهو أصلع(8)

و لست بمولاه و لا بابن عمّه *** و لكن متى ما أملك النفع أنفع(9)

ص: 49

1- من مائة: يريد مائة من الإبل. «فلتقبلن» كذا في ط. و في سائر الأصول: «فلتقتلن» و هو تحريف. بسائغ: في ط هكذا: «بسائغ» بإهمال الحرفين الأخيرين، و في سائر الأصول: «بسائغ». الوخم: الذي لا- تحمد مغبته. و في ب و س و ط: «وحم» و لا- وجه له. و في ج: «ضخم».

2- كذا في جميع الأصول. و كتب على هامش ط إشارة إلى نسخة أخرى: «خ استرقني». و استرقني: أدخلني في الرق أي العبودة.

3- قاربه: قرب منه في الرأي و الموافقة.

4- اللوى: منقطع الرمل، يقال: ألويم فأنزّلوا، وذلك إذا بلغوا لوى الرمل. وذو المرخ هنا: واد كثير الشجر قريب من فذك.

5- انتحى: قصد. و الخون: مصدر كالخيانة. و مراح مبالغة من المرح و هو نشاط الروح. و أفرع: له جمّة، وافي الشعر.

6- مثن في ج و الشواهد الكبرى للعيني و «شرح الحماسة»، و في بقية الأصول: «مسد». و رواية البيت في الشواهد: إذا مت كان الناس صنفان: شامت و آخر مثن بالذي كنت أصنع و صنفان خير الناس لا خير «كان».

7- المستلحم: الذي أرهق في القتال و احتوشه العدو. صكه القوم: ضربوه ضربا شديدا. و نيل بالبناء للمجهول. أي نال القوم منه ما كان يمنع، لضعفه.

8- القتل، كذا في ج، و في بقية الأصول «القييل» بالياء بعد القاف. «اقتاله» يقال اقتاله شيئا بشيء: بدّله. و في ج: «اقتاده»، بالبدال قبل الهاء.

9- في ط و شواهد العيني «الضر» في مكان «النفع» و هي أبلغ في المعنى، و بيان ذلك أنه في الحالة التي يستطيع فيها أن يضر ينفع.

تحب العجير إلى امرأة من عامر فانتهبوا ماله، فشكاهم إلى محمد بن مروان

وقال ابن الأعرابي: كان العجير يتحدث إلى امرأة من بني عامر يقال لها جمل فألفها وعلقها. ثم انتجع أهلها نواحي نصيبين، فتبعتها نفسه، فسار إليهم فنزل فيهم مجاوراً(1)، ثم رأوه منازل ملازما محادثة تلك المرأة فنهوه عنها وقالوا: قد رأينا أمرك فإما أن انقطع عنك أو ارتحلت عنّا، أو فأذن بحرب(2). فقال: ما بيني وبينها ما ينكر، وإنما كنت أتحدث إليها كما يتحدث الرجل الكريم إلى المرأة الحرّة الكريمة، فأما الريبة فحاش لله منها. ثم عاود محادثتها؛ فانتهبوا ماله وطرده. فأتى محمد بن مروان بن الحكم وهو يومئذ يتولّى الجزيرة لأخيه عبد الملك بن مروان، فأثاه مستعديا على بني عامر وعلى الذي أخذ ماله خصوصية(3)، وهو رجل من بني كلاب يقال له ابن الحسام، وأنشده قوله:

عفا يافع من أهله فطلوب *** وأقفر لو كان الفؤاد يثوب(4)

وقفت بها من بعد ما حلّ أهلها *** نصيبين والزاقى الدموع طيب

وقد لاح معروف القتير وقد بدت *** بك اليوم من ريب الزمان ندوب(5)

وسالمت روحات المطي وأحمدت *** مناسم منها تشتكي وصلوب(6)

أو ما القلب أم ما ذكره أم صبية *** أريكة منها مسكن فهروب(7)

حصان الحميا حرة حال دونها *** حليل لها شاكي السلاح غضوب(8)

شموس، دنو الفرقدين اقترابها، *** لغى مقاريف الرجال سبب(9)

أحقّا عباد الله أن لست ناظرا *** إلى وجهها إلا عليّ رقيب

عدتني العدا عنها بعيد تساعف *** وما أرتجي منها إليّ قريب(10)

لقد أحسنت جمل لو أن تبعها *** إذا ما أرادت أن تثيب يثيب(11)

تصدّين حتّى يذهب اليأس بالمنى *** وحتّى تكاد النفس عنك تطيب

ص: 50

1- المجاور: الجار ولو من بعد. و المنازل: الذي ينزل بجانب بيتك. و الملازم: الذي لا ينقطع عن البقاء في المنزل الذي يجاور من يهواه.

2- يقال ائذن بهذا الأمر، أي اعلمه.

3- الخصوصية بفتح الخاء و ضمها: اسم من خصه يخصه، أي خاصة.

4- يافع: مكان. و طلوب: علم لقليب عن يمين سميراء في طريق الحاج، طيب الماء قريب الرشاء. عن «معجم البلدان لياقوت». و قال أبو

عبيد البكري: إنه من مياه بني عوف بن عقيل.

- 5- معروف القتير: هو الشيب الذي لا يمكن نكرانه. ولاح: ظهر. و الندوب آثار الجروح على الجلد.
- 6- المراد من سالمت روحت المطي: أنها سلمت من عنائها في الغدو و الرواح. وأحمدت: حمدت وأثنت. و المناسم: جمع منسم بفتح الميم و كسر السين: خف البعير. و الصلوب بضم الصاد كما ورد في الأصول لم يعثر عليه في المعاجم، و هو جمع قياسي للصلب، و الصلب يبدأ من الكاهل إلى أصل الذنب أي المؤخر.
- 7- ما: اسم استفهام. و أم: حرف عطف. و أريكة: اسم جبل بالبادية. و قال الأصمعي أريكة: ماء لبني كعب («معجم البلدان» ج 1 ص 212). و هروب: من قرى صنعاء باليمن.
- 8- الحصان: العفيفة أو المتزوجة. و الحميا: الحوزة و الجانب.
- 9- الشموس: الجامحة. و مقاريف الرجال: المتهمون. و السبب: من السب و الطعن.
- 10- التساعف: الدنو و القرب و الإقبال الشديد.
- 11- التبيع: المولى و الناصر. و تشيب: تعطف.

- هذا البيت يروى لابن الدّمينّة، وهو بشعره أشبه، ولا يشاكل أيضا هذا المعنى ولا هو من طريقه؛ لأنه تشكي في سائر الشعر قومها دونها، وهذا بيت يصف فيه الصّدّ منها، ولكن/هكذا هو في رواية ابن الأعرابي -

وأنت المنى لو كنت تستأنفيننا *** بخير ولكن معتفاك جديب(1)

أ يؤكل مالي وابن مروان شاهد *** ولم يقض لي وابن الحسام قريب

فتى محض أطراف العروق مساور *** جبال العلا طلق اليدين وهوب(2)

فأمر محمّد بن مروان بإحضار ابن الحسام الكلابي فأحضر، فحبسه حتى ردّ مال العجير، وأمر العجير بالانصراف إلى حيّه وترك النزول على المرأة أو في قومها. قال: وقال العجير فيها أيضا:

هاتيك جمل بأرض لا يقربها *** إلا هبلّ من العيدي معتقد(3)

ودونها معشر خزر عيونهم *** لو تخمد النار من حرّ لما خمدوا(4)

عدّوا علينا ذنوبا في زيارتها *** ليحجبوها وفي أخلاقهم نكد(5)

و حال من دونها شكس خلائقه *** كأنه نمر في جلده الرّبد(6)

فليس إلا عويل كلما ذكرت *** أو زفرة طالما أتت بها الكبد

و تيممتي جمل فاستمرّ بها *** شحط من الدار لا أمّ ولا صدد(7)

قالوا غداة استقلت: ما لمقلته *** أ من قذى هملت أم عارها رمد(8)

فقلت لا بل غدت سلمى لطيتها *** فليتهم مثل وجدي بكرة وجدوا(9)

إن كان وصلك أبلى الدّهر جدّته *** وكلّ شيء جديد هالك نفذ(10)

فقد أراني و وجدي إذ تقارني *** يوما كوجد عجوز درعها قدد(11)

تبكي على بطل حمّت منيته *** وكان واطر أعداء به ابتردوا(12)

وقد خلا زمن لو تصرمين له *** وصلي لأيقنت أنّي ميّت كمد(13)

- 1- تستأنفينا: تعودين إينا بخير و تجددين العودة. و المعتفى: الموضع الذي يطلب فيه الحاجة.
- 2- محض أطراف العروق: خالص الأصول طاهرها. و المساور: الموائب. و في بعض الأصول «حبال» بالحاء، أما في ط فبالجيم.
- 3- الهبل: الضخم أو الطويل يقال بكسر الهاء و الباء، و بكسرهما مع فتح الباء. و العيدي: منسوب إلى فحل معروف منجب، و يقال النجائب العيدية. و المعتقد: الموثق الظهر الصبور الشديد الصلب.
- 4- خزر العيون: جمع أخزر، و هو ضيق العين، كناية عن العداوة.
- 5- النكد: الشح و العسر و البخل.
- 6- الشكس: الصعب. الربد: جمع ربة، و هو السواد المنقطع فيه احمرار، أو الغبرة.
- 7- الشحط: البعد. و الأم: القصد. و في الأصول: «أيم». و الصدد: القرب. يريد أن المسافة بعيدة و أنها أرض لا يسهل قطعها.
- 8- هملت: فاضت و دام نزول دمعها. و عارها: أصابها.
- 9- طيتها: وجهها الذي تريده و نيتها التي انتوتها. و الطيبة: الحاجة و الوطر و تكون منزلا منتوى. وجدوا بفتح الجيم: اعتراهم الوجد، و هو الحب الشديد.
- 10- نغد بالتحريك. و في ط بكسر الفاء، و هو: الفاني.
- 11- القدد: القطع، جمع قدة بالكسر.
- 12- حمت: نزلت. و الواتر: المفزع المدرك الأعداء. و ابتردوا، معناه في الأصل: صبوا على أجسامهم الماء أو شربوه، أي أثلجت قلوبهم لموته.
- 13- من الكمد، و هو الحزن الشديد.

أزمان تعجبني جمل وأكتمه *** جملا حياء، وما وجد كما أجد

فقد برئت على أني إذا ذكرت *** ينهلّ دمعي و تحيا غصّة تلد(1)

من عهد سلمى التي هام الفؤاد بها *** أزمان أزمان سلمى طفلة رؤد(2)

قد قلت للكاشح المبدي عداوته *** قد طالما كان منك العشّ والحسد

ألا تبين لي لا زلت تبغضني *** حتّام أنت إذا ما ساعفت ضمّد(3)

وصية عبد الملك لمؤدّب ولده أن يرويههم مثل قول العجير

وقال ابن حبيب: قال عبد الملك لمؤدّب ولده: إذا روّيتهم شعرا فلا ترؤهم إلاّ مثل قول العجير السلولي:

يبين الجار حين يبين عتيّ *** ولم تأنس إليّ كلاب جاري

وتظعن جارتني من جنب بيتي *** ولم تستر بستر من جداري(4)

وتأمن أن أطلع حين آتي *** عليها وهي واضعة الخمار

كذلك هدي آبائي قديما *** توارثه النّجار عن النّجار

فهدي هديهم وهم افتلوني *** كما افتلي العتيق من المهار(5)

وقال ابن حبيب أيضا: نزل العجير بقوم فأكرموه وأطعموه وسقوه، فلما سكر قام إلى جملة فعقره، وأخرج كبده وجبّ سنامه، فجعل يشوى ويأكل ويطعم ويغني:

علّاني إنما الدنيا علل *** واسقياني عللا بعد نهل(6)

وانشلا لي اللحم من قدريكما *** واصبحاني أبعده الله الجمّل(7)

فلما أفاق سأل عن جملة فأخبر ما صنع به، فجعل يبكي ويصيح: واغربتاه! وهم يضحكون منه. ثم أعطوه جملا وزودوه، فانصرف حتّى لحق بقومه.

أخبرني عمّي بهذا الخبر قال: حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدّثنا الحكم بن موسى بن الحسين بن يزيد السلولي قال: حدّثني أبي عن عمّه فقال فيه:

مر العجير بفتيان من قومه يشربون نبيذا لهم فشرّب معهم، و ذكر باقي القصّة نحو ما ذكر ابن حبيب، ولم يقل فيها: - فلما أصبح جعل

يبكي و يصيح: وا غربتاه! - ولكنه قال: فلمّا أصبح ساق قومه إليه ألف بغير مكان بغيره.

ص: 52

- 1- ينهل دمعي: يشتدّ انصبابه. والغصة: ما يعترض في الحلق ويدفع بالماء. قال الشاعر: لو بغير الماء حلقي شرق كنت كالغصان بالماء اعتصاري و تلد بفتح التاء و اللام، و هي لغة في التلاد، و هو القديم.
- 2- الرؤد: الشابة الحسنة. و انظر ما مضى من الكلام على تكرار الظرف في حواشي ص 68.
- 3- الضمد، يقال ضمد فلان على فلان: حقد عليه.
- 4- في ط «حذار» بالحاء بدل الجيم.
- 5- افتلوني، يقال فلا الصبي و المهر فلوا و أفلاه و افتلاه: عزله عن الرضاع و فصله. و افتلته: فطمته أي: فطموني عن جهل الصبا و عقلت. و العتيق: الفرس الرائع الكريم. و المهيار، بكسر الميم: جمع مهر بالضم، و هو ولد الفرس.
- 6- عللاني: أشغلاني بطعام و حديث و نحوهما. و العلل: الشرب الثاني. و النهل: الشرب الأوّل.
- 7- انشلاه: أخرجاه باليد من غير مغرفة. اصبحاني: اسقياني الصبوح من لبن النوق.

سليمان بن عبد الملك يعجب بشعر العجير و يأمر له بثلاثين ألفا ردها على قومه و وهبها لهم

أخبرني عمي و حبيب بن نصر المهلبيّ قالاً: حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدّثني الحكم بن موسى بن الحسين السلولي قال: حدّثني أبي عن عمه قال: عرض العجير لسليمان بن عبد الله و هو في الطواف، و على العجير بردان يساويان مائة و خمسين ديناراً، فانقطع شسع (1) نعله فأخذها بيده، ثم هتف بسليمان فقال:

و دلّيت دلوي في دلاء كثيرة *** إليك فكان الماء ريان معلما (2)

فوقف سليمان ثم قال: لله درّه ما أفصحه، و الله ما رضي أن قال ريان حتى قال معلما، و الله إنه ليخيّل إليّ أنه العجير، و ما رأيته قط إلا عند عبد الملك. فقيل له: هو العجير. فأرسل إليه: أن صر إلينا إذا حللنا. فصار إليه، فأمر له بثلاثين ألفاً و بصدقات قومه، فردّها العجير عليهم و وهبها لهم.

رثاء العجير لابن عمه

إشارة

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال: حدّثني هارون بن موسى الفروي (3) قال: كان ابن عم للعجير السلولي إذا سمع بأضياف عند العجير لم يدعهم حتى يأتي بجزور كوما (4)، فيطعن في لبّتها عند بيته، فيبيتون في شواء و قدير (5)، ثم مات، فقال العجير يرثيه:

تركنا أبا الأضياف في ليلة الصّبا *** بمرّ و مردي كل خصم يجادله (6)

و ارعيه سمعي كلّما ذكر الأسي *** و في الصّدر مني لوعة ما تزيله

و كنت أعير الدّمع قبلك من بكى *** فأنت على من مات بعدك شاغله

هكذا ذكر هارون بن موسى في هذا الخبر، و البيت الثالث من هذه الأبيات للشّمردل بن شريك لا يشكّ فيه، من قصيدة له طويلة. فيه غناء قد ذكرته في أخباره.

صوت

فتاة كأن رضاب العبير *** بفيها يعلّ (7) به الزنجبيل

قتلت أباه على حبّها *** فتبخل إن بخلت أو تبيل

الشعر لخزيمة بن نهد، و الغناء لطويس. خفيف رمل بالبصرة عن يحيى المكيّ.

- 1- الشسع: قبال النعل، و القيال ككتاب: زمام بين الإصبع الوسطى و التي تليها.
- 2- الريان: الكثير. المعلم: ما فيه علامة، أراد أنه مشهور معروف.
- 3- الفروي: نسبة إلى جد له يقال له «أبو فروة».
- 4- الكوماء: الناقة العظيمة السنام.
- 5- القدير: ما يطبخ في القدر.
- 6- مر، بفتح الميم: مائة لبني أسد مات بها جابر بن زيد، و هو ابن عم العجير. انظر «معجم البلدان» (مر) حيث أنشد المرثية. و في بعض الأصول: «بصر» تحريف. و مردى الخصومة و الحرب: الصبور عليهما.
- 7- يعل به: يخلط.

أخبار خزيمة و نسبه

هو خزيمة بن نهد بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة. شاعر مقل من قدماء الشعراء في الجاهلية. و فاطمة التي عنها في شعره هذا: فاطمة بنت يذكر بن عنزه بن أسد بن ربيعة بن نزار، كان يهاوها فخطبها من أبيها فلم يزوجه إياها، فقتله غيلة. و إياها عني بقوله:

إذا الجوزاء أردفت الثريا *** ظننت بآل فاطمة الظنونا(1)

خزيمة يشب بفاطمة بنت يذكر بن عنزة

أخبرني بخبره محمد بن خلف وكيع قال: حدثنا عبيد الله بن سعد الزبيري قال: حدثني عمي قال حدثني أبي - أظنه عن الزهري - قال: كان بدء تفرق بني إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام عن تهامة و نزوعهم عنها إلى الآفاق، و خروج من خرج منهم عن نسبه، أنه كان أول من ظعن عنها و أخرج منها قضاعة بن معد. و كان سبب خروجهم أن خزيمة بن نهد بن زيد بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة بن معد كان مشنوما فاسدا، متعرضا للنساء، فعلق فاطمة بنت يذكر بن عنزة - و اسم يذكر عامر - فشبب بها و قال فيها:

إذا الجوزاء أردفت الثريا *** ظننت بآل فاطمة الظنونا

و حالت دون ذلك من همومي *** هموم تخرج الشجن الدفينا/

أرى ابنة يذكر ظعنت، فحلّت *** جنوب الحزن يا شحطا مبينا(2)

مقتل يذكر بن عنزة و إشعاله الشربين قضاعة و نزار

قال: فمكث زمانا، ثم إن خزيمة بن نهد قال ليذكر بن عنزة: أحب أن تخرج معي حتى نأتي بقرظ. فخرجا جميعا، فلما خلا خزيمة بن نهد بيذكر بن عنزة قتله، فلما رجع - و ليس هو معه - سأله عنه أهله، فقال: لست أدري، فارقني و ما أدري أين سلك. فكان في ذلك شر بين قضاعة و نزار ابني معد، و تكلموا فيه فأكثروا، و لم يصح على خزيمة عندهم شيء يطالبون به، حتى قال خزيمة بن نهد:

فتاة كأن رضاب العبير *** فيها يعلّ به الزنجبيل(3)

قتلت أباهما على حبّها *** فتبخل إن بخلت أو تنيل

ص: 54

1- الجوزاء: برج في السماء. أردفت الثريا: ردفها و تلتها، و ذلك يكون في شدة الحر فتكبد السماء في آخر الليل، و عند ذلك تنقطع المياه و تجف و يتفرق الناس في طلبها. و ظنه محتمل أمرين: أن تكون مجاورة له، فهي حينئذ تفارقه مع أهلها لطلب الماء. و قد تكون في موطن آخر، فهو متوقع أن يجمع بينهما ماء من المياه. انظر «الأزمنة و الأمكنة» (2: 130-131).

2- ظعننت: رحلت. و الحزن: ما غلظ من الأرض. و الشحط الممين: البعد الفني.

3- بهامش ط: «العصير».

فلما قال هذين البيتين تثار الحَيان فافتتلوا وصاروا أحزابا، فكانت نزار بن معد و هي يومئذ تنتسب فتقول كندة بن جنادة بن معد. و حاء و هم يومئذ ينتمون فيقولون حاء بن عمرو بن أدّ بن أدد. و كانت قضاة تنتسب إلى معد، وعك يومئذ تنتمي إلى عدنان فتقول: عك عدنان بن أدّ، و الأشعريون ينتمون إلى الأشعر بن أدد. و كانوا يتبدون(1) من تهامة إلى الشام، و كانت منازلهم بالصَّفاح، و كان مرّ و عسفان لربيعة بن نزار، و كانت قضاة بين مكة و الطائف، و كانت كندة تسكن من الغمر إلى ذات عرق، فهو إلى اليوم يسمى غمر كندة. و إياه يعني عمر بن أبي ربيعة بقوله:

/

إذا سلكت غمر ذي كندة *** مع الصبح قصد لها الفرق(2)

هنالك إما تعزى الهوى *** و إما على إثرهم تكمد(3)

و كانت منازل حاء بن عمرو بن أدد، و الأشعر بن أدد، و عكّ بن عدنان بن أدد، فيما بين جدّة إلى البحر.

القارظان

قال: فيذكر بن عنزة أحد القارظين(4) اللذين قال فيهما الهذلي:

/

و حتّى يثوب القارظان كلاهما *** و ينشر في القتلى كليب لوائل

و الآخر من عنزة، يقال له أبو رهم، خرج يجمع القرظ فلم يرجع و لم يعرف له خبر.

انهزام قضاة و قتل خزيمة بن نهد

قال: فلما ظهرت نزار(5) على أن خزيمة بن نهد قتل يذكر بن عنزة قاتلوا قضاة أشدّ قتال، فهزمت قضاة و قتل خزيمة بن نهد و خرجت قضاة متفرقين، فسارت تيم اللات بن أسد بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاة، و فرقة من بني ربيعة بن ثور بن كلب بن وبرة، و فرقة من الأشعريين، نحو البحرين حتى وردوا هجر، و بها يومئذ قوم من النبط، فنزلت عليهم هذه البطون فأجلتهم، فقال في ذلك مالك بن زهير:

نزعنا من تهامة أيّ حيّ *** فلم تحفل بذلك بنو نزار

و لم أك من أنيسكم و لكن *** شربنا دار أنسة بدار

الزرقاء بنت زهير تتحدّث بقول الكهان في الرحيل و النزول بأرض عبقر

/فلما نزلوا هجر قالوا للزرقاء بنت زهير - و كانت كاهنة - ما تقولين يا زرقاء؟ قالت: «سعف(6) و إهان، و تمر و ألبان، خير من الهوان». ثم

أنشأت تقول:

ودّع تهامة لا وداع مخالق *** بدمامه لكن قلى و ملام (7)

لا تنكري هجرا مقام غريبة *** لن تعدمي من ظاعنين تهام (8)

ص: 55

-
- 1- يتبدون: ينزلون البادية.
 - 2- وفي «ديوان عمر بن أبي ربيعة» طبع أوربا «قصدي» بالرفع، وفي «معجم البلدان» بالنصب.
 - 3- في «معجم البلدان» و «ديوان عمر بن أبي ربيعة»: «الفؤاد» بدل «الهوى».
 - 4- القرظ محرّكة: ورق السلم أو ثمر السنط. والقارظ: مجتنبه.
 - 5- ظهر على الشيء: عرفه.
 - 6- الإهان: العرجون.
 - 7- المخالق: الذي يعاشر الناس على أخلاقهم.
 - 8- لا تكرهي المقام الجديد الغريب في هجر فستجدين معك مسافرين من تهامة.

فقالوا لها: فما ترين يا زرقاء؟ فقالت: «مقام و تنوخ، ما ولد مولود و أنقفت (1) فروخ (2)، إلى أن يجيء غراب أبقع، أصمغ (3) أنزع (4)، عليه خلخالا ذهب، فطار فألهب (5)، و نغق فنعب، يقع على النخلة السحوق (6)، بين الدور و الطريق، فسيروا على و وتيرة، ثم الحيرة الحيرة!». فسميت تلك القبائل تنوخ لقول الزرقاء: «مقام و تنوخ». و لحق بهم قوم من الأزد فصاروا إلى الآن في تنوخ، و لحق سائر قضاة موت ذريع؛ و خرجت فرقة من بني حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة يقال لهم: بنو تزييد، فنزلوا عبقر من أرض الجزيرة، فنسج نساؤهم الصوف و عملوا منه الزرابي (7)؛ فهي التي يقال لها العبقرية، و عملوا البرود التي يقال لها التريديّة (8). و أغارت عليهم الترك، فأصابتهم، و سبت منهم. فذلك قول عمرو بن مالك:

ألا لله ليل لم نمه *** على ذات الخضاب مجنينا (9)

و ليلتنا بآمد لم نمها *** كليلتنا بميفارقينا (10)

بهراء تلحق بالبرك و تهزمهم

و أقبل الحارث بن قراد البهراني ليعيث في بني حلوان، فعرض له أباغ بن سليح صاحب العين (11)، فاقتتلا، فقتل أباغ، و مضت بهراء حتى لحقوا بالترك، فهزموهم و استنقذوا ما في أيديهم من بني تزييد. فقال الحارث بن قراد في ذلك:

كان الدهر جمّع في ليل *** ثلاث بتهن بشهرزور (12)

صففنا للأعاجم من معدّ *** صفوفا بالجزيرة كالسّعير

سليح بن عمرو و نزولها ناحية فلسطين

إشارة

و سارت سليح بن عمرو بن الحاف بن قضاعة يقودها الحدرجان بن سلمة حتى نزلوا ناحية فلسطين على بني أذينة بن السّميدع من عاملة. و سارت أسلم بن الحاف و هي عذرة و نهد و حوتكة و جهينة و الحارث بن سعد، حتى نزلوا من الحجر إلى وادي القرى، و نزلت تنوخ/بالبحرين سنتين. ثم أقبل غراب في رجليه حلقتا ذهب و هم في مجلسهم، فسقط على نخلة في الطريق، فينعق نعقات ثم طار؛ فذكروا قول الزرقاء، فارتحلوا حتّى نزلوا الحيرة.

ص: 56

1- أنقفت فروخ، بالنون و القاف: ثقبت بيضها و خرجت.

2- الفروخ: جمع فرخ: و هو ولد الطير.

3- الأصمغ: صغير الأذن.

4- الأبرع: منحسر الشعر من جانبي الجبهة.

5- ألهب: اشتدّ في طيرانه كما يلهب الفرس في عدوه.

6- السحوق: الطويلة.

7- الزرابي: الوسائد والبسط، أو كل ما اتكى عليه.

8- في ط «الزيدية» وهو تحريف.

9- المجنبون: الذين انقطعت ألبان إبلهم.

10- ميافارقين بفتح أوله و تشديد ثانيه: أشهر مدينة بديار بكر.

11- أي العين المشهورة بعين أباغ.

12- شهرزور: معنى شهر بالفارسية: المدينة. قال مسعر بن مهلهل الأديب: شهرزور: مدينتان وقرى فيها مدينة كبيرة، و هي قصبتهما في وقتنا هذا يقال لها نيم أزراي. و من طريق ما ورد فيها قول أبي محمد جعفر بن أحمد السراج: وعدت بأن تزوري بعد شهر فزوري قد تقضي الشهرزوري و موعد بيننا نهر المعلى إلى البلد المسمى شهرزور فأشهر صدك المحتوم حق و لكن شهر وصلك شهرزور

فهم أول من اختطها(1): منهم مالك بن زهير. واجتمع إليهم لما ابتنوا بها المنازل ناس كثير من سقاط(2) القرى، فأقاموا بها زمانا؛ ثم أغار عليهم سابور(3) الأكبر، فقاتلوه فكان شعارهم يومئذ: يا آل عباد الله! /فسموا العباد، و هزمهم سابور، فصار معظمهم و من فيه نهوض إلى الحضرم من الجزيرة يقودهم الصّيزن بن معاوية التّونخي، فمضى حتّى نزل الحضرم و هو بناء بناه الساطرون(4) الجرمقاني، فأقاموا به، و أغارت حمير على بقية قضاعة، فخيروهم بين أن يقيموا على خراج يدفعونه إليهم أو يخرجوا عنهم، فخرجوا عنهم، فخرجوا - و هم كلب، و جرم و العلاف، و هم بنو زبّان بن تغلب بن حلوان، و هو أول من عمل الرّحال العلافية، - و علاف لقب زبّان - فلحقوا بالشام، فأغارت عليهم بنو كنانة بن خزيمة بعد ذلك بدهر، فقتلوا منهم مقتلة عظيمة، و انهزموا(5) فلحقوا بالسماوة، فهي منازلهم إلى اليوم.

صوت

إني امرؤ كَفّني ربي و نزهني *** عن الأمور التي في غِبتها و خم(6)

و إنما أنا إنسان أعيش كما *** عاش الرجال و عاشت قبلي الأمم

الشعر للمغيرة بن حبياء، من قصيدة مدح بها المهلب بن أبي صفرة، و الغناء لأبي العبيس بن حمدون، ثقيل أول بالبنصر، و هو من مشهور أغانيه و جيدها.

ص: 57

1- اختطها: وضع أساسها.

2- السقاط بضم السين المشدّدة: جمع ساقط، و هو النازل على القوم. و في «اللسان»: «يقال سقط إليّ قوم: نزلوا علي».

3- سابور: ملك من ملوك الفرس.

4- الساطرون: ملك من ملوك العجم قتله سابور ذو الأكتاف، و سمي بذلك لأنه كان يخلع أكتاف الأسرى.

5- السماوة: موضع بين الكوفة و الشام.

6- الوخم: الضار الذي لا يوافق.

إشارة

المغيرة بن حبناء بن عمرو بن ربيعة بن أسيد بن عبد عوف بن ربيعة بن عامر بن ربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم. و حبناء لقب غلب على أبيه واسمه جبير بن عمرو، ولقب بذلك لحبن(1) كان أصابه. و هو شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية، وأبوه حبناء بن عمرو وشاعر، وأخوه صخر بن حبناء شاعر، وكان يهاجيه، ولهما قصائد يتناقضانها كثيرة، سأذكر منها طرفا. وكان قد هاجى زيادا الأعجم فآكثر كل واحد منهما على صاحبه وأفحش، ولم يغلب أحد منهما صاحبه، كانا متكافئين في مهاجتهما ينتصف كل واحد منهما من صاحبه.

مديحة لطلحة الطلحات

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال: أخبرني عبيد الله بن محمد بن عبد الملك الزيات قال: حدثني الحسن بن جهور عن الحرمازي قال: قدم المغيرة بن حبناء على طلحة الطلحات الخزاعي ثم المليحي، أحد بني مليح، فأنشده قوله فيه:

لقد كنت أسعى في هواك وأبتغي *** رضاك وأرجو منك ما لست لاقيا

و أبدل نفسي في مواطن غيرها *** أحب، وأعصي في هواك الأدانيا

حفاظا و تمسيكا لما كان بيننا *** لتجزيني ما لا إخالك جازيا(2)

رأيتك ما تنفك منك رغبة *** تقصّر دوني أو تحلّ ورائيا(3)

أراني إذا استمطرت منك رغبة *** لتمطرنى عجاجا و سافيا(4)

// أو أدليت دلوي في دلاء كثيرة *** فأبن ملاء غير دلوي كما هيا

أو لست بلاق ذا حفاظ و نجدة *** من القوم حرا بالخسيصة راضيا

فإن تدن مني تدن منك مودتي *** وإن تنأ عني تلفني عنك نائيا

قال: فلما أنشده هذا الشعر، قال له: أ ما كنا أعطيناك شيئا؟ قال: لا. فأمر طلحة خازنه فأخرج درجا فيه حجارة ياقوت، فقال له: اختر حجرتين من هذه الأحجار أو أربعين ألف درهم. فقال: ما كنت لأختار حجارة على أربعين ألف درهم! فأمر له بالمال. فلما قبضه سأله حجرا منها، فوهبه له، فباعه بعشرين ألف درهم. ثم مدحه، فقال:

أرى الناس قد ملّوا الفعال ولا أرى *** بني خلف إلا رواء الموارد(5)

- 1- الحبن: ورم في البطن.
- 2- التمسك: الصيانة.
- 3- تقصر دوني: لا تصل إلي.
- 4- استمطرت رغبة: طلبت. والرغبة: ما يرغب فيه. والعجاج: الغبار. والساقى: الريح التي تحمل التراب، أو الغبار نفسه.
- 5- الرواء: من الري. والرواء بفتح الراء: الماء العذب.

إذا نفعوا عادوا لمن ينفعونه *** و كائن ترى من نافع غير عائد(1)

إذا ما انجلت عنهم غمامة غمرة *** من الموت أجلت عن كرام مذاود(2)

تسود غطاريف(3) الملوك ملوكهم *** و ماجدهم يعلو على كل ماجد

مديحة للمهلب بن أبي صفرة

أخبرني هاشم بن محمّد قال حدّثنا المغيرة بن محمّد المهلب عن رواية باهلة، أن المهلب بن أبي صفرة لما هزم قطريّ بن الفجاءة بسابور(4) جلس للناس، فدخل إليه وجوههم يهنئونه وقامت الخطباء فأثنت عليه ومدحته الشعراء، ثم قام المغيرة بن حبناء في أخرياتهم فأنشده:

حال الشّجا دون طعم العيش و السهر *** و اعتاد عينك من إيمانها الدّرر(5)

و استحقبتك(6) أمور كنت تكرهها *** لو كان ينفع منها النّأي و الحذر

و في الموارد للأقوام تهلكة *** إذا الموارد لم يعلم لها صدر(7)

ليس العزيز بمن تغشى محارمه *** و لا الكريم بمن يجفى و يحتقر

حتى انتهى إلى قوله:

أمسى العباد بشرّ لا غياث لهم *** إلا المهلب بعد الله و المطر

كلاهما طيّب ترجى نوافله *** مبارك سيبه يرجى و ينتظر(8)

لا يجمدان عليهم عند جهدهم *** كلاهما نافع فيهم إذا افتقروا(9)

هذا يزود و يحمي عن ذمارهم *** و ذا يعيش به الأنعام و الشّجر(10)

و استسلم الناس إذ حلّ العدو بهم *** فلا ريبعتهم ترجى و لا مضر

و أنت رأس لأهل الدين منتخب *** و الرأس فيه يكون السمع و البصر

إن المهلب في الأيام فضّله *** على منازل أقوام إذا ذكروا

حزم و جود و أيام له سلفت *** فيها يعدّ جسيم الأمر و الخطر

ماض على الهول ما ينفكّ مرتحلا *** أسباب معضلة يعيا بها البشر(11)

- 1- و كائن: بمعنى كم، أي كثير. هؤلاء القوم يكررون النفع و يعودون و غيرهم ينفع مرة واحدة.
- 2- الغمرة: الشدة. و المذاود: جمع مذود و هو الكثير الذود و الدفع عن العشيعة.
- 3- الغطاريف: جمع غطريف: و هو السيد الشريف و السخي السري.
- 4- سابور: كورة مشهورة بأرض فارس.
- 5- الدرر: جمع درة بالكسر. هي كثرة اللبن، و المراد هنا انسكاب الدموع بغزارة.
- 6- استحققتك: ادخرتك.
- 7- الموارد: جمع مورد، و موارد الأمور: مداخلها. يقول: من لم يعرف عاقبة أمره الذي دخل فيه هلك.
- 8- السيب: العطاء.
- 9- لا يجمدان: لا يبخلان.
- 10- الذمار بكسر الهمزة: ما يلزمك حفظه و حمايته.
- 11- مرتحلا: راكبا، أي هو يركب المعضلات من الأمور حتى يذلها و ييسرها.

شهاب حرب إذا حلّت بساحته *** يخزي به الله أقواما إذا غدروا

تزيده الحرب والأهوال إن حضرت *** حزما وعزما ويجلو وجهه السفر

ما إن يزال على أرجاء مظلمة *** لو لا يكفكفها عن مصرهم دمروا(1)

سهل إليهم حلیم عن مجاهلهم *** كأنما بينهم عثمان أو عمر

كهف يلوذون من ذلّ الحياة به *** إذا تكفّفهم(2) من هولها ضرر

أمن لخائفهم فيض لسائلهم *** ينتاب نائله البادون والحضر

فلما أتى على آخرها قال المهلب: هذا والله الشّعر، لا ما نعللّ به، وأمر له بعشرة آلاف درهم و فرس جواد، وزاده في عطائه خمسمائة درهم.

والقصيدة التي منها البيتان اللذان فيهما الغناء المذكور بذكره أخبار المغيرة، من قصيدة له مدح بها المهلب بن أبي صفرة أيضا. وأولها:

أمن رسوم ديار هاجك القدم *** أقوت وأقفر منها الطّفّ والعلم(3)

وما يهيجك من أطلال منزلة *** عقى معالمها الأرواح والديم(4)

بسّ الخليفة من جار تضنّ به *** إذا طربت أئافي القدر والحمم(5)

دار التي كاد قلبي أن يجنّ بها *** إذا ألم به من ذكرها لمم(6)

إذا تذكرها قلبي تضنيّه *** همّ تضيق به الأحشاء والكظم(7)

أو البين حين يروع القلب طائفه *** يبدي ويظهر منهم بعض ما كتموا

إني امرؤ كفني ربي وأكرمني *** عن الأمور التي في غبّها وخم(8)

وإنما أنا إنسان أعيش كما *** عاش الرجال وعاشت قلبي الأمم

سبب قوله قصيدة الصوت

وهي قصيدة طويلة، وكان سبب قوله إياها أنّ المهلب كان أنفذ بعض بنيه في جيش لقتال الأزارقة، وقد شدّت منهم طائفة تغير على نواحي الأهواز، وهو مقيم يومئذ بسابور، وكان فيهم المغيرة بن حبناء، فلما طال مقامه واستقر الجيش لحق بأهله، فألّم بهم وأقام عندهم شهرا، ثم عاود وقد قفل الجيش إلى المهلب فقبل له: إن الكتاب خطّوا على اسمه، وكتب إلى المهلب أنه عصى وفارق مكتبه بغير إذن،

فمضى إلى المهلب، فلما لقيه أنشده هذه القصيدة و اعتذر إليه فعذره، و أمر بإطلاق عطاءه و إزالة العتب عنه، و فيها يقول يذكر قدومه إلى أهله بغير إذن:

ص: 60

- 1- يكفكفها: يردھا. دمروا: هلکوا.
- 2- يلوذون: يلجئون. تكتفهم و اكتنفهم: أحاط بهم.
- 3- الرسوم: الآثار أو بقيتها. أقوت: خلت و أقفرت. و الطف و العلم: موضعان. الأرواح: الرياح.
- 4- الديم جمع ديمة بكسر الدال: مطر يدوم في سكون بلا رعد و برق، أو يدوم خمسة أيام.
- 5- الخليفة هنا: الخلف و البدل. الأثافي: جمع أثفية بضم أوله و كسر ثانيه و تشديد ثالثه: الحجارة الثلاثة التي توضع عليها القدر. و الحمم بضم الحاء و احدته حممة: الفحم.
- 6- ألم به: نزل به. و اللمم: الجنون.
- 7- الكظم: مخرج النفس.
- 8- غبها: عاقبة فعلها. و الوخم: المكروه.

- ما عاقني عن ققول الجند إذ قفلوا *** عي بما صنعوا حولي ولا صمم
 ولو أردت قفولا ما تجهمني *** إذن الأمير ولا الكتاب إذ رقموا(1)
 إني ليعرفني راعي سريرهم *** والمحدجون إذا ما ابتلت الحزم(2)
 والطالبون إلى السلطان حاجتهم *** إذا جفا عنهم السلطان أو كزموا(3)
 فسوف تبلغك الأنباء إن سلمت *** لك الشوايحج و الأنفاس و الأدم(4)
 إن المهلب إن أشتق لرؤيته *** أو امتدحه فإن الناس قد علموا
 إن الكريم من الأقوام قد علموا *** أبو سعيد إذا ما عدت التعم
 والقائل الفاعل الميمون طاره *** ابو سعيد و إن أعداؤه رغموا
 /كم قد شهدت كراما من مواطنه *** ليست بغيب و لا تقوالهم زعموا(5)
 أيام أيام إذ عض الزمان بهم *** و إذ تمنى رجال أنهم هزموا(6)
 /و إذ يقولون: ليت الله يهلكهم *** و الله يعلم لو زلت بهم قدم
 أيام سابور إذ ضاعت رباعتهم *** لولاه ما أوطنوا دارا و لا انتقموا(7)
 إذ ليس شيء من الدنيا نصول به *** إلا المغافر و الأبدان و اللجم(8)
 و عاترات من الخطي محصدة *** نفضي بهن إليهم ثم ندعم(9)

سب التهاجي بين زياد الأعجم و المغيرة بن حبناء

هكذا ذكر عمرو بن أبي عمرو والشيباني في خبر هذه القصيدة، ونسخت من كتابه. و ذكر أيضا في هذا الكتاب أن سب التهاجي بين زياد الأعجم و المغيرة بن حبناء، أن زيادا الأعجم و المغيرة بن حبناء و كعبا الأشقر، اجتمعوا عند المهلب و قد مدحوه، فأمر لهم بجوائز و فضل زيادا عليهم، و وهب له غلاما فصيحاً ينشد شعره، لأن زيادا كان أكن لا يفصح، فكان راويته ينشد عنه ما يقوله، فيتكلف له مئونة و يجعل له سهما في صلته، فسأل المهلب يومئذ أن يهب له غلاما كان له يعرفه زياد بالفصاحة و الأدب، فوهبه له، فنفسوا عليه ما فضل به؛ فانتدب(10) له/المغيرة من بينهم، فقال للمهلب: أصلح الله الأمير، ما السبب في تفضيل الأمير زيادا علينا؟ فوالله ما يغني غناءنا - في

2- المحدجون: الذين يشدون الأحداج على الإبل.

3- كزموا: هابوا.

4- الشواحج: البغال. و الأدم جمع أدماء و آدم، و ضم داله للشعر. و الأدماء: الناقة أشرب لونها سوادا أو بياضا.

5- و لا تقوالهم زعموا: القول المزعوم زورا و بهتاناً.

6- انظر ما سبق من الكلام على تكرير الظروف في ص 68.

7- رباعتهم: أمرهم الذي كانوا عليه. و أوطنوا دارا: اتخذوها دار إقامة.

8- المغافر جمع مغفر: الزرد من الدرع يلبس تحت القلنسوة، أو حلق يتقنع بها المتسلح، و الأبدان جمع بدن بالتحريك: الدرع القصيرة.

9- العاترات: المضطربات للبنها. و الخطي: الرمح المنسوب إلى الخط بلد على سيف البحرين بكسر السين، و موضع في عمان. و كانت

الرماح تجلب إلى هذه المواضع فتقوم و تصقل ثم تباع. و المحصدة: بضم الميم وفتح الصاد: المحكمة الصنعة. و ندعم: نتكى عليها و نأخذها دعامة.

10- انتدب له: مطاوع ندبه للأمر: دعاه و وجهه إليه.

الحرب، ولا هو بأفضلنا شعباً، ولا أصدقنا وداً، ولا أشرفنا أباً، ولا أفصحنا لساناً! فقال له المهلب: أما إني والله ما جهلت شيئاً مما قلت، وإن الأمر فيكم عندي لمتساو، ولكنّ زيادا يكرم لسنته وشعره وموضعه من قومه، وكلّكم كذلك عندي، وما فضلته بما ينفس (1) به، وأنا أعوِّضكم بعد هذا بما يزيد على ما فضلته به. فانصرف، وبلغ زيادا ما كان منه، فقال يهجو:

أرى كلّ قوم ينسل اللؤم عندهم *** ولوم بني حبناء ليس بناسل (2)

يشبّ مع المولود مثل شبابه *** ويلقاه مولوداً بأيدي القوابل

ويرضعه من ثدي أمّ لثيمة *** ويخلق من ماء امرئ غير طائل (3)

تعالوا فعدّوا في الزمان الذي مضى، *** وكل أناس مجدهم بالأوائل

لكم بفعال يعرف الناس فضله *** إذا ذكر الأملاء عند الفضائل (4)

فغازيكم في الجيش الأم من غزا *** وقافلکم في الناس الأم قافل (5)

وما أنتم من مالك غير أنكم *** كمغرورة بالبؤ في ظل باطل (6)

بنو مالك زهر الوجوه وأنتم *** تبين ضاحي لومكم في الجحافل (7)

يعني برصا كان بالمغيرة بن حبناء.

/أخبرني عبيد الله بن محمد الرازي قال: حدّثنا أحمد بن الحارث الخراز قال: حدّثني المدائني قال:

عبر زياد الأعجم المغيرة بن حبناء في مجلس المهلب بالبرص، فقال له المغيرة إن عتاق الخيل لا تشينها الأوضاح (8)، ولا تعير بالغرر و الحجول، وقد قال صاحبنا بلعاء بن قيس لرجل عبّره بالبرص: «إنما أنا سيف الله جلاه واستلّه على أعدائه» فهل تغني يا ابن العجماء غنائي، أو تقوم مقامي؟ ثم نشب الهجاء بينهما.

نسخت من نسخة ابن الأعرابي، قال: كان المغيرة بن حبناء يوماً يأكل مع المفضل بن المهلب، فقال له المفضل:

فلم أر مثل الحنظليّ ولونه *** أكيل كرام أو جليس أمير

فرفع المغيرة يده وقام مغضباً، ثم قال له:

إني امرؤ حنظليّ حين تسبني *** لام (9) العتيك ولا أخوالي العوق (10)

- العوق من يشكر، وكانوا أخوال المفضل -

- 1- ينفس به: يحسد عليه.
- 2- ينسل: من قولهم نسل ريش الطائر: سقط.
- 3- يقال للخسيس الدون: ما هو بطائل.
- 4- الأملاء: جمع ملاء، وهم الأشراف الذين يملئون العين.
- 5- القافل: الراجع، وسميت القافلة وهي ذاهبة قافلة تيمنا برجوعها.
- 6- كمغورة بالبو: أي مخدوعة بالجلد الذي يحشى تبنا فتحن له. والمراد أن هذه القبيلة تنوهم أن نسبها إلى مالك نسب حقيقي.
- 7- أراد بالجحافل الشفاه، جمع جحفلة. وأصل الجحفلة للخيل والحمر والبغال.
- 8- الأوضاح: جمع وضح: التحجيل في القوائم بالبياض.
- 9- لام العتيك: لا من العتيك. انظر «الحيوان» (5:165).
- 10- العتيك والعوق: قبيلتان.

لا تحسبنّ بياضاً فيّ منقصة *** إن اللّهاميم(1) في ألوانها بلق

و بلغ المهلّب ما جرى، فتناول المفضل بلسانه و شتمه، وقال: أردت أن يتمصّغ هذا أعراضنا، ما حملك على أن أسمعته ما كره بعد مواكلتك إياه؟ أما إن كنت تعافه فاجتنبه أو لا تؤذه. ثم بعث إليه بعشرة آلاف درهم، و استصفحه عن المفضل، و اعتذر إليه عنه، فقبل رفته و عذره، و انقطع بعد ذلك عن مواكلة أحد منهم. / - رجع الخبر إلى سياقته مع زياد و المغيرة - فقال المغيرة يجيب زيادا:

مناقضات زياد الأعجم و المغيرة بن حبناء

أزياد إنك و الذي أنا عبده *** ما دون آدم من أب لك يعلم

فالحق بأرضك يا زياد و لا ترم *** ما لا تطيق و أنت عالج(2) أعجم

أظننت لؤمك يا زياد يسده *** قوس سترت بها قفاك و أسهم

عالج تعصّب ثم راق بقوسه(3) *** و العالج تعرفه إذا يتعمّم

ألقي العصابة يا زياد فإنما *** أخزأك ربّي إذ غدوت ترّم

و اعلم بأنك لست منّي ناجيا *** إلا و أنت بيظّر(4) أمك ملجم

تهجو الكرام و أنت الأم من مشى *** حسبا و أنت العالج حين تكلم

و لقد سألت بني نزار كلّهم *** و العالمين من الكهول فأقسموا

بالله مالك في معدّ كلّها *** حسب و إنك يا زياد مؤذّم(5)

فقال زياد يجيبه:

ألم تر أنّني و ترّرت قوسي *** لأبقع من كلاب بني تميم

عوى فرميته بسهام موت *** كذاك يردّ ذو الحمق اللثيم(6)

و كنت إذا غمزت قناة قوم *** كسرت كعوبها أو تستقيم(7)

اهم الحشو القليل لكل حيّ *** و هم تبع كزائدة الظليم(8)

ص: 63

- 2- العليج: الرجل من كفار العجم.
- 3- راق بقوسه أي ظن أنه راق بها، أي زاد فضلاً.
- 4- البظر: هنة بين أسكتي الفرج.
- 5- الموذم بضم الميم و تشديد الذال: المقطع. و كلب موذم: جعلت في عنقه قلادة.
- 6- بالبناء للمجهول. في ج «تردد الحمق».
- 7- غمزت: عضضت. و قد نصب سيبويه يستقيم بأو و كذلك جميع البصريين. و الحجة لسيبويه في هذا أنه سمع من العرب من ينشد هذا البيت بالنصب. و بالرفع يكون فيه إقواء. و يقال أقوى في الشعر: خالف بين قوافيه برفع بيت و جر آخر. و قلت قصيدة لهم بلا إقواء. و أما الإقواء بالنصب فقليل (راجع «اللسان»). و الإقواء يغلب على هذه القصيدة. و المعنى إذا اشتدّ على جانب قوم رمت تليينه لإضعافه أو يستقيم. و قد قيل: إنه هجا قوما زعم أنه أثارهم بالهجاء و هددهم إلا أن يتركوا سبه و هجاءه.
- 8- الظليم: ذكر النعام. زائدة الظليم: هنة وراء الظلف، أو شبه أظفار الغنم في الرسغ في كل قائمة زائدتان كأنما خلقتا من قطع القرون، و الشعرات المدلاة مؤخر رجل الشاة و الطبي و الأرنب.

فلمست بسابقي هرما و لما *** يمرّ على نواجذك القدوم(1)

فحاول كيف تنجو من وقاعي *** فإنّك بعد ثالثة رميم(2)

سراتكم الكلاب البقع فيكم *** للؤمكم و ليس لكم كريم

فقد قدمت عبودتكم و دتمم *** على الفحشاء و الطبع اللئيم(3)

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي قال: حدّثنا عمر بن شبة قال: حدّثنا المدائني قال: قال زياد الأعجم يهجو المغيرة بن حبناء:

عجبت لأبيض الخصيين عبد *** كأنّ عجانه الشعري العبور(4)

فقليل له: يا أبا أمامة، لقد شرفته إذ قلت فيه:

كأنّ عجانه الشعري العبور

و رفعت/منه. فقال: سأزيده رفعة و شرفا، ثم قال:

لا يبرح الدهر منهم خارئ أبدا *** إلاّ حسبت على باب استه القمر

/قال، و تقاولا في مجلس المهلب يوما، فقال المغيرة لزياد:

أقول له و أنكر بعض شأني *** ألم تعرف رقاب بني تميم

فقال له زياد:

بلى فعرفتهنّ مقصّرات *** جباه مذلّة و سبال لوم(5)

المغيرة يهجو زيادا بتحريض من ربيعة

نسخت من كتاب عمرو بن أبي عمرو الشيباني، قال: كانت ربيعة تقول لزياد الأعجم: يا زياد، أنت لساننا، فاذبب عن أعراضنا بشعرك، فإنّ سيوفنا معك. فقال المغيرة بن حبناء فيه، و قد بلغه هذا القول من ربيعة له:

يقولون ذبّ يا زياد و لم يكن *** ليوقظ في الحرب الملمّة نائما

و لو أنّهم جاءوا به ذا حفيظة *** فيمنعهم أو ماجدا أو مراعما

و لكنّهم جاءوا بأقلّف قد مضت *** له حجج سبعون يصبح رازما(6)

لئما ذميما أعجميّاً لسانه *** إذا نال دتّا لم يبال المكارما(7)

- 1- «يمر» في ح بالتاء وفي باقي الأصول بالياء، والاثنتان جائزتان. والقدم: التي ينحت بها بفتح أوله. والمراد أنه لم يجرب مثله ولم تهتم أسنانه.
- 2- بعد ثالثة: أي بعد ليلة ثالثة.
- 3- العبودية: العبودية، وهي الخضوع والتذلل.
- 4- العجان: القضيب الممدود من الخصية إلى الدبر. والشعري: كوكب يطلع بعد الجوزاء وطلوعه في شدة الحر. وتقول العرب: «إذا طلعت الشعري جعل صاحب النخل يرى». وسميت الشعري العبور لأنها عبرت السماء عرضا ولم يعبرها عرضا غيرها. وكان العرب يعبدونها، فأنزل الله تعالى: **وَإِنَّهُ هُوَ رَبُّ الشُّعْرَىٰ** أي: رب الشعري التي تعبدونها. والشعري الغميصاء وسميت بذلك لأن العرب قالت في حديثها: إنها بكت على إثر العبور حتى غمصت.
- 5- السبال: جمع سبلة وهي مقدم الشعر أو مجتمعه في الذقن.
- 6- الأقلف: الذي لم تجر عليه موسى. والرازم: الذي لا يقدر على النهوض ولا يتحرك هزالا وإعياء.
- 7- الدن: وعاء الخمر.

و ما خلت عبد القيس إلا نفاية *** إذا ذكر الناس العلا و العظائم(1)

إذا كنت للعبديّ جاراً فلا تزل *** على حذر منه إذا كان طاعماً

أناساً يعدّون الفساء لجارهم *** إذا شبعوا عند الجبابة الدراهما(2).

من الفسويق يقضون الحقوق عليهم *** و يعطون مولاهم إذا كان غارماً

لهم زجل فيه إذا ما تجاوزوا *** سمعت زفيراً فيهم و هماهما(3)

العمرک ما نجى ابن زروان إذ عوى *** ربيعة من يوم ذلك سالماً

أظنّ الخبيث ابن الخبيثين أنّي *** أسلم عرضي أو أهاب المقاوما

لعمرک لا تهدي ربيعة للحجا *** إذا جعلوا يستنصرون الأعاجما

عبد القيس تعتذر إلى المغيرة

قال: فجاءت عبد القيس إلى المغيرة، فقالوا: يا هذا، ما لنا ولك، تعمنا بالهجاء لأن نبحك ممّا كلب، فقال و قلت، قد تبرأنا إليك منه، فإن هجاك فاهجه، و خلّ عنا و دعنا، و أنت و صاحبك أعلم، فليس ممّا له عليك ناصر.

فقال:

لعمرک إنّی لابن زروان إذ عوى *** لمحتقر في دعوة الودّ زاهد

و ما لك أصل يا زياد تعدّه *** و ما لك في الأرض العريضة والد

ألم تر عبد القيس منك تبرأت *** فلاقيت ما لم يلق في الناس واحد

و ما طاش سهمي عنك يوم تبرأت *** لكيز بن أفصى منك و الجند حاشد

و لا غاب قرن الشمس حتى تحدّثت *** بنفيك سكان القرى و المساجد(4)

- رفع «المساجد»، لأنه جعل الفعل لها، كأنه قال: و أهل المساجد، كما قال الله عزّ و جلّ: وَ سئلِ الْقَرْيَةَ .

و تحدّثت المساجد، و إنما يريد من يصلّي فيها(5) -

فأصبحت علجاً من يزرك و من يزرك *** بناتك يعلم أنّهن ولانئ(6)

أو أصبحن قلفا يغترلن بأجرة *** حواليك لم تجرح بهن الحدائد(7)

نفرن من الموسيقى وأقرن بالتي *** يقرّ عليها المقرفات الكواسد(8)

/باصطخر لم يلبس من طول فاقة *** جديدا ولا تلقى لهن الوسائد(9)

ص: 65

- 1- النفاية بالضم: الرديء.
- 2- في ط: «سبعوا»، وفي س، ش، ح بالشين المعجمة والياء المثناة، والأصوب ما أثبتناه.
- 3- الزجل: الصوت. و الهماهم: تردّد الزئير في الصدر.
- 4- قرن الشمس: ناحيتها.
- 5- في ط: «وصل القصيدة» و كتب في الهامش: «أي و تحدّثت المساجد وإنما يريد من يصلي فيها».
- 6- الولائد: جمع وليدة: وهي الجارية.
- 7- القلف: جمع أqlف: من لم يختن. و القلفة بالضم و يحرك: جلدة الذكر، هذا في الأصل. و قد استعمله هنا للنساء. و لم تجرح بهن، أي لم تستعمل في ختانهن.
- 8- المقرفات: الهجينات.
- 9- إصطخر: بلدة بفارس من أعيان حصون فارس و مدنها.

و ما أنت بالمنسوب في آل عامر *** ولا ولدتك المحصنات المواجد(1)

ولا رببتك الحنظليّة إذ غدت *** بنيتها ولا جبيت عليك القلائد(2)

ولكن غذاك المشركون وزاحمت *** قفاك و خديك البظور العوارد(3)

و لم أر مثلي يا زياد بعرضه *** و عرضك يستبان و السيف شاهد(4)

و لو أنّي غشيتك السيف لم يقل *** إذا مت إلا مات عالج معاهد(5)

المغيرة و جوائز المهلب

و نسخت من كتاب عمرو بن أبي عمرو أيضا، قال: رجع المغيرة بن حبناء إلى أهله و قد ملأ كفيّه بجوائز المهلب و صلّاته و الفوائد منه، و كان أخوه صخر بن حبناء أصغر منه، فكان يأخذ على يده و ينهاه عن الأمر ينكر مثله، و لا يزال يتعتّب عليه في الشيء ممّا ينكره عليه، فقال فيه صخر بن حبناء:

صخر و المغيرة يتلاحيان لما تعتب المغيرة عليه

رأيتك لما نلت مالا و عضّنا *** زمان نرى في حدّ أنيابه شغبا(6)

تجنّى عليّ الدهر أنّي مذنب *** فأمسك و لا تجعل غناك لنا ذنبا

فقال المغيرة يجيبه:

لحا الله أنانا عن الصّيف بالقري *** و أقصرنا عن عرض والده دّبا

و أجدرنا أن يدخل البيت باسته *** إذا القفّ دليّ من مخارمه ركبا(7)

أ أنباك الأفاك عنّي أنّي *** أحرك عرضي إن لعبت به لعبا

أخت صخر تشكوه إلى المغيرة

و نسخت من كتاب عمرو بن أبي عمرو، قال: جاءت أخت المغيرة بن حبناء إليه تشكو أباها صخرا، و تذكر أنّه أسرع في مالها و أتلفه، و إنّها منعتة شيئا يسيرا بقي لها، فمدّ يده إليها و ضربها، فقال له المغيرة معنفا:

ألا من مبلغ صخر بن ليلي *** فإني قد أتاني من ثناكا(8)

رسالة ناصح لك مستجيب *** إذا لم ترع حرمة رعاكا

وصول لو يراك و أنت رهن *** تباع، بماله يوم ما فداكا

يرى خيرا إذا ما نلت خيرا *** ويشجي في الأمور بما شجاكا

ص: 66

-
- 1- المواجد جمع ماجدة: الشريفة.
 - 2- لاجبيت بالبناء للمجهول: أي ما وضعت.
 - 3- العوارد: جمع عاردة، وهي الغليظة الشديدة المنتصبة.
 - 4- يستبان بتشديد الياء: يتشاثمان.
 - 5- العلج: الكبير من كفار العجم. والمعاهد: الذمي. وهو يقصد أنه لا يقتل إن قتله، لما ورد عن رسول الله قوله: «لا يقتل مؤمن بكافر و لا ذو عهد في عهده» أي لا يقتل ذو عهد أي ذو ذمة و أمان ما دام على عهده الذي عاهد عليه.
 - 6- الشغب: تهيج الشر.
 - 7- القف: بالضم: ما غلظ من الأرض و ارتفع. و المخارم: جمع مخرم، و هو الطريق في الجبل.
 - 8- نثاك: أخبارك. و النثا: ما أخبرت به عن الرجل من حسن أو سيئ، و هنا يقصد الشر.

فإنّك لا ترى أسماء أختا*** ولا ترينني أبدا أحاكا
فإن تعنف بها أو لا تصلها*** فإنّ لأُمّها ولدا سواكا
بيّر و يستجيب إذا دعتّه*** وإن عاصيته فيها عصاكا
و كنت أرى بها شرفا و فضلا*** على بعض الرّجال و فوق ذاكا
جزاني الله منك و قد جزاني*** و منّي في معاتبنا(1) جزاكا
و أعقب أصدق الخصمين قولا*** و لى اللوم أولانا بذاكا
/فلا و الله لو لم تعص أمري*** لكنت بمعزل عمّا هناكا
قال: فأجابه أخوه صخر بن حبناء فقال:

أتاني عن مغيرة ذرو قول*** تعمده فقلت له كذاكا(2)
يعمّ به بني ليلي جميعا*** فولّ هجاءهم رجلا سواكا
/فإن تك قد قطعت الوصل منّي*** فهذا حين أخلفني مناكا
تمنّيني إذا ما غبت عني*** و تخلفني مناي إذا أراكا
و تولّيني ملامة أهل بيتي*** و لا تعطي الأقارب غير ذاكا
فإن تك أختنا عتبت علينا*** فلا تصرم لظنّتها أحاكا
فإنّ لها إذا عتبت علينا*** رضاها صابرين لها بذاكا
و إن تك قد عتبت عليّ جهلا*** فلا و الله لا أبغي رضاكا
فقد أعلنت قولك إذ أتاني*** فأعلن من مقالتي ما أتاكا
سيغني عنك صخرارّب صخر*** كما أغناك عن صخر غناكا
و يغنيني الذي أغناك عني*** و يكفيني الإله كما كفاكا
ألم ترني أجود لكم بمالي*** و أرمي بالتّواقر من رماكا(3)
و أنّي لا أفود إليك حربا*** و لا أعصيك إن رجل عصاكا

ولكنني وراءك شمري *** أحامي - قد علمت - على حماكا(4)

وأدفع السن الأعداء عنكم *** ويعنيني(5) العدو إذا عناكا

وقد كانت قريبة ذات حق *** عليك فلم تطالعهما بذاكا

رأيت الخير يقصر منك دوني *** و تبلغني القوارص من أذاكا

ص: 67

-
- 1- المعاتب: جمع معتبة و معتب، الملامة. وفي ج «و مناني» بدل «و منى» و هو تحريف. وفي «المؤتلف و المختلف» 105: «و منى في مغابتي».
 - 2- كذا في ط و «المؤتلف و المختلف» ص 106. و الذرو، بالفتح: الطرف من القول. وفي «اللسان» (ذراً): «ذرع قول»، و هو بمعناه. و في سائر النسخ: «زور قول».
 - 3- النواقر: جمع ناقرة، و هي الداهية.
 - 4- الشمري: الماضي في الأمور المجرب، و الحركات الثلاثة على الشين و الميم لاختلاف اللهجات.
 - 5- يعنيني: يقصدني.

حبناء بن عمرو ينتقل إلى نجران و امرأته تلومه لما ضرب ابنه

ونسخت من كتاب عمرو بن أبي عمرو أيضا قال: كان حبناء بن عمرو وقد غضب على قومه في بعض الأمر، فانتقل إلى نجران، وحمل معه أهله وولده، فنظرت امرأته سلمى إلى غلام من أهل نجران يضرب ابنه المغيرة - وهو يومئذ غلام - فقالت لحبناء: قد كنت غنيا عن هذا الدّل، وكان مقامك بالعراق في قومك أو في حيّ قريب من قومك أعزّ لك! فقال حبناء في ذلك:

تقول سليمان الحنظلية لابنها *** غلام بنجران الغداة غريب

رأت غلّمة ثاروا إليه بأرضهم *** كما هرّ كلب الدار (1) بين كليب (2)

فقال لقد أجرى أبوك لما ترى *** وأنت عزيز بالعراق مهيب

وقال أيضا:

لعمرك ما تدري أشيء تريده *** يليك أم الشيء الذي لا تحاوله

متى ما يشأ مستقبس الشرّ يلقه *** سريعا وتجمعه إليه أنامله (3)

زياد الأعجم يهجو أسرة المغيرة بأدوائهم

أخبرني عيسى بن الحسن الوزّاق، قال حدّثنا محمّد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدّثني أبو الشّبل النّضري، قال: كان المغيرة بن حبناء أبرص، وأخوه صخر أعور، وأخوه الآخر/مجدوما، وكان بأبيهم حين، فلّقّب حبناء - واسمه جبير بن عمرو - فقال زياد الأعجم يهجوهم:

إنّ حبناء كان يدعى جبيرا *** فدعوه من لومه حبناء

ولد العور منه والبرص والجذ *** مى، وذو الداء ينتج الأدواء (4)

زياد يمسك عن الهجاء

فيقال: إنّ هذه الأبيات كانت آخر ما تهاجيا به؛ لأنّ المغيرة قال - وقد بلغه هذا الشعر -: ما ذنبنا فيما ذكره، هذه أدواء ابتلانا الله عزّ وجلّ بها، وإنّي لأرجو أن يجمع الله عليه هذه الأدواء كلّها! فبلغ ذلك زيادا من قوله، وإنّه لم يهجه بعقب هذه الأبيات، ولا أجابه بشيء، فأمسك عنه، وتكافأ.

جادة المغيرة في تفضيل الأخ على أخيه

أخبرني محمّد بن الحسن بن دريد، قال: حدّثنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعي عن عمه، وأخبرني به الحسن بن علي عن ابن مهرويه عن أبيه عن الأصمعي، قال:

لم يقل أحد في تقضيل أخ على أخيه و هما لأب و أم، مثل قول المغيرة بن حنبل لأخيه صخر:

أبوك أبي و أنت أخي و لكن *** تفاضلت الطباع و الظروف

و أمك حين تنسب أم صدق *** و لكنّ ابنها طبع سخيف (5)

ص: 68

1- كذا. و في الشعر: «سليمي» فلعله صغره في الشعر.

2- الكليب جمع كلب: جماعة الكلاب. و في هذا البيت إقواء.

3- المستقبس، يقال قبس يقبس منه نارا و اقتبسها: أخذها. يشير إلى أن من يطلب الشر يجده.

4- الجذمي جمع أجذم: المقطوع اليد، أو الذاهب الأنامل.

5- الطبع بفتح الطاء و كسر الباء: دنيء الخلق اللئيمة الدنس، لا يستحي من سواة و عيب. و السخيف: قليل العقل شاذ التصرف. و قد ورد

في معنى هذا البيت و سابقه قول الشاعر: أبوك أبي و الجد لا شك واحد و لكننا عودان آس و خروج

قال: و كان عبد الملك بن مروان إذا نظر إلى أخيه معاوية - و كان ضعيفا - يتمثل بهذين البيتين.

قول الحجاج في يزيد بن المهلب

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدّثني أحمد بن محمّد بن جدّان، قال: حدّثني أحمد بن محمّد بن مخلد المهلبي، قال:

نظر الحجاج إلى يزيد بن المهلب يخطر في مشيته، فقال: لعن الله المغيرة بن حبناء حيث يقول:

جميل المحيا بخترى إذا مشى *** وفي الدرع ضخم المنكين شناق(1)

فالتفت إليه يزيد، فقال: إنه يقول فيها:

شديد القوى من أهل بيت إذا وهى *** من الدين فتق حملوا فأطاقوا(2)

مراجيح في اللاواء إن نزلت بهم *** ميامين قد قادوا الجيوش و ساقوا(3)

مصرع ابن حبناء و كتابته اسمه على صدره

إشارة

أخبرني محمّد بن مزيد، قال: حدّثنا حماد بن إسحاق عن أبيه، قال: حدّثني من حضر ابن حبناء لما قتل - و هو وجود بنفسه - فأخذ بيده من دمه - و كتب بيده على صدره: «أنا المغيرة بن حبناء»، ثم مات.

صوت

بسطة رابعة الحبل لنا *** فوصلنا الحبل منها ما(4) اتسع

كيف ترجون سقاطي بعد ما *** جلّ الرأس بياض و صلغ(5)

ربّ من أنضجت غيظا صدره *** قد تمنّى لي موتا لم يطع(6)

و يراني كالشجي في حلقة *** عسرا مخرجه ما ينتزع(7)

و يحييني إذا لاقيته *** و إذا أمكن من لحمي رتع(8)

و أبيت الليل ما أهجعه *** و بعيني إذا التجم طلع(9)

- 1- البختری، حسن المشي. و الشناق، بالكسر: الطويل.
- 2- الفتق: الشق و الخرق. أطاقوا، يقال طاقه طوقا و إطاقه، و أطاق عليه إطاقه، و الاسم: الطاقة. و هو في طوقه أي في وسعي.
- 3- مراجيح: ذوو أحلام و بصر بالأمر.
- 4- اتسع: امتد. و يروى: «فبسطنا الحبل» و روى: «بسطت رابعة الوصل لنا».
- 5- سقاطي: يقال للرجل: «أنه لذو سقطات»، أي لا يزال يفتر فترة بعد فترة، و هي الانكسار و الضعف.
- 6- روى: «ربما أنضجت غيظا قلب من».
- 7- الشجا: الغصص و نحوه مما يعترض في الحلق.
- 8- روى: «و إذا يخلوله» راجع «المفضليات». رتع: أكل. و قد أرتع الرجل إذا ترك إبله ترعى.
- 9- روى: «فأبيت الليل ما أرقده»، و يروى: «و يعنيني»، أي يتعبني. يصف أنه ساهر لا ينام، فهو يراعي النجوم، أي يمكث الليل ساهرا.

الحبل هاهنا: الوصل؛ والحبل أيضا: السبب يتعلّق به الرجل من صاحبه، يقال: علقت من فلان بحبل؛ والحبل:

العهد، والميثاق، والعقد يكون بين القوم؛ وهذه المعاني كلّها/تتعاقب و يقوم بعضها مقام بعض. والشّجاء: كلّ ما اغتصّ به من لقمة أو عظم أو غيرهما.

الشعر لسويد بن أبي كاهل اليشكريّ، والغناء لعلّويه، ثاني ثقيل بالبنصر، عن عمرو بن بانه في الأول والثاني من الأبيات، و ليونس الكاتب في الثالث والرابع والثاني ما خوري بالوسطى، عن علي بن يحيى، والهشامي.

ولمالك فيها ثقيل بالبنصر، عن الهشامي أيضا، ولابن سريج فيها خفيف ثقيل، عن علي بن يحيى.

ص: 70

إشارة

سويد بن أبي كاهل بن حارثة بن حسل بن مالك بن عبد سعد بن جشم بن ذبيان بن كنانة بن يشكر. وذكر خالد بن كلثوم أنّ اسم أبي كاهل شبيب، و يكنى سويد أبا سعد.

أنشدني وكيع عن حماد، عن أبيه، لسويد بن أبي كاهل شاهدا بذلك:

أنا أبو سعد إذا الليل دجا *** دخلت في سرباله ثمّ النّجا(1)

طبقة سويد

وجعله محمّد بن سلام في الطبقة السادسة، وقرنه بعنتر العبسيّ و طبقته.

و سويد شاعر متقدّم من مخضرمي الجاهلية و الإسلام، كذلك ذكر ابن حبيب. و كان أبوه أبو كاهل شاعرا، و هو الذي يقول:

كانّ رحلي على صقعاء حادرة *** طيّا قد ابتلّ من طلّ خوافيها(2)

قول الأصمعي في عينية سويد

أخبرني محمّد بن العباس اليزيدي، قال: حدّثنا محمّد بن إسحاق البغويّ، قال: حدّثنا أبو نصر صاحب الأصمعيّ أنّه قرأ شعر سويد بن أبي كاهل على الأصمعيّ، فلما قرأ قصيدته:

بسّطت رابعة الحبل لنا *** فوصلنا الحبل منها ما اتّسع

فضّ لها الأصمعيّ، وقال: كانت العرب تفضّ لها و تقدّمها و تعدّها من حكمها. ثم قال الأصمعيّ: حدّثني عيسى بن عمر أنّها كانت في الجاهليّة تسمّى: «اليتيمة»(3).

بين سويد و زياد الأعجم

أخبرني محمّد بن خلف وكيع، قال: حدّثني محمّد بن الهيثم بن عديّ، قال: حدّثنا عبد الله بن عباس، قال:

قال زياد الأعجم يهجو بني يشكر:

إذا يشكريّ مسّ ثوبك ثوبه *** فلا تذكرنّ الله حتّى تطهّرا

فلو أنّ من لؤم تموت قبيلة *** إذا لأمات اللؤم لا شكّ يشكرا

- 1- روى: «تخال في سواده أرنديجا».
- 2- الصقعاء: ما لها بياض في وسط رأسها من الخيل و الطير و غيرها. و الحادرة من الحدره بالتسكين: الحط من علو إلى أسفل كالحذور، و الإسراع كالتحدير. الطيا: مؤنثة الطيان، و هو الجائع. و الطوى: الجوع.
- 3- هي آخر قصيدة في الجزء الأول من «المفضليات» طبع المعارف.

قال: فأتت بنو يشكر سويد بن أبي كاهل ليهجو زيادا، فأبى عليهم، فقال زياد:

وأنبتهم يستصرخون ابن كاهل *** ولؤم فيهم كاهل و سنام(1)

فإن يأتنا يرجع سويد ووجهه *** عليه الخزايا غبرة و قتام(2)

دعيّ إلى ذبيان طورا، و تارة *** إلى يشكر ما في الجميع كرام

فقال لهم سويد: هذا ما طلبتم لي! و كان سويد مغلّبا(3). و أما قوله:

دعيّ إلى ذبيان طورا و تارة *** إلى يشكر...

خبر أم سويد و سب تسميته

فإنّ أم سويد بن أبي كاهل كانت امرأة من بني غبر، و كانت قبل أبي كاهل عند رجل من بني ذبيان بن قيس بن عيلان، فمات عنها، فتزوجها أبو كاهل، و كانت فيما يقال حاملا، فاستلاط أبو كاهل ابنها لّمّا ولدته(4)، و سمّاه سويدا، / او استلحقه(5)، فكان إذا غضب على بني يشكر ادعى إلى بني ذبيان، و إذا رضي عنهم أقام على نسبه فيهم.

/ و ذكر علان الشعوبي، أنّه ولد في بني ذبيان، و تزوّجت أمّه أبا كاهل - و هو غلام يفعة(6) - فاستلحقه أبو كاهل و ادّعا، فلحق به.

انتماء سويد إلى قيس

و لسويد بن أبي كاهل قصيدة ينتمي فيها إلى قيس، و يفتخر بذلك، و هي التي أولها:

أبى قلبه إلا عميرة إن دنت *** و إن حضرت دار العدا فهو حاضر

شموس حصان السّرّ ريا كأنها *** مربّبة مما تضمّن حائر(7)

و يقول فيها أيضا:

أنا الغطفاني زين ذبيان فابعدوا *** فللّزنج أدنى منكم و يحابر(8)

أبت لي عيس أن أسام دنيّة *** و سعد و ذبيان الهجان و عامر(9)

و حيّ كرام سادة من هوازن *** لهم في الملمات الأنوف الفواخر(10)

ص: 72

1- الكاهل: مقدم أعلى الظهر مما يلي العنق، و هو الثلث الأعلى و فيه ست فقر، أو ما بين الكتفين أو موصل العنق في الصلب.

- 2- القتام: الغبار.
- 3- المغلب: المغلوب مرارا، والمحكوم له بالغلبة، ضد.
- 4- استلاطه: ادعاه ولدا وليس منه.
- 5- استلحقه: ادعاه إليه.
- 6- اليفع: المناهز البلوغ، من يفع: ترعرع وناهز البلوغ. ويقال رجل يفع و يفعة ورجلان ورجال يفعة.
- 7- الشموس هنا: النافرة التي لا تخضع، ويقال شمس الفرس: منع ظهره. وحصان السر: أي هي عفيفة في السر، بله العلانية. والمربية: عنى بها الدرّة التي يرببها الصدف في قعر الماء. و حائر البحر: مجتمع مائه. و مثله في قول حسان: من درة بيضاء صافية مما تربب حائر البحر ولأنت أحسن إذ برزت لنا يوم الخروج بساحة القصر
- 8- يحابر كيقاتل، وهو يحابر بن مالك بن أدد أبو مراد، ثم سميت القبيلة يحابر.
- 9- الهجان: الكريم الحسب النقية.
- 10- الأنوف و الفواخر: كناية عن ارتفاعها شمما وإباء للضيم.

سويد يهجو بني شيبان لأخذ ماله و ينتقل عنهم

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي، قال: حدّثنا أحمد بن معتّب الأودي عن الحرمازي(1)، أنّ سويد بن أبي كاهل جاور في بني شيبان، فأساءوا جواره، وأخذوا/شيئا من ماله غصبا، فانقل عنهم و هجاهم فأكثر، و كان الذي ظلمه و أخذ ماله أحد بني محلّم، فقال يهجوهم و إخوتهم بني أبي ربيعة:

حشر الإله مع القروء محلّما *** و أبا ربيعة الأم الأقوم

فلأهدينّ مع الرّياح قصيدة *** منّي مغلّلة(2) إلى همّام

الظاعنين على العمى قدّامهم *** و النازلين بشرّ دار مقام(3)

و الواردين إذا المياها تقسّمت *** نرح الرّكيّ و عاتم الأسدالم(4)

و قال يهجو بني شيبان:

لعمري لبس الحيّ شيبان إن علا *** عنيزة يوم ذو أهائيّ أغبر(5)

فلما التقوا بالمشرفية ذبذبت *** موليّة أستاها(6) شيبان تقطر

يعني يوم عنيزة، و كان لبني تغلب على بني شيبان، و فيه يقول مهلهل:

كأنّا غدوة و بني أبينا *** بجنب عنيزة رحيا مدير(7)

و قال أيضا:

فأدّوا إلى بهراء فيكم بناته *** و أبناء إنّ القضاعيّ أحمر

يعبر بني شيبان لأن بهراء ردت نساءهم حبالى بعد الأسر

كانت بهراء أغارت على بني شيبان، فأخذوا منهم نساء، و استاقوا نعما(8)، ثمّ إنهم اشتروا منهم النّساء و ردّوهنّ(9)، فعيروهم سويد بأنهم رددن حبالى، فقال:

ظللن ينازعن العضاريط أزرها *** و شيبان وسط القطقطانة حصّـر(10)

فمنا يزيد إذ تحدّى جموعكم *** فلم تفرحوه(11)، المرزبان المسوّر

- يزيد: رجل من يشكر، برز يوم ذي قار إلى أسوار، و حمل على بني شيبان، فانكشفوا من بين يديه -

1- الحرمازي من الحرمة، وهي الذكاء. وبنو الحرمازي.

2- المغلغة: المحمولة السائرة من بلد إلى بلد.

3- الطاعنون: المسافرون.

4- نرح: جمع نروح، وهي البئر التي نفذ ماؤها. الركي جمع ركية: البئر. والعاتم: المحتبس البطيء. والأسدام جمع سدم، وهو الماء المندفن.

5- ذو أهابيّ: ذو تراب مثار.

6- الأستاه: جمع است وسته بفتح و سكون و يحرك، وهي العجز أو حلقة الدبر.

7- الغدوة بالضم: البكرة، أو ما بين صلاة الفجر و طلوع الشمس كالغداة والغدية.

8- النعم: الإبل و الشاء، أو هو خاص بالإبل.

9- في ط: «ردوهم».

10- العصاريط: الأتباع و الأجراء. و الققطانة: موضع كان سجن النعمان بن المنذر.

11- أفرحوه: غلبوه. و المرزبان: الفارس الشجاع المقدم على القوم، و يقال للأسد أيضا مرزبان. و المسور: المرتفع.

فاعترضه الإشكريّ دونهم، فقتله، وعادت شببان إلى موقفها، ففخر بذلك عليهم، فقال:

وأحجتم حتى علاه بصارم *** حسام إذا مس الضريبة يبت (1)

ومنا الذي أوصى بثلث تراه *** على كل ذي باع يقلّ ويكثر

ليالي قلت يا ابن حلزة ارتحل *** فزبان لنا الأعداء و اسمع وأبصر (2)

فأدى إليكم رهنكم وسط وائل *** حباه بها ذو الباع عمرو بن منذر

يعني الحارث بن حلزة، لما خطبه دون بكر بن وائل حتى ارتجع رهائهم. وقد ذكر خبره في ذلك في موضعه.

بنو شببان تستعدي عامر بن مسعود على سويد و قيس تنعصب له

قال: فاستعدت بنو شببان عليه عامر بن مسعود الجمحي، وكان والي الكوفة، فدعا به، فتوعده، وأمره بالكف عنهم بعد أن كان قد أمر بحبسهم، فتعصبت له قيس، وقامت بأمره حتى تخلصته، فقال في ذلك:

يكفّ لساني عامر و كأنما *** يكفّ لسانا فيه صاب و علقم (3)

أترك أولاد البغايا و غيبتني *** و تحبسنني عنهم و لا أتكلّم

ألم تعلموا أنّي سويد و أنّي *** إذا لم أجد مستأخرا أتقدم

حسبتهم هجائي إذ بطنتم غنيمة *** عليّ دماء البدن إن لم تندموا (4)

سويد و ابن الغبري يتهاجان ثم يهربان لما طلبهما عبد الله بن عامر و عامل الصدقة يحبسهما و بنو حمّال يفكون ابن الغبري

قال الحرمازي في خبره هذا: و هاجى سويد بن أبي كاهل حاضر بن سلمة الغبري، فطلبهما عبد الله بن عامر بن كرز، فهربا من البصرة، ثم هاجى الأعرج أخا بني حمّال بن يشكر، فأخذهما صاحب الصدقة، و ذلك في أيام ولاية عامر بن مسعود الجمحي الكوفة، فحبسهما، و أمر أن لا يخرجوا من السجن حتى يؤديا مائة من الإبل، فخاف بنو حمّال على صاحبهم ففكّوه، و بقي سويد، فخذله بنو عبد سعد، و هم قومه، فسأل بني غبر، و كان قد هجاهم لما ناقض شاعرهم، فقال:

و يخذل سويدا قومه

من سرّه النّيك بغير مال *** فالغبريات على طحال (5)

شواغر يلمعن للقفال (6)

- 1- الضريبة: المضروب بالسيف.
- 2- زابن: دافع.
- 3- الصاب: جمع صابة: شجر مر. و العلقم: الحنظل، وكل شيء مر.
- 4- بطنتم، يقال بطن بالكسر: عظم بطنه من الشبع. ورجل مبطنان: كثير الأكل ورجل بطن: لا-هم له إلا-بطنه. و بطن الرجل بالبناء للمفعول: اشتكى بطنه.
- 5- طحال، بالكسر: موضع.
- 6- الشواغر: المرفوعة أرجلها للنكاح. و الإلماع: الإشارة. و القفال: الراجعون من السفر.

إشارة

فلما سأل بني غبر، قالوا له: يا سويد «ضيعت البكار بطحال» فأرسلوها مثلاً. أي إنك عممت جماعتنا بالهجاء في هذه الأرجوزة، فضع منك ما قدرت أنا نفديك به من الإبل. فلم يزل محبوساً حتى استوهبته عبس و ذبيان لمديحه لهم، و انتمائه إليهم، فأطلقوه بغير فداء.

صوت

أخضني المقام الغمر إن كان غرني *** سنا خلب أو زلت القدمان(1)

أتركني جذب المعيشة مقفراً *** و كفاك من ماء الندى تكفان(2)

الشعر للعتابي، و الغناء لمخارق، ثاني ثقيل بالوسطى، و قيل: إن فيه للوائق ثاني ثقيل آخر.

ص: 75

1- الغمر: الغزير. و الخلب: البرق الذي لا يعقبه مطر؛ و هو المطمع.

2- تكفان: تقطران ماء غزيرا.

إشارة

هو كلثوم بن عمرو بن أيوب بن عبيد بن حبيش بن أوس بن مسعود بن عمرو بن كلثوم الشاعر، و هو ابن مالك عتاب بن سعد بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب. شاعر مترسل بليغ مطبوع، متصرف في فنون الشعر و مقدم. من شعراء الدولة العباسية، و منصور التميمي تلميذه و راويته، و كان منقطعاً إلى البرامكة، فوصفوه للرشيدي، و وصلوه به، فبلغ عنده كل مبلغ، و عظمت فوائده منه، ثم فسدت الحال بينه و بين منصور و تباعدت. و أخبار ذلك تذكر في مواضعها.

و أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثني القاسم بن مهرويه، قال: حدثني جعفر بن المفضل، عن رجل من ولد إبراهيم الحراني(1)، قال: كثر الشعراء بباب المأمون، فأوذن بهم، فقال لعلني بن صالح صاحب المصلي:

أعرضهم، فمن كان منهم مجيداً فأوصله إليّ، و من كان غير مجيد فاصرفه. و صادف ذلك شغلاً من عليّ بن صالح كان يريد أن يتشاغل به عن أمر نفسه، فقام مغضباً، و قال: و الله لأعمّتهم بالحرمان، ثم جلس لهم، و دعا بهم فجعلوا يتغالبون(2) على القرب منه، فقال لهم: على رسلكم فإنّ المدى أقرب من ذلك، هل فيكم من يحسن أن يقول كما قال أخوكم العتابي:

ما ذا عسى مادح يثني عليك و قد *** ناداك في الوحي تقديس و تطهير

فتّ الممادح إلا أنّ ألسنا *** مستنطقات بما تحوى الضمائر

قالوا: لا و الله ما بنا أحد يحسن أن يقول مثل هذا، قال: فانصرفوا جميعاً.

قيل في شعر العتابي تكلف و نفاه آخرون

أخبرني الحسن، قال: حدثنا ابن مهرويه، قال: حدثني أبو بكر أحمد بن سهل، قال: تذاكرنا شعر العتابي، فقال بعضنا: فيه تكلف، و نصره بعضنا، فقال شيخ حاضر: و يحكم أيقال إن في شعره تكلفاً؟ و هو القائل:

رسل الضمير إليك تترى *** بالشوق ظالعة و حسرى(3)

متزجيات ما يني *** ن على الوجى من بعد مسرى(4)

ما جفّ للعينين بع *** دك يا قرير العين مجرى

فاسلم سلمت مبراً *** من صبوتي أبدا معرى(5)

1- حران: مدينة عظيمة مشهورة بينها و بين الرها يوم، و بين الرقة يومان، على طريق الموصل و الشام. و قيل إنها أول مدينة بنيت على

الأرض بعد الطوفان. و حراني: منسوب إليها، و يقال حراني على غير قياس.

2- يتغالبون: يتدافعون و يتسابقون.

3- ظالعة: ظلع السائر: غمز في مشيته و ظهر عرجه. الحسرى: المتعبة المعياء، من حسر كضرب و خرج: تعب و أعياء.

4- المتزجيات: المنساقاة. ما ينين: ما يبطن و لا يفترن. و الوجى: الحفا.

5- الصبوة: جهلة الفتوة.

إن الصَّبابة لم تدع *** مَنِّي سوى عظم مبري(1)

و مدامع عبري على *** كبد عليك الدهر حرّى(2)

- في هذين البيتين غناء - أو يقال: إنه متكلف؟ وهو الذي يقول:

فلو كان للشكر شخص يبين *** إذا ما تأمله الناظر

لمثّله لك حتّى تراه *** لتعلم أنّي امرؤ شاكر

رذاذ يضع لحننا

الغناء في هذين البيتين لأبي العبيس، ثقيل أول، ولرذاذ خفيف ثقيل. فحدثني أبو يعقوب إسحاق بن يعقوب النوبجي عن أبي الحسن علي بن العباس وغيره من أهله قالوا: لما صنع رذاذ لحنه في هذا الشعر:

فلو كان للشكر شخص يبين

أبو العبيس يسقط لحن رذاذ

فتن به الناس، و كان هجّيراهم زمانا(3). حتى صنع أبو العبيس فيه الثَّقيل الأول، فأسقط لحن رذاذ و غلب عليه.

أخبرني إبراهيم بن أيوب، عن عبد الله بن مسلم، وأخبرني علي بن سليمان الأخفش، عن محمّد بن يزيد، قالوا جميعا:

المأمون يكتب في إشخاص العتّابي

كتب المأمون في إشخاص كلثوم بن عمرو العتّابي، فلما دخل عليه قال له: يا كلثوم، بلغتني وفاتك فسألتني، ثم بلغتني وفادتك فسرّرتني. فقال له العتّابي: يا أمير المؤمنين، لو قسمت هاتان الكلمتان على أهل الأرض لوسعتها فضلا وإنعاما، وقد خصصتني منهما بما لا يتّسع له أمنية، ولا يبسط لسواه أمل، لأنه لا دين إلاّ بك، ولا دنيا إلاّ معك. فقال له: سلني. فقال: يدك بالعطاء أطلق من لساني بالسؤال. فوصله صلوات سنية، و بلغ به من التقديم والإكرام أعلى محلّ.

و ذكر أحمد بن أبي طاهر عن عبد الله بن أبي سعد الكراني، أنّ عبد الله بن سعيد بن زرارة، حدّثه عن محمّد بن إبراهيم اليساري، قال:

المأمون يداعب العتّابي

لما قدم العتّابي مدينة السلام على المأمون، أذن له، فدخل عليه وعنده إسحاق بن إبراهيم الموصللي، و كان العتّابي شيخا جليلا نبیلا، فسلم فردّ عليه و أدناه، و قرّبه حتّى قرب منه، فقَبَلَ يده: ثم أمره بالجلوس فجلس، و أقبل عليه يسأله عن حاله، و هو يجيبه بلسان ذلق طلق، فاستظرف المأمون ذلك، و أقبل عليه بالمداعبة و المزاح، فظنّ الشيخ أنّه استخفّ به، فقال: يا أمير المؤمنين: الإيناس قبل الإبسّاس(4).

- 1- المبرى: المهزول المنحوت.
- 2- الحرى: المحترقة.
- 3- هجيرا هم بكسر الأول والثاني مع تشديده: دأبهم و شأنهم.
- 4- الإيساس: أن يمسح ضرع الناقة يسكنها لتدر. و المراد الاطمئنان قبل المداعبة.

إسحاق بن إبراهيم يعارض العتابي

فاشتهبه على المأمون قوله، فنظر إلى إسحاق مستفهماً، فأوماً إليه، وغمزه على معناه(1) حتى /فهم، فقال:

يا غلام، ألف دينار! فأني بذاك، فوضعه بين يدي العتّابي، وأخذوا في الحديث، وغمز المأمون إسحاق بن إبراهيم عليه، فجعل العتّابي/لا يأخذ في شيء إلا عارضه فيه إسحاق، فبقي العتّابي متعجباً، ثم قال: يا أمير المؤمنين، أأذن لي في سؤال هذا الشيخ عن اسمه؟ قال: نعم، سل. فقال لإسحاق: يا شيخ من أنت؟ وما اسمك؟ قال: أنا من الناس، واسمي كل بصل. فتبسم العتّابي وقال: أمّا أنت فمعروف، وأمّا الاسم فمفكر. فقال إسحاق: ما أقل إنصافك، أتتكر أن يكون اسمي كل بصل؟ واسمك كل ثوم، وكل ثوم من الأسماء، أو ليس البصل أطيب من الثوم؟ فقال له العتّابي: لله درك، ما أحجّك(2)، أأذن لي يا أمير المؤمنين في أن أصله بما وصلّتي به؟ فقال له المأمون:

بل ذلك موقرّ عليك و نأمر له بمثله.

مصادقة العتّابي لإسحاق

فقال له إسحاق: أمّا إذا أقررت بهذا، فتوهمني تجدني، فقال: ما أظنّك إلا إسحاق الموصليّ، الذي تناهى إلينا خبره، قال: أنا حيث ظننت. و أقبل عليه بالتحية والسلام، فقال المأمون، وقد طال الحديث بينهما: أمّا إذ قد اتفقتما على المودة، فانصرفا متنادمين. فانصرف العتّابي إلى منزل إسحاق فأقام عنده.

إعجاب عبد الله بن طاهر بشعر العتّابي

وذكر أحمد بن طاهر أيضاً أنّ مسعود بن عيسى العبديّ، حدّثه عن موسى بن عبد الله التميمي، قال: وفد إلى عبد الله بن طاهر جمع من الشعراء، فعلم أنّهم على بابه، فقال لخدام له أديب: أخرج إلى القوم، وقل لهم: من كان منكم يقول كما قال العتّابي للرّشيد:

مستنبط عزمات القلب من فكر *** ما بينهن وبين الله معمور(3)

فليدخل، وليعلم أنّي إن وجدته مقصراً عن ذلك حرّمته، فمن وثق من نفسه أنه يقول مثل هذا فليقم. قال:

فدخلوا جميعاً إلا أربعة نفر.

جوائز الرّشيد و سرور العتّابي بما خلع عليه

أخبرني الحسن بن عليّ قال، حدّثنا محمّد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدّثنا عبد الله بن سعد عن إبراهيم بن الحدين، قال: وجد(4) الرّشيد على العتّابي، فدخل سرّاً مع المتظلمين بغير إذن، فمثل بين يدي الرّشيد، وقال له:

يا أمير المؤمنين، قد أدتني الناس لك و لنفسي فيك، وردّني ابتلاؤهم إلى شكرك، و ما مع تذكرك قناعة بغيرك، و لنعم الصّائن لنفسي كنت، لو أعانني عليك الصبر. و في ذلك أقول:

أخضني المقام الغمر إن كان غرني *** سنا خلّب أو زلّت القدمان(5)

أتركني جذب المعيشة مقترًا *** وكفّك من ماء الندي تكفان

وتجعلني سهم المطامع بعد ما *** بللت يميني بالندى ولساني

قال: فأعجب الرّشيد قوله، و خرج عليه الخلع، وقد أمر له بجائزة، فما رأيت العتّابي قطّ أبسط منه يومئذ.

ص: 78

1- غمزه على معناه: أشار.

2- ما أحجك: ما أكبر حجتك.

3- المستنبط: المستخرج.

4- وجد: غضب.

5- الغمر: الماء الكثير. سنا حلب: ضوء البرق الذي لا يعقبه مطر.

بشار يحقد على إجادة العتّابي

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدّثني ابن مهرويه، قال: حدّثنا أحمد بن خلاد، قال: حدّثني أبي، قال: جاء العتّابي وهو حدث إلى بشار، فأشده:

أيصدف عن أمّامة أمّ يقيم *** وعهدك بالصّبا عهد قديم

أقول لمستعار القلب عقى *** على عزماته السّير العديم (1)

أما يكفيك أنّ دموع عيني *** شآبيب يفيض بها الهموم (2)

أشيم فلا أردّ الطرف إلاّ *** على أرجائه ماء سجوم (3)

قال: فمدّ بشار يده إليه: ثم قال له: أنت بصير؟ قال: نعم. قال: عجا لبصير ابن زانية، أن يقول هذا /الشعر. فخجل العتّابي وقام عنه.

العتّابي و يحيى بن خالد

/أخبرني محمّد بن يونس الأنباري الكاتب، قال: حدّثني الحسن بن يحيى أبو الحمار عن إسحاق، قال:

كلّم العتّابي يحيى بن خالد في حاجة بكلمات قليلة، فقال له يحيى: لقد ندر كلامك اليوم وقلّ. فقال له:

و كيف لا يقلّ وقد تكتنّفي ذلّ المسألة، و حيرة الطّلب، و خوف الردّ؟! فقال: و الله لئن قلّ كلامك لقد كثرت فوائده.

وقضى حاجته.

سخرية العتّابي من الناس

و أخبرني الحسن بن علي، قال: حدّثنا ابن مهرويه، قال: حدّثنا عثمان الوّراق، قال:

رأيت العتّابي يأكل خبزا على الطّريق بباب الشام، فقالت له: ويحك، أما تستحي؟ فقال لي: أ رأيت لو كنّا في دار فيها بقر، كنت تستحي و

تحتشم أن تأكل و هي تراك؟ فقال: لا. قال: فاصبر حتى أعلمك أنّهم بقر. فقام فوعظ و قصّ و دعا، حتّى كثر الرّحام عليه، ثم قال لهم: روى

لنا غير واحد، أنّه من بلغ لسانه أرنبه أنفه لم يدخل التّار.

فما بقي واحد إلاّ و أخرج لسانه يومئ به نحو أرنبه أنفه، و يقدره حتّى يبلغها أم لا. فلما تفرقوا، قال لي العتّابي:

ألم أخبرك أنّهم بقر؟

إعجاب يحيى البرمكي بالعتّابي

أخبرني الحسن حدّثنا ابن مهرويه، قال: حدّثني أبو عصام محمّد بن العباس، قال: قال يحيى بن خالد البرمكي لولده: إن قدرتم أن تكتبوا أنفاس كلثوم بن عمرو العتابي، فضلا عن رسائله و شعره، فلن تروا أبدا مثله.

كتاب للعتابي

أخبرني أبي، قال: أخبرنا الحارث بن محمّد عن المدائني، وأخبرني الحسن بن علي، قال: حدّثنا الخراز عن ابن الأعرابي، قال:

ص: 79

1- عفي: طمس.

2- الشائب: المياه المنصبة، جمع شؤبوب.

3- أشيم: انظر، وأصله أن يشيم البرق ينظر أين يقصد وأين يمطر. السجوم: الكثير.

/أنكر العتابي على صديق له شيئاً، فكتب إليه: «إما إن تقرّ بذنبك فيكون إقرارك حجة علينا في العفو عنك، وإلا فطب نفساً بالانتصاف منك، فإن الشاعر يقول:

أقر بذنبك ثم اطلب تجاوزنا *** عنه فإن جحود الدّنب ذنبان»

يحيى بن أكنم يستأذن المأمون للعتابي

أخبرنا الحسن بن علي، أخبرنا ابن مهرويه، قال: حدّثني عبد الواحد بن محمّد، قال:

وقف العتابيّ بباب المأمون يلتمس الوصول إليه، فصادف يحيى بن أكنم جالساً ينتظر الإذن، فقال له: إن رأيت - أعزك الله - أن تذكر أمري لأمر المؤمنين إذا دخلت فافعل. قال له: لست - أعزك الله - بحاجة. قال: فإن لم تكن حاجباً فقد يفعل مثلك ما سألت، واعلم أنّ الله - عزّ وجلّ - جعل في كل شيء زكاة، وجعل زكاة المال رفقاً (1) المستعين، وزكاة الجاه إغاثة الملهوف. واعلم أنّ الله - عزّ وجلّ - مقبل عليك بالزيادة إن شكرت، أو التغيير إن كفرت، وإنّي لك اليوم (2) أصلح منك لنفسك، لأنّي أدعوك إلى ازدياد نعمتك، وأنت تأبى. فقال له يحيى:

أفعل وكرامة. وخرج الإذن ليحيى، فلما دخل، لم يبدأ بشيء بعد السلام إلا أن استأذن (3) المأمون للعتابي، فأذن له.

كلمتان للعتابي

أخبرني الحسن، قال: حدّثنا ابن مهرويه، قال: حدّثني أبو الشّبل، قال:

قال العتابي لرجل اعتذر إليه: إنّي إن لم أقبل عذرك لكنت لأم منك، وقد قبلت عذرك، فدم على لوم نفسك في جنائتك، نرد في قبول عذرك، والتّجافي عن هفوتك.

قال: وقيل له لو تزوّجت! فقال: إنّي وجدت مكابدة العقّة أسر عليّ من الاحتيال لمصلحة العيال.

تقدير المأمون للعتابي وإكرامه لما أسنّ

أخبرني الحسن، قال: حدّثنا ابن مهرويه، قال: قال جعفر بن المفضل؛ قال لي أبي:

رأيت العتابيّ جالساً بين يدي المأمون وقد أسنّ، فلما أراد القيام قام المأمون فأخذ بيده، واعتمد الشيخ على المأمون، فما زال ينهضه رويداً رويداً حتّى أفلّه فنهض، فعبجت (4) من ذلك، وقلت لبعض الخدم: ما أسوأ أدب هذا الشيخ، فمن هو؟ قال: العتابي.

دعبل و ابن مهرويه يحسدانه و يحقدان عليه

أخبرني الحسن، قال: حدّثنا ابن مهرويه، قال: حدّثني محمّد بن الأشعث، قال: قال دعبل: ما حسدت أحداً قطّ على شعر كما حسدت

العتّابي على قوله:

هبة الإخوان قاطعة *** لأخي الحاجات عن طلبه

فإذا ما هبت ذا أمل *** مات ما أمّلت من سببه (5)

ص: 80

1- رقد: إعطاء وصلة.

2- في ح: «لك منذ اليوم».

3- في ح «أذن» و هو تحريف.

4- في الأصل: «فعبج»، و السياق يقتضي «فعبجت».

5- السبب: الوسيلة، و المودة.

قال ابن مهرويه: هذا سرقة العتّابي من قول عليّ بن أبي طالب، رضي الله عنه: «الهيبة مقرونة بالخيبة، والحياء مقرون بالحرمان، والفرصة تمرّ مرّ السحاب».

حدّثني محمّد بن داود، عن أبي الأزهر، عن عيسى بن الحسن بن داود الجعفري عن أخيه عن علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، بذلك.

عبد الله بن طاهر يجيزه ثلاث مرات و ينعم عليه بخلعة سنّية بعد إنشاده

أخبرني الحسن، قال: حدّثنا ابن مهرويه عن أبي الشّبل. قال:

دخل العتّابي على عبد الله بن طاهر، فمثل بين يديه، وأنشده:

حسن ظني و حسن ما عوّد الل *** ه سواي(1) منك الغداة أتى بي

/أيّ شيء يكون أحسن من حس *** ن يقين(2) حدا إليك ركابي

قال: فأمر له بجائزة، ثم دخل عليه من الغد، فأنشده:

ودكّ يكفينيك في حاجتي *** و رؤيتي كافية عن سؤال

و كيف أخشى الفقر ما عشت لي *** وإّما(3) كفّاك لي بيت مال

فأمر له بجائزة، ثم دخل في اليوم الثالث، فأنشده:

بهجات الثّياب يخلقها(4) الدّه *** ر و ثوب الثّناء غصّ جديد

فاكسني ما يبّيد أصلحك الل *** ه فالله يكسوك ما لا يبّيد

فأمر له بجائزة، و أنعم عليه بخلعة سنّية.

العتّابي و طوق ابن مالك

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدّثنا ابن مهرويه، قال: حدّثني عبد الله بن أحمد، قال: حدّثني أبو دعامة، قال:

قال طوق بن مالك للعتّابي: أما ترى عشيرتك؟ - يعني بني تغلب - كيف تدلّ علي، و تتمرغ و تستطيل، و أنا أصبر عليهم؟! فقال العتّابي:

أيّها الأمير، إنّ عشيرك من أحسن عشيرتك(5)، و إنّ عمّك خير، و إنّ قريبك من قرب منك نفعه، و إنّ أخفّ الناس عندك(6) أخفهم ثقلا

عليك، و أنا الذي أقول:

إّني بلوت التّاس في حالاتهم *** و خبرت ما وصلوا من الأسباب

فإذا القربة لا تقرب قاطعا*** وإذا المودة أقرب من الأنساب

شكوى النمري للعتابي إلى طاهر بن الحسين وإصلاحه ما بينهما

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي، قال حدثنا الرياشي، قال:

ص: 81

1- في ح، س: «سوائي».

2- في ح: «ظن».

3- هذا ما في ح، وفي سائر الأصول: «وهذه».

4- يخلقها: يبليها.

5- في كل الأصول: «عشرتك».

6- في ح: «عليك».

شكا منصور النمريّ العتّابيّ إلى طاهر بن الحسين، فوجّه طاهر إلى العتّابيّ، فأحضره، وأخفى منصوراً في بيت قريب منهما، وسأل طاهر العتّابيّ أن يصلحه، فشكا سوء فعله به، فسأله أن يصفح عنه، فقال: لا يستحقّ ذلك. فأمر منصوراً بالخروج، فخرج وقال للعتّابيّ، لم لا أستحقّ هذا منك؟ فأنشأ العتّابيّ يقول:

/

أصحبتك الفضل إذ لا أنت تعرفه *** حقاً و لا لك في استصحابه أرب

لم ترتبطك على وصلي محافظة *** و لا أعاذك مما اغتالك الأدب

ما من جميل و لا عرف نطقت به *** إلا إليّ و إن أنكرت ينتسب

قال: فأصلح طاهر بينهما - وكان منصور من تعليم العتّابيّ و تخريجه (1) - و أمر طاهر للعتّابيّ بثلاثين ألف درهم.

أخبرني عمر عن عبد الله بن أبي سعد عن الحسين بن يحيى الفهري عن العباس بن أبي ربيعة السلمي، قال:

شكا منصور النمري كلثوم بن عمرو العتّابي إلى طاهر. ثم ذكر مثله.

العتّابيّ يفضل العلم و الأدب على المال

أخبرني عليّ بن صالح بن الهيثم الأنباري الكاتب، قال: حدّثني أبو هفان، قال:

كان العتّابيّ جالسا ذات يوم ينظر في كتاب، فمرّ به بعض جيرانه، فقال: أيش ينفع العلم و الأدب من لا مال له؟ فأنشأ العتّابيّ يقول:

/

يا قاتل الله أقواما إذا تقفوا *** ذا اللبّ ينظر في الآداب و الحكم (2)

قالوا و ليس بهم إلا نفاسته *** أنافع ذا من الإقتار و العدم (3)

و ليس يدرون أنّ الحظّ ما حرموا *** لحاهم الله، من علم و من فهم (4)

قول العتّابيّ في عزل طاهر بن علي

أخبرني عليّ بن صالح و عمي، قالوا: حدّثنا أحمد بن طاهر، قال: حدّثنا أبو حيدرة الأسدي، قال:

قال العتّابيّ في عزل طاهر بن علي، و كان عدوّه:

يا صاحبنا متلوّنا *** متباينا فعلي و فعله

ما إن أحبّ له الرّدى *** ويسرّني و الله عزله

لم تعد فيما قلت لي *** وفعلت بي ما أنت أهله

كم شاغل بك عدوتيه *** وفارغ من أنت شغله (5)

أخبرني أحمد بن الفرّج، قال: حدّثني أحمد بن يحيى بن عطاء الحراني عن عبيد الله بن عمار، قال: حدّثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حدّثني عبد الرحيم بن أحمد بن زيد بن الفرّج، قال:

ص: 82

-
- 1- من تعليم العتايي: أي من تلاميذه.
 - 2- في الأصل: «نفقوا»، وهو تحريف. ويقال تقف الرجل الرجل: ظفر به ووجده.
 - 3- النفاسة: الحسد. والإقتار: القلة والفاقة. ومثله العدم.
 - 4- الفهم، بالتحريك: الفهم، ومثلهما الفهامة.
 - 5- العدوتان: جانبا الوادي. يريد: إن كثيرا يشغلون أنفسهم بك في الآفاق ولكن من يشغل نفسه بك فارغ لا ينال شيئا. وفي الأصل: «ما أنت».

مدحه جعفرًا لما أمنه عند الرشيد

لَمَّا سَعَى مَنْصُورُ النَّمِرِيِّ بِالْعَتَابِيِّ إِلَى الرَّشِيدِ اغْتَاظَ عَلَيْهِ، فَطَلَبَهُ، فَسْتَرَهُ جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى عَنْهُ مَدَّةً، وَجَعَلَ يَسْتَعِظِفُهُ عَلَيْهِ، حَتَّى اسْتَلَّ مَا فِي نَفْسِهِ، وَأَمَّنَهُ، فَقَالَ يَمْدَحُ جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى:

ما زلت في غمرات (1) الموت مطرًا *** قد ضاق عني فسيح الأرض من حيلي

و لم تزل دأبا تسعى بلطفك لي *** حتى اختلست حياتي من يدي أجلي

عودة عبد الله بن طاهر له في مرضه

/أخبرني عمي، قال: حدّثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حدّثني أحمد بن خالد عن أبيه، قال:

عاد عبد الله بن طاهر وإسحاق بن إبراهيم بن مصعب، كلثوم بن عمرو العتابي، في علة اعتلّها، فقال الناس:

هذه خطرة خطرت! فبلغ ذلك العتابي، فكتب إلى عبد الله بن طاهر:

قالوا الزّيارة خطرة خطرت *** و نجار برّك ليس بالخطر (2)

أبطل مقالتهم بثانية *** تستفد المعروف من شكري

فلما بلغت أبياته عبد الله بن طاهر ضحك من قوله، وركب هو وإسحاق بن إبراهيم، فعاداه مرة ثانية.

عبد الله بن هشام التغلبي يصله بعد العتب و الكتابة إليه

إشارة

أخبرني الحسين بن القاسم الكواكبي، قال: حدّثني أبو العيّن، قال: حدّثني أبو العلاء المعري (3)، قال:

عتب عبد الله بن هشام بن بسطام التغلبي على كلثوم بن عمرو التغلبي في شيء بلغه عنه، فكتب إليه:

صوت

لقد سمتني الهجران حتى أذقتني *** عقوبات زلّاتي و سوء مناقبي

فها أنا ساع في هواك و صابر *** على حدّ مصقول الغرارين قاضب (4)

و منصرف عما كرهت و جاعل *** رضاك مثالا بين عيني و حاجبي

قال: فرضي عنه، ووصله صلة سنّية.

/الغناء في هذه الأبيات لسعيد مولى فائد، ثاني ثقيل بالبنصر، عن يحيى المكي، وذكر الهشامي أنه منحول يحيى، وذكر أحمد بن المكي في كتابه، أنه لأبي سعيد، وجعله في باب التثليل الأوّل بالبنصر، ولعله على مذهب إبراهيم بن المهدي و من قال بقوله.

ربعة تقتل واحدا من فزارة في خفارتة فاستعدى القيسي الحاكم على ربعة

أخبرني الحسين بن القاسم، قال: حدّثني محمّد بن عبد الرحمن بن يونس السراج، قال: أخبرني الحسين بن داود الفزاري عن أبيه، قال:

ص: 83

1- الغمرات: جمع غمرة، وهي الشدة.

2- النجار: الأصل. وفي النسخ: «وبحار».

3- هذا غير الشاعر المعروف المتوفي سنة 449.

4- الغراران: الحدان. والقاضب: القاطع.

كان أخوان من فزارة يخفران قرية بين آمد و سمساط، يقال لها تلّ حوم، فطال مقامهما بها حتى أثريا، فحسدهما قوم من ربيعة، وقالوا: يخفران هذان الضياع في بلدنا! فجمعوا لهما جمعا، و ساروا إليهما، فقاتلوهما، فقتل أحدهما، و على الجزيرة يومئذ عبد الملك بن صالح الهاشمي، فشكا القيسي أمره إلى وجوه قيس، و عرفهم قتل ربيعة أخاه، و أخذهم ماله. فقالوا له: إذا جلس الأمير فادخل إليه. ففعل ذلك، و دخل على عبد الملك، و شكاه ما لحقه، ثم قال له: و حسب الأمير أنهم لما قتلوا أخي و أخذوا مالي قال قائل منهم:

اشربا ما شربتما إن قيسا *** من قتيل و هالك و أسير

لا يحوزنّ أمرنا مضريّ *** بخفير و لا بغير خفير

فقال عبد الملك: أ تندبني (1): إلى العصبية؟ و زيره (2)، فخرج الرجل مغموما، فشكا ذلك إلى وجوه قيس، فقالوا: لا ترع، فوالله لقد قذفتها في سويداء قلبه، فعاوده. فعاوده في المجلس الآخر، فزيره، و قال له قوله الأول، فقال له:

إنّي لم آتك/أندبك للعصبية، و إنّما جئتك مستعديا (3)، فقال له: حدّثني كيف فعل القوم؟ فحدّثه و أنشده، فغضب فقال: كذب (4) لعمرى، ليحوزنّها. ثم دعا بأبي عصمة أحد قواده، فقال: اخرج فجرد السيف في ربيعة، فخرج و قتل منها مقتلة عظيمة، فقال كلثوم بن عمرو العتّابي قصيدته التي أولها:

ما ذا شجاك بحوّارين من طلل *** و دمنة كشفت عنها الأعاصير (5)

يقول فيها:

هذي يمينك في قرباك صائلة *** و صارم من سيوف الهند مشهور

إن كان متّا ذوو إفك و مارقة *** و عصبه دينها العدوان و الرّور

فإنّ متّا الذي لا يستحثّ إذا *** حتّ الجياد و ضمّتها المضامير

مستنبط عزمات القلب من فكر *** ما بينهنّ و بين الله معمور

/يعني عبد الله بن هشام بن بسطام التغلبي، و كان قد أخذ قوادهم.

شعر العتّابي يجعل عبد الملك يأمر بالكف عن قتال ربيعة

فبلغت القصيدة عبد الملك، فأمر أبا عصمة بالكف عنهم، فلما قدم الرّشيد الرّافقة أنشده عبد الملك القصيدة، فقال: لمن هذه؟ فقال: لرجل من بني عتاب يقال له كلثوم بن عمرو، فقال: و ما يمنعه أن يكون ببنا.

فأمر بإشخاصه من رأس (6) عين، فوافى الرشيد و عليه قميص غليظ، و فروة و خفّ، و على كتفه ملحفة جافية بغير سراويل، فلما رفع الخبر بقدمه أمر الرشيد بأن تفرش له حجرة، و تقام له وظيفة، ففعلوا، فكانت المائدة إذا قدّمت إليه أخذ منها رقاقة و ملحاً و خلط الملح بالتراب فأكله بها، فإذا كانت وقت النوم نام على الأرض و الخدم يتفقّدونه، و يتعجبون من فعله.

- 1- أ تذبني: أ تحثني و تدعوني.
- 2- زيره: زجره و انتهره.
- 3- مستعديا: مستنصرا مستعينا.
- 4- في س: «كذبت» و السياق يقتضي حذف التاء.
- 5- حوارين بضم أوله و تشديد الواو و كسر الراء و ياء ساكنة: قرية من قرى حلب. و ضبطها في «القاموس» بفتح الحاء. الدمنة: واحدة الدم، و هي آثار الدار.
- 6- رأس عين: مدينة كبيرة من مدن الجزيرة بين حران و نصيبين.

الرشيد يأمر بطرده

و سأل الرشيد عنه، فأخبروه بأمره، فأمر بطرده.

يحيى بن سعيد العقيلي يشتري له دابة توصله إلى رأس عين و قد فضح سعيدا بأفعاله

فخرج حتى أتى يحيى بن سعيد العقيلي و هو في منزله، فسلم عليه، وانتسب له، فرحب به، وقال له:

ارتفع. فقال: لم آت لك للجلوس، قال: فما حاجتك؟ قال: دابة أبلغ عليها إلى رأس عين، فقال: يا غلام أعطه الفرس الفلاني. فقال: لا حاجة لي في ذلك، ولكن تأمر أن تشتري لي دابة أتبلغ عليها. فقال لغلامه: امض معه فابتع له ما يريد. فمضى معه، فعدل به العتابي إلى سوق الحمير، فقال له: إنما أمرني أن أبتاع لك دابة. فقال له:

إنه أرسلك معي، ولم يرسلني معك، فإن عملت ما أريد و إلا انصرف. فمضى معه فاشترى حمارا بمائة و خمسين درهما، وقال: ادفع إليه ثمنه، فدفع إليه، فركب الحمار عريا بمرشحة عليه و بردعة، و ساقاه مكشوفتان، فقال له يحيى بن سعيد: فضحتني، أمثلي يحمل مثلك على هذا؟ فضحك، وقال: ما رأيت قدرك يستوجب أكثر من ذلك.

و مضى إلى رأس عين.

لوم زوجته له و ما قال في ذلك

و كانت تحته امرأة من باهلة، فلامته، و قالت: هذا منصور النمري قد أخذ الأموال فحلّى نساءه، و بنى داره، و اشترى ضياعا، و أنت هاهنا كما ترى! فأنشأ يقول:

تلوم على ترك الغنى باهلية *** زوي الفقر عنها كل طرف و تالد(1)

رأت حولها النسوان يرفلن في الثرا *** مقلدة أعناقها بالقلائد(2)

أسرك إني نلت ما نال جعفر *** من العيش أو ما نال يحيى بن خالد

و إن أمير المؤمنين أغصني *** مخصهما بالمشركات البوارد(3)

/رأيت رفيعات الأمور مشوبة *** بمستودعات في بطون الأساود(4)

دعيني تجتني ميتتي مطمئة *** و لم أتجشم هول تلك الموارد(5)

و هذا الخبر عندي فيه اضطراب؛ لأن القصيدة المذكورة التي أولها:

ما ذا شجاك بحوارين(6) من طلل

للعتابي في الرشيد، لا في عبد الملك، ولم يكن كما ذكره في أيام الرشيد متنقفاً منه. وله أخبار معه طويلة، وقد حدثني بخبره هذا لما استوهب رفع السيف عن ربيعة جماعة على غير هذه الرواية.

عتب الرشيد على العتابي و قطع الهبات فيتصل بقصيدته هذه

أخبرني عمي قال: حدثني عبد الله بن أبي سعد، قال: حدثني مسعود بن إسماعيل العدوي عن موسى بن عبد الله التميمي قال:

ص: 85

-
- 1- الطرف: الجديد. والتالد: القديم. وانظر كتاب «الحيوان» للجاحظ (4:265).
 - 2- يرفلن: تجر الواحدة ذيلها وتبختر.
 - 3- أغصني: من الغصة، وهي ما يعترض في الحلق فتحبس الأنفاس به. ويروى: «أغصني معضهما». المشركات: السيوف اللوامع. البوارد: التي تثبت في الضريبة لا تنثني.
 - 4- الأساود: جمع أسود وهو الحية.
 - 5- ورد في كل الأصول «منيتي»، تحريف.
 - 6- انظر ما سبق في ص 122.

عتب الرشيد على العتابي أيام الوليد بن طريف، فقطع عنه أشياء كان عوّده إياها، فأثاه متنصّلاً بهذه القصيدة:

/

ما ذا شجّاك بحوّارين من طلل *** ودمنة كشفت عنها الأعاصير
شجّاك حتّى ضمير القلب مشترك *** والعين إنسانها بالماء مغمور
في ناظريّ انقباض عن جفونهما *** وفي الجفون عن الآماق تقصير
لو كنت تدرين ما شوقي إذا جعلت *** تنأى بنا وبك الأوطان و الدور
علمت أنّ سرى ليلى و مطلعي *** من بيت نجران و الغورين تغوير(1)
إذ الركائب مخوف نواظرها *** كما تضمّنت الدهن القوارير
نادتك أرحامنا اللاتي نمّت بها *** كما تنادي جلاّد الجلّة الخور(2)
/مستتبط عزّ مات القلب من فكر *** ما بينهنّ و بين الله معمور
فتّ المدائح إلا أنّ أنفسنا *** مستتبطات بما تحوي الصّمائير
ما ذا عسى مادح يثني عليك و قد *** ناداك في الوحي تقديس و تطهير
إن كان ممّا ذوّو إفك و مارقة *** و عصبه دينها العدوان و الرّور(3)
فإنّ ممّا الذي لا يستحثّ إذا *** حثّ الجياد و حازتها المضامير(4)
و من عرائقه السّفاح عندكم *** مجرّب من بلاء الصّدق مخبور(5)
الآن قد بعدت في خطوطاعتكم *** خطاهم حيث يحتل الغشامير(6)

الرشيد يرضى عن العتابي و يردّ أرزاقه و يصله

إشارة

- يعني يزيد بن مزيد، و هشام بن عمر و التغلبيّ، و هو من ولد سفيح بن السفاح - قال: فرضي عنه و ردّ أرزاقه و وصله.

صوت

تطاول ليلي لم أنمه تقلبا *** كأن فراشي حال من دونه الجمر

فإن تكن الأيام فرقن بيننا *** فقد بان مني تذكره العذر

الشعر للأبيد الرياحي، والغناء لبابويه، ثقيل أول بالوسطى عن عمرو، وفيه رمل نسبه يحيى المكي إلى ابن سريج.

وقيل إنه منحول.

ص: 86

-
- 1- نجران: موضع بالبحرين وموضع قرب دمشق. والتغوير: الدخول في الغور.
 - 2- الجلابد بالجيم والبدال: النوق الصلاب وما غزر لبنها أو قل ضد. والجلة: المسان من الإبل. وفي ش: «الحيلة» تحريف. والخور: جمع خوارة على غير قياس، وهي الناقة الغزيرة اللبن.
 - 3- الإفك: البهتان. والمارقة: الخارجة على الدين.
 - 4- المضامير: جمع مضمار، وهو الموضع الذي تضمير فيه الخيل. وروى في ص 122: «وضمنتها المضامير».
 - 5- المخبور: المختبر. وصدر البيت محرف.
 - 6- الغشامير بالعين من الغشمة وهي: التهضم والظلم. وفي ش، ح بالعين المهملة.

أخبار الأبيرد و نسبه

الأبيرد بن المعدّر بن قيس بن عتّاب بن هرمي بن رياح بن يربوع بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم. شاعر فصيح بدوي، من شعراء الإسلام و أول دولة بني أمية.

الأبيرد ليس مكثرا و لم يتكسب بشعره

و ليس بمكثرا، و لا ممن وفد إلى الخلفاء فمدحهم.

و قصيدته هذه التي فيها الغناء يرثي بها بريدا أخاه، و هي معدودة من مختار المراثي.

الأبيرد يهوى امرأة من قومه فزوّجت غيره

أخبرني هاشم بن محمّد الخزاعي قال: حدّثنا دماذ عن أبي عبيدة قال:

كان الرياحي يهوى امرأة من قومه و يجنّ بها حتّى شهر ما بينهما، فحجبت عنه، و خطبها فأبوا أن يزوّجوها إياه، ثم خطبها رجل من ولد حاجب بن زرارة، فزوّجته، فقال الأبيرد في ذلك:

إذا ما أردت الحسن فانظر إلى التي *** تبغى لقيط قومه و تخيرا(1)

لها بشر لو يدرج الذرّ فوقه *** لبان مكان الذرّ فيه فأثرا(2)

العمرى لقد أمكنت منا عدونا *** و أقررت للعادي فأخني و أهجرا(3)

لم يرض الأبيرد من حارثة بن بدر ثوبين يدخل بهما على ابن زياد

أخبرني أبو خليفة الفضل بن الحباب في كتابه إلي قال: حدّثنا محمّد بن سلام الجمحي قال:

أقدم الأبيرد الرياحي على حارثة بن بدر فقال: اكسني بردين أدخل بهما على الأمير - يعني عبيد الله بن زياد - و كساه ثوبين فلم يرضهما، فقال فيه:

أ حارث أمسك فضل برديك إنما *** أجاج و أعرى الله من كنت كاسيا

و كنت إذا استمطرت منك سحابة *** لتمطرنى عادات عجاجا و سافيا(4)

أ حارث عاود شربك الخمر إنني *** أرى ابن زياد عنك أصبح لاهيا

فبلغت أبياته هذه حارثة فقال: قبحه الله: لقد شهد بما لم يعلم. وإنما أدع جوابه لما لا يعلم. هكذا ذكر محمد بن سلام.

ص: 87

1- تبغي لقيط قومه: طلب إليهم أن يساعده و يتخيروا له ذات النسب.

2- البشر: الجلد. و الذر: صغار النمل.

3- أقررت: خضعت. للعادي روى في كل الأصول «للوادي» و لعلها ما أثبتنا. أخنى: قال الخنا. و أهجر: قال هجرا.

4- العجاج: الغبار. و السافي: الريح تحمل ترابا.

حارثة منع عنه الكسوة لما بلغه هجاؤه

أخبرني حبيب بن نصر المهلبى قال: حدّثنا عمر بن شبة قال: حدّثنا الأصمعيّ قال: هجا الأبيرد الرياحيّ حارثة بن بدر فقال:

أحارث راجع شربك الخمر إنني *** أرى ابن زياد عنك أصبح لاهيا

أرى فيك رأيا من أبيه وعمه *** وكان زياد ماقتا لك فاليا

وذكر البيتين الآخرين اللذين ذكرهما محمّد بن سلام، وقال في خبره هذا: فكان حارثة يكسوه في كلّ سنة بردين، فحبسهما عنه في تلك السنة، فقال حارثة بن بدر يجيبه:

فإن كنت عن برديّ مستغنيا لقد *** أراك بأسمال الملابس كاسيا(1)

وعشت زمانا أن أعيتك كسوتي *** فنعت بأخلاق وأمسيت عاريا(2)

وبردين من حوك العراق كسوتها *** على حاجة منها لأمك باديا(3)

/فقال الأبيرد يهجو حارثة بن بدر:

زعمت غدانة أن فيها سيذا *** ضنخما يواريه جناح الجندب(4)

يرويه ما يروي الدّباب وينتشي *** لؤما ويشبعه ذراع الأرنب

وقال أيضا لحارثة بن بدر:

ألا ليت حظّي من غدانة أنها *** تكون كفافا لا عليّ ولا ليا(5)

أبى الله أن يهدي غدانة للهدى *** وأن لا تكون الدهر إلا مواليا(6)

فلو أنني ألقى ابن بدر بموطن *** نعدّ به من أولينا المساعيا(7)

تقاصر حتى يستقيد وبدّه *** قروم تسامى من رياح تساميا(8)

أيا فارط الحي الذي قد حشا لكم *** من المجد إنهاء ملاء الخوايبا(9)

وعمّي الذي فكّ السّميدع عنوة *** فلست بنعمي يا ابن عقرب جازيا

كلانا غنيّ عن أخيه حياته *** ونحن إذا متنا أشدّ تغانيا(10)

ألم ترنا إذ سقت قومك سائلا *** ذوي عدد للسائلين معاطيا

- 1- الأسمال: الثوب الخلق أو الأثواب الخلقة.
- 2- عينه: أعطاه. الأخلاق: جمع خلق بالتحريك: الثوب المهلهل.
- 3- حوك العراق: نسجه. وكان مشهورا بالدقة في ذلك الزمان. وفي جميع الأصول «حول» باللام.
- 4- غدانة: هي من يربوع تسمى به القبيلة. والجندب: الجراد.
- 5- الكفاف: ما يكف عن الناس و يغني.
- 6- الموالي: العبيد.
- 7- المساعي: مآثر أهل الشرف والفضل. في الأصول: «يعينه من أولينا»، وهو تحريف.
- 8- استقاد: ذل و خضع. القروم: السادة. ورياح: قبيلة.
- 9- الفارط: السابق لإصلاح الحوض و الدلاء. و الأنهاء: جمع نهى، وهو الغدير. و الخوابي: جمع خابية، وهي حوض يجتمع فيه الماء.
- 10- هذا البيت يروى لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر، و نقل السيوطي عن «أمالي القالي» أنه لسيار بن هبيرة.

بني الردف حمالين كلّ عظيمة *** إذا طلعت و المترعين الجوابيا(1)

و إنا لنعطي التّصف من لو نضيمه *** أقر و لكننا نحب العوافيا(2)

الردف الّذي عناه هاهنا: جدّه عتاب بن هرمي بن رياح، كان ردف بن المنذر، إذا ركب ركب وراءه، وإذا جلس جلس عن يمينه، وإذا غزا كان له المربع؛ وإذا شرب الملك سقي بكأسه بعده، و كان بعده ابنه قيس بن عتاب يردف(3) النعمان. و هو جدّ الأبيرد أيضا.

الأبيرد و سعد العجلي

أخبرني هاشم بن محمّد قال: حدّثنا أبو غسان عن أبي عبيدة قال:

كانت بنو عجل قد جاورت بني رياح بن يربوع في سنة أصابت عجلا، فكان الأبيرد يعاشر رجلا منهم، يقال له سعد، و يجالسه، و كان قصده امرأة سعد هذا، فمالت إليه فومقته، و كان الأبيرد شابا جميلا ظريفا طريرا، و كان سعد شيخا همّا(4)، فذهب بها كلّ مذهب حتى ظهر أمرهما و تحدّث بهما، و اتهم الأبيرد بها، فشكاه إلى قومه و استعذروهم منه(5)، فقالوا له: مالك تتحدّث إلى امرأة الرجل؟ فقال: و ما بأس بذلك(6)!. و هل خلا عربي منه؟ قالوا: قد قيل فيكما ما لا قرار عليه، فاجتنب محادثتها، و إياك أن تعاودها. فقال الأبيرد: إنّ سعدا لا خير فيه لزوجته. قالوا: و كيف ذلك؟ قال: لأنّي رأيته يأتي فرسه البلقاء، و لا فضل فيه لامرأته، فهي تبغضه لفعله، و هو يتّهمها لعجزه عنها. فضحكوا من قوله، و قالوا له: و ما عليك من ذلك؟ دع الرجل و امرأته و لا تعاودها و لا تجلس إليها. فقال الأبيرد في ذلك:

ألم تر أنّ ابن المعدّر قد صحا *** و ودّع ما يلحى عليه عواذله(7)

غدا ذو خلاخيل عليّ يلومني *** و ما لوم عدّال عليه خلاخله(8)

فدع عنك هذا الحلبي إن كنت لائمي *** فإني امرؤ لا تزدهيني صلاحه(9)

إذا خطرت عنس به شدنية *** بمطرود الأرواح ناء مناهله(10)

تبيّن أقوام سفاهة رأيهم *** ترحلّ عنهم و هو عفّ منازلهم

لهم مجلس كالزّردن يجمع مجلسا *** لنا ما مساعيه كثيرا هتامله(11)

تبرأت من سعد و خلّه بيننا *** فلا هو معطيني و لا أنا سائله

ص: 89

1- الجوابي جمع جابية: الحوض يجمع فيه الماء.

2- نضيمه: نظلمه، و الظلم علامة القوّة. العوافي: جمع عافية: السلامة.

3- يردف: يقال يردف الملك: يجلس عن يمينه ويشرب بعده.

4- الهمم و الهممة بكسر الهماء: الشيخ الفاني.

5- استعذرهم: استعدهم عليه و استتصرهم.

6- ما بأس بذلك: ما عيب في ذلك. وفي الحديث أن النبي صَلَّى الله عليه و سلم استعذر أبا بكر من عائشة، كان عتب عليها في شيء و قال لأبي بكر: اعذرني منها إن أدبتها. أي قم بعذري في ذلك. و يقال أ ما تعذرني من هذا، أي أ ما تصفني.

7- يلحى: أي يلوم.

8- أي لا أهتم بلوم من هو كالنساء يلبس الخلاخل.

9- صلاصله: رنينه و صوته.

10- العنس: الناقة الصلبة. و الشدنية من الإبل: منسوبة إلى موضع باليمن.

11- جعله كالردن، و هو أصل الكم، في ضيقه و قلة عددهم. و في الأصول: «كالدرن». و الهمثلة: الكلام الخفي.

متى تنتج البلقاء يا سعد أم متى *** تلقح من ذات الرباط حوائله(1)

يحدث سعد أن زوجته زنت *** ويا سعد إن المرء تزني حلاله

فإن تسم عيناها إليّ فقد رأيت *** فتى كحسام أخلصته صياقله(2)

فتى قد قد السيف لا متضائل *** ولا رهل لبّاته وأباجله(3)

- وهذا البيت الأخير يروى للعجير السلولي، ولأخت يزيد بن الطثرية - فاعترضه سلمان العجليّ فهجاه وهجا بني رياح فقال:

/

لعمرك إنني وبني رياح *** لكالعاوي فصادف سهم رام

يسوقون ابن وجرة مزمرا *** ليحميهم وليس لهم بحام(4)

وكم من شاعر لبني تميم *** قصير الباع من نفر لئام

كسونا - إذ تحرق ملبسناه - *** دواهي بيترين من العظام(5)

وإن يذكر طعامهم بشرّ *** فإنّ طعامهم شرّ الطعام

/شريح من منيّ أبي سواج *** وآخر خالص من حيض أم(6)

وسوداء المغابن من رياح *** على الكردوس كالفأس الكهام(7)

إذا ما مرّ بالقعقاع ركب *** دعته من نينك على الطعام(8)

تداولها غواة الناس حتّى *** تنوب وقد مضى ليل التمام(9)

وقال الأبيرد أيضا مجيبا له:

عوى سلمان من جورّ فلاقى *** أخو أهل اليمامة سهم رامى

عوى من جنبه وشقيّ عجل *** عواء الذئب مختلط الظلام(10)

بنو عجل أذلّ من المطايا *** ومن لحم الجزور على التمام(11)

- 1- الرباط: الخيل أو الخمس منها فما فوقها، و المرابطة: أن يربط كل من الفريقين خيولهم في ثغرة و كل معد لصاحبه. و سمي المقام بالثغر رباطا. و الحوائل: جمع حائل و هي التي حمل عليها فلم تلقح، و التي لم تلقح سنة أو سنتين أو سنوات.
- 2- الصياقل: جمع صيقل.
- 3- الرهل: المسترخي. و لباته جمع لبة: و هي موضع النحر. و الأجل: عرق غليظ في اليد أو الرجل. و في بعض النسخ «أنصله» تحريف.
- 4- المزمتر: الغاضب.
- 5- في الأصول: «إذ يخرق».
- 6- الشريجان: لوانان مختلفان. و أبو سواج، ورد في «القاموس»: «أبو سواج الضبي أخو بني عبد مناة». الآم: جمع أمة، و هي المرأة المملوكة ليست بحرة.
- 7- المغابن جمع مغبن و هو: الإبط. و الكردوس: كل عظم كثير اللحم. و الكهام: الكلليل.
- 8- القعقاع: مكان.
- 9- ليل التمام، بالكسر: أطول ليالي الشتاء.
- 10- يعني بشقي عجل، سلمان العجلي. مختلط الظلام، أي وقت اختلاط الظلام.
- 11- الجزور: البعير أو خاص بالناقة المجزورة. و الثمام: نبت خفيف. و يقصد أنهم كالشريحة الصغيرة يتحملها هذا النبت الضعيف، و ذلك لحقارته.

تحيا المسلمون إذا تلاقوا *** وعجل ما تحيا بالسلام

إذا عجلية ولدت غلاما *** إلى عجل فقبح من غلام

يمص بثديها فرخ لئيم *** سلاله أعبد ورضيع أم (1)

خبيث الريح ينشأ بالمخازي *** لئيم بين آباء لئام

أنا ابن الأكرمين بني تميم *** ذوي الآكال و الهمم العظام (2)

و كائن من رئيس قطرته *** عواملنا و من ملك همام (3)

و جيش قد ربعناه و قوم *** صبحناه بذى لجب لهام (4)

و قال أيضا الأبيرد مجيبا له:

أخذنا بأفاق السماء فلم ندع *** لسلمان سلمان اليمامة منظرا

من القلح فسأء شروط يهره *** إذا الطير مرات على الدوح صرصر (5)

و أفلح عجلي كأن بخطمه *** نواجذ خنزير إذا ما تكشرا (6)

يزلّ النوى عن ضرسه فيردّه *** إلى عارض فيه القوادح أبخرا (7)

إذا شرب العجلي نجس كأسه *** و ظلت بكفي جانب غير أزهر (8)

شديد سواد الوجه تحسب وجهه *** من الدم بين الشارين مقيرا (9)

إذا ما حساها لم تزده سماحة *** و لكن أرتة أن يصرّ و يحصرا (10)

فلا يشربن في الحى عجل فإنه *** إذا شرب العجلي أخنى و أهجرا (11)

/يقاسي نداماهم و تلقى أنوفهم *** من الجدع عند الكأس أمرا مذكرا (12)

و لم تك في الإشراك عجل تذوقها *** ليالي يسبها مقاول حميرا (13)

و ينفق فيها الحنظليون مالهم *** إذا ما سعى منهم سفيه تجبرا

و لكنها هانت و حرّم شربها *** فمالت بنو عجل لما كان أكفرا

- 1- الأم جمع أمة: المملوكة غير الحرة.
- 2- في الأصول: «الأطال» تحريف. وذو والآكال: سادة الأحياء الآخذون للمرباع. وآكال المملوك مآكلهم.
- 3- قطرته: صرعته. وعواملنا: رماحنا.
- 4- اللهم: الجيش العظيم.
- 5- القلح بالضم جمع أفلح وهو: الفاسد الأسنان. يهره: يجعله يهر كالكلاب لفرعه. وفي الأصول: «بمره» وكذا «مراي الزرع».
- 6- الخطم: مقدم الفم والأنف، وأصله للدواب. وفي النسخ: «مخطه» تحريف.
- 7- القوادح: جمع قادح آكال، بضم أوله، يوجد في الأسنان.
- 8- الجانب: القمىء القصير الذليل وفي بعض الروايات «جانب» بالتسهيل وهو تصحيف.
- 9- مقير: مطلي بالقار، وهو الزفت. وفي الأصول: «مغيرا».
- 10- يصر: أصل الصر الجمع والشد. يحصر: يينخل.
- 11- أخنى: قال الخنا، وهو الفحش. وفي الأصول: «أخنى». وأهجر: قال هجرا وقولا منكرا.
- 12- الجدع: القطع. وفي الأصول: «ويلقى أوفهم من الجذع». والمذكر: الشديد.
- 13- يسيبها: يشتريها. والمقاول: جمع مقول كمنبر: الملك من ملوك حمير.

لعمرى لئن أزننتم أو صحوتم *** لبئس الندامى كنتم آل أبجرا(1)

مجائل و عرادة يتفاخران بنحر الشياه و الإبل

أخبرني عبيد الله بن محمد الرازي قال: حدّثنا أحمد بن الحارث قال حدّثنا المدائني قال: كان مجائل بن مرة بن محكان السعديّ و ابن عم له يقال له: عرادة، و قد كان عرادة اشترى/اغنما له فأنهبها، و كانت مائة شاة، فاشترى مرة بن محكان مائة من الإبل فأنحر بعضها(2) و أنهب باقيها، و قال أبو عبيدة: إنهما(3) تفاخرا، فغلبه مرة، فقال الأبيرد لعرادة:

شرى مائة فأنهبها جميعا *** و بتّ تقسم الحذف(4) النقادا

فبعث عبيد الله بن زياد فأخذ مرة بن محكان فحبسه و قيّده، و وقع بعد ذلك من قومه لحاء، فكانت بينهم شجاج(5)، ثم تكافؤوا و توافقوا على الديات فأنبئ(6) مرة بن محكان و هو محبوس، فعرف ذلك فتحمل جميعها في ماله، فقال فيه الأبيرد:

لله عينا من رأى من مكبل *** كمرّة إذ شدت عليه الأدهم(7)

/فأبلغ عبيد الله عني رسالة *** فإنك قاض بالحكومة عالم

فإن أنت عاقبت ابن محكان في الندى *** فعاقب هداك الله أعظم حاتم(8)

تعاقب خرقا أن وجود بماله *** سعى في ثأى من قومه متفاقم(9)

كأن دماء القوم إذ علقت به *** على مكفهّر من ثنايا المخارم(10)

الأبيرد و ابن عمه الأحوص يحرضان رجلا على سحيم بن وثيل الرياحي

أخبرني محمد بن العباس اليزيديّ قال: حدّثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي، قال: حدّثنا عمي قال: أتى رجل الأبيرد الرياحيّ و ابن عمه الأحوص، و هما من رهط ردف الملك من بني رياح، يطلب منهما قطرانا لإبله فقالا له: إن أنت بلّغت سحيم بن وثيل الرياحي هذا الشعر أعطيناك قطرانا. فقال: قولا. فقالا: اذهب فقل له:

فإن بداهتي و جراء حولي *** لذو شقّ على الحطم الحرون(11)

ص: 92

1- أزننتم: اتهمتم.

2- أنحرها: أراد جعلها للنحر، و لم نجد هذا الفعل بهذا المعنى في المعاجم.

3- في ح «إنما».

4- الحذف بالتحريك و بالفاء لا القاف. في ح: «الغنم السود حجازية أو حرشية بلا أذنان و لا آذان». و جاء بالبدال المهملة و القاف في س، و هو تحريف. و النقاد: جمع نقد بالتحريك: جنس من الغنم قبيح الشكل، و راعيه نقاد.

5- الشجاج: جمع شجة، وهي الجرح في الوجه والرأس.

6- في الأصول: «فأتى».

7- الأدهم: جمع أدهم وهو القيد.

8- حاتم، أي جواد كحاتم.

9- الثأى كالسعي والثري: الإفساد والجرح والقتل ونحوه وفي هذا البيت وما بعده إقواء كسابقهما.

10- المكفهر: الضارب لونه إلى الغبرة مع غلظ. والمخارم جمع مخرم: الطريق في الغلظ.

11- البداهة: أول جري الفرس. والجراء: الجري. والشق: المشقة. والحطم: العسوف العنيف. والحرون، أصله الفرس الذي لا يتقاد. و

في الأصول: «و عشق على الحطم» صوابه من «الأصمعيات» ص 5 طبع المعارف.

قال: فلما أتاه وأنشد الشعر أخذ عصاه، وانحدر في الوادي، وجعل يقبل فيه ويدبر، ويهمهم بالشعر. ثم قال:

أذهب فقل لهما:

فإنّ علّاتي وجرأ حولي *** لذو شقّ على الضّرع الظّنون(1)

أنا ابن الغرّ من سلفي رياح *** كنصل السيف وضاح الجبين

أنا ابن جلا و طلاع الثنايا *** متى أضع العمامة تعرفوني(2)

أو إنّ مكاننا من حميريّ *** مكان الليث من وسط العرين

وإنّ قناتنا مشط شطاها *** شديد مدها عنق القرين(3)

- قال الأصمعي: إذا مسست شيئاً خشناً فدخل في يدك قيل: مشطت يدي والشطا: ما تشطّى منها -

وإني لا يعود إليّ قرني *** غداة الغبّ إلا في قرين(4)

بذي لبد يصدّ الركب عنه *** ولا تؤتى فريسته لحين(5)

غدرت البزل إذ هي صاولتني *** فما بالي وبال ابني لبون(6)

وما ذا تبتغي الشعراء منّي *** وقد جاوزت رأس الأربعين(7)

أخو الخمسين مجتمع أشديّ *** ونجذني مداورة الشئون(8)

سأحيا ما حييت وإنّ ظهري *** لذو سند إلى نضد أمين(9)

قال: فأتيه فاعتذرا إليه، فقال: إنّ أحدكم لا يرى أن يصنع شيئا حتّى يقيس شعره بشعرنا، أو حسبه بحسبنا، ويستطيف(10) بنا استطافة المهر الأرن(11). فقالا له: فهل إلى التّزع من سبيل(12). فقال(13): إننا لم تبلغ أنسابنا.

قال اليزيديّ: أبيات سحيم هذه من اختيارات الأصمعي.

ص: 93

1- الضرع بالتحريك: الصغير من كل شيء. والظنون كصبور: الذي لا يوثق بجره.

2- أنا ابن جلا، جلا: من الجلاء والظهور، كناية عن العلو. طلاع الثنايا، الثنايا: جمع ثنيه وهي العقبة أو الجبل كناية عن نسور قمة المجد. متى أضع العمامة تعرفوني: قال ثعلب: «العمامة تلبس في الحرب وتوضع في السلم».

3- مشط بظاء المعجمة، وهذا مثل لامتاح جانبه، أي لا تمس قناتنا فينالك منها أذى، وإن قرن بها أحد مدت عنقه وجذبه فذل.

- 4- قرني: نظيري. و القرين: المصاحب. و المعنى أنه لا يأتي منفردا، لضعفه.
- 5- اللبد بكسر أوله و يحرك جمع لبدة: الشعر في رقبة الأسد. و «يصد» يصح أن تكون لازمة و أن تكون متعدية. يصف بذلك القرين الذي يستعين به قربه.
- 6- البزل: جمع بازل و هو ما بلغ من الإبل التاسعة. و ابن اللبون: ما كان في العام الثاني و استكمله أو إذا دخل في الثالثة. و المعنى: القوي عذر إذا صاولني، فما عذر الضعيف.
- 7- روى «يدري» بدل «يتغي»، و معناه يختل بضرب من الحيلة، أي يخدع. و «حد» بدل «رأس».
- 8- نجذني: جعلني مجربا.
- 9- النصد: الوسائد و ما حشي من المتاع، و هو أيضا الأعمام و الأخوال المتقدمون في الشرف.
- 10- يستطيف: يدور و يحوم.
- 11- الأرن بفتح الهمزة و كسر الراء: الشيط.
- 12- النزع: تحويل الشيء عن موضعه، و هو أيضا: الكف.
- 13- في الأصل: «فقال».

و القصيدة التي رثى بها الأبيرد أخاه بريدا وفي أولها الغناء المذكور، من جيد الشعر، و مختار المراثي، المختار منها قوله:

تطاول ليلي لم أنمه تقلبا *** كأن فراشي حال من دونه الجمر

أراقب من ليل التمام نجومه *** لدن غاب قرن الشمس حتى بدا الفجر(1)

تذكرت قرما بان متا بنصره *** و نائله يا حبذا ذلك الذكر(2)

فإن تكن الأيام فرقن بيننا *** فقد عذرتنا في صحابتنا العذر(3)

و كنت أرى هجرا فراقك ساعة *** ألا لا بل الموت التفرق و الهجر

أحقا عباد الله أن لست لاقيا *** بريدا طوال الدهر ما لألا العفر(4)

فتى إن هو استغنى تحرق في الغنى *** فإن قلّ ما لا لم يؤد متنه الفقر(5)

و سامى جسيمات الأمور فنالها *** على العسر حتى أدرك العسر اليسر(6)

ترى القوم في العزاء ينتظرونه *** إذا ضلّ رأي القوم أو حزب الأمر(7)

فليتك كنت الحي في الناس باقيا *** و كنت أنا الميت الذي غيب القبر(8)

فتى يشتري حسن الثناء بماله *** إذا السنة الشهباء قلّ بها القطر(9)

/كأن لم يصاحبنا بريد بغبطة *** و لم يأتنا يوما بأخباره السفر

لعمري لنعم المرء عالي نعيه *** لنا ابن عزيز بعد ما قصر العصر(10)

تمصّت به الأخبار حتى تغلغت *** و لم تشنه الأطباع دوني و لا الجدر(11)

و لما نعى الناعي بريدا تغولت *** بي الأرض فرط الحزن و انقطع الظهر(12)

عساكر تغشى النفس حتى كأنني *** أخو سكرة طارت بهامته الخمر(13)

إلى الله أشكو في بريد مصيبي *** و بئي و أحزاننا تضمّنها الصدر

- 1- لدن: منذ.
- 2- القرم في الأصل: الفحل، وهو السيد. بان من البين: وهو البعد. والذكر بضم الذال: التذكر.
- 3- العذر، بإسكان الذال وأصلها الضم: جمع عذير، كسرير و سرر. والعذير: العاذر. ومثله قول حاتم: أ ماوى قد طال التجنب والهجر و قد عذرتني في طلابكم العذر
- 4- لألاً العفر: حركت الظباء أذناها.
- 5- تخرق: صار متلافا.
- 6- سامى: بارى فنالها بعد الامتناع.
- 7- العزاء مأخوذة من العزاز، وهو الأرض الصلبة الصعبة، وانتقلت مجازاً إلى الشدة.
- 8- روى «ثاويًا» في ج.
- 9- الشهباء: السنة الشديدة. ويقال أشهبت السنة القوم: جردت أموالهم.
- 10- عالي: رفع الصوت به. والنعيّ: خبر الموت. ابن عزيز، هو في «أمالى القالى» (3:3): «ابن عرين».
- 11- في الأصول: «و لا بينها الأصباح»، صوابه من «الأمالى القالى» والأطباع: جمع طبع، وهو النهر.
- 12- تغوّلت: كادت تميد بي.
- 13- العساكر: الشدائد، في ح «مالت» بدل «طارت» وفي «الأمالى»: «دارت».

وقد كنت أستعفي إلهي إذا شكنا *** من الأجر لي فيه وإن سرّني الأجر

و ما زال في عينيّ بعد غشاوة *** و سمعي عمّا كنت أسمعهُ وقر(1)

على أنني أفتني الحياء و اتقي *** شماتة أعداء عيونهم خزر(2)

فحيالك عنيّ الليل و الصبح إذ بدا *** و هوج من الأرواح غدوتها شهر(3)

سقى جدثا لو أستطيع سقيته *** بأود فرواه الروافد و القطر(4)

و لا زال يرعى من بلاد ثوى بها *** نبات إذا صاب الربيع بها نضر(5)

حلفت برب الرفاعين أكفهم *** و ربّ الهدايا حيث حلّ بها النحر

و مجتمع الحجاج حيث توافقت *** رفاق من الآفاق تكبيرها جار(6)

/يمين امرئ آلى و ليس بكاذب *** و ما في يمين قالها صادق وزر

لئن كان أمسى ابن المعذّر قد ثوى *** يريد لنعم المرء غيبه القبر

/هو الخلف المعروف و الدين و التقى *** و مسعر حرب لا كهام و لا غمر(7)

أقام فنادى أهله فتحملوا *** و صرّمت الأسباب و اختلط النّجر(8)

فتى كان يغلي اللحم نيئا و لحمه *** رخيص لجاديه إذا تنزل القدر(9)

فتى الحيّ و الأضياف إن روّحتهم *** بليل و زاد السفر إن أرمل السّففر(10)

إذا جارة حلّت لديه وفي بها *** فأبت و لم يهتك لجارته ستر(11)

عفيف عن السوات ما التبتت به *** صليب فما يلفى لعوده به كسر

سلكت سبيل العالمين فما لهم *** وراء الذي لا قيت معدى و لا قصر(12)

و كل امرئ يوما سيلقى حمّاه *** و إن نأت الدعوى و طال به العمر

و أبلت خيرا في الحياة و إنّما *** ثوابك عندي اليوم أن ينطق الشّعر

- 1- الوقر: الصمم. وفي الأصول: «وسمعي كما قد أسمعته» صوابه من «الأمالي».
- 2- أفنى الحياء: يقال قنى الحياء قنوا كرضى ورمى: لزمه، كأفنى واقتنى وقنى. الخزر: كسر العين خلقة، أو ضيقها.
- 3- الهوج: الشديدة. والأرواح جمع روح: الرياح العاصفة.
- 4- أود بفتح الهمزة وضمها: مكان.
- 5- ثوى: أطال الإقامة أو نزل.
- 6- في «الأمالي»: «تواقفت» بتقديم القاف.
- 7- في «الأمالي»: «هو المرء المعروف». مسعر حرب: مثيرها. والكهام البطيء عن النصرة والغمر: الذي لم يجرب الأمور.
- 8- ضرمت بالباء للمجهول: قطعت. يغلي اللحم: يشتريه غاليا، ويقال أيضا يغلى. قال الشاعر: تغالي اللحم للأضياف نيئا وترخصه إذا نضج القدد والنجر: الأصل.
- 9- الرخيص: أراد به المبذول. والجادي: طالت الجدوى. وهي العطاء.
- 10- روحتهم: هبت عليهم. وزاد السفر: هو أن يقوم المرء بزاد المسافرين الذين لم يحضروا طعاما. و السفر بسكون الفاء، هم المسافرون. أرمل: نفذ زاده.
- 11- في «الأمالي»: «وإن جارة حلت إليه وفي لها فباتت».
- 12- معدى: مصرف أو مجاز. والقصر وردت في بعض الأصول «مضر» وهو تحريف، والتصويب عن «ذيل الأمالي» ص 3.

وقال يرثيه أيضا، وهي قصيدة طويلة:

إذا ذكرت نفسي بريدا تحاملت *** إليّ ولم أملك لعيني مدمعا

وذكر نيك الناس حين تحاملوا *** عليّ وأضحوا جلد أجرب مولعا(1)

أفلا يبعدنك الله خير أخي امرئ *** فقد كنت طلاع النجاد سميديعا(2)

وصولا لذي القربى بعيدا عن الخنا *** إذا ارتادك الجادي من الناس أمرعا(3)

أخو ثقة لا ينتحي القوم دونه *** إذا القوم حالوا أوجبا الناس مطمعا(4)

ولا يركب الوجناء دون رفيقه *** إذا القوم أزجوهنّ حسرى وظلّعا(5)

صوت

يا زائرنا من الخيام *** حيا كما الله بالسلام

يحزنني أن أطفما بي *** ولم تنالا سوى الكلام(6)

بورك هارون من إمام *** بطاعة الله ذي اعتصام

له إلى ذي الجلال قربي *** ليس لعدل ولا إمام

الشعر لمنصور النمري، والغناء لعبد الله بن طاهر، رمل، ذكر ذلك عبيد الله ابنه، ولم ينسبه إلى الأصابع التي بنى عليها، وفيه للرفّ خفيف رمل بالوسطى، عن عمرو بن بانه. وفيه ثقيل أول بالبنصر مجهول الأصابع. ذكر حبش أنه للرف أيضا.

ص: 96

1- المولع: ما فيه خطوط.

2- النجاد جمع نجد: المرتفعات. و طلاع النجاد: ضابط الأمور فيما يعجز عنه غيره. و السميديع: الكريم.

3- الجادي: طالب العطاء.

4- حالوا: ظنوا. وفي الأصول: «حالوا».

5- الوجناء: الناقة السريعة. و الحسرى: الكليلة. و الظلع: جمع ظالع، التي تغمز في مشيها من عرج.

6- في الأصول: «أطعتماني»، وهو تحريف.

أخبار منصور النمري ونسبه

منصور بن الزبرقان بن سلمة - وقيل منصور بن سلمة بن الزبرقان - بن شريك بن مطعم الكبش الرّخم، بن مالك بن سعد بن عامر بن سعد الصّدحيان بن سعد بن الخزرج بن تيم الله بن التّم بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار. وإنما سمي عامر الصّدحيان لأنه كان سيّد قومه و حاكمهم، وكان يجلس لهم إذا أضحى الثّهار، فسّمى الصّدحيان. و سمي جدّ منصور «مطعم الكبش الرّخم»، لأنه أطمع ناسا نزلوا به ونحر لهم، ثم رفع رأسه فإذا رخم يحمن حول أضيافه، فأمر بأن يذبح لهم كبش ويرمى به بين أيديهم، ففعل ذلك، فنزلن/عليه، فمزقته؛ فسّمى مطعم الكبش الرّخم. وفي ذلك يقول أبو نعيجة النمريّ يمدح رجلا منهم:

أبوك زعيم بني قاسط *** و خالك ذو الكبش يقري الرّخم(1)

و كان منصور شاعرا من شعراء الدولة العباسية من أهل الجزيرة، وهو تلميذ كلثوم بن عمرو العتابي وروايته، وعنه أخذ، و من بحره استقى، وبمذهبه تشبّه. و العتابي وصفه للفضل بن يحيى بن خالد وقرّضه(2) عنده حتى استقدمه من الجزيرة و استصحبه، ثم وصله بالرشيد. و جرت بعد ذلك بينه وبين العتابي وحشة حتى تهاجرا و تناقضا، و سعى كلّ واحد منهما على هلاك صاحبه، و أخبار ذلك تذكر في مواضعها من أخبارهما - إن شاء الله تعالى - و كان النمري قد مدح الفضل بقصيدة و هو مقيم بالجزيرة، فأوصلها العتابي إليه، و استرفده له، و سأله استصحابه، فأذن له في القدوم، فحظي عنده، و عرف مذهب الرشيد في الشعر، و إرادته أن يصل/مدحه إياه بنفي الإمامة عن ولد علي بن أبي طالب - عليهم السلام - و الطعن عليهم، و علم مغزاه في ذلك مما كان يبلغه من تقديم مروان بن أبي حفصة، و تفضيله إياه على الشعراء في الجوائز، فسلك مذهب مروان في ذلك، و نحا نحوه، و لم يصرح بالهجاء و السبّ كما كان يفعل مروان، و لكنه حام و لم يقع، و أوما و لم يحقّق، لأنه كان يتشيع، و كان مروان شديد العداوة لآل أبي طالب، و كان ينطق عن نيّة قويّة يقصد بها طلب الدنيا، فلا يبقى ولا يذر.

منصور النمري يسأل أن يذكر عند الرشيد ثم يمدحه

أخبرني محمّد بن جعفر النحويّ صهر المبرّد قال: حدّثنا محمّد بن موسى بن حماد قال: حدّثني عبد الله بن أبي سعد الكراني، و أخبرني به عمي قال: حدّثنا عبد الله بن أبي سعد حديث محمّد بن جعفر النحويّ أنه قال:

حدّثني محمّد بن عبد الله بن آدم بن جشم العبدي قال: حدّثنا ثابت بن الحارث الجشميّ قال:

كان منصور النمريّ مصافيا للبرامكة، و كان مسكنه بالشّام، فكتب يسألهم أن يذكروه للرشيد، فذكروه و وصفوه، فأحبّ أن يسمع كلامه، فأمرهم بإقدامه، فقدم و نزل عليهم، فأخبروا الرشيد بموضعه و أمرهم بإحضاره، و صادف دخوله إليه يوم نوبة مروان، على ما سمعه من بيانه، و كان مروان يقول قبل قدومه: هذا شاميّ و أنا

2- قرصه: مدحه، و من معانيها الدم.

حجازي، أفتراه يكون أشعر مني، ودخله من ذلك ما يدخل مثله من الغم والحسد، واستنشد الرشيد منصوراً، فأنشده:

أمير المؤمنين إليك خضنا *** غمار الهول من بلد شطير(1)

بخصوص كالأهله خافقات *** تلين على السرى وعلى الهجير(2)

احملن إليك أحمالاً ثقلاً *** و مثل الصخر و الدر النثير(3)

فقد وقف المديح بمنتهاه *** و غايته و صار إلى المصير

إلى من لا يشير إلى سواه *** إذا ذكر الندى كفّ المشير

فقال مروان: وددت و الله أنه أخذ جائرتي و سكت.

و ذكر في القصيدة يحيى بن عبد الله بن حسن فقال:

يذلّ من رقاب بني علي *** و من ليس بالمرّ الصغير

/منتت على ابن عبد الله يحيى *** و كان من الحتوف على شفير(4)

مروان ينشد الرشيد

قال مروان: فما برحت حتى أمرني هارون أمير المؤمنين أن أنشده، و كان يتبسم في وقت ما كان ينشده النمريّ، و يأخذ على بطنه، و ينظر إلى ما قال، فأنشدته:

موسى و هارون هما اللذان *** في كتب الأخبار يوجدان

من ولد المهدي مهديّان *** قدّا عنانين على عنان(5)

قد أطلق المهديّ لي لساني *** و شدّ أزري ما به حباني

من اللّجين و من العقيان *** عيدية شاحطة الأثمان(6)

لو خايلت دجلة بالألبان(7) *** إذا لقيت اشتبه النهران

النمري لا يحتفل بقول مروان

قال: فو الله ما عاج(8) النمريّ بذلك و لا احتفل به، فأوماً إليّ هارون أن زده؛ فأنشدته قصيدتي التي أقول فيها:

خلّوا الطريق لمعشر عاداتهم *** حطم المناكب كل يوم زحام

- 1- الشطير: البعيد.
- 2- الخوص: جمع خوصاء، الناقة لما في عينها من غنور و صغر، وفي سن: «نخوض» بالنون في أوله و الضاد المعجمة في آخره، و هو تحريف.
- 3- أراد شعرا جزلا هو الغاية في النفاسة. وفي الأصول: «الصخرة الذر». وقد عابه مروان لهذا التعبير الذي لم يوفق فيه.
- 4- شفير كل شيء: حرفه.
- 5- قدا: قيسا و عملا. و العنان بكسر العين هو السير يشد به اللجام. و المعنى أنهما يشبهان المهدي في صفاته.
- 6- العيدية: ضرب من نجائب الإبل. وفي الأصول: «عيدته». و شاحط من قولهم شحط فلان في السوم، إذا بلغ أقصى ثمنه. وفي الأصول: «ساختة الإيمان».
- 7- خايلت: فاخرت و بارت. وفي الأصول: «لو حايلت».
- 8- عاج: انعطف و اهتم بالأمر.

ارضوا بما قسم الإله لكم به *** و دعوا وراثه كلّ أصيد حام(1)

أنى يكون و ليس ذاك بكائن *** لبني البنات وراثه الأعمام

قال: فو الله ما عاج بشيء منها، و خرجت الجائزتان، فأعطى مروان مائة ألف، و أعطى النمريّ سبعين ألفاً، و قال: أنت مزيد في ولد علي.

قال: و لقد تخلص النمريّ إلى شيء ليس عليه فيه شيء، و هو قوله:

فإن شكروا فقد أنعمت فيهم *** و إلا فالنّدامة للكفور

و إن قالوا بنو بنت فحقّ *** و ردّوا ما يناسب للذّكور

قال: فكان مروان يتأسف على هذا المعنى أن يكون قد سبقه إليه، و إلى قوله:

و ما لبني بنات من تراث *** مع الأعمام في ورق الزّبور

أخبرني بهذا الخبر محمّد بن عمران الصيرفي، قال: حدّثني الغنوي عن محمّد بن محمّد بن عبد الله بن آدم عن أبي معشر العبديّ، فذكر القصة قريباً مما ذكره محمّد بن جعفر النحويّ يزيد و ينقص، و المعنى متقارب.

كان هارون الرشيد يحتمل أن يمدح بما يمدح به الأنبياء و يغضب لمن قال كأنه رسول

أخبرني عمي قال: حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدّثني محمّد بن عبد الله بن طهمان السّلمي قال: حدّثني أحمد بن سيار الشيبانيّ الشاعر قال:

كان هارون أمير المؤمنين يحتمل أن يمدح بما يمدح به الأنبياء فلا ينكر ذلك و لا يرده؛ حتّى دخل عليه نفر من الشعراء فيهم رجل من ولد زهير بن أبي سلمى، فأفرط في مدحه حتّى قال فيه:

فكأنّه بعد الرسول رسول

فغضب هارون و لم ينتفع به أحد يومئذ، و حرم ذلك الشاعر فلم يعطه شيئاً، و أنشد منصور النمري قصيدة مدحه بها و هجا آل علي و ثلبهم، فضجر هارون و قال له: يا ابن اللّخناء، أ تظنّ أنك تتقرب إليّ بهجاء قوم أبوهم أبي، و نسبهم نسبي، و أصلهم و فرعهم أصلي و فرعي؟! فقال: و ما شهدنا إلا بما علمنا. فازداد غضبه، و أمر مسروراً فوجأ(2) في عنقه و أخرج، ثم وصل إليه يوماً آخر بعد ذلك فأنشده:

/

بني حسن و رهط بني حسين *** عليكم بالسّداد من الأمور

فقد ذقتهم قراع بني أبيكم *** غداة الرّوع بالبيض الذّكور(3)

أ حين شفوكمو من كل وتر *** وضمّوكم إلى كنف وثير(4)

و جادوكم على ظمًا شديد *** سقيتم من نوالهم الغزير(5)

فما كان العقوق لهم جزاء *** بفعلهم و أدى للشور(6)

ص: 99

1- الأصيد: الملك و الرافع رأسه كبرا، و حام: هو الذي يحمي الذمار.

2- وجأ في عنقه: ضربه.

3- البيض الذكور: السيوف القوية.

4- الوتر: الثأر. الكنف الوثير: الجناب اللين.

5- جاده: أمطره. في الأصول: «و جادتكم».

6- الشتر: جمع ثأر.

وإنك حين تبلغهم أذاة*** وإن ظلموا لمحزون الضمير(1)

فقال له: صدقت، وإلا فعليّ وعليّ، وأمر له بثلاثين ألف درهم.

مروان ينشد الرشيد

أخبرني الحسن بن علي قال: حدّثنا يزيد بن محمّد المهلبّي قال: حدّثني عبد الصمد بن المعدّل قال:

دخل مروان بن أبي حفصة و سلم الخاسر، و منصور النمري على الرشيد، فأنشده مروان قصيدته التي يقول فيها:

أنتى يكون و ليس ذاك بكائن *** لبني البنات وراثه الأعمام

وأنشده سلم فقال:

حضر الرّحيل و شدّت الأحداج(2)

وأنشده النمري قصيدته التي يقول فيها:

إن المكارم و المعروف أودية *** أحلك الله منها حيث تجتمع

الرشيد يميز شاعره الخاص عن سائر الشعراء

فأمر لكلّ واحد منهم بمائة ألف درهم، فقال له يحيى بن خالد: يا أمير المؤمنين، مروان شاعرك خاصّة قد ألحقتهم به. قال: فليزد مروان عشرة آلاف.

إعجاب الرشيد بشعر منصور

أخبرني عمي قال: أخبرنا ابن أبي سعد قال: حدّثني عليّ بن الحسن الشيبانيّ قال: أخبرني أبو حاتم الطائيّ، عن يحيى بن ضبيّة الطائيّ، عن الفضل قال: حضرت الرشيد و قد دخل منصور النمريّ عليه فأنشده:

ما تنقضي حسرة مني و لا جزع *** إذا ذكرت شبابا ليس يرتجع

بان الشباب و فاتتني بلدّته *** صروف دهر و أيام لها خدع

ما كنت أو في شبابي كنه غرّته *** حتّى انقضى فإذا الدنيا له تبع

قال: فتحرك الرشيد لذلك ثم قال: أحسن و الله، لا يتهنأ أحد بعيش حتّى يخطر في رداء الشباب.

أخبرني عمي قال: حدّثنا ابن سعد قال: حدّثنا محمّد بن عبد الله بن آدم العبديّ عن أبي ثابت العبديّ عن مروان بن أبي حفصة، قال:

خرجنا مع الرشيد/إلى بلاد الروم، فظفر الرشيد، وقد كاد أن يعطب، لولا الله عز و جل ثم يزيد بن مزيد. فقال لي و للنمري: أنشدا.
فأنشدته قولي:

طرتك زائرة فحيي خيالها *** غراء تخلط بالحياء دلالها(3)

ووصفت الرجال من الأسرى كيف أسلموا نساءهم، و الظفر الذي رزقه، فقال: عدّوا قصيدته؛ فكانت مائة بيت، فأمر لي بمائة ألف درهم،
ثم قال للنمري: كيف رأيت فرسي فإني أنكرته؟ فقال النمري:

ص: 100

-
- 1- ب، س: «اذا» و صوابه ما أثبتنا من ش.
 - 2- الأحداج: جمع حدج بالكسر، و هو المحفة كالهودج.
 - 3- الغراء: البيضاء.

مضرباً على فأس اللجام كآته *** إذا ما اشتكت أيدي الجياد يطير(1)

فظلّ على الصّقّاف يوم تباشرت *** ضباع و ذؤبان به و نسور(2)

فأقسم لا ينسى لك الله أجرها *** إذا قسّمت بين العباد أجور

قال النمريّ: ثم قلت في نفسي: ما يمنعني من إذكاره بالجائزة؟ فقلت:

إذا الغيث أكدى و اقشعرت نجومه *** فغيث أمير المؤمنين مطير(3)

و ما حلّ هارون الخليفة بلدة *** فأخلفها غيث و كاد يضير(4)

فقال: أذكرتني. و رأيتة مهللاً لذلك. قال: فألحقني بمروان و أمر لي بمائة ألف درهم.

محمد الراوية المعروف بالبيدق ينشد قصيدة النمري

أخبرني عمي، قال: حدّثني ابن أبي سعد، قال: حدّثني محمد بن عبد الله بن طهمان، قال حدّثني محمد الراوية المعروف بالبيدق - و كان قصيراً، فلقب بالبيدق(5) /لقصره، و كان ينشد هارون أشعار المحدثين - و كان أحسن خلق الله إنشادا - قال: دخلت على الرشيد و عنده الفضل بن الربيع، و يزيد بن مزيد، و بين يديه خوان لطيف عليه جديان(6) و رغفان سميد(7) و دجاجتان، فقال لي: أنشدني، فأنشدته قصيدة النمريّ العينية، فلما بلغت إلى قوله:

أيّ امرئ بات من هارون في سخط *** فليس بالصلوات الخمس ينتفع

إن المكارم و المعروف أودية *** أحلك الله منها حيث تتسع

إذا رفعت امرأ فالله يرفعه *** و من وضعت من الأقوام متضع

نفسى فداؤك و الأبطال معلمة *** يوم الوغى و المنايا بينها قرع(8)

قال: فرمى بالخوان بين يديه و صاح، و قال: هذا و الله أطيب من كل طعام و كل شيء، و بعث إليه بسبعة آلاف دينار، فلم يعطني منها ما يرضيني، و شخص إلى رأس العين، فأغضبني و أحفظني، فأنشدت هارون قوله:

شاء من الناس راتع هامل *** يعللون النفوس بالباطل(9)

فلما بلغت إلى قوله:

إلّا مساعير يغضبون لها *** بسلة البيض و القنا الذابل(10)

- 1- مضمز على فأس اللجام: يقال أضز الفرس على اللجام إذا أزم عليه. وفأس اللجام: الحديدة القائمة في الحنك.
- 2- «فطل» في كل الأصول بالطاء المهملة، وهو تحريف. و الصفصاف: مدينة غزاها سيف الدولة بن حمدان.
- 3- أكدى الغيث: منع لم يسقط مطره.
- 4- أخلف الغيث: لم يمطر. و كاد يضير: كاد يتلف لغزارته.
- 5- البيدق: الصغير الخفيف. و اختلفت النسخ فكتب بعضها بالذال المعجمة و بعضها بالمهملة.
- 6- في الأصل: «جرمان».
- 7- السميد: لباب الدقيق، و هو بالذال المعجمة أفصح.
- 8- المعلمة بكسر اللام التي أعلمت أنفسها في الحرب بعلامة. و بالفتح أيضا، أي أعلمت بذلك. بينها، أي بين الأبطال. و في الأصل: «المنايا صابها فزع». و في «تاريخ بغداد» 13:68: «المنايا بينهم فزع». و صواب ما في الأصل ما أثبتنا.
- 9- في الأصول: «ساد» صوابه من «تاريخ بغداد» و «الشعر و الشعراء» 836 بتحقيق الشيخ أحمد شاکر. و الراجع: الذي يأكل ما شاء في رغد. و الهامل: المتروك سدى و لا يعمل.
- 10- المساعير: الذين يوقدون نار الحرب، جمع مسعار. سلة البيض: استلال السيوف. و الذابل: الدقيق اللاصق الليط، أي القشر.

الرشيد يبعث بمن يقتل النمري في يوم وفاته

قال: أراه يحرض عليّ، ابعثوا إليه من يجيء برأسه. فكلمه فيه الفضل بن الربيع/ فلم يغن كلامه شيئاً، وتوجّه إليه الرسول فوفاه في اليوم الذي مات فيه ودفن. قال: وكان إنشاد محمّد البيدق يطرب كما يطرب الغناء.

سبب غضب الرشيد على النمري

أخبرني عمّي، قال: حدّثنا ابن أبي سعد، قال: حدّثنا عليّ بن الحسين الشيباني، قال: أخبرني منصور بن جهور، قال: سألت العتابي عن سبب غضب الرشيد عليه، فقال لي: استقبلت منصوراً النمري يوماً من الأيام فرأيتّه مغموماً واجماً كئيباً، فقلت له: ما خبرك؟ فقال: تركت امرأتي تطلق (1)، وقد عسر عليها ولادها، وهي يدي ورجلي، والقيّمة بأمرى وأمر منزلي. فقلت له: لم لا تكتب على فرجها «هارون الرشيد»؟ قال: ليكون ما ذا؟ قال:

تلد على المكان، قال: وكيف ذلك؟ قلت: لقولك:

إن أخلف الغيث لم تخلف مخايله *** أو ضاق أمر ذكرناه فيّسع (2)

/فقال لي: يا كسحان (3)، والله لئن تخلصت امرأتي لأذكرنّ قولك هذا للرشيد. فلما ولدت امرأته خبّر الرشيد بما كان بيني وبينه، فغضب الرشيد لذلك وأمر بطلي، فاستترت عند الفضل بن الربيع، فلم يزل يسأل فيّ حتى أذن لي في الظهور؛ فلما دخلت عليه، قال لي: قد بلغني ما قلت للنمريّ، فاعتذرت إليه حتى قبل، ثم قلت: والله يا أمير المؤمنين ما حمّله على التكدّب عليّ إلاّ وقوفي على ميله إلى العلويّة، فإن أراد أمير المؤمنين أن أنشده شعره في مديحهم فعلت. فقال: أنشدني. فأنشدته قوله:

شاء من الناس راتع هامل *** يعلّلون النفوس بالباطل (4)

/حتى بلغت إلى قوله:

إلا مساعير يغضبون لها *** بسلة البيض والقنا الذّابل

غضب الرشيد وطلبه نبش جثة النمري

فغضب من ذلك غضباً شديداً، وقال للفضل بن الربيع: أحضره الساعة. فبعث الفضل في ذلك، فوجده قد توفّي، فأمر بنبشه ليحرقه، فلم يزل الفضل يلطف له حتى كفّ عنه.

الفضل بن الربيع يحمي النمري

أخبرني عمي قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدّثنا يحيى بن الحسن بن عبد الخالق، قال: حدّثني بعض الزينبيّين، قال: حبس الرشيد منصوراً النمريّ بسبب الرّفص (5)، فتخلّصه الفضل بن الربيع، ثم بلغه شعره في آل عليّ عليه السلام، فقال للفضل: اطلبه. فستره الفضل عنده، وجعل الرشيد يلحّ في طلبه، حتّى قال يوماً للفضل:

- 1- تطلق بالبناء للمجهول: تعاني وجع الولادة.
- 2- مخايله: جمع مخيلة بالفتح، وهي السحابة.
- 3- الكشخان بالفتح والكسر: الديوث.
- 4- بعده في «الشعر و الشعراء»: تقتل ذرية النبيّ و ير جون جنان الخلد للقاتل
- 5- الرفض: ضرب من الشيع لآل علي. ذكر في «القاموس» أن الروافض كل جند تركوا قائدهم. و الرفضة: الفرقة منهم و فرقة من الشيعة بايعوا زيد بن علي ثم قالوا له: تبرأ من الشيخين. فأبى و قال: كانا وزيرى جدّي. فتركوه و رفضوه و ارفضوا عنه، و النسبة رافضى.

ويحك يا فضل تفوّتني النمريّ؟ قال: يا سيدي، هو عندي قد حصّلتته. قال: فجئني. وكان الفضل قد أمره أن يطوّل شعره، ويكثر مباشرة الشمس ليشحب وتساء حالته، ففعل، فلما أراد إدخاله عليه ألبسه فروة مقلوبة، وأدخله عليه، وقد عفا(1) شعره، وساءت حالته، فلما رآه، قال: السيف! فقال الفضل: يا سيدي من هذا الكلب حتى تأمر بقتله بحضرتك؟ قال: أليس هو القائل:

إلا مساعير يغضبون لها *** بسلة البيض والقنا الذابل

/فقال منصور: لا يا سيدي ما أنا قائل هذا، ولقد كذب عليّ، ولكني القائل:

يا منزل الحي ذا المغاني *** انعم صباحا على بلاكا(2)

هارون يا خير من يرجى *** لم يطع الله من عصاكا

في خير دين و خير دنيا *** من اتقى الله و اتقاكا

فأمر بإطلاقه و تخلية سبيله، فقال منصور يمدح الفضل بن الربيع:

رأيت الملك مذ آزر *** ت قد قامت محانيه(3)

هو الأوحدي الفضل *** فما يعرف ثانيه

عفة النمري

أخبرني عمي، قال: حدّثنا ابن أبي سعد، قال: حدّثني علي بن مسلم بن الهيثم الكوفيّ عن محمّد بن أرتبيل، قال:

اجتمع عند المأمون قبل خلافته، و ذلك في أيام الرشيد، منصور/النمري و الخزيميّ و العباس بن زفر، و عنده جعفر بن يحيى، فحضر الغداء، فأتي المأمون بلون من الطعام، فأكل منه فاستطابه، فأمر به فوضع بين يدي جعفر بن يحيى، فأصاب منه، ثم أمر به فوضع بين يدي العباس فأكل منه، ثم نحا، فأكل منه بعده الخزيمي وغيره - و لم يأكل منه النمري - و ذلك بعين المأمون، فقال له: لم لم تأكل؟ فقال: لئن أكلت ما أبقى هؤلاء إني لنهم.

قال: فهل قلت في هذا شيئا؟ قال: نعم، قلت:

لهفي أتعلمها قينسا و آكلها *** إني إذا لدنيء النفس و الخطر(4)

ما كان جدي و لا كان الهمام أبي *** ليأكلا سور عباس و لا زفر

/شتان من سور عباس و فضلتته *** و سور كلب مغطى العين بالوبر(5)

ما زال يلقم و الطباخ يلحظه *** و قد رأى لقما في الحلق كالعجر(6)

1- عفا شعره: طال وكثر.

2- البلى: القدم.

3- آزرت: عاونت وصرت وزيرا. محانيه: معاطفه. وفي الأصول: رأيت الملك وهذا زرت قد قامت أحانيه

4- الخطر: القدر والمنزلة.

5- السور: البقية والفضلة.

6- العجر جمع عجرة: وهي العقدة.

نسبة هذه القصيدة إلى منصور بن بجرة

أخبرني محمد بن عمران الصيرفيّ وعمي، قالا: حدّثنا الحسن بن عليل العنزّي، قال: أخبرني علقمة بن نصر بن واصل النمري، قال: سمعت أشياخنا يقولون: إن منصور بن بجرة بن منصور بن صليل بن أشيم بن قطن بن سعد بن عامر بن الضّحيان بن سعد بن الخزرج بن تيم الله بن النمر بن قاسط، قال هذه القصيدة:

ما تنقضي حسرة مني ولا جزع *** إذا ذكرت شبابا ليس يرتجع

بان الشباب وفاتنتي بشرته *** صروف دهر وأيام لها خدع(1)

ما كنت أول مسلوب شبيته *** مكسو شيب فلا يذهب بك الجزع

منصور بن سلمة يستوهبها منه و يطلبه الرشيد و لكنه يردده فيستجد يزيد الشيباني فيدخله

فسمعها منصور بن سلمة بن الزبرقان بن شريك بن مطعم الكبش الرخم بن مالك بن سعد بن عامر الضّحيان فاستحسنها، فاستوهبها منه فوهبها له، و كان منصور بن بجرة هذا موسرا لا يتصدى لمدح ولا يفد إلى أحد ولا ينتجعه بالشعر، و كان هارون الرشيد قد جرد السيف في ربيعة، فوجّه منصور بن سلمة هذه القصيدة إلى الرشيد، و كان رجلا تقتحمه(2) العين جدا، و يزدريه من رآه لدمامة خلقه فأمر الرشيد لمّا عرضت عليه بإحضار قائلها. قال منصور: فلما وصلت إليه عرفني الحاجب أنّه لما عرضت عليه قرأها و اختارها على جميع شعر الشعراء جميعا، و أمره بإدخالها، فلما قربت من حاجبه الفضل بن الربيع ازدراني لدمامة خلقي، و كان قصيرا أزرق أحمر أعمش(3) نحيفا. قال: فردّني، و أمر بإخراجي فأخرجت، /فمرّ بي ذات يوم يزيد بن يزيد الشيباني(4)، فصحت به: يا أبا خالد، أنا رجل من عشيرتك، و قد لحقني ضيم، و عدت بك. فوقف، فعرفته خبري، و سألته: أن يذكّرني إذا مرّت به رقعتي، و يتلطف في إيصالي، ففعل ذلك، فلّمّا دخلت على أمير المؤمنين أنشدته هذه القصيدة:

أ تسلو وقد بان الشباب المزابل

الرشيد يرفع السيف عن ربيعة

فقال لي: غدا إن شاء الله أمر برفع السيف عن ربيعة - و خرج يزيد يركض، فما جاءت العصر من الغد حتّى رفع السيف عن ربيعة بنصيبين و ما يليها، و أنشدته القصيدة، فلما صرت إلى هذا الموضع:

يجرّد فينا السيف من بين مارق *** و عان بجد كلهم متحامل(5)

/

جلساء الرشيد يظنون في هذا البيت حثف منصور

/قالوا: فلما سمع الجلساء هذا البيت، قالوا: ذهب الأعرابي و افتضح، فلما قلت:

وقد علم العدوان والجور والخنا *** بأنك عياف لهنّ مزايل (6)

ولو علموا فينا بأمرك لم يكن *** ينال برّياً بالأذى متناول

ص: 104

-
- 1- فاتتني: تخطتني ولم تصبني. و الشرة: النشاط.
 - 2- تفتحمه: تتخطاه إلى غيره، وذلك لضعف شأنه.
 - 3- الأعمش: ضعيف البصر مع سيلان الدمع.
 - 4- في الأصل: «مزيد بن يزيد الشيباني».
 - 5- العاني: الأسير. بجد: الجماعة من الناس. وقد وردت في كل الأصول بالخاء بدل الجيم، والمعنى لا يستقيم بهذا.
 - 6- العياف: الشديد الكراهة. و المزايل: المفارق.

لنا منك أرحام و نعتدّ طاعة *** و بأسا إذا اصطكّ القنا و القنابل (1)

و ما يحفظ الأنساب مثلك حافظ *** و لا يصل الأرحام مثلك واصل (2)

جعلناك، فامنعنا، معاذا و مفزعا *** لنا حين عضتنا الخطوب الجلائل (3)

و أنت إذا عادت بوجهك عوذ *** تطامن خوف و استقرت بلابل (4)

/فقال الجلساء: أحسن و الله الأعرابي يا أمير المؤمنين! فقال الرشيد: يرفع السيف عن ربيعة و يحسن إليهم.

منصور النمري ينشد الرشيد و معه الكسائي و يأمر له بجائزة

أخبرني عمي، قال: حدّثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حدّثني علي بن الحسين بن عبيد البكريّ قال: أخبرني أبو خالد الطائي عن الفضل، قال:

كنا عند الرشيد و عنده الكسائي، فدخل إليه منصور النمريّ، فقال له الرشيد: أنشدني. فأنشده قوله:

ما تنقضي حسرة مني و لا جزع *** إذا ذكرت شبابا ليس يرتجع

فتحرّك الرشيد، ثم أنشده حتى انتهى إلى قوله:

ما كنت أو في شبابي كنه عزّته *** حتّى انقضى فإذا الدّنيا له تبع (5)

فطرب الرشيد، و قال: أحسنت و الله، و صدقت، لا و الله لا يتهنأ أحد يعيش حتى يخطر في رداء الشباب! و أمر به بجائزة سنوية.

جماعة من الشعراء يتهمون بالنمري لعدم اشتراكه في الشراب

إشارة

أخبرني عمي، قال: حدّثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حدّثني محمّد بن عبد الله بن طهمان السلمي، قال:

حدّثني أحمد بن سنان البيساني، و أخبرني عمي قال: أخبرنا ابن أبي سعد، قال: حدّثنا مسعود بن عيسى، عن موسى بن عبد الله التميمي: أن جماعة من الشعراء اجتمعوا ببغداد و فيهم منصور النمري، و كانوا على نبيذ، فأبى منصور أن يشرب معهم، فقالوا له: إنما تعاف الشرب لأنك رافضي، و تسمع و تصغي إلى الغناء، و ليس تركك النبيذ من ورع. فقال منصور:

صوت

خلا بين ندمانيّ موضع مجلسي *** ولم يبق عندي للوصال نصيب

/وردت على السّاقبي تقيض وربّما *** رددت عليه الكأس وهي سليب (6)

وأيّ امرئ لا يستهشّ إذا جرت *** عليه بنان كفّهنّ خضيب

الغناء لإبراهيم، خفيف ثقيل، مطلق في مجرى البنصر. و من الناس من ينسبه إلى مخارق، هكذا في الخبر.

ص: 105

1- القنابل: جمع قنبلة بفتح القاف: الطائفة من الناس والخيل.

2- في الأصول: «الإنسان».

3- فامنعنا، بالنون كما في ش، أما في س، ب فبالتاء وهو تصحيف. والجلائل: العظيّمات.

4- عوذ جمع عائد: هو الملتجئ. البلابل: الوسواس والهواجس.

5- الكنه: القدر.

6- السليب: الفارغ. يعني الكأس. وفي بعض الأصول: «وهو سليب» تحريف. والكأس مؤنثة.

قصيدة للعتابي كتبها إلى منصور النمري

وقد حدّثني علي بن سليمان الأخض، قال: حدّثنا محمّد بن يزيد المبرّد، قال: كتب كلثوم بن عمرو العتابي إلى منصور النمري قوله:

تقضّت لبانات ولاح مشيب *** وأشفى على شمس النهار غروب

وودّعت إخوان الصّبا و تصرّمت *** غواية قلب كان وهو طروب(1)

وردّت على الساقى تفيض وربّما *** رددت عليه الكأس وهي سليب

ومما يهيج الشّوق لي فيرّده *** خفيف على أيدي القيان صخوب(2)

عطون به حتّى جرى في أديمه *** أصابع في لبّاتهنّ وطيب(3)

فأجابه النمري وقال:

أوحشة ندمانيك تبكي فرّبما *** تلاقيهما والحلم عنك عزوب(4)

ترى خلفا من كل نيل و ثروة *** سماع قيان عودهنّ قريب(5)

ايغنيك يا بنتي فتستصحب النّهي *** وتحتازك الآفات حين أغيب(6)

وإنّ امرأ أودى السماع بلّبه *** لعريان من ثوب الفلاح سليب

النمري ينشد يزيد بن مزيد فيعطيه مائة دينار

أخبرني عمي، قال: حدّثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حدّثنا محمّد بن عبد الله بن آدم بن جشم العبدي أبو مسعر، قال: أتى النمري يزيد بن مزيد ويزيد يومنذ في إصاقة(7) وعسرة، فقال: اسمع منّي جعلت فداك. فأنشده قصيدة له، يقول فيها:

لولم يكن لبني شيبان من حسب *** سوى يزيد لفاتوا الناس في الحسب

تأوي المكارم من بكر إلى ملك *** من آل شيبان يحويهنّ من كثب

أب وعمّ وأحوال مناصبهم *** في منبت التّبع لا في منبت الغرب(8)

إنّ أبا خالد لما جرى و جرت *** خيل الندى أحرز الأولى من القصب

لما تلغّبهنّ الجري قدّمه *** عتق ميبين ومحض غير مؤتشب(9)

- 1- تصرمت: تقطعت. وفي الأصول «تغرمت». طروب وردت في ب، ج أما في س فهي «حروب».
- 2- في الأصول: «فترده» تحريف، أي فيرد الشوق. والخفيف، يعني به العود.
- 3- عطون به: تناولنه و مددن أعناقهن. أصايغ: جمع للصبغ، عنى به الزعفران و نحوه من الطيب ذي اللون. وفي الأصول: «أصايغ» تحريف. و اللبات: مواضع النحر.
- 4- العزوب: الشديد البعد.
- 5- أي قريب المتناول.
- 6- تحتازك: تلم بك.
- 7- الإضاقة: ذهاب المال و الضيق.
- 8- الغرب بالتحريك: ضرب من الشجر.
- 9- تلغهن: أطال الطرد. و العنق: الكرم. و غير مؤتشب: غير مختلط.

إن الذين اغتروا بالحرّ غرّته *** كمغتزي الليث في عرّيسه الأشب(1)

ضربا دراكا وشدّات على عنق *** كأنّ إيقاعها التّيران في الحطب(2)

لا تقرّبنّ يزيدا عند صولته *** لكن إذا ما احتبى للجود فاقترب(3)

فقال يزيد: والله ما أصبح في بيت مالي شيء، ولكن انظر يا غلام كم عندك فهاته. فجاءه بمائة دينار و حلف أنّه لا يملك يومئذ غيرها.

منصور يتحسر على شبابه لما نظرت الغانية إلى غيره

وقد أخبرني عمي بهذا الخبر، قال: حدّثني محمّد بن علي بن حمزة العلوي، قال: حدّثني عمي عن جدي، قال: قال لي منصور النمريّ: كنت واقفا على جسر بغداد أنا وعبيد الله بن هشام بن عمرو التغلبي، وقد وخطني الشّيب يومئذ، وعبيد الله شابّ حديث السن، فإذا أنا بقصرية(4) ظريفة قد وقفت، فجعلت انظر إليها وهي تنظر إلى عبيد الله بن هشام ثم انصرفت، وقلت فيها:

لما رأيت سوام الشيب منتشرا *** في لمّتي وعبيد الله لم يشب(5)

سللت سهمين من عينيك فانتضلا *** على سببية ذي الأذيال و الطرب(6)

كذا الغواني نرى منهن قاصدة *** إلى الفروع معرّة عن الخشب(7)

لا أنت أصبحت تعتدّينا أربا *** ولا وعيشك ما أصبحت من أربي(8)

إحدى وخمسين قد أنضيت جدّتها *** تحول بيني وبين اللهو واللعب(9)

لا تحسبّي وإن أغضيت عن بصري *** غفلت عنك ولا عن شأنك العجب

ثم عدلت عن ذلك فمدحت فيها يزيد بن يزيد فقلت:

لو لم يكن لبني شيبان من حسب *** سوى يزيد لفاقوا الناس بالحسب

لا تحسب الناس قد حابوا بني مطر *** إذا أسلم الجود فيهم عاقد الطنب(10)

الجود أحسن لمسا يا بني مطر *** من أن تبرّكموه كفّ مستلب

ما أعرف الناس أنّ الجود مدفعة *** للذمّ لكنّه يأتي على النشب(11)

قال: فأعطاني يزيد عشرة آلاف درهم.

- 1- اغتزوا: قصدوا. والمغتزي: القاصد. وفي الأصول: «اعتروا» و«كمننزي». وهاتان الكلمتان محرفتان. والعريس: مأوى الأسد. و الأشب: الشجر الملتف.
- 2- الدراك: لحاق الفرس الوحش وإتباع الشيء بعضه بعضا. والعنق بالتحريك: سير سريع.
- 3- احتبى بالثوب: اشتمل به، أو جمع بين ظهره وساقيه بعمامة أو غيرها.
- 4- القصيرية: نسبة إلى القصر، صفة للغانية.
- 5- السوام في الأصل: الإبل الراعية، وعنى به الشيب المتفرق في جوانب الرأس. و اللمة: الشعر المجاور شحمة الأذن.
- 6- انتضلا: خرجا. والسببية: الخصلة من الشعر. وفي الأصول: «سبية».
- 7- القاصدة: المتجهة. معراة عن الخشب: أي تحب الشباب وبهجته، ولا يروقها كبار السن.
- 8- تعتديننا: تعديننا. وفي الأصول: «تعقد بيننا أربا» وفي «تاريخ بغداد»: «تقيديني»، و صواب هذه الأخيرة: «تعتديني».
- 9- أنضيت: أخلقت وأبليت.
- 10- الطنب: جبل طويل يشد به سرادق البيت.
- 11- النشب بالشين المعجمة في ش، وبالمهملة في ج، س وهو تحريف. و النشب: المال والعقار.

إشارة

حدّثني عمي، قال: حدّثني محمّد بن عبد الله التميمي الحزنبلي، قال: حدّثني عمرو بن عثمان الموصلي، قال حدّثني ابن أبي روق الهمداني، قال:

قال لي منصور النمري: دخلت على الرشيد يوما ولم أكن أعددت له مدحا، فوجدته نشيطا طيّب النفس، فرمت شيئا فما جاءني، ونظر إليّ مستنطقا، فقلت:

إذا اعتاص المديح عليك فامدح *** أمير المؤمنين تجد مقالا(1)

و عذ بفنائهم و اجنح إليه *** تنل عرفا و لم تذلل سؤالا

فناء لا تزال به ركاب *** وضعن مدائحا و حملن مالا

فقال: و الله لئن قصّرت القول لقد أطلت المعنى. و أمر لي بصلة سنّية.

صوت

طربت إلى الحيّ الذين تحمّلوا *** بركة أحواذ و أنت طروب(2)

فبت أسقاها سلافا مدامة *** لها في عظام الشاربين ديب(3)

الشعر لعبد الله بن الحجاج الثعلبي، و الغناء لعلّويه، رمل بالوسطى، عن الهشامي، وفيه لسليم خفيف رمل، مطلق في مجرى الوسطى.

ص: 108

1- أعتاص: تعسر.

2- أحواذ، جمع حاذ: شجر تألفه بقر الوحش. و بركة أحواذ: موضع كما في «معجم البلدان». في س: «أحوان» ب «أخوان» محرفتان.

3- السلاف: الخمر.

نسب عبد الله بن الحجاج وأخباره

هو عبد الله بن الحجاج بن محصن بن جندب بن نصر بن عمرو بن عبد غنم بن جحاش بن بجاله بن مازن بن ثعلبة بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن الريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر. ويكنى أبا الأقرع. شاعر فاتك شجاع من معدودي فرسان مضر ذوي البأس والتجدة فيهم، وكان ممن خرج مع عمرو بن سعيد على عبد الملك بن مروان، فلما قتل عبد الملك بن مروان عمرا خرج مع نجدة بن عامر الحنفي ثم هرب، فلحق بعبد الله بن الزبير، فكان معه إلى أن قتل، ثم جاء إلى عبد الملك متنكراً، واحتال عليه حتى أمّنه. وأخباره تذكر في ذلك وغيره ها هنا.

الحجاج و تسرعه إلى الفتن

أخبرني بخبره في تنقله من عسكر إلى عسكر، ثم استثمانه، جماعة من شيوخنا، فذكروه متفرّقا فابتدأت بأسانيدهم، وجمعت خبره من روايتهم.

فأخبرنا الحرميّ ابن أبي العلاء، قال: حدّثنا الزبير بن بكار، قال: حدّثني يزيد بن أبي عبد الله محمد بن العباس ببعضه، قال: حدّثني سليمان بن أبي شيخ، قال: حدّثنا يحيى بن سعيد الأموي؛ / أو أخبرنا محمد بن عمران الصيرفي قال: حدّثنا الحسن بن عليل العنزّي، قال: حدّثنا محمد بن معاوية الأسدي، قال: حدّثنا محمد بن كناسة؛ وأخبرني عمي قال: حدّثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حدّثني علي بن مسلم بن الهيثم الكوفي عن محمد بن أرتبيل؛ ونسخت بعض هذه الأخبار من نسخة أبي العباس ثعلب، والألفاظ تختلف في بعضها والمعاني قريبة، قالوا:

كان عبد الله بن الحجاج الثعلبي شجاعاً فاتكاً صعلوكة من صعاليك العرب، وكان متسرعا إلى الفتن، فكان ممن خرج مع عمرو بن سعيد بن العاص، فلما ظفر به عبد الملك/هرب إلى ابن الزبير، فكان معه حتى قتل، ثم اندس إلى عبد الملك فكلم فيه فأمنه.

دخوله على عبد الملك بتحايل منه أو من غيره

هذه رواية ثعلب، وقال العنزّي وابن سعد في روايتهما:

لما قتل عبد الله بن الزبير، وكان عبد الله بن الحجاج من أصحابه وشيعته احتال حتى دخل على عبد الملك بن مروان وهو يطعم الناس، فدخل حجرة، فقال له: مالك يا هذا لا تأكل؟ قال: لا أستحلّ أن آكل حتى تأذن لي.

قال: إني قد أذنت للناس جميعاً. قال: لم أعلم فأكل بأمرك. قال: كل. فأكل، وعبد الملك ينظر إليه ويعجب من فعّاله، فلما أكل الناس [و] جلس عبد الملك في مجلسه، و جلس خواصّه بين يديه، وتفرّق الناس، جاء عبد الله بن الحجاج فوقف بين يديه، ثم استأذنه في الإنشاد فأذن له، فأنشده:

أبلغ أمير المؤمنين فأنتي *** مما لقيت من الحوادث موجه

منع القرار فجئت نحوك هاربا *** جيش يجرّ ومقنب يتلمع (1)

فقال عبد الملك: وما خوفك لا أم لك، لو لا (2) أنك مريب! فقال عبد الله:

إن البلاد علي وهي عريضة *** وعرت مذهبها وسدّ المطلع

فقال له عبد الملك: ذلك بما كسبت يداك، وما الله بظلام للعبيد. فقال عبد الله:

كنا تتحلنا البصائر مرّة *** وإليك إذ عمي البصائر نرجع (3)

إن الذي يعصيك منا بعدها *** من دينه وحياته متودّع

أتي رضاك ولا أعود لمثلها *** وأطيع أمرك ما أمرت وأسمع

أعطي نصيحتي الخليفة ناخعا *** وخزامة الأنف المقود فأتبع (4)

فقال له عبد الملك: هذا لا تقبله منك إلا بعد المعرفة بك و بذنبك، فإذا عرفت الحوبة قبلنا التوبة. فقال عبد الله:

ولقد وطئت بني سعيد وطأة *** وابن الزبير فعرشه متضعض

فقال عبد الملك: لله الحمد و المنة على ذلك. فقال عبد الله:

ما زلت تضرب منكبا عن منكب *** تعلو و يسفل غيركم ما يرفع

و وطئتم في الحرب حتى أصبحوا *** حدثا يكوس و غابرا يتجمع (5)

فحوى خلافتهم و لم يظلم بها *** القرم قرم بني قصي الأنزع (6)

لا يستوي خاوي نجوم أفل *** و البدر منبلجا إذا ما يطلع (7)

أوضعت أمية واسطين لقومهم *** و وضعت وسطهم فنعم الموضع (8)

بيت أبو العاصي بناه بربوة *** عالي المشارف عزّه ما يدفع (9)

فقال له عبد الملك: إن توريتك عن نفسك لثريبي، فأبيّ الفسقة أنت؟ و ما ذا تريد؟ فقال:

حربت أصيبتى يد أرسلتها *** وإليك بعد معادها ما ترجع (10)

- 1- المقنّب: الخيل زهاء الثلاثين أو ما بين الثلاثين إلى الأربعين تجتمع للغارة. يتلمع: يبرق ويضيء بما فيه من لمعان السيوف و السلاح.
- 2- في ح: «إلا».
- 3- تنحله و انتحله: ادّعاه لنفسه و هو لغيره. و في ح: «إن».
- 4- في الأصول: «ناجعا»، تحريف. و يقال نخع فلانا الود و النصيحة: أخلصهما له. الخزامة: حلقة في أنف البعير أو في لحمة أنفه.
- 5- في الأصل: «يئوس» تحريف. و يكوس، من قولهم كأس البعير: مشى على ثلاث قوائم بعد ما عرقب. يتجعجع: يضرب بنفسه الأرض من وجع.
- 6- الأنزع: من ينحسر عنه الشعر من أعلى الجبين حتى يصعد في الرأس. و في صفة علي رضي الله عنه «البطين الأنزع». و العرب تحب النزع و تتيمن بالأنزع.
- 7- الخاوي من النجوم: الماحل الذي لا يمطر.
- 8- الواسطون: الحيار.
- 9- المشارف: الأعالي.
- 10- حربت: سلبت المال و لم تترك شيئا. و في ح، ب بالجيم المعجمة. أصيبتى: تصغير أصببة بفتح الهمزة و سكون الصاد و كسر الباء جمع صبي.

و أرى الذي يرجو تراث محمّد *** أفلت نجومهم و نجمك يسطع (1)

/فقال عبد الملك: ذلك جزاء أعداء الله. فقال عبد الله بن الحجاج:

فانعش أصيبيتي الألاء كأنهم *** جحل تدرّج بالشربة جوع (2)

فقال عبد الملك: لا أنعشهم الله، و أجاج أكبادهم، و لا أبقى وليدا من نسلهم، فإنهم نسل كافر فاجر لا يبالي ما صنع (3). فقال عبد الله:

مال لهم مما يضمنّ جمعته *** يوم القليب فحيز عنهم أجمع (4)

فقال له عبد الملك: لعلك أخذته من غير حلّه، و أنفقته في غير حقّه، و أرصدت به لمشاقّة (5) أولياء الله، و أعددت له لمعاونة أعدائه، فنزعه منك إذ استظهرت به على معصية الله. فقال عبد الله:

أدنو لترحمني و تجبر فاقتي *** فأراك تدفني فأين المدفع (6)

فتبسم عبد الملك، و قال له: إلى النار، فمن أنت الآن؟ قال: أنا عبد الله بن الحجاج الثعلبيّ، و قد وطئت دارك و أكلت طعامك، و أنشدتك، فإن قتلتني بعد ذلك فأنت و ما تراه، و أنت بما عليك في هذا عارف. ثم عاد إلى إنشاده، فقال:

ضاقّت ثياب الملبسين و فضلهم *** عني فألبسني فثوبك أوسع

فبذ عبد الملك إليه رداء كان على كتفه، و قال: البسه، لا لبست! فالتحف به، ثم قال له عبد الملك: أولى لك و الله، لقد طاولتك طمعا في أن يقوم بعض/هؤلاء فيقتلك، فأبى الله ذلك، فلا تجاورني في بلد، و انصرف آمنا، قم حيث شئت.

- قال اليزيدي في خبره: قال عبد الله بن الحجاج: ما زلت أتعرّف منه كلّ ما أكره حتى أنشدته قولي:

ضاقّت ثياب الملبسين و فضلهم *** عني فألبسني فثوبك أوسع

فرمى عبد الملك مطرفه (7)، و قال: البسه. فلبسته - ثم قال: آكل يا أمير المؤمنين؟ قال: كل. فأكل حتّى شبع، ثم قال: أمنت و ربّ الكعبة؟ فقال: كن من شئت إلا عبد الله بن الحجاج. قال: فأنا و الله هو، و قد أكلت طعامك، و لبست ثيابك، فأبى خوف عليّ بعد ذلك؟ فأمضى له الأمان.

التجاؤه إلى أحيح بن خالد و هجاؤه إياه حين غدر به

و نسخت من كتاب أحمد بن يحيى ثعلب عن ابن الأعرابي، قال:

ص: 111

1- هذا البيت في كل الأصول، و ليس في ح. و الذي هنا بمعنى الذين. كما في قوله تعالى: وَ خُضِّتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا و كقول الشاعر: و إن الذي حانت بفلج دماؤهم هم القوم كل القوم يا أم خالد

- 2- الألاء لغة في الألى، مثل ما جاء في قوله: أبى الله للألاء كأنهم سيوف أجاد القين يوما صقالها وروى: «فارحم أصييتي هديت فإنهم». الحجل: ضرب من الطير، و اسم الجمع منه الحجلى. و البيت في «اللسان» (حجل) برواية: «حجل تدرج». الشربة: الأرض المعشبة لا شجر بها، و موضع بنجد.
- 3- الكلام من «و لا أبقى» إلى هنا ساقط من ح.
- 4- ورد في ح: «ما إن لهم مما تظن». حيز عنهم: أبعاد.
- 5- المشاقفة: المعادة و المحاربة.
- 6- فأين المدفع: أين الجهة التي تدفعني إليها لأنال منها.
- 7- المطرف بضم الأول و كسره: رداء من خز مربع ذو أعلام.

كان عبد الله بن الحجاج قد خرج مع نجدة بن عامر الحنفي الشاري، فلما انقضى أمره هرب، وضاعت عليه الأرض من شدة الطلب، فقال في ذلك:

رأيت بلاد الله وهي عريضة *** على الخائف المطرود كفة حابل(1)

تؤدي إليه أن كل ثنية *** تيممها ترمي إليه بقاتل(2)

قال: ثم لجأ إلى أحيح بن خالد بن عقبة بن أبي معيط، فسعى به إلى الوليد بن عبد الملك، فبعث إليه بالشرط، فأخذ من دار أحيح، فأتي به الوليد فحبسه، فقال وهو في الحبس:

أقول وذاك فرط الشوق متي *** لعيني إذ نأت ظمياء فيضي(3)

فما للقلب صبر يوم بانث *** و ما للدمع يسفح من مغيض

كأن معتقا من أذرعات *** بماء سحابة خصر فضيض(4)

بفيها، إذ تخافتني حياء *** بسرّ لا تبوح به خفيض

يقول فيها:

فإن يعرض أبو العباس عتي *** ويركب بي عروضاً عن عروض

ويجعل عرفه يوماً لغيري *** ويبغضني فإني من بغيض

فإني ذو غنى و كريم قوم *** وفي الأكفاء ذو وجه عريض

غلبت بني أبي العاصي سماحا *** وفي الحرب المذكرة العضوض(5)

خرجت عليهم في كل يوم *** خروج القدح من كفّ المفيض(6)

فدى لك من إذا ما جئت يوماً *** تلقاني بجامعة ربوض(7)

على جنب النخوان و ذلك لؤم *** وبست تحفة الشيخ المريض(8)

كأنني إذ فرغت إلى أحيح *** فرغت إلى مقوقية بيوض(9)

إوزة غيضة لفتح كشافا *** لفتحها إذا درجت نقيض(10)

- 1- الكفة للصائد: حبالته، وهي المصيدة بكسر الميم وسكون الصاد.
- 2- تؤدي إليه: تخيل إليه. و الثنية: الطريق الصعبة و الطريقة في الجبل كالنقب، وقيل هي العقبة، وقيل هي الجبل نفسه.
- 3- ظمياء: اسم امرأة. و الظمياء من الشفاه: الذابلة في سمرة، و من العيون: الرقيقة الجفن.
- 4- المعتق: الشراب عتق زمانا. و في ج، س بالباء بدل التاء و هو تصحيف. أذرعاع: بلدة بالشام مشهورة بالخمير. و الخصر: البارد، و في ج: «خضر» بالضاد المعجمة و هو تصحيف. و الفضيض: المنتشر.
- 5- المذكرة العضوض: الشديدة.
- 6- المفيض: الذي يضرب بقداح الميسر ليظهر الفائز و غير الفائز.
- 7- الجامعة: الغلّ، الربوض: الضخمة الثقيلة.
- 8- التحفة: ما أتحت به الرجل من طعام و نحوه. و في الحديث: «تحفة الكبير». و في كل الأصول: «دسست بخفة». و روى في «الحيوان» (2:302): «و بنست خبزة».
- 9- المقوقية: المصونة.
- 10- الكشاف: أن تلقح حين تبيض. و القحح بضم القافين: العظم المطيف بالدبر. و النقيض: الصوت. و في هذا البيت إقواء.

قال: فدخل أحيح على الوليد بن عبد الملك، فقال يا أمير المؤمنين: إن عبد الله بن الحجاج قد هجأك، قال: بما ذا؟ فأشده قوله:

فإن يعرض أبو العباس عني *** ويركب بي عروضاً عن عروض

ويجعل عرفه يوماً لغيري *** ويغضني فإني من بغيض

فقال الوليد: وأي هجاء هذا! هو من بغيض إن أعرضت عنه، أو أقبلت عليه، أو أبغضته، ثم ما ذا؟ فأشده:

كأنني إذ فزعت إلى أحيح *** فزعت إلى مقوقية بيوض

فضحك الوليد، ثم قال: ما أراه هجأ غيرك. فلما خرج من عنده أحيح أمر بتخلية سبيل عبد الله بن الحجاج، فأطلق. وكان الوليد إذا رأى أحيحاً ذكر قول عبد الله فيه فيضحك منه.

هجاؤه لكثير بن شهاب بن الحصين

حدثنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري، قال: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثنا خلاد بن يزيد الأرقط عن سالم بن قتيبة. وحدثني يعقوب بن القاسم الطلحي، قال: حدثني غير واحد، منهم عبد الرحمن بن محمد الطلحي، قال: حدثني أحمد بن معاوية، قال: سمعت أبا علقمة الثقفي يحدث. قال أبو زيد (1): وفي حديث بعضهم ما ليس في حديث الآخر، وقد ألفت ذلك، قال:

كان (2) كثير بن شهاب بن الحصين بن ذي الغصّة بن يزيد بن شدّاد بن قنان بن سلمة بن وهب بن عبد الله بن ربيعة بن الحارث بن كعب، على ثغر الرّي، ولأهله إياه المغيرة بن شعبة إذ كان خليفة/معاوية على الكوفة، وكان عبد الله بن الحجاج معه، فأغار الناس على الدّيلم، فأصاب عبد الله بن الحجاج رجلاً منهم، فأخذ سلبه، فانتزعه منه كثير، وأمر بضربه، فضرب مائة سوط، وحبس، فقال عبد الله في ذلك (3)، وهو محبوس:

تسائل سلمى عن أبيها صحابه *** وقد علقته من كثير حبال (4)

فلا تسألني عني الرفاق فإنه *** بأبهر لا غاز ولا هو قافل (5)

ألست ضربت الدّيلمّي أمامهم *** فجذّلته فيه سنان وعامل (6)

فمكث في الحبس مدة، ثم أخلي سبيله، فقال:

سأترك ثغر الرّي ما كنت واليا *** عليه لأمر غالني وشجاني

فإن أنا لم أدرك بثأري وأتتر *** فلا تدعني للصّيد من غطفان (7)

تمنّيتني يا بن الحصين سفاهة *** و مالك بي يا بن الحصين يدان (8)

فإني زعيم أن أجّل عاجلاً *** بسيفي كفاحاً هامة ابن قنان

- 1- أبو زيد: كنية عمر بن شبة.
- 2- «كان»، ليس في الأصول، وأثبتناها لتستقيم العبارة.
- 3- «في ذلك»: ليست في ج.
- 4- الجبائل: جمع حباله: المصيدة.
- 5- فلا تسألني، في ج «فإن». وأبهر: مدينة بين قزوين وزنجان.
- 6- جدلته: صرعته. والعامل من الرمح: صدره.
- 7- ائتر: أدرك ثأري، ومثله «اأثر» و«اأثر». انظر «مقاييس اللغة» (أثر). والصيد، جمع أصيد: وهو الملك.
- 8- في الأصول: «تميتني».

عبد الله بن الحجاج يضرب كثيرا بعمود عند خروجه من دار المغيرة

قال: فلما عزل كثير وقدم الكوفة كمن له عبد الله بن الحجاج في سوق التّمارين - وذلك في خلافة معاوية وإمارة المغيرة بن شعبة على الكوفة - وكان كثير يخرج من منزله إلى القصر يحدث المغيرة، فخرج يوما من داره إلى المغيرة يحدثه فأطال، وخرج من عنده ممسيا يريد داره، فضربه عبد الله بعمود حديد على وجهه فهتّم مقاديم أسنانه كلّها، وقال في ذلك:

/

من مبلغ قيسا و خندف أنني *** ضربت كثيرا مضرب الظّربان(1)

فأقسم لا تنفكّ ضربة وجهه *** تذلل وتخزي الدهر كلّ يمان(2)

فإن تلقني تلق امرأ قد لقيته *** سريعا إلى الهيجاء غير جبان

و تلق امرأ لم تلق أمك برّه *** على سابح غوج اللّبان حصان(3)

و حولي من قيس و خندف عصابة *** كرام على البأساء والحدثان

و إن تك للسّنخ الذي غصّ بالحصى *** فإني لقرم يا كثير هجان(4)

أنا ابن بني قيس عليّ تعطفت *** بغيض بن ريث بعد آل دجان

و قال في ذلك أيضا عبد الله بن الحجاج:

من مبلغ قيسا و خندف أنني *** أدركت مظلمتي من ابن شهاب

أدركته أجرى على محبوبكة *** سرح الجراء طويلة الأقراب(5)

جرداء سرحوب كأنّ هويّها *** تعلقو بجوجئها هويّ عقاب(6)

خضت الظلام و قد بدت لي عورة *** منه فأضربه على الأنياب

فتركته يكبو لفيه و أنفه *** ذهل الجنان مضرج الأثواب(7)

/هلا خشيت و أنت عاد ظالم *** بقصور أبهر نصرتي و عقابي(8)

إذ تستحلّ، و كان ذاك مجرّما، *** جلدي و تنزع ظالما أثوابي

ما ضرّه و الحرّ يطلب وتره *** بأشّم لا رعش و لا قبقاب(9)

- 1- الظربان: دويبة كالهرة تنته الرائحة لا تخرج رائحتها من الثوب حتى يبلى. وفي «اللسان»: «وقوله مضرب الظربان، أي ضربته في وجهه، وذلك أن للظربان خطا في وجهه».
- 2- تنفك في ش، وفي باقي الأصول بالياء.
- 3- غوج بالغين المعجمة. و اللبان كسحاب: أي واسع جلد الصدر. و الحصان بالكسر: الفرس الذكر أو الكريم المصنون بمائه.
- 4- السنخ: الأصل، و جاء في س، ب بالحاء المهملة. و القرم: السيد الشجاع، أي إن نسبتي إلى آباء سادة شجعان. و الهجان: الرجل الحسيب.
- 5- المحبوكة: الفرس القوية. في بعض الأصول: «مرح» وفي بعضها: «مرخي». و السرح: المنسرحة في سيرها السريعة. و الجراء: الجري. و الأقرب: جمع قرب بالضم أو بضميتين: الخاصة.
- 6- الجرداء: قصيرة الشعر. السرحوب: الفرس الطويلة، توصف به الإناث دون الذكور. هويها، يعني به سرعتها. وفي الأصول: «كأن هبوبها». و الجؤجؤ: مقدم الصدر.
- 7- يكيو: ينكب لوجهه.
- 8- نصرتي و يروي: «ثورتي» وهي المكافأة بجناية جنيت عليك «مهذب الأغاني».
- 9- الحر تصحيح ش، روي في س، ب «الحرب» و هو تحريف. و الأشم: ذو الأنفة. و ورد في س، ب «بأتم». و الرعش: المضطرب. و القبقاب: الكذاب أو المهذار.

انتصار معاوية لعبد الله بن الحجاج

قال: فكتب ناس من اليمانية من أهل الكوفة إلى معاوية: إن سيدنا ضربه خسيس من غطفان، فإن رأيت أن تقيدنا(1) من أسماء بن خارجة. فلما قرأ معاوية الكتاب قال: ما رأيت كالיום كتاب قوم أحق من هؤلاء. وحسب عبد الله بن الحجاج، وكتب إليهم: «إن القود ممن لم يجن محذور، والجاني محبوس، حبسته فليقتص منه المجني عليه». فقال كثير بن شهاب: لا أستقيدها إلا من سيد مضر. فبلغ قوله معاوية فغضب وقال: أنا سيد مضر فليستقدها مني، وأمن عبد الله بن الحجاج، وأطلقه، وأبطل ما فعله بابن شهاب، فلم يقتص ولا أخذ له عقلا.

عفو كثير عن عبد الله بن الحجاج

قال أبو زيد: وقال خالد الأرقط في حديثه.

إن عبد الله بن الحجاج لما ضربه بالعمود، قال له: أنا عبد الله بن الحجاج صاحبك بالري، وقد قابلتك بما فعلت بي، ولم أكن لأتكمك نفسي، وأقسم بالله لئن طالبت فيها بقود لأقتلتك. فقال له: أنا أقتص من مثلك، والله لا أرضى بالقصاص إلا من أسماء بن خارجة! و تكلمت اليمانية و تحارب الناس بالكوفة، فكتب معاوية إلى المغيرة:

أن أحضر كثيرا و عبد الله بن الحجاج فلا يبرحان من مجلسك حتى يقتص كثير أو يعفو. فأحضرهما المغيرة، فقال:

قد عفوت؟ وذلك/الخوفه من عبد الله بن الحجاج أن يغتاله. قال: وقال لي: يا أبا الأثيرع، والله لا نلتقي أنت ونحن جميعا أهتمان، وقد عفوت عنك.

الحراث ينش قبر جندب بن عبد الله بن الحجاج

ونسخت من كتاب ثعلب عن ابن الأعرابي، قال:

كان لعبد الله بن الحجاج ابنان يقال لأحدهما: عوين، والثاني جندب، فمات جندب و عبد الله حيّ فدفنه بظهر الكوفة، فمّر أخوه عوين بحراث إلى جانب قبر جندب، فنهاه أن يقربه بفدّانه، و حدّره ذلك، فلما كان الغد وجدّه قد حرث جانبه، و قد نبشه و أضربّه، فشد عليه فضربه بالسيف و عقر فدانه(2). و قال:

أقول لحراثي حريمي جنبًا *** فدانيكما لا تحرثا قبر جندب(3)

فإنكما إن تحرثاه تشردا *** و يذهب فدان منكما كلّ مذهب(4)

عبد الله بن الحجاج يستوهب جرم ابنه من عبد الملك

قال: فأخذ عوين، فاعتقله السجان، فضربه حتى شغله بنفسه، ثم هرب، فوفد أبوه إلى عبد الملك فاستوهب جرمه فوهبه، و أمر بالأ يتعقب، فقال عبد الله بن الحجاج، يذكر ما كان من ابنه عوين:

لمثلك يا عوين فدتك نفسي *** نجا من كربة إن كان ناجي

1- تقيدنا: أقاد القاتل بالقتيل: قتله، و معناه هنا القصاص.

2- الفدان: الثور أو الثوران يقرن بينهما للحرث، أو هو آلة الثورين، يقال بتشديد الدال وبتخفيفها.

3- فدانيكما بالثنية، وروى: «فديتكما» («مهدب الأغاني» ج 4 ص 117) 7 ش، ب.

4- كذا في ج و «مهدب الأغاني»، وفي سائر النسخ: «ويذهب كل».

5- مصاص السنخ، يقال فلان مصاص قومه، إذا كان أخلصهم نسبا. ويقال للمفرد و المثنى و الجمع بلفظ واحد. و السنخ: الأصل، و ورد

في س، ب بالحاء المهملة، تحريف.

إنشاده عبد الملك أرجوزة يستعطفه بها

قال: ولما وفد عبد الله بن الحجاج إلى عبد الملك بسبب ما كان من ابنه عوين مثل بين يديه، فأنشده:

/

يا ابن أبي العاصي و يا خير فتى *** أنت النجيب و الخيار المصطفى

أنت الذي لم تدع الأمر سدى *** حين كشفت الظلمات بالهدى

ما زلت إن ناز على الأمر انتزى *** قضيته إن القضاء قد مضى (1)

كما أذقت ابن سعيد إذ عصى *** و ابن الزبير إذ تسمى و طغى

و أنت إن عدّ قديم و بنى *** من عبد شمس في الشماريخ العلى (2)

جبيت قريش عنكم جوب الرّحى *** هل أنت عاف عن طريد قد غوى (3)

أهوى على مهواة برّ فهوى *** رمى به جول إلى جول الرجا (4)

فتجبر اليوم به شيخا ذوى *** يعوي مع الذئب إذا الذئب عوى

و إن أراد النوم لم يقض الكرى *** من هول ما لاقى و أهوال الردى

يشكر ذاك ما نفت عين قذى *** نفسي و آبائي لك اليوم الفدا

فأمر عبد الملك بتحمّل ما يلزم ابنه من غرم و عقل، و أمنه.

مغاضبته عبد العزيز بن مروان، ثم رجوعه إليه

و نسخت من كتاب ثعلب عن ابن الأعرابي، قال:

وفد عبد الله بن الحجاج إلى عبد العزيز بن مروان و مدحه، فأجزل صلته، و أمره بأن يقيم عنده ففعل، فلما طال مقامه اشتاق إلى الكوفة و إلى أهله، فاستأذن عبد العزيز فلم يأذن له، فخرج من عنده غاضباً، فكتب عبد العزيز إلى أخيه بشر/أن يمنعه عطاءه، فمنعه، و رجع عبد الله لما أضرب به ذلك إلى عبد العزيز، و قال يمدحه:

تركت ابن ليلي ضلّة و حريمه *** و عند ابن ليلي معقل و معول (5)

ألم يهدني أنّ المراغم واسع *** و أنّ الديار بالمقيم تنقل (6)

سأحكم أمري إن بدا لي رشده *** و أختار أهل الخير إن كنت أعقل

و أترك أوطاري و ألحق بامرئ *** تحلب كفاه الندى حين يسأل (7)

أبت لك يا عبد العزيز مآثر *** و جري شأى جري الجياد و أول (8)

ص: 116

1- النازي: المتوثب. و يقال قضى عليه و قضاه، أي أهلكه.

2- البنى بكسر الباء و ضمها جمع بنية بالكسر و الضم: ما بنيته. و الشماريخ مفردة شمراخ، و هي رءوس الجبال و أعالي السحاب.

3- جيبب بالجيم، و وردت بالحاء تصحيفا. و جاء في حديث أبي بكر رضي الله عنه أنه قال للأنصار يوم السقيفة: «إنما جيبب العرب عنا كما جيبب الرحي عن قطبها»، أي خرقت العرب عنا فكنا وسطا و كانت العرب حوالينا كالرحي، و قطبها الذي تدور عليه.

4- الجول: جدار البئر. و الرجا: ناحية البئر.

5- المعول: ما يعول عليه و يعتمد.

6- المراغم: المهرب و المتسع.

7- الأوطار: الحاجات.

8- شأى: سبق.

أبي لك إذ أكدوا وقلّ عطاؤهم *** مواهب فيّاض و مجد مؤثّل (1)

أبوك الذي ينميك مروان للعلی *** وسعد الفتى بالخال لا من يخوّل (2)

فقال له عبد العزيز: أمّا إذ عرفت موضع خطئك، و اعترفت به فقد صفحت عنك. و أمر بإطلاق عطائه، و وصله، و قال له: أقم ما شئت عندنا، أو انصرف ماؤونا لك إذا شئت.

عبد الله بن الحجاج يعاونه قومه على عمر بن هبيرة

و نسخت من كتابه أيضا:

كان عمر بن هبيرة بن معية بن سكين قد ظلم عبد الله بن الحجاج حقا له، و استعان عليه بقومه، فلقوه في بعلبك، فعاونوا عبد الله بن الحجاج عليه، و فرّقه (3) بالسياط حتى انتزعوا حقه منه، فقال عبد الله في ذلك:

/

ألا أبلغ بني سعد رسولا *** و دونهم بسيطة فالمعاط (4)

أميطوا عنكم ضرط ابن ضرط *** فإنّ الخبث مثلهم يماط (5)

و لي حقّ فراطة أولينا *** قديما و الحقوق لها افتراط (6)

فما زالت مباسطتي و مجدي *** و ما زال التهايط و المياط (7)

و جدّي بالسياط عليك حتّى *** تركت و في ذنابك انبساط (8)

متى ما تعترض يوما لحقّي *** تلاقك دونه سعر سباط (9)

من الحيين ثعلبة بن سعد *** و مرة أخذ جمعهم اعتباط (10)

تراهم في البيوت و هم كسالى *** و في الهيجا إذا هيجوا نشاط

و القصيدة التي فيها الغناء بذكر أمر عبد الله بن الحجاج أولها:

نأتك و لم تخش الفراق جنوب *** و شطت نوى بالظاعنين شعوب (11)

طربت إلى الحيّ الذين تحمّلوا *** ببرقة أحواز و أنت طروب (12)

فظلت كأني ساورتي مدامة *** تمنى بها شكس الطّباع أريب (13)

- 1- أكدوا: قل خيرهم و عطاؤهم. وفي س، ب «كروا».
- 2- الخال: أخو الأم. و يخول: يدعى أنه خال و ليس به. وفي الأصول: «وسعد الفتاة الخال».
- 3- التفريق: التخويف. وفي الأصول: «فوقوه»، تحريف.
- 4- بسيطة بلفظ التصغير: أرض في البادية بين الشام و العراق، سلكها أبو الطيب المتنبى لما هرب من مصر. «معجم البلدان». و المعاط: لعله مكان.
- 5- يماط: يكشف.
- 6- الفراطاة: السابقة. لها افتراط: يخاف فوتها.
- 7- التهايط و المياط ضدان، و هما الدنو و التباعد.
- 8- الذنابي: الذنب.
- 9- السعر جمع أسعر: القليل اللحم الظاهر العصب. و السباط: الطوال.
- 10- الاعتباط: إلقاء النفس في الحرب غير مكره. و وردت في الأصول بالغين المعجمة محرفة.
- 11- شعوب: مفرقة.
- 12- برقة أحواز سبق شرحها آخر ترجمة منصور النمري.
- 13- ساورتي: أخذت برأسي. و الشكس: الصعب الخلق.

تمرّ و تستحلي على ذاك شربها *** لوجه أخيها في الإناء قطوب

كميت إذا صبت و في الكأس وردة *** لها في عظام الشاربين دبيب(1)

تذكرت ذكرى من جنوب مصيبة *** و مالك من ذكرى جنوب نصيب

أو أتى ترجّي الوصل منها و قد نأت *** و تبخل بالموجود و هي قريب

فما فوق وجدني إذ نأت وجد واجد *** من الناس لو كانت بذاك تتيب(2)

برهرة خود كأنّ ثيابها *** على الشمس تبدو تارة و تغيب(3)

و هي قصيدة طويلة.

الحجاج يحرض عبد الملك على قتل عبد الله بن الحجاج

و نسخت من كتاب ثعلب عن ابن الأعرابي، قال:

كتب الحجاج إلى عبد الملك بن مروان يعرفه آثار عبد الله بن الحجاج، و بلائه من محاربتة، و أنه بلغه أنه آمنه، و يحرضه و يسأله أن يوفده(4) إليه ليتولّى قتله، و بلغ ذلك عبد الله بن الحجاج، فجاء حتّى وقف بين يدي عبد الملك، ثم أنشده:

أعوذ بثوبيك اللّدين ارتداهما *** كريم الثّنا من جيبه المسك ينفح(5)

فإن كنت مأكولا فكن أنت آكلي *** و إن كنت مذبوحا فكن أنت تذبح

فقال عبد الملك: ما صنعت شيئا. فقال عبد الله:

لأنت و خير الظّافرين كرامهم *** عن المذنب الخاشي العقاب صفوح

و لو زلقت من قبل عفوك نعله *** ترامى به دحض المقام بريح(6)

نمى بك إن خانت رجالا عروقههم *** أروم و دين لم يخنك صحيح(7)

و عرف سرى لم يسر في الناس مثله *** و شأو على شأو الرجال متوح(8)

/تداركني عفوا بن مروان بعد ما *** جرى لي من بعد الحياة سنيح(9)

رفعت مريحا ناظريّ و لم أكد *** من الهمّ و الكرب الشديد أريح

عبد الملك يمنع الحجاج من التعرض لعبد الله

1- الكميت: الذي خالط حمرتها سواد. و الوردية: الحمراء.

2- الواجد بالجيم: المشوق. و ورد في ب، س بالخاء المهملة.

3- البرهرة: المرأة البيضاء الشابة و الناعمة. و الخود بالفتح: الحسنة الخلق الشابة أو الناعمة.

4- في ح، س: «يفده».

5- الثناء: ما أثبت به على المرء من مدح أو ذم.

6- الدحض بفتح الدال و سكون الحاء: الزلق. و في الأصول بالراء. و البريح: المتعب.

7- الأروم جمع أرومة بالفتح و الضم: الأصل. و في الأصول: «و دين لم يجبك»، تحريف.

8- الشأو: السبق و الغاية. و المتوح: البعيد. و روى بالنون في س، ش، ب.

9- السنيح: السانح. و كانت العرب إذا جرت الطير من شمال الإنسان إلى يمينه تفاعلوا و يسمى بالسانح، فإذا مر من الميامن إلى المياسر

تشاءموا و يسمى بالبارح. و يقال: «من لي بالسانح بعد البارح»، أي بالمبارك بعد المشئوم.

متنكراً، فدخل داري، و تحرّم بطعامي، و استكساني فكسوته ثوبا من ثيابي، و أعاذني فأعدته، و في دون هذا ما حذر عليّ دمه، و عبد الله أقلّ و أذلّ من أن يوقع أمرا، أو ينكث عهدا في قتله خوفا من شره، فإن شكر النعمة و أقام على الطاعة فلا سبيل عليه، و إن كفر ما أوتي و شاقّ الله و رسوله و أوليائه فالله قاتله بسيف البغي الذي قتل به نظراؤه و من هو أشدّ بأسا و شكيمة منه، من الملحدين، فلا تعرض له و لا لأحد من أهل بيته(1) إلا بخير، و السلام.

الوليد و ابن هبيرة يأمران عبد الله بمبارزة رجل في بركة ماء

إشارة

أخبرني محمّد بن يحيى الصولي، قال: حدّثنا الحزنبل عن عمرو بن أبي عمرو و الشيباني، قال:

كانت في القريتين(2) بركة من ماء، و كان بها رجل من كلب يقال له دعكنة، لا يدخل البركة معه أحد إلا غطّه(3) حتى يغلبه، فغطّ يومها فيها رجلا من قيس بحضرة الوليد بن عبد الملك حتّى خرج هاربا، فقال ابن هبيرة و هو جالس عليها يومئذ: اللهم اصبب علينا أبا الأقيرع عبد الله بن الحجاج. فكان أول رجل انحدرت به راحلته، فأناخها و نزل، فقال ابن هبيرة للوليد: هذا أبو الأقيرع و الله يا أمير المؤمنين، أيهما أخزى الله صاحبه به. فأمره الوليد أن ينحطّ عليه في البركة أو الكلبيّ فيها واقف متعرض للناس و قد صدّوا عنه. فقال له: يا أمير المؤمنين إني أخاف أن يقتلني فلا يرضى قومي إلا بقتله، أو أقتله فلا ترضى قومه إلا بمثل ذلك، و أنا رجل بدويّ و لست بصاحب مال. فقال دعكنة: يا أمير المؤمنين هو في حلّ و أنا في حلّ. فقال له الوليد: دونك. فتكأ(4) ساعة كالكاره حتى عزم عليه الوليد، فدخل البركة، فاعتنق الكلبيّ و هوى به إلى قعرها، و لزمه حتّى وجد الموت، ثم خلّى عنه، فلما علا غطّه غطّة ثانية، و قام عليه ثم أطلقه حتى تروّح، ثم أعاده و أمسكه حتّى مات، و خرج ابن الحجاج و بقي الكلبيّ، فغضب الوليد و همّ به، فكلمه يزيد و قال: أنت أكرهته، أفكان يمكن الكلبيّ من نفسه حتّى يقتله؟ فكف عنه. فقال عبد الله بن الحجاج في ذلك:

نجاني الله فردا لا شريك له *** بالقريتين و نفس صلبة العود

و ذمّة من يزيد حال جانبها *** دوني فأنجيت عفوا غير مجهود(5)

لولا الإله و صبري في مغاطستي *** كان السليم و كنت الهالك المودي

صوت

يا حبّذا عمل الشيطان من عمل *** إن كان من عمل الشيطان حبيها(6)

لنظرة من سليمى اليوم واحدة *** أشهى إليّ من الدنيا و ما فيها(7)

الشعر لناهض بن ثومة الكلابيّ، أنشدنيه هاشم بن محمّد الخزاعيّ، قال: أنشدنا الرياشيّ قال: أنشدنا ناهض بن ثومة أبو العطف الكلابيّ هذين البيتين لنفسه. و أخبرني بمثل ذلك عمي من الكرانيّ عن الرياشيّ. و الغناء لأبي العبيس ابن حمدون ثقيل أول ينشد بالوسطى.

- 1- فيما عدا ش: «أهله سيئة».
- 2- القریتان: قرية بحمص.
- 3- غطه: غطسة.
- 4- تكأكأ: نكص و جبن.
- 5- فأنجيت بالجيم في ش، أما في ح، س فبالحاء، وهو تصحيف.
- 6- حبيها: أي حبي إياها.
- 7- لنظرة بالنون، وروى في ش، ح بالقاف، وهو تحريف.

أخبار ناهض بن ثومة و نسبه

هو ناهض بن ثومة بن نصيح بن نهيك بن إمام بن جهضم بن شهاب بن أنس بن ربيعة بن كعب بن بكر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة. شاعر بدويّ فارس فصيح، من الشعراء في الدولة العباسية، و كان يقدم البصرة فيكتب عنه شعره، و تؤخذ عنه اللغة. روى عنه الرياشي، و أبو سراقه، و دماذ و غيرهم من رواة البصرة. و كان يهجو رجلاً من بني الحارث بن كعب، يقال له: نافع بن أشعر الحارثي، فأثرى عليه ناهض (1). فمما قاله في جواب قصيدة هجا بها قبائل قيس، قصيدة ناهض التي أولها:

ألا يا أسلما يا أيها الطلان *** و هل سالم باق على الحدثان

أيينا لنا، حبيتما اليوم، إنا *** مبينان عن ميل بما تسلان

متى العهد من سلمى التي بتت القوى *** و أسماء إن العهد منذ زمان (2)

و لا زال ينهلّ الغمام عليكما *** سبيل الرّبي من وابل و دجان (3)

فإن أنتما بيّنتما أو أحبّتما *** فلا زلتما بالنبت ترتديان

و جرّ الحرير و الفرند عليكما *** بأذيال رخصات الأكفّ هجان (4)

نظرت و دوني قيد رمحين نظرة *** بعينين إنسانا هما غرقان (5)

إلى ظعن بالعاقرين كأنها *** قرائن من دوح الكثيب ثمان (6)

السلمى و أسماء اللتين أكتتا *** بقلبي كنيبي لوعة و ضمان (7)

عسى يعقب الهجر الطويل تدانيا *** و يا ربّ هجر معقب بتداني

ص: 120

1- فأثرى عليه: كان أكثر منه.

2- بتت: قطعت. و في بعض الأصول: «تبت» و في بعضها «فتت» محرّفتان.

3- الوابل: المطر الشديد الضخم القطر. و الدجان: الأمطار الكثيرة.

4- الفرند: ضرب من الثياب. و الهجان: البيض.

5- القيد بكسر القاف: القدر و المقدار.

- 6- الظعن بضم الأول والثاني جمع ظعينة وهي: الهودج فيه امرأة أم لاء وهي أيضا المرأة ما دامت في الهودج. والعاقرين بفتح الراء: أرضان في وادي العقيق متكافئتان، ويحيطان بقرية لبني أسد. والقرائن: المتماثلات المتكافئات. والدوح: الشجر. والكثيب: الرمل.
- 7- اللتين في ش، وفي سائر الأصول «البنين» وهو تحريف. كنيبي: مثنى كنين، أي مكنون.

- خليليّ قد أكثرتما اللوم فاربعا *** كفاني ما بي لو تركت كفاني(1)
- إذا لم تصل سلمى وأسماء في الصّبا *** بحبليهما حبلي فمن تصلان
- فدع ذا ولكن قد عجبت لنافع *** ومعواه من نجران حيث عواني(2)
- عوى أسدا لا يزدهيه عواؤه *** مقيما بلوذي يذبل وذقان(3)
- لعمرى لقد قال ابن أشعر نافع *** مقالة موطوء الحرير مهان(4)
- أيزعم أنّ العامريّ لفعله *** بعاقبة يرمى به الرجوان(5)
- ويذكر إن لاقاه زلّة نعله *** فجيء للذي لم يستين بيان
- كذبت ولكن بابن علبة جعفر *** فدع ما تمنى زلت القدمان
- أصيب فلم يعقل وطلّ فلم يقدر *** فذاك الذي يخزى به الأبوان(6)
- و حقّ لمن كان ابن أشعر ثائرا *** به الطلّ حتّى يحشر الثقلان(7)
- ذليل ذليل الرهط أعمى يسومه *** بنو عامر ضيما بكل مكان
- فلم يبق إلا قوله بلسانه *** وما ضرّ قول كاذب بلسان
- هجا نافع كعبا ليدرك وتره *** ولم يهيج كعب نافعا لأوان
- ولم تعف من آثار كعب بوجهه *** قوارع منها وضّح وقوان(8)
- وقد خصّبوا وجه ابن علبة جعفر *** خضاب نجيع لا خضاب دهان(9)
- فلم يهيج كعبا نافع بعد ضربة *** بسيف ولم يطعنهم بسنان
- فما لك مهجى يا ابن أشعر فاكتم *** على حجر و اصبر لكل هوان(10)
- إذا المرء لم ينهض فيثأر بعّمه *** فليس يجلى العار بالهذيان
- أبي قيس عيلان وعمي خندف *** ذوا البذخ عند الفخر والخطر(11)

- 1- أربعا: أمسكا و توقفا.
- 2- معواه: صوته.
- 3- اللوذ: جانب الجبل و ما يطيف به. و يذبل و ذقان: جبالان.
- 4- في الأصول: «لقد كان». الموطوء: المداس المحتقر. في ش «أصرع» و في ج «أضرع» و إنما هو نافع بن أشعر، كما سبق في أول الحديث.
- 5- الرجوان، يقال رمى به الرجوان أي استهين به استهزاء و طرح في المهالك. و هو مثل، كأنه رمى به رجوي بئر. و الرجا: الناحية، و ناحية البئر، و الجمع أرجاء.
- 6- لم يعقل: لم تؤد ديته. و الطل: هدر الدم. لم يقد: يقال أقاد القاتل بالقتيل أي قتله به.
- 7- في س، ش «الطل» بالطاء المهملة و في ج بالمعجمة. و في الأصل: «ابن أصفر» تحريف.
- 8- القوارع: الإصابات. الوضح: جمع واضحة، و هي الشجة التي تبدي وضح العظم. و القواني: الشديدة الحمرة.
- 9- النجيع: دم الجوف.
- 10- اكتعم لم توجد في المعجمات، و يوجد كعم البعير: شدّ فاه لئلا يعض. و في الأصول: «ابن أصفر».
- 11- الخطران: أن يرفع الإنسان رمحه و سيفه مرة ثم يضعهما أخرى، و في المشي أن يرفع يديه و يضعهما.

إذا ما تجمّعنا و سارت حذاءنا *** ربيعة لم يعدل بنا أخوان
/ أليس نبيّ الله منّا محمّد *** و حمزة و العباس و العمران
و منا ابن عباس و منا ابن عمّه *** عليّ إمام الحقّ و الحسنان
و عثمان و الصّدّيق منا و إنّنا *** لنعلم أن الحقّ ما يعدان
و منا بنو العباس فضلا فمن لكم *** هلمّوه أولا ينطقنّ يمان

ناهض ينشد أيوب بن سليمان قصيدة من شعر جدّه نصيح

قال: فأنشد ناهض هذه القصيدة أيوب بن سليمان بن علي بالبصرة، وعنده خال له من الأنصار، فلما ختمها بهذا البيت قال الأنصاري:
أخرسنا أخرسه الله! و كان جدّه نصيح شاعرا، و هو الذي يقول:
ألا من لقلب في الحجاز قسيمه *** و منه بأكناف الحجاز قسيم
/ معاود شكوى أن نأت أمّ سالم *** كما يشتكّي جنح الظلام سليم(1)
سليم لصلّ أسلمته لما به *** رقى قلّ عنه دفعها و تميم(2)
فلم ترم الدار البريضاء فالصفا *** صفاها فخلّاها فأين تريم(3)
وقفت عليها بازلا ناهجيّة *** إذا لم أزعها بالزمم(4)
كنازا من اللاتي كأنّ عظامها *** جبرن على كسر فهنّ عثوم(5)

الفضل بن العباس يتحدث في بداوة ناهض

أخبرني الحسن بن علي الخفاف، قال: حدّثنا محمّد بن القاسم، قال: حدّثني الفضل بن العباس الهاشمي من ولد قثم بن جعفر بن سليمان عن أبيه، قال:

ناهض يصف وليمة وصف البدوي لما لم يره من قبل

كان ناهض بن ثومة الكلابيّ يقد على جدّي قثم فيمدحه، و يصله جدّي وغيره، و كان بدويّا جافيا كأنّه من الوحش، و كان طيّب الحديث، فحدّثه يوما: أنهم انتجعوا ناحية الشام، فقصد صديقا له من ولد خالد بن يزيد بن معاوية كان ينزل حلب، فإذا نزل نواحيها أتاه فمدحه، و كان برّا به، قال: فمررت بقريّة يقال لها قريّة بكر بن عبد الله

1- السليم: اللديغ.

2- الصل: الحية. الرقي: التعاويذ. والتميم: جمع تميمة.

3- الخل بالفتح: الطريق النافذ في الرمل. و تريم: تفارق.

4- البازل ورد في س، ب بالنون وهو تصحيف، وهو ما كان من الإبل في السنة التاسعة، وليس بعده سن تسمى. في س، ب، ج: «لم أردھا».

5- كناز: كثرة اللحم صلبته. والعثوم: المنجبرة على غير استواء.

الهاللي، فرأيت دورا متباينة و خصاصا(1) قد ضمَّ بعضها إلى بعض، وإذا بها ناس كثير مقبلون و مدبرون، عليهم ثياب تحكي ألوان الزهر، فقلت في نفسي: هذا أحد العيدين: الأضحى أو الفطر. ثم تاب إليّ ما عزب عن عقلي، فقلت: خرجت من أهلي في بادية البصرة في صفر، وقد مضى العيدان قبل ذلك، فما هذا الذي أرى؟ فبينما أنا واقف متعجب أتاني رجل فأخذ بيدي، /فأدخلني دارا قوراء(2)، و أدخلني منها بيتا قد نجد في وجهه فرش و مهّدت، و عليها شات ينال فروع شعره منكبیه، و الناس حوله سماطان(3)، فقلت في نفسي: هذا الأمير الذي حكى لنا جلوسه على الناس و جلوس الناس بين يديه، فقلت و أنا مائل بين يديه: السلام عليك أيها الأمير و رحمة الله و بركاته. فجذب رجل يدي، و قال: اجلس فإن هذا ليس بأمرير. قلت: فما هو؟ قال: عروس. فقلت: و أثل أمّاه، لربّ عروس رأيتة بالبادية أهون على أهله من هن أمه(4). فلم أنشب(5) أن دخل رجال يحملون هنات(6) مدوّرات، أمّا ما خفّ منها فيحمل حملا، و أمّا ما كبر و ثقل فيدحرج فوضع ذلك أمامنا، و تحلّق القوم عليه حلقا، ثم أتينا بخرق بيض فألقيت بين أيدينا، فظننتها ثيابا، و هممت أن أسأل القوم منها خرقا أقطعها قميصا، و ذلك أني رأيت نسجا متلاحما /لا يبين له سدى و لا لحمه، فلما بسطه القوم بين أيديهم إذا هو يتمرّق سريعا، و إذا هو - فيما زعموا - صنف من الخبز لا- أعرفه؛ ثم أتينا بطعام كثير بين حلو و حامض، و حار و بارد؛ فأكثرته منه و أنا لا أعلم ما في عقبه من التّخم و البشم؛ ثم أتينا بشراب أحمر في عساس(7)، فقلت: لا حاجة لي فيه، فإني أخاف أن يقتلني. و كان إلى جانبي رجل ناصح لي أحسن الله جزاءه، فإنه كان ينصح لي من بين أهل المجلس، فقال: يا أعرابي إنك قد أكثرت من الطعام، و إن شربت الماء همى(8) بطنك. فلما ذكر البطن تذكّرت شيئا أوصاني به أبي و الأشياخ من أهلي، قالوا: لا تزال حيّا ما كان بطنك شديدا فإذا اختلف فأوص(9). فشربت من ذلك الشراب لأتداوى به، و جعلت أكثر منه فلا أملّ شربه، فتدخلني من ذلك/صلف لا أعرفه من نفسي، و بكاء لا أعرف سببه و لا عهد لي بمثله، و اقتدار على أمري أظنّ معه أني لو أردت نيل السّقف لبلغته، و لو ساورت(10) الأسد لقتلته، و جعلت ألتفت إلى الرجل الناصح لي فتحدّثني نفسي بهتم أسنانه و هشم أنفه، و أهّم أحيانا أن أقول له: يا ابن الزانية! فبيننا نحن كذلك إذ هجم علينا شياطين أربعة، أحدهم قد علّق في عنقه جعبة فارسيّة مشنّجة(11) الطرفين دقيقة الوسط، مشبوحة بالخيوط شبّحا منكرا؛ ثم بدر الثاني فاستخرج من كمّه هنة سوداء كفيشلة الحمار(12)، فوضعها في فيه، و ضرط ضراطا لم أسمع - و بيت الله - أعجب منه، فاستتمّ بها أمرهم، ثم حرّك أصابعه على أبحرة فيها فأخرج منها أصواتا ليس كما بدأ

ص: 123

- 1- الخصاص: البيوت من القصب، جمع خص.
- 2- القوراء: واسعة.
- 3- السماطان: الصفان.
- 4- الهن: الفرج.
- 5- فلم أنشب، يقال ما نشبت أفعل كذا أي ما زلت.
- 6- هنات: أشياء، جمع هنة.
- 7- عساس بكسر العين جمع عس بالضم: هي القداح الكبيرة.
- 8- همى بطنه: أي انطلق.
- 9- اختلف: أصابه إسهال.
- 10- ساورت الأسد: واثبته. و في ب، س: «شأوت».
- 11- المشنّجة: المنقبضة.
- 12- الفيشلة: الحشفة و رأس كل مدور.

تشبه بالضراط و لكنّه أتى منها لمّا حرك أصابعه بصوت عجيب متلائم متشاكل بعضه لبعض، كأنه، علم الله، ينطق.

ثم بدا ثالث كزّ (1) مقيت عليه قميص وسخ، معه مرأتان، فجعل يصفق بيديه إحداهما على الأخرى فخالطتا بصوتهما ما يفعله الرجلان (2)، ثم بدا رابع عليه قميص مصون و سراويل مصونة و خفان أجذمان (3) لا ساق لواحد منهما، فجعل يقفز كأنه يثب على ظهور العقارب، ثم التبط (4) به على الأرض، فقلت: معتوه و ربّ الكعبة! ثم ما برح مكانه حتّى كان أغبط القوم عندي. و رأيت القوم يحذفونه (5) بالدرهم حذفاً منكراً، ثم أرسل النساء إلينا: أن أمتعننا / من لهوكم هذا. فبعثوا بهم، و جعلنا نسمع أصواتهنّ من بعد، و كان معنا في البيت شابّ لا أبه (6) له، فعلت الأصوات بالثناء عليه و الدعاء، فخرج فجاء بخشبة عيناها في صدرها، فيها خيوط أربعة، فاستخرج من خلالها عوداً فوضعه خلف أذنه، ثم عرك آذانها و حرّكها بخشبة في يده فنطقت - و ربّ الكعبة - و إذا هي أحسن قينة (7) رأيتها قطّ، و غنّى عليها، فأطربني حتّى استخفني من مجلسي، فوثبت فجلست بين يديه، و قلت: بأبي أنت و أمي، فما هذه الدابة فلست أعرفها للأعراب و ما أراها خلقت إلا قريبا. فقال: هذا البربط؟ (8) فقلت بأبي أنت و أمي، فما هذا الخيط الأسفل؟ قال: الزير (9). قلت: فالذي يليه؟ قال: المثني (10). قلت: فالثالث؟ المثالث (11). قلت: فالأعلى؟ قال:

البمّ (12). قلت: آمنت بالله أولاً، و بك ثانياً، و بالبربط ثالثاً، و بالبم رابعاً.

قال: فضحك أبي، و الله، حتّى سقط، و جعل ناهض يعجب من ضحكه، ثم كان بعد ذلك يستعيده هذا / الحديث، و يطرف به إخوانه فيعيده و يضحكون منه.

و قد أخبرني بهذا الخبر أحمد بن عبد العزيز الجوهري، قال: حدّثنا علي بن محمّد النوفليّ، عن أبيه، قال:

كان محمّد بن خالد بن يزيد بن معاوية بحلب، فأتاه أعرابيّ، فقال له: حدّث أبا عبد الله - يعني الهيثم بن النخعي - بما رأيت في حاضر المسلمين. فحدّثه بنحو من هذا الحديث، و لم يسمّ الأعرابيّ باسمه، و ما أجدره بأن يكون لم يعرفه باسمه و نسبه أو لم يعرفه الذي حدّث به النوفلي عنه.

الكعبي يستعدي قومه بني كلاب على من عقر إبله

نسخت من كتاب لعلي بن محمّد الكوفي فيه شعر ناهض بن ثومة قال: كان رجل من بني كعب قد تزوّج امرأة من بني كلاب، فنزل فيهم ثم أنكر منها بعض ما ينكره الرجل من زوجته فطلّقها، و أقام بموضعه في بني كلاب، و كان لا يزالون يستخفّون به و يظلمونه، و إن رجلاً منهم أورد إبله الماء فوردت إبل الكعبيّ عليها، فزاحمته، لكنها

ص: 124

1- الكز: الجهم المنقبض. و المقيت: الممقوت.

2- في الأصول: «فخالطت بصوته».

3- الأجذمان: من قولهم «أجذم»، أي مقطوع اليد.

4- التبط به، المعروف «لبط به» أي صرع.

5- يحذفونه: يرمونه.

- 6- لا آبه له: لا أفطن أو نسيته ثم فطنت له.
- 7- القينة: المغنية.
- 8- البربط: العود.
- 9- الزير: أدق أوتار العود.
- 10- المثنى: من أوتار العود بعد الأؤل.
- 11- المثلث من أوتار العود.
- 12- البم: الوتر الغليظ من أوتار المزهر.

ألقته على ظهره فتكشّف، فقام مغضبا بسيفه إلى إبل الكعبي، فعقر منها عدّة، وجلاها عن الحوض، ومضى الكعبي مستصرخا بني كلاب على الرجل، فلم يصرخوه، فساق باقي إبله واحتمل بأهله حتى رجع إلى عشيرته، فشكا ما لقي من القوم واستصرخهم، فغضبوا له، وركبوا معه حتى أتوا حلّة بني كلاب، فاستاقوا إبل الرجل الآذي عقر لصاحبهم، ومضى الرجل فجمع عشيرته، وتداعت هي وكعب للقتال، فتحاربوا في ذلك حربا شديدا، وتمادى الشرّ بينهم، حتى تساعى حلماؤهم في القضية، فأصلحوها على أن يعقل القتلى والجرحى، وتردّ الإبل، وترسل من العاقر عدة الإبل التي عقرها للكعبي، ففرضوا بذلك واصطلحوا، وعادوا إلى الألفة، فقال في ذلك ناهض بن ثومة:

أ من طلل بأخطب أبدته *** نجاه الوبل والذيم التّضاح(1)

و مرّ الدهر يوما بعد يوم *** فما أبقي المساء ولا الصباح

فكل محلّة عنيت بسلمى *** لريدات الرياح بها نواح(2)

تطلّ على الجفون الحزن حتى *** دموع العين ناكزة نزاح(3)

/و هي طويلة يقول فيها:

هنيئا للعدى سخط و رغم *** وللفرعين بينهما اصطلاح

وللعين الرقاد فقد أطالت *** مساهرة وللقب انتجاح

وقد قال العداة نرى كلابا *** وكعبا بين صلحهما افتتاح

تداعوا للسّلام وأمر نجح *** وخير الأمر ما فيه النّجاح

و مدّوا بينهم بحبال مجد *** و ثدي لا أجدّ ولا ضياح(4)

ألم تر أنّ جمع القوم يحشى *** وأن حريم واحدهم مباح

وأن القدح حين يكون فردا *** فيهصر لا يكون له اقتداح(5)

وإنك إن قبضت بها جميعا *** أبت ما سمت واحدها القداح

/أنا الخطّار دون بني كلاب *** وكعب إن أتيح لهم متاح(6)

أنا الحامي لهم ولكل قرم *** أخ حام إذا جد التّضاح(7)

أنا الليث الذي لا يزدهيه *** عواء العاويات ولا التّباح

سل الشعراء عني هل أقرت *** بقلبي أو عفت لهم الجراح(8)

- 1- أخطب: اسم جبل بنجد. وأبدته: أوحشته. نجا بالنون والجيم: جمع نجو، وهو السحاب الذي قد هراق ماءه. والديم: جمع ديمة، و في الأصل: «الضيم». والنضاح: التي تنضح بالماء، ووردت في الأصول بالصاد المهملة.
- 2- عنيت: عمرت، في ش، ج بالعين المهملة وهو تصحيف. الريدات: جمع ريده، وهي الريح الكثيرة الهبوب. وفي الأصول: «الريدان».
- 3- تطل في س، ش بالطاء المهملة، أما في ج فالطاء المعجمة. أراد أنها تهدر الحزن وتبطله، وذلك لكثرة ما استنزفت من الدمع. و الناكزة: التي فني ماؤها، والنزاح كذلك.
- 4- الأجد: المقطوع. والضياح: اللبن الرقيق الممزوج.
- 5- القدح: العود. ويهصر: يكسر. والافتداح: الضرب به.
- 6- الخطار: الذي يخطر بالسيف ويهزه معجبا. والمتاح: ما يتاح ويقدر.
- 7- القرم: السيد. النضاح: الدفاع، يقال هو يناضح عن قومه، أي يذب عنهم.
- 8- عفت: زالت وانقطعت.

فما لكواهل الشعراء بدّ *** من القتب الذي فيه لحاح(1)

و من توريك راكبه عليهم *** وإن كرهوا الركوب وإن الأحوال(2)

ما وقع بين بني نمير و بني كلاب و شعر ناهض في ذلك

و نسخت من هذا الكتاب الذي فيه شعره، أنّ وقعة كانت بين بني نمير و بني كلاب بنواحي ديار مصر، و كانت لكلاب على بني نمير؛ و أن نميرا استغاثت ببني تميم، و لجأت إلى مالك بن زيد سيد تميم يومئذ بديار مصر، فمنع تميما من إنجادهم، و قال: ما كنا لنلقى بين قيس و خندف دماء نحن عنها أغنياء، و أنتم و هم لنا أهل و إخوة، فإن سعيتم في صلح عاوتّا، و إن كانت حمالة(3) أعنّا، فأتمّ الدماء فلا مدخل لنا بينكم فيها. فقال ناهض بن ثومة في ذلك:

سلام الله يا مال بن زيد *** عليك و خير ما أهدى السلاما

تعلم أينا لكم صديق *** فلا تستعجلوا فينا الملا ما

و لكننا و حيّ بني تميم *** عداة لا نرى أبدا سلاما

و إن كنا تكاففنا قليلا *** كحرف السيف ينهار انهداما(4)

و هيض العظم يصبح ذا انصداع *** و قد ظنّ الجهول به التئاما(5)

فلن ننسى الشباب المرد منّا *** و لا الشيب الجحاحج و الكراما(6)

و نوح نوائح منّا و منهم *** ماتم ما تجفّ لهم سجاما(7)

فكيف يكون صلح بعد هذا *** يرجي الجاهلون لهم تماما

الأقل للقبائل من تميم *** و خصّ لمالك فيها الكلاما

فزيدوا يا بني زيد نميرا *** هوانا إنه يدني الفطاما

و لا تبقوا على الأعداء شيئا *** أعزّ الله نصركم و داما

و وجدت المجد في حيي تميم *** و رهط الهذلق الموفي الذماما(8)

نجوم القوم ما زالوا هداة *** و ما زالوا لأبيهم زماما(9)

هم الرأس المقدم من تميم *** و غاربها و أوفها سنماما(10)

إذا ما غاب نجم أب نجم *** أغرّ نرى لطلعته ابتساما

- 1- القتب: الرحل. اللحاح: العقر و الكسر.
- 2- التوريك: الاعتماد على الورك. و الأحواء: أعرضوا.
- 3- الحمالة: الدية التي يحملها قوم عن قوم.
- 4- تكافنا: كف بعضنا عن بعض. السيف بكسر السين: جانب الشاطئ.
- 5- الهيض: الكسر بعد الجبور.
- 6- الجحاجح: السادة من القوم، جمع جحجج.
- 7- السجام، يقال سجم العين و الدمع و الماء يسجم سجوما و سجاما، إذا سال.
- 8- الهدلق: هو ابن بشير أخو بني عتبية ابن الحارث بن شهاب.
- 9- الآبي: الكاره.
- 10- الغارب: الكاهل أو ما بين السنام و العنق.

فهذي لابن ثومة فانسبوها *** إليه لا اختفاء ولا اكتتاما(1)

وإن رغمت لذلك بنو نمير *** فلا زالت أنوفهم رغاماً(2)

قال: يعني بالهذلق الهذلق بن بشير، أخوا بني عتيبة بن الحارث بن شهاب، وابنيه علقمة وصباحا.

فخر ناهض بقومه

قال: وكانت بنو كعب قد اعتزلت الفريقين فلم تصب كلاباً ولا نميراً، فلما ظفرت كلاب قال لهم ناهض:

/

ألا هل أتى كعباً على نأي دراهم *** وخذلانهم أنا سررنا بني كعب

بما لقيت منا نمير وجمعها *** غداة أتينا في كتائبنا الغلب(3)

فيا لك يوماً بالحمى لا نرى له *** شبيهاً وما في يوم شيبان من عتب

أقامت نمير بالحمى غير رغبة *** فكان الذي نالت نمير من النهب

رعوس وأوصال يزايل بينها *** سباع تدلت من أبانين والهضب(4)

لنا وقعات في نمير تتابعت *** بضيم على ضيم ونكب على نكب(5)

وقد علمت قيس بن عيلان كلّها *** وللحرب أبناء بأنا بنو الحرب

ألم ترهم طراً علينا تحزّبوا *** وليس لنا إلا الرديني من حزب(6)

وإنا لنقتاد الجياد على الوجى *** لأعدائنا من لا مدان ولا صقب(7)

ففي أي فحج ما ركزنا رماحنا *** مخوف بنصب للعدا حين لا نصب(8)

شعر عمارة في تحريض كعب و كلاب على بني نمير

إشارة

أخبرنا جعفر بن قدامة بن زياد الكاتب، قال: حدّثني أبو هفّان، قال: حدّثني غرير بن ناهض بن ثومة الكلابي، قال: كان شاعر من نمير يقال له: رأس الكبش، قد هاجى عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير زماناً، و تناقضا الشعر بينهما مدة، فلما وقعت الحرب بيننا وبين بني نمير قال عمارة يحرض كعباً و كلاباً ابني ربيعة على بني نمير في هذه الحرب التي كانت بينهم، فقال:

رأيتكما يا بني ربيعة خرتما *** وعودتما و الحرب ذات هرير (9)

و صدقتما قول الفرزدق فيكما *** و كذبتما بالأمس قول جرير

ص: 127

- 1- الاكتتام: الاختفاء.
- 2- رغم: ذل. و أنوفهم رغام أي ذليلة.
- 3- في الأصول: «في كتائبها القلب». و الغلب: جمع غلباء، و هي العزيزة الممتنعة.
- 4- يزايل: يفرق. الأبانان: جبلان يقال لأحدهما: الأبان الأبيض و هو لبني فزارة، ثم لبني جريد منهم، و الأبان الأسود لبني أسد، ثم لبني والبة، ثم للحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد. و قال صاحب «اللسان»: «إن الأبيض لبني أسد و الأسود لبني فزارة».
- 5- النكب كالنكبة، و هي المصيبة.
- 6- الرديني: الرمح المنسوب إلى (ردينة)، و هي امرأة كانت تقوم الرماح.
- 7- الوجى: الحفا، و هو أن يرق القدم أو الحافر، و في «الصحاح»: هو الوجع، و المداني: القريب، و كذلك الصقب.
- 8- النصب: يقال نصبه الشر و ناصبه، إذا أظهره له.
- 9- خرتما: ضعفتما. و عؤل الرجل: رفع صوته بالبكاء و الصياح. و في كل الأصول: «و عؤدتما».

فإن أنتما لم تقدعا الخيل بالقنا *** فصيرا مع الأنباط حيث تصير(1)

تسومكما بغيا نمير هزيمة *** ستجد أخبار بهم و تغور(2)

قال: فارتحلت كلاب حين أتاها هذا الشعر، حتى أتوا نميرا و هم في هضبات يقال لهنّ واردات(3)، فقتلوا و اجتاحوا، و فضحوا نميرا، ثم انصرفوا، فقال ناهض بن ثومة يجيب عمارة عن قوله:

يحضضنا عمارة في نمير *** ليشغلهم بنا و به أربوا(4)

و يزعم أننا حزنا و أنا *** لهم جار المقربة المصاب

سلوا عن نميرا هل وقعنا *** بنزوتها التي كانت تهاب

ألم تخضع لهم أسد و دانت *** لهم سعد و ضبة و الرباب

و نحن نكرها شعنا عليهم *** عليها الشيب منا و الشباب

رغبنا عن دماء بني قريع *** إلى القلعين إنهما اللباب(5)

صبحناهم بأرعن مكفهّر *** يدف كأن رايته العقاب(6)

أجش من الصواهل ذي دويّ *** تلوج البيض فيه و الحراب(7)

فأشعل حين حلّ بواردات *** و ثار لقععه ثم انصباب(8)

صبحناهم بها شعث النواصي *** و لم يفتق من الصبح الحجاب

أفلم تغمد سيوف الهند حتى *** تعيلت الحليلة و الكعاب(9)

صوت

أعرفت من سلمى رسوم ديار *** بالشط بين مخفق و صحار(10)

ص: 128

1- القذع: الكف و المنع، و مثله القذع، بالذال المهملة. فصيرا في س، ش، و في ج «فصيروا» و هو تحريف. النبط: جيل من العجم ينزل بين العراقيين سموا بذلك لكثرة النبط عندهم و هو الماء، و استعمل في أخلاط الناس و عوامهم، و منه كلمة نبطية أي عامية، في «تصير» إقواء، و كذلك في «تغور» في البيت التالي.

- 2- تنجد: تأتي نجدا. تغور: تأتي الغور.
- 3- واردات: اسم مكان عن يسار طريق مكة للذاهب إليها، وقال أبو عبيدة إنها عن يمين سميراء، ويوم واردات معروف بين بكر و تغلب قتل فيه بجير بن الحارث بن عباد بن مرة. وفيه يقول المهلهل: فإني قد تركت بواردات بجيرا في دم مثل العبير
- 4- يحضضنا: يحملنا عليهم. أرابوا: شككوا.
- 5- القلعان: هما صلاة و شريح ابنا عمرو بن خويلقة بن عبد الله بن الحارث بن نمير.
- 6- الأرعن: يقال جيش رعن أي له فصول. يدف: يدب و يسير بلين.
- 7- الأجهش: الغليظ الصوت.
- 8- أشعلت الغارة: تفرقت.
- 9- تعيلت: أهملت لموت عائنها. و الكعاب: من نهد ثديها و برز.
- 10- الشط: موضع باليمامة. و المخفق: رمل في أسفل الدهناء من ديار بني سعد.

و كأنما أثر النعاج بجوّها *** بمدافع الرّكبين ودع جواري(1)

و سألتها عن أهلها فوجدتها *** عمياء جاهلة عن الأخبار

فكأنّ عيني غرب أدهم داجن *** متعوّد الإقبال و الإدبار(2)

الشعر للمخبل السعدي، و الغناء لإبراهيم، هزج بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق. قال الهشامي:

فيه لإبراهيم ثقيل أول، و لعنان بنت خوط خفيف رمل.

ص: 129

-
- 1- الجوّ: ما اتسع من الأرض و اطمأن و برز. و المدافع: جمع مدفع، و هو مسيل الوادي. و الركبان: موضع.
 - 2- الغرب: الدلو العظيمة. و الأدهم: الأسود، عنى به البعير. و الداجن: البعير الساني، أي الذي يستقى عليه.

إشارة

14 - أخبار المخبل (1) و نسبه

أخبار المخبل و نسبه

قال ابن الكلبي: اسمه الربيع بن ربيعة، وقال ابن دأب: اسمه كعب بن ربيعة. وقال ابن حبيب وأبو عمرو:

اسمه ربيعة بن مالك بن ربيعة بن عوف بن قتال (2) بن أنف الناقة بن قريع بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم. شاعر فحل، من مخضرمي الجاهلية والإسلام، ويكنى أبا يزيد. وإياه عنى الفرزدق بقوله:

وهب القصائد لي النوايح إذ مضوا *** وأبو يزيد وذو القروح وجرول

طبقة في الشعراء

ذو القروح: امرؤ القيس. وجرول: الحطيئة. وأبو يزيد: المخبل. وذكره ابن سلام فجعله في الطبقة الخامسة من فحول الشعراء، وقرنه بخدش بن زهير، والأسود بن يعفر، و تميم بن مقبل. وهو من المقلين، وعمر في الجاهلية والإسلام عمرا كثيرا، وأحسبه مات في خلافة عمر أو عثمان (رضي الله عنهما) وهو شيخ كبير. وكان له ابن، فهاجر إلى الكوفة في أيام عمر فجزع عليه جزعا شديدا، حتى بلغ خبره عمر، فردّه عليه.

جزعه على ولده شيان حين هاجر

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد. قال: حدّثنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعي عن عمه، وأخبرني به هاشم بن محمد الخزاعي عن أبي غسان دماذ، عن ابن الأعرابي قال:

هاجر شيان بن المخبل السعدي، و خرج مع سعد بن أبي وقاص لحرب الفرس، فجزع عليه المخبل جزعا شديدا، وكان قد أسنّ و ضعف، فافتقر إلى ابنه فافتقده، فلم يملك الصبر عنه، فكاد أن يغلب على عقله، فعمد إلى إبله و سائر ماله فعرضه لبيعه و يلحق بابنه، و كان به ضنينا، فمنعه علقمة بن هوذة بن مالك، و أعطاه مالا و فرسا، و قال: أنا أكلّم أمير المؤمنين عمر في ردّ ابنك، فإن فعل غنمت مالك. و أقمت في قومك، و إن أبي استنفقت ما أعطيتك و لحقت به، و خلّفت إبلك لعيالك. ثم مضى إلى عمر - رضوان الله عنه - فأخبره خبر المخبل، و جزعه على ابنه، و أنشده قوله:

أيهلكني شيان في كلّ ليلة *** لقلبي من خوف الفراق و حيب (3)

أ شيان ما أدراك أنّ كلّ ليلة *** غبقتك فيها و الغبوق حيب (4)

غبقتك عظماها سناما أو انبرى *** برزقك براق المتون أريب (5)

-
- 1- المخبل بفتح الباء المشددة: اسم مفعول من خبله تخبيلا. وفي الشعراء من يقال له المخبل غير هذا ثلاثة. وهم المخبل الزهيري و الشمالي و كعب المخبل. «المؤتلف و المختلف للآمدي» 177.
 - 2- في الأصول: «ابن قبال» صوابه بالتاء كما في «المؤتلف» و «الخزانة» (2:535).
 - 3- في ح: «أهلكني». و الوجيب: الخفقان.
 - 4- الغبوق: الشرب في العشي.
 - 5- عظماها: تفضيل من العظم. براق المتون: عنى به السيف. الأريب: المغتال.

- أشيبان إن تأبى الجيوش بحدّهم *** يقاسون أياما لهنّ حطوب(1)
- ولا همّ إلا البزّ أو كلّ سايح *** عليه فتى شاكي السلاح نجيب(2)
- يذودون جند الهرمزان كأنّما *** يذودون أوراد الكلاب تلوب(3)
- فإن يك غصني أصبح اليوم ذاويا *** وغصنك من ماء الشباب رطيب
- فإني حنت ظهري خطوب تتابعت *** فمشي ضعيف في الرجال ديب
- إذا قال صحبي يا ربيع ألا ترى *** أرى الشخص كالشخصين وهو قريب
- ويخبرني شيبان أن لن يعقني *** تعق إذا فارقتني و تحوب(4)
- فلا تدخلنّ الدهر قبرك حوبة *** يقوم بها يوما عليك حسيب(5)
- يعني بقوله «حسيب» الله عز ذكره -

عمر بن الخطاب يأمر بعودة شيبان إلى أبيه

قال: فلما أنشد عمر بن الخطاب هذه الأبيات بكى ورق له، فكتب إلى سعد يأمره أن يقلع شيبان بن المخبل ويردّه على أبيه، فلما ورد الكتاب عليه أعلم شيبان وردّه فسأله الإغضاء عنه، وقال: لا تحرمّني الجهاد. فقال له: إنّها عزمة من عمر، ولا خير لك في عصيانه وعقوق شيخك. فانصرف إليه، ولم يزل عنده حتى مات.

رواية أخرى في ذلك

وأخبرني بهذا الخبر أحمد بن عبيد الله بن عمار والجوهري، قال:

حدّثنا عمر بن شبة أن شيبان بن المخبل كان يرعى إبل أبيه، فلا يزال أبوه يقول: أحسن رعية إبلك يا بني، فيقول: أراحمي الله من رعية إبلك. ثم فارق أباه وغزا مع أبي موسى، وانحدر إلى البصرة، وشهد فتح تستر(6)، فقال: فذكر أبوه(7) الأبيات، وزاد فيها قوله:

إذا قلت ترعى قال سوف تريحني *** من الرعي مذعان العشي خبوب(8)

قال: أبو يزيد و حدّثناه عتاب بن زياد، قال: حدّثنا ابن المبارك، قال حدّثنا مسعود عن معن بن عبد الرحمن فذكر نحوه، ولم يقل: شيبان بن المخبل، ولكنه قال: «انطلق رجل إلى الشام»، وذكر القصة والشعر.

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي، قال: حدّثني عمّي عبيد الله، عن ابن حبيب، قال: خطب المخبل السعديّ

ص: 131

-
- 1- حدّهم: سيفهم.
 - 2- البز: السلاح. وفي الأصول: «البر». السابح: الفرس يسبح في جريه.
 - 3- الهرمزان و الهرمز و الهارموز: الكبير من ملوك العجم. و تلوب: تحوم.
 - 4- تحوب بالحاء المهملة: تأثم.
 - 5- الحوبة: الذنب.
 - 6- تستر: أعظم مدينة بخوزستان.
 - 7- في الأصل: «فقال أبوه فذكر أبوه».
 - 8- المذعان: الناقة السلسلة المنقادة. و الخبوب: من الخب، و هو ضرب من العدو. و في الأصول: «جنوب» و صححها الشنقيطي بما أثبتناه.

إلى الزُّبرقان بن بدر أخته خليدة، فمنعه إيّاها، وردّه لشيء كان في عقله، وزوّجها رجلا من بني جشم بن عوف، يقال له: مالك بن أمية/ابن عبد القيس، من بني محارب.

هزال و عبد عمرو يضربان قاتل الجلاس حتى يموت

فقتل رجلا من بني نهشل يقال له الجلاس بن مخربة بن جندل بن جابر بن نهشل اغتيالا، و لم يعلم به أحد، ففقد و لم يعلم له خبر، فبينما جار الزبرقان الذي من عبد القيس قاتل الجلاس ليلة يتحدث إذ غلط، فحدث هزالا بقتله الرجل، و ذلك قبل أن يتزوج هزال إلى الزبرقان، فأتى هزال عبد عمرو بن ضمرة بن جابر بن نهشل فأخبره، فدعا هزال قاتل الجلاس فأخرجه عن البيوت، ثم اعتوره هو و عبد عمرو فضرباه حتى قتلاه، و رجع هزال إلى الحبيّ و ضرب عبد عمرو حتى لجأ إلى أخواله بني عطار بن عوف.

امرأة مالك تحرض على من قتل زوجها فقالت امرأة مالك بن أمية المقتول:

أجيران ابن مية خبروني *** أعين لابن مية أم ضممار(1)

تجلّل خزيها عوف بن كعب *** فليس لنسلهم منها اعتذار

المخبل يعير الزبرقان لتزويج هزال بعد قتله جاره و تلاحيهما

قال: فلما زوّج الزبرقان أخته خليدة هزالا بعد قتله جاره عيب عليه، و عيّر به، و هجاه المخبل، فقال:

لعمرك إن الزبرقان لدائم *** على الناس تعدو نوكة و مجاهله(2)

أ أنكحت هزالا خليدة بعد ما *** زعمت بظهر الغيب أنك قاتله

فأنكحته رهوا كأنّ عجانها *** مشقّ إهاب أوسع السّليخ ناجله(3)

يلاعبها فوق الفراش و جاركم *** بذي شبرمان لم تزيّل مفاصله(4)

قال: و لجّ الهجاء بين المخبل و الزبرقان حتى توافقا للمهاجاة و اجتمع الناس عليهما فاجتمعا لذلك ذات يوم، و كان الزبرقان أسودهما، فابتدأ المخبل فأنشده قصيدته:

/

أنبتت أن الزبرقان يسبني *** سفها و يكره ذو الحرين خصالي(5)

قال: و إنما سماه ذا الحرين لأنه كان مبدنا، فكان له ثديان عظيمان، فسبّه بهما و شبّههما بالحرين. و يقال: إنه إنما عيّر بأخته و ابنته، و لم يكن للمخبل ابن في الجاهلية، قال:

أفلا يفاخرني ليعلم أيّنا *** أدنى لأكرم سودد و فعال

فلما بلغ إلى قوله:

وأبو بكر بدر كان مشترط الخصي *** وأبي الجواد ربيعة بن قتال(6)

فلما أنشده هذا البيت، قال:

وأبو بكر بدر كان مشترط الخصي *** وأبي...

ص: 132

1- الضمار من المال: ما لا يرجى رجوعه، و من الدين ما كان بلا أجل.

2- النوك: الحمق.

3- العجان: الاست. و الناجل: الشاق للجلد. و قد ذكر في «اللسان» (وهو) تعليل تسمية خليفة «رهورا».

4- شبرمان بضم أوله و سكون ثانيه و ضم ثالثه: موضع. و تزيل: تفرق.

5- في ح: «نبئت»، ذو الحرين: صاحب الفرجين.

6- مشترط الخصي، المشترط: القاطع. و الخصي: جمع خصية و خصي كقفل.

ثم انقطع عليه كلامه، إمّا بشرق أو انقطاع نفس، فما علم الناس ما يريد أن يقوله بعد قوله: «وأي». فسبقه الزبرقان قبل أن يتم و يبين، فقال: صدقت، و ما في ذلك إن كان شيخانا قد اشتركا في صنعة. فغلبه الزبرقان، و ضحكوا من قوله و تفرّقا، و قد انقطع بالمخبل قوله.

زرارة بن المخبل يضرب الطباوي بحجر فيطلب أبوه إلى بغيض بن عامر أن يحمل الدية ثم يكسوه

أخبرنا اليزيدي، قال: حدّثني عمي عن عبيد الله عن ابن حبيب، قال: كان زرارة بن المخبل يلبط (1) حوضه، فأتاه رجل من بني علباء بن عوف، فقال له: صارعني. فقال له زرارة: إني عن صراعك لمشغول. فجذب بحجزته و هو غافل فسقط، فصاح به فتیان الحي: صرع زرارة و غلب. فأخذ زرارة حجرا، فأخذ به رأس العلباوي، فسأل المخبل بغيض بن عامر بن شماس أن يتحمّل عن ابنه/الدية، فتحمّلها و تخلّصه، و كسا المخبل حلة حسنة، و أعطاه ناقة نجبية، فقال المخبل بمدحه:

لعمر أبيك لا ألقى ابن عمّ *** على الحدّثان خيرا من بغيض

أقلّ ملامة و أعزّ نصرا *** إذا ما جئت بالأمر المريض

كساني حلة و حبا بعنس *** أبسّ بها إذا اضطربت غروضي (2)

غداة جنى بنيّ على جرما *** و كيف يداي بالحرب العضوض (3)

فقد سدّ السبيل أو حميد *** كما سدّ المخاطبة ابن بيض (4)

خبر ابن بيض

- أبو حميد: بغيض بن عامر. و أما قوله: «كما سدّ المخاطبة ابن بيض»، فإنّ ابن بيض: رجل من بقايا قوم عاد، كان تاجرا، و كان لقمان بن عاد يجيز له تجارته في كل سنة بأجر معلوم، فأجازة سنة و سنتين، و عاد التاجر و لقمان غائب، فأتى قومه فنزل فيهم، و لقمان في سفره، ثم حضرت/التاجر الوفاة فخاف لقمان على بنيه و ماله فقال لهم: إن لقمان صائر إليكم، و إني أخشاه إذا علم بموتي على مالي، فاجعلوا ماله قبلي في ثوبه، و وضعوه في طريقه إليكم، فإن أخذه و اقتصر عليه فهو حقّه، فادفعوه إليه و اتّقوه، و إن تعدّاه رجوت أن يكفيكم الله إياه. و مات الرجل، و أتاهم لقمان و قد وضعوا حقّه على طريقه، فقال: «سدّ ابن (5) بيض الطريق»، فأرسلها مثلا، و انصرف و أخذ حقّه. و قد ذكرت ذلك الشعراء، فقال بشامة بن عمرو:

كثوب ابن بيض وقاهم به *** فسدّ على السالكين السبيلا

/قال ابن حبيب: و لما حشدت بنو علباء للمطالبة لدم صاحبهم، حشدت بنو قريع مع بغيض لنصر المخبل، و مشت المشيخة في الأمر، و قالوا: هذا قتل (6) خطأ، فلا توافقوا الفتنة، و اقبلوا الدية. فقبلوها و انصرفوا، فقال زرارة بن المخبل يفخر بذلك:

ص: 133

- 2- العنس: الناقة الصلبة. أَسْ يُقال بس الإبل: ساقها سوقا لينا وزجرها. والغروض: جمع غرض بالفتح، وهو للرحل كالحزام للسرّج.
- 3- العضوض: الشديدة.
- 4- البيت و المثل عند الميداني في قوله: «سد ابن بيض الطريق».
- 5- ابن بيض بكسر الباء، و يروى بفتحها.
- 6- في ح: «قتيل».

فاز المخالس لما أن جرى طلقا *** أمّا حطيم بن علباء فقد غلبا(1)

إني رميت بجلمود على حنق *** مني إليه فكانت رمية غربا(2)

ليثا إليّ يشقّ الناس منفرجا *** لحياه عئانة لا يتقي الخشبا(3)

فأورثني قتيلا إن لقيت وإن *** أفلتّ كانت سماع السوء والحربا(4)

سعى المخبل في إبل جار بني قشير

ثم أخذ بنو(5) حازم جارا لبني قشير، فأغار عليه المنتشر بن وهب الباهليّ، فأخذ إبله، فسأل في بني تميم حتّى انتهى إلى المخبل، فلما سأله قال له: إن شئت فاعترض إبلي فخذ خيرها ناقة، وإن شئت سعيت لك في إبلك. فقال: بل إبلي. فقال المخبل(6):

إنّ قشيرا من لقاح ابن حازم *** كراحضة حيضا وليست بطاهر(7)

فلا يأكلها الباهليّ و تقعدوا *** لدى غرض أرميكم بالنواقر(8)

أغرّك أن قالوا لعزة شاعر *** فذاك أباه من خفير و شاعر

فلما بلغهم قول المخبل سعوا بإبله، فردّها عليهم حزن بن معاوية بن خفاجة بن عقيل، فقال المخبل في ذلك:

/

تدارك حزن بالقنا آل عامر *** قفا حضن و الكرّ بالخيل أعسر(9)

فإنيّ بذا الجار الخفاجيّ واثق *** و قلبي من الجار العباديّ أوجر(10)

إذا ما عقيليّ أقام بذمة *** شريكين فيها فالعباديّ أوجر(11)

لعمري لقد خارت خفاجة عامرا *** كما خير بيت بالعراق المشقّر(12)

وإنك لو تعطي العبادي مشقصا *** لراشي كما راشي على الطبع أبخر(13)

- راشي من الرّشوة -

ص: 134

1- في ح: «فار المخالس» بالخاء وفي ط «المجالس» بالجيم وفي ب، س، ش «فال» بدل «فاز» و المخالس: الذي يأخذه غيره خلسة.

2- الجلمود: الحجر. و الرمية الغرب: التي لا يدرى من رماها.

- 3- عنانة: مبالغة من العنز، وهو اعتراض الموت.
- 4- الحرب: الهلاك.
- 5- في ح «بني» بالياء وهو تحريف.
- 6- في ح إضافة «فقال المخبل قوله».
- 7- الراحضة بالحاء المهملة: الغاسلة.
- 8- النواقر: بالقاف، أي الدواهي.
- 9- قفا حضن، أي خلفه. و حضن: جبل بأعلى نجد. قال: فما قلص وجدن معقلايت قفا حضن بمختلف التجار وفي الأصول: «قنا حصن»، تحريف.
- 10- الأوجر: الخائف.
- 11- في الأصول: عقيليا». الأوجر هنا: الكاره الناقض للعهد.
- 12- المشقر: موضع ببلاد العرب. وفي الأصل: «جارت خفاجة» و «جير». و خارته: صار خيرا منه. و خير: اصطفى.
- 13- المشقص: النصل العريض، وقيل: سهم يرمى به.

المخبل و خليدة بنت بدر

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي، قال: حدّثنا الرياشي، قال: حدّثنا الأصمعي، قال: مر المخبل السعدي بخليدة بنت بدر، أخت الزّبرقان بن بدر، بعد ما أسنّ وضعف بصره، فأنزله وقرّيته و أكرّمته و وهبت له وليدة، وقالت له إني آثرتك بها يا أبا يزيد(1) فاحتفظ بها. فقال: و من أنت حتى أعرفك وأشكرك؟ قالت: لا عليك، قال:

بلى والله أسألك. قالت: أنا بعض من هتكت بشعرك ظالما، أنا خليدة بنت بدر. فقال: وا سواتاه/منك؛ فإني أستغفر الله عزّ وجلّ، و أستقيلك و أعتذر إليك. ثم قال:

لقد ضلّ حلمي في خليدة إنني *** سأعتب نفسي بعدها و أموت

فأقسم بالرحمن إني ظلمتها *** و جرت عليها و الهجاء كدوب

من قصيدة الغناء

و القصيدة التي فيها الغناء المذكور بشعر المخبل و أخباره يمدح بها علقمة بن هوذة و يذكر فعله به و ما وهبه له من ماله، و يقول:

فجزى الإله سراة قومي نضرة *** و سقاهاهم بمشارب الأبرار

قوم إذا خافوا عثار أخيهم *** لا يسلمون أخاهم لعثار

أمثال علقمة بن هوذة إذ سعى *** يخشى عليّ متالف الأبصار

أثنوا عليّ و أحسنوا و ترافدوا *** لي بالمخاض البزل و الأبقار(2)

و السؤل يتبعها بنات لبونها *** شرقا حناجرها من الجرجار(3)

المخبل و الزبرقان و عبدة و عمرو يحكمون في شعرهم

أخبرنا أبو زيد، عن عبد الرحمن، عن عمه، و أخبرنا محمد بن العباس اليزيديّ قال: حدّثني عمي عبدة الله، عن ابن حبيب. و أخبرني عمي، قال: حدّثنا الكرائي، قال: حدّثنا العمريّ، عن لقيط قالوا:

اجتمع الزبرقان بن بدر و المخبل السعديّ و عبدة بن الطبيب و عمرو بن الأهم قبل أن يسلموا، و بعد مبعث النبي صلّى الله عليه و سلم، فنحروا جزورا، و اشتروا خمرا ببيعير، و جلسوا يشوون و يأكلون، فقال بعضهم: لو أنّ قوما طاروا من جودة أشعارهم لطرنا. فتحاكموا إلى أول من يطلع عليهم، فطلع عليهم ربيعة بن حذار(4) الأسديّ، و قال اليزيدي:

فجاءهم رجل من بني يربوع يسأل عنهم، فدلّ عليهم و قد نزلوا بطن واد و هم جلوس يشربون، فلما رأوه سرهم، و قالوا له: أخبرنا أيّنا أشعر؟ قال: أخاف أن تغضبوا، فأمنوه من ذلك، فقال: أما عمرو و فشعره برود/يمنية تنشر و تطوى، و أما أنت يا زبرقان فكأنك رجل أتى جزورا قد

- 1- في ح: «أبا زيد».
- 2- المخاض: الحوامل من النوق، أو العشار التي أتى عليها من حملها عشرة أشهر. و البزل: ما بلغ من الإبل التاسعة. و الأبقار: النوق التي ولدت أول بطن. و الشول جمع شائلة: ما أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر فارتفع ضرعها و جف لبنها. و ابن اللبون: ولد الناقة إذا كان من العام الثاني و استكملة أو إذا دخل في الثالثة.
- 3- الجرجار: عشبة لها زهرة صفراء.
- 4- حذار في س، ش، أما في ح فحذار بالخاء المعجمة و الدال المهملة، تحريف. و في القاموس: «وربيعة بن حذار، كغراب: جواد معروف».
- 5- ح: «ذبحت».

وقال لقيط في خبره، قال له ربيعة بن حذار: وأما أنت يا زبرقان فشعرك كلحم لم ينضج فيؤكل، ولم يترك نيئا فينتفع به، وأما أنت يا مخبّل فشعرك شهب من نار الله يلقيها على من يشاء(1)، وأما أنت يا عبدة فشعرك كمزادة(2) أحكم خزرها فليس يقطر منها شيء.

استمناح روق للمخبّل

إشارة

أخبرنا اليزيدي، عن عمه، عن ابن حبيب، قال: كان رجل من بني امرئ القيس يقال له روق مجاورا في بكر بن وائل باليمامة، فأغاروا على إبله وغدروا به، فأتى المخبّل يستمنحه، فقال له: إن شئت فاختر خير ناقة في إبلي فخذها، وإن شئت سعيت لك. فقال: أن تسعي(3) بي أحبّ إليّ. فخرج المخبّل فوقف على نادي قومه، ثم قال:

أدّوا إلى روح بن حسّ *** ان بن حارثة بن منذر

كوماء مدفاة كأنّ *** ضروعا حمّاء أجفر(4)

تأبى إلى بصص تس *** حّ المحض باللبن الفضنفر(5)

فقالوا: نعم ونعمة. فجمعوا له بينهم الناقة والناقتين من رجلين حتى أعطوه بعدّة/إبله.

وقال ابن حبيب في هذه الرواية: «كان رجل من بني ضبة».

صوت

اسل عن ليلي علاك المشيب *** و تصابي الشيخ شيء عجيب

و إذا كان النسيب بسلمى *** لذّ في سلمى وطاب النسيب

إنما شبّهتها إذ تراءت *** و عليها من عيون رقيب

بطلوع الشّمس في يوم دجن *** بكرة أو حان منها غروب

إنني فاعلم وإن عزّ أهلي *** بالسويداء الغداة غريب(6)

الشعر لغيلان بن سلمة الثّقفيّ، وجدت ذلك في جامع شعره بخط أبي سعيد السكريّ، والغناء لابن زرزور الطائفيّ، خفيف ثقيل أول بالوسطى، عن يحيى المكي، وفيه ليونس الكاتب لحن ذكره في كتابه، ولم يجتسه(7).

- 1- على من يشاء، ساقطة من ح.
- 2- المزايدة: الراوية. وقيل لا تكون إلا من جلدتين بينهما ثالث لتسع.
- 3- في الأصول: «بل يسعى بي».
- 4- الكوماء: الناقة العظيمة الضخمة السنام. و المدفأة: الكثيرة الوبر و الشحم. و الأجر يقال: جفر ولد الشاة، إذا عظم و استكرش أو بلغ أربعة أشهر. و الحماء: الاست. و في الأصول: «جماء».
- 5- تسح: تنزل. و المحض: اللبن الخالص. و في البيت تحريف ظاهر.
- 6- السويداء: موضع بالحجاز بعد المدينة على طريق الشام.
- 7- لم يجنسه: لم يذكر نوع لحنه.

أخبار غيلان و نسبه

غيلان بن سلمة بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن قسي - وهو ثقيف. و أمه سبيعة بنت عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، أخت أمية بن شمس بن عبد مناف.

أدرك الإسلام فأسلم بعد فتح الطائف، و لم يهاجر، و أسلم ابنه عامر قبله، و هاجر، و مات بالشام في طاعون عمواس (1) و أبوه حي.

و غيلان شاعر مقل، ليس بمعروف في الفحول.

وصف بادية بنت غيلان

و بنته بادية بنت غيلان التي قال هيت المخنث لعمر بن أم سلمة أم المؤمنين، أو لأخيه سلمة (2): «إن فتح الله عليكم الطائف فسل رسول الله صلى الله عليه و سلم أن يهب لك بادية بنت غيلان، فإنها كحلاء؛ شموع نجلاء (3)، خمصانة هيفاء (4)، إن مشت تثنت، و إن جلست تبنت (5)، و إن تكلمت تغنت، تقبل بأربع و تدبر بثمان، و بين فخذيهما كالإناء المكفأ (6)».

قول له قبل إسلامه

و غيلان فيما يقال أحد من قال من قریش للنبي صلى الله عليه و سلم و آله: لَوْ لَا نَزَّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقُرَيْشِيِّينَ .

اتهم ولده عمار بسرقة و ما كان بينهما من تدابر

قال ابن الكبي: حدّثني أبي، قال: تزوّج غيلان بن سلمة خالدة بنت أبي العاص، فولدت له عمّارا و عامرا، فهاجر عمّار إلى النبي صلى الله عليه و سلم، فلما بلغه خبره عمد خازن كان لغيلان إلى مال له فسرقه و أخرجه من حصنه فدفنه، و أخبر غيلان أنّ ابنه عمّارا سرق ماله و هرب به، فأشاع ذلك غيلان و شكاه (7) إلى الناس، و بلغ خبره عمارا فلم يعتذر إلى أبيه، و لم يذكر له براءته مما قيل له، فلما شاع ذلك جاءت أمه لبعض ثقيف إلى غيلان، فقالت له: أي شيء لي عليك إن دللتك على مالك؟ قال: ما شئت. قالت: تبتاعني و تعتقني؟ قال: ذلك لك. قالت: فأخرج

ص: 137

1- عمواس بالكسر و الفتح و سكنون الميم أو فتحها و فتح الأول: كورة من فلسطين بالقرب من بيت المقدس، كانت العاصمة في القديم، و منها كان ابتداء الطاعون في أيام عمر بن الخطاب، ثم فشا في أرض الشام فمات فيه خلق كثير لا يحصى من الصحابة.

2- في «اللسان» (بنى): «و روى شمر أن مخنثا قال لعبد الله بن أبي أمية» ثم ساق الخبر.

3- الشموع: المزاحاة للعبوب. و النجلاء: الواسعة العينين.

4- الخمصانة: الضامرة البطن. و الهيفاء: الدقيقة الخصر.

5- تبنت: أي صارت كالمبناة، وهي القبة من آدم، وذلك لسمنها وكثرة لحمها.

6- كذا في «اللسان» و ح. وفي سائر النسخ: «المكفوء». وهما سيان، يقال كفاً الإناء و أكفأه: قلبه. يعني بذلك ضخم ركبها ونهوده.

7- في ط، ح: «تشكاه».

معي. فخرج معها، فقالت: إني رأيت عبدك فلانا قد احتقر هاهنا ليلة كذا وكذا ودفن شيئا، وإنه لا يزال يعتاده ويراعيه، و يتفقده في اليوم مرّات، وما أراه إلا المال. فاحتقر الموضوع فإذا هو بماله، فأخذه وابتاع الأمة فأعتقها، وشاع الخبر في الناس حتّى بلغ ابنه عمارا، فقال: والله لا يراني غيلان أبدا، ولا ينظر في وجهي. / وقال:

حلفت لهم بما يقول محمّد *** وباللّٰه إنّ اللّٰه ليس بغافل

برئت من المال الذي يدفنونه *** أبرئ نفسي أن أظ بباطل (1)

ولو غير شيخي من معدّ يقوله *** تيممته بالسيف غير مواكل

و كيف انطلاقي بالسّلاح إلى امرئ *** تبشّره بي يتدرن قوابلي

فلما أسلم غيلان، خرج عامر وعمّار مغاضبين له مع خالد بن الوليد، فتوفي عامر بعمواس، وكان فارس ثقيف يومئذ، وهو صاحب شنوءة يوم تثليث (2)، وهو قتل سيدهم جابر بن سنان أخا دهنه، فقال غيلان يرثي عامرا:

غيلان يرثي ولده عامرا

عيني تجود بدمعها الهتّان *** سحّا و تبكي فارس الفرسان (3)

يا عام من للخيل لمّا أجمت *** عن شدّة مرهوبة و طعان

لو أستطيع جعلت منّي عامرا *** بين الضّلوع و كلّ حيّ فان

يا عين بكيّ ذا الحزامة عامرا *** للخيل يوم توافق و طعان

وله بتثليثات شدّة معلم *** منه و طعنة جابر بن سنان (4)

فكأنّه صافي الحديدية مخذم *** مما يحير الفرس للباذان (5)

ما قاله فيما حدث لجاره الباهلي

نسخت من كتاب أبي سعيد السّكّري، قال: كان لغيلان بن سلمة جار من باهلة، وكانت له إبل يرعاها راعيه في الإبل مع إبل غيلان، فتخطى بعضها إلى أرض لأبي عقيل بن مسعود بن عامر بن معتّب، فضرب أبو عقيل الراعي واستخفّ به، فشكا الباهليّ ذلك إلى غيلان، فقال لأبي عقيل:

ألا من يرى رأى امرئ ذي قرابة *** أبي صدره بالضغن إلا تطلعا

فسلمك أرجو لا العداوة إنّما *** أبوك أبي و إنّما صفقنا معا (6)

وإن ابن عم المرء مثل سلاحه *** يقيه إذا لاقى الكميّ المقنعا

فإن يكثر المولى فإتاك حاسد *** وإن يفتقر لا يلف عندك مطمعا

فهذا وعيد وادّخار فإن تعد *** و جدك أعلم ما تسلّفت أجمعا(7)

ص: 138

1- في ش، ح: «البرئت» ولا يستقيم الوزن بهذا. و أظ: ألق.

2- شنوءة: قبيلة. تثليث: موضع بالحجاز قرب مكة. و يوم تثليث: من أيام العرب بين بني سليم و مراد. قال أعشى باهلة: و جاشت النفس
لما جاء فلهم وراكب جاء من تثليث معتمر

3- في ح: «بدمعها الشتان».

4- المعلم: الفارس جعل لنفسه علامة الشجعان في الحرب.

5- المخدم: القاطع. يحير: يرد و يرجع. و البادان: اسم للذين دخلوا حديثا في الإسلام، كما في «معجم استينجاس».

6- الصفق: الضرب. و هو أيضا ضرب الأيدي عند المبايعة.

7- تسلّف في المادة و الشيء: اقترض. و المعنى إن عدت فسأقف على ما وقع منك.

تهديده لامرأته حين ملته

ونسخت من كتابه، قال: لما أسنَّ غيلان و كثرت أسفاره ملته زوجته، و تجتت عليه، و أنكر أخلاقها، فقال فيها:

ياربّ مثلك في النساء غريرة *** بيضاء قد صبّحتها بطلاق

لم تدر ما تحت الصّلوع و غرها *** مني تحمّل عشتري و خلّقي

ثقيف تنتصر على بني عامر و غيلان يصف تخلف بني نصر عنهم

ونسخت من كتابه: إنّ بني عامر بن ربيعة جمعوا جموعاً كثيرة من أنفسهم و أحلافهم، ثم ساروا إلى ثقيف بالطائف، و كانت بنو نصر بن معاوية أحلافاً لثقيف، فلما بلغ ثقيفاً مسير بني عامر استنجدوا بني نصر، فخرجت ثقيف إلى بني عامر و عليهم يومئذ غيلان بن سلمة بن معتب، فلقوهم و قاتلتهم ثقيف قتالاً شديداً، فانهزمت بنو عامر بن ربيعة و من كان معهم، و ظهرت عليهم ثقيف، فأكثروا فيهم القتل، فقال غيلان في ذلك، و يذكر/تخلف بني نصر عنهم:

شعره في انتصار ثقيف على عامر

ودّع بدمّ إذا ما حان رحلتنا *** أهل الحظائر من عوف و دهمانا

القائلين و قد حلّت بساحتهم *** جسر تحسّس عن أولاد هصّانا(1)

و القائلين و قد رابت و طابهم *** أسيف عوف ترى أم سيف غيلانا(2)

أغنوا الموالي عتاً لا أبا لكم *** إنا سنعي صريح القوم من كانا(3)

لا يمنع الخطر المظلوم قحمته *** حتّى يرى... بالعين من كانا(4)

شعر غيلان في هزيمة خثعم

ونسخت من كتابه، قال: جمعت خثعم جموعاً من اليمن، و غزت ثقيفاً بالطائف؛ فخرج إليهم غيلان بن سلمة في ثقيف، فقاتلتهم قتالاً شديداً، فهزمهم و قتل منهم مقتل عظيم، و أسر عدّة منهم، ثم منّ عليهم و قال في ذلك:

/

ألا يا أخت خثعم خبّرنا *** بأيّ بلاء قوم تفخرنا

جلبنا الخيل من أكناف و جّ *** وليث نحوكم بالدارعينا(5)

رأيناهنّ معلمة رواحا *** يقبتان الصباح و معتدينا(6)

1- هسان: قبيلة. وفي الأصل: «عن أولادها الضانا».

2- راب: خثر وفسد. و الوطاب: سقاء اللبن.

3- الصريح: الخالص النسب. وهذا تصحيح س. وفي سائر النسخ: «سيغنى صريح».

4- القحمة بالقاف تفتح وتضم: الاقتحام في الشيء و المهلكة. وفي كل الأصول بالفاء وهو تحريف. وفي البيت نقص.

5- وج: اسم واد بالطائف. وليث، بالكسر: واد بأسفل السراة. وهذا تصحيح س. وفي سائر النسخ: «وليت». و الدارعون: لابسو الدروع.

6- المعلمة: المميزة. يقينتان، يقال أقات الشيء: قدر عليه. و الصباح: الغارة تفجأ صباحاً. وهذا تصحيح ش. وفي سائر النسخ: «يقينان».

فأمست مسي خامسة جميعا *** تضابع في القيادة وقد وجينا(1)

وقد نظرت طوال العكم إلينا *** بأعينهم وحققنا الظنونا

إلى رجاجة في الدار تعشى *** إذا استتت عيون الناظرينا(2)

تركن نساءكم في الدار نوحا *** يبكون البعولة والبنينا(3)

جمعتم جمعكم فطلبتمونا *** فهل أنبتت حال الطالينا

كيسان ينشد عبد الله الثقفي شعر غيلان

أخبرنا محمد بن خلف وكيع، قال: أخبرني محمد بن سعد الشامي، قال: حدّثني أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمرو الثقفي، قال: خرجت مع كيسان بن أبي سليمان أسايره، فأنشدني شعر غيلان بن سلمة، ما أنشدني لغيره، حتّى صدرنا عن الأبلّة، ثم مرّ بالطف وهو يريد الطابق(4)، فأنشدني له:

/

وليلة أرتت صحابك بالطّ *** ف وأخرى بجنب ذي حسم(5)

فالجسر فالقصران فالتهر المرب *** ذ بين التّخيل والأجم(6)

معانق الواسط المقدم أو *** أدنو من الأرض غير مقتحم(7)

أستعمل العنس بالقيادة إلى ال *** آفاق أرجو نوافل الطعم(8)

وصية غيلان بن سلمة لبنيه

أخبرني عمي قال: حدّثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حدّثني أحمد بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف قال:

حدّثني عمر بن عبد العزيز بن أبي ثابت عن أبيه، قال:

لما حضرت غيلان بن سلمة الوفاة، وكان قد أحصن عشرا من نساء العرب في الجاهلية، قال: «يا بنيّ، قد أحسنت خدمة أموالكم، و أمجدت أمهاتكم فلن تزالوا بخير ما غذوتم من كريم و غذا منكم، فعليكم ببيوتات العرب، فإنها معارج الكرم، و عليكم بكلّ رمكاء(9) مكيئة ركيئة، أو بيضاء رزيئة، في خدر(10) بيت يتبع، أو جدّ

ص: 140

1- مسي خامسة: في مساء الليلة الخامسة. تضابع: تمد أضعافها في الجري. و القيادة: المقود، ما تقاد به الدابة. وجين: حفين ووجعن.

- 2- الرجاجة: الكتيبة العظيمة. تعشى من العشا، وهو سوء البصر. وهذا تصحيح س، وفي سائر النسخ: «تعشى». واستنتت: أسرعت. و في الأصول: «استلمت».
- 3- النوح: جمع نائحة. في س، ش، ح: «يبكون». كما أثبتنا. وفي «مهذب الأغاني»: «يبكون».
- 4- الطابق: نهر ببغداد. وفي الأصول: «الطائف».
- 5- الطف: مكان بالعراق قتل به الحسين. ذو حسم: موضع. وفي الأصول: «وأجرى بذى جسم».
- 6- الجسر: الموضع الذي كانت فيه الوقعة بين المسلمين و الفرس قرب الحيرة. و القصران بالصاد: ناحيتان كبيرتان بالري. وفي كل الأصول: «القطران» بالطاء.
- 7- الواسط: المقدم و أول الشيء. و يقصد به قادمة الرحل.
- 8- العنس: الناقة الصلبة. و الآفاق: وردت في كل الأصول: «الآفات» بالفاء بدل القاف، تحريف.
- 9- الرمكاء: ما كان في لونها حمرة مختلطة السواد.
- 10- ح: «في حديث».

يرتجى، وإياكم والقصيرة الرّطلة(1)، فإنّ أبغض الرجال إليّ أن يقاتل/عن إبلي أو يناضل عن حسبي، القصير الرّطل». ثم أنشأ يقول:

و حرّة قوم قد تنوّق فعلها *** وزينها أقوامها فترينت

رحلت إليها لا تردّ وسيلتي *** و حملتها من قومها فتحملت

وفود غيلان على كسرى

أخبرني عمي قال: حدّثنا محمّد بن سعد الكراني، قال:

كان غيلان بن سلمة الثّقفيّ قد وفد إلى كسرى فقال له ذات يوم: يا غيلان، أيّ ولدك أحبّ إليك؟ قال:

«الصغير حتى يكبر، و المريض حتى يبرأ، و الغائب حتى يقسم». قال له: ما غذاؤك؟ قال: خبز البر. قال: قد عجبت من أن يكون لك هذا العقل و غذاؤك غذاء العرب، إنّما البرّ جعل لك هذا العقل.

رواية أخرى في هذا الخبر

قال: الكراني، قال العمري: روى الهيثم بن عدي هذا الخبر أتمّ من هذه الرواية، و لم أسمع منه. قال الهيثم: حدّثني أبي، قال:

خرج أبو سفيان بن حرب في جماعة من قريش و ثقيف يريدون(2) العراق بتجارة، فلما ساروا ثلاثا جمعهم أبو سفيان، فقال لهم: إنّنا من مسيرنا هذا لعلّنا نخطر، ما قدومنا على ملك جبّار لم يأذن لنا في القدوم عليه، و ليست بلاده لنا بمتجر؟! و لكنّ أيّكم يذهب بالخير، فإنّ أصيب فنحن برآء من دمه، و إن غنم فله نصف الرّبح؟ فقال غيلان بن سلمة: دعوني إذا فأنا لها. فدخل الوادي، فجعل يطوفه و يضرب فروع الشجر و يقول:

و لوراني أبو غيلان إذ حسرت *** عني الأمور إلى أمر له طبق(3)

لقال رغب و رهب يجمعان معا *** حبّ الحياة و هول النّفس و الشفق(4)

إمّا بقيت على مجد و مكرمة *** أو أسوة لك فيمن يهلك الورق(5)

ما دار بين غيلان و بين كسرى

ثم قال: أنا صاحبكم. ثم خرج في العير، و كان أبيض طويلا جعدا ضخما، فلما قدم بلاد كسرى، تخلّق(6) و لبس ثوبين أصفرين، و شهر أمره، و جلس بباب كسرى حتّى أذن له، فدخل عليه و بينهما شبّاك من ذهب، فخرج إليه التّرجمان؛ و قال له: يقول لك الملك: من أدخلك بلادني بغير إذني؟ فقال: قل له: لست من أهل عداوة لك، و لا أتيتك جاسوسا لصدّ من أضدادك، و إنّما جئت بتجارة تستمتع بها، فإن أردتها فهي لك، و إن لم تردّها و أذنت في بيعها لرعيّتك بعثها، و إن لم تأذن في ذلك رددتها. قال: فإنّه ليتكلّم إذ سمع صوت كسرى فسجد، فقال له التّرجمان: يقول لك الملك: لم سجدت؟ فقال: سمعت صوتا عاليا حيث لا ينبغي لأحد أن يعلو صوته إجلالا

- 1- الرطلة بفتح الراء وكسرهما: المرأة الحمقاء الضعيفة. هذا. و الوصية نسبت في «البيان و التبيين» (2:67) طبع لحنة التأليف، إلى عثمان بن أبي العاصي.
- 2- ح: «يريد».
- 3- حسر: انكشف. الطبق: الحال و الخطر، و الذي له ما بعده.
- 4- الرغب: الرغبة. وفي الأصول: «رعب».
- 5- الورق: الفضة.
- 6- تخلق: تطيب بالخلوق.

للملك، فعلمت أنه لم يقدم على رفع الصوت هناك غير الملك فسجدت إعظاماً له. قال: فاستحسن كسرى ما فعل، وأمر له بمرفقة توضع تحته (1)، فلما أتى بها رأى عليها صورة الملك، فوضعها على رأسه، فاستجهله كسرى واستحمقه، وقال للترجمان: قل له: إننا بعثنا إليك بهذه لتجلس عليها. قال: قد علمت، ولكني لما أتيت بها رأيت عليها صورة الملك، فلم يكن حق صورته على مثلي أن يجلس عليها، ولكن كان حقها التعظيم، فوضعتها على رأسي، لأنه أشرف أعضائي وأكرمها عليّ. فاستحسن فعله جداً، ثم قال له: ألك ولد؟ قال: نعم. قال: فأيتهم أحب إليك؟ قال: الصّغير حتى يكبر، والمريض حتى يبرأ، والغائب حتى يثوب. فقال كسرى: زه، ما أدخلك عليّ وذلك على هذا القول والفعل إلا/حظك، فهذا فعل الحكماء وكلامهم، وأنت من قوم جفاة لا حكمة فيهم، فما غداؤك؟ قال: خبز البرّ. قال: هذا العقل من البرّ، لا- من اللبن والتمر. ثم اشترى منه التجارة بأضعاف ثمنها، وكساه وبعث معه من الفرس من بنى له أطماً (2) بالطائف، فكان أول أطم بني بها.

رثاؤه لأخيه نافع و قد قتل بدومة الجندل

إشارة

/أخبرني محمّد بن يزيد بن أبي الأزهر، قال: حدّثنا الزبير بن بكار، قال: حدّثني عمر بن أبي بكر الموصليّ عن عبد الله بن مصعب عن أبيه قال:

استشهد نافع بن سلمة الثّقفي مع خالد بن الوليد بدومة الجندل، فجزع عليه غيلان و كثر بكأؤه، وقال يرثيه:

ما بال عيني لا تغمّص ساعة *** إلا اعترتني عبرة تغشاني

أرعى نجوم الليل عند طلوعها *** وهنا وهنّ من الغروب دوان (3)

يا نافعاً من للفوارس أحجمت *** عن فارس يعلو ذرى الأقران

فلو استطعت جعلت منّي نافعاً *** بين اللّهاة وبين عكد لساني (4)

قال: وكثر بكأؤه عليه، فعوتب في ذلك، فقال: واللّه لا تسمح عيني بمائها فأصنّ به على نافع. فلمّا تطاول العهد انقطع ذلك من قوله، فقيل له فيه، فقال: «بلي نافع، وبلي الجرع، وفني وفنيت الدموع، واللّحاق به قريب».

صوت

ألا علّاني قبل نوح الوادب *** وقبل بكاء المعولات القرائب

وقبل ثواني في تراب و جندل *** وقبل نشوز النفس فوق الترائب (5)

فإن تأتني الدّنيا بيومي فجاءة *** تجدني وقد قصّيت منها مآربي

-
- 1- المرفقة: المتكأ والمخدة.
 - 2- الأطم بضميتين: القصر وكل حصن مبني بحجارة، وكل بيت مربع مسطح.
 - 3- الوهن: نحو منتصف الليل أو بعده بساعة.
 - 4- اللهاة: قطعة من اللحم مشرفة على الحلق. والعكد: وسط الشيء.
 - 5- نشوز النفس: ارتفاعها، كناية عن الاحتضار. وفي الأصول: «نشور» بالراء المهملة، تحريف.

أخبار حاجز و نسبه

هو حاجز بن عوف بن الحارث بن الأخثم بن عبد الله بن ذهل بن مالك بن سلامان بن مفرج بن مالك بن زهران بن عوف بن ميدعان بن مالك بن نصر بن الأزدي. وهو حليف لبني مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي، وفي ذلك يقول:

قومي سلامان إما كنت سائلة *** وفي قریش كريم الحلف و الحسب

إني متى أدع مخزوما تري عنقا *** لا يرعشون لضرب القوم من كتب(1)

يدعى المغيرة في أولى عديدهم *** أولاد مرأسة ليسوا من الذنب(2)

و هو شاعر جاهلي مقل، ليس من مشهوري الشعراء، و هو أحد الصعاليك المغيرين على قبائل العرب، و ممن كان يعدو على رجله عدوا يستبق به الخيل.

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد، قال: حدّثني العباس بن هشام، عن أبيه، عن عوف بن الحارث الأزدي، أنه قال لابنه حاجز بن عوف: أخبرني يا بني بأشدّ عدوك. قال: نعم، أفرعتني خثعم فنزوت نزوات، ثم استفرتني الخيل و اصطف لي ظبيان، فجعلت أنهنهما(3) بيدي عن الطريق، و منعاني أن أتجاوزها في العدو لضيق الطريق حتى اتسع و اتسعت بنا، فسبقتهما. فقال له: فهل جارك أحد في العدو؟ قال: ما رأيت أحدا جاراني إلا أظليس أغبير من النقوم(4)، فإننا عدونا معا فلم أقدر على سبقه.

- قال: النقوم(4) بطن من الأزدي من ولد ناظم، و اسمه عامر بن حوالة بن الهنون بن الأزدي -

نسخة أخبار حاجز من رواية أبي عمرو الشيباني

من كتاب بخط المرهبي الكوكبي، قال: أغار عوف بن الحارث بن الأخثم على بني هلال بن عامر بن صعصعة في يوم داج مظلم، فقال لأصحابه: انزلوا حتى أعتبر لكم. فانطلق حتى أتى صرما من بني هلال(5)، و قد عصب على يد فرسه عصابة ليطلع(6) فيطمعوا فيه، فلما أشرف عليهم استرابوا به، فركبوا في طلبه، و انهزم من بين أيديهم، و طمعوا فيه، فهجم بهم على أصحابه بني سلامان، فأصيب يومئذ بنو هلال، و ملأ القوم أيديهم من الغنائم(7)، ففي ذلك يقول حاجز بن عوف:

ص: 143

1- العنق: الجماعة الكثيرة من الناس.

2- مرأسة: رئاسة.

3- النههة: الرد و الكف.

4- في الأصل: «القوم».

5- الصرم، بالكسر: الجماعة.

6- الظلع: غمز في المشي شبيه بالعرج.

7- من الغنائم، ساقطة من ح.

صباحك و اسلمى عنا أماما *** تحية وامق و عمي ظلاما

برهرة يحار الطرف فيها *** كحقة تاجر شدت ختاماً(1)

فإن تمس ابنة السهمي منا *** بعيدا لا تكلمنا كلاما

فإنك لا محالة أن تريني *** ولو أمست حبالكم رماما

بناجية القوائم عيسجور *** تدارك نبيها عاماً فعاماً(2)

سلي عني إذا اغبرت جمادي *** وكان طعام ضيفهم الثماماً(3)

السنا عصمة الأضياف حتى *** يضحى مالهم نفلاً تواماً(4)

أبى ربيع الفوارس يوم داج *** وعمي مالك وضع السهاماً(5)

فلو صاحبتنا لرضيت منا *** إذا لم تغبق المائة الغلاماً(6)

يعني بقوله: وضع السهام، أن الحارث بن عبد الله بن بكر بن يشكر بن مبشر بن صقعب بن دهمان بن نصر بن زهران، كان يأخذ من جميع الأزد إذا غنموا الربيع، لأنّ الرئاسة في الأزد كانت لقومه، وكان يقال لهم: «الخطارييف» وهم أسكنوا الأسد بلد السراة، وكانوا يأخذون للمقتول منهم ديتين و يعطون غيرهم دية واحدة إذا وجبت عليهم، فغزتهم بنو ققيم بن عددي بن الدليل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، فظفرت بهم، فاستغاثوا ببني سلامان فأغاثوهم، حتى هزموا بني ققيم وأخذوا منهم الغنائم و سلبوهم، فأراد الحارث أن يأخذ الربيع كما كان يفعل، فمنعه مالك بن ذهل بن مالك بن سلامان، وهو عمّ أبي حاجز، وقال: «هيهات، ترك الربيع غدوة»(7) فأرسلها مثلاً، فقال له الحارث: أ تراك يا مالك تقدر أن تسود؟ فقال: هيهات، الأزد أ منع من ذلك. فقال: أعطني و لو جعبا - و الجعب:

البعر في لغتهم؛ لئلا تسمع العرب أنك منعتني. فقال مالك: «فمن سماعها أقر»(8)، و منعه الربيع، فقال حاجز في ذلك:

ألا زعمت أبناء يشكر أننا *** بربيعهم باءوا هنالك ناضلاً(9)

استمنعنا منكم و من سوء صنعكم *** صفائح بيض أخلصتها الصياقل

و أسمر خطي إذا هزّ عاسل *** بأيدي كماء جرّبتها القبائل(10)

أو قال أبو عمرو: جمع حاجز ناساً من فهم و عدران، فدلهم على خثعم، فأصابوا منهم غرة و غنموا ما شاءوا، فبلغ حاجراً أنهم يتوعدونه و يرصدونه، فقال:

ص: 144

- 2- الناجية: السريعة، و لا يوصف بها البعير. والعيسجور: الناقة الصلبة السريعة. تدارك: تلاحق. و النبي بكسر النون وفتحها: الشحم.
- 3- اغبرت جمادي: قل الخير وذلك في الشتاء. و التمام: نبت ضعيف.
- 4- ضحى إبله: رعاها وقت الضحى. و في الأصول: «يفحى». و النفل: الهبة و العطية. و التوام: تسهيل توأم، و هو المزدوج.
- 5- ربعمهم: أخذ منهم المرباع، و هو ربيع الغنيمة. و في الأصول: «عبر».
- 6- تغبِق: تسقي الغبوق، و هو الشرب بالعشي.
- 7- ترك الربيع غدوة: مثل «الصيف ضيعت اللبن».
- 8- في ح: «أقر» بالقاف.
- 9- باءوا: فخروا. الفاضل: الغالب.
- 10- العاسل: الرمح المهتز.

إني من إرعادكم و بروقكم *** و إيعادكم بالقتل صمّ مسامعي (1)

و إني دليل غير مخف دلالتني *** على ألف بيت جدّهم غير خاشع

ترى البيض يركضن المجاسد بالصّحى *** كذا كلّ مشبوح الذراعين نازع (2)

على أيّ شيء لا أبا لأبيكم *** تشيرون نحوي نحوكم بالأصابع

عمرو بن معد يكرب يطعن حاجزا

وقال أبو عمرو: أغارت خثعم على بني سلامان وفيهم عمرو بن معديكرب، وقد استنجدت به خثعم على بني سلامان، فالتقوا و اقتتلوا، فطعن عمرو بن معديكرب حاجزا فأنفذ فخذة، فصاح حاجز: يا آل الأزدا! فندم عمرو وقال: خرجت غازيا و فجعت أهلي. و انصرف، فقال عزيل الخثعمي يذكر طعنة عمرو و حاجزا، فقال:

أعجز حاجز منّا وفيه *** مشلشلة كحاشية الإزار (3)

فغز عليّ ما أعجزت منّي *** و قد أقسمت لا يضربك ضار (4)

فأجابه حاجز فقال:

إن تذكروا يوم القرّيّ فإنه *** بواء بأيام كثير عديدها (5)

فنحن أبحن بالشخيصة واهنا *** جهارا فجننا بالنساء نقودها (6)

و يوم كراء قد تدارك ركضنا *** بني مالك و الخيل صعر خدودها (7)

و يوم الأراكات اللواتي تأخّرت *** سراة بني لهبان يدعو شريدها (8)

و نحن صبحنا الحيّ يوم تنومة *** بملمومة يهوى الشجاع وئيدها (9)

و يوم شروم قد تركنا عصابة *** لدى جانب الطرفاء حمرا جلودها (10)

فما رغمت حلفا لأمر يصيبها *** من الذل إلا نحن رغما نزيدها

خنعم تحيط بحاجز و عجوز تسحر سلاحه ثم ينجو

وقال أبو عمرو: بينما حاجز في بعض غزواته إذ أحاطت به خثعم، و كان معه بشير ابن أخيه، فقال (11) له: يا بشير، ما تشير؟ قال: دعهم حتى يشربوا و يقفلوا (12) و يمضوا و نمضي معهم فيظنّونا بعضهم. ففعلا، و كانت في ساق

- 1- الإيعاد: التهديد.
- 2- المجاسد: الثياب المعصفرة بالزعفران.
- 3- المشلشلة: الضربة التي تقيض دما.
- 4- في الأصول: «ما أعجزت دمنى».
- 5- القرى: واد. البواء: الكفء، و النظر.
- 6- الشخيصة: اسم مكان.
- 7- كراء: ثنية بالطائف.
- 8- الأراكات: أودية قرب مكة.
- 9- الملمومة: الكتيبة المجتمعة. وفي الأصول: «وبيدها».
- 10- شروم: قرية كبيرة باليمن بها عيون و كروم. و الطرفاء: نخل لبني عامر بن حنيفة باليمامة.
- 11- في ح: «فقال» فقط.
- 12- يفتلوا في ح: «ينقلوا» و هو تحريف.

حاجز شامة، فنظرت إليها امرأة من خثعم، فصاحت: يا آل خثعم، هذا حاجز. فطاروا يتبعونه، فقالت لهم عجوز كانت ساحرة: أكفيكم سلاحه أو عدوه. فقالوا: لا نريد أن تكفيننا عدوه فإن معنا عوفاً وهو يعدو مثله، ولكن اكفيننا سلاحه. فسحرت لهم سلاحه و تبعه عوف بن الأغر(1) بن همام بن الأسر بن عبد الحارث بن واهب بن مالك بن صعيب بن غنم بن الفزح الخثعمي، حتى قاربه، فصاحت به خثعم: يا عوف ارم حاجزا، فلم يقدم عليه، و جبن، فغضبوا و صاحوا: يا حاجز، لك الذمام، فاقتل عوفا فإنه قد فضحنا. فنزع في قوسه ليرميه، فانقطع وتره، لأن المرأة الخثعمية كانت قد سحرت سلاحه، فأخذ قوس بشير ابن أخيه فنزع فيها فانكسرت، او هربا من القوم فقاتاهم و وجد حاجز بعيرا في طريقه فركبه فلم يسر في الطريق الذي يريد و نحا به نحو خثعم؛ فنزل حاجز/عنه، فمرّ فنجأ و قال في ذلك:

فدى لكما رجليّ أمي و خالتي *** بسعيكما بين الصفا و الأثاب(2)

أوان سمعت القوم خلفي كأنهم *** حريق أباء في الرياح الثواقب

سيوفهم تغشى الجبان و نبلهم *** يضيء لدى الأرقام نار الحباحب(3)

فغير قتالي في المضيق أغاثني *** و لكن صريح العدو غير الأكاذب

نجوت نجاء لا أبئك تبته *** و ينجو بشير نجو أزعر خاضب(4)

وجدت بعيرا هاملا فركبته *** فكادت تكون شرّ ركة راكب(5)

حاجز يغير على بني هلال

و قال أبو عمرو: اجتاز قوم حجّاج من الأزد ببني هلال بن عامر بن صعصعة، فعرفهم ضمرة بن ماعز سيد بني هلال، فقتلهم هو و قومه، و بلغ ذلك حاجزا، فجمع جمعا من قومه و أغار على بني هلال فقتل فيهم و سبى منهم، و قال في ذلك يخاطب ضمرة بن ماعز:

يا ضمير هل نلناكم بدمائنا *** أم هل حذونا نعلكم بمثال(6)

نبكي لقتلى من فقيم قتلوا *** فاليوم تبكي صادقا لهلال

و لقد شفاني أن رأيت نساءكم *** يبكين مردفة على الأكفال(7)

يا ضمير إن الحرب أضحت بيننا *** لقحت على الدكاء بعد حيال(8)

ص: 146

1- في ح: «ابن الأعرس».

2- الأثاب: جمع أثاب، و هو شجر ينبت في بطون الأودية.

3- الحباحب: ذباب يطير بالليل له شعاع في ذنبه كالسراج، و ربما جعلوا الحباحب اسما لما يرى في ذنبه كأنه نار. و قيل هو اسم رجل بخيل كان لا يوقد نارا إلا نارا ضعيفة مخافة الضيفان، فضربوا بها المثل حتى قيل «نار الحباحب» لما تقدحه الخيل بحوافرها من حيث لا

ينتفع به.

- 4- لا- أيبك: لعله أراد: لا- وأيبك. ويقال نجا ينجو نجوا: خلص. وفي الأصول: «نحو»، تحريف. والأزعر: القليل الشعر. والخاصب: الظليم إذا أكل الربيع فاحمرت ساقاه وقواده، وهو الذكر من النعام.
- 5- الهامل: المتروك سدى ليلا ونهارا.
- 6- في الأصول: «نفلكم بمثال».
- 7- المردفة: التي أركبت خلف الراكب. والأكفال جمع كفل: العجز.
- 8- الدكاء: رابية من طين. والحيال: العقم.

أخت حاجز ترثيه حين انقطعت أخباره

قال أبو عمرو: خرج حاجز في بعض أسفاره فلم يعد، ولا عرف له خبر، فكانوا يرون أنه مات عطشا أو ضلّ، فقالت أخته ترثيه:

أحيّ حاجز أم ليس حيّا *** فيسلك بين جندف و البهيم(1)

و يشرب شربة من ماء ترج *** فيصدر مشية السبع الكليم(2)

ما قيل من الشعر في فرار حاجز

إشارة

أخبرني هاشم بن محمّد، قال: حدّثنا دماذ عن أبي عبيدة، قال:

كان حاجز الأزدي مع غاراته كثير الفرار، لقي عامرا فهرب منهم فنجأ، وقال:

ألا هل أتى ذات القلائد فرّتي *** عشية بين الجرف و البحر من بع(3)

عشية كادت عامر يقتلونني *** لدى طرف السلماء راغية البكر(4)

فما الظبي أخطت خلفه الصقر رجله *** وقد كاد يلقي الموت في خلفه الصقر(5)

بمثلي غداة القوم بين مقنّع *** و آخر كالسكران مرتكز يفري(6)

أو فرّ من خشم و تبعه المرقع الخشميّ ثم الأكلبيّ، ففاته حاجز، وقال في ذلك:

و كأنما تبع الفوارس أربنا *** أو ظبي رابية خفافا أشعبا(7)

و كأنما طردوا بذئ نمراته *** صدعا من الأروى أحسّ مكلبا(8)

أعجزت منهم و الأكفّ تنالني *** و مضت حياضهم و أبوا خيّا

أدعو شنوءة غثّها و سمينها *** ودعا المرقّع يوم ذلك أكلبا(9)

وقال يخاطب(10) عوض أمسى:

أبلغ أميمة عوض أمسى بزّنا *** سلبا و ما إن سرّها ننكبا(11)

لو لا تقارب رأفة و عيونها *** حمشا مصعدا و مصوّبا(12)

- 1- «خندف» بالجيم المفتوحة مع الدال تصحيح الشنقيطي: جبل باليمن. وفي بعض النسخ «خندف». و البهيم: جبل أيضا.
- 2- ترج وبيشة: قريتان متقابلتان بين مكة واليمن.
- 3- فرتي: فراري، والجرف بضم الجيم: موضع باليمن. و البعر: مكان بين مكة واليمامة، ماء لبني ربيعة بن عبد الله بن كلاب.
- 4- راغية البكر: صوته. و البكر: الفتى من الإبل، يراد به بكر ناقة صالح، وهو مثل في الشؤم.
- 5- أخطت: أخطأت. و خلفه الصقر: اختلافه مرة بعد مرة. وفي الأصول: «خلفه الصقر» ثم «حلقة الصقر».
- 6- يفري: يبالغ في النكاية و القتل.
- 7- الرابية و الرابة: كل ما ارتفع عن الأرض. و الظبي الأشعب: البعيد ما بين القرنين.
- 8- الصدع بالعين المهملة تصحيح الشنقيطي: الفتى الشاب القوي من الأوعال و قيل هو الوسط منها. قال الأزهري: هو الوعل بين الوعلين. وفي الأصل: «صدغا». و الأروى: أنثى الوعل، أو هوتيس الجبل.
- 9- شوءة بالشين: قبيلة، و كذلك أكلب.
- 10- وقال يخاطب، زيادة عن بعض الأصول.
- 11- في الأصول: «سلبا ما إن سرها أن تسكبا».
- 12- كذا ورد البيت محرفا منقوصا.

يا دار من ماويّ بالسَّهْب *** بنيت على خطب من الخطب(1)

إذ لا ترى إلا مقاتلة *** وعجانسا يرقلن بالركب(2)

أو مدججا يسعى بشكته *** محمّرة عيناه كالكلب(3)

و معاشرأ صدأ الحديد بهم *** عبق الهناء مخاطم الجرب(4)

الشعر للحارث بن الطفيل الدوسي، و الغناء لمعبد، رمل بالبنصر، من رواية يحيى المكي، وفيه لابن سريج خفيف ثقيل مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق، و الله أعلم.

ص: 148

1- السهب: اسم موضع.

2- العجانس: جمع عجنس: الشديد الضخم من الإبل.

3- الشكة: السلاح.

4- الهناء يقال هنا الإبل يهنؤها مثلثة النون: طلاها بالهناء، ككتاب و هو القطران. عبق الهناء، أن يحكى عبق الهناء. و العبق: مصدر عبق به، أي لصق. و المخاطم: جمع مخطم كمجلس و منبر: مقدم أنفها و فمها.

إشارة

هو الحارث بن الطفيل بن عمرو بن عبد الله بن مالك بن فهم بن غنم بن دوس بن عبد الله بن عدثان بن عبيد الله بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد، شاعر فارس، من مخضرمي شعراء الجاهلية والإسلام، وأبوه الطفيل بن عمرو شاعر أيضاً، وهو أول من وفد من دوس على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأسلم وعاد إلى قومه، فدعاهم إلى الإسلام.

وفود الطفيل على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

أخبرني عمي قال: حدّثنا الحزنبلي بن عمرو بن أبي عمرو عن أبيه، واللفظ في الخبر له، والله أعلم.

وأخبرني به محمّد بن الحسن بن دريد قال: حدّثني عمي عن العباس بن هشام عن أبيه:

إنّ الطفيل بن عمرو بن عبد الله بن مالك الدوسيّ خرج حتى أتى مكة حاجاً، وقد بعث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهاجر إلى المدينة، وكان رجلاً يعصو - والعاصي البصير بالجراح، ولذلك يقال لولده: بنو العاصي - فأرسلته قريش إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقالوا: انظر لنا ما هذا الرجل، وما عنده؟ فأتى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فعرض عليه الإسلام، فقال له: إني رجل شاعر، فاسمع ما أقول. فقال له النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هات. فقال:

لا وإله الناس نألم حربهم *** ولو حاربتنا منهب وبنو فهم

ولمّا يكن يوم تزول نجومه *** تطير به الركبان ذو نأضخم(1)

/أسلما على خسف ولست بخالد *** وما لي من واق إذا جاءني حتمي

فلا سلم حتّى تحفز الناس خيفة *** ويصبح طير كانسات على لحم(2)

فقال له رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وأنا أقول فاستمع، ثم قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، اللَّهُ الصَّمَدُ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ. ثم قرأ: قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ، ودعاه إلى الإسلام فأسلم، وعاد إلى قومه، فأتاهم في ليلة مطيرة ظلماء، حتى نزل بروق، وهي قرية عظيمة لدوس فيها منبر، فلم يبصر أين يسلك، فأضاء له نور في طرف سوطه، فبهر الناس ذلك النور، وقالوا: نار أحدثت على القدوم ثم على بروق/لا تطفأ. فعلقوا يأخذون بسوطه فيخرج النور من بين أصابعهم، فدعا أبيه إلى الإسلام فأسلم أبوه ولم تسلم أمة، ودعا قومه فلم يجبه إلا أبو هريرة، وكان هو وأهله في جبل يقال له ذور مع(3)، فلقبه بطريق يزحزح، وبلغنا أنه كان يزحف في العقبة من الظلمة ويقول:

يا طولها من ليلة وعناءها *** على أنها من بلدة الكفر نجت

1- ح: «تطير نجومه».

2- كانسات: مقيمات.

3- في س، ش: «ذورمعا». وفي ح: «ذو منعا»، صوابه ما أثبتنا. قال ياقوت: «موضع باليمن».

ثم أتى الطفيل بن عمرو النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومعه أبو هريرة، فقال له: ما وراءك؟ فقال: بلاد حصينة وكفر شديد.

فتوضأ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم قال: «اللهم اهد دوسا» ثلاث مرات. قال أبو هريرة: فلما صَلَّى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خفت أن يدعو على قومي فيهلكوا، فصحت: وا قوماه! فلما دعا لهم سرّني عني، ولم يحب الطفيل أن يدعو لهم لخلافهم عليه، فقال له: لم أحبّ هذا منك يا رسول الله. فقال له: إن فيهم مثلك كثيرا. وكان جندب بن عمرو بن حممة/بن عوف بن غويّة بن سعد بن الحارث بن ذبيان بن عوف بن منهب بن دوس يقول في الجاهلية: إن للخلق خالقا لا أعلم ما هو.

فخرج حينئذ في خمسة وسبعين رجلا- حتى أتى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فأسلم وأسلموا. قال أبو هريرة: ما زلت ألوي الآجرة (1) بيدي، ثم لويت على وسطي حتى كأتي بجاد (2) أسود، وكان جندب يقربهم إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رجلا رجلا، فيسلمون.

سبب أبيات الغناء

وهذه الأبيات التي فيها الغناء من قصيدة للحارث بن الطفيل، قالها في حرب كانت بين دوس وبين بني الحارث بن عبد الله بن عامر بن الحرث بن يشكر بن مبشر بن صعيب بن دهمان بن نصر بن زهران.

وكان سبب ذلك فيما ذكر عن أبي عمرو الشيباني أن ضماد بن مسرّح بن النعمان بن الجبار بن سعد بن الحارث بن عبد الله بن عامر بن الحارث بن يشكر، سيد آل الحارث، كان يقول لقومه: أحذركم جرائر أحمقين من آل الحارث يبطلان رئاستكم. وكان ضماد يتعيف (3)، و كان آل الحارث يسودون العشيرة كلّها، فكانت دوس أتباعا لهم، وكان القتيل من آل الحارث تؤخذ له ديتان، ويعطون إذا لمهم عقل قتيل من دوس دية واحدة، فقال غلامان من بني الحارث يوما: انتوا شيخ بني دوس وزعيمهم الذي ينتهون إلى أمره فلنقتله (4). فأتياه، فقالا: يا عم، إن لنا أمرا نريد أن تحكم بيننا فيه. فأخرجه من منزله، فلما تنحيا به قال له أحدهما: يا عم، إن رجلي قد دخلت فيها شوكة، فأخرجها لي. فنكس الشيخ رأسه لينتزعها وضربه الآخر فقتله، فعمدت دوس إلى سيّد بني الحارث، وكان نازلا بقنوني (5) فأقاموا له في غيضة في الوادي، و سرحت إبله فأخذوا/منها ناقة فأدخلوها الغيضة وعقلوها، فجعلت الناقة ترغو وتحنّ إلى الإبل، فنزل الشيخ إلى الغيضة ليعرف شأن الناقة، فوثبوا عليه فقتلوه، ثم أتوا أهله، وعرفت بنو الحارث الخبر، فجمعوا لدوس وغزوه فندروا (6) بهم فقاتلوهم فتناصفوا، وظفرت بنو الحارث بغلّمة من دوس فقتلوهم، ثم إنّ دوسا اجتمع منهم تسعة وسبعون رجلا، فقالوا: من يكلمنا، من يمانينا (7) حتّى نغزو أهل ضماد؟ فكان ضماد قد أتى عكاظ، فأرادوا أن يخالفوه/إلى أهله، فمروا برجل من دوس وهو يتغنى:

فإنّ السلم زائدة نواها *** وإنّ نوى المحارب لا تروب (8)

فقالوا: هذا لا يتبعكم، ولا ينفعكم أن تبعكم، أما تسمعون غناءه في السلم. فأتوا حممة بن عمرو، فقالوا: أرسل إلينا بعض ولدك. فقال: وأنا إن شئت. وهو عاصب حاجبيه من الكبر، فأخرج معهم ولده جميعا، و خرج معهم،

- 1- الأجرة: واحدة الأجر، الطين المحروق.
- 2- البجاد: كساء مخطط من أكسية الأعراب يشتملون به. وفي الأصل: «كان بجاد».
- 3- يتعيف: يتكهن.
- 4- فلنقتله في س، ش أما في ح فبالياء بدل النون وهو تحريف.
- 5- قنوني: من أودية السراة يصب إلى البحر في أوائل أرض اليمن من جهة مكة.
- 6- يقال نذر بالعدو بكسر. الذال نذرا: علمه فحذره.
- 7- ماناه: لزمه، وانتظره، وداراه. في الأصول: «يمانين».
- 8- تروب: تفتت. وفي ح «تروود».

وقال لهم: تفرّقوا فرقتين، فإذا عرف بعضكم وجوه بعض فأغيروا، وإياكم والغارة حتّى تتفارقوا لا يقتل بعضكم بعضا. ففعلوا، فلم يلتفتوا حتّى قتلوا ذلك الحيّ من آل الحارث، وقتلوا ابنا لضماد، فلما قدم قطع أذني ناقته وذبها، وصرخ في آل الحارث، فلم يزل يجمعهم سبع سنين و دوس تجتمع بازائه، وهم مع ذلك يتغاورون(1) ويتطرّف بعضهم بعضا(2)، وكان ضماد قد قال لابن أخ له يكنى أبا سفيان لما أراد أن يأتي عكاظ: إن كنت تحرز(3) أهلي، وإلا أقمت عليهم. فقال له: أنا أحرزهم من مائة؛ فإن زادوا فلا. وكانت تحت ضماد امرأة من دوس، وهي أخت مريان(4) بن سعد الدوسي الشاعر، فلما أغارت دوس على بني الحارث قصدها/أخوها، فلاذت به، وضمت فخذها على ابنها من ضماد، وقالت: يا أخي اصرف عني القوم، فإني حائض لا يكشفوني. فنكز سية القوس في درعها، وقال: لست بحائض، و لكن في درعك سخلة بكذا من آل الحارث، ثم أخرج الصبيّ فقتله، وقال في ذلك:

ألا هل أتى أمّ الحصين و لو نأت *** خلافتنا في أهله ابن مسرّح

و نضرة تدعو بالفناء و طلقها *** ترائبه ينفحن من كلّ منفح(5)

و فرّ أبو سفيان لما بدا لنا *** فرار جبان لأمه الذلّ مقرّح(6)

يوم حضرة الوادي

إشارة

قال: فلم يزلوا يتغاورون حتّى كان يوم حضرة الوادي، فتحاشد الحيّان، ثم أتتهم بنو الحارث و نزلوا لقتالهم، و وقف ضماد بن مسرّح في رأس الجبل، و أتتهم دوس. و أنزل خالد بن ذي السبلة بناته هنداً و جندلة و فطيمة و نضرة، فبنين بيتاً، و جعلن يستقين الماء، و يحضّضن(7). و كان الرجل إذا رجع فأرّأ أعطينه مكحلة و مجمر(8)، و قلن: معنا فانزل - أي إنك من النساء - و جعلت هند بنت خالد تحرّضهم و ترتجز و تقول:

من رجل ينازل الكتيبة *** فذلّكم تزني به الحبيبة

فلما التقوا رمى رجل من دوس رجلاً من آل الحارث، فقال: خذها و أنا أبو الزبن(9)، فقال ضماد و هو في رأس الجبل و بنو الحارث بحضرة الوادي: يا قوم زبنتم فارجعوا. ثم رجل آخر(10) من دوس، فقال: خذها و أنا أبو ذكر(11). فقال ضماد: ذهب القوم/بذكرها، فاقبلوا رأبي و انصرفوا. فقال: قد جنبت يا ضماد. ثم التقوا، فأبيدت بنو الحارث. هذه رواية أبي عمرو.

و أما الكلبى فإنه قال: كان عامر بن بكر بن يشكر يقال له الغطريف و يقال لبنيه الغطاريف، و كان لهم ديتان،

ص: 151

1- يتغاورون بالغين المعجمة: يغير بعضهم على بعض.

2- يقال: تطرف عليهم، أي أغار. «اللسان» (طرف).

3- تحرز: تحصن.

4- مران في س، ش بالباء، أما في ح فبالنون بدل الباء.

5- نضرة وردت في ح بالصاد المهملة. و الطلق، أصل معناه الطبي، و يقال أيضا: ناقة طلق: لا عقال عليها. و الترائب: عظام الصدر.
ينفحن: ينضحن بالدم.

6- مقرح: مجروح.

7- التحضيض: الحث.

8- المكحلة: وعاء الكحل. و المجمر: ما يوضع فيه الجمر.

9- الزين: الدفع. و حرب زبون: يدفع بعضها بعضا. و زابنه: دافعه.

10- أي ثم رمى رجل آخر.

11- أبو ذكر: أي أبو الصيت و الثناء.

و لسائر قومه دية، و كانت لهم على دوس إتاوة يأخذونها كل سنة، حتى إن كان الرجل منهم ليأتي بيت الدوسي فيضع سهمه أو نعله على الباب، ثم يدخل، فيجيء/الدوسي، فإذا أبصر ذلك انصرف ورجع عن بيته، حتى أدرك عمرو بن حممة بن عمرو فقال لأبيه: ما هذا التطول (1) الذي يتطول به إخواننا علينا؟ فقال: يا بني، إن هذا شيء قد مضى عليه أوائلنا، فأعرض عن ذكره. فأعرض عن هذا الأمر، و إن رجلا من دوس عرس بابنة عم له، فدخل عليها رجل من بني عامر بن يشكر، فجاء زوجها فدخل على الإشكري، ثم أتى عمرو بن حممة فأخبره بذلك، فجمع دوسا و قام فيهم، فحرضهم و قال: إلى كم تصبرون لهذا الذل، هذه بنو الحارث، تأتيكم الآن تقاتلكم، فاصبروا تعيشوا كراما أو تموتوا كراما. فاستجابوا له، و أقبلت إليهم بنو الحارث فتنازلوا، و اقتتلوا، فظفرت بهم دوس، و قتلتهم كيف شاءت، فقال رجل من دوس يومئذ:

قد علمت صفراء حرشاء الذيل (2) *** شرابة المحض تروك للقليل (3)

ترخي فروعا مثل أذنان الخيل *** أن بروقا دونها كالويل

و دونها خرط القتاد بالليل (4)

و قال الحارث بن الطفيل بن عمرو الدوسي في هذا اليوم، عن أبي عمرو:

يا دار من ماوي بالسهب *** بنيت على خطب من الخطب

إذا لا ترى إلا مقاتلة *** و عجانسا يرقلن بالركب (5)

و مدججا يسعى بشكته *** محممة عيناه كالكلب (6)

و معاشرأ صدأ الحديد بهم *** عقب الهناء مخاطم الجرب (7)

لما سمعت نزال قد دعيت *** أيقنت أنهم بنو كعب (8)

كعب بن عمرو لا لكعب بني ال *** عنقاء و التبيان في النسب

فرميت كبش القوم معتمدا *** فمضى و راشوه بذئ كعب (9)

شكوا بحقوقه القداح كما *** ناط المعرض أقدح القضب (10)

ص: 152

1- التطول: وردت في ج: «الطول».

2- الحرشاء: الخشنة.

3- المحض: الخالص، و في الأصول: «المخص»، تحريف. و القيل بالياء: اللبن يشرب نصف النهار. و يقال هو شروب للقليل، إذا كان مهيفا دقيق الخصر يحتاج إلى شرب نصف النهار.

4- القتاد: شجر صلب له شوك كالإبر.

5- العجانس: و مفردها عجنس كعملس بتشديد اللام و حذفت النون الثقيلة في الجمع لأنها زائدة: الجمال الضخمة الصلبة الشديدة مع ثقل و بطء.

6- الشكة: السلاح.

7- الهناء بالكسر: القطران. و المخاطم: ما يقاد منه البعير مكان الخطام.

8- بنو كعب روى كلب في ج.

9- الكبش: الرئيس. راشوه حابوه من الرشوة، و الكلام تهكم، و ذي كعب: الرمح.

10- شكوا: يقال شكه بالرمح انتظمه و في السلاح دخل. و الحقو: الخصر. و القداح: السهام. ناط: علق. و المعرض: الرامي الذي يعرض القوس عرضا إذا أضجعها ثم رمى عنها. و الأقدح جمع قدح بالكسر: السهم قبل أن يراش أو ينصل. و القضب جمع قضيب، و هو القوس عملت من قضيب أو من غصن غير مشقوق.

فكأن مهري ظلّ منغمسا *** بشبا الأسنّة مغرة الجأب(1)

ياربّ موضوع رفعت و مر *** فوع وضعت بمنزل اللّصب(2)

و حليل غانية هتكت قرارها *** تحت الوغى بشديدة العصب(3)

كانت على حبّ الحياة فقد *** أحللتها في منزل غرب(4)

«جانيك من يجني عليك وقد *** تعدى الصّحاح مبارك الجرب»(5)

/هذا البيت في الغناء في لحن ابن سريج؛ وليس هو في هذه القصيدة، ولا وجد في الرواية، وإنما ألحقناه بالقصيدة لأنه في الغناء كما تصيف المغنون شعرا إلى شعر، وإن لم يكن قائلهما واحدا إذا اختلف الروي والقافية.

صوت

صرفت هواك فانصرفا *** ولم تدع الذي سلفا

وبنت فلم أمت كلفا *** عليك ولم تمت أسفا

كلانا واجد في النا *** س ممّن ملّه خلفا(6)

/الشعر لعبد الصمد بن المعدّل، والغناء للقاسم بن زرور، رمل بالوسطى، وفيه لعمر الميداني هزج.

ص: 153

1- المغرة بالفتح: لون إلى الحمرة. والجأب: موضع.

2- اللصب بالكسر: مضيق الوادي. واللواصب: الآبار البعيدة القعر.

3- العصب: الطعن و القطع.

4- الغرب: البعيد.

5- تعدى بالتاء المثناة الفوقية في س، ش أما في ج فبالباء الموحدة. والصحاح: الصحيحة من الإبل.

6- واجد في ش، أما في س، ج فبالحاء المهملة وهو تحريف.

إشارة

عبد الصمد بن المعذل بن غيلان بن الحكم بن البخترى (1) بن المختار بن ذريح بن أوس بن همام بن ربيعة بن بشير بن حمران بن حدرجان بن عساس (2) بن ليث بن حداد بن ظالم بن ذهل بن عجل بن عمرو بن وداعة بن لكيز بن أفصى (3) بن عبد القيس بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار. وقيل: ربيعة بن ليث بن حمران.

وجدت في كتاب بخط أحمد بن كامل: حدّثني غيلان بن المعذل أخو عبد الصمد، قال: كان أبي يقول:

أفصى أبو عبد القيس هو أفصى بن جديلة بن أسد، وأفصى جدّ بكر بن وائل هو أفصى بن دعمي. و النسابون يغلطون في قولهم عبد القيس بن أفصى بن دعمي. ويكنى عبد الصمد أبا القاسم، وأمه أم ولد يقال لها: الزرقاء.

شاعر فصيح من شعراء الدولة العباسية، بصريّ المولد والمنشأ. وكان هجاء خبيث (4) اللسان، شديد العارضة، وكان أخوه أحمد أيضا شاعرا، إلا أنه كان عفيفا، ذا مروءة ودين وتقدّم في المعتزلة، وله جاه (5) واسع في بلده وعند سلطانه، لا يقاربه عبد الصمد فيه، فكان يحسده ويهجوه فيحلم عنه، وعبد الصمد أشعرهما، وكان أبو عبد الصمد المعذل وجدّه غيلان شاعرين، وقد روى عنهما شيء (6) من الأخبار واللغة والحديث ليس بكثير، والمعذل بن غيلان هو الذي يقول:

إلى الله أشكو لا إلى الناس أني *** أرى صالح الأعمال لا أستطيعها

أرى خلّة في إخوة وأقارب *** وذي رحم ما كان مثلي يضيعها

فلو ساعدتني في المكارم قدرة *** لفاض عليهم بالنوال ربيعهما

أنشدنا ذلك له علي بن سليمان الأخفش، عن المبرّد، وأنشدناه محمّد بن خلف بن المرزبان عن الرّبيعي أيضا. قالوا: وهو القائل:

ولست بميال إلى جانب الغنى *** إذا كانت العلياء في جانب الفقر

وإني لصبار على ما ينوبني *** وحسبك أنّ الله أثنى على الصبر

نهاجى أبان و المعذل

أخبرني محمّد بن خلف، قال: حدّثنا النّخعيّ وإسحاق، قال: هجا أبان اللاحقيّ المعذلّ بن غيلان، فقال:

كنت أمشي مع المعذلّ يوما *** ففسا فسوة فكدت أطيّر

- 1- س، ش: «البحتري».
- 2- عساس: في س، ش. وفي ج «غسان».
- 3- أفضى: بالصاد المهملة في س، ش أما في ج فبالضاد المعجمة، وهو تحريف.
- 4- خبيث اللسان في س، ش أما في ج فيسبقهما كلمة «خبيثا».
- 5- وله جاه: في س، ش أما في ج فيسقاط لفظ «له».
- 6- ح: «شيء عنهما».

فتلفت هل أرى ظربانا *** من ورائي و الأرض بي تستدير(1)

فإذا ليس غيره وإذا أع *** صار ذلك الفساء منه يفور

فتعجبت ثم قلت لقد أع *** رف، هذا فيما أرى خنزير

فأجابه المعذل فقال(2):

/

صحفت أمك إذ سم *** تك بالمهد أبانا

قد علمنا ما أردت *** لم ترد إلا أانا

صيرت باء مكان ال *** تاء والله عيانا

قطع الله وشيكا *** من مسميك اللسانا

المعذل و عبد الله بن سوار

أخبرني عمي قال: حدّثنا المبرد قال: مرّ المعذل بن غيلان بعبد الله بن سوار العنبري القاضي، فاستنزه عبد الله، وكان من عادة المعذل أن ينزل عنده، فأبى، وأنشده:

أ من حق المودة أن تقضي *** ذمامكم ولا تقضوا ذماما(3)

وقد قال الأديب مقال صدق *** رآه الآخرون لهم إماما

إذا أكرمتكم وأهنتموني *** ولم أغضب لذككم فذاما(4)

قال: وانصرف، فبكر إليه عبد الله بن سوار، فقال له: رأيتك أبا عمرو مغضبا. فقال: أجل ماتت بنت أختي ولم تأتي. قال: ما علمت ذلك. قال: ذنبك أشد من عذرك، وما لي أنا أعرف خبر حقوقك، وأنت لا تعرف خبر حقوقي؟! فما زال عبد الله يعتذر إليه حتى رضي عنه.

هجاء عبد الصمد لشروين المغني

حدّثني الحسن بن علي الخفاف، قال: حدّثنا ابن مهرويه عن الحمدوني، قال: كان شروين حسن الغناء والصّرب، وكان من أراد أن يغنيه حتى يخرج من جلده جاء بجويرية سوداء فأمرها أن تطالعه، وتلّو له بخرقه حمراء، ليظنّها امرأة تطالعه، فكان حينئذ يغني أحسن ما يقدر عليه تصنعا لذلك، فغضب عليه عبد الصمد في بعض الأمور، فقال يهجوه:

من حلّ شروين له منزلا *** فلتنه الأولى عن الثانية

فليس يدعوه إلى بيته *** إلا فتى في بيته زانية

هجاؤه لزان متزوج زانية

أخبرني الحسن، قال: حدّثنا ابن مهرويه، قال: حدّثني أبو عمرو البصري، قال: قال عبد الصمد بن المعذلّ في رجل زان من أهل البصرة كانت له امرأة تزني، فقال:

ص: 155

-
- 1- الطربان: دويبة صغيرة منتنة جدا، ويقال إنها إذا فست في ثوب لم تذهب رائحته حتى يبلى.
 - 2- «فقال» ساقطة من ح.
 - 3- ح: «يقضي ذمامكم».
 - 4- أي ما ذا يسمى ذلك.

إن كنت قد صَفَّرت أذن الفتى *** فطالما صَفَّرَ آذانا

لا تعجبي إن كنت كسخته *** فإتما كسخت كسخانا(1)

شعره في الفتى الكاتب الذي عشق جارية ابن الجوهري

أخبرني جعفر بن قدامة بن زياد الكاتب، قال: حدَّثنا سوَّار بن أبي شراعة، قال:

كان بالبصرة رجل يعرف بابن الجوهري، وكانت له جارية مغنية حسنة الغناء، وكان ابن الجوهري شيخاً هماً قبيح الوجه، فتعشَّقت فتى كاتباً كان يعاشره ويدعوه، وكان الفتى نظيفاً ظريفاً، فاجتمعت معه مراراً في منزله، وكان عبد الصمد يعاشره، فكان الفتى يكاتمه أمره، و يحلف له أنه لا يهواها، فدخلت عليهما ذات يوم بغته، فبقي الفتى باهتاً لا يتكلَّم، و تغير لونه و تخلَّج في كلامه، فقال عبد الصمد:

لسان الهوى ينطق *** و مشهده يصدق(2)

لقد نمَّ هذا الهوى *** عليك و ما يشفق(3)

إذا لم تكن عاشقاً *** فقلبك لم يخفق(4)

و ما لك إمَّا بدت *** تحار فلا تنطق

أشمس تجلَّت لنا *** أم القمر المشرق

الغناء في هذه الأبيات لرذاذ، و يقال للقاسم بن زرور، رمل مطلق.

قال: ثم طال الأمر بينهما، فهربت إليه جملة، فقال عبد الصمد في ذلك:

إلى امرئٍ حازم ركبت *** أيّ امرئٍ عاجز تركت(5)

فتنة ابن الجوهريّ لقد *** أظهرت نصحا و قد أفكت

أكذبتها عزمة ظهرت *** لا تبالي نفس من سفكت

ظفرت فيها بما هويت *** و نجت من قرب من فركت(6)

ثمَّ خدود بعدها لطمت *** و جيوب بعدها هتكت

و عيون لا يرقآن على *** حسن وجه فاتهنّ بكت(7)

خرجت و الليل معتكر *** لم يهلها أية سلكت

وعيون الناس قد هجعت *** ودجى الظلماء قد حلكت

لم تخف وجدا بعاشقها *** حرمة الشهر الذي انتهكت

ص: 156

-
- 1- كسحن الرجل: صار لا يغار واتهم بالدياثة، وهي أن يرى الرجل العمل الفاضح في أهله ولا يغار.
 - 2- مشهده، وفي كل الأصول: «مشاهده» ولا يستقيم الوزن.
 - 3- في كل الأصول: «تم» وهو تصحيف.
 - 4- لم يخفق: أي لما ذا يخفق.
 - 5- في ب، ش: «إلى امرئ».
 - 6- فركت: كرهت.
 - 7- فاتهن بالتاء، وفي كل الأصول بالنون وهو تحريف.

ورأت لَمَّا سقت كمدا *** أنّها في دينها نسكت

ملئت كَفَّ بها ظفرت *** دون هذا الخلق ما ملكت

أيّ ملك إذا خلا و خلت *** فشكا أشجانه و شكت

تجتلي من وجهه ذهباً *** و هو يجلو فضّة فتكت (1)

هكذا فعل الفتاة إذا *** هي في عسّاقها محكت (2)

هجاؤه لجار له يمشي مشية منكراً

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدّثنا محمّد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدّثني بعض أصحابنا قال:

نظر عبد الصمد بن المعدّل إلى جار له يخطر في مشيته خطرة منكراً، و كان فقيراً رث الحال، فقال فيه:

/

يتمشّي في ثوب عصب من العر *** ي على عظم ساقه مسدول (3)

دبّ في رأسه خمّار من الجو *** ع سرى خمرة الرحيق الشمول (4)

فبكي شجوه و حنّ إلى الخ *** بز و نادى بزفرة و عويل

من لقلب متيمّ برغيفي *** ن و نفس تاقت إلى طفشيل (5)

ليس تسمو إلى الولايم نفسي *** جلّ قدر الأعراس عن تأميلي (6)

هات لونا و قل لتلك تعني *** لست أبكي لدارسات الطلول (7)

رثاؤه لأبي سلمة الطفيلي

أخبرنا سوّار بن أبي شراعة، قال: كان بالبصرة طفيليّ يكنّى أبا سلمة، و كان إذا بلغه خبر وليمة لبس لبس القضاة، و أخذ ابنه معه و عليهما القلاص الطوال، و الطيالسة الرقاق (8)، فيقدّم ابنه، فيدقّ الباب أحدهما و يقول:

افتح يا غلام لأبي سلمة. ثم لا يلبث البواب حتى يتقدّم لآخر، فيقول: افتح و يلك فقد جاء أبو سلمة. و يتلوهم، فيدقّون جميعاً الباب، / و يقولون: بادر و يلك، فإنّ أبا سلمة واقف. فإن لم يكن عرفهم فتح لهم، و هاب منظرهم (9)، و إن كانت معرفته إياهم قد سبقت لم يلتفت إليهم، و مع كلّ واحد منهم فهر مدور يسمونه (10) «كيسان»، فينتظرون حتّى يجيء بعض من دعى، فيفتح له الباب، فإذا فتح طرحوا الفهر في العتبة حيث يدور الباب، فلا يقدر البواب على غلقه، و يهجمون عليه فيدخلون. فأكل أبو سلمة/يوماً على بعض الموائد لقمة حارّة من

فالوذج(11)، و بلعها لشدة حرارتها، فجمعت أحشاؤه فمات على المائدة، فقال عبد الصمد بن المعدل يرثيه:

ص: 157

- 1- في الأصول: «من وجهه».
- 2- محكت: لجت و أمعت. و من معانيه عسر الخلق.
- 3- العصب: ضرب من البرود.
- 4- الخمار بضم الخاء: ألم الخمر و صداعها، و مثله الخمرة بالضم. و الشمول: الباردة.
- 5- الطفشيل: نوع من المرق، أو ضرب من الطعام. انظر تحقيقه في «حواشي الحيوان» (24:3). س، ش: «التطفيل».
- 6- التأميل: التثبت في الأمر و النظر.
- 7- روى «طولا» بدل «لونا».
- 8- القانيس: ألبسة الرأس. و الطيالسنة: ملابس سود. و الرقاق هي في ح: «الزرق».
- 9- في س، ش: «وهاب منظرهم» أما في ح حذف هذه الجملة.
- 10- الفهر: الحجر.
- 11- الفالوذج: حلوى من الماء و الدقيق و العسل.

أحزان نفسي عليها غير منصرمه *** و أدمعي من جفوني الدّهر منسجمه(1)

على صديق و مولى لي فجعت به *** ما إن له في جميع الصالحين لمه(2)

كم جفنة مثل جوف الحوض مترعة *** كوماء جاء بها طباخها رذمه(3)

قد كللتها شحوم من قليتها *** و من سنام جزور عبطة سنمه(4)

غيبت عنها فلم تعرف له خبرا *** لهفي عليك و ويلي يا أبا سلمه

و لو تكون لها حيّا لما بعدت *** يوما عليك و لوفي جاحم حطمه(5)

قد كنت أعلم أنّ الأكل يقتله *** لكنني كنت أخشى ذاك من تخمه

إذا تعمّم في شبليه ثم غدا *** فإنّ حوزة من يأتيه مصطلمه(6)

شعره في فتي عشقه

إشارة

أخبرني محمّد بن خلف بن المرزبان، قال: حدّثني أحمد بن يزيد المهلبي عن أبيه، قال:

كان عبد الصمد بن المعذل يتعشّق فتي من المغنين، يقال له: أحمد، فغاضبه الفتى و هجره، فكتب إليه:

صوت

سل جزعي مذ صددت عن حالي *** هل خطر الصبر على بالي

لا غير الله سوء فعلك بي *** إن كنت أعتبت فيك عدّالي

و لا ذممت البكالي عليك و لا *** حمدت حسن السلو من سال

لو كنت أبغي سواك ما جهلت *** نفسي أنّ الصّدود أعفى لي(7)

لجحظة في هذه الأبيات رمل مطلق.

هجاؤه لقينة بصرية

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدّثنا محمّد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدّثني عليّ بن محمّد التّوفلي، فقال:

هجا عبد الصمد بن المعدّل قينة بالبصرة قال فيها:

تقرّر عن مضحك السّدريّ إن ضحكت *** كرف الأتان رأّت إدلاء أعيار(8)

ص: 158

-
- 1- منسجمة: منصبة سائلة.
 - 2- اللمة، بالضم: المثل والشكل.
 - 3- الكوماء: المرتفعة. والرذمة: التي تسيل دسما.
 - 4- الجزور: الناقة المذبوحة. والعبطة: ما ذبحت من غير علة. والسنمة: العظيمة السنام.
 - 5- الجاحم الحطمة: النار الشديدة.
 - 6- الشبلان: عنى بهما الولدين. والمصطلمة: المستأصلة.
 - 7- أعفى: أطيّب وأحسن.
 - 8- السدري، غنى به أبا نبقة السدري انظر ص 250. كرف الأتان: يقال كرف الحمار وغيره يكرف، شم بول الأتان ثم رفع رأسه وقلب جحفلته. وربما قيل كرفت الأتان. وكل ما شممته فقد غرفته. الإدلاء: يقال أدلى الفرس أو البعير: أخرج ذكره ليبول. والأعيار: جمع عير، وهو الحمار.

يفوح ريح كنيف من ترائبها *** سوداء حالكة دهما كالفار(1)

قال: فكسدت والله تلك القينة بالبصرة، فلم تدع ولم تستتبع حتى أخرجت عنها.

عتابه لبعض الأمراء

أخبرني علي بن سليمان الأخفش، قال: حدّثنا المبرد، قال:

كتب عبد الصمد بن المعذل إلى بعض الأمراء رقعة فلم يجبه عنها، لشيء كان بلغه عنه، فكتب إليه:

قد كتبت الكتاب ثم مضى اليو *** م ولم أدر ما جواب الكتاب

/ليت شعري عن الأمير لما ذا *** لا يراني أهلا لردّ الجواب/

لا تدعني وأنت رفعت حالي *** ذا انخفاض بهجرتي واجتنائي

إن أكن مذنباً فعندي رجوع *** وبلاء بالعدر والإعتاب

وأنا الصادق الوفاء وذو العه *** د الوثيق المؤكّد الأسباب

هجاؤه للمهلب الذي كان يخدع الفتيات

أخبرني الحرمي بن علي، قال: حدّثني أبو الشبل، قال:

كان بالبصرة رجل من ولد المهلب بن أبي صفرة، يقال له: صبيانة، وكان له بستان سري في منزله، فكان يدعو الفتيات إليه، فلا يعطيهنّ شيئاً من الدراهم، ويقصر بهن على ما يحملنه من البستان معهنّ، مثل الرّطب و البقول و الرياحين، فقال فيه عبد الصمد قوله(2):

قوم زناة مالهم دراهم *** جذرهم التّمّام و الحماحم(3)

أنزل من تجمعه المواسم *** خسوا و خسّت منهم المطاعم

فعدلهم إن قسته المظالم(4)

جزع عبد الصمد من هجاء الجمّاز

أخبرني جعفر بن قدامة، قال: حدّثني سوّار بن أبي شراعة، وأخبرنا به سوّار إجازة، قال: حدّثني أبي، قال:

لما هجا الجمّاز عبد الصمد بن المعذلّ جاءني فقال لي: أنقذني منه. فقلت له: أمثلك يفرق(5) من الجمّاز؟ فقال: نعم، لأنه لا يبالي بالهجاء ولا يفرق منه، ولا عرض له، وشعره ينفق(6) على من لا يدري. فلم أزل حتى أصلحت بينهما بعد أن سار قوله فيه:

ابن المعذّل من هو *** و من أبوه المعذّل

سألت وهبان عنه *** فقال بيض محوّل (7)

ص: 159

-
- 1- الترائب: عظام الصدر، أو ما بين الثديين، أو أربع أضلاع من جانبي الصدر، أو موضع القلادة.
 - 2- قوله، ليست في س، ش.
 - 3- الجذر: الأصل. و النمام نبت طيب مدر. و الحماحم: الحبق البستاني العريض الورق.
 - 4- ح: «مظالم».
 - 5- يفرق: يخاف و يفزع.
 - 6- ينفق: يروج و ينتشر.
 - 7- محول: أي حصنه غير أبويه.

قال: وكان وهبان هذا رجلا يبيع الحمام(1)، فجمع جماعة من أصحابه وجيرانه، وجعل يغشى المجالس، ويحلف أنه ما قال: إن عبد الصمد بيض محوّل، ويسألهم أن يعتذروا إليه؛ فكان هذا منه قد صار بالبصرة طرفة و نادرة، فجاءني عبد الصمد يستغيث منه، ويقول لي: أ لم أقل لك إنّ آفتي منه عظيمة، والله لدوران وهبان على الناس يحلف لهم: إنه ما قال: إني بيض محوّل، أشدّ عليّ من هجائه لي. فبعثت إلى وهبان فأحضرتة، وقلت له:

يا هذا، قد علمنا أنّ الجماز قد كذب عليك، وعذرناك فنحّب أن لا تتكلف العذر إلى الناس في أمرنا، فإنّا قد عذرناك. فانصرف وقد لقي عبد الصمد بلاء.

تدخل الحمدوي بين عبد الصمد و مضرطان

أخبرني محمّد بن جعفر الصيدلانيّ النحويّ صهر المبرد، قال: حدّثني إسحاق بن محمّد النخعي قال: قال لي أبو شراة القيسيّ:

بلغ أبا جعفر مضرطان أن عبد الصمد بن المعدّل هجاه، واجتمعا عند أبي وائلة السّدوسيّ، فقال له مضرطان: بلغني أنك هجوتني. فقال له عبد الصمد(2): من أنت حتى أهجوك؟ قال: هذا شرّ من الهجاء. فوثب إلى عبد الصّمّد يضربه، فقال الحمدويّ، وهو إسماعيل بن إبراهيم بن حمدويه، و حمدويه جدّه، وهو الذي كان يقتل الزنادقة:

/

الذّ من صحبة القناني *** أو اقتراح على قيان(3)

لكز فتى من بني لكيز *** يهدى له أهون الهوان(4)

أهوى له بازل خدبّ *** يطحن قرنيه بالجران(5)/

فنال منه ثور قوم *** باليد طوراً وباللسان(6)

و كان يفسو فصار حقّاً *** يضطر من خوف مضرطان

قال: وبلغ عبد الصّمّد شعر الحمدويّ، فقال: أنا له. ففزع الحمدويّ منه، فقال:

ترح طعنت به وهمّ وارد *** إذ قيل إنّ ابن المعدّل واجد(7)

هيهات أن أجد السبيل إلى الكرى *** وابن المعدّل من مزاحي حارد(8)

فرضي عنه عبد الصمد.

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال: حدّثنا العنزي، قال: حدّثني إبراهيم بن عقبة اليشكري، قال:

ص: 160

-
- 1- في س، ش: «يتبع الحمام»، وفي ح: «يتبع الحمار» وهو تحريف.
 - 2- الكلام بعده إلى «عبد الصمد» لا يوجد في ح، وزيدت كلمة «فجعل» قبل «يضربه» في ح.
 - 3- في الأصول: «من محنة». القناني: جمع قنينة.
 - 4- اللكز: الضرب. ولكيز كزبير ابن أفصى بن عبد القيس. ويهدي بالياء في س، ش أما في ح فبالنون.
 - 5- الخدب بتشديد الباء هو الجمل الشديد الصلب. والقرنان: الجانبان.
 - 6- الثر: جمع ثأر.
 - 7- الترح: الهم.
 - 8- الحارد: الغضبان المغتاظ.

قال لي عبد الصمد بن المعذل، هجاني الجمّاز ببيتين سخيّفين فساروا في أفواه الناس، حتى لم يبق خاصّ ولا عامّ إلا رواهما، وهما:

ابن المعذل من هو *** و من أبوه المعذل

سألت وهبان عنه *** فقال بيض محوّل

/فقلت أنا فيه شعرا تركته يتحاجي (1) فيه كلّ أحد، فما رواه أحد ولا فكّر فيه، وذلك لضعته، وهو قولي:

نسب الجمّاز مقصو *** ر إليه منتهاه

يتراءى نسب النا *** س فما يخفى سواه

يتحاجي في أبي الج *** مّاز من هو كاتبه

ليس يدري من أبو الج *** مّاز إلا من يراه

شعره في بستان له

أخبرني الأخفش، قال: كان لعبد الصمد بستان نظيف عامر، فأنشدنا لنفسه فيه:

إذا لم يزرني (2) ندمانيه *** خلوت فنادمت بستانيه

فنادمته خضرا مؤنقا *** يهيج لي ذكر أشجانيه

يقرب مفرحة المستلذّ *** ويبعد همّي وأحزانيه

أرى فيه مثل مداري الطّباء *** تظلّ لأطلائها حانية (3)

ونور أقاح شتيت النبات *** كما ابتسمت عجبا غانيه (4)

ونرجسه مثل عين الفتاة *** إلى وجه عاشقها رانيه (5)

شعره في يزيد و الجارية التي عشقها و اشتراها

أخبرني جعفر بن قدامة بن زياد الكاتب، قال:

كان يزيد بن عبد الملك المسمعيّ يهوى جارية من جواري القيان، يقال لها: عليم، و كان يعاشر عبد الصمد، و يزيد يومئذ شابّ حديث السن، و كان عبد الصمد يسمّيه ابني، و يسمّي الجارية ابنتي، فباع الفتى بستانا له في معقل، و ضيعة بالقنديل (6)، فاشتري الجارية بثمنها، فقال عبد الصمد:

بنيّتي أصبحت عروسا *** تهدي من ابني إلى عروس

زفت إليه لخير وقت *** فاجتمعا ليلة الخميس

ص: 161

-
- 1- يتحاجي: يتفاطن، من الأحجية، وهي مثل اللغز في الكلام.
 - 2- في الأصول: «إذا لم يزرنا». وندمان، بالفتح: النديم على الشراب، وندماء أيضا.
 - 3- المداري: القرون. وطلا بالفتح: ولد الظبي ساعة يولد، وهو أيضا الصغير من كل شيء.
 - 4- النور: الزهر. والأقاحي: جمع أقحوانة، نبت تشبه به الأسنان.
 - 5- الرانية من رنا: إذا دام النظر في سكون.
 - 6- نهر معقل: نهر معروف بالبصرة، منسوب إلى معقل بن يسار بن عبد الله المزني. والقندل: موضع بالبصرة ذكر في أخبار مكة.

يا معشر العاشقين أنتم *** بالمنزل الأردل الخسيس

يزيد أضحي لكم رئيسا *** فاتبعوا منهج الرئيس

من رام بلاّ لرأس أير *** ذلّ نفسا بحلّ كيس (1)

هجاؤه للجماز و أبي قلابه

/أخبرني محمّد بن خلف بن المرزبان، قال: حدّثني يزيد بن محمّد المهلبى، قال:

بلغ عبد الصمد بن المعدل أنّ أبا قلابه الجرميّ تدسّس إلى الجماز لمّا بلغه تعرّضه له، و هجاؤه إياه، فحمله على الزيادة في ذلك، و يضمن له أن ينصره و يعاضده، و قد كان عبد الصمد هجا أبا قلابه حتّى أفحمه، فقال عبد الصمد فيهما:

يا من تركت بصخرة *** صمّاء هامته أميمه (2)

إنّ الذي عاضدته *** أشبهته خلقا و شيمه (3)

و كفعل جدّتك الحدي *** ثة فعل جدّته القديمه

فتناصر، فابن اللئي *** مة ناصر لابن اللئيمة

عتابه لصديق ارتفعت حاله

حدّثني جعفر بن قدامة، قال: حدّثني أبو العيناء، قال: كان لعبد الصمد بن المعدل صديق يعاشره و يأنس به، فتزوّج إليه أمير البصرة، و كان من ولد سليمان بن عليّ، فنبل الرجل و علا قدره، و ولّاه المتزوّج إليه عملا، فكتب إليه عبد الصمد:

أحلت (4) عمّا عهدت من أدبك *** أم نلت ملكا فتهدت في كتبك

أم هل ترى أنّ في مناصفة الإخ *** وان نقصا عليك في حسبك

أم كان ما كان منك عن غضب *** فأيّ شيء أدناك من غضبك (5)

إنّ جفاء كتاب ذي ثقة *** يكون في صدره «و أمتع بك»

كيف بإنصافنا لديك و قد *** شاركت آل النبيّ في نسبك

قل للوفاء الذي تقدّره *** نفسك عندي مللت من طلبك

أتعبت كفيّك في مواصليتي *** حسبك ما ذا كفيت من تعبك

كيف يحول الإخاء يا أملي *** وكل خير أنال من نسبك (6)

ص: 162

-
- 1- في الأصول: «ذلك نفسا لحل».
 - 2- الأميم: المشجوج الرأس، الذي بلغت الطعنة أم دماغه.
 - 3- الشيمة: الطبع والسجية. س، ش: «وسيمه». و الشيمة: العلامة.
 - 4- حلت: تغيرت.
 - 5- في الأصول: «عن غضبك».
 - 6- في الأصول: «كيف أحول».

إن يك جهل أذاك من قبلي *** فامنن بفضل عليّ من أدبك

أنكرت شيئاً فلست فاعله *** ولا تراه يخطّ في كتبك

هجاؤه لصديق كذوب

حدّثني الأَخفش، قال: حدّثنا المبرد، قال:

كان لعبد الصمد بن المعدّل صديق كثير الكذب، كان معروفاً بذلك، فوعده وعداً فأخلفه، و مطله به مطلاً طويلاً، فقال عبد الصمد:

لي صاحب في حديثه البركة *** يزيد عند السكون والحركة

لوقال «لا» في قليل أحرفها *** لردّها بالحروف مشتبهه (1)

شعره في هجاء بن المنجاب

أخبرني جعفر بن قدامة قال: حدّثني سوّار بن أبي شراعة، قال:

كان يحيى بن عبد السميع الهاشمي يعاشر عبد الصمد بن المعدّل، و يجتمعان في دار رجل من بني المنجاب له جارية مغنّية، و كان ينزل رحبة المنجاب بالبصرة، ثم استبدّ بها الهاشمي دون عبد الصمد، فقال فيهم عبد الصمد:

قل ليحيى (2) مللت من أحبّابي *** فلينكهم ما شاء من أصحابي

لقد تركنا تعشّق المرد لَمّا *** أن بلونا تنعم العزّاب

و شنتنا المؤاجرين فملنا *** بعد خبر إلى وصال القحاب (3)

حبّذا قينة لأهل بني المن *** جاب حلّت في رحبة المنجاب

صدّقت إذ يقول لي خلق الأح *** راح ليس الفقاح للأزباب (4)

حبّذا تلك إذ تغنّيك يا يح *** يى و تسقيك من ثنايا عذاب

«ذكر القلب ذكرة أم زيد *** و المطايا بالسّهب سهب الركاب» (5)

حبّذا إذ ركبته فتجافت *** تشكى إليك عند الصّراب

و تغنّت و أنت تدفع فيها *** غير ذي خيفة لهم و ارتقاب

«إن جنبي عن الفراش لناب *** كتجافي الأسرّ فوق الطّراب» (6)

1- مشتبكة، في كل الأصول «مستكة» و هو تحريف.

2- في الأصول: «ملك» تحريف.

3- شئنا: أبغضنا. ح: «شئنا» صواب هذه بالفاء. المؤاخر: الذي ينال الأجر لقاء الاستمتاع به. والخير: الاختبار. وفي الأصول: «بعد خير» تحريف.

4- الأحرار: الفروج. والفقحة: حلقة الدبر.

5- البيت لعمر بن أبي ربيعة في ديوانه ص 99. والسهب: موضع.

6- الأسر: البعير به ورم في جوفه. والظراب: جمع ظرب ككتف، وهو ما نتأ من الحجارة و كان طرفه حادا. وهذا البيت لمعد يكره، كما في «اللسان» (سرر).

من فتاة كأنها خوط بان *** مَجّ فيها النعيم ماء الشباب(1)

/إذ تغتبيك خلف سجف رقيق *** نعمات تحبّها بصواب(2)

شَفّ عنها محقّق جنديّ *** فهي كالشمس من خلال سحاب(3)

ربّ شعر قد قلته بتباه *** ويغزّي به ذوو والألباب(4)

قد تركت الملحّنين إذا ما *** ذكروه قاموا على الأذنان(5)

قال: و شاعت الأبيات بالبصرة، فامتنع مولى الجارية من معاشرة الهاشمي، و قطعه بعد ذلك.

ما وقع بينه و بين ابني هشام الكرنباني و شعره في ذلك

أخبرني محمّد بن عمران الصيرفيّ و أحمد بن يحيى بن علي بن يحيى، قال: حدّثنا الحسن بن عليل العنزّي، قال: حدّثني أحمد بن صالح الهاشمي، قال:

كان الحسين بن عبد الله بن العباس بن جعفر بن سلمان مائلا إلى عبد الصمد بن المعذلّ، و كان عبد الصمد يهجو هشاما الكرنباني، فجرى عن ابني هشام الكرنباني - و هما أبو وائلة و إبراهيم - و بين الحرّ بن عبد الله، لحاء في أمر عبد الصمد، لأنّهما ذكراه و سبّاه، فامتعض له الحسين و سبّهما عنه، فرميا الحسين بابن المعذلّ، و نسباه إلى أنّ عبد الصمد يرتكب القبيح، و بلغ الحسين ذلك، فلقبهما في سكة المربرد، فشدّ عليهما بسوطه و هو راكب، فضربهما ضربا مبرّحا، و أفلت أبو وائلة، و وقع سيب(6) السوط في عين إبراهيم، فأثر فيها أثرا قبيحا، فاستعان بمشيخة من آل سليمان بن علي، و هرب أبو وائلة إلى الأمير عليّ بن عيسى و هو والي البصرة، فوجّه معه/بكاتبه ابن فراس إلى باب الحسين بن عبد الله، فطلبه و هرب حسين إلى المحدث(7)، فلما كان من الغد جاء حسين إلى صالح بن إسحاق بن سليمان، و إلى ابن يحيى بن جعفر بن سليمان، و مشيخة من آل سليمان، فصاروا معه إلى عليّ بن عيسى، و أقبل عبد الصمد بن المعذلّ لما رأهم، فدخل معهم لنصرة حسين، فكلموا عليّ بن عيسى في أمره و قام عبد الصمد، فقال: أصلح الله الأمير، هؤلاء أهللك، و أجلّة أهل مصر(8)، تصدّوا إليك في ابنهم و ابن أخيهم، و [هو و] إن كان حدثا لا ينسبط للحجّة بحدائثه(9)، فإن هاهنا من يعبرّ عنه، و قد قلت أبياتا، فإن رأى الأمير أن يأذن(10) في إنشادها فعل. قال: قل. فأنشده عبد الصمد قوله:

يا ابن الخلائف و ابن كلّ مبارك *** رأس الدعائم سابق الأغصان

إنّ العلوج على ابن عمك أصفقوا *** فأتوك عنه بأعظم البهتان(11)

قرفوه عندك بالتعدّي ظالما *** و هم ابتدوه بأعظم العدوان

ص: 164

1- الخوط، بالضم: الغصن الناعم.

2- السجف: الستر. و في الأصول: «سحق».

- 3- المحقق: المحكم النسخ من الثياب، أو الذي له وشم على صورة الحق. و الجند: بلد من بلاد اليمن.
- 4- في الأصول: «يتساه». يغري: من التغرية، وهي بمعنى الإغراء. يقال أغراه بالشيء وغراه به تغرية.
- 5- في الأصول: «الملتحين».
- 6- السيب: ذرابة السوط. ح: «شيب» وفي سائر النسخ «سبب» صوابه ما أثبتنا.
- 7- المحدثه بضم الميم: ماء ونخل في بلاد العرب، ولها جبل يسمى عمود المحدثه.
- 8- أجلة، كذا وردت في النسخ، وصوابها وقياسها «جلة».
- 9- في س، ش: «لا ينسبك للخسة»، صوابه في ح.
- 10- يأذن، وردت في ح: «يأذن لي».
- 11- العلوج: جمع علج وهو كبير العجم. أصفقوا: اجتمعوا.

شتموا له عرضاً أغرّ مهذباً *** أعراضهم أولى بكلّ هوان

و سموا بأجسام إليه مهينة *** وصلت بالأُم أذرع و بنان

خلقت لمدّ القلس لا لتناول *** عرض الشّريف و لا لمدّ عنان(1)

لم يحفظوا قرباه منك فينتهوا *** إذ لم يهابوا حرمة السّلطان

أ يذللّ مظلوما و جدك جده *** كيما يعزّ بذلّه عليجان

و ينال أفلح، كربلاء بلاده، *** ذلّ ابن عمّ خليفة الرحمن(2)

إني أعيذك أن تنال بك التي *** تطغى العلوج بها على عدنان

فدعا عليّ بن عيسى حسينا، فضمه إليه، فقال: انصرف مع مشايخك. و دعا بهشام الكرنباني و ابنه، فعذلهم(3) في أمره، ثمّ أصلح بينهم بعد ذلك.

عتبه لعبد الله بن المسيب

أخبرني عليّ بن سليمان، قال: حدّثنا محمّد بن يزيد، قال: كان عبد الصمد بن المعدّل يعاشر عبد الله بن المسيّب و يألفه، فبلغه أنّه اغتابه يوماً و هو سكران، و عاب شيئاً أنشده من شعره، فقال فيه و كتب بها إليه:

عتبي عليك مقارن العذر *** قد زال عند حفيظتي صبري(4)

لك شافع منّي إليّ فما *** يقضي عليك بهفوة فكري

لما أتاني ما نطقت به *** في السكر قلت جنابة السكر

حاشا لعبد الله يذكرني *** مستعذبا بنقيصتي ذكري

إن عاب شعري أو تحيّه *** فليهنه ما عاب من شعري

يا ابن المسيب قد سبقت بما *** أصبحت مرتها به شكري

فمتى خمرت فأنت في سعة *** و متى هفوت فأنت في عذر

ترك العتاب إذا استحقّ أخ *** منك العتاب ذريعة الهجر

هجاؤه لشروين المغني

أخبرني الأَخفش، قال: حدّثنا المبرّد، قال:

دعا عبد الصمد بن المعدّل شروين المغنّي، وكان محسنا متقدّما في صناعته، فتعالل عليه و مضى إلى غيره، فقال عبد الصّدّمد: والله لأسمّنه ميسما لا يدعوه بعده أحد بالبصرة إلّا بعد أن يبذل عرضه و حرّيمه. فقال فيه:

من حلّ شروين له منزلا *** فلتتهه الأولى عن الثانية

فليس يدعوه إلى بيته *** إلا فتى في بيته زانيه

فتحاماه أهل البصرة حتى اضطرّ إلى أن خرج إلى بغداد و سرّ من رأى.

ص: 165

-
- 1- القلس: الحبل الضخم من ليف أو خوص أو غيرهما. عنى أنهم ملاحون ضعاف الشان.
 - 2- الأقلق: الذي لم يختن.
 - 3- عدلهم: لامهم.
 - 4- في ح: «قد زاد عنك حفيظتي نصري».

هجاء أبي قلابة لأبي رهم

أخبرني محمّد بن عمران الصيرفيّ وأحمد بن العباس العسكريّ، قالا: حدّثنا الحسن بن عليل العنزي، قال:

حدّثنا الفضل بن أبي جرزة، قال:

كان أبو قلابة الجرميّ و عبد الصمد بن المعدّل و عبد الله بن محمّد بن أبي عيينة المهلبّي أرادوا المسير (1) إلى بيت بحر البكراويّ، و كانت له جارية مغنية، يقال لها: جبلة (2)، و كان أبو رهم إليها مائلا يتعشّق قها، ثم اشترها بعد ذلك، فلما أرادوا الدّخول إليها وافاهم أبو رهم، فأدخلوه وحده و حجبوهم، فانصرفوا إلى بستان ابن أبي عيينة، فقال أبو قلابة: لا بدّ أن نهجو أبا رهم. فقالوا: قل. فقال:

ألا قل لأبي رهم *** سيهوى نعتك الوصف

كما حالفك الغي *** كذا جانبك الطّرف

أتانا أنه أهدى *** إلى بحر من الشّعف (3)

احزيمات من الصّير *** فهلاّ معه رغف (4)

فنادوا اقسمي فينا *** فقد جاءكم اللّطف (5)

سبب هجاء عبد الصمد أبا رهم

فقال له عبد الصمد: سخنت عينك أيش هذا الشعر، بمثل هذا يهجي من يراد به الفضيحة. فقال أبو قلابة:

هذا الذي حضرني، فقل أنت ما يحضرك. فقال: أفعله و أجوّد. فكان هذا سبب هجاء عبد الصمد أبا رهم، و أوّل قصيدة هجاه بها (6) قوله:

دعوا الإسلام و انتحلوا المجوسا *** و ألقوا الرّيظ و اشتملوا القلوسا (7)

بني العبد المقيم بنهر تيرى *** لقد أنهضت طيركم نحوسا (8)

حرام أن يبيت لكم نزيل *** فلا يمسي بأمّكم عروسا

إذا ركد الظلام رأّت عسيلا *** يحثّ على نداماه الكنوسا (9)

و يذكرهم أبو رهم بهجو *** فيستدعي إلى الحرم التّفوسا

و يخليهم هشام بالغواني *** و يحمي الفضل بينهم الوطيسا (10)

- 1- في ح: «المصير».
- 2- جبلة هي في ح: «جبل».
- 3- الشغف، بالفتح و التحريك: أن يبلغ الحب شغاف القلب. وفي البيت إقواء.
- 4- الحزيمات: جمع حزيمة. وفي كل الأصول بالخاء المعجمة. و الصير: سمكات مملوحات.
- 5- اللطف، بالضم و التحريك: البر و التكرمة و التجفي.
- 6- في الأصول: «هجاها».
- 7- الریط جمع ریطة: كل ملاءة غير ذات لفقين كلها نسج واحد و قطعة واحدة. و القلس: الحبل الضخم من حبال السفينة.
- 8- نهر تيري: بلد في الأهواز حفره أردشير الأصغر.
- 9- عسيل: اسم علم.
- 10- الوطيس: التنور. و يقال حمى الوطيس: اشتدّ الحرب.

فتسمع في البيوت لهم هيبيا *** كما أهملت في الزّرب التيوسا(1)

لقد كان الزناة بلا رئيس *** فقد وجد الزناة بهم رئيسا

هم قبلوا الزّناء وأنشئوه *** وهم وسموا بجبهته حيبسا(2)

لئن لم تنف دعوتهم سدوس *** لقد أخزى الإله بهم سدوسا

/وقال فيه:

لوجاد بالمال أبورهم *** كجوده بالأخت والأمّ

أضحى وما يعرف مثل له *** وقيل أسخى العرب والعجم

من برّ بالحرمة إخوانه *** أحقّ أن يشكر بالشم(3)

وله فيه من قصيدة طويلة:

هو والله منصف *** زوجه زوج زوجته

يقسم الأير عادلا *** بين حرها وفقحته

وصف عبد الصمد لنزهة

حدّثني أحمد بن عبيد الله بن عمار، قال: حدّثنا العنزّي، قال: حدّثني أبو الفضل بن عبدان، قال:

خرج عبد الصمد بن المعدّل مع أهله إلى نزهة وقال:

/

قد نزلنا بروضة وغدير *** وهجرنا القصر المنيف المشيدا(4)

بعريش ترى من الزاد فيه *** زكرتي خمرة وصقرا صيودا(5)

وغريرين يطربان الندامي *** كلما قلت أديا وأعيدا(6)

غتياني، فغتياني بلحن *** سلس الرّجع يصدع الجلمودا

«لا ذعرت السّوام في فلق ال *** صبح مغيرا ولا دعيت يزيدا»(7)

حيّ ذا الزور و انهه أن يعودا *** إن بالباب حارسين قعودا(8)

/من يزرنا يجد شواء حبارى *** و قديرا رخصا و خمرا عتيدا(9)

ص: 167

- 1- الهيب: صوت التيس عند السفاد. و الزرب بالزاي: موضع الغنم. و في كل الأصول بالبدال، تحريف. و التيس: الذكر من الظباء و المعز و الوعول أو إذا أتى عليه سنة.
- 2- قبلوا الزناء: كانوا له كالمقابلة، و هي التي تتلقى المولود. و في كل الأصول: «اقتتلوا الزناة»، و الإنشاء و التنشئة: التربية. و الحبيس: الموقوف، أي وضعوا علامة على وجهه ليعلم أنه حبيس.
- 3- العبارة تهكم. و في الأصول: «استحق أن يسكر».
- 4- المنيف: المرتفع. و المشيد: ما طلي بالجص و نحوه.
- 5- الزكرة، بالضم: زقيق للشراب. و في الأصول: «ذكرتي» بالذال المعجمة، تحريف.
- 6- الغرير: من لا تجربة له.
- 7- السوام: الإبل الراعية.
- 8- الزور: الزائر، و يطلق كذلك على الزوّار و الزائرين.
- 9- الحباري: طائر للذكر و الأنثى و الواحد و الجمع و ألفه للتأنيث. و القدير بفتح القاف و كسر الدال: ما يطبخ في القدر. و الرخص: اللين.

وكراما معدّلين وبيضا *** خلعوا العذر يسحبون البرودا(1)

لست عن ذا بمقصر ما جزائي *** قرّبت لي كريمة عنقودا(2)

شعره في الأفشين و هو غلام أمرد

أخبرني جعفر بن قدامة، قال: حدّثنا محمّد بن يزيد المبرد، قال: نظر عبد الصمد بن المعدّل إلى الأفشين بسرّ من رأى و هو غلام أمرد، و كان من أحسن الناس، و هو واقف على باب الخليفة مع أولاد القوادم، فأشدنا لنفسه فيه، قال:

أيها اللاخطي بطرف كليل *** هل إلى الوصل بيننا من سبيل

علم الله أنني أتمنى *** زورة منك عند وقت المقييل

بعد ما قد غدوت في القرطوق الجو *** ن تهادى و في الحسام الصقييل(3)

و تكفّيت في المواكب تختا *** ل عليها تميل كلّ مميل(4)

وأطلت الوقوف منك بيا *** ب القصر تلهو بكلّ قال و قيل

و تحدّثت في مطاردة الصبي *** د بخبر به و رأى أصيل(5)

ثمّ نازعت في السنان و في الرم *** ح و علم بمرهفات النصول(6)

و تكلمت في الطراد و في الطع *** ن و وثب على صعاب الخيول(7)

فإذا ما تفرّق القوم أقبل *** ت كريحانة دنت لذبول

قد كسك الغبار منه رداء *** فوق صدغ و جفن طرف كحيل

و بدت وردة القسامة من خ *** ذك في مشرق نقي أسيل(8)

ترشح المسك منه سالفة الظب *** ي و جيد الأدمانة العطبول(9)

فأسوف الغبار ساعة ألقا *** ك برشف الخدين و التقبيل(10)

و أحلّ القباء و السيف من خص *** رك رفقا باللطف و التعليل(11)

ثم توتى بما هويت من الشّس *** ريف عندي و البر و التبجيل

- 1- المعدل: من يعدل كثيرا لإفراط جوده. وفي الأصول: «معدلين». والعذر مع تسكين الذال للشعر: جمع العذار، وهو من اللجام ما سال على خدّ الفرس. كناية عن عدم الحياء.
- 2- في الأصل: «لما قربت».
- 3- القرطى: القباء، معرب كرتة. والجون بفتح الجيم: الأبيض والأسود، من الأضداد.
- 4- تكفيت: أي تكفأت و تمايلت.
- 5- الخبر، بالضم والكسر: العلم بالشيء. في الأصول: «بخبرية».
- 6- في ح: «في السنان وفي الدرع».
- 7- الطراد: مزاولة الصيد.
- 8- الوردة، بالضم: الحمرة. والقسامة: الحسن. وفي الأصول: «البشامة».
- 9- السالفة: ما تقدّم من العنق. والأمانة، بالضم: الشديدة السمرة. والعطبول: المرأة الفتية الجميلة الممتلئة الطويلة العنق.
- 10- السوف: الشم.
- 11- القباء: ثوب يلبس فوق الثياب، وقيل يلبس فوق القميص ويتمنطق عليه. والتعليل: يقال علله بطعام وغيره، إذا شغله.

ثم أجلوك كالعروس على الشر *** ب تهادى في مجسد مصقول(1)

ثم أسقيك بعد شربي من ري *** قك كأسا من الرحيق الشمول(2)

وأغنيك إن هويت غناء *** غير مستكره ولا مملول

لا يزال الخلخال فوق الحشايا *** مثل أثناء حية مقتول

فإذا ارتاحت النفوس اشتياقا *** وتمنى الخليل قرب الخليل

كان ما كان بيننا، لا أسمي *** ه ولكنّه شفاء الغليل

شعره في متيم وما جرى بينه وبين ابن أكنم بسبب ذلك

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار، قال: حدّثني الحسن بن عليل العنزّي والمبرّد وغيرهما، قالوا:

كانت متيم جارية لبعض وجوه أهل البصرة، فعلقها عبد الصمد بن المعدّل، وكانت لا تخرج إلا منتقبة، فخرج عبد الصمد يوما إلى نزهة، وقدمت متيم إلى عبيد الله بن الحسن بن أبي الحرّ القاضي، فاحتاج إلى أن يشهد عليها، فأمرها بأن تسفر، فلما قدم عبد الصمد قيل له: لو رأيت متيم وقد أسفرها القاضي لرأيت شيئا حسنا لم ير مثله. فقال عبد الصمد قوله:

ولما سرت عنها القناع متيم *** تروح منها العنبري متيما

رأى ابن عبيد الله محكّم *** عليها لها طرفا عليه محكّما

وكان قديما كالح الوجه عابسا *** فلما رأى منها السفور تبسّما

فإن يصب قلب العنبري فقبله *** صبا باليتامى قلب يحيى بن أكنما

فبلغ قوله يحيى بن أكنم، فكتب إليه: عليك لعنة الله، أي شيء أردت منّي حتى أتاني شعرك من البصرة؟ فقال لرسوله: قل له: متيم أقعدتك على طريق القافية!

هجاؤه لأخيه أحمد بن المعدّل

أخبرني عمي، قال: حدّثني أحمد بن أبي طاهر، قال: حدّثني عبد الله بن أحمد العبدي، قال: حدّثني الأنيسي، قال:

كنت عند إسحاق بن إبراهيم وزاره أحمد بن المعدّل، وكان خرج من البصرة على أن يغزو، فلما دخل على إسحاق بن إبراهيم أنشده:

أفضلت نعمي على قوم رعيت لهم *** حقا قديما من الودّ الذي درسا(3)

او حرمة القصد بالأمال إنهم *** أتوا سواك فما لاقوا به أنسا

لأنت أكرم منه عند رفعته *** قولاً وفعلاً و أخلاقاً و مغترساً (4)

ص: 169

1- المجسد: الثوب المعصفر بالزعفران.

2- الشمول: الباردة.

3- درس: عفت آثاره وزالت معالمه لقدمه.

4- المفترس: عنى به الأصل.

فأمر له بخمسمائة دينار، فقبضها ورجع إلى البصرة، وكان خرج عنها ليجاور في الثَّغر، وبلغ عبد الصمد خبره، فقال فيه:

يرى الغزاة بأنَّ الله همته *** وإنما كان يغزو كيس إسحاق

فباع زهدا ثوابا لا نفاذ له *** وابتاع عاجل رفق القوم بالباقي (1)

صلة إسحاق بن إبراهيم لعبد الصمد

فبلغ إسحاق بن إبراهيم قوله، فقال: قد مسنا أبو السَّم عبد الصمد بشيء من هجائه. وبعث إليه بمائة دينار، فقال له موسى بن صالح: أباي الأمير إلا كرما وظرفا.

هجاؤه لأبي نبة

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي، قال: حدَّثنا الحسن بن عليل، قال: حدَّثني الحسن الأسدي، قال:

قدم أبو نبة من البحرين وقد أهدى إلى قوم من أهل البصرة هداياه، ولم يهد إلى عبد الصمد شيئا فكتب إليه:

أما كان في قسب اليمامة والتمر *** وفي آدم البحرين والتبُّ الصفر (2)

ولا في مناديل قسمت طرفها *** وأهديتها حظَّ لنا يا أبا بكر

سرت نحو أقوام فلا هنأتهم *** ولم ينتصف منها المقلِّ ولا المثري

أنت إلى طالوت ذي الوفور والغنى *** وآل أبي حرب ذوي النَّشب الدثر (3)

أو لم تأتي ولا الرباشيِّ تمرة *** غصصت بباقي ما ادَّخرت من التمر (4)

ولم يعط منها النهشليِّ إداوة *** تكون له في القبيظ ذخرا مدى الدهر (5)

أقول لفتيان طويت لطيمهم *** عرى البید، منشور المخافة والذعر (6)

لئن حكَّ السدريِّ بالعدل فيكم *** لما أنصف السدريِّ في ثمر السدر

لئن لم تكن عينك عذرك لم تكن *** لدينا بمحمود ولا ظاهر العذر

هجاؤه يزيد المهلبی و نسبه إلى الشؤم

أخبرنا الحسن بن عليل، قال: حدَّثنا أحمد بن يزيد المهلبی، قال:

وقع بين أبي وبين عبد الصمد بن المعذل تباعد، فهجاه ونسبه إلى الشؤم، وكان يقال ذلك في عبد الصمد، فقال فيه:

-
- 1- الرِّفْد: العطاء.
 - 2- القسب: التمر اليابس. و الأدم جمع أديم، و هو الجلد. و النبق: حمل شجر الدر، الواحدة نبقة.
 - 3- أ أنت بهمزة الاستفهام أي أ تنتسب إلى طالوت ذي الوفر. و النشب: المال الأصيل من الناطق و الصامت. و الدثر بالفتح: المال الكثير، لا يشئ ولا يجمع، و قيل هو الكثير من كل شيء.
 - 4- غص بالماء و الطعام: اعترض في حلقه شيء و منعه من التنفس.
 - 5- الإداوة: إناء يتطهر به. و في الأصول: «من الدهر».
 - 6- طيهم: نيتهم التي انتووها.

أنته منية المأمون لما *** أتاها يزيد من بلد بعيد

فصير منه عسكره خلاء *** وفرق عنه أفواج الجنود

فقلت لهم وكم مشؤوم قوم *** أباد لهم عديدا من عديد

رأيت ابن المعذل يا لعمر و *** بشؤم كان أسرع في سعيد

فمنه موت جلة آل سلم *** ومنه قض آجام البريد (1)

ولم ينزل بدار ثم يمسي *** ولما يستمع لطم الخدود

وكل مديح قوم قال فيهم *** فإن بعقبه (يا عين جودي)

إذا رجل سمع منه مدحا *** تنسم منه رائحة الصعيد (2)

فلو حصف الذين يبيع فيهم *** أثاروا منه رائحة الطريد (3)

فليس العز يمنع منه شوما *** ولا عتبا بأبواب الحديد (4)

هجاؤه لأخيه أحمد

حدّثني الأخفش، قال: حدّثنا المبرد، قال:

مرّ أحمد بن المعذل بأخيه عبد الصمد وهو يخطر، فأنشأ يقول:

إن هذا يرى أرى *** أنه ابن المهلب

أنت والله معجب *** ولنا غير معجب

شعره في غلام له يدعى المغيرة

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا محمّد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدّثنا أبي وغيره، و حدّثني به بعض آل المعذل، قال:

مرّ عبد الصمد بن المعذل بغلام يقال له: المغيرة، حسن الصوت حسن الوجه، وهو يقرأ ويقول القصائد، فأعجب به، وقال فيه:

أيها الرافع في المس *** جد بالصوت العقيره

قتلتني عينك النج *** لاء، والقتل كبيره

أيها الحكام أنتم *** فاصلو حكم العشيره

أحلالا ما بقلبي *** صنعت عينا مغيرة

قصيدة له في صفة الحمى

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا ابن مهرويه، قال: حدّثنا زكريا بن مهران بن يحيى، قال:

ص: 171

-
- 1- القرض: الهدم. وفي جميع الأصول: «قبض» ولعل الصواب ما أثبتنا. والآجام: الحصون.
 - 2- الصعيد: القبر.
 - 3- الحصف: الإقصاء والطرْد. أثاروا: هيجوا. والطريد: ما يطرد.
 - 4- العتب: جمع عتبة، وهي أسكفة الباب و ما يدور عليه، وقد عنى عتب أبواب السجون.

/جاءنا عبد الصمد بن المعدل إلى منزل محمد بن عمر الجرجاني، فأنشدنا قصيدة له في صفة الحمى، فقال لي محمد بن عمر: امض إلى منزل عبد الصمد حتى تكتبها. فمضيت إليه حتى كتبتها، /وهي:

هجرت الصبا أيما هجره *** وعفت الغواني والخمره

طوتني عن وصلها سكره *** بكأس الضنا أيما سكره

هجاؤه لأبي تمام

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدّثنا ابن مهرويه، قال: حدّثني عبد الله بن يزيد الكاتب، قال:

جمع بين أبي تمام الطائيّ وبين عبد الصمد بن المعدل مجلس، وكان عبد الصمد سريعا في قول الشعر، وكان في أبي تمام إبطاء، فأخذ عبد الصمد القرطاس وكتب فيه:

أنت بين اثنتين تبرز لنا *** س، و كلتا هما بوجه مذال(1)

لست تنفك طالبا لوصل *** من حبيب أو طالبا لنوال

أي ماء لحرّ وجهك يبقى *** بين ذلّ الهوى و ذلّ السؤال

هجاء أبي تمام له

قال: فأخذ أبو تمام القرطاس و خلا طويلا، و جاء به و قد كتب فيه:

أفنيّ تنظم قول الزور و الفند *** و أنت أبرز من لا شيء في العدد(2)

أشرجت قلبك من بغضي على حرق *** كأنها حركات الرّوح في الجسد(3)

نقد عبد الصمد لأبي تمام

فقال له عبد الصمد: يا ماصّ بظر أمه، يا غثّ، أخبرني عن قولك «أنزر من لا شيء»، و أخبرني عن قولك «أشرجت قلبك»، قلبي مفرش أو عيبة(4) أو حرج/فأشرجه، عليك لعنة الله فما رأيت أغثّ منك. فانقطع أبو تمام انقطاعا ما يرى أقبح منه، و قام فانصرف، و ما راجعه بحرف.

قال أبو الفرج الأصبهاني: كان في ابن مهرويه تحامل على أبي تمام لا يضرب أبّا تمام هذا منه، و ما أقلّ ما يقدح مثل هذا في مثل أبي تمام.

هجاء عبد الصمد لرجل من ولد جعفر

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي، قال: حدّثني العنزّي، قال:

كان عبد الصمد بن المعدل يستثقل رجلا من ولد جعفر بن سليمان بن عليّ يعرف بالفراش، وكان له ابن أثقل منه، وكاننا يفطران عند المنذر بن عمرو - وكان يخلف بعض أمراء البصرة - وكان الفراش هذا يصلّي به، ثم يجلس فيفطر هو وابنه عنده، فلما مضى شهر رمضان انقطع ذلك عنهما، فقال عبد الصمد بن المعدل:

غدر الزمان وليته لم يغدر *** و حدا بشهر الصوم فطر المفطر

ص: 172

1- المذل: المهان، أذاله: أهانه.

2- الفند: الكذب.

3- أشرجت العيبة: شددتها بخيط أو نخره. وفي ح بالحاء المهملة، وهو تصحيف.

4- العيبة: الحقيبة من جلد: و ما يوضع فيه الثياب.

- و ثوت بقلبك يا محمّد لوعة *** تمرى بوادر دمك المتحدر(1)
- و تقسمتك صبابتان ليينه *** أسف المشوق و خلة المتفكر(2)
- فاستبق عينك و احش قلبك ياسه *** و أقر السلام على خوان المنذر
- سقىا لدهرك إذ تروّح يومه *** و الشمس في علياء لم تنهوّر(3)
- حتّى تنيخ بكلكل متزاور *** و تمد بلعوما قموص الحنجر(4)
- او تروود منك على الخوان أنامل *** تدع الخوان سراب قاع مقفر(5)
- ويح الصّحاف من ابن فراش إذا *** أنحى عليها كالهزبر الهيصر(6)
- ذو دربة طبّ إذا لمعت له *** بثر الخوان بدا بحلّ المنزر(7)
- وّد ابن فراش و فراش معا *** لو أنّ شهر الصوم مدّة أشهر
- يزرى على الإسلام قلّة صبره *** و تراه يحمد عدّة المنتصر
- الا تهلكنّ على الصّيام صباية *** سيعود شهرك قابلا فاستبشر
- لا درّ دركّ يا محمّد من فتى *** شين المغيب و غير زين المحضر

هجاء ه ليزيد المهلبى

أخبرني محمّد بن خلف بن المرزبان، قال: حدّثني محمّد البصريّ و كان جارا لعبد الصمد بن المعدّل، قال:

كان يزيد بن محمّد المهلبى يعادي عبد الصمد و يهاجيه و يسأبه، و يرمى كلّ واحد منهما صاحبه بالشّوم، و كان يزيد بالبصرة و أبوه يتولّى نهر تيرى و نواحيها، فقال عبد الصمد يهجوّه:

أبوك أمير قرية نهر تيرى *** و لست على نسانك بالأمر

و أرزاق العباد على آله *** لهم و عليك أرزاق الأيور

فكم في رزق ربك من فقير *** و ما في أهل رزقك من فقير(8)

شعره في علي بن عيسى و قد شرب الدهن

أخبرني محمّد بن خلف بن المرزبان، قال: حدّثني محمّد بن عبد الرحمن، قال: حدّثني أحمد بن منصور، قال:

- 1- تمرى: تستدر.
- 2- الخلة: الخصلة. وفي كل الأصول بالحاء المهملة.
- 3- تروح: راح و انقضى. لم تنهور: لم تسقط.
- 4- المتزاور: المنحرف. القموص: السريع. وفي «اللسان»: «يقال للكذاب: إنه لقموص الحنجرة».
- 5- السراب: ما تراه نصف النهار كأنه ماء.
- 6- الهيصر: الأسد يفترس ويكسر ويميل.
- 7- الطب: الخبير. بشر الخوان بضميتين، جمع بشير، أخذه من قول أعشى باهلة: كأنه بعد صدق القوم أنفسهم باليأس تلمع من قدامه البشر انظر «الخرانة» (1:96). وفي الأصول: «نشر الخوان» تحريف. وفي الأصول أيضا: «بدار بخل المئزر»، والوجه ما أثبتناه.
- 8- في الأصول: «فكم من رزق».

شرب علي بن عيسى بن جعفر و هو أمير البصرة الدهن، فدخل إليه عبد الصمّد بن المعدّل بعد خروجه عنه، فأنشده قوله:

بأيمن طائر و أسر فال *** و أعلى رتبة و أجلّ حال(1)

شربت الدهن ثم خرجت عنه *** خروج المشرفيّ من الصقال

تكشف عنك ما عانيت عنه *** كما انكشف الغمام عن الهلال(2)

و قد أهديت ريحانا طريفا *** به حاجيت مستمعا سؤالي(3)

و ما هو غير ياء بعد حاء *** و قد سبقا بميم قبل دال(4)

و ريحان الشباب يعيش يوما *** و ليس يموت ريحان المقال

و لم يك مؤثرا تفّاح شمّ *** على تفّاح أسماع الرجال

جوابه بالشعر عن رقعة رفعت إلى الإسكافي

أخبرني(5) جحظة، قال: حدّثني ميمون بن مهران(6)، قال: حدّثني أحمد بن المغيرة العجليّ، قال:

كنت عند أبي سهل الإسكافيّ و عنده عبد الصمّد بن المعدّل، فرفع إليه رجل رقعة، فقرأها فإذا فيها:

هذا الرحيل فهل في حاجتي نظر *** أو لا فاعلم ما آتي و ما أذر

/فدفعها إلى عبد الصمّد، و قال: الجواب عليك. فكتب فيها:

النفس تسخو و لكن يمنع العسر *** و الحرّ يعذر من بالعسر يعتذر(7)

ثم قال عبد الصمّد لعليّ بن سهل: هذا الجواب قولاً، و عليك أعزك الله الجواب فعلاً، و نجح سعي الآمل حقّ و اجب على مثلك. فاستحيا و أمر للرجل بمائة دينار.

هجاؤه لابن أخيه

إشارة

أخبرني حبيب بن نصر المهلبّي و علي بن سليمان الأخفش، قال: حدّثنا محمّد بن يزيد الأزديّ، قال:

كان لابن المعدّل ابن(8) ثقيل تيّاه الدّهاب بنفسه، و كان مبغضاً عند أهل البصرة، فمرّ يوماً بعمّه عبد الصمّد، فلما رآه قال لمن معه:

إن هذا يرى أرى *** أنه ابن المهلب

أنت والله معجب *** ولنا غير معجب

ص: 174

-
- 1- أجل: أعظم. وفي الأصول: «أحل» بالمهملة.
 - 2- في الأصول: «ما عاينت».
 - 3- حاجيت، هي في الأصول: «جائيت».
 - 4- أراد «مدحي». وفي الأصول: «بعد دال».
 - 5- أخبرني ساقطة من ح.
 - 6- في ح: «هارون».
 - 7- بالعسر هي في ح: «بالصدق».
 - 8- يعني ابن أخيه أحمد بن المعذل. وقد مضى أن الهجاء في أحمد بن المعذل لا ابنه.

لو كان يعطى المنى الأعمام في ابن أخ *** أصبحت في جوف قرقور إلى الصين(1)

قد كان هماً طويلاً لا يقام له *** لو كان رؤيتنا إياك في الحين

فكيف بالصبر إذ أصبحت أكثر في *** مجال أعيننا من رمل بيرين(2)

يا أبغض الناس في عسر و ميسرة *** وأقذر الناس في دنيا وفي دين

لو شاء ربّي لأضحى واهباً لأخي *** بمدّ ثكلك أجرا غير ممنون

أو كان خيراً له لو كان مؤتزراً *** في السالفات على غرمول عتّين(3)

وقائل لي ما أضناك قلت له *** شخص ترى وجهه عيني فيضنيني

إن القلوب لتطوى منك يا ابن أخي *** إذا رأتك على مثل السكاكين

صوت

أتتك العيس تنفخ في براها *** تكشف عن مناكبها القطوع(4)

بأبيض من أمية مضرحي *** كأن جبينه سيف صنيع(5)

الشعر لعبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاص، والغناء لابن المهربد(6)، رمل بالبنصر عن الهشامي. والله أعلم.

ص: 175

1- القرقور: ضرب من السفن عظيم طويل.

2- بيرين: موضع من أصقاع البحرين، رمله موصوف بالكثرة.

3- الغرمول: الذكر أو الضخم الرخو.

4- العيس: النوق البيض يخالط بياضها شقرة. والبرى: جمع برة بضم ففتح، وهي حلقة من فضة أو صفر أو شعر تجعل في أنف البعير. و

القطوع بضم القاف: جمع قطع بالكسر، وهو الطنفسة تكون تحت الرجل على كتفي البعير.

5- المضرحي: السيد الكريم، والأبيض من كل شيء. والصنيع: السيف المجرب المجلو.

6- في ح: «المهرد».

إشارة

هو عبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف. و أمّه أمّ أخيه مروان، آمنة بنت صفوان بن أمية بن محرز بن شق بن رقة بن مخدج من بني كنانة. و يكنى عبد الرحمن أبا مطرف، شاعر إسلامي متوسط الحال (1) في شعراء زمانه، و كان يهاجي عبد الرحمن بن حسان بن ثابت فيقاومه و ينتصف كلّ واحد منهما من صاحبه.

خبر قدومه على معاوية معاتباً لعزله أخاه مروان

أخبرني محمد بن العباس العسكري قال: حدثنا الحسن بن عليل العنزّي، عن العمري، عن العتيبي و الهيثم بن عدي، عن صالح بن حسان.

و أخبرني به عمي عن الكراني، عن العمري، عن الهيثم، عن صالح بن حسان قال:

قدم عبد الرحمن بن الحكم على معاوية بن أبي سفيان، و قد عزل أخاه مروان عن الحجاز و ولي سعيد بن العاص، و كان مروان و جّه به و قال له: الله أمامي فعاتبه لي و استصلحه. و قال عمّي (2) في خبره: كان عبد الرحمن بدمشق، فلما بلغه خبر أخيه خرج إليه فتلقاه، و قال له: أقم حتى أدخل إلى الرجل، فإن كان عزلك عن موجدة دخلت إليه منفرداً. و إن كان عن غير موجدة دخلت إليه مع الناس. قال: فأقام مروان و مضى عبد الرحمن أمامه، فلما قدم عليه دخل إليه و هو يعشي الناس، فأنشأ يقول:

أتتك العيس تنفخ في براها *** تكشف عن مناكبها القطوع

بأبيض من أمية مضرحي *** كأنّ جبينه سيف صنيع

/فقال معاوية: أذا ترا جنت أم مفاخر أم مكاثرا؟ فقال: أيّ ذلك شئت. فقال له: ما أشاء من ذلك شيئاً (3)، و أراد معاوية أن يقطعه عن كلامه الذي عنّ له، فقال: على أيّ الظهر أتيتنا؟ قال: /على فرسي. قال: و ما صفته؟ قال: أجشّ هزيم، يعرض بقول النجاشي له:

و نجي ابن حرب سابح ذو علالة *** أجشّ هزيم و الرماح دواني (4)

إذا خلت أطراف الرماح تناله *** مرته به الساقان و القدمان (5)

قدوم عبد الرحمن بن الحكم على معاوية مغاضباً

فغضب معاوية، و قال: أما إنّه لا يركبه صاحبه في الظلم إلى الرّيب، و لا هو ممّن يتسوّر على جاراته و لا

1- في ح: «متوسط المحل».

2- في الأصول: «عمر».

3- شيئاً، ساقطة في ح.

4- السابح: الفرس السريع، كأنه يسبح بيديه. و العلالة: البقية من السير و من كل شيء. و الأجدش: الغليظ الصوت من الإنسان و من الخيل

و من الرعد و غيره. و الهزيم: الفرس الشديد الصوت.

5- مرته: استدرت جريه.

يتوثب على كنانته(1) بعد هجعة الناس - و كان عبد الرحمن يتهم بذلك في امرأة أخيه - فحجل عبد الرحمن وقال: يا أمير المؤمنين، و ما حملك على عزل ابن عمك، أ لجناية أوجبت سخطا، أم لرأي رأيت، و تدبير استصلحته؟ قال:

لتدبير استصلحته. قال: فلا بأس بذلك، و خرج من عنده فلقي أخاه مروان، فأخبره بما جرى بينه و بين معاوية، فاستشاط غيظا، و قال لعبد الرحمن: قبحك الله، ما أضعفك، أ عرضت للرجل بما أغضبه حتى إذا انتصف منك أحجمت عنه؟ ثم لبس حلته، و ركب فرسه، و تقلد سيفه، و دخل على معاوية، فقال له حين رآه و تبين الغضب في وجهه: مرحبا بأبي عبد الملك، لقد زرتنا عند اشتياق منا إليك. قال: لاها(2) الله ما زرتك لذلك، و لا قدمت عليك فألفيتك إلا عاقا قاطعا، و الله/ ما أنصفتنا و لا جزيتنا جزاءنا. لقد كانت السابقة من بني عبد شمس لآل أبي العاص، و الصهر برسول الله صلى الله عليه و سلم لهم، و الخلافة فيهم، فوصلوكم يا بني حرب و شرفوكم، و ولوكم فما عزلوكم و لا آثروا عليكم، حتى إذا وليتم و أفضى الأمر إليكم، أبيتم إلا أثره و سوء صنيعه، و قبح قطيعه، فرويدا رويدا، قد بلغ بنو الحكم و بنو بني تيفا و عشرين، و إنما هي أيام قلائل حتى يكملوا أربعين و يعلم امرؤ أين يكون منهم حينئذ، ثم هم للجزء بالحسنى و بالسوء بالمرصاد.

قال عمي في خبره: فقال له معاوية: عزلتك لثلاث لو لم يكن منهن إلا واحدة لأوجبت عزلك: إحداهن إني أمرتك على عبد الله بن عامر و بينكما ما بينكما، فلم تستطع أن تشتفي منه. و الثانية كراحتك لأمر زياد. و الثالثة أن ابنتي رملة استعدتك(3) على زوجها عمرو بن عثمان فلم تعدها(4). فقال له مروان: أما ابن عامر فإني لا أنتصر في سلطاني، و لكن إذا تساوت الأقدام علم أين موقعه. و أمّا كراحتي أمر زياد فإن سائر بني أمية كرهوه، ثم جعل الله لنا في ذلك الكره خيرا كثيرا. و أما استعداد رملة على عمرو فوالله إني لتأتي عليّ سنة أو أكثر و عندي بنت عثمان فما أكشف لها ثوبا - يعرض بأن رملة إنما تستعدي عليه طلبا للنكاح - فقال له معاوية: يا ابن الوزغ(5)، لست هناك.

فقال له مروان: هو ذاك الآن، و الله إني لأبو عشرة و أخو عشرة و عمّ عشرة، و قد كاد ولدي أن يكملوا العدة - يعني أربعين - و لو قد بلغوها لعلمت أين تقع مني! فانخزل معاوية ثم قال:

فإن أك في شراركم قليلا *** فإني في خياركم كثير

بغاث الطير أكثرها فراخا *** و أم الصقر مقلات نزور(6)

قال: فما فرغ مروان من كلامه حتى استخذى معاوية في يده و خضع له، و قال: لك العتبي(7)، و أنا رادك إلى عمك. فوثب مروان و قال له: كلاً و الله و عيشك لا رأيتني عائدا إليه أبدا. / و خرج، فقال الأحنف لمعاوية: ما رأيت لك قط سقطة مثلها، ما هذا الخضوع لمروان؟ و أي شيء يكون منه و من بني أبيه إذا بلغوا أربعين؟ و أي شيء تخشاه منهم؟ فقال له: ادن مني أخبرك بذلك. فدنا منه، فقال له: إن الحكم بن أبي العاص كان أحد من وفد مع أختي أم حبيبة(8) لما زفت إلى النبي صلى الله عليه و سلم، و هو الذي تولّى نقلها إليه، فجعل رسول الله صلى الله عليه و سلم يحد النظر إليه، فلما خرج من عنده قيل له: يا رسول الله، لقد أهددت النظر إلى الحكم! فقال: «ابن المخزومية؛ ذلك رجل إذا بلغ

- 1- كنائن: جمع كنة بفتح الكاف: امرأة الابن أو الأخ، و هو جمع نادر توهموا فيه «فعيلة» و نحوها، مما يجمع على فعائل.
- 2- ها، في مثل هذا الأسلوب للتنبيه دخلت على حرف القسم المحذوف، أو هي بدل من تاء القسم. انظر «مغني اللبيب» و «حاشية الأمير».
- 3- استعدتك: استغاثت بك و استنصرتك.
- 4- أعداه عليه: نصره و أعانه.
- 5- الوزغ: جمع وزغة: سام أبرص، سميت بها لخفتها و سرعة حركتها.
- 6- بغاث الطير: أضعفها. و المقلات: الناقة التي تضع واحدا ثم لا تحمل، و المرأة التي لا يعيش لها ولد. و النزور: القليلة النسل.
- 7- العتبي بالضم: الرضا.
- 8- أم حبيبة، هي رملة بنت أبي سفيان صخر بن حرب، زوج الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ولده ثلاثين - أوقال: أربعين - ملكوا الأمر بعدي». فوالله لقد تلقاها مروان من عين صافية. فقال له الأحنف: لا يسمعن هذا أحد منك، فإنك تضع من قدرك وقدر ولدك بعدك، وإن يقض الله عز وجل أمرا يكن. فقال له معاوية:

فاكتمها علي يا أبا بحر إذا، فقد لعمرى صدقت و نصحت.

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي قال، حدّثنا عمر بن شبة قال: حدّثني يعقوب بن القاسم الطلحي قال:

حدّثني ثمال عن أيوب بن درباس بن دجاجة قال:

/شخص مروان بن الحكم و معه أخوه عبد الرحمن، إلى معاوية، ثم ذكر نحوا من الحديث الأول، و لم يذكر فيه مخاطبة معاوية في أمرهم للأحنف، و زاد فيه: فقال عبد الرحمن في ذلك:

أ تقطر آفاق السماء له دما *** إذا قيل هذا الطرف أجرد سابح(1)

فحتّى متى لا نرفع الطرف ذلة *** و حتّى متى تعيا عليك المنادح(2)

بكاء عبد الرحمن حين رأى رأس الحسين و ما قال في ذلك

أخبرني عمي قال: حدّثنا عبد الله بن أبي سعيد قال: حدّثنا علي بن الصباح عن ابن الكلبي عن أبيه، قال:

كان عبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاصي عند يزيد بن معاوية، و قد بعث إليه عبيد الله بن زياد برأس الحسين بن عليّ - عليهما السلام - فلما وضع بين يدي يزيد في الطشت بكى عبد الرحمن ثم قال:

أبلغ أمير المؤمنين فلا تكن *** كموتر أقواس و ليس لها نبل(3)

لهام بجنب الطّف أدنى قرابة *** من ابن زياد الوغد ذي الحسب الرذل(4)

سميّة أمسى نسلها عدد الحصى *** و بنت رسول الله ليس لها نسل

/فصاح به يزيد: اسكت يا ابن الحمقاء، و ما أنت و هذا؟!

بكاء ابن عباس لما حدث بين الأمويين و العباسيين

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي قال: حدّثنا عمر بن شبة قال: حدّثني هارون بن معروف قال: حدّثنا بشر بن السري قال: حدّثنا عمر بن سعيد عن أبي مليكة قال: رأيتهم - يعني بني أمية - يتتايعون(5) نحو ابن عباس حين نفى ابن الزبير بني أمية عن الحجاز، فذهبت معهم و أنا غلام، فلقينا رجلا خارجا من عنده، فدخلنا عليه، فقال له عبيد بن عمير، ما لي أراك تذرّف عيناك؟ فقال له: إن هذا - يعني عبد الرحمن بن الحكم - قال بيتا أبكاني، و هو:

و ما كنت أخشى أن ترى الذلّ نسوتي *** و عبد مناف لم تغلها الغوائل

فذكر قرابة بيننا وبين بني عمنا بني أمية، وإنا إنما كنا أهل بيت واحد في الجاهلية، حتى جاء الإسلام فدخل الشيطان بيننا أيما دخل.

ص: 178

- 1- الطرف بالكسر: الكريم من الخيل كرم طرفاه، أي أبواه. والأجرد: القصير الشعر. والسابح: السريع الجري، كأنه يسبح بيديه.
- 2- تعيا عليك، أي تعيبك وتعجزك. والمناح: جمع مندوحة، وهو المتسع من الأرض.
- 3- أوتر القوس: شد وترها. والنبيل: السهام لا واحد لها، أو واحدها نبلة، جمعه أنبال ونبال.
- 4- الهام: جمع هامة، عنى بهم القتلى من آل الرسول. والهامة: الرأس والشريف، أو هو انسياق مع ما كان يزعم العرب في جاهليتهم أن روح القتيل الذي لم يدرك بثأره تصير هامة فتزقو عند قبره تقول: اسقوني اسقوني! فإذا أدرك بثأره طارت. والطف: موضع قرب الكوفة كان به مقتل الحسين.
- 5- يتتايعون: يتهافتون ويسرعون في اللجاجة. وفي ح بالباء الموحدة قبل العين.

ولوع عبد الرحمن بن الحكم بجارية مروان، وما قال في ذلك

أخبرني عمي قال: حدّثنا الكرائيّ قال: /حدّثنا العمريّ عن الهيثم قال: حدّثني أخي عباس: أنّ عبد الرحمن بن الحكم كان يولع بجارية لأخيه مروان يقال لها «شبناء» ويهيم بمحبّتها، فبلغ ذلك مروان، فشتمه و توعّده و تحفّظ منه في أمر الجارية و حجبها، فقال فيها عبد الرحمن:

لعمري أبي شبناء إني بذكرها *** وإن شحطت دار بها لتحقيق(1)

وإني لها، لا ينزع الله ما لها *** عليّ وإن لم ترعه، لصديق

ولما ذكرت الوصل قالت و أعرضت *** متى أنت عن هذا الحديث مفيد

شعر عبد الرحمن في ادعاء معاوية لزياد و غضب معاوية عليه

/أخبرني عمي قال: حدّثنا الكرائيّ قال: حدّثنا الخليل بن أسد عن العمري، و لم أسمع من العمريّ، عن الهيثم بن عديّ قال:

لما ادّعى معاوية زيادا قال عبد الرحمن بن الحكم في ذلك - و الناس ينسبونها إلى ابن مفرغ لكثرة هجائه إلى زياد، و ذلك غلط - قال:

ألا أبلغ معاوية بن حرب *** مغلغلة من الرجل الهجان(2)

أ تغضب أن يقال أبوك عفّ *** و ترضى أن يقال أبوك زان

فأشهد إن رحمتك من زياد *** كرحم الفيل من ولد الأتان

و أشهد أنّها ولدت زيادا *** و صخر من سمية غير داني

فبلغ ذلك معاوية بن حرب، فحلف ألا يرضى عن عبد الرحمن حتى يرضى عنه زياد، فخرج عبد الرحمن إلى زياد، فلما دخل عليه قال له: إيه(3) يا عبد الرحمن، أنت القاتل:

ألا أبلغ معاوية بن حرب *** مغلغلة من الرجل الهجان

قال: لا أيّها الأمير، ما هكذا قلت، و لكنّي قلت:

ألا من مبلغ عني زيادا *** مغلغلة من الرّجل الهجان

من ابن القرم قرم بني قصيّ *** أبي العاصي بن أمّنة الحصان(4)

حلفت برّب مكّة و المصلّى *** و بالتّوراة أحلف و القرآن

لأنّ زيادا في آل حرب *** أحبّ إليّ من وسطى بناني

اسررت بقربه وفرحت لَمَا *** أتاني الله منه بالبيان

وقلت له أخو ثقة وعم *** بعون الله في هذا الزمان (5)

كذاك أراك والأهواء شتى *** فما أدري بغيب ما تراني

ص: 179

-
- 1- شحطت: بعدت.
 - 2- المغلغلة: الرسالة تحمل من بلد إلى بلد. الهجان: الرجل الحسيب.
 - 3- إيه بالكسر و تنون: كلمة استزادة.
 - 4- القرم: السيد. الحصان، بالفتح: العفيفة المصونة.
 - 5- في ح: «إني أخو ثقة» وفي ش: «وقلت أخو ثقة» ولا يستقيم الوزن فيهما.

فرضي عنه زياد، وكتب له بذلك إلى معاوية، فلما دخل عليه بالكتاب قال: أنشدني ما قلت لزياد. فأنشده، فتبسّم ثم قال: قبح الله زيادا، ما أجهله، والله لما قلت له أخيرا حيث تقول:

لأنت زيادة في آل حرب

شرّ من القول الأوّل، و لكنّك خدعتك فجازت خديعتك عليه.

هجاء عبد الرحمن لأخيه الحارث حين استعفى من الغزو

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال: حدّثنا عمر بن شبة قال: استعمل معاوية بن أبي سفيان الحارث بن الحكم بن أبي العاصي على غزاة البحر، فنكص واستعفى، فوجّه مكانه ابن أخيه عبد الملك بن مروان، فمضى وأبلى وحسن بلاؤه، فقال عبد الرحمن بن الحكم لأخيه الحارث:

/

شنتك إذ رأيتك حوتكيا *** قريب الخصيتين من التراب(1)

كأنك قملة لقحت كشافا *** لبرغوث ببعة او صواب(2)

كفأك الغزو إذا أحجمت عنه *** حديث السن مقتبل الشّباب(3)

فليتك حيضة ذهب ضلالا *** وليتك عند منقطع السّحاب(4)

هجاؤه لمروان حين أعدى عليه الحنّاط

أخبرني محمّد بن الحسن بن دريد قال: حدّثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال: لطم عبد الرحمن بن الحكم مولى أهل المدينة حنّاطا، وأخوه مروان يومئذ وال لأهل المدينة، فاستعداه الحنّاط عليه، فأجلسه مروان بين يديه وقال له: الطمه - وهو أخو مروان لأبيه وأمه - فقال الحنّاط: والله ما أردت هذا، وإنما أردت أن أعلمه أنّ فوقه سلطانا ينصرني عليه، وقد وهبتها لك. قال: لست أقبلها منك فخذ حقّك. فقال: والله لا أطمه، ولكنّي أهبها لك. فقال له مروان: إن كنت ترى أن ذلك يسخطني فوالله لا أسخط، فخذ حقّك. فقال: قد وهبتها لك، و لست والله لاطمه.

قال: لست والله قابلها، فإن وهبتها فهبها لمن لطمك، أو لله عزّ وعلا. فقال: قد وهبتها لله تعالى. فقال عبد الرحمن يهجو أخاه مروان:

كلّ ابن أم زائد غير ناقص *** وأنت ابن أم ناقص غير زائد

وهبت نصيبي منك يا مروكّله *** لعمر ووعثمان الطّويل و خالد

رثاؤه لقتلى قريش يوم الجمل

أخبرني هاشم بن محمّد أبو دلف الخزاعي، قال: حدّثنا أبو غسان دماذ، عن أبي عبيدة قال:

نظر عبد الرحمن بن الحكم إلى قتلى قريش يوم الجمل فبكى، وأنشأ يقول:

أيا عين جودي بدمع سرب *** على فتية من خيار العرب(5)

و ما ضرّهم، غير حين النفوس، *** أيّ أمير قريش غلب(6)

ص: 180

-
- 1- الحوتكي: القصير الضاوي، أو الشديد الأكل.
 - 2- الكشف: أن تلقح الناقة حين تنتج أو أن تحمل عليها في كل سنة، وذلك أردأ النتاج. و الصؤاب: جمع صؤابة: بيض القمل.
 - 3- يعني بذلك عبد الملك بن مروان.
 - 4- منقطع السحاب: طرفه الذي ينقطع عنده.
 - 5- السرب، بالتحريك: السائل المنسرب. وفي الأصول: «سرب» تحريف.
 - 6- الحين: الهلاك، أي ما قدر لهم من ذلك. وفي الأصل: «جين».

إشارة

أخبرني إسماعيل بن يونس قال: حدّثني عمر بن شبة قال: حدّثني المدائني عن شيخ من أهل مكة قال:

اعرض معاوية على عبد الرحمن بن الحكم خيله، فمرّ به فرس فقال له: كيف تراه؟ فقال: هذا سابح. ثم عرض عليه آخر فقال: هذا ذو علالة. ثم مرّ به آخر فقال: وهذا أجشّ هزيم. فقال له معاوية: قد علمت ما أردت، إنّما عرضت بقول النجاشيّ في:

ونجّى ابن حرب سابح ذو علالة *** أجشّ هزيم و الرماح دوان(1)

سليم الشّطي عبل الشّوى شنج النّسا *** كسيد الغضى باق على النّسلان(2)

أخرج عني فلا تساكني في بلد، فلقني عبد الرحمن أخاه مروان فشكا إليه معاوية، وقال له عبد الرحمن:

و حتّى متى نستدلّ ونضام؟ فقال له مروان: هذا عملك بنفسك. فأنشأ يقول:

أ تقطر آفاق السّماء لنا دما *** إذا قلت هذا الطّرف أجرد سابح

فحتّى متى لا نرفع الطّرف ذلّة *** و حتّى متى تعيا عليك المنادح(3)

فدخل مروان على معاوية، فقال له مروان: حتّى متى هذا الاستخفاف بآل أبي العاصي؟ أما والله إنك لتعلم قول النبي صلّى الله عليه وسلم وآله فينا، ولقلّ ما بقي من الأجل(4). فضحك معاوية وقال: لقد عفوت لك عنه(5) يا أبا عبد الملك. والله أعلم بالصواب(6).

صوت

قولاً لنائل ما تقضين في رجل *** يهوى هواك و ما جنبته اجتنبا

يمسي معي جسدي و القلب عندكم *** فما يعيش إذا ما قلبه ذهب(7)

الشعر لمسعدة بن البخترى، والغناء لعبادل، ثقيل أول بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق، وفيه لعريب ثقيل أول آخر عن ابن المعتز، ولها فيه أيضا خفيف رمل عنه.

1- العلالة: البقية. والأجش: غليظ الصوت. والهزيم: شديد الصوت.

2- الشطي: عظم لازق بالركبة أو بالذراع. العبل: الضخم من كل شيء. الشوى: اليدان والرجلان والأطراف وفحف الرأس و ما كان غير

مقتل. و الشنج بكسر الشين: القبض في الجلد. و فرس شنج النسا مدح، لأنه لم تسترخ رجلاه. و النسا بالفتح مقصور: عرق يخرج من الورك فيستبطن الفخذين ثم يمر بالعرقوب حتى يبلغ الحافر، فإذا سمنت الدابة انفلقت فخذها بلحمتين عظيمتين و جرى النسا بينهما و استبان. و السيد: الذئب. و الغضا: ضرب من الشجر. و يقال ذئب الغضا لأنه لا يباشر الناس إلا إذا أراد أن يغير، و يزعمون أنه أخبث الشجر ذئبا.

3- هو و سابقه سبق إنشادهما في ص 263.

4- في ح: «الأمل» بالميم.

5- و في ح: «قد عفوت لك» فقط.

6- كذا وردت هذه العبارة.

7- في الأصول: «إذا ما قلنه».

إشارة

هو مسعدة بن البخترى بن المغيرة بن أبي صفرة، بن أخي المهلب بن أبي صفرة. وقد مضى نسبه متقدّما في نسب يزيد بن محمّد المهلبى و ابن أبي عيينة وغيرهما.

و هذا الشعر يقوله في نائلة بنت عمر بن يزيد الأسيدى و كان يهواها.

تشبيب مسعدة بنائلة

أخبرني بخبره في ذلك أبو دلف هاشم بن محمّد الخزاعي قال: حدّثني عيسى بن إسماعيل تينة، عن القحذميّ قال:

كان مسعدة بن البخترى بن المغيرة بن أبي صفرة، يشبّب بنائلة بنت عمر بن يزيد الأسيدى أحد بني أسيد بن عمرو بن تميم(1)، و كان أبوها سيّدا شريفا، و كان على شرط العراق من قبل الحجاج، و فيها يقول:

أ نائل إتني سلم *** لأهلك فاقبلي سلمى

قال القحذميّ: و أمّ نائلة هذه عاتكة بنت الفرات بن معاوية البكائي، و أمّها الملاء بنت زرارة بن أوفى الجرشيّة، و كان أبوها فقيها محدّثا من التابعين. و قد شبّب الفرزدق بالملاء و بعاتكة ابنتها.

عاتكة بنت الفرات و ما قيل فيها

قال عيسى: فحدّثني محمّد بن سلام قال: لا أعلم أنّ امرأة شبّب بها و بأمّها وجدتها غير نائلة. فأما نائلة فقد ذكر ما قال فيها مسعدة، و أمّا عاتكة فإنّ يزيد بن المهلب تزوّجها؛ فقتل عنها يوم العقر، و فيها يقول الفرزدق:

/

إذا ما المزونيات أصبحن حسرا *** و بكّين أشلاء على غير نائل(2)

فكم طالب بنت الملاء إنّها *** تذكر ريعان الشّباب المزابل(3)

ما قيل في أمها الملاء

و في الملاء أمّها يقول الفرزدق:

كم للملاءة من طيف يؤرّقني *** إذا تجر ثم هادي الليل و اعتكرا(4)

قصة عاتكة بنت الملاء

أخبرني الحرمي بن العلاء قال: حدّثني الزبير بن بكار قال: حدّثني عبد الرحمن بن عبد الله قال:

ص: 182

-
- 1- في «الاشتقاق» 127: «وأسيد تصغير أسود في لغة تميم، و سائر العرب يقول: أسويد. فإذا نسبوا إليه قالوا أسيديّ، كرهوا كثرة الكسرات، و استثقلوا أن يقولوا: أسيدي».
 - 2- الحسر: كاشفات الوجوه. الأشلاء: الأعضاء، عنى بها القتلى.
 - 3- المزاييل: المفارق.
 - 4- تجرثم: اجتمع. و هادي الليل: أوّله. اعتكر: اشتد ظلامه.

خرجت عاتكة بنت الملاة إلى بعض بوادي البصرة فلقيت بدويا معه سمن فقالت له: أ تبيع هذا السمن؟ فقال: نعم. قالت: أرناه. ففتح نحيا(1) فنظرت إلى ما فيه، ثم ناولته إياه وقالت: افتح آخر. ففتح آخر فنظرت إلى ما فيه ثم ناولته إياه، فلما شغلت يديه أمرت جواريتها فجعلن يركلن في استه و جعلت تنادي: يا لثارات ذات التّحيين!

قصة ذات النّحيين

قال الزبير: تعني ما صنع بذات التّحيين في الجاهلية؛ فإنّ رجلا يقال له: خوات بن جبير رأى امرأة معها سمن فقال: أريني هذا. ففتحت له أحد التّحيين، فنظر إليه ثم قال: أريني الآخر. ففتحته، ثم دفعه إليها، فلما شغل يديها وقع عليها، فلا تقدر على الامتناع خوفا من أن يذهب السمن، فضربت/العرب المثل بها، وقالت:

«أشغل من ذات التّحيين». فأرادت عاتكة بنت الملاة أنّ هذا لم يفعله أحد من النساء برجل كما يفعله الرجل بالمرأة غيرها، وأنّها ثارت للنساء تأرهنّ من الرجال بما فعلته.

ما جرى بين الملاة و عمر بن أبي ربيعة

إشارة

أخبرني علي بن صالح بن الهيثم قال: حدّثنا أبو هفّان عن إسحاق الموصليّ عن الزبير و المسيبي(2) و محمّد بن سلام و غيرهم من رجاله: أنّ الملاة بنت زرارة لقيت عمر بن أبي ربيعة بمكة و حوله جماعة ينشدهم، فقالت لجارية: من هذا؟ قالت: عمر بن أبي ربيعة، المنتقل من منزله من ذات و داد إلى أخرى، اللّذي لم يدم على وصل، و لا لقوله فرع و لا أصل، أما و اللّله لو كنت كبعض من يواصل لما رضيت منه بما ترضين، و ما رأيت أدنا من نساء أهل الحجاز و لا أقرّ منهنّ بخسف، و اللّله لأمة من إماننا أنف منهنّ! فبلغ ذلك عمر عنها، فراسلها فراسلته، فقال:

حيّ المنازل قد عمرن خرابا *** بين الجرين و بين ركن كسابا(3)

بالثّبي من ملكان غير رسمها *** مرّ السحاب المعقبات سحابا(4)

و ذبول معصفة الرّياح تجرّها *** دققا فأصبحت العراض يبابا(5)

و لقد أراها مرّة مأهولة *** حسنا جناب محلّها معشابا(6)

داّر التي قالت غداة لقيتها *** عند الجمار فما عييت جوابا

هذا اللّذي باع الصّدق بغيره *** و يريد أن أرضى بذاك ثوابا

قلت اسمعي منّي المقال و من يطع *** بصديقه المتملّق الكذّابا

- 1- النحي، بالكسر: الزق، أو ما كان للسمن خاصة.
- 2- المسيبي في س، ش بدون واو بين العلمين، واعتمدنا ما في ح.
- 3- عمر: بقي زمانا. الجرين بهيئة التصغير: موضع بين سواج و النير باللعباء من أرض نجد. كساب بالضم: موضع، وقال عبد الله بن إبراهيم الجمحي: كساب، بالفتح على وزن قطام: جبل في ديار هذيل قرب الحزم لبني لحيان.
- 4- الثنى من كل نهر أو جبل: منعطفه، و ملكان بكسر اللام: واد لهذيل على ليلة من مكة.
- 5- دقق التراب بضم ففتح: دقاقة، واحدها دقة بالضم. وفي الأصول: «وقفا» صوابه في «الديوان» 114. العراض جمع عرصة، بالفتح، وهي البقعة الواسعة بين الدور. والياب: المقفرة. وهذا تصحيح ش، وفي سائر النسخ: «العراض بابا».
- 6- الجناب: الناحية و الفناء.

أو تكن لديه حباله أنشودة *** في غير شيء يقطع الأسبابا(1)

إن كنت حاولت العتاب لتعلمي *** ما عندنا فلقد أطلت عتابا

أو كان ذلك للبعد فإنه *** يكفئك ضربك دونك الجلبابا

و أرى بوجهك شرق نور بين *** و بوجه غيرك طخية و ضبابا(2)

صوت

أسعداني يا نخلتي حلوان *** و ارثيا لي من ريب هذا الزمان

و اعلما أنّ ريبه لم يزل يف *** رق بين الألاف و الجيران

أسعداني و أيقنا أنّ نحسا *** سوف يلقاكما فتفترقان

و لعمرى لو ذقتما ألم الفر *** قة أبكاكما كما أبكاني

كم رمتني به صروف الليالي *** من فراق الأحباب و الخلالن

الشعر لمطيع بن إياس، و الغناء لحكم الواديّ، هزج بالوسطى عن عمرو و الهشامي.

ص: 184

1- التكملة من «ديوان عمر» 115.

2- الطخية بالفتح: الظلام.

إشارة

هو مطيع بن إياس الكناني. ذكر الزبير بن بكار أنه من بني الدليل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة. و ذكر إسحاق الموصلي عن سعيد بن سلم أنه من بني ليث بن بكر. و الدليل و ليث أخوان لأب و أم، أمهما أم(1) خارجة، و اسمها عمرة بنت سعد بن عبد الله بن قراد بن ثعلبة بن معاوية بن زيد بن الغوث بن أنمار بن أراش بن عمرو بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان. و هي التي يضرب بها المثل فيقال: «أسرع من نكاح أم خارجة». و قد ولدت(2) عدّة بطون من العرب حتى لو قال قائل: إنه لا يكاد يتخلص من ولادتها كبير أحد منهم كان مقاربا. فمن ولدت الدليل و ليث و الحارث و بنو بكر بن عبد مناة بن كنانة، و غاضرة بن مالك بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة، و العنبر و أسيد و الهجيم، بنو عمرو بن تميم، و خارجة بن يشكر - و به كانت تكنى - ابن سعد بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن مزيقيا، و هو أبو المصطلق.

نكاح أم خارجة

قال النسابون: بلغ من سرعة نكاحها أنّ الخاطب كان يأتيها فيقول لها: خطب، فتقول له: نكح.

و زعموا أنّ بعض أزواجها طلقها فرحل بها ابن لها عن حيّه إلى حيّها، فلقبها راكب فلما تبيّنته قالت لابنها:

هذا خاطب لي لا شكّ فيه، أفتراه يعجلني أن أنزل عن بعيري(3)؟ فجعل ابنها يسبّها.

و لا أعلم أنّي وجدت نسب مطيع متصلا إلى كنانة في رواية أحد إلا في حديث أنا ذاكره؛ فإن راويه ذكر أن أبا قرعة الكناني جدّ مطيع، فلا أعلم أ هو جدّه الأدنى فأصل نسبه به، أم هو بعيد منه، فذكرت الخبر على حاله.

تساحن ابن الزبير وجد مطيع

أخبرني به عيسى بن الحسن الوراق قال: حدّثنا أحمد بن الهيثم بن فراس قال: حدّثني العمري و أبو فراس عمّي جميعا، عن شراحيل بن فراس، أنّ أبا قرعة الكناني، و اسمه سلمى بن نوفل - قال: و هو جدّ مطيع بن إياس الشاعر - كانت بينه و بين ابن الزبير قبل أن يلي مقارضة(4)، فدخل سلمى و ابن الزبير يخطب الناس، و كان منه و جلا، فرماه ابن الزبير ببصره حتى جلس، فلما انصرف من المجلس دعا حرسيا فقال: امض إلى موضع كذا و كذا من المسجد، فادع لي سلمى بن نوفل. فمضى فأتاه به، فقال له الزبير: إيها أيّها الضبّ. فقال: إيّني لست بالضبّ و لكنّ الضبّ بالضمر(5) من صخر. قال: إيها أيّها الذئخ(6). قال: إن أحدا لم يبلغ سنّي و سنّك إلا سمّي ذئخا.

ص: 185

1- أم، تكلمة من ش.

2- ح: «في عدة».

3- و لفظ الميداني: «كان يأتيها الخاطب فيقول: خطب فتقول: نكح. فيقول: أنزل. فتقول: أنخ. ذكر أنها كانت تسير يوما و ابن لها يقود

جملها فرفع لها شخص فقالت لابنها: من ترى ذلك الشخص؟ فقال: أراه خاطبا. فقالت: يا بني تراه يعجلنا أن نحل، ماله غل وأل».

4- المقارضة: تبادل الذم أو المدح.

5- الضمر: رملة بعينيها.

6- الذبيخ: ذكر الضبياع.

قال: إنك لها هنا يا عاصم بظر أمه. قال: أعينك بالله أن يتحدث العرب أن الشيطان نطق على فيك بما تنطق به الأمة الفسلة، وإيم الله ما هاهنا داد أريده على المجلس أحد(1) إلا قد كانت أمه كذلك.

والد مطيع بن إياس

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا علي بن محمّد بن سليمان النوفلي عن أبيه قال: كان إياس بن مسلم، أبو مطيع بن إياس شاعرا، وكان قد وفد إلى نصر بن سيار بخراسان فقال فيه:

/

إذا ما نعالي من خراسان أقبلت *** و جاوزت منها مخرما ثم مخرما(2)

ذكرت الذي أوليتني ونشرته *** فإن شئت فاجعلني لشكرك سلّما

جد مطيع بن إياس فأما نسب أبي قرعة هذا فإنه سلمى بن نوفل بن معاوية بن عروة بن صخر بن يعمر بن نفاثة بن عدّي بن الدّيل بن بكر بن عبد مناة. ذكر ذلك المدائني. وكان سلمى بن نوفل جوادا. وفيه يقول الشاعر:

يسود أقوام و ليسوا بسادة *** بل السيّد الميمون سلمى بن نوفل(3)

رجع الخبر إلى سب مطيع بن إياس وأخباره

صفة مطيع و ذكر نشأته

وهو شاعر من مخضرمي الدّولتين الأمويّة و العباسية، وليس من فحول الشعراء في تلك، ولكنه كان ظريفا خليعا حلوا العشرة، مليح النّادرة، ماجنا متّهما في دينه بالزندقة، و يكنى أبا سلمى. و مولده و منشؤه الكوفة، و كان أبوه من أهل فلسطين الذين أمّد بهم عبد الملك بن مروان الحجاج بن يوسف في وقت قتاله ابن الزبير و ابن الأشعث، فأقام بالكوفة و تزوّج بها، فولد له مطيع.

صلته بالولاة و الخلفاء

أخبرني بذلك الحسين بن يحيى، عن حمّاد عن أبيه، و كان منقطعا إلى الوليد بن يزيد بن عبد الملك، و متصرّفا بعده في دولتهم، و مع أوليائهم و عمّالهم و أقاربهم لا يكسد عند أحد منهم، ثم انقطع في الدولة العباسية إلى جعفر بن أبي جعفر المنصور، فكان معه حتّى مات، و لم أسمع له مع أحد منهم خبرا إلا حكاية بوفوده على سليمان بن علي، و أنّه ولاء عملا. و أحسبه مات في تلك الأيام.

رأي بعض الناس فيه

حدّثني عمي الحسن بن محمّد، قال: حدّثني محمّد بن سعد الكرائيّ عن العمري عن العتبي عن أبيه قال:

قدم البصرة علينا شيخ من أهل الكوفة لم أرقط أظرف لسانا ولا أحلى حديثا منه، وكان يحدّثني عن مطيع بن إياس، ويحيى بن زياد، وحماد الراوية، وظرفاء الكوفة، بأشياء من أعاجيبهم وطفهم، فلم يكن يحدّث عن أحد بأحسن مما كان يحدّثني عن مطيع بن إياس، فقلت له: كنت والله أشتهي أن أرى مطيعا، فقال: والله لو رأيتك للقيت

ص: 186

1- كذا وردت هذه العبارة وفي ح «أحدا».

2- عنى بالنعال ذوات النعال، وهي الإبل. أو لعلها: «بغالي». مخرم الجبل والسييل: أنفه. والمخارم: الطرق في غلظ.

3- وكذا في «الإصابة» 3407. وفي «الكامل» 74، 75 ليسك: «سلم بن نوفل».

منه بلاء عظيمًا. قال: قلت: وأي بلاء ألقاه من رجل أراه؟ قلت: كنت ترى رجلاً يصبر عنه العاقل إذا رآه، ولا يصحبه أحد إلا افتضح به.

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حدّثنا أبو سعيد السكري عن محمّد بن حبيب قال: سألت رجلاً من أهل الكوفة كان يصحب مطيع بن إياس عنه فقال: لا- ترد أن تسألني عنه. قلت: ولم ذاك؟ قال: وما سؤالك إياي عن رجل كان إذا حضر ملكك(1)، وإذا غاب عنك شاقك، وإذا عرفت بصحبته فضحك.

إعجاب الوليد بن يزيد بمطيع

أخبرني الحسن بن عليّ الخفاف قال: حدّثني محمّد بن القاسم بن مهرويه قال: حدّثني عبد الله بن عمرو قال: حدّثني أبو توبة صالح بن محمّد عن محمّد بن جبير، عن عبد الله بن العباس الربيعي قال: حدّثني إبراهيم بن المهدي قال: قال لي جعفر بن يحيى: ذكر حكم الواديّ، أنه غنّى الوليد بن يزيد ذات ليلة وهو غلام حديث السنّ، فقال:

إكليلها ألوان *** ووجهها فتان

وخالها فريد *** ليس لها جيران

إذا مشت تثنت *** كأنها ثعبان

/فطرب حتّى زحف عن مجلسه إليّ، وقال: أعد فديتك بحياتي. فأعدته حتى صحل صوتي(2)، فقال لي:

ويحك، من يقول هذا؟ فقلت: عبد لك يا أمير المؤمنين أرضاه لخدمتك. فقال: ومن هو فديتك؟ فقلت: مطيع بن إياس الكناني. فقال: و أين محله؟ قلت: الكوفة. فأمر أن/يحمل إليه على البريد، فحمل إليه، فما أشعر يوماً إلا برسوله قد جاءني، فدخلت إليه و مطيع بن إياس واقف بين يديه، وفي يد الوليد طاس من ذهب يشرب به، فقال له:

غنّ هذا الصوت يا واديّ. فغنّيته إياه، فشرّب عليه، ثم قال لمطيع: من يقول هذا الشعر؟ قال: عبدك أنا يا أمير المؤمنين. فقال له: ادن مني. فدنا منه، فضمّه الوليد وقبّل فاه وبين عينيه، وقبّل مطيع رجله والأرض بين يديه، ثم أدناه منه حتّى جلس أقرب المجالس إليه، ثم تمّ يومه(3) فاصطبح أسبوعاً متوالي الأيام على هذا الصوت.

لحن هذا الصوت هزج مطلق في مجرى البنصر، والصنعة لحكم. وقد حدّثني بخبره هذا مع الوليد جماعة على غير هذه الرواية، ولم يذكرها فيها حضور مطيع.

حدّثني به أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال: حدّثنا عليّ بن محمّد النوفلي عن أبيه قال: بلغني عن حكم الواديّ، وأخبرني الحسين بن يحيى، ومحمّد بن يزيد بن أبي الأزهر قالاً: حدّثنا حماد بن إسحاق قال: حدّثني أحمد بن يحيى المكي عن أمّه عن حكم الواديّ قال:

وفدت على الوليد بن يزيد مع المغنّين، فخرج يوماً إلينا وهو راكب على حمار، وعليه درّاعة وشي(4)؛ وبيده عقد جوهر، وبين يديه كيس فيه ألف دينار، فقال: /من غنّاني فأطربني فله ما عليّ وما معي. فغنّوه فلم يطرب، فاندفعت وأنا يومئذ أصغرهم سنّاً فغنّيته:

-
- 1- كذا في ح وفي سائر النسخ: «ملك».
 - 2- صحل صوته: بح.
 - 3- في ح: «تمم» برسم ميمين.
 - 4- س، ش «عليه» بدون واو. و الدراعة، كرمانه: جبة مشقوقة المقدم.

وخالها فريد *** ليس له جيران

إذا مشت تثتت *** كأنها ثعبان

فرمى إليه بما معه من المال و الجواهر، ثم دخل فلم يلبث أن خرج إليّ رسوله بما عليه من الثياب و الحمار الذي كان تحته.

صحبتة لجماعة من الزنادقة

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا ابن مهرويه قال: حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال:

كان مطيع بن إياس، و يحيى بن زياد الحارثيّ، و ابن المقفّع و والبة بن الحباب يتنادمون و لا يفترقون، و لا يستأثر أحدهم على صاحبه بمال و لا ملك، و كانوا جميعا يرمون بالزندقة.

صلته بعبد الله بن معاوية

حدّثني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدّثني عليّ بن محمّد النوفليّ عن أبيه و عمومته، أنّ مطيع بن إياس و عمارة بن حمزة من بني هاشم، و كان مرميين بالزندقة، نزا إلى عبد الله بن معاوية بن جعفر بن أبي طالب لمّا خرج في آخر دولة (1) بني أمية، و أوّل ظهور الدّولة العباسية بخراسان، و كان ظهر على نواح من الجبل: منها أصبهان و قمّ و نهاوند، فكان مطيع و عمارة ينادمانه و لا يفارقانه.

قال النوفلي: فحدّثني إبراهيم بن يزيد بن الخشك قال:

ادخل مطيع بن إياس على عبد الله بن معاوية يوما و غلام واقف على رأسه يذبّ عنه بمنديل - و لم يكن في ذلك الوقت مذابّ، إنّما المذابّ عباسية - قال: و كان الغلام الذي يذبّ أمرّد حسن الصّورة، يروق عين الناظر، فلما نظر مطيع إلى الغلام كاد عقله يذهب، و جعل يكلمّ ابن معاوية يلجلج، فقال:

إنّي و ما أعمل الحجيح له *** أخشى مطيع الهوى على فرج (2)

أخشى عليه مغامسا مرسا *** ليس بذي رقبة و لا حرج (3)

ما قاله هو و عمارة في صاحب شرطة ابن معاوية

/أخبرني أحمد بن عبيد الله قال: حدّثنا عليّ بن محمّد النوفلي قال: حدّثني أبي عن عمه عيسى قال:

كان لابن معاوية صاحب شرطة يقال له: قيس بن عيلان العنسيّ النوفلي [و عيلان] اسم أبيه، و كان شيخا كبيرا دهرّيّا لا يؤمن بالله، و كان إذا عسّ لم يبق أحد إلا قتله، فأقبل يوما فنظر إليه ابن معاوية و معه عمارة بن حمزة و مطيع بن إياس، قال:

إن قيساً وإن تقنّع شيباً*** لخبيث الهوى على شمطه(4)

أجزيا عمارة. فقال:

ابن سبعين منظراً ومشيباً*** وابن عشر يعدّ في سقطه(5)

ص: 188

-
- 1- كلمة «دولة» زيادة في ش.
 - 2- الحجيج: جماعة الحجاج.
 - 3- المغامس: الشديد الشجاع. والمرس: الشديد. الرقبة: التحفظ والخشية. والحرج: التهيّب. وفي الأصول: «خرج» تحريف.
 - 4- الشمط: بياض الرأس يخالطه السواد.
 - 5- السقط: الفضيحة.

فأقبل على مطيع فقال: أجز. فقال:

وله شرطة إذا جتّه اللي *** ل فعودوا بالله من شرطه

احتجاجة للأبنة

قال النوفلي: وكان مطيع فيما بلغني مأبونا، فدخل عليه قومه فلاموه على فعله، وقالوا له: أنت في أدبك و شرفك و سؤددك و شرفك ترمى بهذه الفاحشة القذرة؟ فلو أفصرت عنها! فقال: جرّبوه أنتم ثم دعوا إن كنتم صادقين. فانصرفوا عنه، وقالوا: قبح الله فعلك و عذرك، و ما استقبلتنا به.

ما حدث بينه و بين ظبية الوادي

أخبرني عيسى بن الحسين قال: حدّثنا حمّاد عن أخيه عن النضر بن حديد قال: أخبرني أبو عبد الملك المرواني قال: حدّثني مطيع بن إلياس قال:

قال لي حمّاد عجرد: هل لك في أن أريك خشة صديقي (1)، و هي المعروفة بظبية الوادي؟ قلت: نعم. قال:

إنك إن قعدت عنها و خبت عينك في النظر أفسدتها عليّ. فقلت: لا و الله لا أتكلّم بكلمة تسوءك، و لأسرّتك.

فمضى و قال: و الله لا أتكلّم، لئن خالفت ما قلت لأخرجنك. قال: قلت: إن خالفت ما تكره فاصنع بي ما أحببت.

قال: امض بنا. فأدخلني على أظرف خلق الله و أحسنهم وجها، فلما رأيته أخذني الرّمع (2) و فطن لي: فقال: اسكن يا ابن الزانية. فسكنت قليلا، فلحظتني و لحظتها أخرى، فغضب و وضع قلنسيته عن رأسه، و كانت صلعتة حمراء كأنها است قرد، فلما وضعها وجدت للكلام موضعا فقلت:

وار السّواة السّوأ *** ء يا حمّاد عن خشّه (3)

عن الأترجة (4) الغضّ *** ة و التفاحة الهشّه

إفساد مطيع لها على حماد

فالتفت إليّ، و قال: فعلتها يا ابن الزانية؟ فقالت له: أحسن و الله، ما بلغ صفتك بعد (5)، فما تريد منه؟ فقال لها: يا زانية! فقالت له: الزانية أمك! و ثاورته (6) و ثاورها، فشقت قميصه، و بصقت في وجهه، و قالت له: ما تصادقك و تدع مثل هذا إلا زانية! و خرجنا و قد لقي كلّ بلاء، و قال لي: ألم أقل لك يا ابن الزانية: إنك ستفسد عليّ مجلسي. فأمسكت عن جوابه، و جعل يهجوني و يسبّني، و يشكوني إلى أصحابنا، فقالوا لي: اهجه و دعنا و إياه.

هجاؤه حمادا

ألا يا ظبية الوادي *** وذات الجسد الراد(7)

ص: 189

- 1- صديقي؛ أي صاحبتني. وفي «اللسان»: «خش»: الطيب بالفارسية، عربته العرب وقالوا في المرأة: خشة. قال ابن سيده: «أنشدني بعض من لقيته لمطيع بن إياس يهجو حمادا الراوية» وأنشد البيتين التاليين.
- 2- الزمع: شبه الرعدة تأخذ الإنسان.
- 3- سبق تفسير «الخشة». وفي «اللسان»: «نح السوأة».
- 4- الأترجة: فاكهة حماضها يسكن شهوة النساء، ويجلو اللون و الكلف، وقشره في الثياب يمنع السوس. وفي «اللسان»: عن التفاحة الصفرا والأترجة الهشه
- 5- كذا على الصواب في ح. وفي سائر النسخ: «صنعتك بعد».
- 6- ثاورته: واثبته.
- 7- الراد: مسهل الراد، وهو الرخص اللين.

وزين المصمر والدار *** وزين الحي والنادي

و ذات الميسم العذب *** وذات الميسم البادي (1)

أما بالله تستحيي *** ن من خلة حمّاد (2)

فحمّاد فتى ليس *** بذي عزّ فتقادي (3)

ولا مال ولا عزّ (4) *** ولا حظّ لمرتاد

فتوبي واتقي الله *** وبتي جبل جرّاد (5)

فقد ميّرت بالحسن *** عن الخلق بإفراد

وهذا البين قد حمّ *** فجودي منك بالزّاد

/ - في الأوّل والثاني والسابع والثامن من هذه الأبيات لحكم الوادي رمل.

قال: فأخذ أصحابنا رقاعا فكتبوا الأبيات فيها، وألقوها في الطريق، وخرجت أنا فلم أدخل إليهم ذلك اليوم (6)، فلما رآها وقرأها قال لهم:

يا أولاد الرّنا، فعلها ابن الزانية، وساعدتموه عليّ!

جزع حماد من هجائه

قال: وأخذها حكم الوادي فغنى فيها، فلم يبق بالكوفة سقاء ولا طحّان ولا مكار إلا غنى فيها، ثم غنيت مدّة وقدمت (7)، فأتاني فما سلّم

عليّ حتّى قال لي: يا ابن الزانية، ويلك أما رحمتي من قولك لها:

أما بالله تستحيي *** ن من خلة حمّاد

اجتماعهما بصاحبة مطيع و ما كان في ذلك

بالله قتلتي قتلك الله! والله ما كلمتني حتّى الساعة. قال: قلت: اللهم أدم هجرها له وسوء آرائها فيه، وآسفه (8) عليها، وأغره بها! فشتمني

ساعة. قال مطيع: ثم قلت له: قم بنا حتّى أمضي بك فأريك أختي. قال مطيع، فمضينا فلمّا خرجت إلينا دعوت قيّمة لها فأسررت إليها في أن

تصلح لنا طعاما و شرابا، وعزّفتها أنّ الذي معي حمّاد. فضحكت ثم أخذت صاحبتني في الغناء، وقد علمت بموضعه وعرفته، فكان أول

صوت غنت:

أما بالله تستحيي *** ن من خلة حمّاد

فقال لها: يا زانية! وأقبل عليّ فقال لي: وأنت يا زاني يا ابن الزانية. وشاتمته صاحبتني ساعة، ثم قامت فدخلت، و جعل يتعَيِّظ عليّ فقلت: أنت ترى أنّي أمرتها أن تغنيّ بما غنّت؟ قال: أرى ذلك وأظنّه ظنّاً، لا والله، ولكنّي أتيقّنه! فحلفت له/بالطلاق على بطلان ظنه، فقالت: وكيف هذا؟ فقلت: أراد أن يفسد هذا المجلس من أفسد ذلك المجلس. فقالت: قد والله فعل. وانصرفنا.

ص: 190

- 1- الميسم: أثر الجمال والعتق، ويقال: إنها لوسيمة قسيمة.
- 2- الخلة: بالضم: الصداقة.
- 3- في الأصول: «فينقاد».
- 4- كذا وردت هذه الكلمة.
- 5- بتي: اقطعي. والجراد: جلاء آنية الصفر، كما في «القاموس».
- 6- «اليوم» ساقطة من ح.
- 7- غنيت: أقيمت.
- 8- آسفه: أغضبه. وفي «التنزيل»: «فلما آسفونا انتقمنا منهم».

إفساد صديقة يحيى الحارثي عليه

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال: حدّثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال: حدّثني حماد بن إسحاق عن أبيه عن رجل من أصحابه قال:

قال يحيى بن زياد الحارثي لمطيع بن إياس: انطلق بنا إلى فلانة صديقتي؛ فإنّ بيني وبينها مغاضبة، لتصلح بيننا، وبس المصلح أنت. فدخلنا إليها فأقبلا يتعاتبان، و مطيع ساكت، حتّى إذا أكثر قال يحيى لمطيع: ما يسكتك، أسكت الله نأمتك(1)؟ فقال لها مطيع:

أنت معتلة عليه و ما زا*** ل مهينا لنفسه في رضاك

فأعجب يحيى ما سمع، و هسّ له مطيع:

فدعيه و واصلني ابن إياس *** جعلت نفسي الغداة فداك

فقام يحيى إليه بوسادة في البيت، فما زال يجلد بها رأسه و يقول: ألهذا جئت بك يا ابن الزانية! و مطيع يغوّث(2) حتّى ملّ يحيى، و الجارية تضحك منهما، ثم تركه و قد سدر(3).

عتاب حماد على مطيع

حدّثني الحسن بن عليّ الخفاف قال: حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدّثني محمد بن عمر الجرجاني قال:

مرض حماد عجرد، فعاده أصدقاؤه جميعا إلا مطيع بن إياس، و كان خاصّة به، فكتب إليه حماد:

/

كفأك عيادتي من كان يرجو *** ثواب الله في صلة المريض

فإن تحدث لك الأيام سقما *** يحول جريضه دون القريض(4)

يكن طول التأوّه منك عندي *** بمنزلة الطنين من البعوض

ما حدث بينهما حين اجتماعهما بصديقتيهما

أخبرني محمد بن أبي الأزهر عن حماد عن أبيه قال: قدم مطيع بن إياس من سفر فقدم بالرغائب، فاجتمع هو و حماد عجرد بصديقتيه ظبية الوادي، و كان عجرد على الخروج مع محمد بن أبي العباس إلى البصرة، و كان مطيع قد أعطى صاحبته من طرائف ما أفاد، فلما جلسوا يشربون غنّت ظبية الوادي فقالت(5):

أظنّ خليلي غدوة سيسير *** وربّي على أن لا يسير قدير

فما فرغت من الصوت حتّى غنّت صاحبة مطيع:

ما أبالي إذا التوى قربتهم *** و دنونا من حلّ منهم و ساروا

فجعل مطيع يضحك و حماد يشتمها.

ص: 191

1- النأمة: الصوت.

2- التغويث: أن يقول: وا غوثاه!

3- السادر: المتحير.

4- الجريض، يقال جرض بريقه: ابتلعه على هم و حزن. و يقال: «حال الحريض دون القريض» مثل يضرب لأمر يعوق دونه عائق. قاله جوشن بن منقذ الكلابي حين منعه أبوه من الشعر فمرض حزنا فرق له و قد أشرف فقال: انطق بما أحببت. انظر «القاموس».

5- في الأصول: «عتب ظبية الوادي فقال».

صوت

أظنّ خليلي غدوة سيسير *** وربي على أن لا يسير قدير

عجبت لمن أمسى محبًا ولم يكن *** له كفن في بيته و سرير

غنى في هذين البيتين إبراهيم الموصلي، و لحنه ثقيل أول بالسبابة في مجرى البصر، وفيهما لحن يمان قديم خفيف رمل بالوسطى.

معاينة عمر بن سعيد له في أمر مكنونة و ما قال في ذلك

أحدثني الحسن قال: حدثني ابن مهرويه قال: حدثني إبراهيم بن المدبر عن محمد بن عمر الجرجاني قال:

كان لمطيع بن إياس صديق يقال له: عمر بن سعيد، فعاتبه في أمر قينة يقال لها «مكنونة» كان مطيع يهواها حتى اشتهر بها، وقال له: إن قومك يشكونك ويقولون: إنك تفضحهم بشهرتك نفسك بهذه المرأة، وقد لحقهم العيب و العار من أجلها! فأنشأ مطيع يقول:

قد لا مني في حبيتي عمر *** و اللوم في غير كنهه ضجر(1)

قال أفق، قلت لا، قال بلى *** قد شاع في الناس عنكما الخبر

قلت قد شاع فاعتذاري مما *** ليس لي فيه عندهم عذر

عجز لعمرى و ليس ينفعني *** فكفّ عني العتاب يا عمر

و ارجع إليهم و قل لهم قد أبى *** و قال لي لا أفيق فاتتجروا(2)

أعشق و حدى فيؤخذون به *** كالترك تغزو فيقتل الخزر(3)

رأي مطيع في النساء

أخبرني الحسن قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثني ابن أبي أحمد عن أبي العبر/الهاشمي قال: حدثني أبي أن مطيع بن إياس مرّ بيحيى بن زياد، و حماد الراوية و هما يتحدّثان، فقال لهما: فيم أنتما؟ قالا: في قذف المحصنات. قال: أو في الأرض محصنة فتقذفانها؟!

ابتداعه حديثاً مصنوعاً و إجراجه للعباس بن محمد حين استشهد به

حدّثني عيسى بن الحسن الورّاق قال: حدّثني عمر بن محمّد بن عبد الملك الزيات. و حدّثنيه الحسن بن عليّ عن ابن مهرويه عن عمر بن محمّد بن عبد الملك الزيات، قال: حدّثني محمّد بن هارون قال:

/أخبرني الفضل بن إياس الهذليّ الكوفيّ أنّ المنصور كان يريد البيعة للمهديّ، و كان ابنه جعفر يعترض عليه في ذلك، فأمر بإحضار الناس فحضروا، و قامت الخطباء فتكلّموا، و قالت الشعراء فأكثرُوا في وصف المهديّ و فضائله، و فيهم مطيع بن إياس، فلما فرغ من كلامه في الخطباء و إنشاده في الشعراء قال للمنصور: يا أمير المؤمنين، حدّثنا فلان عن فلان أنّ النبيّ صلّى الله عليه و سلّم قال: «المهديّ منا محمّد بن عبد الله و أمّه من غيرنا، يملؤها عدلا كما

ص: 192

1- الكنه: الوجه و الحقيقة.

2- يقال انتحروا: تشاحوا عليه فكاد بعضهم ينحر بعضا من شدة حرصهم.

3- الخزر: اسم جيل من الناس خزر العيون ضيقوها.

ملئت جوراً» و هذا العباس بن محمد أخوك (1) يشهد على ذلك. ثم أقبل على العباس، فقال له: «أنشدك الله هل سمعت هذا؟ فقال: نعم. مخافة من المنصور، فأمر المنصور الناس بالبيعة للمهديّ.

قال: ولما انقضى المجلس، وكان العباس بن محمد لم يأنس به، قال: رأيتم هذا الزنديق إذ كذب على الله عزّ وجلّ ورسوله صلّى الله عليه وسلّم حتّى استشهدني على كذبه، فشهدت له خوفاً، وشهد كلّ من حضر عليّ بأني كاذب؟! وبلغ الخبر جعفر بن أبي جعفر، وكان مطيع منقطعاً إليه يخدمه، فخافه، وطرده عن خدمته. قال: وكان جعفر ماجناً، فلما بلغه قول مطيع هذا غاظه، وشقّت عليه البيعة لمحمد، فأخرج أيره ثم قال: إن كان أخي محمد هو المهديّ فهذا القائم من آل محمد.

خشية أبي جعفر على ابنه جعفر من مطيع

أخبرني عيسى بن الحسين قال: حدّثنا أحمد بن الحارث عن المدائني قال: كان مطيع بن إياس يخدم جعفر بن أبي جعفر المنصور ويناديه، فكره أبو جعفر ذلك، لما شهر به مطيع في الناس وخشي أن يفسده، فدعا بمطيع وقال له: عزمت على أن تفسد ابني عليّ وتعلمه زندقك؟ فقال: أعيذك بالله يا أمير المؤمنين من أن تظنّ بي هذا، والله ما يسمع منّي إلا ما إذا وعاه جمّله وزينه وتبّله! فقال: ما أرى ذلك ولا يسمع منك إلا ما يضرّه ويغرّه. فلما رأى مطيع إلحاحه في أمره قال له: أتؤمنني يا أمير المؤمنين عن غضبك حتّى أصدقك؟ قال: أنت آمن. قال: و أيّ مستصلح فيه؟ وأيّ نهاية لم يبلغها في الفساد والضلال؟ قال: ويلك، بأيّ شيء؟ قال: يزعم أنّه ليعشق امرأة من الجنّ وهو مجتهد في خطبتها، وجمع أصحاب العزائم عليها، وهم يغرونه ويعدون بها ويمنون، فوالله ما فيه فضل لغير ذلك من جدّ ولا هزل ولا كفر إيمان. فقال له المنصور: ويلك، أتدري ما تقول؟ قال: الحق والله أقول. فسل عن ذلك، فقال له: عد إلى صحبتته واجتهد أن تزيله عن هذا الأمر، ولا تعلمه أنّي علمت بذلك حتّى اجتهد في أزالته عنه.

إصابة جعفر بن المنصور بالصرع

أخبرني عمي قال: حدّثني الكراني عن ابن عائشة قال:

كان مطيع بن إياس منقطعاً إلى جعفر بن أبي جعفر المنصور، فدخل أبوه المنصور عليه يوماً، فقال لمطيع:

قد أفسدت ابني يا مطيع. فقال له مطيع: إنّما نحن رعيتك فإذا أمرتنا بشيء فعلنا.

قال: وخرج جعفر من دار حرمه فقال/لأبيه: ما حملك على أن دخلت داري بغير إذن؟ فقال له أبو جعفر:

لعن الله من أشبهك، ولعنك! فقال: والله لأنا أشبه بك منك بأبيك - قال: وكان خليعاً - فقال: أريد أن أتزوج امرأة من الجنّ! فأصابه لمم، فكان يصرع بين يدي أبيه والربيع واقف، فيقول له: يا ربيع، هذه قدرة الله.

وقال المدائنيّ في خبره الذي ذكرته عن عيسى بن الحسين عن أحمد بن الحارث عنه: فأصاب جعفراً من كثرة ولعه (2) بالمرأة التي ذكر أنه يتعشّقها من الجنّ صرع، فكان يصرع في اليوم مرّات حتّى مات، فحزن عليه المنصور حزناً شديداً، ومشى في جنازته، فلما دفن وسوّى قبره قال للربيع: أنشدني قول مطيع بن إياس في مرثية يحيى بن زياد. فأنشده:

يا أهلي ابكوا قلبي القرح *** و للدموع الذوارف السّفح(3)

ص: 193

-
- 1- في ح: «وقال العباس بن محمّد اخوك».
 - 2- يقال ولع بالشيء ولعا و ولوعا بفتح الواو: لهج به و اشتد حبه له.
 - 3- في ح: «يا أهل بكرا».

راحوا بيحيى ولو تطاوعني ال *** أقدار لم يبتكر ولم يرح (1)

يا خير من يحسن البكاء له ال *** يوم و من كان أمس للمدح

قال: فبكى المنصور، وقال: صاحب هذا القبر أحقّ بهذا الشعر.

أخبرني به عمّي أيضا عن الخزاز عن المدائني، فذكر مثله.

شعره في جارية خرجت من قصر الرصافة

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدّثني يعقوب بن إسرائيل قال: حدّثني المغيرة بن هشام الرّبعيّ قال: سمعت ابن عائشة يقول:

مرّ مطيع بن إلياس بالرّصافة، فنظر إلى جارية قد خرجت من قصر الرّصافة كأنّها الشمس حسنا، وحواليها وصائف يرفعن أذيالها، فوقف ينظر إليها إلى أن غابت عنه، ثم التفت إلى رجل كان معه و هو يقول:

لما خرجن من الرّصا *** فة كالتماثيل الحسان

يحففن أحوار كالغزا *** ل يميمس في جدل العنان (2)

قطّعن قلبي حسرة *** و تقسّما بين الأمانى

ويلى على تلك الشما *** نل و اللطيف من المعانى

يا طول حرّ صبابتي *** بين الغواني والقيان

بكاء بنته حين عزم على الرحلة إلى السند، وما قال في ذلك

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا ابن مهرويه قال: حدّثني عبد الله بن أبي سعيد، عن ابن توبة صالح بن محمّد، قال: حدّثني بعض ولد منصور بن زياد عن أبيه قال: قال محمّد بن الفضل بن السكونيّ:

رحل (3) مطيع بن إلياس إلى هشام بن عمرو و هو بالسند مستميحا له، فلما رأته بنته قد صحّح العزم على الرّحيل بكت، فقال لها:

اسكتي قد حززت بالدمع قلبي *** طالما حرّ دمعتنّ القلوبا

و دعي أن تقطّعي الآن قلبي *** و تريني في رحلتي تعذيبا

ففسى الله أن يدافع عني *** ريب ما تحذرين حتّى أءوبا

ليس شيء يشاؤه ذو المعالي *** بعزیز علیه فادعی المعبیا

أنا فی قبضة الإله إذا ما *** كنت بعدا أو كنت منك قریبا (4)

ووجدت هذه الأبیات فی شعر مطیع بغير رواية، فكان أولها:

/

ولقد قلت لابنتی وهي تكوي *** بانسكاب الدموع قلبا كنیبا

وبعدہ بقية الأبیات.

ص: 194

1- بیتکر: یخرج بكرة. ویروح: یرجع فی الرواح.

2- الجدل: جمع جدیل، وهو الزمام المجدول. والعنان: سیر اللجام، عنى بذلك دقة الخصر.

3- فی الأصول: «دخل».

4- البعد، مصدر، أراد به البعید. وفي الأصول: «بعیدا» ولا یستقیم به الوزن.

شعره في قينة أو ما إليها بقبلة فصدته

إشارة

أخبرني الحسن بن علي الحفاف قال: حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدّثني علي بن محمد النوفلي، عن صالح الأصمّ قال: كان مطيع بن إياس مع إخوان له على نبيذ، وعندهم قينة تغنيهم، فأوما إليها مطيع بقبلة، فقالت له: تراب! فقال مطيع:

صوت

إنّ قلبي قد تصابى *** بعد ما كان أنابا

ورماه الحبّ منه *** بسهام فأصابا

قد دهاه شادن يل *** بس في الجيد سخابا(1)

فهو بدر في نقاب *** فإذا ألقى النقابا

قلت شمس يوم دجن *** حسرت عنها السّحابا

ليتني منه على كش *** حين قد لانا و طابا(2)

أحضر الناس بما أك *** رهه منه جوابا

فإذا قلت أنلني *** قبلة قال ترابا

لحكم الواديّ في هذه الأبيات هزج، بالبنصر، من رواية الهشاميّ.

سرعة بديهته

أخبرنا أبو الحسن الأسيدي قال: ذكر موسى بن صالح بن سنح بن عميرة أنّ مطيع بن إياس كان أحضر الناس جوابا و نادرة، وأنّه ذات يوم كان جالسا يعدّد بطون قریش و يذكر مآثرها و مفاخرها، فقليل له: فأين بنو كنانة؟ قال:

بفلسطين يسرعون الرّكوبا

أراد قول عبيد الله بن قيس الرقيات:

حلق من بني كنانة حولي *** بفلسطين يسرعون الرّكوبا

أخبرني عمي قال: حدّثنا الكراني عن العمري عن العتبيّ قال:

كان أبو دهمان صديقاً لمطيع، وكان يظهر للناس تألّها (3) و مروءة و سمّتا حسنا، وكان ربّما دعا مطيعاً ليلة من الليالي أن يصير إليه، ثم قطعته عنه شغل، فاشتغل وجاء مطيع فلم يجده، فلما كان من الغد جلس مطيع مع أصحابه، فأنشدهم فيه:

ص: 195

1- الشادن: الطبي الصغير. السخاب: القلادة من القرنفل.

2- الكشح: الخاصرة.

3- التألّه: التسك و التعبّد.

ويلي ممّن جفاني *** وحبّه قد براني (1)

وطيفه يلقاني *** وشخصه غير دان

أغرّ كالبدر يعشى *** بحسنه العينان (2)

جاريّ لا تعذلاني *** في حبّه و دعاني

فربّ يوم قصير *** في جوسق و جنان

بالراح فيه يحيّا *** و القصف و الريحان (3)

وعندنا قينتان *** وجهاهما حسنان

عوداهما غردان *** كأنّما ينطقان (4)

او عندنا صاحبان *** للدّهر لا يخضعان

فكنت أوّل حام *** و أوّل السّرعان (5)

في فنية غير ميل *** عند اختلاف الطّعان

من كلّ خوف مخيف *** في السّرّ و الإعلان

احتمال كلّ عظيم *** تضيق عند اليدان

وإنّ الحّ زمان *** لم يستكن للزمان

فزال ذلك جميعا *** و كلّ شيء فان

من عاذري من خليل *** موافق ملدان (6)

مداهن متوان *** يكنى أبي دهمان (7)

متى يعدك لقاء *** فالنّجم و الفرقدان

و ليس يعتم إلاّ *** سكران مع سكران (8)

يسقيه كلّ غلام *** كأنّه غصن بان

من خندريس عقار *** كحمرة الأرجوان (9)

قال: فلقية بعد ذلك أبو دهمان، فقال: عليك لعنة الله فضحتني، و هتفت بي، و أذعت سرّي، لا أكلمك أبدا، و لا أعاشرك ما بقيت، فما تفرق بين صديقك و عدوك.

ص: 196

- 1- في ح: «عن من» و هو تحريف.
- 2- العشا: ضوء البصر. في الأصول: «يغشى»، تحريف.
- 3- القصف: الجلبة و الإعلان باللهو، و يقال إنها مولدة. و قصف علينا بالطعام قصفا أي تابع، و المقصود هنا اللهو و الغناء.
- 4- في الأصول: «عوداهما غير دان»، و الوجه ما أثبتنا.
- 5- سرعان القوم، بالتحريك: أوائلهم المستبقون.
- 6- الملدان: عنى به اللين الناعم.
- 7- المدهن: المنافق.
- 8- يعتم: يدخل في العتمة، و هي ثلث الليل الأوّل. و في الأصول: «يغنم».
- 9- الخندريس: الخمرة القديمة. و العقار: التي تذهب الوعي. و الأرجوان: الشديدة الحمرة.

أخبرني أحمد بن عيسى بن أبي موسى العجليّ العطار بالكوفة، قال: حدّثني عليّ بن عمرو بن عمار عن عمّه عليّ بن القاسم قال:

كنت ألف مطيع بن إياس، وكان جاري، وعنّني في عشرته جماعة، وقالوا لي: إنه زنديق. فأخبرته بذلك، فقال: وهل سمعت منّي أو رأيت شيئاً يدلّ على ذلك، أو هل وجدتنّي أخلّ بالفرائض في صلاة أو صوم؟ فقلت له:

والله ما اتهمتك و لكنتي خبّرتك بما قالوا. واستحييت منه. فعجل على السكر ذات يوم في منزله، فتمت عنده و مطرنا(1) في جوف الليل و هو معي، فصاح بي مرتين أو ثلاثا، /فعلمت أنّه يريد أن يصطحب، فكسلت أن أجيبه، فلما تيقن أنّي نائم جعل يردّد على نفسه بيتا قاله، و هو قوله:

أصبحت جمّ بلابل الصّدر *** عصرا أكاّتمه إلى عصر(2)

فقلت في نفسي: هذا يعمل شعرا في فنّ من الفنون. فأضاف إليه بيتا ثانيا، و هو قوله:

إن بحت طلّ دمي و إن تركت *** و قدت عليّ توقّد الجمر(3)

فقلت في نفسي: ظفرت بمطيع. فتنحنت، فقال لي: أما ترى هذا المطر و طيبه، أقعد بنا حتّى نشرب أقداحا.

فاغتمت ذلك، فلما شربنا أقداحا قلت له: زعمت أنّك زنديق. قال: و ما الذي صحّح(4) عندك أنّي زنديق؟ قلت:

قولك: «إن بحت طلّ دمي» و أنشدته البيتين، فقال لي: كيف حفظت البيتين و لم تحفظ الثالث؟ فقلت: و الله ما سمعت منك ثالثا. فقال: بلى قد قلت ثالثا. قلت: فما هو؟ قال:

مما جناه عليّ أبي حسن *** عمر و صاحبه أبو بكر(5)

من سرعة بديهته

أو حدّثني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا محمّد بن القاسم بن مهرويه قال: حدّثني إبراهيم بن المدبّر قال: حدّثني محمّد بن عمر الجرجاني قال:

جاء مطيع بن إياس إلى إخوان له و كانوا على شراب، فدخل الغلام يستأذن له، فلمّا سمع صاحب البيت يذكره خرج مبادرا، فسمعه يقول:

أمسيت جمّ بلابل الصّدر *** دهرا أزجّيه إلى دهر(6)

إن فهت طلّ دمي و إن كتمت *** و قدت عليّ توقّد الجمر

فلما أحس مطيع بأنَّ صاحب البيت قد فتح له استدرك البيتين بثالث فقال:

مما جناه علي أبي حسن *** عمر و صاحبه أبو بكر

و كان صاحب البيت يتشبع، فأكبَّ علي رأسه يقبّله و يقول: جزاك الله يا أبا مسلم خيرا!

ص: 197

1- مطرنا: نزل علينا المطر.

2- الجم: الكثير. و البلابل. وساوس الصدر و شدّة الهموم.

3- طل دمه، بالبناء للمجهول: أبيض، و قيل لم يثار به.

4- في الأصول: «صح».

5- هذا ما في ش. و في سائر النسخ: «ما جناه». و أبو حسن: كنية علي بن أبي طالب.

6- أزجيه: أسوقه. و قد سبق برواية أخرى.

بنت مطيع بن إياس، و ما رميت به من الزنادقة

و ذكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل الكاتب:

أنّ الرشيد أتى بنت مطيع بن إياس في الزنادقة، فقرأت كتابهم و اعترفت به، و قالت: هذا دين علّمنيّه أبي، و تبت منه. فقبل توبتها و ردّها إلى أهلها.

عقب مطيع بن إياس

قال أحمد: ولها نسل بجبل في قرية يقال لها: «الفراسيّة» قد رأيتهم، و لا عقب لمطيع إلاّ منهم.

دعوته يحيى بن زياد للشراب

أخبرني عمي قال: حدّثنا الكراني عن ابن عائشة قال: كان مطيع بن إياس نازلا بكرخ بغداد، و كان بها رجل يقال له: الفهميّ، مغنّ محسنّ، فدعاه مطيع و دعا بجماعة من إخوانه و كتب إلى يحيى بن زياد يدعو به هذه الأبيات.

قال:

عندنا الفهميّ مسرو *** ر و زمار مجيد

و معاذ و عياذ *** و عمير و سعيد

و ندامي يعملون ال *** قلز و القلز شديد

بعضهم ريحان بعض *** فهم مسك و عود

/قال: فأتاه يحيى، فأقام عنده و شرب معهم، و بلغت الأبيات المهديّ، فضحك منها، و قال: تنايك القوم و ربّ الكعبة.

قال الكراني: القلز: المبادلة(1).

وجدت هذا الخبر بخطّ ابن مهرويه، عن إبراهيم بن المدبّر عن محمّد بن عمر الجريدي. فذكر أنّ مطيعا اصطبح يوم عرفة و شرب يومه و ليلته، و اصطبح يوم الأضحى، و كتب إلى يحيى من اللّيل بهذه الأبيات:

قد شربنا ليلة الأض *** حى و سقينا يزيد

عندنا الفهميّ مسرو *** ر و زمار مجيد

وسليمان فتانا *** فهو يبدي ويعيد
ومعاذ و عياذ *** وعمير وسعيد
وندامي كلهم يق *** لز و القلز شديد
بعضهم ريحان بعض *** فهم مسك و عود
غالت الأنفس عنهم *** و تلقنتهم سعود
فترى القوم جلوسا *** و الخنا عنهم بعيد
/ او مطيع بن إياس *** فهو بالقصف وليد
و على كّر الجديدي *** ن و ما حلّ جليد

ص: 198

1- الذي تعرفه المعاجم أن القلز ضرب من الشرب، أو الوثب، فقد كني بذلك عن هذا الفعل.

دعوة عوف بن زياد لمطيع و جوابه على ذلك

و وجدت في كتاب بعقب هذا: و ذكر محمد بن عمر الجرجاني أن عوف(1) بن زياد كتب يوماً إلى مطيع: «أنا اليوم نشيط للشرب، فإن كنت فارغاً فسر إليّ، وإن كان عندك نبيذ طيب، و غناء جيد جئتك». فجاءته رقعته(2) و عنده حماد الراوية و حكم الواديّ، و قد دعوا غلاماً أمرد، فكتب إليه مطيع:

نعم لنا نبيذ *** و عندنا حماد

و خيرنا كثير *** و الخير مستزاد

و كلنا من طرب *** يطير أو يكاد

و عندنا وادينا *** و هو لنا عماد

و لهونا لذيد *** لم يلهه العباد

إن تشته فسادا *** فعندنا فساد

أو تشته غلاما *** فعندنا زياد

ما إن به التواء *** عنا و لا بعاد

قال: فلما قرأ الرقعة صار إليهم، فأتهم به يومه معهم.

مدح مطيع للغمر بن يزيد

أخبرنا محمد بن خلف بن المرزبان قال: حدّثني أبو بكر العامريّ عن عنبسة القرشيّ الكريزيّ عن أبيه قال:

مدح مطيع بن إياس الغمر بن يزيد بقصيدته التي يقول فيها:

لا تلح قلبك في شقائه *** ودع المتيمّم في بلائه(3)

كفكف دموعك أن يفيض *** ن بناظر غرق بمائه

ودع النسيب و ذكره *** فبحسب مثلك من عنائه

كم لذة قد نلتها *** و نعيم عيش في بهائه

/بنواعم شبه الدمي *** و الليل في ثنبي عمائه(4)

و اذكر فتى يمينه *** حثف الزمان لدى التوائه

و إذا أمية حصّلت *** كان المهذب في انتمائه

و إذا الأمور تقاومت *** عظما فمصدرها برائه (5)

و إذا أردت مديحه *** لم يكد قولك في بنائه (6)

ص: 199

1- في ح: «أن عون».

2- في الأصول: «رقعة».

3- لا تلح: لا تلم.

4- ثني عمائه: كناية عن شدة الظلام وازدواجه.

5- برائه: برأيه، أى تصدر عن رأيه.

6- لم يكد: لم يخب. يقال حفر فأكدى، أى بلغ الصلابة.

في وجهه علم الهدى *** و المجد في عطفي ردائه

و كأنما البدر المن *** ير مشبه به في ضيائه(1)

فأمر له بعشرة آلاف درهم، فكانت أول قصيدة أخذ بها جائزة سنوية، و حرّكته و رفعت من ذكره، ثم وصله بأخيه الوليد فكان من ندمائه.

استعطافه ليحيى بن زياد

أنشدني محمّد بن العباس اليزيديّ عن عمّه، لمطيع بن إياس يستعطف يحيى بن زياد في هجرة(2) كانت بينهما و تباعد: /

يا سمي النبيّ الذي خ *** صّ به الله عبده زكريا(3)

فدعاه الإله يحيى و لم يج *** عل له الله قبل ذاك سمياً

كن بصبّ أمسى بحبك برا *** إنّ يحيى قد كان براّ تقيا

رثاؤه له و أنشدني له يرثي يحيى بعد وفاته:

قد مضى يحيى و غودرت فردا *** نصب ما سرّ عيون الأعادي(4)

/ أو أرى عيني مذ غاب يحيى *** بدّلت من نومها بالسهاد

وسدته الكفّ منّي ترابا *** و لقد أرثي له من و ساد

بين جيران أقاموا صموتا *** لا يحIRON جواب المنادي

أيها المزن الذي جاد حتّى *** أعشبت منه متون البوادي

اسق قبراً فيه يحيى فأني *** لك بالشكر مواف مغاد(5)

شعره في جوهر حين بيعت

نسخت من نسخة بخط هارون بن محمّد بن عبد الملك قال:

لما بيعت جوهر التي كان مطيع بن إياس يشبّب بها قال فيها - وفيه غناء من خفيف الرمل أظنه لحكم :-

صاح غراب البين بالبين *** فكدت أنقذّ بنصفين

قد صار لي خدنان من بعدهم *** همّ وغمّ شرّ خدنين

أفدي التي لم ألق من بعدها *** أنسا و كانت قرّة العين

أصبحت أشكو فرقة البين *** لمّا رأيت فرقتهم عيني

ص: 200

1- في الأصول: «بسته في ضيائه».

2- الهجرة: الجفوة والهجران.

3- في الأصول: «باسم النبي» تحريف.

4- النصب، يقال هو نصب عيني، للشيء الظاهر الذي لا يخفى.

5- أوفى فلانا حقه: أعطاه إيفاء، كوفاه و وافاه. و المغادي: الذي يغادي، أي يياكر. و في الأصول: «مغادي» تحريف.

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال: حدّثنا العباس بن ميمون [بن] طائع قال: حدّثني ابن خرداذبه قال:

خرج مطيع بن إياس، و يحيى بن زياد حاجين، فقدّما أثقالهما وقال أحدهما للآخر: هل لك في أن نمضي إلى زرارة فنقصف ليلتنا عنده، ثم نلحق أثقالنا؟ فما زال ذلك دأبهم حتّى انصرف الناس من مكة. قال: فركبا بعيريهما و حلقا رءوسهما و دخلا مع الحجّاج المنصرفين. و قال مطيع في ذلك:

/

ألم ترني و يحيى قد حججنا *** و كان الحجّ من خير التجاره

خرجنا طالبي خير و برّ *** فمال بنا الطريق إلى زرارة

فعاد الناس قد غنموا و حجّوا *** و أبنا موقرين من الخساره

و قد روي هذا الخبر لبسّار و غيره.

شعره في ريم

أخبرني الحسن بن علي قال: حدّثنا الفضل بن محمد اليزيدي عن إبراهيم الموصلي عن محمد بن الفضل قال:

خرج جماعة من الشّعراء في أيام المنصور عن بغداد في طلب المعاش، فخرج يحيى بن زياد إلى محمد بن العباس و كنت في صحابته، فمضى إلى البصرة، و خرج حماد عجرد إليها معه، و عاد حماد الراوية إلى الكوفة، و أقام مطيع بن إياس ببغداد و كان يهوى جارية يقال لها: «ريم» لبعض النخاسين و قال فيها:

لولا مكانك في مدينتهم *** لظعنت في صحبي الألى ظعنوا(1)

/أو طنت ببغدادا بحبّكم *** و بغيرها لولاكم الوطن(2)

قال: و قال مطيع في صبح اصطبحة معها:

و يوم ببغداد نعمنا صباحه *** على وجه حوراء(3) المدامع تطرب

ببيت ترى فيه الرّجاج كأنه *** نجوم الدّجى بين التّدامى تغلّب

يصرف ساقينا و يقطب تارة *** فيا طيبها مقطوبة حين يقطب(4)

علينا سحيق الزعفران و فوقنا *** أكاليل فيها الياسمين المذهب

فما زلت أسقى بين صبح و مظهر *** من الرّاح حتّى كادت الشمس تغرب(5)

أو فيها يقول:

أمسى مطيع كلفا *** صبا حزينا دنفا (6)

حر لمن يعشقه *** برقه معترفا

ص: 201

-
- 1- في الأصول: «أظعت في صحبي»، تحريف.
 - 2- أوطن المكان: اتخذته وطنا.
 - 3- الحور: شدة بياض العين و سواد سوادها. و في الأصول: «حمراء».
 - 4- يقطب: يمزج.
 - 5- الصنج: آلة بأوتار يضرب بها، معرب.
 - 6- الدنف: المريض.

يا ريم فاشفي كبدا *** حرّى وقلبا شغفا(1)

وئوليني قبلة *** واحدة ثم كفى

قال وفيها يقول:

يا ريم قد أتلفت روحي فما *** منها معي إلا القليل الحقيق

فأذنبني إن كنت لم تذنبني *** في ذنوبا إن ربي غفور

ما ذا على أهلك لو جدت لي *** وزرتني يا ريم فيمن يزور

هل لك في أجر تجازي به *** في عاشق يرضيه منك اليسير

يقبل ما جدت به طائعا *** وهو وإن قلّ لديه الكثير

لعمري من أنت له صاحب *** ما غاب عنه في الحياة السرور

قال وفيها يقول:

يا ريم يا قاتلتي *** إن لم تجودي فعدي(2)

بيّضت بالمطل وإخلا *** فك وعدي كبدي

حالف عيني شهدي *** وما بها من رمد(3)

يا ليتني في الأحد *** أبليت مّي جسدي

لمن به من شقتوي *** أخذت حتفي بيدي

من شعره في جوهر

أنشدني علي بن سليمان الأخفش قال: أنشدني محمد بن الحسن بن الحرون عن ابن النطّاح لمطيع بن إياس، يقوله في جوهر جارية بربر:

يا بأبي وجهك من بينهم *** فإنه أحسن ما أبصر

يا بأبي وجهك من رائع *** يشبهه البدر إذا يزهر

جارية أحسن من حليها *** والحلي فيه الدرّ والجوهر

و جرمها أطيب من طيبها *** و الطيب فيه المسك و العنبر (4) /

جاءت بها بربر مكنونة *** يا حَبَّذا ما جلبت بربر

كأنما ريقتها قهوة *** صبَّ عليها بارد أسمر (5)

عبث مطيع بأبي العمير

أخبرني الحسين بن القاسم قال: حدَّثنا ابن أبي الدنيا قال: حدَّثني منصور بن بشر العمركي عن محمد بن الزيرقان قال:

ص: 202

- 1- الحرى. العطشى.
- 2- في الأصول: «يا قاتلي».
- 3- في الأصول: «حالفت».
- 4- الجرم: الجسم.
- 5- يعني العسل. وفي الأصول: «كأن ريقها».

كان مطيع بن إياس كثير العبث، فوقف على أبي العمير: رجل من أصحاب المعلّى الخادم، فجعل يعبث به ويمازحه إلى أن قال:

ألا أبلغ لديك أبا العمير *** أراني الله في استك نصف أير

فقال له أبو العمير: يا أبا سلمى، لوجدت لأحد بالأير كلّه لجدت به إلى ما بيننا من الصداقة، ولكنك بحبّك لا نريده كلّه إلا لك. فأفحمه، و لم يعاود العبث به.

قال: و كان مطيع يرمى بالأبنة.

ما دار بينه و بين صديق له حين سقط له حائط

قال: و سقط لمطيع حائط، فقال له بعض أصدقائه: احمد الله على السلامة! قال: احمد الله أنت الذي لم ترعك هدّته، و لم يصبك غباره، و لم تعدم أجرة بنائه.

مدحه جرير بن يزيد

/أخبرني إسماعيل بن يونس بن أبي اليسع الشيعي قال: حدّثنا عمر بن شبة قال:

وفد مطيع بن إياس إلى جرير بن يزيد بن خالد بن عبد الله القسريّ و قد مدحه بقصيدته:

أمن آل ليلى عزمت البكورا *** و لم تلق ليلى فتشفي الضميرا

و قد كنت دهرك فيما خلا *** لليلى و جارات ليلى زءورا

ليالي أنت بها معجب *** تهيم إليها و تعصي الأميرا

و إذ هي حوراء شبه الغزا *** ل تبصر في الطرف منها فتورا(1)

تقول ابنتي إذ رأيت حالي *** و قربت للبين عنسا و كورا(2)

إلى من أراك، وقتك الحتو *** ف نفسي، تجشمت هذا المسيرا

فقلت: إلى البجليّ الذي *** يفكّ العناة و يغني الفقيرا(3)

أخي العرف أشبه عند الندى *** و حمل المئين أباه جديرا(4)

عشير الندى ليس يرضى الندى *** يد الدهر بعد جرير عشيرا

إذا استكثر المجتدون القلي *** ل للمعتفين استقلّ كثيرا

إذا عسر الخير في المجتدي *** ن كان لديه عتيذا يسيرا

وليس بمانع ذي حاجة *** و لا خاذل من أتى مستجيرا

فنفسي وقتك أبا خالد *** إذا ما الكماة أغاروا النّمورا(5)

إلى ابن يزيد أبي خالد *** أخي العرف أعملتها عيسجورا(6)

ص: 203

-
- 1- الفتور: الضعف.
 - 2- العنس: الناقة الصلبة. و الكور: بالضم: الرحل أو هو بأداته.
 - 3- العناة: جمع عان، وهو الأسير.
 - 4- في الأصول: «إياه جديرا».
 - 5- الكماة: جمع كمي، وهو الرجل الشجاع المدجج بالسلاح. و النّمور: جمع نمر، أراد أنهم فاقوا النّمور في شجاعتهم.
 - 6- العيسجور: الناقة الصلبة و السريعة.

لنلقى فواضل من كفه *** فصادفت منه نوالا غزيرا

فإن يكن الشكر حسن الثنا ***ء بالعرف مني تجدني شكورا

بصيرا بما يستلذ الرّوا ***ة من محكم الشعر حتى يسيرا

إجازة جرير له سرا

فلما بلغ يزيد خبر قدومه دعا به ليلا، ولم يعلم أحد بحضوره، ثم قال له: قد عرفت خبرك، وإني متعجل لك جائزتك ساعتك هذه، فإذا حضرت غدا فإني سأخاطبك مخاطبة فيها جفاء، / أو أزدك نفقة طريقك و أصرفك، لئلا يبلغ أبا جعفر خبري فيهلكني. فأمر له بمائتي دينار، فلما أصبح أتاه، فاستأذنه في الإنشاد، فقال له: يا هذا لقد رميت بآمالك غير مرمي، وفي أي شيء أنا حتى ينتجني الشعراء؟ لقد أسأت إليّ لأنني لا أستطيع تبليغك محابك(1)، ولا آمن سخطك و ذمك. فقال له: تسمع ما قلت فإني أقبل ميسورك، وأبسط عذرك. فاستمع منه كالمتكلف المتكبر، فلما فرغ قال لغلامه: يا غلام كم مبلغ ما بقي من نفقتنا؟ قال: ثلاثمائة درهم. قال: أعطه مائة درهم لنفقة طريقه، و مائة درهم ينصرف بها إلى أهله، و احتسب لنفقتنا مائة درهم. ففعل الغلام ذلك، و انصرف مطيع عنه شاكرا، و لم يعرف أبو جعفر خبره.

بعض ما غنى فيه من شعره

أنشدني وكيع عن حماد بن إسحاق عن أمه، لمطيع بن إلياس، وفيه غناء:

واها لشخص رجوت نائله *** حتى اتنى لي بوّده صلفا

لانت حواشيه لي و أطمعني *** حتى إذا قلت نلته انصرفا

قال: و أنشدني حماد أيضا عن أبيه، لمطيع بن إلياس، وفيه غناء أيضا:

خليلي مخلف أبدا *** يمني غدا فغدا

/و بعد غد و بعد غد *** كذا لا ينقضني أبدا

له جمر على كبدي *** إذا حرّكته وقدا

و ليس بلابث جمر ال *** غضى أن يحرق الكبدا(2)

و في هذه الأبيات لعريب هزج.

أطيب الأشياء عند مطيع

أخبرني أحمد بن العباس العسكري قال: حدّثنا العنزى عن مسعود بن بشر قال:

قال الوليد بن يزيد لمطيع بن إياس: أيّ الأشياء أطيب عندك؟ قال: «صهباء صافية، تمزجها غانية، بماء غادية».

قال: صدقت.

ص: 204

1- محابك: ما تحب و تتمنى.

2- اللابث: المتوقف.

عربة مطيع على يحيى بن زياد و ذمه له ثم استرضاؤه

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال: حدّثني أبو عبد الله التميمي قال: حدّثنا أحمد بن عبيد. وأخبرني عمّي قال: حدّثنا الكراني عن العمريّ عن العتبيّ قال:

سكر مطيع بن إياس ليلة، فعربد على يحيى بن زياد عربة(1) قبيحة وقال له و قد حلف بالطلاق:

لا تحلفا بطلاق من *** أمست حوافرها رقيقه

مهلا فقد علم الأنا *** م بأنّها كانت صديقه

فهجر يحيى و حلف ألاّ يكلمه أبدا، فكتب إليه مطيع:

إن تصلني فمثلك اليوم يرجى *** عفوه الذنب عن أخيه و وصله

و لئن كنت قد هممت بهجري *** للذي قد فعلت إني لأهله

/وأحقّ الرّجال أن يغفر الذّن *** ب لإخوانه الموقّر عقله

الكريم الذي له الحسب الثا *** قب في قومه و من طاب أصله

و لئن كنت لا تصاحب إلاّ *** صاحبا لا تزلّ ما عاش نعله(2)

لا تجده و إن جهدت، و أتى *** بالذي لا يكاد يوجد مثله

إنّما صاحبي الذي يغفر الذن *** ب و يكفيه من أخيه أقلّه

/الذي يحفظ القديم من العه *** د و إن زلّ صاحب قلّ عدله

ورعى ما مضى من العهد منه *** حين يؤذي من الجهالة جهله(3)

ليس من يظهر المودّة إفكا *** و إذا قال خالف القول فعله

وصله للصديق يوما فإن طا *** ل فيومان ثم ينبت حبله

قال: فصالحه يحيى و عاود عشرته.

نزوله بدير كعب و شعره في جليس ثقيل

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا هارون بن محمّد بن عبد الملك قال: حدّثني أبو أيّوب المدنيّ قال:

حدّثني أحمد بن إبراهيم الكاتب قال: حدّثني أبي عن رجل من أهل الشام قال:

كنت يوماً نازلاً بدير كعب، قد قدمت من سفر، فإذا أنا برجل قد نزل الدير معه ثقل (4) وآلة و عيبة، فكان قريباً من موضعي، فدعا بطعام فأكل، ودعا الراهب فوهب له دينارين، وإذا بينه وبينه صداقة، فأخرج له شراباً فجلس يشرب ويحدّث (5) الراهب، وأنا أراهما، إذ دخل الدير رجل فجلس معهما، فقطع/حدّثهما و ثقل في مجلسه،

ص: 205

-
- 1- العربة: أن يؤذي النديم النديم بما يكره.
 - 2- زلة النعل: كناية عن الخطأ. وهو من قول النابغة: ولست بمستبق أخا لا تلمسه على شعث أي الرجال المهذب
 - 3- في الأصول: «يؤدي»، بالدال المهملة.
 - 4- الثقل، بالتحريك: متاع المسافر و حشمه.
 - 5- في الأصول: «ويجذب».

و كان غثّ الحديد، فأطال. فجاءني بعض غلمان الرجل النازل فسألته عنه، فقال: هذا مطيع بن إلياس. فلما قام الرجل و خرج كتب مطيع على الحائط شيئاً، و جعل يشرب حتى سكر، فلما كان من غد رحل، فجنّت موضعه فإذا فيه مكتوب:

طربة ما طربت في دير كعب *** كدت أفضي من طرتي فيه نحبي

و تذكّرت إخوتي و نداما *** ي فهاج البكاء تذكّار صحبي (1)

حين غابوا شتّى و أصبحت فردا *** و نأوا بين شرق أرض و غرب

و هم ما هم، فحسبي لا أب *** غي بديلا بهم لعمر كحسبي

طلحة الخير منهم و أبو المن *** ذر خلّي و مالك ذاك تربي (2)

أيها الداخل الثقيل علينا *** حين طاب الحديد لي و لصحبي

خفّ عنا فانت أثقل و الل *** ه علينا من فرسخي دير كعب

و من الناس من يخفّ و منهم *** كرحى البزر ركبت فوق قلبي

أخبرنا الحسن بن علي قال: حدّثنا ابن مهوريه قال: حدّثنا عمر بن محمّد قال: حدّثنا الحسين (3) بن إلياس، و يحيى بن زياد، و زاد العمل (4) حتى حلف يحيى بن زياد على بطلان شيء كلمه به مما دار بينهما، فقال مطيع:

/

لا تحلفا بطلاق من *** أمست حوافرها رقيقه

هيها قد علم الأمي *** ربأنها كانت صديقه

فغضب يحيى و حلف ألا يكلم مطيعا أبدا، و كانا لا يكادان يفترقان (5) في فرح و لا حزن، و لا شدّة و لا رخاء، فتباعدا ما بين يحيى و بينه، و تجافيا مدّة، فقال مطيع في ذلك، و ندم على ما فرط منه إلى يحيى؛ فكتب إليه بهذا الشّعر، قال:

كنت و يحيى كيد واحدة *** نرمي جميعا و ترانا معا

إن عضّني الدهر فقد عضّه *** يوجعنا ما بعضنا أوجعا

/أو نام نامت أعين أربع *** متّا و إن أسهر فلن يهجعنا

يسرني الدهر إذا سرّه *** و إن رماه فلنا فجّعا

حتى إذا ما السّيب في مفرقي *** لاح و في عارضه أسرعنا

سعى وشاة فمشوا بيننا *** و كاد حبل الود أن يقطعا

فلم ألم يحيى على فعله *** ولم أقل ملّ ولا ضيّعا

لكنّ أعداء لنا لم يكن *** شيطانهم يرى بنا مطمعا

ص: 206

1- كذا على الصواب في ح، وفي س: «ندماي» وفي ش: «ندمائي».

2- الترب بكسر التاء: ما ولد معك، وأكثر ما يستعمل في المؤنث يقال «هذه ترب فلانة».

3- كذا في الأصول. و ظاهر أن هناك سقطا بين السند وأول الخبر.

4- تكملة للخبر الذي سبق في ص 305. ولعلها: «وزاد في العريضة».

5- في ح: «أن يفترقا».

بيننا كذا غاش على غرة *** فأوقد التيران مستجمعا(1)

فلم يزل يوقدها دابنا *** حتى إذا ما اضطرمت أقلعا

أخبرنا الحسين بن يحيى المرديسي، عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن محمد بن الفضل السكوني. وأخبرنا محمد بن الحسن بن دريد، قال: حدثنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعي عن عمه. قال إسحاق في خبره: «دخل على إخوان يشربون»، وقال الأصمعي:

دخل سراحة بن الزندبور على مطيع بن إلياس ويحيى بن زياد، و عندهما قينة تغنيهما، فسقوه أقداحا و كان على الريق، فاشتد ذلك عليه، فقال مطيع للقينة: غني سراحة. فقالت له: أي شيء تختار؟ فقال: غني:

طبيبي داويتما ظاهرا *** فمن ذا يداوي جوى باطنا

ففظن مطيع لمعناه، فقال: ابك أكل؟ قال: نعم. فقدم إليه طعاما فأكل ثم شرب معهم. والله أعلم.

قول مطيع لمحمد بن سالم و شعره فيه

إشارة

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثني محمد بن هارون الأزرق مولى بني هاشم أخي أبي عشانة قال: حدثني الفضل بن محمد بن الفضل الهاشمي عن أبيه قال:

كان مطيع بن إلياس [يهوى] ابن مولى لنا يقال له محمد بن سالم، فأخرجت أباه إلى ضيعة لي بالريّ لينظر فيها، فأخرجه أبوه معه، و لم أكن عرفت خبر مطيع معه حتى أتاني، فأشدني لنفسه:

أيا ويحه لا الصبر يملك قلبه *** فيصبر لَمَّا قيل سار محمد

فلا الحزن يفنيه ففي الموت راحة *** فحتي متى في جهده يتجلد

قد اضحى صريعا باديات عظامه *** سوى أنّ روحا بينها تتردد

كئيبا يمّني نفسه بلقائه *** على نأيه و الله بالحزن يشهد

يقول لها صبرا عسى اليوم آنب *** يالفك أو جاء بطلعته الغد

و كنت يدا كانت بها الدهر قوتي *** فأصبحت مضنى منذ فارقني يدي

في أخبار مطيع التي تقدّم ذكرها آنفا أغفلت عن نسبتها حتى انتهيت إلى هذا الموضوع فنسبتها فيه:

طبيبي داويتما ظاهرا *** فمن ذا يداوي جوى باطنا

فقوما اكوياني ولا ترحما *** من الكي مستحصفا راصنا(2)

او مرّا على منزل بالغميم *** فإتي عهدت به شادنا(3)

فتور القيام رخيم الكلى *** م كان فؤادي به راهنا

ص: 207

1- في ح: «غاس» بالسين المهملة، وكلاهما تحريف.

2- المستحصف: الشديد. والراصن، كذا صحح في «مهدب الأغاني». ولعله وصف من رصن رصانة. وفي الأصول: «راضيا»، وهو تحريف.

3- الشادن: الغزال الصغير.

الشعر فيما ذكر عبد الله بن شبيب عن الزبير بن بكار، وعمرو بن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل القرشي العدوي، والغناء لمعبد، ولحنه ثقيل أول بالوسطى في مجراها عن إسحاق وعمرو، وفيه لأبي العيس بن حمدون ثاني ثقيل مطلق في مجرى البنصر، وهو من صدور أغانيه ومختارها وما تشبه فيه بالأوائل. ولو قال قائل: إنه أحسن صنعة له صدق.

أخبرني الحسين بن يحيى، عن حماد عن أبيه، أن غيلان بن خرشة الصبي دخل إلى قوم من إخوانه وعندهم قينة، فجلس معهم وهو لا يدري فيم هم، حتى غنت القينة:

طبيبي داويتما ظاهرا *** فمَن ذا يداوي جوى باطنا

و كان أعرابيا جافيا به لوثة(1)، فغضب و وثب و هو يقول: السوط ورب غيلان يداوي ذلك الجوى! و خرج من عندهم.

و هذا الخبر مذكور في أخبار معبد من كتابي هذا وغيره، و لكن ذكره هاهنا حسن فذكرته.

و ما فيها من الأغاني قول مطيع

صوت

أمسيت جمّ بلابل الصدر *** دهرا أزجيه إلى دهر

إن فهت طلّ دمي و إن كتمت *** و قدت عليّ توقّد الجمر(2)

الغناء لحكم الواديّ، هزج بالبنصر عن حبش الهشاميّ.

مطيع و جوهر المغنية

أخبرني ابن الحسين قال حدّثنا حماد بن إسحاق عن صباح بن خاقان قال:

دخلت علينا جوهر المغنية جارية بربر(3)، و كانت محسنة جميلة ظريفة، و عندنا مطيع بن إياس و هو يلعب بالشطرنج، و أقبل عليها بنظره و حديثه، ثم قال:

و لقد قلت معلنا *** لسعيد و جعفر

إن أتتني منيتي *** فدمي عند بربر(4)

قتلتني بمنعها *** [لي] من وصل جوهر

قال: و جوهر تضحك منه.

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعيد عن أبي توبة قال:

ص: 208

-
- 1- اللوثة: الحمق و مس الجنون.
 - 2- في ج: «إني فهمت طل يدي».
 - 3- في ج: «جارية يزيد».
 - 4- في كل الأصول: «إن ابنتي منيتي»، وهو تصحيف.

بلغ مطيع بن إياس أن حماد عجرد عاب شعرا ليحيى بن زياد قاله في منقذ بن بدر الهلالي، فأجابه منقذ عنه بجواب، فاستخفهما [حماد] عجرد، و طعن عليهما، فقال فيه مطيع:

/

أيها الشاعر الذي *** عاب يحيى و منقذا

أنت لو كنت شاعرا *** لم تقل فيهما كذا

لست و الله فاعلمن *** لدي النقد جهذا(1)/

تعديل الصبر بالرضى *** شائب الصنّف بالقذى(2)

مطيع و مكنونة جارية المروانية

أخبرني عيسى بن الحسين قال حدّثنا عبد الله بن أبي توبة عن ابن أبي منيع الأحدب قال:

كنت جالسا مع مطيع بن إياس، فمرّت بنا مكنونة جارية المروانية، و كان مطيع و أصحابنا يألّفونها، فلم تسلّم، و عبث بها مطيع بن إياس فشتّمته، فالتفت إليّ و أنشأ يقول:

فديت من مرّ بنا *** يوما و لم يتكلم

و كان فيما خلا من *** ه كلما مر سلّم

و إن رأني حيّا *** بطرفه و تبسّم

لقد تبدّل - فيما *** أظنّ - و الله أعلم

فليت شعري ما ذا *** عليّ في الود ينقم

يا ربّ إنك تعلم *** أني بمكنون مغرم

و أنني في هواها *** ألقى الهوان و أعظم

يا لائمي في هواها *** احفظ لسانك تسلّم

و اعلم بأنك مهما *** أكرمت نفسك تكرم

إنّ الملول إذا ما *** ملّ الوصال تجرّم(3)

أولا فما لي أجفى *** من غير ذنب وأحرم

مطيع يشب بجوهر ثم يهجوها

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال:

كان مطيع بن إياس يألف جوارى بربر، ويهوى منهنّ جاريتها المسماة جوهر، وفيها يقول؛ ولحكم فيه غناء:

خافي الله يا بربر *** لقد أفسدت ذا العسكر (4)

ص: 209

1- الجهبذ: النقاد الخبير.

2- في كل الأصول: «من وصفوا لي القذى».

3- تجرم عليه: ادعى عليه ذنبا لم يفعله.

4- في التفعيلة الأولى من الشطر الأول «خرم».

إذا ما أقبلت جوهراً *** يفوح المسك والعنبر

و جوهراً درّة الغوّاء *** ص من يملكها يحبر (1)

لها ثغر حكى الدرّ *** وعينا رشياً أحور (2)

في هذه الأبيات هزج لحكم الواديّ. قال وفيها يقول:

أنت يا جوهراً عندي جوهراً *** في قياس الدرر المشتهرة

أو كشمس أشرقت في بيتها *** قذفت في كل قلب شره

و كأنّي ذائق من فمها *** كلما قبّلت فها سكره

و كأنّي حين أخلو معها *** فائز بالجنة المختصرة

قال: فجاءها يوماً، فاحتجبت عنه فسأل عن خبرها، فعرف أن فتى من أهل الكوفة يقال له ابن الصّحّاف يهواها متخلّ (3) معها، فقال مطيع يهجوها:

نالك والله جوهراً الصّحّاف *** وعليها قميصها الأفواف (4)

اشام فيها أيرا له ذا ضلوع *** لم يشنه ضعف ولا إخطاف (5)

جدّ دفعا فيها فقالت ترفّق *** ما كذا يا فتى تنك الطّراف

المهدي يسمع شعر مطيع في جوهراً فيقول اجمعوا بينهما

/أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا هارون بن محمّد بن عبد الملك قال، قال محمّد بن صالح بن النطاح: أنشد المهديّ قول مطيع بن إياس:

خافي الله يا بربر *** لقد أفتنت ذا العسكر

بريح المسك والعنبر *** و ظبي شادن أحور (6)

و جوهراً درّة الغوّاء *** من يملكها يحبر (7)

أما والله يا جوهراً *** لقد فقت على الجوهراً

فلا والله ما المهديّ *** أولى منك بالمنبر

فقال المهدي: اللهم العنهما جميعاً، ويلكم! أجمعوا بين هذين قبل أن تخلعنا هذه القحبة. و جعل يضحك من قول مطيع. و وجدت أبيات مطيع الثلاثة التي هجا بها جوهر في رواية يحيى بن علي أتم من رواية إسحاق و هي بعد البيتين الأولين:

ص: 210

-
- 1- يحبر: يسر. وفي الأصول: «يجبر».
 - 2- الرشأ: الظبي إذا قوي و مشي مع أمه. أحور: الحور شدة سواد سواد العين و بياض بياضها.
 - 3- متخل: متفرغ.
 - 4- الأفواف: الرقيق. و في حديث عثمان «خرج و عليه حلة أفواف».
 - 5- في الأصول: «شام فيها إنزاله» و هو تصحيف. شام: أدخل. و الإخطاف: الضمور.
 - 6- الظبي الشادن: الذي قوي و طلع قرناه و استغنى عن أمه.
 - 7- في الأصول: «يجبر». و انظر ما مضى في الصفحة السابقة.

زعموها قالت وقد غاب فيها *** قائما في قيامه استحشاف

وهو في جارة استنها يتلظى *** يا فتى هكذا تناك الظراف (1)

ناكها ضيفها وقيل فاها *** يا لقومي لقد طغى الأضياف

لم يزل يرهز الشهية حتى *** زال عنها قميصها والعطاف (2)

او قال هارون بن محمد في خبره:

بيعت جوهر جارية بربر، فاشترتها امرأة هاشمية من ولد سليمان بن علي كانت تغني بالبصرة وأخرجتها، فقال مطيع فيها:

لا تبعدني يا جوهر *** عنا وإن شطّ المزار

ويلي لقد بعدت ديا *** رك سلّمت تلك الديار

يشفى بريقتها السقا *** م كأن ريقتها العقار (3)

بيضاء واضحة الجبي *** ن كأن غرّتها نهار

القلب قلبي وهو عن *** د الهاشمية مستعار

مطيع يهجو كلواذي

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال حدّثنا العنزي قال: حدّثنا علي بن منصور المؤدب أن صديقا لمطيع دعاه إلى بستان له بكلواذي (4)، فمضى إليها، فلم يستطعها، فقال يهجوها:

بلدة تمطر التراب (5) على النا *** س كما يمطر السماء الرذاذا

وإذا ما أعاذ ربي بلادا *** من خراب كبعض ما قد أعادا

خربت عاجلا (6) ولا أمهلت يو *** ما ولا كان أهلها كلواذي

أثر مطيع وأصحابه في معامل من تجار الكوفة

أخبرني محمد بن جعفر النحوي قال حدّثنا طلحة بن عبد الله أبو إسحاق الطلحي قال حدّثني عافية بن شبيب بن خاقان التميمي أبو معمر قال:

كان لمطيع بن إياس معامل من تجار الكوفة، فطالت صحبته إياه وعشرته له/حتى شرب النبيذ، وعاشر تلك الطبقة، و أفسدوا دينه، فكان إذا شرب يعمل كما يعملون، وقال كما يقولون، وإذا صحا تهيب ذلك/أو خافه، فمرّ يوماً بمطيع بن إياس وهو جالس على باب داره، فقال له: من أين أقبلت؟ قال: شيعت صديقا لي حجّ، ورجعت كما ترى ميتا من ألم الحرّ والجوع والعطش. فدعا مطيع بغلامه وقال له: أيّ شيء عندك؟ فقال له: عندي من الفاكهة كذا، و من البوارد والحارّ كذا، و من الأشربة و الثلج و الرياحين كذا، و قد رشّ الخيش و فرغ من الطعام. فقال

ص: 211

-
- 1- في الأصول: «وهي في» وفي س، ب «حارة استها تتلظى» وهو تصحيف.
 - 2- يرهز: يحرك. العطف: الرداء.
 - 3- في ح و ب: «ريقها». العقار: الخمر.
 - 4- كلواذي: مدينة قرب مدينة السلام.
 - 5- في س، ب: «السحاب»، وفي «معجم البلدان»: «التراب»، وهو ما أثبتناه.
 - 6- في س، ب، ح: «عاملا» وهو تحريف، والصواب ما أثبتناه.

له: كيف ترى هذا؟ فقال: هذا والله العيش وشبه الجنة. قال: أنت الشريك فيه على شريطة إن وفيت بها وإلا انصرفت. قال: وما هي؟ قال: تشتم الملائكة وتزل. فنفر التاجر وقال: قبح الله عشرتكم قد فضحتموني وهتكتموني. ومضى فلم يبعد حتى لقيه حمّاد عجرد فقال له: ما لي أراك نافرا جزعا؟ فحدثه حديثه. فقال: أساء مطيع - قبحه الله - وأخطأ، وعندى والله ضعف ما وصف لك؛ فهل لك فيه؟ فقال: أجل (1)، بي والله إليه أعظم فاقة. قال: أنت الشريك فيه على أن تشتم الأنبياء فإنهم تعبّدونا بكل أمر معنت متعب، ولا ذنب للملائكة فنشتمهم.

فنفر التاجر وقال: أنت أيضا فقبحك الله، لا أدخل! ومضى فاجتاز بيحيى بن زياد الحارثي فقال له: ما لي أراك يا أبا فلان مرتاعا؟ فحدثه بقصته. فقال: قبحهما الله لقد كلفاك شططا، وأنت تعلم أن مروءتي فوق مروءتهما، وعندى والله أضعاف ما عندهما، وأنت الشريك فيه على خصلة تنفعك ولا تضرك، وهي خلاف ما كلفاك إياه من الكفر.

قال: ما هي؟ قال: تصلي ركعتين تطيل ركوعهما وسجودهما، وتصليهما وتجلس، فنأخذ في شأننا، فضجر التاجر وتأفف وقال: هذا شرّ من ذلك، أنا تعب ميت، تكلفني صلاة طويلة في غير برّ/و لا لإطاعة يكون ثمنها أكل سحت (2) وشرب خمر وعشرة فجرة وسماع مغنيات قحاب. وسبّه وسبهما ومضى مغضبا. فبعث خلفه غلاما وأمره برده، فردّه كرها، وقال: انزل الآن على ألا تصلي اليوم بته. فشتمه أيضا وقال: ولا هذا. فقال: انزل الآن كيف شئت وأنت ثقيل غير مساعد. فنزل عنده. ودعا يحيى مطيعا وحمادا، فعبثا بالتاجر ساعة وشتماه، ثم قدّم الطعام، فأكلوا وشربوا وصلى التاجر الظهر والعصر، فلما دبت الكأس فيه قال له مطيع: أيما أحب إليك: تشتم الملائكة أو تنصرف؟ فشتمهم. فقال له حماد: أيما أحب إليك: تشتم الأنبياء أو تنصرف؟ فشتمهم. فقال له يحيى: أيما أحب إليك: تصلي ركعتين أو تنصرف؟ فقام فصلى الركعتين، ثم جلس فقالوا له: أيما أحب إليك: تترك باقي صلاتك اليوم أو تنصرف؟ قال: بل أتركها بابني الزانية ولا أنصرف. فعمل كل ما أرادوه منه.

رأي المهدي في أخلاق مطيع

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن محمد بن الفضل السكوني قال:

رفع صاحب الخبر إلى المنصور أنّ مطيع بن إياس زنديق، وأنه يعاشر ابنه جعفرا وجماعة من أهل بيته، ويوشك أن يفسدوا أديانهم وينسبوا إلى مذهبه. فقال له المهدي: أنا به عارف، أمّا الزندقة فليس من أهلها، ولكنه خبيث الدين فاسق مستحلّ للمحارم. قال: فأحضره وانه عن صحبة جعفر وسائر أهله. فأحضره المهدي وقال له:

يا خبيث يا فاسق، قد أفسدت أخي ومن تصحبه من أهلي، والله لقد بلغني أنهم يتقادعون (3) عليك، ولا يتم لهم سرور إلا بك، فقد اغرّرتهم وشهّرتهم في الناس، ولو لا أنني شهدت لك عند أمير المؤمنين بالبراءة مما نسبت إليه بالزندقة، لقد كان أمر بضرب عنقك. و قال للربيع: اضربه مائتي/سوط واحبسه. قال: ولم يا سيدي؟ قال: لأنك سكير خمير (4) قد أفسدت أهلي كلّهم بصحبتك. فقال له: إن أذنت وسمعت احتجاجت. قال: قل. قال: أنا امرؤ شاعر، وسوقي إنما تنفق مع الملوك، وقد كسدت عندكم، وأنا في أيامكم مطّرح، وقد رضيت فيها مع سعتها للناس جميعا بالأكل على مائدة أخيك، لا يتبع ذلك عشيرة، وأصفيته على ذلك شكري وشعري، فإن كان ذلك عابئا عندك تبت منه. فأطرق، ثم قال: قد رفع إلي صاحب الخبر أنك تتماجن على السؤال وتضحك منهم. قال: لا، والله ما ذلك من فعلي ولا شائي، ولا جرى مني قط إلا مرة؛ فإن سائلا أعمى اعترضني - وقد عبرت الجسر على بغلتي -

- 1- في الأصول: «أشد».
- 2- السحت: ما خبث من المكاسب و حرم فلزم عنه العار.
- 3- التقادع: التهافت. وفي الأصول: «يتقارعون» تحريف.
- 4- الخمير: الدائم الشرب للخمر.

وظنني من الجند، فرغ عصاه في وجهي ثم صاح: اللهم سخر الخليفة لأن يعطي الجند أرزاقهم، فيشتروا من التجار الأمتعة، ويريح التجار عليهم فتكثر أموالهم، فتجب فيها الزكاة عليهم، فيصدّقوا عليّ منها. فنفرت بقلبي من صياحه ورفع عصاه في وجهي حتى كدت أسقط في الماء، فقلت: يا هذا ما رأيت أكثر فضولا منك، سل الله أن يرزقك ولا تجعل هذه الحوالات والوسائط التي لا يحتاج إليها، فإن هذه المسائل فضول، فضحك الناس منه، ورفع عليّ في الخبر قولي له هذا. فضحك المهدي وقال: خلّوه ولا يضرب ولا يحبس. فقال له: أدخل عليك لموجدة(1) وأخرج عن رضى وتبرأ ساحتى من عضيهة(2) وأنصرف بلا جائزة؟ قال: لا يجوز هذا، أعطوه مائتي دينار ولا يعلم بها الأمير، فيتجدّد عنده ذنوبه.

تولية مطيع صدقة البصرة

قال: وكان المهدي يشكر له قيامه في الخطباء ووضع الحديث لأبيه في أنه المهديّ. فقال له: اخرج عن بغداد ودع صحبة جعفر حتى ينسأك أمير المؤمنين غدا. فقال له: فأين أقصد؟ قال: /أكتب لك إلى سليمان بن علي فيوليك عملا ويحسن إليك. قال: قد رضيت. فوفد إلى سليمان بكتاب المهدي، فولاه الصدقة بالبصرة وكان عليها داود بن أبي هند، فعزله به.

حدّثني محمّد بن هاشم بن محمّد الخزاعي قال: حدّثنا عيسى بن إسماعيل تينة عن ابن عائشة أن مطيع بن إياس قدم على سليمان بن علي بالبصرة - وواليها على الصدقة داود بن أبي هند - فعزله وولّى عليها مطيعا.

مطيع يهجو مالك بن أبي سعدة

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني أبو توبة عن بعض البصريين قال:

كان مالك بن أبي سعدة عمّ جابر الشطرنجي جميل الوجه حسن الجسم، وكان يعاشر حماد عجرد و مطيع بن إياس و شرب معهما فأفسد بينهما وبينه و تباعد. فقال حماد عجرد يهجوه:

أتوب إلى الله من مالك *** صديقا و من صحبتي مالكا

فإن كنت صاحبته مرة *** فقد تبت يا ربّ من ذلكا

قال: و أنشدّها مطيعا، فقال له مطيع: سخنت عينك! هكذا تهجو الناس؟ قال: فكيف كنت أقول؟ قال: كنت تقول:

نظرة ما نظرتها *** يوم أبصرت مالكا

في ثياب معصفرا *** ت على الوجه باركا

تركنتي ألوط من *** بعد ما كنت ناسكا

نظرة ما نظرتها *** أو ردتني المهالكا

أخبرني عيسى بن الحسين قال حدّثنا حماد عن أبيه عن الهيثم بن عدي قال:

كان مطيع بن إياس منقطعا إلى جعفر بن المنصور، فطالت صحبته له بغير فائدة، فاجتمع يوما مطيع و حماد

ص: 213

1- الموجدة: الغضب. وفي أ، ب: «الموجدة».

2- العضية: الإفك، و البهتان، و النميمة.

عجرد و يحيى بن زياد، فتذاكروا أيام بني أمية وسعتها ونضرتها وكثرة ما أفادوا فيها، و حسن مملكتهم(1) و طيب دارهم بالشأم، و ما هم فيه ببغداد من القحط في أيام المنصور، و شدة الحرّ، و خشونة العيش، و شكوا الفقر فأكثرُوا، فقال مطيع بن إياس: قد قلت في ذلك شعرا فاسمعوا. قالوا: هات. فأنشدهم:

حبّذا عيشنا الذي زال عنا *** حبّذا ذاك حين لا حبّذا(2) ذا

أين هذا من ذاك سقيا لهذا *** ك و لسنا نقول سقيا لهذا(3)

زاد هذا الزمان عسرا و شرا *** عندنا إذ أحلّنا بغداذا

بلدة تمطر التراب على النا *** س كما يمطر السماء الرّذاذا

خربت عاجلا و أخرب ذو العر *** ش بأعمال أهلها كلواذي(4)

أخبرني عيسى بن الحسين عن حماد عن أبيه قال:

لما خرج حماد بن العباس إلى البصرة، عاشر جماعة من أهلها و أدبائها و شعرائها، فلم يجدهم كما يريد، و لم يستطع عشرتهم و استغلظ طبعهم، و كان هو و مطيع بن إياس و حماد الراوية و يحيى بن زياد كأنّهم نفس واحدة، و كان أشدّهم أنسا به مطيع بن إياس، فقال حماد يتشوّقه:

/

لست و الله بناس *** لمطيع بن إياس

ذاك إنسان له فض *** ل على كلّ أناس

غرس الله له في *** كبدي أحلى غراس

فإذا ما الكاس دارت *** و احتساها من أحاسي

كان ذكرانا مطيعا *** عندها ريحان كاسي

مطيع يصف ليالي قضاها في بستان له بالكرخ و يتشوّق إلى يحيى بن زياد

حدّثنا عيسى بن الحسين عن حماد عن أبيه قال:

دعا مطيع بن إياس صديقا له من أهل بغداد إلى بستان له بالكرخ، يقال له بستان صَبّاح، فأقام معه ثلاثة أيام في فتيان من أهل الكرخ مرد و شبّان، و مغنّين و مغنّيات، فكتب مطيع إلى يحيى بن زياد الحارثي يخبره بأمره و يتشوّقه، قال:

كم ليلة بالكرخ قد بتّها *** جدلان في بستان صبتاح

في مجلس تنفح أرواحه *** يا طيبها من ريح أرواح

يدير كأسا فإذا ما دنت *** حفّت بأكواب و أقداح

في فتية بيض بها ليل ما *** إن لهم في الناس من لاح (5)

/

ص: 214

-
- 1- في س، ب: «ملكتهم» وفي ح «مملكتهم».
 - 2- في س، ب: «ذاك لا جبدا» وفي ح: «ذاك حين لا جبدا» وهو الصحيح.
 - 3- في س، ب: «لذا» وفي ح: «لهذا» وهو الصواب.
 - 4- كذا: في س، ب، ح. وفي «معجم البلدان»: خربت عاجلا ولا أمهلت يوما ولا كان أهلها كلواذى
 - 5- بهاليل: جمع بهلول وهو الضحك أو السيد الجامع لكل خير. لاح: لائم.

لم يهنني ذاك لفقد امرئ *** أبيض مثل البدر وضح

كأنما يشرق من وجهه *** إذا بدا لي ضوء مصباح

قال: فلما قرأ يحيى هذه الأبيات قام من وقته، فركب إليهم، و حمل إليهم ما يصلحهم من طعام و شراب و فاكهة، فأقاموا فيه أياما على قصفهم حتى ملوا، ثم انصرفوا.

روايته شعرا لفتى كوفي

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه عن محمد بن الفضل قال: قال مطيع بن إياس:

جلست أنا و يحيى بن زياد إلى فتى من أهل الكوفة كان ينسب إلى الصّبوة(1) و يكتم ذلك، ففاوضناه و أخذنا في أشعار العرب و وصفها الببد و ما أشبه ذلك، فقال:

لأحسن من بيد يحار بها القطا *** و من جبلي طيّ و وصفكما سلعا(2)

تلاحظ عيني عاشقين كلاهما *** له مقلة في وجه صاحبه ترعى

المهدي يعاتب مطيع بن إياس

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال حدثني أبو المضاء قال:

عاتب المهدي مطيع بن إياس في شيء بلغه عنه، فقال له: يا أمير المؤمنين، إن كان ما بلغك عني حقا فما تغني المعاذير، و إن كان باطلا(3) فما تضر الأباطيل. فقبل عذره و قال: فإنّا ندعك على حملتك و لا نكشفك. و الله أعلم.

مطيع و أصحابه يشربون و معهم جوهر المغنية

إشارة

حدثني عمي الحسن بن محمد قال حدثنا الكراني قال حدثنا العمري عن الهيثم بن عدي قال:

اجتمع حماد الراوية و مطيع بن إياس و يحيى بن زياد و حكم الوادي يوما على شراب لهم في بستان بالكوفة، و ذلك في زمن الربيع، و دعوا جوهر المغنية، و هي التي يقول فيها مطيع:

أنت يا جوهر عندي جوهره *** في قياس الدرر المشتهرة

فشربوا تحت كرم معروش حتى سكروا، فقال مطيع في ذلك:

خرجنا نمتطي الزهرا *** ونجعل سقفنا الشجرا

ونشربها معتقة *** تخال بكأسها شررا

و جوهر عندنا تحكي *** بدارة وجهها القمررا

يزيدك وجهها حسنا *** إذا ما زدته نظرا

و جوهر قد رأيناها *** فلم نر مثلها بشررا

ص: 215

1- الصبوة: جهلة الفتوة واللهم من الغزل.

2- القطا: جمع قطة وهي طائر في حجم الحمام، وقد يطلق الحمام عليه للمشابهة. سلع: موضع بقرب المدينة، وقيل جبل بالمدينة.

3- في ب، ح: «وإن باطلا».

غنى فيه حكم غناء خفيفا، فلم يزالوا يشربون عليه بقية يومهم. وقد روي أن بعض هذا الشعر للمهدي وأنه قال منه واحدا، وأجازه بالباقي بعض الشعراء. وهذا أصح. لحن حكم في هذا الشعر خفيف رمل بالوسطى.

مطيع يهجو أباه

حدّثنا محمّد بن خلف وكيع قال حدّثني حماد عن أبيه قال:

كان مطيع بن إياس عاقا بأبيه شديد البغض له و كان يهجوّه، فأقبل يوما من بعد، و مطيع يشرب مع إخوان له، فلما رآه أقبل على أصحابه فقال:

هذا إياس مقبلا *** جاءت به إحدى الهنات (1)

هوّز فوه و أنفه *** كلمنّ في إحدى الصّفات /

و كأنّ سعفص بطنه *** و الثغر شين قريشات (2)

لما رأيتك آتيا *** أيقنت أنك شرّ آت

مطيع يمدح معن بن زائدة

حدّثني جعفر بن قدامة بن زياد الكاتب قال حدّثني حماد بن إسحاق عن أبيه عن محمّد بن الفضل السكوني قال:

مدح مطيع بن إياس معن بن زائدة بقصيدته التي أولها:

/

أهلا و سهلا بسيد العرب *** ذي الغرر الواضحات و النّجب

فتى نزار و كهلها و أخي ال *** جود حوى غايته من كتب (3)

قيل أتاكم أبو الوليد فقا *** ل الناس طرافي السهل و الرّحب

أبو العفّاة الذي يلوذ به *** من كان ذا رغبة و ذا رهب

جاء الذي تفرج الهموم به *** حين يلزّ الوضين بالحقب (4)

جاء و جاء المضاء يقدمه *** رأي إذا همّ غير مؤتشب (5)

شهم إذا الحرب شتّ دائرها *** أعادها عودة على القطب(6)

يطفئ نيرانها و يوقدها *** إذا خبت نارها بلا حطب

إلا بوقع المذكرات يشبهه *** ن إذا ما انتصين بالشهب(7)

ص: 216

1- الهنات: الشرور و الفساد.

2- في ب، ج: «سين قريسات». وقد تصرف الشاعر في أخوات أبجد، كما ترى: فقريشات هي «قرشت».

3- في كل الأصول: «حوى عانيه».

4- يلز: يقرن. الوضين: بطن عريض منسوج من سيور أو شعر. الحقب: الحزام الذي يلي حقو البعير.

5- هذه رواية «مهذب الأغاني». وفي الأصول: جاء و جاء المضا بقدومه رأى إذا هم غير مؤتشب مؤتشب: مختلط. يريد أنه غير متردد.

6- في كل الأصول: «الحب». وفي س: «أعاد» وفي ب، ج: «أعاده» و هو خطأ.

7- المذكرات: جمع مذكر، و هو السيف ذو الماء.

- لم أرقنا له يبارزه *** إلا أراه كالصقر و الخرب(1)
- ليث بخفان قد حمى أجما *** فصار منها في منزل أشب(2)
- شبله قد أدبا به فهما *** شبهاه في جدّه و في لعب(3)
- قد ومقا شكله و سيرته *** و أحكما منه أكرم الأدب(4)
- نعم الفتى تقرن الصّعب به *** عند تجاّثي الخصوم للركب(5)
- و نعم ما ليلة الشتاء إذا اس *** تنبح كلب القرى فلم يجب
- لا و نعم عنده مخالفة *** مثل اختلاف الصّعود و الصّبب(6)
- يحصر من لا فلا يهّم بها *** و منه تضحي نعم على أرب(7)
- ترى له الحلم و التّهي خلقا *** في صولة مثل جاحم اللّهب
- سيف الإمامين ذاك و ذا إذا *** قلّ بناء الوفاء و الحسب
- ذا هودة لا يخاف نبوتها *** و دينه لا يشاب بالريب(8)
- فلما سمعها معن قال له: إن شئت مدحناك كما مدحتنا و إن شئت أثبناك. فاستحيا مطيع من اختيار الثواب على المديح و هو محتاج إلى الثواب، فأنشأ يقول لمعن:
- ثناء من أمير خير كسب *** لصاحب فاقة و أخي ثراء(9)
- و لكنّ الزمان برى عظامي *** و ما مثل الدراهم من دواء
- فضحك معن حتى استلقى و قال: لقد لطفت(10) حتى تخلصت منها، صدقت، لعمرى ما مثل الدراهم من دواء! و أمر له بثلاثين ألف درهم، و خلع عليه و حمّله(11).

مطبع و صديق له عربي

أخبرني محمّد بن يحيى الصولي قال حدّثني المهلبّي عن أبيه عن إسحاق قال: كان لمطيع بن إياس صديق من العرب يجالسه، فضرط ذات يوم و هو عنده، فاستحيا و غاب عن المجلس، فتفقّده مطيع و عرف سبب انقطاعه، فكتب إليه و قال:

- 1- الخرب: ذكر الحبارى، وهي طائر.
- 2- خفان: موضع معروف قرب الكوفة، وهو مأسدة فيه غياض ونزور. أشب: كثير الشجر.
- 3- في الأصول: «أزيابه»، «يشبهاه»، «جدة».
- 4- ومقا: أحبا.
- 5- جثا: جلس على ركبتيه للخصومة ونحوها.
- 6- في الأصل: «لا نعم».
- 7- في ب، س «يحضر هزلا» وفي ح «يحضر من لا» و ما أثبتناه هو الأوفق.
- 8- اليهودة: التوبة والرجوع إلى الحق.
- 9- في ب، ج: «لصاحب معن».
- 10- لطف: رفق.
- 11- حملة: أعطاه دابة تحمله.

أظهرت منك لنا هجرا و مقلية *** و غبت عنا ثلاثا لست تغشانا(1)

هوّن عليك فما في الناس ذو إبل *** إلا و أنيقه يشردن أحيانا

مجون مطيع و أصحابه في الصلاة

/أخبرني أبو الحسن الأسدي قال حدّثني العباس بن ميمون طائع قال حدّثنا بعض شيوخنا البصريين الظرفاء و قد ذكرنا مطيع بن إياس، فحدّثنا عنه قال:

اجتمع يحيى بن زياد و مطيع بن إياس و جميع أصحابهم، فشربوا أياما تباعا، فقال لهم يحيى ليلة من الليالي و هم سكارى: و يحكم! ما صلينا منذ ثلاثة أيام فقوموا بنا حتى نصلي. فقالوا: نعم. فقام مطيع فأذن و أقام، ثم قالوا: من يتقدم؟ فتدافعوا ذلك، فقال مطيع للمغنية: تقدّمي فصلي بنا. فتقدمت تصلي بهم عليها غلالة رقيقة مطيبة بلا سراويل، فلما سجدت بان فرجها، فوثب مطيع و هي ساجدة فكشف عنه و قبله و قطع صلاته، ثم قال:

و لما بدا فرجها جاثما *** كرأس حليق و لم تعتمد

سجدت إليه و قبلته *** كما يفعل الساجد المجتهد

فقطعوا صلاتهم، و ضحكوا و عادوا إلى شربهم.

إعجاب المهدي بتهنئة مطيع

حدّثني عمي الحسن بن محمّد قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني محمّد بن القاسم مولى موسى الهادي قال:

كتب المهدي إلى أبي جعفر يسأله أن يوجّه إليه بابنه موسى، فحمله إليه، فلما قدم عليه قامت الخطباء تهنئه، و الشعراء تمدحه، فأكثروا حتى أذوه و أغضبوه، فقام مطيع بن إياس فقال:

أحمد الله إله ال *** خلق ربّ العالمينا

الذي جاء بموسى *** سالما في سالمينا

الأمير ابن الأمير اب *** ن أمير المؤمنينا

فقال المهدي: لا حاجة بنا إلى قول بعد ما قاله مطيع. فأمسك الناس، و أمر له بصلة.

مطيع ينصح يحيى بن زياد

ونسخت من كتاب لأبي سعيد السكري بخطه. قال: حدثني ابن أبي فنن. أخبرني يحيى بن علي بن يحيى بهذا الخبر فيما أجاز لنا أن يرويه عنه عن أبي أيوب المدائني عن ابن أبي الدواهي، و خبر السكري أتم و اللفظ له، قال:

كان بالكوفة رجل يقال له أبو الأصبغ له قيان، و كان له ابن وضيء حسن الصورة يقال له الأصبغ(2)، لم يكن بالكوفة أحسن وجهاً منه، و كان يحيى بن زياد و مطيع بن إياس و حماد عجرد و ضرباًؤهم يالفونه و يعشقونه

ص: 218

1- مقلية: بغضا.

2- في الأصل: «الأصبغ» في جميع مواضعه من هذا الخبر. و المعروف في أعلامهم: «الأصبغ» بالغين المعجمة، و كذا «ذو الإصبغ».

و يظرفونه(1)، و كلهم كان يعشق ابنه أصبغ، حتى كان يوم نوروز(2) و عزم أبو الأصبغ على أن يصطحب مع يحيى بن زياد، و كان يحيى قد أهدى له من الليل جداء و دجاجا و فاكهة و شرابا، فقال أبو الأصبغ لجواريه: إن يحيى بن زياد يزورنا اليوم، فأعدن له كل ما يصلح لمثله. و وجه بغلمان له ثلاثة في حوائجه، و لم يبق بين يديه أحد، فبعث بابنه أصبغ إلى يحيى يدعوه و يسأله التعجيل، فلما جاء استأذن له الغلام، فقال له يحيى: قل له يدخل، و تتح أنت و أغلق الباب و لا تدع الأصبغ يخرج إلا بإذني. ففعل الغلام و دخل الأصبغ، فأدى إليه رسالة أبيه، فلما فرغ راوده يحيى عن نفسه، فامتنع، فثاوره(3) يحيى و عاركه حتى صرعه، ثم رام حلّ تكّته، فلم يقدر عليها، فقطعها و ناكه، فلما فرغ أخرج من تحت مصلاه أربعين دينار، فأعطاه إياها، فأخذها، و قال له يحيى: امض فإني بالأثر. فخرج أصبغ من عنده، فوافاه مطيع بن إياس، فرآه يتبخّر و يتطيّب و يتزيّن، فقال له: كيف أصبحت؟ فلم يجبه، و شمخ بأنفه، و قطّب حاجبيه، و تفخّم؛ فقال له: ويحك مالك؟ نزل عليك/الوحي؟ كلمتك الملائكة؟ بويح لك بالخلافة؟ و هو يومئ برأسه: لا لا، في كل كلامه، فقال له: كأنك قد نكت أصبغ بن أبي الأصبغ قال: إي و الله الساعة نكته، و أنا اليوم في دعوة أبيه. فقال مطيع: فامراته طالق إن فارقتك أو نقبل متاعك. فأبداه له يحيى حتى قبله، ثم قال له: كيف قدرت عليه؟ فقال يحيى ما جرى و حدثه بالحديث، و قام يمضى إلى منزل أبي الأصبغ، فتبعه مطيع، فقال له: ما تصنع معي و الرجل لم يدعك؟ و إنما يريد الخلوة. فقال: أشيّعك إلى بابه و نتحدث. فمضى معه، فدخل يحيى و ردّ الباب في وجه مطيع، فصبر ساعة، ثم دقّ الباب فاستأذن، فخرج إليه الرسول، و قال له: يقول لك أنا اليوم على شغل لا أتفرّغ معه لك. فتعدّر(4). قال: فابعث إليّ بدواة و قرطاس، فكتب إليه مطيع(5):

يا أبا الأصبغ لا زلت على *** كل حال ناعما متّبعاً

لا تصيّرني في الودّ كمن *** قطع التّكّة قطعاً شنعاً

و أتى ما يشتهي لم يثنه *** خيفة أو حفظ حق ضيّعاً

لو ترى الأصبغ ملقى تحته *** مستكيناً خجلاً قد خضعاً

و له دفع عليه عجل *** شبق شاءك ما قد صنعاً(6)

فادع بالأصبغ و اعلم حاله *** سترى أمراً قبيحاً شنعاً

قال فقال أبو الأصبغ ليحيى: فعلتها يا ابن الزانية؟ قال: لا و الله. فضرب بيده إلى تكّة ابنه، فرآها مقطوعة، و أيقن يحيى بالفضيحة، فتلكأ الغلام، فقال له يحيى: قد كان الذي كان، و سعى بي إليك مطيع ابن الزانية، و هذا ابني و هو و الله أفره(7) من ابنك، و أنا عربي ابن عربية و أنت نبطي ابن نبطية، فنك ابني عشر مرات/مكان المرّة التي نكت ابنك، فتكون قد ربحت الدنانير، و للواحد عشرة. فضحك و ضحك الجوّاري، و سكن غضب أبي الأصبغ، و قال لابنه: هات الدنانير يا ابن الفاعلة. فرمى بها إليه، و قام خجلاً، و قال يحيى: و الله لا أدخل مطيع الساعي ابن الزانية. فقال أبو الأصبغ و جواريه: و الله ليدخلنّ، فقد نصحننا و غششتنا. فأدخلناه و جلس يشرب و معهم يحيى يشتمهم بكل لسان، و هو يضحك، و الله أعلم.

2- نوروز: أول يوم من السنة الشمسية. وعند الفرس عند نزول الشمس أو الحمل.

3- ثاوره: واشه.

4- تعذر: اعتذر و احتج لنفسه.

5- في الأصول: «فكتب إليه الاصبح».

6- شاءك: حزنك. وفي الأصول «شاك».

7- الفاره من الناس: المليح الحسن.

مطيع يغلب خمسة ممن يكابدونه

أخبرني عمي الحسن بن محمد قال حدّثنا الكراني عن العمري عن العتبي قال:

حضر مطيع بن إياس وشراعة بن الزندبوذ ويحيى بن زياد والبة بن الحباب وعبد الله بن العيَّاش المنتوف وحماد عجرد، مجلساً لأمير من أمراء الكوفة، فتكابدوا جميعاً عنده، ثم اجتمعوا على مطيع/يكابدونه ويهجونه فغلبهم جميعاً، حتى قطعهم ثم هجاهم بهذين البيتين و هما.

و خمسة قد أبانوا لي كيادهم *** وقد تلطّى لهم مقلّى و طنجير(1)

لو يقدرون على لحمي لمزّقه *** قرد و كلب و جرواه و خنزير(2)

احتجاج مطيع لفسقه

أخبرني وكيع عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن محمد بن الفضل قال:

دخل صديق لمطيع بن إياس، فرأى غلاماً تحته ينيكه، و فوق مطيع غلام له يفعل كذلك، فهو كأنه في تخت(3)، فقال له: ما هذا يا أبا سلمى؟ قال: هذه اللذة المضاعفة.

تعريض حماد بابنة مطيع

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال:

كان حماد الراوية قد هجر مطيعاً لشيء بلغه عنه، و كان مطيع حلقياً، فأنشد شعراً ذات يوم و حماد حاضر، فقبل له: من(4) يقول هذا يا أبا سلمى؟ قال: الحطيئة. /قال حماد: نعم هذا شعر الحطيئة لما حضر الكوفة و صار بها حلقياً. يعرض حماد بأنّه كذاب، وأنّه حلقى، فأمسك مطيع عن الجواب و ضحك.

حدّثني محمد بن العباس اليزيدي قال حدّثني محمد بن إسحاق البغوي قال حدّثنا بن الأعرابي عن الفضل قال:

جاء رجل إلى مطيع بن إياس فقال: قد جئتك خاطباً. قال: لمن؟ قال: لمودّتك. قال: قد أنكحتكها و جعلت الصداق ألا تقبل فيّ قول قائل. و يقال إن الأبيات التي فيها الغناء المذكور بذكرها أخبار مطيع بن إياس يقولها في جارية له يقال لها جودانة(5) كان باعها فندم، فذكر الجاحظ أن مطيعاً حلف أنها كانت تستلقي على ظهرها فيشخص كتفاها و مأكمتها، فتدحرج تحتها الرمان فينفذ إلى الجانب الآخر. و يقال إنه قالها في امرأة من أبناء الدهاقين(6) كان يهواها، و شعره يدل على صحة هذا القول، و القول الأوّل غلط.

مطيع يشتاقي إلى جاريته جودانة

أخبرني بخبره مع هذه الجارية أبو الحسن الأسدي قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن سعيد بن سالم قال:

ص: 220

-
- 1- المقلَى والمقلّاة: ما يقلَى فيه الطعام. الطنجير: وعاء تعمل فيه الحلوى المخبوصة، وهو معرب.
 - 2- في الأصول: «جرات»، والصواب ما أثبتاه.
 - 3- التخت: وعاء تصان فيه الثياب. وفي الأصول «تحت».
 - 4- في كل الأصول: «مرة» وهو تحريف.
 - 5- في «معجم البلدان» برسم حلوان: «جوزابة».
 - 6- الدهقان: رئيس الإقليم، فارسي معرب.

أخبرني مطيع بن إياس اللثي - وكان أبوه من أهل فلسطين من أصحاب الحجاج بن يوسف - أنه كان مع سلم (1) بن قتيبة، فلما خرج إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، كتب إليه المنصور يأمره باستخلاف رجل على عمله و القدوم عليه في خاصته على البريد، قال مطيع: وكانت لي (2) جارية يقال لها جودانة كنت أحبها، فأمرني سلم بالخروج معه، فاضطرت إلى بيع الجارية، فبعتها وندمت على ذلك بعد خروجي و تمنيت أن أكون أقمت، و تتبعتها نفسي، و نزلنا/حلوان، فجلست على العقبة أنتظر ثقلي و عنان دابتي في يدي و أنا مستند إلى نخلة على العقبة و إلى جانبها نخلة أخرى، فتذكرت الجارية و اشتقتها و قلت:

أسعداني يا نخلتي حلوان *** و ابكيا لي من ريب هذا الزمان (3)

و اعلمنا أنّ ريبه لم يزل يف *** رق بين الآلاف و الجيران

و لعمرى لو ذقتما ألم الفر *** قة قد أبكاكما الذي أبكاني (4)

أسعداني و أيقنا أن نحسا *** سوف يلقاكما فتفترقان

كم رمتي صروف هذي الليالي *** بفراق الأحباب و الخلان /

غير أنني لم تلق نفسي كما *** لاقت من فرقة ابنة الدهقان

جارة لي بالرّي تذهب همّي *** و يسلي دنوّها أحزاني (5)

فجعنتني الأيام أغبط ما كن *** ت بصدع للبين غير مدان

و برغمي أن أصبحت لا تراها ال *** عين مني و أصبحت لا تراني

إن نكن ودّعت فقد تركت بي *** لها في الضمير ليس بوان

كحريق الضّرام في قصب الغا *** ب زفته ريحان تختلفان (6)

فعليك السلام [متي] (7) ما سا *** غ سلاما عقلي و فاض لساني

هكذا ذكر أبو الحسن الأسديّ في هذا الخبر و هو غلط.

نسخت خبر هذا من خط أبي أيوب المدائني عن حماد، و لم يقل عن أبيه عن سعيد بن سالم عن مطيع قال:

كانت لي بالرّي جارية أيام مقامي بها مع سلم بن قتيبة، فكنّت أسترّ بها، و كنت أتعشق امرأة من بنات الدّهاقين كنت نازلا/إلى جنبها في دار لها، فلما خرجنا بعث الجارية و بقيت في نفسي علاقة من المرأة التي كنت أهواها، فلما نزلنا عقبة حلوان جلست مستندا إلى إحدى النخلتين اللتين على العقبة فقلت:

أسعداني يا نخلتي حلوان *** و ارثيا لي من ريب هذا الزمان

وذكر الأبيات، فقال لي سلم: ويلك فيمن هذه الأبيات؟ أفي جاريتك؟ فاستحييت أن أصدقه فقلت: نعم. فكتب من وقته إلى خليفته أن يتاعها لي، فلم ألبث أن ورد كتابه: إني وجدتها قد تداولها الرجال، فقد عزفت نفسي

ص: 221

-
- 1- في الأصول: «سالم». و الصواب ما أثبتناه.
 - 2- في الأصول: «و كانت له».
 - 3- حلوان: حلوان العراق في آخر حدود السواد مما يلي الجبال من بغداد.
 - 4- في ب، ح: «الفرقة أبكاكما».
 - 5- في الأصول: «و تسلي ذنوبها» و هو تحريف.
 - 6- زفته: طردته و استخفته. و في الأصول «رمته».
 - 7- تكملة يستقيم بها الوزن.

عنها. فأمر لي بخمسة آلاف درهم، ولا والله ما كان في نفسي منها شيء، ولو كنت أحبها لم أبال إذا رجعت إليّ بمن تداولها، ولم أبال لو ناكها أهل مني كلّهم.

أخبرني عمي عن الحسن عن أحمد بن أبي طاهر عن عبد الله بن أبي سعد عن محمد بن الفضل الهاشمي عن سلام الأبرش قال:

الرشيد يتداوى بالجمار و يقطع إحدى نخلي حلوان

لما خرج الرشيد إلى طوس هاج به الدم بحلوان، فأشار عليه الطبيب أن يأكل جَمَّاراً(1)، فأحضر دهقان حلوان و طلب منه جَمَّاراً، فأعلمه أن بلدته ليس بها نخل، ولكن على العقبة نخلتان، فمر بقطع إحداهما. فقطعت، فأتي الرشيد بجمارتها، فأكل منها وراح(2). فلما انتهى إلى العقبة نظر إلى إحدى النخلتين مقطوعة و الأخرى قائمة، و إذا على القائمة مكتوب:

أسعداني يا نخلتي حلوان *** و ابكيا لي من ريب هذا الزمان

أسعداني و أيقنا أنّ نحسا *** سوف يلقاكما فتفترقان

فاغتم الرشيد، و قال: يعزّ عليّ أن أكون نحسكما، و لو كنت سمعت بهذا الشعر ما قطعت هذه النخلة و لو قتلتني الدم.

/أخبرني الحسن بن علي قال حدّثنا الحارثي بن أبي أسامة قال حدّثني محمد بن أبي محمد القيسي عن أبي سمير عبد الله بن أيوب قال:

لما خرج المهدي فصار بعقبة حلوان استطاب الموضوع فتغدى و دعا بحسنة فقال لها: أ ما ترين طيب هذا الموضوع؟ غنيني بحياتي حتى أشرب هاهنا أقداحا، فأخذت محكّة كانت في يده و أوقعت على /مخدّة(3) و غنّته:

أيا نخلتي وادي بوانة حبّذا *** إذا نام حراس النخيل جناكما

فقال: أحسنت، و لقد هممت بقطع هاتين النخلتين - يعني نخلتي حلوان - فمنعني منهما هذا الصوت. و قالت له حسنة: أعيدك بالله يا أمير المؤمنين أن تكون النحس المفرق بينهما. فقال لها: و ما ذاك؟ فأنشدته أبيات مطيع هذه.

فلما بلغت إلى قوله:

أسعداني و أيقنا أنّ نحسا *** سوف يلقاكما فتفترقان

قال: أحسنت و الله فيما قلت، إذ نبهتني على هذا، و الله لا أقطعهما أبداً، و لأوكلنّ بهما من يحفظهما و يسقيهما ما حييت. ثم أمر بأن يفعل، فلم يزل في حياته على ما رسمه إلى أن مات.

نسبة هذا الصوت الذي غنّته حسنة

أيا نخلتي وادي بوانة حبّذا *** إذا نام حراس النخيل جناكما

-
- 1- الجمار: شحم النخل. وفي ح: «بأكل جمار».
 - 2- راح: نشط وارتاح.
 - 3- في «معجم البلدان»: «على فخذة».
 - 4- الفتاء: الشباب.

يقال إن الشعر لعمر بن أبي ربيعة، و الغناء للغريض ثاني ثقييل بالوسطى عن عمرو بن بانه، و فيه لعطرد رمل بالوسطى من روايته و رواية الهشامى.

المنصور و نخلتا حلوان

أخبرني عمي عن أحمد بن طاهر عن الخراز عن المدائني أن المنصور اجتاز بنخلتي حلوان و كانت إحداهما على الطريق، فكانت تضيّقه و تزحم الأثقال عليه، فأمر بقطعهما، فأنشد قول مطيع:

و اعلمنا ما بقيتما أنّ نحسا *** سوف يلقاكما فتفترقان

قال: لا و الله ما كنت ذلك النحس الذي يفرق بينهما، و تركهما.

و ذكر أحمد بن إبراهيم عن أبيه عن جده إسماعيل بن داود أنّ المهدي قال: قد أكثر الشعراء في نخلتي حلوان و لهمت أن أمر بقطعهما. فبلغ قوله المنصور، فكتب إليه:

«بلغني أنك هممت بقطع نخلتي حلوان، و لا فائدة لك في قطعهما، و لا ضرر عليك في بقائهما، فأنا أعيذك بالله أن تكون النحس الذي يلقاهما، فتفرق بينهما». يريد قول مطيع.

قول حماد عجرد في نخلتي حلوان

و مما قالت الشعراء في نخلتي حلوان قول حماد عجرد، و فيه غناء قد ذكرته في أخبار حماد:

جعل الله سدرتي قصر شيري *** ن فداء لنخلتي حلوان(1)

جئت مستسعدا فلم يسعداني *** و مطيع بكت له النخلتان(2)

لشاعر آخر فيهما

و أنشدني لحظة و وكيع عن حماد عن أبيه لبعض الشعراء و لم يسمّه:

أيها العاذلان لا تعذلاني *** و دعاني من الملام دعاني

و ابكيا لي فإتني مستحق *** [منكما] بالبكاء أن تسعداني(3)

إنني منكما بذلك أولى *** من مطيع بنخلتي حلوان

فهما تجهلان ما كان يشكو *** من هواه و أنتما تعلمان

لأحمد بن إبراهيم فيهما

إشارة

و قال فيهما أحمد بن إبراهيم الكاتب في قصيدة:

و كذاك الزمان ليس و إ*** ن ألف يبقى عليه مؤتلفان(4)

سلبت كفه الغريّ أخاه *** ثم ثنى بنخلتي حلوان(5)

ص: 223

1- شيرين: قصر شيرين بين حلوان و همذان. و في كل الأصول: «نخلتي قصر شيرين». و ما أثبتناه رواية «معجم البلدان».

2- في كل الأصول: «مستعديا»، و هو تحريف.

3- [منكما]: زيادة يستقيم بها الوزن و لا يأبأها المعنى.

4- في كل الأصول «ليس بوان» و الصواب ما أثبتناه.

5- في جميع الأصول: «العزیز أخاه» و جاء في «معجم البلدان»: «الغريّ» و هي من غرى به غراة فهو غرى إذا لرق به و لزمه. و الغريّ:

واحد الغريين، و هما بناءان مشهوران كانا بالكوفة.

فكأن الغريّ قد كان فردا *** وكان لم تجاور النخلتان(1)

أخبرني الحسن بن علي قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثني مصعب الزبيري عن أبيه قال:

جلس مطيع بن إياس في العلة التي مات فيها في قبة خضراء وهو على فرش خضر، فقال له الطيب: أي شيء تشتهي اليوم؟ قال: أشتهي أ
لا أموت. قال: ومات في علة هذه، وذلك بعد ثلاثة أشهر مضت له من خلافة الهادي.

قال أبو الفرج: ما وجدت فيه غناء من شعر مطيع، قال:

صوت

أمّ مدامة صرفا *** كأنّ صبيها ودج(2)

كأنّ المسك نفحتها *** إذا بزلت لها أرح(3)

فظلّ تخاله ملكا *** يصرفها ويمتج(4)

/الغناء لإبراهيم، ثاني ثقيل بالخنصر والوسطى عن ابن المكي. وفيه لحن آخر لابن جامع. وهذه الطريقة بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى
عن إسحاق.

صوت

جدلت كجدل الخيزرا *** ن وثبت فتنت

و تيقنت أن الفؤا *** د يحبها فأدلت

الغناء لعبد الله بن عباس الربيعي خفيف رمل، وذكر حبش أنه لمقامة.

صوت

أيها المبتغي بلوى رشادي *** اله عني فما عليك فساد(5)

أنت خلو من الذي بي وما يع *** لم ما بي إلا القريح الفؤاد(6)

الغناء ليونس رمل بالبنصر من كتابه ورواية الهشامي.

ص: 224

1- في كل الأصول: «العزيم مد»، «يجاوز» و صوابه «الغري قد»، «تجاوز».

2- الودج: عرق في العنق.

3- بزل: يقال بزل الخمر وغيرها إذا ثقب إناءها.

4- يصرفها: يجعلها صرفاً، أي خالصة. و المعروف في امتزج أنه مطاوع «مزج» و لكن ورد نظيره في شعر أبي محجن التقي شاعداً للامتزاج بمعنى جعلها ممزوجة، و هو قوله: فقد أبا كرها رياً و أشربها صرفاً و أطرب أحياناً و امتزج و سبق نظيره أيضاً في قول الأقيشر («الأغاني» 11:273 طبعة الدار): فقد أبا كرها صرفاً و أشربها أشفى بها غلتي صرفاً و امتزج

5- بلوى: اختبار و تجربة.

6- القريح: الجريح. و في س، ب: «الفراغ الفؤاد».

إلا إن أهل الدار قد ودّعوا الدارا *** وقد كان أهل الدار في الدار أجوارا(1)

يبكي على إثر الجميع فلا يرى *** سوى نفسه فيها من القوم ديّارا(2)

الغناء لإبراهيم خفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو بن بانة. وذكر ابن المكي أن فيه لابن سريج لحنا من الثقيل الأوّل بالبنصر.

انقضت أخبار مطيع ولله الحمد.

في انقباض و حشمة فإذا *** صادفت أهل الوفاء و الكرم

أرسلت نفسي على سجيتها *** و قلت ما قلت غير محتشم

/ الشعر لمحمد بن كنانة الأسديّ، و الغناء لقلم الصالحية، ثقيل أوّل بالوسطى. و ذكر ابن خرداذبه أنّ فيه لإسماعيل بن صالح لحنا.

ص: 225

1- الأجوار: جمع جار، كالجيرة و الجيران.

2- ما بها ديار: أي ما بها أحد.

إشارة

هو محمد بن كناسة، و اسم كناسة عبد الله بن عبد الأعلى بن عبيد الله بن خليفة بن زهير بن نضلة بن أنيف بن مازن بن صهبان - و اسم صهبان كعب - بن دويبة(1) بن أسامة بن نصر بن قعين بن الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمه؛ و يكنى أبا يحيى. شاعر من شعراء الدولة العباسية، كوفي المولد و المنشأ، قد حمل عنه شيء من الحديث؛ و كان إبراهيم بن أدهم الزاهد خاله، و كان امرأ صالحا لا يتصدى لمدح و لا لهجاء؛ و كانت له جارية شاعرة مغنية يقال لها دنانير؛ و كان أهل الأدب و ذوو المروءة يقصدونها للمذاكرة و المساجلة في الشعر.

ما قاله ابن كناسة في إبراهيم بن أدهم

أخبرني محمد بن خلف و كيع قال حدّثني إبراهيم بن أبي عثمان قال حدّثني مصعب الزبيري قال:
قلت لمحمد بن كناسة الأسيدي و نحن بباب أمير المؤمنين: أ أنت الذي تقول في إبراهيم بن أدهم العابد:

رأيتك ما يغنيك ما دونه الغنى *** و قد كان يغنى دون ذلك ابن أدهما

و كان يرى الدنيا صغيرا عظيمها *** و كان لحقّ الله فيها معظما

و أكثر ما تلقاه في القوم صامتا *** فإن قال بذ القائلين و أحكما

فقال محمد بن كناسة: أنا قلتها و قد تركت أجودها. فقال:

أهان الهوى حتى تجنّب الهوى *** كما اجتنب الجاني الدّم الطالب الدّما

رأي ابن كناسة في حديثه

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدّثني علي بن مسرور العتكي(2) قال حدّثني أبي قال قال ابن كناسة:

/لقد كنت أتحدّث بالحديث فلو لم يجد سامعه إلا القطن الذي على وجه أمه في القبر لتعلّل عليه حتى يستخرجه و يهديه إليّ، و أنا اليوم أتحدّث بذلك الحديث فما أفرغ منه حتى أهيتي له عذرا.

ابن كناسة يداعب جويرة

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان إجازة قال حدّثنا ابن أبي سعد قال حدّثني عبيد الله بن يحيى بن فرقد قال سمعت محمد بن كناسة يقول:

كنت في طريق الكوفة، فإذا أنا بجويرية تلعب بالكعاب(3) كأنها قضيب بان، فقلت لها: أنت أيضا لو وضعت لقالوا ضاعت جارية، ولو قالوا ضاعت ظبية كانوا أصدق. فقالت: ويلى عليك يا شيخ! وأنت أيضا تتكلم بهذا الكلام؟ فكسفت والله إلى بالي ثم تراجعت فقلت:

ص: 226

1- كذا ورد في الأصول. ولعلها «رويبة» بالراء.

2- في ج: «العسكري».

3- الكعاب: فصوص الترد.

وإني لحلو مخبري إن خبرتني *** ولكن يغطيني ولا ريب بي شيخ(1)

فقلت لي وهي تلعب وتبسمت: فما أصنع بك أنا إذا؟ فقلت: لا شيء. وانصرفت.

تفسير ابن كناسة لبيت فيه ذكر الجوزاء و الثريا

أخبرنا ابن المرزبان قال حدّثني حماد بن إسحاق عن أبيه قال:

سألت محمّد بن كناسة عن قول الشاعر(2):

إذا الجوزاء أردفت الثريا *** ظننت بآل فاطمة الطنونا

فقال: يقول إذا صارت الجوزاء في الموضع الذي ترى فيه الثريا خفت تفرّق الحيّ من مجمعهم؛ و الثريا تطلع بالغداة في الصيف، و الجوزاء تطلع بعد ذلك في أوّل القيظ.

أخبرني/ابن المرزبان قال حدّثني ابن أبي سعد قال حدّثني صالح بن أحمد بن عباد قال:

تعريض ابن كناسة بامرأته التي كان يبغضها

مرّ محمّد بن كناسة في طريق بغداد، فنظر إلى مصلوب على جذع، و كانت عنده امرأة يبغضها، و قد ثقل عليه مكانها، فقال يعنيها:

أيا جذع مصلوب أتى دون صلبه *** ثلاثون حولاً كاملاً هل تبادل

فما أنت بالحمل الذي قد حملته *** بأضجر مني بالذي أنا حامل

قول ابن كناسة فيمن يخدم عياله

أخبرني ابن المرزبان قال حدّثنا عبد الله بن محمّد. و أخبرني الحسن بن علي عن ابن مهرويه عن محمّد بن عمران عن عبيد بن حسن قال:

رأى رجل محمّد بن كناسة يحمل بيده بطن شاة، فقال: هاته أحمله عنك. فقال: لا. ثم قال:

لا ينقص الكامل من كماله *** ما جرّ من نفع إلى عياله

ابن كناسة ينوه بذكاء جاريتة دنانير

أخبرني وكيع قال أخبرني ابن أبي الدّنيا قال حدّثني محمّد بن علي بن عثمان عن أبيه قال:

كنت يوماً عند ابن كناسة، فقال لنا: أعرفكم شيئاً من فهم دنانير؟ يعني جاريتة. قلنا: نعم. فكتب إليها:

«إنك أمة ضعيفة لكعاء، فإذا جاءك كتابي هذا فعبّلي بجوابي. والسلام». فكتبت إليه: «سأني تهجينك إياي عند أبي الحسين(3)، وإنّ من أعياء العبيّ الجواب عما لا جواب له. والسلام».

دنانير ترثي صديق أبي الحسين

أخبرني وكيع قال أخبرني ابن أبي الدنيا قال كتب إليّ الزبير بن بكار أخبرني عليّ بن عثمان الكلابيّ قال:

اجئت يوماً إلى منزل محمّد بن كناسة فلم أجده، ووجدت جاريتته دنانير جالسة، فقالت لي: مالك محزون يا أبا الحسين؟ فقلت: رجعت من دفن أخ لي من قریش. فسكتت ساعة ثم قالت:

ص: 227

1- في الأصول: «تعطيني». والشيخ: الشيخوخة.

2- هو خزيمة بن مالك بن نهد، كما في «اللسان» (ردف).

3- التهجين: التقييح. وأبو الحسين: كنية علي بن عثمان، راوي الخبر.

بكيت على أخ لك من قریش *** فأبكانا بكاؤك يا عليّ

فمات و ما خبرناه ولكن *** طهارة صحبه الخبر الجليّ

ابن كناسه يحتفظ بكرامته في إملاقه

أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدّثنا محمّد بن القاسم بن مهرويه قال حدّثني محمّد بن عمران الضبيّ قال:

أملق محمّد بن كناسه فلامه قومه في القعود عن السلطان و انتجاعه الأشراف بأدبه و علمه و شعره، فقال لهم مجيبا عن ذلك:

تؤبني أن صنت عرضي عصابة *** لها بين أطناب اللثام بصيص (1)

يقولون لو غمّضت لآزددت رفعة *** فقلت لهم إني إذن لحريص (2)

أتكلم وجهي لا أبا لأبيكم *** مطامع عنها للكرام محيص

معاشي دوين القوت و العرض وافر *** و بطني عن جدوى اللثام خميص (3)

سألقي المنايا لم أخالط دتية *** و لم تسر بي في المخزيات قلوص (4)

سرور ابن كناسه بقاء الاوفياء و الكرام

حدّثنا الحسن بن علي قال حدّثني ابن مهرويه قال حدّثني محمّد بن عمر الجرجاني قال حدّثني إسحاق الموصلي قال:

/أنشدني محمّد بن كناسه لنفسه قال:

في انقباض و حشمة فإذا *** صادفت أهل الوفاء و الكرم

أرسلت نفسي على سجيّتها *** و قلت ما قلت غير محتشم/

قال إسحاق فقلت لابن كناسه: وددت أنه نقص من عمري سنتان و أني كنت سبقتك إلى هذين البيتين فقلتهما.

حدّثني الحسن قال حدّثنا ابن مهرويه قال حدّثني محمّد بن عمران الضبيّ قال حدّثني محمّد بن المقدم العجلي قال:

ابن كناسه يرثي إبراهيم بن أدهم

كانت أم محمّد بن كناسه امرأة من بني عجل، و كان إبراهيم بن أدهم خاله أو ابن خاله، فحدّثني ابن كناسه أن إبراهيم بن أدهم قدم الكوفة فوجّهت أمة إليه بهدية معه، فقبلها و وهب له ثوبا، ثم مات إبراهيم، فرثاه ابن كناسه فقال:

رأيتك ما يكفيك ما دونه الغنى *** و قد كان يكفي دون ذلك ابن أدهما (5)

-
- 1- في الأصول: «تؤنبي إن نضب». الأطناب: جمع طنّب، وهو جبل الخباء. بصيص: بريق.
 - 2- الحرص: الجشع.
 - 3- الجدوى: العطية. خميص: ضامر.
 - 4- القلوص من النوق: الشابة.
 - 5- في ح: «من دونه الغنى».

و كان يرى الدنيا قليلا كثيرا *** فكان لأمر الله فيهما معظما

أما الهوى حتى تجنّب الهوى *** كما اجتنب الجاني الدم الطالب الدّما

و للحلم سلطان على الجهل عنده *** فما يستطيع الجهل أن يترمرما (1)

و أكثر ما تلقاه في القوم صامتا *** وإن قال بدّ القائلين و أحكما

يرى مستكينا خاضعا متواضعا *** و ليثا إذا لاقى الكتيبة ضيغما

على الجدث الغربي من آل وائل *** سلام و برّ ما أبرّ و أكرما

رد ابن كناسة على عتاب صديق

أخبرني الحسن قال حدّثنا ابن مهرويه قال حدّثني زكريا بن مهران قال: عاتب محمّد بن كناسة صديق له شريف كان ابن كناسة يزوره و يألفه على تأخره عنه، فقال ابن كناسة:

ضعفت عن الإخوان حتى جفوتهم *** على غير زهد في الوفاء و لا الودّ

و لكنّ أيامي تخرّ من متّي *** فما أبلغ الحاجات إلا على جهد (2)

رأي ابن كناسة في الدنيا

حدّثني الحسن بن علي قال حدّثنا ابن مهرويه قال حدّثني محمّد بن عمران الصّبّي قال أنشدني ابن كناسة - قال الصّبّي: و كان يحيى يستحسنها و يعجب بها -:

و من عجب الدنيا تبقيك للبلبي *** و أنّك فيها للبقاء مرید

و أيّ بني الأيام إلا و عنده *** من الدهر ذنب طارف و تليد

و من يأمن الأيام أما انبياعها *** فخطر و أما فجعها فعتيد (3)

إذا اعتادت النفس الرّضاع من الهوى *** فإنّ فطام النفس عنه شديد

ابن كناسة يصف الحيرة و ما جاورها

حدّثني الحسن قال حدّثنا ابن مهرويه قال حدّثني محمّد بن عمران الصّبّي قال قال لي عبيد بن الحسن:

قال لي ابن كناسة ذات يوم في زمن الربيع: اخرج بنا ننظر إلى الحيرة فإنها حسنة في هذا الوقت. فخرجت معه حتى بلغنا الخورنق، فلم يزل

ينظر إلى البر وإلى رياض الحيرة و حمرة الشقائق، فأنشأ يقول:

الآن حين تزين الظَّهر *** ميثاؤه و براقه العفر (4)

بسط الربيع بها الرياض كما *** بسطت قطوع اليمنة الخمر (5)

ابريّة في البحر نابته *** يجبى إليها البرّ و البحر

ص: 229

1- ترمم: تحرك للكلام ولم يتكلم. وفي س: «يتزمزم».

2- تخرم: اقتطع. المنة: القوّة.

3- الانبياع: الوثوب بعد سكون. وفي الأصول: «اتساعها». والخطر: مصدر خطر الفحل بذنبه يخطر: ضرب به يمينا و شمالا. العتيد: الحاضر المهيأ.

4- الميثاء: الأرض السهلة. براءة: جمع براء و هي أرض غليظة مختلطة بحجارة و رمل.

5- قطوع اليمنة: بسط اليمن.

و جرى الفرات على مياسرها *** و جرى على أيمانها الزهر /

وبدا الخورنق في مطالعها *** فردا يلوح كأنه الفجر (1)

كانت منازل للملوك و لم *** يعلم بها لمملك قبر

قال: ثم قال يصف تلك البلاد:

سفلت عن برد أرض *** زادها البرد عذابا

و علت عن حرّ أخرى *** تلهب النار التهابا

مزجت حيناً ببرد *** فصفا العيش و طابا

ابن كناسة ينصح ابنه في اختيار الصديق

أخبرني محمد بن عمران الصّيرفيّ قال حدّثنا الحسن بن عليل العنزّي قال حدّثني إسحاق بن محمد الأسدي قال حدّثني عبد الأعلى بن محمد بن كناسة قال:

رأني أبي مع أحداث لم يررضهم، فقال لي:

ينبيك عن عيب الفتى *** ترك الصلاة أو الخدين

فإذا تهاون بالصّلاة *** فما له في الناس دين

و يزنّ ذو الحدث المري *** ب بما يزنّ به القرين (2)

إن العفيف إذا تكرّ *** فه المريب هو الظنين (3)

شعر ابن كناسة في رجل يخالف ظاهره باطنه

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق قال حدّثني ابن مهرويه قال حدّثني أحمد بن خلاد قال أخبرنا عباد بن الحسين بن عباد بن كناسة - قال: كان محمد بن كناسة عمّ أبيه - قال:

/كان يجيء إلى محمد بن كناسة رجل من عشيرته فيجالسه، و كان يكتب الحديث و يتفقّه و يظهر أدبا و نسكا، و ظهر محمد بن كناسة منه على باطن يخالف ظاهره، فما جاءه قال له:

ما من روى أدبا فلم يعمل به *** و يكفّ عن الهوى بأديب (4)

حتى يكون بما تعلّم عاملاً *** من صالح فيكون غير معيب

و لقلما يغني إصابة قائل *** أفعاله أفعال غير مصيب

خبر جد ابن كناسة مع امرأة من بني أود

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه عن ابن كناسة عن أبيه عن جده قال:

ص: 230

1- الخورنق: قصر كان بظهر الحيرة.

2- يزنّ: يتهم.

3- الظنين: المتهم.

4- في الأصول: «يا من». وفي ح: «وقع الهوى تأديب».

أتيت امرأة من بني أود تكحلني من رمد كان أصابني، فكحلنتني ثم قالت: اضطجع قليلا حتى يدور الدواء في عينك. فاضطجعت، ثم تمثلت قول الشاعر:

أ مخترمي ريب المنون و لم أزر *** طيب بني أود على النَّأي زينبا(1)

فضحكت ثم قالت: أتدري فيمن قيل هذا الشعر؟ قلت: لا والله. فقالت: فيّ والله قيل، وأنا زينب التي عنها، وأنا طيب أود، أتدري من الشاعر؟ قلت: لا. قالت: عمك أبو سماك الأسدي.

جارية ابن كناسة تقول شعرا فيمن يعرض لها بأنه يهواها

أخبرني عيسى بن الحسين الوزّاق قال حدّثنا الزبير بن بكار قال أخبرني عليّ بن عثّام الكلابيّ قال:

/كانت لابن كناسة جارية شاعرة مغنية، يقال لها دنانير، وكان له صديق يكنى أبا الشعثاء، وكان عفيفا مزّاحا، فكان يدخل إلى ابن كناسة يسمع غناء جاريته ويعرض لها بأنه يهواها، فقالت فيه:

لأبي الشعثاء حبّ باطن *** ليس فيه نهضة للمتهم/

يا فؤادي فازدجر عنه و يا *** عبث الحبّ به فاقعد و قم

زارني منه كلام صائب *** ووسيلات المحبّين الكلم

صائد تأمنه غزلانه *** مثل ما تأمن غزلان الحرم(2)

صلّ إن أحببت أن تعطى المنى *** يا أبا الشعثاء لله و صم

ثمّ ميعادك يوم الحشر في *** جنة الخلد إن الله رحم

حيث ألقاك غلاما ناشئا *** يافعا قد كملت فيه النعم(3)

ابن كناسة يرثي جاريته

أخبرني أحمد بن العباس العسكريّ المؤدّب قال حدّثنا الحسن بن عليل العنزّي قال حدّثني أحمد بن محمّد الأسديّ قال حدّثني جدي موسى بن صالح قال: ماتت دنانير جارية ابن كناسة، وكانت أديبة شاعرة، فقال يرثيها بقوله:

الحمد لله لا شريك له *** يا ليت ما كان منك لم يكن

إن يكن القول قلّ فيك فما *** أفحمني غير شدّة الحزن

رواية ابن كناسة للحديث

قال أبو الفرج: وقد روى ابن كناسة حديثا كثيرا، وروى عنه الثقات من المحدثين؛ فممن روى ابن كناسة عنه سليمان بن مهران الأعمش، و إسماعيل بن أبي خالد، وهشام بن عروة بن الزبير، ومسعر بن كدام، وعبد العزيز بن أبي داود، وعمر بن ذر الهمداني(4)، وجعفر بن برقان، وسفيان الثوري، وفطر بن خليفة(5) ونظراؤهم.

ص: 231

1- مخترم: من اخترمته المنية، إذا أخذته. ريب المنون: حوادث الدهر. وفي الأصول: «أ مختبري».

2- في ب، ج: «صائدة منه».

3- يافعا: راهق العشرين.

4- ترجم له في تهذيب التهذيب. وفي الأصول: «عمرو»، تحريف.

5- في ب، س «قطن» صوابه في ح. وقد ترجم له في تهذيب التهذيب.

أخبرني الحسن بن علي قال حدّثنا محمّد بن سعد العوفي (1) قال حدّثنا محمّد بن كنانة قال حدّثنا الأعمش عن شقيق بن سلمة عن أبي موسى الأشعري قال: قلت: يا رسول الله إن الرجل يحب القوم ولم يلحق بهم. قال:

«المرء مع من أحبّ» (2).

أخبرني الحسن بن علي قال حدّثنا محمّد بن سعد قال حدّثنا محمّد بن كنانة قال حدّثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن جعفر قال:

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «خير نسائها مريم بنت عمران، وخير نسائنا خديجة». والله أعلم (3).

أخبرني الحسن بن علي قال حدّثنا محمّد بن سعد قال حدّثنا ابن كنانة قال حدّثنا إسماعيل بن أبي خالد، عن زرّ بن حبيش قال:

كانت في أبي بن كعب شراسة، فقلت له: يا أبا المنذر، اخفض جناحك يرحمك الله، وأخبرنا عن ليلة القدر. فقال: هي ليلة سبع وعشرين. وقد روى حديثا كثيرا ذكرت منه هذه الأحاديث فقط، ليعلم صحة ما حكّيته عنه، وليس استيعاب هذا الجنس مما يصلح ها هنا.

ص: 232

1- في س، ب: «محمّد بن سعد» فقط.

2- في هامش س: وهذا الحديث رواه البخاري مكررا، وطرقه مختلفة، ولفظ طريق أبي موسى قال: «قيل للنبي صلّى الله عليه وسلّم: الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم قال: المرء مع من أحب».

3- في هامش س: وفي البخاري قال - يعني عبد الله بن جعفر - سمعت عليا وذكر الحديث ولفظه «وخير نسائها خديجة»، بضمير الغائبة. قال القسطلاني: قال القرطبي: الضمير عائذ على غير مذكور، لكنه يفسره الحال والمشاهدة، يعني به الدنيا. وقال الطيبي: الضمير الأول يعود على الأمة التي كانت فيها مريم، والثاني على هذه الأمة. قال: ولهذا كرر الكلام، تنبيها على أن حكم كل واحدة منهما غير حكم الأخرى.

إشارة

كانت قلم الصالحية جارية مولدة صفراء حلوة حسنة الغناء والضرب حاذقة، قد أخذت عن إبراهيم و ابنه إسحاق، ويحيى المكي، وزبير بن دحمان. وكانت لصالح بن عبد الوهاب أخي أحمد بن عبد الوهاب كاتب صالح بن الرشيد، وقيل: بل كانت لأبيه. وكانت لها صنعة يسيرة نحو عشرين صوتا، واشتراها الواثق بعشرة آلاف دينار.

قلم الصالحية و إعجاب الواثق بها

فأخبرني محمد بن يزيد بن أبي الأزهر قال حدثني رذاذ أبو الفضل المغنّي مولى المتوكل على الله، قال حدثني/أحمد بن الحسين بن هشام، قال:

كانت قلم الصالحية جارية صالح بن عبد الوهاب إحدى المغنّيات المحسنات المتدمات، فغنى بين يدي الواثق لحن لها في شعر محمد بن كناسة، قال:

فِي انقباض و حشمة فإذا *** صادفت أهل الوفاء و الكرم

أرسلت نفسي على سجيّتها *** و قلت ما قلت غير محتشم

فسأل: لمن الصنعة فيه؟ فقيل: لقلم الصالحية جارية صالح بن عبد الوهاب. فبعث إلى محمد بن عبد الملك الزيات فأحضره. فقال: ويلك! من صالح بن عبد الوهاب هذا؟ فأخبره. قال: أين هو؟ قال: ابعث فأشخصه وأشخص معه جاريته. فقدموا على الواثق، فدخلت عليه قلم، فأمرها بالجلوس والغناء، فغنت، فاستحسن غناءها وأمر باتباعها. فقال صالح: أبيعها بمائة ألف دينار و ولاية مصر. فغضب الواثق من ذلك، و ردّ عليه(1). ثم غنّى بعد ذلك زرور(2) الكبير في مجلس الواثق صوتا، الشعر فيه لأحمد بن عبد الوهاب أخي صالح، و الغناء لقلم، و هو:

أبت دار الأحبة أن تبينا *** أجدك ما رأيت لها معينا(3)

تقطّع نفسه من حبّ ليلي *** نفوسا ما أثبن و لا جزينا

فسأل: لمن الغناء؟ فقيل: لقلم جارية صالح، فبعث إلى ابن الزيات: أشخص صالحا و معه قلم. فلما أشخصهما دخلت على الواثق، فأمرها أن تغنّي هذا الصوت، فغنته، فقال لها: الصنعة فيه لك؟ قالت: نعم يا أمير المؤمنين. قال: بارك الله عليك. و بعث إلى صالح فأحضر، فقال(4): أما إذا وقعت الرغبة فيها من أمير المؤمنين

1- كذا، وفي «نهاية الأرب»: «وردها إليه».

2- في ب، ح: «زرزر».

3- أجلك، أي أجدا منك، أي أحقا ما تقول.

4- جاء في «نهاية الأرب» ج 5 صفحة 69 ما يأتي: «وبعث إلى صالح فأحضره وقال له: إني قد رغبت في هذه الجارية فاستم في ثمنها سوما يجوز أن تعطاه. فقال...».

فما يجوز أن أملك شيئاً له فيه رغبة، وقد أهديتها إلى أمير المؤمنين، فإنّ من حقّها عليّ إذا تناهيت في قضائه أن أصيرها ملكه، فبارك الله له فيها. فقال له الواثق: قد قبلتها. و أمر ابن الزيات أن يدفع إليه خمسة آلاف دينار، و سماها احتياطاً، فلم يعطه ابن الزيات المال و مطلقه به، فوجه صالح إلى قلم من أعلمها ذلك، فغنت الواثق و قد اصطبغ صوتاً، فقال لها: بارك الله فيك و فيمن ربّك. فقالت: يا سيدي و ما نفع من ربّاني مّي إلا- التعب و الغرم عليّ و الخروج مّي صفرًا؟ قال: أو لم أمر له بخمسة آلاف دينار؟ قالت: بلى! ولكنّ ابن الزيات لم يعطه شيئاً. فدعا بخادم من خاصّة الخدم و وقّع إلى ابن الزيات بحمل الخمسة آلاف الدينار إليه، و خمسة آلاف دينار أخرى معها.

قال صالح: فصرت مع الخادم إليه بالكتاب، فقربني و قال: أما الخمسة الآلاف الأولى فخذها فقد حضرت، و الخمسة الآلاف الأخرى أنا أدفعها إليك بعد جمعة. فقممت، ثم تناساني كأنه لم يعرفني، و كتبت أقتضيه، فبعث إليّ: اكتب لي قبضاً (1) بها و خذها بعد جمعة. فكرهت أن أكتب قبضاً بها فلا يحصل لي شيء، فاستترت و هو في منزل صديق/لي؛ فلما بلغه استتاري خاف أن أشكوه إلى الواثق، فبعث إليّ بالمال و أخذ كتابي بالقبض. ثم لقيني الخادم بعد ذلك فقال لي: أمرني أمير المؤمنين أن أصير إليك فأسألك، هل قبضت المال؟ قلت: نعم قد قبضته.

قال صالح: و ابتعت بالمال ضيعة و تعلّقت بها و جعلتها معاشي، و قعدت عن عمل/السلطان فما تعرضت منه لشيء بعدها.

علي بن الجهم يمدح الواثق

أخبرني محمّد بن يحيى قال أخبرني ابن إسحاق الخراسانيّ. قال: و حدّثني محمّد بن مخارق قال:

لما بويع الواثق بالخلافة دخل عليه علي بن الجهم فأنشده قوله:

قد فاز ذو الدّنيا و ذو الدّين *** بدولة الواثق هارون

و عمّ بالإحسان من فعله *** فالناس في خفض و في لين

ما أكثر الداعي له بالبقا *** و أكثر التّالي بآمين

و أنشده أيضاً قوله فيه:

وثقت بالملك الوا *** ثق بالله التّفوس

ملك يشقى به الما *** ل ولا يشقى المجلس

أسد تضحك عن شدّ *** اته الحرب العبوس

أنس السيف به و اس *** توحش العلق النفيس (2)

يا بني العباس يا *** بي الله إلا أن تسوسوا

/قال: فوصله الواثق صلة سنّية.

1- القبض: الملك.

2- العلق: النفيس من كل شيء، و الثوب الكريم.

إشارة

وتغنت قلم جارية صالح بن عبد الوهاب في هذين الشعرين، فسمع الواثق الشعرين و اللحنين من غيرها فأراد شراءها، وأمر محمد بن عبد الملك الزيات بإحضار مولاها وإحضارها، واشتراها منه بعشرة آلاف دينار.

صوت

و كنت أعير الدمع قبلك من بكى *** فأنت على من مات قبلك شاغله

سقى جدثا أعراف غمرة دونه *** بيشة ديمات الربيع و وابله(1)

و ما بي حبّ الأرض إلا جوارها *** صداه وقول ظنّ أنّي قائله

الشعر للشمر دل بن شريك من قصيدة طويلة مشهورة يرثي بها أخاه، والغناء لعبد الله بن العباس الربيعي ثقيل أول بالوسطى، ابتداءه نشيد، و لمقاسة بن ناصح فيه خفيف رمل بالوسطى جميعا عن الهشامي، وذكر حبش أن خفيف الرمل لخزرج.

ص: 235

1- الأعراف: ما ارتفع من الرمل، الواحدة عرفة. وفي بلاد العرب بلدان كثيرة تسمى الأعراف منها أعراف غمرة. غمرة: جبل. بيشة: من عمل مكة مما يلي اليمن. وفي س، ب: «أعراق غمرة». وفي «معجم البلدان»: «ديمات الربيع هو اطله».

نسبه

الشمردل بن شريك بن عبد الملك بن رؤبة بن سلمة بن مكرم بن ضباري(1) بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع. وهو شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية، كان في أيام جرير و الفرزدق.

خروجه و إخوته إلى خراسان و هجاؤه و كيع بن أبي سود لإنفاذهم في وجوه مختلفة

أخبرني أبو دلف هاشم بن محمّد الخزاعي، قال: حدّثنا أبو غسان دماذ و اسمه رفيع بن سلمة عن أبي عبيدة معمر بن المثنى قال:

كان الشمردل بن شريك شاعرا من شعراء بن تميم في عهد جرير و الفرزدق، و قد خرج هو و إخوته حكم و وائل و قدامة إلى خراسان مع وكيع بن أبي سود، فبعث وكيع أخاه وائلا- في بعث لحرب الترك، وبعث أخاه قدامة إلى فارس في بعث آخر، وبعث أخاه حكما في بعث إلى سجستان، فقال له/الشمردل: إن رأيت أيها الأمير أن تنفذنا معا في وجه واحد، فإننا إذا اجتمعنا تعاونًا و تناصرنا و تناسبنا(2). فلم يفعل ما سأله، و أنفذهم إلى الوجوه التي أرادها، فقال الشمردل يهجوهم، و كتب بها إلى أخيه حكم مع رجل من بني جشم(3) بن أد بن طابخة:

إني إليك إذا كتبت قصيدة *** لم يأتي لجوابها مرجوع

أ يضيّعها الجسمي فيما بيننا *** أم هل إذا وصلت إليك تضيع

و لقد علمت و أنت عني نازح *** فيما أتى كبد الحمار و كيع

و بنو غدانة كان معروفًا لهم *** أن يهضموا و يضيّمهم يربوع

و عمارة العبد المبيّن إنه *** و اللؤم في بدن القميص جميع

رثاؤه لأخويه قدامة و وائل

قال أبو عبيدة: و لم ينشب(4) أن جاءه نعي أخيه قدامة من فارس؛ قتله جيش لقوهم بها، ثم تلاه نعي أخيه وائل بعده بثلاثة أيام، فقال يرثيهما:

أعاذل كم من روعة قد شهدتها *** و غصّة حزن في فراق أخ جزل(5)

إذا وقعت بين الحيازيم أسدفت *** عليّ الضحى حتى تنسّيني أهلي(6)

ص: 236

2- في ح: «تناسينا».

3- في ح: «بني حميس».

4- لم ينشب: لم يلبث.

5- الروعة: الفرعة. و الجزل: الكريم العطاء، و العاقل الأصيل الرأي.

6- الحيازيم جمع الحيزوم هو ما استدار بالظهر و البطن أو ضليع الفؤاد و ما اكتنف الحلقوم من جانب الصدر. أسدفت: أظلمت في لغة تميم، و الشمردل تميمي.

و ما أنا إلا مثل من ضربت له *** أسي الدهر عن ابني أب فارقا مثلي(1)

أقول إذا عزيت نفسي ياخوة *** مضوا لضعاف في الحياة ولا عزل

أبي الموت إلا فجع كل بني أب *** سيمسون شتى غير مجتمعي الشمل

سبيل حبيبي اللذين تبرضا *** دموعي حتى أسرع الحزن في عقلي(2)

كان لم نسر يوما ونحن بغبطة *** جميعا و ينزل عند رحليهما رحلي

فعيني إن أفضلتما بعد وائل *** وصاحبه دمعا فعودا على الفضل

خليلي من دون الأخلاء أصبحا *** رهيني وفاء من وفاة و من قتل

فلا يبعدا للداعيين إليهما *** إذا اغبر آفاق السماء من المحل(3)

فقد عدم الأضياف بعدهما القرى *** وأحمد نار الليل كل فتى و غل(4)

و كانا إذا أيدي الغضاب تحطمت *** لواغر صدر أو ضغائن من تبل(5)

/تحاجز أيدي جهل القوم عنهما *** إذا أتعب الحلم التترع(6) بالجهل

كمستأسدي عريسة لهما بها *** حمى هابه من بالحزونة و السهل(7)

و منها الصوت الذي ذكرت أخباره بذكره.

رثاؤه أخاه وائلا أيضا

قال أبو عبيدة: و قال يرثي أخاه وائلا، و هي من مختار المرثي و جيد شعره:

لعمري لئن غالت أخي دار فرقة *** و آب إلينا سيفه و رواحله(8)

و حلت به أثقالها الأرض و انتهى *** بمشواه منها و هو عفت ما كله(9)

لقد ضمنت جلد القوي كان يتقى *** به جانب الثغر المخوف زلازله

وصول إذا استغنى و إن كان مقترا *** من المال لم يحف الصديق مسائله(10)

محل لأضياف الشتاء كأنما *** هم عنده أيتامه و أرامله(11)/

- 1- الأسى: بالكسر و تضم جمع أسوة. و هو ما يتأسى به الحزين و يتعزى.
- 2- تبرضا دموعي: استنزفاها قليلا قليلا.
- 3- المحل: الجذب، و انقطاع المطر. س، ب: «فلا يبعدا للراعيين».
- 4- الوغل: النذل الساقط المقصر في الأشياء.
- 5- الوغر: التوقد من الغيظ. التبيل: العداوة.
- 6- تحاجز: تتحاجز. و التترع: التسرع.
- 7- المستأسد: الجريء، عنى به الأسد. و العريسة: مأوى الأسد. و في الأصل: «كميشا سدى». الحزونة: الأرض الغليظة.
- 8- في «أمالي اليزيدي» 32: «و حمائله».
- 9- في «أمالي اليزيدي»: «حلت: زينت به موتاهها، من الحلبي».
- 10- المقتر: القليل المال. أحفاه: برح به في الإلحاح عليه، أو سأله فأكثر عليه الطلب.
- 11- اليزيدي: «هضوم لأضياف الشتاء». و الهضوم، و الهضام: المنفق لماله.
- 12- الصلاء: اسم للنار أو للوقود.

- أقول و قد رجّمت عنه فأسرعت *** إليّ بأخبار اليقين محاصله(1)
- إلى الله أشكو لا إلى الناس فقدته *** ولوعة حزن أوجع القلب داخله
- و تحقيق رؤيا في المنام رأيتها *** فكان أخي رمحا ترقّض عامله(2)
- اسقى جدثا أعراف غمرة دونه *** ببيشة ديمات الربيع و وابله(3)
- بمثنوى غريب ليس منا مزاره *** بدان و لا ذو الودّ منّا مواصله(4)
- إذا ما أتى يوم من الدهر دونه *** فحيّاك عنا شرقه و أصائله(5)
- سنا صبح إشراق أضواء و مغرب *** من الشمس وافى جنح ليل أوائله(6)
- تحية من أدّى الرسالة حبّيت *** إليه و لم ترجع بشيء رسائله(7)
- أبى الصبر أن العين بعدك لم يزل *** يخالط جفنيها قذى لا يزياله(8)
- و كنت أعير الدمع قبلك من بكى *** فأنت على من مات بعدك شاغله
- يذكرني هيف الجنوب و منتهى *** مسير الصّبا رمسا عليه جنادله(9)
- و هتّافة فوق الغصون تفجّعت *** لفقد حمام أفردتها حباته
- من الورق بالأصيف نواحة الضحى *** إذا الغرقد التفت عليه غياطله(10)
- و سورة أيدي القوم إذ حلّت الحبا *** حبا الشّيب و استعوى أخوا الحلم جاهله(11)
- فعينيّ إذ أبكاكما الدهر فابكيا *** لمن نصره قد بان منا و نائله(12)
- إذا استعبرت عوذ النساء و شمّرت *** مآزر يوم ما توارى خلاخله(13)
- و أصبح بيت الهجر قد حال دونه *** و غال امرأ ما كان يخشى غوائله

ص: 238

1- الترجيم، من الرّجم، و هو القذف بالغيب و الظن. قال زهير: و ما الحرب إلا- ما علمتم و ذقتم و ما هو عنها بالحديث المرجم و في الأصل: «زومت»، صوابه من «أمالى اليزيدي».

2- عامل الرمح: صدره، و هو ما يلي السنان. ترفض: تكسر و تحطم. في الأصول: «ترقص»، صوابه من «أمالى اليزيدي».

3- «اليزيدي»: «أكناف غمزة» و «بهضة كتمان المديم».

- 4- «اليزيدي»: قريبا و لا ذو الودّ منا يواصله
- 5- «اليزيدي»: «من الدهر بيننا فحياك منا».
- 6- «اليزيدي»: «و كل سنا برق أضاء».
- 7- «اليزيدي»: «حبيت إلينا».
- 8- القذى: ما ترمى به العين من غمص و رمص. «اليزيدي»: «ما يزايله».
- 9- الهيف: ريح حارّة تأتي من نحو اليمن. الصبا: ريح مهبها من مطلع الثريا إلى بنات نعش. الرمس: القبر. الجنادل: الحجارة. و في «أمالي اليزيدي»: «نسيم الصبا».
- 10- في «أمالي اليزيدي»: «غياطله: ما اجتمع عليه و التف. و الفرقد: شجر».
- 11- الحبا: جمع حبة، و هو الثوب يحتبى به. و حل الحبا كناية عن الاستعداد للحرب و نحوها. و يقال استعوى فلان جماعته، إذا نعق بهم إلى الفتنة، و في الأصول: «و استغوى»، صوابه بالعين المهملة كما في «أمالي اليزيدي».
- 12- بان: بعد و انفصل. و النائل: العطاء.
- 13- استعبرت: جرت عبراتهن. و عوذ النساء: جمع عائد، و العائد: كل أثنى إذا وضعت، مدة سبعة أيام، لأن ولدها يعوذ بها.

وثقن به عند الحفيظة فارعوى *** إلى صوته جاراته و حلائله(1)

إلى ذائد في الحرب لم يك خاملا *** إذا عاذ بالسيف المجرد حامله

كما زاد عن عريسة الغيل مخدر *** يخاف الردى ركبانه و رواحله(2)

فما كنت ألقي لا مرئ عند موطن *** أخوا بأخي، لو كان حيا أباده

و كنت به أغشى القتال فعزني *** عليه من المقدار من لا أقاتله(3)

لعمرك إن الموت منا لمولع *** بمن كان يرجى نفعه و نوافله

فما البعد إلا أننا بعد صحبة *** كأن لم نبايت وائلا و نقايله(4)

سقى الضففات الغيث ما دام ناويا *** بهنّ و جادت أهل شوك مخايله(5)

و ما بي حبّ الأرض إلا جوارها *** صداه و قول ظنّ إني قائله

رثاؤه لأخيه حكم

قال أبو عبيدة: ثم قتل أخوه حكم أيضا في وجهه، و برز بعض عشيرته إلى قاتله فقتله، و أتى أخاه الشمردل أيضا نعيه فقال يرثيه(6):

/

يقولون احتسب حكما و راحوا *** بأبيض لا أراه و لا يراني

و قبل فراقه أيقنت أنني *** و كلّ ابني أب متفارقان(7)

أخ لي لو دعوت أجاب صوتي *** و كنت مجيبه أنني دعاني

فقد أفنى البكاء عليه دمعي *** و لو أنني الفقيد إذا بكاني(8)

مضى لسبيله لم يعط ضيما *** و لم ترهب غوائله الأداني

قتلنا عنه قاتله و كنّا *** نصول به لدى الحرب العوان(9)

قتيلا ليس مثل أخي إذا ما *** بدا الخفرات من هول الجنان(10)

و كنت سنان رمحي من قناتي *** و ليس الرّمح إلا بالسنان

- 1- الحلائل: جمع حليلة، وهي الزوجة.
- 2- في الأصول: «فخاف الردى ركناته ورواحله»، صوابه من «أمالى اليزيدي». المخدر: الأسد في خدره، أي عرينه.
- 3- عزني: غلبني.
- 4- بايته: بات معه؛ وكذا قائله: نام معه وقت القائلة، وهي الظهيرة. وفي الأصول: «تبايت وائلا و تقاتله»، وعند «اليزيدي»: «يبايت وائلا و يقايله»، والوجه ما أثبتنا.
- 5- الضفريات: جمع الضفرة، وهي أرض سهلة مستطيلة. وفي الأصول: «الصفريات»، صوابه في «أمالى اليزيدي». وشوك، بالضم: ناحية نجدية قريبة من الحجاز.
- 6- الأبيات في «أمالى اليزيدي» 45-46.
- 7- «اليزيدي»: «متفرقان».
- 8- «اليزيدي»: «ولو كنت المصاب».
- 9- العوان من الحروب: التي قوتل فيها مرة بعد مرة.
- 10- الخفريات: جمع خفرة وهي الشديدة الحياء. الجنان: القلب، وفي الأصول: «مذهول» و صححه الشنقيطي بما أثبتناه.

و كان بهابك الأعداء فينا *** و لا أخشى وراءك من رماني

فقد أبدوا ضغائنهم و شدوا *** إليّ الطّرف و اغتمزوا لياني(1)

فذاك أخ نبا عنه غناه *** و مولى لا تصول له يدان

ادعاء الفرزدق بيتا من شعر الشمردل بعد تهديده

حدّثني هاشم بن محمّد الخزاعي، قال حدّثنا أبو غسان عن أبي عبيدة عن أبي عمرو و أبي سهيل قالوا:

وقف الفرزدق على الشمردل و هو ينشد قصيدة له فمر فيها هذا البيت:

و ما بين من لم يعط سمعا و طاعة *** و بين تميم غير جز الحلاقم

/فقال له الفرزدق: و الله يا شمردل لتتركّ لي هذا البيت، أو لتتركن لي عرضك. فقال: خذه لا بارك الله لك فيه. فأدّعه وجد له في قصيدة ذكر فيها قتيبة بن مسلم التي أوّلها:

تحنّ بزوراء المدينة ناقتي *** حنين عجول تبغي البورائم(2)

تأويل رؤيا للشمردل ينعي على إثرها أخوه وائل

حدّثنا هاشم قال حدّثنا غسان عن أبي عبيدة قال:

رأى(3) الشمردل فيما يرى النائم كأن سنان رمحه سقط، فعبه على بعض من يعبر الرؤيا، فأتاه نعي أخيه وائل، فذلك قوله:

و تحقيق رؤيا في المنام رأيتها *** فكان أخي رمحا ترقّض عامله(4)

شعره حين سكر مع نديمين و نسي أحدهما نعله

حدّثنا هاشم قال حدّثنا دماذ عن أبي عبيدة قال:

كان الشمردل مغرما بالسّراب، و كان له نديمان يعاشرانه في حانات الخمارين بخراسان، أحدهما يقال له ديكل من قومه، و الآخر من بني شيبان يقال له قبيصة، فاجتمعوا يوما على جزور و نحروه و شربوا حتّى سكروا، و انصرف قبيصة حافيا و ترك نعله عندهم، و أنسيها من السكر، فقال الشمردل:

شربت و نادمت الملوّك فلم أجد *** على الكأس ندمانا(5) لها مثل ديكل

/أقلّ مكاسا في جزور و إن غلت *** و أسرع إنضاجا و إنزال مرجل(6)

- 1- الطرف: الكريم من الخيل. و اغتمزوا لياني: استضعفوا اللين مني.
- 2- زوراء: موضع عند سوق المدينة قرب المسجد. و العجول: الناقة الشديدة الحزن لفقد ولدها. البؤ: ولد الناقة، و جلد الحوار يحشى تبنا فيقرب من أم الفصيل فتدّر. رائم: عاطفة.
- 3- في ج، ب: «رأيت» و هو خطأ.
- 4- ترفض: تكسر. و في الأصول: «ترقص». و انظر ما سبق من التحقيق في ص 353.
- 5- الندمان، بالفتح: النديم.
- 6- المكاس: انتقاص الثمن في البيع و استحطاطه. و في الأصول: «بكأس» صوابه في ش و «معجم البلدان».
- 7- البازل: الناقة في تاسع سنيها. الكوماء: العظيمة السنام.

سقيناه بعد الرّي حتى كأنما *** يرى حين أمسى أبرقي ذات مأسل(1)

عشبة أنسينا قبيصة نعله *** فراح الفتى البكريّ غير منعل

هجاؤه هلال بن أحوز حين لم يرض عطاءه

حدّثنا هاشم قال: حدّثنا دماذ عن أبي عبيدة قال:

مدح الشمردل بن شريك هلال بن أحوز المازنيّ و استمأحه، فوعده الرّفد، ثم ردّده زمانا طويلا حتى ضجر، ثم أمر له بعشرين درهما فدفعها إليه وكيّله غلّة فردها، وقال يهجو: /

يقول هلال كلّما جئت زائرا *** ولا خير عند المازني أعاوده

ألا ليتني أمسي و بيني وبينه *** بعيد مناط الماء غير فدافده(2)

غدا نصف حول منه إن قال لي غدا *** و بعد غد منه كحول أراصده(3)

و لو أنني خيّرت بين غداته *** و بين برازي ديلميا أجالده

تعوّضت من ساقبيّ عشرين درهما *** أتاني بها من غلّة السّوق ناقده(4)

و لو قيل مثلا كنز قارون عنده *** و قيل التمس موعوده لا أعاوده

و مثلك منقوص اليدين رددته *** إلى محتد قد كان حيننا يجاحده(5)

هجاؤه للضبّي حين شمت بمصرع إخوته

حدّثنا هاشم قال:

حدّثنا أبو غسان عن أبي عبيدة أن رجلا من بني ضبّة كان عدوا للشمردل، و كان نازلا في بني دارم بن مالك، ثم خرج في البعث الذي بعث مع وكيع، فلما قتل إخوة الشمردل و ماتوا، بلغه عن الضبّي سرور بذلك، و شماتة بمصيبته فقال:

يا أيّها المبتغي شمتي لأشتمه *** إن كان أعمى فأني عنك غير عم(6)

ما أرضعت مرضع سخلا أعقّ بها *** في الناس لا عرب منها ولا عجم(7)

من ابن حنكلة كانت و إن عربت *** مذالة لقدور الناس و الحرم(8)

عوى ليكسبها شرا فقلت له *** من يكسب الشر ثديي أمّه يلم

- 1- الأبرقان: تشية أبرق، و هو غلظ فيه حجارة و رمل و طين مختلطة. وفي الأصول: «ترى حرشا في أبرقي أم مرسل»، و أثبتنا ما في «معجم البلدان» (أبرق ذات مأسل).
- 2- المناط: موضع التعليق، و المراد مكان الماء. الفدغد: الفلاة و المكان الصلب.
- 3- أراصده: أراقبه و أنتظره.
- 4- تعرّض: أخذ العوض.
- 5- في الأصول: «مجاهده».
- 6- كذا جاءت الرواية بالالتفات.
- 7- السخل: المولود، و هو أيضا الضعيف الرذل.
- 8- الحنكلة: الدميمة السوداء من النساء. عربت المرأة: تحببت إلى زوجها، أو حرصت على اللهو. المذالة: الأمة المهانة.
- 9- المعطس: الأنف. اللّم: الجنون.

متى أجثك و تسمع ما عنيت به *** تطرق على فذع أو ترض بالسلم (1)

أولا فحسبك رهطا أن يفيدهم *** لا يغدرون و لا يوفون بالذمم

ليسوا كثعلبة المغبوط جارهم *** كأنه في ذرى ثهلان أو خيم (2)

يشبهون قريشا من تكلمهم *** و طول أنصية الأعناق و الأمم (3)

إذا عدا المسك يجري في مفارقهم *** راحوا كأنهم مرضى من الكرم

جزوا النواصي من عجل و قد وطئوا *** بالخيل رهط أبي الصهباء و الحطم

و يوم أفلتهن الحوفزان و قد *** شالت عليه أكف القوم بالجذم (4)

إني و إن كنت لا أنسى مصابهم *** لم أدفع الموت عن زيق و لا حكم (5)

لا يبعدا فتيا جود و مكرمة *** لدفع ضيم و قتل الجوع و القرم (6)

و البعد غالهما عني بمنزلة *** فيها تفرق أحياء و مخترم (7)

و ما بناء و إن سدّت دعائمه *** إلا سيصبح يوما خاوي الدعم (8)

لئن نجوت من الأحداث أو سلمت *** منهنّ نفسك لم تسلم من الهرم

رثاؤه لعمر بن يزيد الأسيدي

حدّثنا هاشم قال: حدّثنا دماذ عن أبي عبيدة قال:

كان عمر بن يزيد الأسيدي صديقا للشمر دل بن شريك، و محسنا إليه كثير البر به و الرفد له، فأتاه نعيه و هو بخراسان، فقال يرثيه:

لبس الصّباح و أسلمته ليلة *** طالت كأنّ نجومها لا تبرح (9)

من صولة يجتاح أخرى مثلها *** حتى ترى السدف القيام التّوج (10)

عظّلتن أيديهنّ ثم تفجعت *** ليل التّمّام بهنّ عبرى تصدح

و حليلة رزئت و أخت و ابنة *** كالبدر تنظره عيون لمّح

لا يبعد ابن يزيد سيّد قومه *** عند الحفاظ و حاجة تستنجح

1- القذع: الخنا والفحش. والسلم: الاستسلام والإذعان.

2- ثهلان، وخيم: جبلان.

3- من تكلمهم، هي في «الكامل» 35 و«أمالى القالى» (328:1): «في تجلتهم». وفي «الحيوان» (92:3): «من تجلتهم». الأنضية: جمع نضيّ: وهو عظم العنق. الأمم: جمع أمة، وهي القامة.

4- الحوفزان: لقب الحارث بن شريك. شالت: ارتفعت. الجذم: السياط.

5- زيق بالزاي هو زيق بن بسطام بن قيس الشيباني.

6- القرم: شدة شهوة اللحم. في س: «فتا». وفي ب: «فتنا» تحريف.

7- مخترم: يقال اخترمته المنية، إذا أخذته.

8- سدّت: صارت سديدة مستقيمة. الدعم: جمع دعمة، وهي الدعامة يعتمد عليها البيت.

9- لبس الصباح: دخل فيه. وفي الأصول: «لبث».

10- في الأصول: «يحتاج» وهو مقلوب. السدف: الضوء قيسية، والظلام تميمية.

حامى الحقيقة لا تزال جياده *** تغدو مسومة به و تروح (1)

للحرب محتسب القتال مشمر *** بالدرع مضطمر الحوامل سرح (2)

اساد العراق و كان أول وافد *** تأتي الملوك به المهاري الطلح (3)

يعطي الغلاء بكل مجد يشتري *** إن المغالي بالمكارم أربح (4)

أرجوزته في وصف الصقر و القنص

حدّثنا هاشم قال حدّثنا دماذ عن أبي عبيدة قال:

كان الشمردل صاحب قنص و صيد بالجوارح، و له في الصقر و الكلب أراجيز كثيرة، و أنشدنا قوله:

قد اغتدي و الصبح في حجابه *** و الليل لم يأو إلى مآبه

و قد بدا أبلق من منجابه *** بتوجي صاد في شبابه (5)

معاود قد ذلّ في إصعابه *** قد خرّق الصّفار من جذابه (6)

و عرف الصوت الذي يدعى به *** و لمعة الملمع في أثوابه (7)

فقلت للقنص إذ أتى به *** قبل طلوع الآل أو سراه

ويحك ما أبصر إذ رأى به *** من بطن ملحوب إلى لبابه (8)

قشعا ترى التبت من جنابه (9) *** فانقص كالجلمود إذ علا به

غضبان يوم قنية رمى به *** فهنّ يلقين من اغتصابه

تحت جديد الأرض أو ترابه *** من كلّ شحّاج الصّحى ضغّابه (10)

إذا لا يزال حربيه يشقى به *** منتزع الفؤاد من حجابيه

/جاد و قد أنشب في إهابه *** مخالبا ينشبن في إنشابه

مثل مدى الجزار أو حرابه *** كأنما بالحلق من خضابه

عصفرة الفؤاد أو قضابه (11) *** حوى ثمانين على حسابه

- 1- المسوّمة: المعلمة. و تروح: من الرواح.
- 2- مضطمر: ضامر. الحوامل: الأرجل.
- 3- المهاري: إبل منسوبة إلى مهرة بن حيدان. الطلح: المتعبة.
- 4- الغلاء: المغلاة.
- 5- الأبلق: الذي فيه سواد و بياض. منجابه، المنجاب: اسم مكان من انجاب بمعنى انكشف. و يقال انجاب عنه الظلام: انشق التوجي:
الصقر المنسوب إلى توج من قرى فارس. و بعض أبيات هذه الأرجوزة في «معجم البلدان» (توج).
- 6- في كل الأصول: «قد حرق الصغار من حدانه».
- 7- الإلماع: الإشارة بالثوب و نحوه. في الأصول: «في ألوانه».
- 8- ملحوب: موضع.
- 9- القشع، بالفتح: بيت من آدم. و التبت، كذا وردت.
- 10- الشحاج: ذو الصوت الغليظ. و الضغاب: المفرع بصوته.
- 11- كذا ورد الشطر.

من خرب و خزر يعلى به (1) *** لفتية صيدهم يدعى به (2)

واعدهم لمنزل بتنا به *** يطهى به الخربان أو يشوى به (3)

فقام للطبخ و لاحتطابه *** أروع يهتاج إذا هجنا به

أرجوزته في الذئب الذي قتله بعد أن فتك بغنمه

أخبرنا هاشم قال حدّثنا دماذ عن أبي عبيدة قال:

كان ذئب قد لازم مرعى غنم للشمردل، فلا يزال يفرس منها الشاة بعد الشاة، فرصده ليلة حتى جاء لعادته، ثم رماه بسهم فقتله وقال فيه:

هل خيّر السرحان إذ يستخبر *** عني وقد نام الصّحاب السّمّر (4)

لما رأيت الضّان منه تنفر *** نهضت و سنان و طار المنزر (5)

وراع منها مرح مستيهر (6) *** كأنه إعصار ريح أغبر /

فلم أزل أطرده و يعكر (7) *** حتى إذا استيقنت ألا أعذر

وإنّ عقري غنمي ستكثر (8) *** طار بكفي و فوادي أوجر (9)

ثمّت أهويت له لا أزر *** سهما فولّى عنه و هو يعثر

و بتّ ليلي آمنّا أكبر

استجادة الأصمعي أبياتا للشمردل

إشارة

أخبرنا أبو الحسن الأسدي قال حدّثنا الرياشي قال حدّثنا الأصمعي قال: قال الشمردل بن شريك - و كان يستجيد هذه الأبيات و يستحسنها، و يقول: إنها لمن ظريف الكلام -:

ثم استقلّ منعمات كالدمى *** شمس العتاب قليلة الأحقاد (10)

كذب المواعد ما يزال أخو الهوى *** منهنّ بين مودّة و بعاد (11)

- 1- الخرب: ذكر الحبارى. والخز: الذكر من الأرناب.
- 2- في الأصول: «لقينة».
- 3- الخربان: جمع خرب وهو ذكر الحبارى.
- 4- السرحان: الذئب.
- 5- المئزر: الملحفة. وفي الأصول: «طاب المئزر».
- 6- وفي الأصول: «وراح». والمستبهر: الذاهب العقل. وفي الأصول: «مستبهر». والمستبهر: المتخايل.
- 7- يعكرو: يكر وينصرف. في ب، س: «استيقنته لا أعذر».
- 8- العقري: الجرحى.
- 9- الأوجر: الخائف.
- 10- الدمية: الصورة المنقشة. والشمس، بضم تين: جمع شمس بالفتح، وهي النافرة.
- 11- في كل الأصول: «ما يقال».

حتى ينال حبالهنّ معلقا *** عقل الشريد و هنّ غير شراد(1)

و الحبّ يصلح بعد هجر بيننا *** و يهيج معتبة بغير بعد

صوت

خليليّ لا تستعجلا أن ترودا *** و إن تجمعا شملي و تنتظرا غدا

و إن تنظراني اليوم أقض لبانة *** و تستوجبا منّا عليّ و تحمدا

الشعر للحصين بن الحمام المري، والغناء لبذل الكبرى ثاني ثقيل بالبنصر، من روايتها و من رواية الهشامي.

ص: 245

1- في ب، س: «حيالهن».

فهرس موضوعات الجزء الثالث عشر

الموضوع الصفحة

أخبار أبي الطمّحان القيني 5

أخبار الأسود ونسبه 13

أخبار أرطاة ونسبه 22

أخبار جعفر بن علبه الحارثي ونسبه 33

أخبار العجير السلولي ونسبه 41

أخبار خزيمه بن نهذ ونسبه 54

نسب المغيرة بن حبناء وأخباره 58

أخبار سويد بن أبي كاهل ونسبه 71

أخبار العتابي ونسبه 76

أخبار الأبيرد ونسبه 87

أخبار منصور النمرّي ونسبه 97

نسب عبد الله بن الحجاج وأخباره 109

أخبار ناهض بن ثومة ونسبه 120

أخبار المخبل ونسبه 130

أخبار غيلان ونسبه 137

أخبار حاجز ونسبه 143

أخبار الحارث بن الطفيل ونسبه 149

أخبار عبد الصمد بن المعذل ونسبه 154

أخبار عبد الرحمن ونسبه 176

أخبار مسعدة و نسبه 182

أخبار مطيع بن إياس و نسبه 185

أخبار محمّد بن كناسة و نسبه 226

أخبار قلم الصّالحيّة 233

أخبار الشمردل و نسبه 236

فهرس الموضوعات 247

ص: 247

الأغاني

ساير نويسندگان

مصصح و مترجم:

مكتب تحقيق دار احياء التراث العربي

المجلدات : 25 ج

زبان: عربي

ناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان

سال نشر: 1415 هجرى قمرى | 1994 ميلادى

كد كنگره: PJA 3892 / الف 6 1374

تنظيم متن ديڭيتال ميشم حيدرى

ص: 248

رأت دار الكتب المصرية أن تستعين بنخبة من جهابذة العلماء المتصلعين في فنون العربية و آدابها و تاريخها لإنجاز الكتب التي تقوم بتحقيقها وإخراجها من ذخائر التراث العربي القديم، و عهدت بالجزء الرابع عشر من كتاب الأغاني إلى العلامة الجليل الأستاذ أحمد زكي صفوت وكيل كلية دار العلوم سابقاً، فقام سيادته بهذا العمل، و بذل أوسع الجهد في تحقيقه و مراجعته على النسخ التي رجعت إليها الدار في تحقيق الأجزاء السابقة، و هي:

أ، ب، ج، س؛ و قد سبق وصفها في مقدّمة الجزء الأوّل.

ط؛ و قد سبق وصفها في مقدّمة الجزء الثاني.

ثم حصلت الدار أخيراً على أجزاء متفرقة من هذا الكتاب، من مكتبتي ميونيخ و توبنجن بألمانيا، فقام موظفو قسم حماية التراث بمقابلتها على ما يوافق هذا الجزء منها؛ و بيانها:

1 - جزء مصوّر في مجلدين، محفوظ بدار الكتب المصرية برقم 24658 ز؛ مأخوذ عن أصله المحفوظ بمكتبة ميونيخ، برقم 470؛ مكتوب بخط نسخ جليّ؛ بقلم مسعود بن محمّد بن غازي، في السابع عشر من شهر رجب سنة ثلاث عشرة و ستمائة. و جميع الأبيات التي ترد في أوّل الصفحة و آخرها، و كذلك البيت الأوّل في كل صوت؛ مكتوبة بالخط الثلث الغليظ؛ و بأوّل الجزء ثبت بأسماء التراجم التي تبدأ ببقية أخبار عبد الله بن الزبير الأسدي(1)؛ و ينتهي بأخر أخبار مقتل ابني عبيد الله بن العباس(2).

و يقع في 290 لوحة، و مسطرته من 15-19 سطراً. و قد أعطى هذا الجزء رمز «مب».

2 - جزء مصوّر في مجلد واحد، محفوظ بدار الكتب المصرية برقم 24664 ز، مأخوذ عن أصله المحفوظ بمكتبة ميونيخ برقم 480، و هو بخط مغربيّ و ليس به تاريخ. و يتدئ ببقية أخبار عبد الله بن الزبير الأسديّ، و ينتهي بوقفه قلم عند البيت:

أبعد نديمي اللذين بعافل *** بكيتهما حولاً مدى أتوجّس

في أثناء خبر قس(3) بن ساعدة الإياديّ.

و بأوله ثبت بأسماء المترجمين في هذا الجزء، من بقية أخبار عبد الله بن الزبير الأسديّ، إلى أخبار قس بن ساعدة.

ص: 251

1- طبعة الدار 14:228.

2- طبعة بولاق 15:48.

3- طبعة بولاق 14:43.

و يقع في 165 لوحة، و مسطرتة 17 سطرا، و قد أعطى هذا الجزء رمز «مط».

3 - جزء في مجلد واحد، مصوّر بدار الكتب المصرية برقم 23063 ز، مأخوذ عن أصله المحفوظ بمكتبة توينجن، برطم 7397 (أهلوارد)، يبدأ أوله ببقية أخبار عبد الله بن الزبير الأسدي. و به نقص من آخره عن نسخة «مب» مقدارها صفحة. مكتوب بقلم تعليق. و يبدو من بعض التصويبات التي بحواشيه، أنه مقابل على نسخة أخرى؛ و يقع في 210 لوحة، و مسطرتة 24 سطرا. و قد أعطى هذا الجزء رمز «ها».

ص: 252

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ *

1 - أخبار الحصين بن الحمام و نسبه

نسبه

هو الحصين بن الحمام بن ربيعة بن مساب(1) بن حرام بن واثلة(2) بن سهم بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن الريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار.

مكائنه في قومه

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال: أخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال:

كان الحصين بن الحمام سيّد بني سهم بن مرة. وكان خصيلاً بن مرة و صرمة بن مرة و سهم بن مرة أمهم جميعاً حرقفة(3) بنت مغنم بن عوف بن بلي بن عمرو بن الحاف(4) بن قضاة، فكانوا يدا واحدة على من سواهم، وكان حصين ذا رأيهم وقائدهم ورائدهم. وكان يقال له: مانع الضميم(5).

وفود ابنه على معاوية

وحدّثني جماعة من أهل العلم أنّ ابنه أتى باب معاوية بن أبي سفيان فقال لأذنه: استأذن لي على أمير المؤمنين وقل: ابن مانع الضميم، فاستأذن له؛ فقال له معاوية: ويحك! لا يكون هذا إلا ابن عروة بن الورد العبسي، أو الحصين بن الحمام المرّي، أدخله. فلمّا دخل إليه قال له: ابن من أنت؟ قال: أنا ابن مانع الضميم الحصين بن الحمام؛ فقال: صدقت، ورفع مجلسه وقضى حوائجه.

حرب قومه بني سهم بن مرة مع بني صرمة بن مرة

أخبرني ابن دريد قال: أخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال:

كان ناس من بطن من قضاة يقال لهم: بنو سلامان بن سعد بن زيد بن الحاف بن قضاة. وبنو سلامان بن

ص: 253

1- مساب: جاء في «خزانة الأدب» مضبوطاً بالعبارة قال: «مساب بضم الميم وتخفيف السين» وجاء مضبوطاً بالشكل بفتح الميم في

كتاب «أشعار الحماسة» شرح التبريزي طبع أوربة ص 187، ولم يرد في المعجمات اللغوية التي بأيدينا.

2- ورد هذا الاسم في الأصول «واثلة» بالثاء؛ والتصويب من «تاج العروس» (مستدرك مادة وأل).

3- في ب، س: «حرقلة» وفي ج: «حرقفة» وكذا في «مختار الأغاني» الكبير لابن المكرم صاحب «لسان العرب» (نسخة مصورة بدار الكتب المصرية) ج 3 ص 403. وفي «أشعار الحماسة» طبع أوربة ص 190: «حرقفة البلوية» مضبوطا بهذا الضبط بالشكل - و البلوية نسبة إلى جدها بليّ - ولم يرد في المعجمات.

4- الحاف؛ أصله الحافي، وهو مما حذفت العرب ياءه اجتزاء بالكسرة، كما قالوا العاص بن أمية بن عبد شمس، و العاص بن وائل السهمي، و حذيفة بن اليمان؛ والأصل العاصي واليماني.

5- كذا في ب، س، وفي ح: «وكان حصين ذا رأيهم ورائدهم. قال أبو حاتم قال أبو عبيدة قال أبو عمرو: كان الحصين بن الحمام سيد بني سهم بن مرة، و كان يقال له مانع الضيم».

سعد إخوة عذرة بن سعد، وكانوا حلفاء لبني صرمة بن مرة ونزولا فيهم. وكان الحرقه(1) وهم بنو حميس بن عامر بن جهينة حلفاء لبني سهم بن مرة، وكانوا قوما/يرمون بالنبل رميا سديدا(2)، فسّموا الحرقه لشدة قتالهم.

وكانوا نزولا في حلفائهم بني سهم بن مرة. وكان في بني صرمة يهودي من أهل تيماء يقال له جهينة بن أبي حمل.

وكان في بني سهم يهودي من أهل وادي القرى يقال له غصين(3) بن حي، وكانا تاجرين في الخمر(4). وكان بنو جوشن - أهل بيت من عبد الله بن غطفان - جيرانا لبني صرمة، وكان يتشاءم بهم ففقدوا منهم رجلا يقال له خصيلة(5) كان يقطع الطريق وحده. وكانت أخته وإخوته يسألون الناس عنه، وينشدونه في كل مجلس وموسم.

فجلس ذات يوم أخ لذلك المفقود الجوشي في بيت غصين بن حي جار بني سهم يبتاع خمرًا، فبينما هو يشتري(6) إذ مرّت أخت المفقود تسأل عن أخيها خصيلة، فقال غصين(7):

تسائل عن أخيها كلّ ركب *** وعند جهينة الخبر اليقين

فأرسلها مثلا(8)، يعني بجهينة نفسه. فحفظ الجوشي هذا البيت، ثم أتاه من الغد فقال له: نشدتك الله ودينك هل تعلم لأخي علما؟ فقال له: لا وديني لا أعلم. فلما مضى أخو المفقود تمثّل:

العمرك ما ضلّت ضلال ابن جوشن *** حصاة بليل ألقيت وسط جندل

- أراد أن تلك الحصاة يجوز أن توجد، وأن هذا لا يوجد أبدا - فلما سمع الجوشي ذلك تركه، حتى إذا أمسى أتاه فقتله. وقال الجوشي:

طعنت وقد كاد الظلام يجتني *** غصين بن حي في جوار بني سهم(9)

فأتى حصين بن الحمام(10) فقبل له: إنّ جارك غصينا اليهودي قد قتله ابن(11) جوشن جار بني صرمة. فقال حصين:

ص: 254

1- اختلف اللغويون في ضبطه: فضبط بضم فسكون، وبضمّتين، وبضمّ ففتح (انظر «تاج العروس»).

2- في الأصول «شديدا»، والصواب «سديدا»؛ كما في «مختار الأغاني الكبير» ج 3 ص 403.

3- في ب، س «حصين» والصواب غصين كما في ج و «مختار الأغاني الكبير» ج 3: ص 404 و «لسان العرب» مادة جفن، وقد تكرر هذا الاسم بعد محرفا.

4- كذا في ج. وفي ب، س: «وكان تاجرا في الخمر».

5- في ب، س «حصين».

6- في ج و «مختار الأغاني». «فبينما هما يشربان».

7- في ب، س: «جهينة» وهو تحريف.

8- ورد في «مجمع الأمثال» للميداني (1:394) في شرح هذا المثل ما ملخصه: أن حصين بن سبيع الغطفاني خرج مع الأحنس بن كعب الجهني وتعاقد على السلب والنهب، وكلاهما فاتك يحذر صاحبه. وكان من أمرهما أن طلبا رجلا من لحم ليسلباه، فوجدها نازلا

في ظل شجرة وقدامه طعام و شراب فنزلا به و أكلا و شربا معه. ثم إن الجهني ذهب لبعض شأنه، فرجع فرأى الحصين قد فتك باللخمي. و أراد الحصين بعد ذلك أن يتغفل صاحبه الجهني ليقته، و لكنه فطن لما يراد به، فبادره بقتله، و احتوى على متاعه و متاع اللخمي، و انصرف راجعا إلى قومه، فإذا هو بامرأة تنشد الحصين بن سبيح، فقال لها: من أنت؟ قالت: أنا صخرة امرأة الحصين، قال: أنا قتلتك. فقالت: كذبت، ما مثلك يقتل مثله، أما لو لم يكن الحي خلوا ما تكلمت بهذا. ثم قال في ذلك أبياتا منها: تسائل عن حصين كل ركب و عند جهينة الخبر اليقين اقرأ هذا الخبر أيضا و شرح المثل المذكور في «لسان العرب» مادة جفن، و فيه أنه يروى «حفينة» بالحاء، و يروى «جفينة» بالجيم.

9- في الأصول و «مختار الأغاني»: «ظعنت» و هو تصحيف. و أجنه: ستره.

10- في الأصول: «فقال له» و التصويب من «مختار الأغاني الكبير».

11- في الأصول: «أبو جوشن» و التصحيح عن «مختار الأغاني».

فاقتلوا اليهودي الذي في جوار بني صرمة، فأتوا جهينة بن أبي حمل فقتلوه. فشدّ بنو صرمة على ثلاثة من حميس بن عامر جيران بني سهم فقتلوههم. فقال حصين: اقتلوا من جيرانهم بني سلامان ثلاثة نفر، ففعلوا. فاستعر الشرّ بينهم. قال: وكانت بنو صرمة أكثر من بني سهم رهط الحصين بكثير. فقال لهم الحصين: يا بني صرمة، قتلتم جارنا اليهودي فقتلنا به جاركم اليهودي، فقتلتم من جيراننا من قضاة ثلاثة نفر و قتلنا من جيرانكم بني سلامان ثلاثة نفر، وبيننا وبينكم رحم ماسّة قريبة، فمروا جيرانكم من بني سلامان فيرتحلون عنكم، ونأمر جيراننا من قضاة فيرتحلون عنا جميعا، ثم هم أعلم. فأبى ذلك بنو صرمة، وقالوا: قد قتلتم جارنا ابن جوشن، فلا نفعل حتى نقتل مكانه رجلا من جيرانكم؛ فإنك (1) تعلم أنكم أقلّ منا عددا وأذلّ، وإنّما بنا تعزّون وتمنعون. فناشدهم الله والرحم فأبوا. وأقبلت الخضر (2) من محارب، وكانوا في بني ثعلبة بن سعد، فقالوا: نشهد نهب/بني سهم إذا انتهبوا فنصيب منهم. وخذلت غطفان كلّها حصينا، وكرهوا ما كان من منعه جيرانه من قضاة. وصاقهم حصين الحرب وقاتلهم ومعه جيرانه، وأمرهم ألا يزيدوهم على التّبل، وهزمهم الحصين، وكفّ يده بعد ما أكثر فيهم القتل. وأبى ذلك البطن (3) من قضاة أن يكفّوا عن القوم حتى أثنوا فيهم. وكان سنان بن أبي حارثة (4) خذّل الناس عنه لعداوته قضاة، وأحبّ سنان أن يهتّب الحيّان من قضاة، وكان عيينة بن حصن وزبان/بن سيّار بن عمرو بن جابر ممن خذّل عنه أيضا. فأجلبت بنو ذبيان على بني سهم مع بني صرمة، وأجلبت محارب بن خصفة معهم.

شعره في لوم بني عمه على تجردهم لقتاله

فقال الحصين بن الحمام في ذلك من أبيات:

ألا تقبلون التّصف مّا وأتم *** بنو عمنا! لا بلّ هامكم القطر (5)

سنأبى كما تأبون حتى تليّنكم *** صفائح بصرى والأسنة والأصر (6)

أيوكل مولانا ومولى ابن عمنا *** مقيم ومنصور كما نصرت جسر (7)

فتلك التي لم يعلم الناس أنني *** خنعت لها حتى يغيبني القبر

فليتكم قد حال دون لقاءكم *** سنون ثمان بعدها حجج عشر (8)

/أجدّي لا ألقاكم الدهر مرّة *** على موطن إلاّ خدوكم صعر (9)

ص: 255

1- كذا في ح. وفي ب، س: «فإنا نعلم».

2- في الأصول «الحضر» بالحاء؛ وهو تصحيف. و الصواب الخضر، وهم بطن من قيس عيلان سموا بذلك لخضرة ألوانهم. وقد رأيت بعد في «مختار الأغاني الكبير» ج 3: ص 405 قال: «وأقبلت الحضر خضر محارب».

3- أي بنو حميس بن عامر.

4- في الأصول «أي جارية» وهو تصحيف.

5- النصف: الإنصاف كالنصف محرّكة. والهام: جمع هامة، وهي الرأس. يدعو عليهم ألا يمطروا.

- 6- الصفائح: السيوف العريضة. بصرى: بلد بالشام من أعمال دمشق، وتنسب إليها السيوف البصرية. الأصر: الكسر و الحبس.
- 7- في ب، س «نعيم» و هو تحريف، و تصويبه عن ح و «مختار الأغاني». المولى: الحليف و الجار. يعني حلفاءهم من بني حميس. و مولى ابن عمنا: يعني بني سلامان حلفاء بني عمهم صرمة بن مرة. و جسر: هم جسر بن محارب بن خصفة بن قيس عيلان. و قد تقدم في القصة: أن محارب بن خصفة أجلبت مع بني صرمة على بني سهم قوم الحصين.
- 8- حجج: جمع حجة بالكسر، و هي السنة.
- 9- تقول العرب: أجدّي و أجدك، بالنصب و بكسر الجيم و فتحها. فمن قال: أجدك بكسر الجيم فإنه يستحلفه بجده و حقيقته، و من فتح الجيم استحلفه بجده و هو بخته. و نصبه على المصدر، كأنه قال: أجدنا منك، أو بطرح الباء و معناه أجد هذا منك. و لا يستعمل إلا مضافا. و صعر: جمع أصعر، و صف من الصعر بالتحريك و هو ميل الخد؛ يقال: صعر خده، إذا أماله عن النظر إلى الناس تهاونا.

إذا ما دعوا للبغي قاموا وأشرقت *** وجوههم، والرّشد ورد له نفر (1)

فوا عجباً حتّى خصيلة أصبحت *** موالى عزّ لا تحلّ لها الخمر!

- قوله: موالى عزّ، يهزأ بهم. ولا تحلّ لهم الخمر، أراد فحرّموا الخمر على أنفسهم كما يفعل العزيز، وليسوا هناك -:

ألّمّا كشفنا لأمة الدّلّ عنكم *** تجرّدت لا برّ جميل ولا شكر (2)

فإن يك ظنّي صادقاً تجز منكم *** جوازي الإله والخيانة والغدر (3)

قال: فأقاموا على الحرب والنزول على حكمهم، وغازطهم بنو ذبيان ومحارب بن خصفة. وكان رئيس محارب حميضة بن حرملة. و نكصت عن حصين قبيلتان من بني سهم وخاتاه، وهما عدوان وعبد عمرو بنا سهم، فسار حصين، وليس معه من بني سهم إلا بنو وائلة بن سهم وحلفاؤهم وهم الحرقة، وكان فيهم العدد، فالتقوا بدارة موضوع، فظفر بهم الحصين وهزمهم وقتل منهم فأكثر. وقال الحصين بن الحمام في ذلك:

انتصاره عليهم و شعره في ذلك و فخره بقومه

جزى الله أفناء العشيرة كلّها *** بدارة موضوع عقوقا ومأثما (4)

بني عمّنا الأدين منهم ورهطنا *** فزارة إذا رامت بنا الحرب معظما (5)

ولمّا رأيت الودّ ليس بنافعي *** وإن كان يوما ذا كواكب مظلما (6)

صبرنا وكان الصبر منا سجيّة *** بأسيافنا يقطعن كفا ومعصما

نفلّق هاما من رجال أعزّة *** علينا وهم كانوا أعقّ وأظلما

نطاردهم نستنقذ الجرد بالقنا *** ويستنقذون السّمهريّ المقومّا (7)

- نستنقذ الجرد، أي نقتل الفارس فنأخذ فرسه. ويستنقذون السّمهريّ وهو القنا الصلب، أي نطعنهم فتجرّهم الرماح -

لذن غدوة (8) حتى أتى الليل ما ترى *** من الخيل (9) إلاّ خارجيّاً مسومّا

ص: 256

1- نفر: الجماعة يتقدمون في الأمر.

2- اللّامة: الدرع. يريد لباس الدّل. تجرد للأمر: جدّ فيه، أي جددت في قتالنا.

3- الجوازي: الجزاء، جمع جازية، مصدر على فاعلة.

4- الأفناء من الناس: الأخطا، واحدها فنو بالكسر أو فنا كعصا. ودارة موضوع: موضع بين ديار بني مرة وديار بني شيبان.

5- أي جزى الله بني عمنا معظما أي أمرا معظما.

6- اسم كان ضمير اليوم، أي وإن كان اليوم يوما ذا كواكب. ويوم ذو كواكب: ذو شدائد، كأنه أظلم بما فيه من الشدائد حتى رثيت كواكب السماء.

7- الجرد: جمع أجرد و جرداء. و فرس أجرد: قصير الشعر رقيقه، وذلك من علامات العتق و الكرم. و السمهري: نسبة إلى سمهر، و هو رجل كان يثقف الرماح.

8- ورد نصب غدوة بعد لذن و هو نادر، فلذن حينئذ منقطعة عن الإضافة لفظا و معنى، و غدوة بعدها منصوبة على التمييز للذن أو على أنها خبر لكان محذوفة مع اسمها أي لذن كانت الساعة غدوة. و يجوز جر غدوة بالإضافة على الأصل، و رفعها بكان تامة محذوفة. و الغدوة: البكرة أو ما بين صلاة الفجر و طلوع الشمس.

9- في الأصول: «من الليل». و التصحيح عن «مختار الأغاني» و «المفضليات» و «منتهي الطلب». و الخارجي هنا: كل ما فاق جنسه و نظائره. و الخيل المسومة: التي عليها سمة أي علامة تعرف بها، و المرسلة عليها ركبانها.

و أجرد كالسرحان يضربه الندى *** و محبوبكة كالسيّد شقاء صلدا(1)

يطأن من القتلى و من قصد القنا *** خبارا فما يجرين إلا تقحّما(2)

عليهنّ فتیان كساهم محرّق *** و كان إذا يكسو اجاد و أكرما(3)

اصفائح بصرى أخلصتها قيونها *** و مطّردا من نسج داود مبهما(4)

جزى الله عنا عبد عمر و ملامة *** و عدوان سهم ما أذلّ و الأما

فلست بمبتاع الحياة بسبّة *** و لا مرتق من خشية الموت سلّما

رثاؤه نعيم بن الحارث

و قال أبو عبيدة:

و قتل في تلك الحرب نعيم بن الحارث بن عباد بن حبيب بن وائلة بن سهل، قتله بنو صرمة يوم دارة موضوع، و كان وادّا للحصين فقال يرثيه:

قتلنا خمسة و رموا نعيما *** و كان القتل للفتيان زينا

لعمر الباقيات على نعيم *** لقد جلّت رزيتته علينا

فلا تبعد نعيم فكلّ حيّ *** سيلقى من صروف الدهر حيننا(5)

لومه بني حميس حين فارقوا قومه

قال أبو عبيدة:

ثم إن بني حميس كرهوا مجاورة بني سهم ففارقوهم و مضوا، فلحق بهم الحصين بن الحمام فردّهم و لا مهم على كفرهم نعمته و قتاله عشيرته عنهم، و قال في ذلك:

إنّ امرأ بعدي تبدّل نصركم *** بنصر بني ذبيان حقّا لخاسر(6)

ص: 257

1- السرحان: الذئب، و كذا السيد. و المحبوك: الفرس الشديد الخلق القويّ. و الأشق من الحيل: ما يشتق في عدوه و يذهب يمينا و شمالا كأنه يميل في أحد شقيه، و الطويل. يقال: فرس أشق، و الأثنى شقاء. و في ب، س: «نيقا» و هو تحريف، و الصلدم: الصلب، و الشديد الحافر.

2- انقصد الرمح: انكسر نصفين حتى يبين، و كل قطعة قصدة بالكسر و الجمع قصد. و الخبر من الأرض: ما لان و استرخى و كانت فيه أحجار، و في ب، س: «جيدا»، و في ج «شريحا» و هو تحريف. و تقحم الأمر: رمى بنفسه فيه، و في «المفضليات» و «منتهى الطلب»: «إلا تجشما».

3- محرق: لقب الحارث بن عمرو ملك الشام من آل جفنة. و إنما سمي بذلك لأنه أول من حرق العرب في ديارهم. فهم يدعون آل محرق؛ و هو أيضا لقب عمرو بن هند لأنه حرق مائة من بني تميم.

4- في ب، س: «محكما»، و القيون: جمع قين بالفتح، و هو الحداد. و مطردا: أي و درعا مطردا (و الدرع قد تذكر) و اطرد الشيء: تبع بعضه بعضا، و اطرد الأمر: استقام. و المعنى تتابعت حلقاتها و اتصلت، و مبهما: لا مأتى له و لا ثلم فيه.

5- فلا تبعد: فلا تهلك. و الحين: الموت.

6- في البيت خرم.

أولئك قوم لا يهان ثويهم *** إذا صرّحت كحل و هبّ الصنابر(1)

/وقال لهم أيضا:

ألا أبلغ لديك أبا حميس *** و عاقبة الملامة للمليم(2)

فهل لكم إلى مولى نصور *** و خطبكم من الله العظيم

فإنّ دياركم بجنوب بسّ *** إلى ثقف إلى ذات العظوم(3)

- بسّ: بناء بنته غطفان شبّهوه بالكعبة، و كانوا يحجّونه و يعظّمونه و يسمّونه حرما، فغزاهم زهير بن جناب الكلبيّ فهدمه -

غذتكم في غداة الناس حجّا *** غداء الجائع الجعد اللثيم(4)

فسيروا في البلاد و ودّعونا *** بقحط الغيث و الكلاّ الوخيم

قوله في بني حميس أيضا يلومهم و يذكر يده عليهم

قال أبو عبيدة: قال عمرو:

زعموا أن المثلّم بن رباح قتل رجلا يقال له حباشة في جوار الحارث بن ظالم المرّي، فلحق المثلّم بالحصين بن الحمام، فأجاره. فبلغ ذلك الحارث بن ظالم، فطلب الحصين بدم حباشة، فسأل في قومه و سأل في بني حميس جيرانه فقالوا: إنّنا لا نعقل(5) بالإبل، و لكن إن شئت أعطيناك الغنم. فقال في ذلك و في كفرهم نعمته:

/خليليّ لا تستعجلا أن تزودا *** و أن تجمعما شملي و تنتظرا غدا

فما لبث يوما بسائق مغنم *** و لا سرعة يوما بسابقة غدا(6)

و إن تنظراني اليوم أقض لبانة *** و تستوجبا منّا عليّ و تحمدا(7)

لعمرك إنّّي يوم أغدو بصرمتي *** تناهى حميس بادئين و عودا(8)

ص: 258

1- الثوي: الضيف. كحل: السنة المجذبة (تصرف و لا تصرف) و يقال: صرحت كحل، إذا لم يكن في السماء غيم. و الصنابر: الرياح الباردة.

2- ألام: أتى ما يلام عليه.

3- في ب، س: «لبس» و التصحيح عن ح و «معجم البلدان» في الكلام على «ثقف» ج 3: 19 - قال في «القاموس المحيط»: «بس: بيت لغطفان بناه ظالم بن أسعد لما رأى قريشا يطوفون بالكعبة، و يسعون بين الصفا و المروة، فذرع البيت و أخذ حجرا من الصفا و حجرا من

المروءة ورجع إلى قومه وبنى بيتا على قدر البيت ووضع الحجرين فقال: هذان الصفا والمروة، فاجتزءوا به عن الحج. فأغار زهير بن جناب الكلبي فقتل طالما وهدم بناءه». وثقف وذات العظوم: موضعان.

4- في الأصول: «غدتكم في غدا الناس حجنا: غداء» وهو تحريف، و حجا بالضم (وبكسر أيضا) جمع حاج مثل بازل و بزل. و الجدع: السيئ الغذاء.

5- عقل القتيل: دفع ديته.

6- اللبث بالتحريك: المكث والإبطاء كاللبث بفتح اللام وضمها. و يلاحظ أن هنا إطاء.

7- أنظره: أخره وأمهله. و اللبانة: الحاجة.

8- الصرمة: القطعة من الإبل ما بين العشرين إلى الثلاثين؛ وقيل غير ذلك. تناهى: كف، أي كف بنو حميس عن معاونتنا في إبل الدية، أو معناه: تناهى بنو حميس أي نهى بعضهم بعضا عن معاونتنا في ذلك فكفوا.

وقد ظهرت منهم بوائق جمّة *** وأفرع مولا هم بنا ثم أصعدا(1)

و ما كان ذنبي فيهم غير أنني *** بسطت يدا فيهم و أتبعتها يدا

و أني أحامي من وراء حريمهم *** إذا ما المنادي بالمغيرة نددا(2)

إذا الفوج لا يحميه إلا محافظ *** كريم المحيّا ماجد غير أجردا

فإن صرّحت كحل و هبّت عريّة *** من الرّيح لم تترك لذي العرض مرفدا(3)

صبرت على وطء الموالي و خطبهم *** إذا ضنّ ذو القربى عليهم و أجمدا(4)

الحصين و البرج بن الجلاس

أخبرني ابن دريد قال: حدّثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال:

كان البرج بن الجلاس الطائيّ خليلاً للحصين بن الحمام و نديما له على الشراب، و فيه يقول البرج بن الجلاس:

و ندمان يزيد الكأس طيبا *** سقيت و قد تغوّرت النجوم(5)

رفعت برأسه فكشفت عنه *** بمعرفة ملامة من يلوم(6)

و نشرب ما شربنا ثم نصحوا *** و ليس بجانبني خدّي كلوم

و نجعل عبأها لبني جعيل *** و ليس إذا انتشوا فيهم حلیم(7)

كانت للبرج أخت يقال لها العفاطة(8)، و كان البرج يشرب مع الحصين ذات يوم فسكر و انصرف إلى أخته فافتصّها، و ندم على ما صنع لمّا أفاق، و قال لقومه: أيّ رجل أنا فيكم؟ قالوا: فارسنا و أفضلنا و سيّدنا. قال: فإنه إن علم بما صنعت أحد من العرب أو أخبرتم به أحدا ركبت رأسي فلم تروني أبدا، فلم يسمع بذلك أحد منهم. ثم إن أمة لبعض طيئ وقعت إلى الحصين بن الحمام، فرأت عنده البرج الطائي يوما و هما يشربان. فلما خرج من عنده قالت للحصين: إنّ نديمك هذا سكر عندك ففعل بأخته كيت و كيت، و أو شك أن يفعل ذلك بك كلّما أتاك فسكر عندك. فزجرها الحصين و سبّها، فأمسكت. ثم إنّ البرج بعد ذلك أغار على جيران الحصين بن الحمام من الحرقة فأخذ أموالهم، و أتى الصّريخ(9) الحصين بن الحمام، فتبع القوم، فأدركهم، فقال للبرج: ما صبّك على جيرانني يا برج؟ فقال له: و ما أنت و هم هؤلاء من أهل اليمن و هم متّاء، و أنشأ يقول:

ص: 259

1- بوائق: جمع بانقة، و هي الداھية. و أفرع بهم: نزل.

2- بالمغيرة: أي بالخيل المغيرة أي بركابها. و ندّد: رفع صوته.

- 3- العربية: الريح الباردة. و العرض: السعة. و المرفد بفتح الميم و ضمها: المعونة.
- 4- وطنه: داسه. و خطبهم: حالهم و شأنهم. المجدد: البخيل.
- 5- تغور النجم و غار: غاب.
- 6- بمعرفة: أي بخمر معرفة؛ يقال: أعرق الشراب: جعل فيه عرقا من الماء: أي قليلا.
- 7- انتشى: سكر.
- 8- كذا في ب، س، و في ج «القفاطة».
- 9- الصريخ هنا: المستغيث.

أتى لك الحرقات فيما بيننا! *** عن بعيد منك يا ابن حمام(1)

أقبلت تزجي ناقة متباطئا *** علطا تزجّيها بغير خطام

تزجي: تسوق، علطا: لا خطام عليها ولا زمام، أي أتيت هكذا من العجلة - فأجابه الحصين بن الحمام:

برج يؤثمني ويكفر نعمتي *** صمّي لما قال الكفيل صمام(2)

مهلا أبا زيد فإتاك إن تشأ *** أوردك عرض مناهل أسدام(3)

أوردك أقلبة إذا حافلتها *** خوض القعود خبيئة الأخصام(4)

أقبلت من أرض الحجاز بدمة *** علطا أسوقها بغير خطام(5)

في إثر إخوان لنا من طيئ *** ليسوا بأكفاء ولا بكرام

لا تحسبنّ أبا العفاطة أنني *** رجل بخبرك ليس بالعلام(6)

فاستزلوك وقد بللت نطاقها *** عن بنت أمك والذبول دوامي(7)

ثم ناصب الحصين بن الحمام البرج الحرب، فقتل من أصحاب البرج عدّة وهزم، سائرهم، / واستنقذ ما في أيديهم، وأسر البرج، ثم عرف له حقّ ندامه وعشرته إياه فمنّ عليه وجزّ ناصيته وخلّى سبيله. فلما عاد البرج إلى قومه وقد سبّه الحصين بما فعل بأخته لامهم وقال: أشعثم ما فعلت بأختي وفضحتموني، ثم ركب رأسه وخرج من بين أظهرهم فلحق ببلاد الروم، فلم يعرف له خبر إلى الآن.

وقال ابن الكلبي: بل شرب الخمر صرفا حتى قتلته.

غارته على بني عقيل و بني كعب و شعره في ذلك

أخبرني ابن دريد قال: حدّثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال:

جمع الحصين بن الحمام جمعا من بني عديّ ثم أغار على بني عقيل و بني كعب فأثخن فيهم و استاق نعما كثيرا و نساء، فأصاب أسماء بنت عمرو سيّد بني كعب فأطلقها و منّ عليها، و قال في ذلك:

ص: 260

- 1- أتى لك الحرقات: أي من أين لك قرباتهم. عن الشيء عننا: ظهر أمامك و عرض. أي إن ما عنّ لك في هذا الشأن بعيد و باطل.
- 2- أئمه تأثيما: قال له أثمت. الكفيل هنا: الّذي لا يثبت على ظهر الدابة (انظر «تاج العروس») و من أمثال العرب: صمى صمام، و الخطاب للداهية. و صمام كقطاع: الداهية الشديدة. و صمى صمام أي زيدي يا داهية.
- 3- العرض من النهر و البحر: وسطه. مياه أسدام: متغيرة.

4- كذا في الأصول. و الأقلبة: جمع قليب و هي البئر. و الأخصام: جمع خصم بالضم. و خصم كل شيء: طرفه و جانبه. و لعل صوابه: أوردك أقلبة إذا ما خلقتها الخ و المعنى على ذلك: أوردك أقلبة خبيثة الأخصام إذا ما ظننتها سهلة الاستقاء غير شاقة كالمخاضة التي تخوضها القعود بسهولة، أو لعل صوابه «أوردك أقلبة أجاجا ماؤها: خوص القعور...» و خوص (بالضم) جمع خوصاء، و بئر خوصاء: بعيدة القعر لا يروي ماؤها الأنعام.

5- بذمة: أي بناقة ذمة أي مفرطة الهزال شبه الهالكة، فهي مذمومة لأجل ذلك؛ من قولهم: بئر ذمة أي قليلة الماء مذمومة. العطل في الأصل: المرأة ليس عليها حلي، يريد أن الناقة ليس عليها زمام، أو هو «علطا» كما جاء في بيت البرج بن الجلاس السابق.

6- الخبر: العلم بالشيء. و في ب، س: «كالعلام» و هو تحريف.

7- كذا في «مختار الأغاني الكبير» ج 3: ص 408 و في الأصول: «من بيت أمك» و هو تصحيف.

فدى لبني عدي ركض ساقى *** و ما جمعت من نعم مراح(1)

تركنا من نساء بني عقيل *** أيامى تبتغي عقد النكاح(2)

أرعيان الشويّ وجدتمونا *** أم اصحاب الكريهة و التّطاح(3)؟

لقد علمت هوازن أنّ خيلي *** غداة التّعف صادقة الصّباح(4)

عليها كلّ أروع هبرزيّ *** شديد حدّه شاكي السّلاح(5)

افكرّ عليهم حتّى التقينا *** بمصقول عوارضها صباح(6)

فأبنا بالتّهاب و بالسّبايا *** و بالبيض الخرائد و اللّقاح(7)

و أعتقنا ابنة العمريّ عمرو *** و قد خضنا عليها بالقداح

إدراكه الإسلام و شعره الدال على ذلك

أخبرنا ابن دريد قال: حدّثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة أنّ الحصين بن الحمام أدرك الإسلام. قال: ويدلّ على ذلك قوله:

و قافية غير إنسيّة *** قرضت من السّعر أمثالها(8)

شروء تلمّع بالخافقين *** إذا أنشدت قيل من قالها(9)

و حيران لا يهتدي بالنهار *** من الظلع يتبع ضلالها(10)

وداع دعا دعوة المستغيث *** و كنت كمن كان لبّي لها

إذا الموت كان شجا بالحلوق *** و بادرت النفس أشغالها(11)

ص: 261

1- النعم: الإبل و الشاء، أو خاص بالإبل. و أراح الإبل: ردها إلى المراح (بالضم) أي المأوى.

2- أيامى: جمع أيم كسيد، و هي من لا زوج لها بكر أو ثيبا.

3- الشويّ: جمع شاة.

4- النعف: ما انحدر من حزونة الجبل و ارتفع عن منحدر الوادي، و هو هنا موضع بعينه، و صادقة الصباح أي الغارة في الصباح. و كانوا أكثر ما يغيرون عند الصباح، و يسمون يوم الغارة يوم الصباح.

5- الأروع: من يعجبك بحسنه أو بشجاعته. و الهبرزي: المقدم. و حدّه: بأسه. و شاكي السّلاح: ذو شوكة و حدّ في سلاحه.

6- بمصقول عوارضها أي نساء مصقول عوارضها. و العوارض: جمع عارضة، و هي صفحة الخد. و صباح: جمع صبيحة، أي جميلة

وضيئة الوجه.

7- النهاب: جمع نهب، وهو الغنيمة. والخريد والخريدة والخرود: البكر لم تمسس، أو الحية الطويلة السكوت الخافضة الصوت المسترة، والجمع خرائد. واللقاح: الإبل، واحدها لقوح كصبور.

8- غير إنسية: يعني أنه ألهمه إياها جني. وكانت العرب تزعم أن لبعض الفحول من شعرائهم شياطين يلهمونهم الشعر. ذكر صاحب «جمهرة أشعار العرب» أنه كان لعبيد بن الأبرص صاحب منهم اسمه هبيد، وللأعشى صاحب اسمه مسحل، ولامرئ القيس صاحب اسمه لافظ بن لاحظظ، وللنابغة الذبياني صاحب اسمه هاذر... الخ.

9- قافية شرود: سائرة في البلاد تشرد كما يشرد البعير. وتلمع: تبرق وأصله تتلمع فحذفت إحدى التاءين تخفيفاً. والخافقان: المشرق والمغرب.

10- ظلع الرجل كمنع: عرج وغمز في مشيه.

11- الشجا: ما اعترض في الحلق من عظم ونحوه.

صبرت و لم أك رعديدة *** و للصبّر في الرّوع أنجى لها(1)

او يوم تسعّر فيه الحروب *** لبست إلى الرّوع سربالها(2)

مضعفة السّرد عاديّة *** و غضب المضارب مفصالحها(3)

و مطّردا من ردينيّة *** أذود عن الورد أبطالها(4)

فلم يبق من ذلك إلا التّقى *** و نفس تعالج آجالها

أمور من الله فوق السماء *** مقادير تنزل أنزالها(5)

أعوذ برّي من المخزيا *** ت يوم ترى النفس أعمالها

و خفّ الموازين بالكافرين *** و زلزلت الأرض زلزالها

و نادى مناد بأهل القبور *** فهبّوا لتبرز أثقالها

و سعّرت النار فيها العذاب *** و كان السلاسل أغلالها

موته و رثاء أخيه إياه

إشارة

حدّثنا ابن دريد قال حدّثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال:

مات حصين بن الحمام في بعض أسفاره، فسمع صائح في الليل يصيح لا يعرف في بلاد بني مرّة:

ألا هلك الحلو الحلال الحلاحل *** و من عقده حزم و عزم و نائل(6)

- الحلو: الجميل، و الحلال: الذي لبس عليه في ماله عيب(7). و الحلاحل: الشريف العاقل -:

و من خطبه فصل إذا القوم أفحموا *** يصيب مرادي قوله من يحاول

/ - المرادي: جمع مرادة، و هي صخرة تردى بها الصخور، أي تكسر - قال: فلما سمع أخوه معيّة بن الحمام ذلك قال: هلك و الله

الحصين، ثم قال يرثيه:

إذا لاقيت جمعا أو فنا *** فإني لا أرى كأبي يزيد(8)

- 1- في ج «و لا الصبر» و في ب، س «و الصبر» و هما تحريف. رجل رعديد و رعديدة: جبان يرعد عند القتال جبنا. و الروع: الفرع.
- 2- تسعر أصله تتسعر، أي تتقد. السربال: القميص، و تطلق على الدرع كما في البيت.
- 3- السرد: نسج الدرع. و مضعفة: مضاعفة. و عادية: قديمة، نسبة إلى عاد. و غضب المضارب: سيفا قاطعا. و مفصال: مبالغة في فاصل أي ماض.
- 4- من ردينية أي من رماح ردينية، نسبة إلى ردينة زوجة سمهر، و كانا مثقفين للرماح. و رمح مطرد: الأنايب و الكعوب أي مستقيمها متتابعها.
- 5- أنزال جمع نزل كعنق و قفل، و هو المنزل، أي تقع مواقعها.
- 6- النائل: النوال و العطاء.
- 7- في ب، س «عين» و هو تحريف.
- 8- الفئام: الجماعة من الناس.
- 9- الصفي: الحبيب المصافي.

كأنَّ مصدرًا يحبو ورائي *** إلى أشباله يبغي الأسودا

المصدر: العظيم الصدر، شبه أخاه بالأسد.

صوت

لا أرق الله عيني من أرقته له *** ولا ملا مثل قلبي قلبه ترحا

يسرني سوء حالي (1) في مسرته *** فكلما ازددت سقما زادني فرحا

الشعر لمحمد بن يسير، والغناء لأحمد بن صدقة، رمل بالوسطى.

ص: 263

1- في ب، س: «من».

نسبه

محمد بن يسير (1) الرياشي، يقال إنه مولى لبني رياش الذين منهم العباس بن الفرج الرياشي الأخباري الأديب، ويقال إنه منهم صليبية. و بنو رياش يذكرون أنهم من خثعم، ولهم بالبصرة (2) خطّة وهم معروفون بها، وكان محمد بن يسير هذا شاعرا ظريفا من شعراء المحدثين، متقلّل، لم يفارق البصرة، ولا وفد إلى خليفة ولا شريف منتجعا، ولا تجاوز بلده، وصحبته طبقة، وكان ماجنا هجاء خبيثا.

قصته مع والي البصرة

اشارة

أخبرني عمي الحسن بن محمد قال: حدّثنا ابن مهرويه قال: حدّثني عليّ بن القاسم بن عليّ بن سليمان طارمة (3) قال:

بعث إليّ محمد بن أيّوب بن سليمان بن جعفر بن سليمان - وهو يتولّى البصرة حينئذ - في ليلة صبيحتها يوم سبت، فدخلت إليه وقد بقي من الليل ثلثه/أو أكثر (4). فقلت له: أنمت وانتبهت أم لم تنم بعد؟ فقال:

قد قضيت حاجتي من النوم، وأريد أن أصطبح (5) وأبتدئ الساعة بالشرب، وأصل ليلتي بيومي (6) محتجبا عن الناس، وعند محمد بن رباح، وقد وجّهت إلى إبراهيم بن رياش، وحضرت أنت، فمن ترى أن يكون خامسنا؟ قلت: محمد بن يسير. فقال: واللّه ما عدوت ما في نفسي. فقال لي ابن رباح: اكتب إلى محمد بن يسير بيتين تدعوه فيهما وتصف له طيب هذا الوقت، وكان يوم غيم، والسماء تمطر مطرا غير شديد ولا متتابع؛ فكتب إليه ابن رباح:

ص: 264

1- ورد اسم هذا الشاعر في نسخ «الأغاني» المطبوعة والمخطوطة. وفي «الأمالى»، وفي «أشعار الحماسة شرح التبريزي» طبع أوربة و مصر «محمد بن بشير»؛ وهو تصحيف - وقد تكرر هذا الخطأ إلى آخر الترجمة - والتصويب عن «الشعر والشعراء» ص 560 طبع أوربة» ويؤكد ذلك ما ورد في «القاموس» و «تاج العروس»، مادة يسر: «وأبو جعفر محمد بن يسير البصري شاعر، وهو القائل يرثي نفسه: كأنه قد قيل في مجلس قد كنت آتية وأغشاه: صار اليسيري إلى ربه يرحمنا الله وإياه وكذا أخوه عليّ شاعر أيضا ذكرهما الذهبي» وقد جاء هذان البيتان في ترجمته في «الأغاني» - وسيردان عليك بعد - فعلم أنه هو. وقال فيه ابن قتيبة في «الشعر والشعراء»: «وكان في عصر أبي نواس وعمر بعده حيناً» وقد توفي أبو نواس 198 هـ.

2- خطّة: أرض اختطوها واتخذوا فيها مساكن لهم.

3- جاء في «تاج العروس» (مستدرک مادة طرم): «الطارمة: بيت من خشب كالقبة، فارسي معرّب». والظاهر أنه لقب له.

4- في الأصول: «أو أكثره».

5- اصطبح: شرب الصبوح (كصبور)، وهو شرب الغداة.

6- في الأصول: «بنومي» وهو تصحيف.

يوم سبت و شنبذ و رذاذ *** فعلام الجلوس يا بن يسير؟ (1)

قم بنا نأخذ المدامة من كفّ غزال مضمخ بالعبير (2) - في هذين البيتين لعباس أخي بحر ثقيل أول بالنصر - وبعث إليه بالزقعة، فإذا الغلمان قد جاءوا بالجواب. فقال لهم: بعثتكم لتجيتوني برجل فجتتموني برقعة! فقالوا: لم نلقه، وإنما كتب جوابها في منزله، و لم تأمرنا بالهجوم عليه فنهجم. فقرأها فإذا فيها:

/أجىء على شرط فإن كنت فاعلا *** وإلا فإني راجع لا أناظر

ليسرج لي البرذون في حال دلجتي *** وأنت بدلجاتي مع الصبح خابر (3)

لأقضي حاجاتي إليه وأثنى *** إليك، و حجّام إذا جئت حاضر

فيأخذ من شعري و يصلح لحيتي *** و من بعد حمّام و طيب و جامر (4)

و دستيجة من طيب الراح ضخمة *** يرودنيها طائعا لا يعاسر (5)

فقال محمّد بن أيوب: ما نقول؟ فقلت: إنك لا تقوى على مطاولته، و لكن اضمن له ما طلب، فكتب إليه: قد أعدّ لك - و حياتك - كلّ ما طلبت فلا تبطن؛ فإذا به قد طلع علينا، فأمر محمّد بن أيوب بإحضار المائدة. فلما أحضرت أمر بمحمد بن يسير فشدّ بحبل إلى أسطوانة من أساطين المجلس، و جلسنا نأكل بحذائه. فقال لنا: أي شيء يخلصني؟ قلنا: تجيب نفسك عما كتبت به أقبح جواب. فقال: كفّوا عن الأكل إذا و لا تستبقوني به فتشغلوا خاطري، ففعلنا ذلك و توقّفنا، فأنشأ يقول:

أيا عجا من ذا التّسري فإنه *** له نخوة في نفسه و تكابر (6)

/يشارط لمّا زار حتّى كأنه *** مغنّ مجيد أو غلام مؤاجر (7)

ص: 265

1- شنبذ: كلمة فارسية. جاء في «معجم جونسون» - و هو معجم فارسي عربي إنجليزي - «شنبذ - يوم السبت. جنبد - يتحرك، يحرك. جنبد - يشب، يقفز، يجري». و جاء في «معجم ستنجاس»: جنبد - القفز، اللعب، تقريب عقب الرجل من الرأس» و يفهم من ذلك أن هذا اليوم يوم مرح و لعب و نشاط و نحو ذلك. و الرذاذ: المطر الضعيف.

2- المدامة و المدام: الخمر. و مضمخ: مدهن. و العبير: اخلاط من الطيب.

3- البرذون من الخيل: ما كان من غير نتاج العراب. و الدلجة: سير السحر.

4- جاء في «لسان العرب»: «أجمر الثوب و جمره: بخره بالطيب، و الآذي يتولى ذلك مجر و مجمر، و الجامر: الآذي يلي ذلك من غير فعل، إنما هو علي النسب.

5- في الأصول «طابعا» و هو تصحيف. و الدستيخ: آنية تحوّل باليد و تنقل، فارسي معرب. و الراح: الخمر. يرودنيها: رادت الإبل تروود:

اختلفت في المرعى مقبلة و مدبرة، وردتها أنا و أردتها؛ أي جعلتها ترعى، فمعنى يرودنيها هنا على التشبيه بذلك أي يجعلني أستقي منها غاديا رائحا أي مرارا. ولا يعاسر: لا يشاكس.

6- السرو: المروءة في شرف، سرو، ككرم و دعا و رضى فهو سرّي، و تسري تسريا: تكلف السرو. و تكابر و تكبر و استكبر بمعنى.

7- في الأصول «يشابط» و هو تحريف. و مؤاجر: جاء في «المصباح المنير»: «قال الأ-خفش: و من العرب من يقول أجرته فأنا مؤجر (بسكون الهمز) - في تقدير أفعلت فأنا مفعول - و بعضهم يقول فأنا مؤاجر - في تقدير فاعلته اه.

فلو لا ذمام كان بيني وبينه *** للظم بشار قفاه و ياسر(1)

فقال محمّد: حسبك، لم نرد هذا كله، ثم حلّه و جلس يأكل معنا، و تممنا يومنا.

فحلة شاة منيع معه و هجاؤه إياها

أخبرني عمي قال حدّثنا ابن مهرويه قال: حدّثني عليّ بن محمّد بن سليمان التّوفليّ قال:

كان محمّد بن يسير من شعراء أهل البصرة و أدبائهم، و هو من خثعم و كان من بخلاء الناس، و كان له في داره بستان قدره أربعة طوابيق(2) قلعتها من داره، فغرس فيه أصل رمان و فسيلة(3) لطيفة، و زرع حواليه بقال فأفلتت شاة لجار له يقال له: منيع، فأكلت البقل و مضغت الخوص، و دخلت إلى بيته فلم تجد فيه إلا القراطيس(4) فيها شعره و أشياء من سماعاته، فأكلتها و خرجت، فعدا إلى الجيران في المسجد يشكو ما جرى عليه، و عاد فزرع البستان، و قال يهجو شاة منيع:

لي بستان أنيق زاهر *** ناضر الخضرة ريّان ترف(5)

/اراسخ الأعراق ريّان الثرى *** غدق تربته ليست تجفّ(6)

لمجاري الماء فيه سنن *** كيفما صرّفته فيه انصرف(7)

مشرق الأنوار ميّاد التّدى *** منثن في كلّ ربح منعطف(8)

/تملك الريح عليه أمره *** فإذا لم يؤنس الريح وقف(9)

يكتسي في الشرق ثوبي يمّنة *** و مع الليل عليها يلتحف(10)

ينطوي الليل عليه فإذا *** واجه الشرق تجلّى و انكشف

صابر ليس بيالي كثرة *** جرّ بالمنجل أو منه نتف

كلما ألحف منه جانب *** لم يتلبّث منه تعجيل الخلف(11)

ص: 266

1- الذمام: الحق و الحرمة. و المفهوم أنه يعني بشار و ياسر خادمين من خدم الوالي أو رجلين من أتباعه. و في الأصول: «تلطم»؛ و هو تحريف.

2- الطابق كهاجر و صاحب و الطابق: الأجر الكبير. و يظهر من قوله «قلعتها من داره» أن البستان كان يدور حول المنزل، و أن ذلك القدر المذكور قدر عرضه.

3- الفسيلة: النخلة الصغيرة.

4- القراطيس: جمع قرطاس (وكسر القاف أشهر من ضمها)، وهو ما يكتب فيه.

5- أنيق: حسن معجب. وناضر: شديد الخضرة. ويبالغ به في كل لون فيقال: أخضر ناضر، وأحمر ناضر، وأصفر ناضر. ترف: ترف النبات كفرح: تروى، فهو ترف.

6- أرض غدقة: في غاية الرّي، وهي الندبة المبتلة.

7- سنن: جمع سنة وهي الطريقة.

8- الأنوار: جمع نور (بالفتح): وهو الزهر. ويقال للنبت ندى، لأنه عن ندى المطر نبت.

9- أنس الشيء: أحس به.

10- اليمنة: برد يمني، وهو موشى.

11- في الأصول «ألحق» بدل «ألحف»؛ وهو تحريف. و ألحفه: استأصله. ولم يتلبث: أي لم يتوقف ولم يبطئ.

لا ترى للكفّ فيه أثرا *** فيه بل ينمي على مسّ الأُكف (1)

فترى الأُطباق لا تمهله *** صادرات واردة تختلف

فيه للخارف من جيرانه *** كلّما احتاج إليه مخترف (2)

أقحوان و بهار مونتق *** و سوى ذلك من كلّ الطّرف (3)

او هو زهر للندامى أصلا *** برضا قاطفهم ممّا قطف (4)

و هو في الأيدي يحيون به *** و على الأنف طورا يستشف (5)

اعفه ياربّ من واحدة *** ثم لا أحفل أنواع التّلف (6)

اكفه شاة منيع وحدها *** يوم لا يصبح في البيت علف

اكفه ذات سعال شهلة *** متّعت في شرّ عيش بالخرف (7)

اكفه ياربّ وقضاء الطّلى *** ألحم الكتفين منها بالكتف (8)

و كلوح أبدا مفترّة *** لك عن هتم كليلات رجف (9)

و ننوس الأنف لا يرقا و لا *** أبدا تبصره إلا يكف (10)

لم تزل أظلافها عافية *** لم يظلّف أهلها منها ظلف (11)

ص: 267

1- نما ينمو نموا، و نمى ينمي نميا و نماء: زاد. و «فيه» الثانية حشو.

2- خرف الثمار خرفا كنصر: جناها، كاخترفها. و مخترف: مجتني. أو هو برفع «كل» و فصلها من «ما»، و كسر الراء من «مخترف».

3- الأقحوان: نبت طيب الريح حواليه ورق أبيض و وسطه أصفر. و البهار: نبت أصفر طيب الريح. و مونتق: معجب.

4- أصلا: جمع أصيل، و هو الوقت بعد العصر إلى المغرب. و الندامى: جمع ندمان، و هو المجالس على الشراب.

5- استشفه: تأمل ما فيه، و استشف ما في الإناء: شرب جميع ما فيه و تقصى شربه. و المعنى على هذا: يتقصى شمه كما يستشف الماء.

6- يقال: ما حفله (كضرب) و ما حفل به، و ما احتفل به، أي ما بالي.

7- الشهلة: العجوز. و الخرف هنا: الشبب (أردأ التمر).

8- الطلى: الأعناق أو أصولها جمع طلية أو طلاة. و الوقص (بفتحيتين): قصر العنق. و قص (كفرح) فهو أوقص و هي وقصاء. و الكتف،

بكسر التاء و سكونها مع فتح الكاف و كقرد. و لحمه (كنصر) و ألحمه: لأمه، يدعو عليها أن يلحم الله كتفيها حتى تصيرا كتفا واحدة.

9- الكالج: الذي قد قلصت شفته عن أسنانه نحو ما ترى من رءوس الغنم إذا برزت الأسنان و تشمرت الشفاه. و افتتر عن ثغره: أبدى أسنانه.

و عن هتم؛ أي عن أسنان مكسرة. ورجف: جمع رجوف، من رجف الشيء (كنصر) إذا خفق واضطرب اضطراباً شديداً.
10- نتوس: وصف، من ناس اللعاب: إذا سال فاضطرب. ويرقأ: يجف ويسكن و يتقطع، سهلت همزته. يعني أن رغامها (مخاطها) يسيل من منخريها لهزالها. و وكف الدمع و الماء (كوعد): سال.

11- أظلاف: جمع ظلف (بالكسر)، و هو للشاة كالحافر للفرس و القدم للإنسان. يقال: عفا الشعر و النبت و غيرهما إذا كثر و طال. و لم يظلف؛ اشتق من الظلف؛ يظلف بمعنى يقلم. و قلم الظفر: قطع ما طال منه. و ظلف: أصله ظلفا (بسكون اللام و بالألف، مفعول يظلف) و قف عليه بنقل فتحة الفاء إلى اللام و حذف الألف و سكن الفاء؛ لأن الروي مقيد، متبعاً في ذلك مذهب نحاة الكوفة و بعض نحاة البصرة المعاصرين له. و لبيان ذلك نقول: ذكروا أن في الوقف على المتحرك - غير هاء التانيث - خمسة أوجه: الإسكان و الروم و الإشمام و التضعيف و النقل، أي إنه يجوز نقل حركة الحرف الموقوف عليه إلى ما قبله بشروط، منها: أن يكون ساكناً و ألا تكون الحركة فتحة، كقراءة بعضهم: وَ تَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ * بكسر الباء و سكون الراء، فأما الفتحة فقد منع البصريون نقلها إذا كان المنقول عنه غير همزة، فلا يجوز عندهم رأيت بكر (بفتح الكاف و سكون الراء) و لا ضربت الضرب، لما يلزم على النقل حينئذ في المنون من حذف ألف التنوين، و حمل غير المنون عليه، و أجاز ذلك الكوفيون. و نقل عن الجرمي - و هو نحوي بصري توفي سنة 225 - أنه أجازته. و عن الأخفش - و هو نحوي بصري أيضاً توفي سنة 215 - أنه أجازته في المنون على لغة من قال رأيت بكر، و هم ربيعة. فأما المهموز فيجوز نقل حركته و إن كانت فتحة، فيقال رأيت الخبأ و الردء في رأيت الخبء و الرد. (انظر «شرح الأشموني» باب الوقف).

فترى في كل رجل ويد *** من بقاياهنّ فوق الأرض خفّ (1)

تسّف الأرض إذا مرّت به *** فلها إعصار ترب منتسّف (2)

ترهّج الطّرق على مجتازها *** بيد في المشي و الخطو القطف (3)

في يديها طرق، مشيتها *** حلقة القوس، وفي الرجل حنف (4)

فإذا ما سعلت واحد و دبت *** جاوب البعر عليها فخصف (5)

وأحصّ الشعر منها، جلدها *** شتّة في جوف غار منخسف (6)

ذات قرن وهي جمّاء، ألا *** إنّ ذا الوصف كوصف مختلف (7)

وإذا تدنوا إلى مستعسب *** عافها نتنا إذا ما هو كرف (8)

لا ترى تيسا عليها مقدما *** رميت من كل تيس بالصلّف (9)

شوهة الخلقة، ما أبصرها *** من جميع الناس إلّا و حلف (10)

ما رأى شاة ولا يعلمها *** خلقت خلقتها فيما سلف

عجبا منها و من تأليفها *** عجبا من خلقها كيف اتلف!

لو ينادون عليها عجبا *** كسبوا منها فلوسا و رغف

ص: 268

1- في الأصول كلها: «جف» بالجيم؛ و هو تصحيف. و الخف: ما يلبس في الرجل.

2- في الأصول: «تبدأ» بدل «بيد»: و هو تحريف. و «به» بالخف. و نسفه و انتسفه: قلعه من أصله. و الإعصار: الريح التي تهب من الأرض كالعمود نحو السماء، أو التي فيها العصار (ككتاب) و هو الغبار الشديد.

3- أرهّج: أثار الغبار. و القطف، أصله القطف (بسكون الطاء و كسر الفاء) فوقف عليه بالنقل كما تقدّم. يقال: قطفت الدابة كضرب قطفا، و كنصر قطافا و قطوفا، و ككرم فهي قطوف كصبور، أي بطيئة متقاربة الخطو.

4- في الأصول: «في يدها طرف من مشيتها: خلقة...» و هو تحريف و خطأ، و قد صححته كما ترى. و الطرق: ضعف في ركبتي البعير و يده، أو اعوجاج في ساقه؛ يقال: بعير أطرق و ناقة طرقاء، أي في يديها لين و استرخاء و تكسر و ضعف. مشيتها حلقة القوس أي مشيتها معوجة كحلقة القوس غير مستقيمة. و الحنف: الاعوجاج في الرجل إلى داخل.

5- في الأصول: «جاوب البعر منها فخصف» و هو خطأ؛ و قد صححته كما ترى. خصف الورق على بدنه: ألزقه و أطبقه عليه ورقة ورقة، أي فخصف عليها، فلصق بجسمها.

- 6- في الأصول: «وأخفى الشعر»؛ وهو تحريف. يقال: حص شعره وانحص إذا انجرد و تناثر. و ذنب أحص: لا شعر عليه. و في كتب اللغة أن الفعل يتعدى بنفسه بدون الهمز، يقال: حص الشعر كنصر إذا حلقه. و الشنة و الشنّ: القرية الخلق الصغيرة.
- 7- في الأصول: «و هي حما» و هو تصحيف. جممت الشاة، إذا لم يكن لها قرن، فهي جماء.
- 8- استعسب التيس: هاج و اغتلم. و عافها: كرهها و أعرض عنها. و كرفها: شمها؛ يقال كرف الفحل إذا شم طروفته ثم رفع رأسه نحو السماء و كشر حتى تقلص شفتاه.
- 9- صلفت المرأة كفرح صلفا: لم تحظ عند زوجها و أبغضها. و الصلف أيضا: الكبر. أي صلف التيس و أدل عليها.
- 10- يقال: رجل أشوه و امرأة شوهاء، إذا كانت قبيحة، و الاسم الشوهة بالضم. و لم ترد كلمة «شوهة» في كتب اللغة و صفا، فالتقدير في البيت «شوهة الخلقة صفة ثابتة لها، أو شوهة خلقتها ليس لها نظير». أو أنه استعمل الاسم استعمال الوصف مجازا.

ليتها قد أفلتت في جفنة *** من عجين أو دقيق مجترف (1)

فتلقت شفرة من أهله *** قدر الإصبع شيئا أو أشفت (2)

أحكمت كفاً حكيم صنعها *** فأتت مجدولة (3) فيها رهف

أدمجت من كل وجه غير ما *** ألل الأقيان من حد الطرف (4)

قابض الرنونق فيها مائع *** يخطف الأبصار منها يستشف (5)

لمحتها فاستخفت نحوها *** [عجلاً] ثم أحالت تتسفف (6)

فتناهت بين أضعاف المعى *** وتبوت بين أثناء الشغف (7)

أورمتها قرحة زادت لها *** ذوبانا كل يوم ونحف

كل يوم فيه يدنو يومها *** أو ترى واردة حوض الدنف

بينما ذاك بها إذ أصبحت *** كحميت (8) مفعم أو مثل جف

شاغرا عرقوبها قد أعتبت *** بطنة من بعد إدمان الهيف (9)

وغدا الصببية من جيرانها *** ليجزوها إلى مأوى الجيف

فتراها بينهم مسحوبة *** تجرف التراب بجنب منحرف (10)

فإذا صاروا إلى المأوى بها *** أعملوا الآجر فيها والخزف (11)

ثم قالوا: ذا جزاء للتي *** تأكل البستان منا والصحف (12)

لا تلوמוني، فلو أبصرت ذا *** كله فيها إذن لم أنتصف

ص: 269

1- في الأصول: «مخترف» بالخاء، وهو تصحيف والجفنة: القصة.

2- في الأصول: «فتلقت شعرة»؛ وهو تحريف.

3- لعل الأصل «مصقولة»؛ إذ المناسب للسكين الصقل لا الجدال. ورهف (ككرم) رهافة ورهفا بالفتح وبالتحريك: دق و لطف.

4- ألل الشيء تأليلاً: حدّد طرفه. والأقيان: جمع قين، وهو الحداد.

5- في الأصول «مانع» بالنون وهو تصحيف. و المائع من كل شيء: البالغ في الجودة الغاية في بابه. ورونق السيف: مأوه وحسنه. و

قابض الرونق، أي ما يمسكه ويحفظه. وخطف كسمع وضرب، أو هذه قليلة أو رديئة. و استشفه: رأى ما وراءه.

6- لمحتها، أي الشفرة أسند اللحم إليها و يريد أصحابها. فاستخفت: يريد فخفت إليها أي أسرعت لذبحها و القضاء عليها. وقد زدت كلمة «عجلا» ليستقيم الوزن، و أحالت: تحوّلت، أي هوت عليها تنسفا.

7- تنهت: انتهت أي بلغت و وصلت. و أضعاف المعى: أثنائها جمع ضعف بالكسر. و تبوّت سهل تبوّت، أي حلت و أقامت. و الشغف: غلاف القلب أو حبته كالشغاف.

8- في الأصول «لحميت» باللام؛ و هو تحريف. و الحميت: الزق الذي يجعل فيه السمن. و الجف: و الشن البالي يقطع من نصفه و يجعل كالدلو.

9- في ب، س «شاعرا عرفوا بها» و في ج شاعرا عرقوبها و هو تحريف. شاغرا عرقوبها أي مرفوعا، من شجر الكلب برجله كفتح إذا رفعها، و البطنة: عظم البطن. و الهيف: ضمير البطن ورقة الخاصة.

10- جرفه كنصر: كسحه.

11- الآجر: الطوب. و الخزف: الطين المعمول آنية قبل أن يطبخ؛ و هو الصلصال، فإذا شوى فهو الفخار.

12- في الأصول: «للذي»؛ و هو تحريف.

شعره إلى امرأته و قد كتبت إليه تعاتبه

أخبرني عليّ بن سليمان قال حدّثنا محمّد بن يزيد قال حدّثنا عبد الله بن محمّد بن يسير، و حدّثني سوار بن أبي شراة قال (1) حدّثني عبد الله بن محمّد بن يسير قال:

هوي أبي قينة من قيان أبي هاشم بالبصرة، فكتبت إليه أُمّي تعاتبه، فكتب إليها:

لا تذكري لوعة إثري و لا جزعا *** و لا تقاسنّ بعدي الهمّ و الهلعا (2)

بل انتسي تجدي إن انتسيت أسا *** بمثل ما قد فجعت اليوم قد فجعا (3)

ما تصنعين بعين عنك قد طمحت *** إلى سواك و قلب عنك قد نزعا (4)

إن قلت قد كنت في خفض و تكرمة *** فقد صدقت، و لكن ذاك قد نزعا (5)

و أيّ شيء من الدنيا سمعت به *** إلا إذا صار في غاياته انقطعا

و من يطيق خليعا عند صبوته *** أم من يقوم لمستور إذا خلعا

هجاؤه أبا النجم المغني

أخبرني عمي قال: حدّثنا ابن مهرويه قال: حدّثنا عبد الله بن يسير أن أباه دعي إلى وليمة و حضرها مغنّ يقال له أبو النجم، فعبث بأبي و باغضه و أساء أدبه، فقال يهجوّه:

نشت بأبي النجم المغنيّ سحابة *** عليه من الأيدي شائبها القفد (6)

انشأ (7) نوؤها بالنّحس حتى تصرّمت *** و غابت (8) فلم يطلع لها كوكب سعد

سفته فجدات فارتوى من سجالتها *** ذرا رأسه و الوجه و الجيد و الخدّ (9)

فلا زال يسقيه بها كلّ مجلس *** به فتية أمثالها الهزل و الجدّ

ص: 270

1- في الأصول: «سراة»؛ و هو تصحيف. و التصحيح عن «الأمالي» و «القاموس المحيط». و من أسمائهم سوار ككتاب و سوار كشدّاد.

2- في رواية «الأمالي» (ج 1: ص 23): «لا تتبعن لوعة إثري و لا هلعا» بتأكيد الفعل بنون التوكيد الخفيفة. و في الأصول: «و لا تقاسين» تحريف. و الهلع: أفحش الجزع.

3- أسا (بالضم و الكسر): جمع أسوة (بالضم و الكسر أيضا)، و هي القدوة و ما يأتسي به الحزين أي يتعزى به. و انتسي به: اقتدى به، و جعله أسوة أي قدوة.

4- نزع عن الأمر كضرب نزوعاً: كف وانتهى عنه و أباه.

5- الخفض: الدعة. وفي «الأمالى»: «فى وء». و فىه أفضا: «قد منعا».

6- نشأ، نشى بالشىء: عاوده مرة بعد أخرى، أو هو مسهل عن «نشأت»؛ يقال: نشأت السحابة إذا ارتفعت. و شأبب: جمع شؤبوب كعصفور، و هو الدفعة من المطر. و قفده قفدا كضربه: صفع قفاه بباطن كفه. و فى الأصول: «الفقد»؛ و هو تصحيف.

7- فى ب و س: «فشانأها»، و هو تحريف. و النوء: سقوط نجم فى المغرب و طلوع آخر فى المشرق. و كانت العرب فى الجاهلية تصف الأمطار و الرياح و الحر و البرد إلى الساقط منها أو إلى الطالع، فإذا سقط نجم و طلع آخر قالوا لا بد من أن يكون عند ذلك مطر أو رباح، فىنسبون كل غىث يكون عند ذلك إلى ذلك النجم، فىقولون: مطرنا بنوء الثرىا، و الدبران، و السماك.

8- فى الأصول: «و غاب» و هو تحريف. و فى البيت تهكم به و تعريض لأنه يدعى «أبا النجم».

9- سجال: جمع سجال بالفتح، و هو الدلو العظيمة مملوءة.

قصته مع صديق له يدعى داود

أخبرني عمي قال حدّثنا ابن مهوريه قال و حدّثني عبد الله بن محمّد بن يسير قال:

كان لأبي صديق يقال له داود من أسمح الناس وجها وأقلهم أدبا، إلا أنه كان وافر المتاع، فكان القيان يواصلنه ويكثرن عنده، ويهدين إليه الفواكه والنبذ والطيب، فيدعو بأبي فيعاشره. فهو يته قينة من قيان البصرة، كانت من أحسن الناس وجها، فبعثت إلى داود برقعة طويلة جدّا تعاتبه فيها وتستجفيه وتستزيره(2). فسأل أبي أن يجيبها عنه، فقال أبي: اكتب يا بنيّ قبل أن أحيب عنها:

و ابلائي من طول هذا الكتاب *** أسعدوني عليه يا أصحابي

أسعدوني على قراءة كتاب *** طوله مثل طول يوم الحساب(3)

/إنّ فيه منّي البلاء ملقّى *** ولغيري فيه الهوى والتّصابي

وله الودّ والهوى، وعلينا *** فيه للكاتبين ردّ الجواب

ثم ممن يا سيّدي؟ وإلى من؟ *** من هضم الحشا لعوب كعاب(4)

وإلى من إن قلت فيه بعيب *** لم أحط في مقالتي بالصواب(5)

لا يساوي على التأمّل والتف *** تيش يوما في الناس كفّ تراب

شعره في رثاء داود

فقال عبد الله: وكان أبي إذا انصرف من مجلس فيه داود هذا أخذه معه، فيمشي قدّامه، فإن كان في الطريق طين أو بئر أو أذى لقي داود شرّه و حذره أبي. فمات داود. و انصرف أبي ذات ليلة وهو سكران، فعثر بدكّان(6) وتلوّث بطين و دخل في رجله عظم و لقي عنتا، فقال يرثي داود:

أقول و الأرض قد غسّى و جلّ لها *** ثوب الدّجى فهو فوق الأرض ممدود(7)

وسدّ كلّ فروج الجوّ منطبقا *** و كلّ فرج به في الجوّ مسدود

وفي الوداع وفي الإبداء لي عنت *** دون المسير و باب الدار مسدود(8)

من لي بداود في ذي الحال يرشدني؟ *** من لي بداود؟ لهفي! أين داود؟

- 1- أي فلا زال الهزل و الجد يسقيانه أمثال هذه السحابة في كل مجلس به فتية.
- 2- في الأصول «فبعث إلى داود برقعة طويلة جدا يعاتبه فيها و يستجفيه و يستزيده» و كله تحريف. و تستجفيه: تنسبه إلى الجفاء و تعدّ جافيا. و تستزيه: تسأله أن يزورها.
- 3- قرأة، مسهّل عن قراءة.
- 4- امرأة هضميم: لطيفة الكشحين ضامرة البطن. و لعوب: حسنة الدل. و كعاب: كعب ثديها، أي نهد.
- 5- في الأصول: «بعيث» «لم أخط» و هو تصحيف و في ب، س «من مقالتي».
- 6- الدكان: بناء يسطح أعلاه للقعود - المصطبة.
- 7- غشاها: غطاها. و جلل المطر الأرض: عمها و طبقتها فلم يدع شيئا إلا غطاه.
- 8- الإبداء: الابتداء، بدأ الشيء و أبدأه: فعله ابتداء.

لهفي على رجله ألا أقدّمها *** قدّام رجلي فتلقاها الجلاميد

إذ لا أزال إذا أقبلت ينكبني *** حرف و جرف و دگان و أخذود(1)

فإن تكن شوكة كانت تحل به *** أو نكتة في سواد الليل أو عود(2)

أبيات له في شاة منيع

أخبرني عمي قال حدّثنا ابن مهرويه قال حدّثني القاسم بن الحسن مولى جعفر بن سليمان الهاشمي قال:

هجمت شاة منيع البقال على دار ابن يسير و هو غائب، و كانت له قراطيس فيها أشعار و آداب مجموعة، فأكلتها كلّها، فقال في ذلك:

قل لبغاة الآداب ما صنعت *** منها إليكم فلا تضيعوها

و ضمّنها صحف الدفاتر بال *** حبر و حسن الخطوط أو عوها(3)

فإن عجزتم و لم يكن علف *** تسيغه عندكم فييعوها(4)

قوله في يوسف بن جعفر و قد عربد عليه وشجه

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا ابن مهرويه قال: حدّثني ابن شبيل البرجمي قال:

كان محمّد بن يسير يعاشر يوسف بن جعفر بن سليمان، و كان يوسف أشدّ خلق الله عربدة، و كان يخاف لسان ابن يسير فلا يعربد عليه.

ثم جرى بينهما ذات يوم كلام على النبيذ و لحاء(5)، فعربد يوسف عليه و شجّه، فقال ابن يسير يهجوه:

لا تجلسن مع يوسف في مجلس *** أبدا و لم تحمل دم الأخوين(6)

ريحانه بدم الشباب ملطّخ *** و تحية التّدمان لطم العين

شعر له في غلام

أخبرني جعفر بن قدامة قال حدّثني الحسين بن يحيى المنجم قال حدّثني أبو عليّ بن الخراساني قال:

كان لمحمد بن يسير البصريّ بابان يدخل من أحدهما و هو الأكبر، و يدخل إليه إخوانه من الباب الآخر و هو الأصغر، و من يستشرط(7)

من المرد. فجاء يوما غلام قد خرجت لحيته، كانت عادته أن يدخل من الباب الأصغر، فمرّ من ذلك [الباب]، فجعل يخاصم لدأته(8)، و

بلغ ابن يسير فكتب إليه:

- 1- الجرف (بالضم و كعق): ما تجرفته السيول و أكلته من الأرض. و الأخدود: الحفرة المستطيلة في الأرض.
- 2- نكنة، من نكته أي ألقاه على رأسه.
- 3- أوعى الشيء في الوعاء و وعاه: جمعه فيه.
- 4- في الأصول «يسيغها»؛ و هو تحريف. يقال: ساغ الشراب و الطعام: سهل مدخله في الحلق، و أساغ هو الطعام و الشراب يسيغه.
- 5- لاحاه لحاء و ملاحاة: نازعه و خاصمه.
- 6- في الأصول «و لا تجلسا» و مع الواو لا يستقيم الوزن. و دم الأخوين - العندم - البقم: صبغ أحمر.
- 7- من استشرط المال، أي فسد بعد صلاح. و المرد: جمع أمرد، و هو الشاب لم تنبت لحيته.
- 8- أدل عليه و تدلل: وثق بمحبته فأفرط عليه. و الاسم الدالة.

قل لمن رام بجهل *** مدخل الطّبيّ الغرير

بعد أن علّق في خدّ *** به مخلاة الشّعير

ليته يدخل إن جا *** ء من الباب الكبير

شعر له في عمرو القصافي و قد عان مغبة

و أخبرني عمّي قال حدّثنا ابن مهرويه قال حدّثني القاسم بن الحسن مولى جعفر بن سليمان قال:

كنا في مجلس و معنا محمّد بن يسير و عمرو القصافي (1)، و عندنا مغنية حسنة الوجه شهلة (2) تغني غناء حسنا، فكنا معها في أحسن يوم، و كان القصافي يعين (3) في كل شيء يستحسنه و يحبّه، فما برحنا من المجلس حتى عانها، فانصرفت محمومة شاكية العين. فقال ابن يسير:

إنّ عمرا جنى بعينه ذبا *** قلّ منّي فيه عليه الدّعاء

عان عينا (4)، فعينه للتي عا *** ن فدى، و قلّ منه الفداء

شرّ عين تعين أحسن عين *** تحمل الأرض أو تظلّ السماء (5)

استعار حمارا من جار له فأبى عليه فقال شعرا يشكوه

أخبرني عمّي قال حدّثنا ابن مهرويه قال حدّثنا القاسم بن الحسن قال: استعار ابن يسير من بعض الهاشميين من جيرانه حمارا كان له ليمضي عليه في حاجة أرادها [فأبى عليه] (6)، فمضى إليها ماشيا، و كتب إلى عمرو القصافي - و كان جارا للهاشمي و صديقا - يشكوه إليه و يخبره بخبره:

إن كنت لا غير لي يوما يبلّغني *** حاجي و أقضي عليه حقّ إخواني (7)

و ضنّ أهل العواري حين أسألهم *** من أهل ودي و خلصاني و جيرانني (8)

فإنّ رجليّ عندي - لا عدمتهما - *** رجلا أخي ثقة مذ كان جولاني (9)

تبلّغاني حاجاتي و إن بعدت *** و تدياني مما ليس بالداني

كأنّ خلفي إذا ما جدّ جدّهما *** إعصار عاصفة مما تثيران

ص: 273

- 2- الشهلة: النَّصف العاقلة.
- 3- عانه كباع: أصابه بعينه.
- 4- عيناء: واسعة العين، قصر للشعر.
- 5- في الأصول: «أو تقل السماء».
- 6- زيادة يستقيم بها الكلام.
- 7- العير: الحمار، وغلب على الوحشي. حاج: جمع حاجة.
- 8- العواري: جمع عارية، وهي ما يستعار، وفي الجمع والمفرد التخفيف والتشديد. وفلان خلصي، بالكسر؛ وهو الخالص المودة، وهم خلصاني، بالضم، يستوي فيه الواحد والجماعة. وتقول: هؤلاء خلصاني وخلصاني (كظرفاء).
- 9- في الأصول: «جولان» وهو تحريف. يقال: رجل جولانيّ (بتشديد الياء) أي عام المنفعة للقريب والبعيد يجول معروفه في كل أحد.

رجلاي لم تألما نكبا كأنهما *** قَطَا وَقَدَا وِإِدْمَا جَا مَدَا كَان(1)

كَانَ مَا بِهِمَا أَخْطُو إِذَا ارْتَهِيَا *** فِي سَكَّةٍ مِنْ أَيِّ ذَاكَ سَمَا كَان(2)

إِنْ تَبِعْتَا فِي دِهَاسٍ تَبِعْتَا رَهْجَا *** أَوْ فِي حَزُونٍ ذَكَ فِيهَا شَهَابَان(3)

فَالْحَمْدُ لِلَّهِ يَا عَمْرُو الَّذِي بِهِمَا *** عَنِ الْعَوَارِي وَعَنْ ذَا النَّاسِ أَغْنَانِي

قصة جلة التمر و شعره إلى والي البصرة في ذلك

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا محمد بن داود بن الجراح قال حدثني محمد بن سعد الكراني قال:

كُنَّا فِي حَلْقَةِ التَّوْزِيِّ(4)، فَلَمَّا تَقَوَّضْتَ أَنْشَدْنَا مُحَمَّدَ بْنَ يَسِيرٍ لِنَفْسِهِ قَوْلَهُ:

جَهْدَ الْمُقَلِّ إِذَا أَعْطَاهُ مُصْطَبِرًا *** وَ مَكْثَرَ مِنْ غَنَى سَيِّانٍ فِي الْجُودِ(5)

لَا يَعْدَمُ السَّائِلُونَ الْخَيْرَ أَفْعَلَهُ *** إِمَّا نَوَالِي وَإِمَّا حَسَنَ مَرْدُودِ(6)

فَقُلْنَا لَهُ: مَا هَذَا التَّكَارُمُ(7)! وَقَمْنَا إِلَى بَيْتِهِ فَأَكَلْنَا مِنْ جَلَّةِ(8) تَمْرٍ كَانَتْ عِنْدَهُ أَكْثَرَهَا وَ حَمَلْنَا بِقِيَّتِهَا. فَكُتِبَ إِلَى وَالِي الْبَصْرَةِ عَمْرٍو بْنِ حَفْصٍ:

يَا أَبَا حَفْصٍ بَحْرَ مَتْنَا *** عَنْ نَفْسَا حِينَ تَنْتَهَكَ(9)

خَذْ لَنَا ثَارًا بِجَلَّتْنَا *** فَبِكَ الْأَوْتَارِ تَدْرِكُ(10)

أَكْهَفَ كَفِّي حِينَ تَطْرَحُهَا *** بَيْنَ أَيْدِي الْقَوْمِ تَبْتَرِكُ(11)

زَارْنَا زُورًا فَلَا سَلَمُوا *** وَأَصِيبُوا آيَةً سَلَكُوا(12)

ص: 274

1- لم تألما نكبا، أي من نكب، يقال: نكب الحجر رجله أو ظفره نكبا إذا أصابها. قَطَا، في الأصول «فَطَا» وهو تصحيف، والقَط: القطع عرضا أو عامة. والقَدَّ: القطع المستطيل أو الشق طولاً. والمداك، كالمدوك، وزان مبرد: مدقّ الطيب.

2- كذا في الأصول!!

3- الدهاس: المكان السهل ليس برمل ولا تراب. والرهج: الغبار. والحزون: جمع حزن (بالفتح)، وهو ما غلظ من الأرض. وذكّت النار تذكو: اشتدّ لهبها. والشهاب: شعلة من نار ساطعة. وفي ب، س: «إن يبعثاني دهاسا يبعثا» وفي ج: «إن يبعثاني دهات يبعثا» وهو تحريف.

4- التّوْزِي: نسبة إلى توّز بلد بفارس؛ وهو عبد الله بن محمد بن هارون التّوْزِي، من أئمة اللغة والنحو بالبصرة، وقرأ على الجرمي كتاب

سبويه، و توفي سنة 238 هـ.

- 5- قبل هذين البيتين في «الشعر و الشعراء»: ما ذا عليّ إذا ضيف تأويني ما كان عندي إذا أعطيت مجهودي
- 6- في «الشعر و الشعراء»: «نوالا».
- 7- التكارم: التظاهر بالكرم و ادّعاؤه.
- 8- الجلة: وعاء من خوص.
- 9- عناه: جشمه العناء و أتعبه، و عناه أيضا: حبسه حبسا طويلا. حين تنتهك، أي تنتهك حرمتنا.
- 10- الأوتار: جمع وتر (بالكسر) و هو الثأر. تدرك: تدرك.
- 11- الكهف: الملبأ و الوزر. و ابتكرت السحابة: اشتد انهالها و ألحت بالمطر.
- 12- في الأصول «فلا سلم» و الصواب من «الشعر و الشعراء». و الزور: الزائرون.

أكلوا حتّى إذا شبعوا *** أخذوا الفضل الذي تركوا

قال: فبعث إلينا فأحضرنا فأغررنا مائة درهم، وأخذ من كلّ واحد منّا جلةً تمر، ودفع ذلك إليه.

قصته مع أحمد بن يوسف

أخبرني الأخصش قال حدّثنا أبو العيناء قال:

كان بين محمّد بن يسير و أحمد بن يوسف الكاتب شرّ، فزجّه (1) أحمد يوماً بحماره تعرّضاً لشرّه و عبثاً به، فأخذ ابن يسير بأذن الحمار و قال له: قل لهذا الحمار الراكب فوقك لا يؤذي الناس، فضحك أحمد و نزل، فعانقه و صالحه.

قصته مع أبي عمرو المديني و شعره في ذلك

أخبرني عمي قال حدّثنا ابن مهرويه قال: حدّثني محمّد بن عليّ الشاميّ قال:

طلب محمّد بن يسير من ابن أبي عمرو المدينيّ فراخاً من الحمام الهداء (2)، فوعده أن يأخذها له من المثنى بن زهير، ثم نور (3) عليه (أي أعطاه فراخاً غير منسوبة دلّسها عليه و أخذ المنسوبة لنفسه). فقال محمّد بن يسير:

ياربّ ربّ الرائحين عشية *** بالقوم بين منى و بين ثبير (4)

/أو الواقفين على الجبال عشية *** و الشمس جانحة إلى التغوير (5)

حتى إذا طفل العشيّ و وجّهت *** شمس النهار و آذنت بغنور (6)

رحلوا إلى خيف نواحل ضمّها *** طول السّفار و بعد كلّ مسير (7)

ابعث على طير المدينيّ الذي *** قال المحال و جاءني بغرور (8)

ابعث على عجل إليها بعد ما *** يأخذن زينتهنّ في التحسير (9)

ص: 275

- 1- زجه: طعنه بالزج و رماه به. و المعنى هنا صدمه.
- 2- في ب، س «الهندي» و هو تحريف. و في ج «الهدى» بألف مقصورة. و الهداء: ضرب من الحمام و هو ما يعرف بالزاجل. الواحد الهادي، جاء في «المخصص» 8: 170 «و هنّ اللاتي يدربن و يرفعن من مرحل إلى مرحل حتى يجئن من البعد؛ من بلاد الروم و عريش بمصر و دون ذلك من مواضع كثيرة مسماة، و هي محفوظة أنسابهن...».
- 3- نور عليه: لبس عليه أمره، و أصله أن امرأة كانت تسمى «نورة» بالضم، و كانت ساحرة، فقيل لمن فعل فعلها قد نور.
- 4- ثبير: جبل بمكة.

5- جانحة: مائلة. وغوّرت الشمس تغويرا: غارت وغربت.

6- طفلت الشمس كنصر: دنت للغروب. وجهت: توجهت، أي ولت وذهبت. وغارت غيارا وغئورا: غابت.

7- خيف، يريد خفيف منى، وهو ناحية منها. والخيف ما انحدر من غلظ الجبل وارتفع عن سيل الماء، ومنه سمي مسجد الخيف من منى؛ قال مجنون ليلى: ولم أر ليلي بعد موقف ساعة بخيف منى ترمي جمار المحصب وفي ب، س: «جيف» وهو تصحيف. رحلوا نواحل، أي إبلا نواحل مهزولة. ورحل البعير: حط عليه الرحل.

8- أي ابعث عليها ما يؤذيها ويهلكها.

9- التحسير: سقوط ريش الطائر. وانحسرت الطير: خرجت من الريش العتيق إلى الحديث.

في كل ما وصفوا المراحل وابتدوا*** في المبتدئين بهنّ و التفسير(1)

و مضين عن دور الخريبة زلفة*** دون القصور و حجرة الماخور(2)

مع كلّ ريح تغتدي(3) بهبوبها*** في الجوّ بين شواهن و صقور

من كلّ أكلف بات يدجن ليله*** فغدا بغدوة(4) ساغب ممطور

ضرم يقلّب طرفه متأنسا(5)*** شيئا فكنّ له من التقدير

يأتي لهنّ ميامنا و مياسرا*** صكّا بكلّ مزلق ممكور(6)

من طائر متحيرّ عن قصده*** أو ساقط خلع الجناح كسير(7)

لم ينج منه شريدهنّ فإنّ نجا*** شيء فصار بجانبات الدّور(8)

لمشمرين عن السواعد حسر*** عنها بكلّ رشيقة التّوتير(9)

سدّد الأكفّ إلى المقاتل صيب*** سمت الحتوف(10) بجوؤ و نحور

ليس الّذي تخطي يده رميّة*** منهم بمعدود و لا معذور(11)

يتبوعون و تمتطي أيديهم*** في كل معطية الجذاب نتور(12)

ص: 276

1- كذا في الأصول!! ولعله «التكثير».

2- الخريبة موضع بالبصرة يسمى البصرة الصغرى و الزلفة: الطائفة من أول الليل. و زلف الليل: ساعات من أوله. و الحجرة: الناحية؛ يقال: قعد حجرة و حجرا بالفتح، أي ناحية. و في الأصول «و حمرة» بالميم و هو تحريف. الماخور: مجمع أهل الفسق و الفساد، و بيوت الخمارين.

3- في الأصول «يعتري و هو تحريف. و الشاهين: من سباع الطير، معرب، و الجمع شواهين.

4- في الأصول «فعدا بعدوة» و هو تصحيف. و الكلفة بالضم: لون بين السواد و الحمرة. و الدجن بالفتح: إلباس الغيم أقطار السماء، يقال: دجن يومنا كنصر و أذجن إذا أضب فأظلم. و الغدوة: البكرة أو ما بين صلاة الفجر و طلوع الشمس. و الساغب: الجائع. و الممطور الّذي أصابه المطر.

5- ضرم كفرح: اشتدّ جوعه، و ضرم في الطعام: جدّ في أكله لا يدفع شيئا منه. و في الأصول «متناسيا»؛ و هو تحريف، و تأنس البازي نظر رافعا رأسه و طرفه. و في الأصول أيضا: «فكان له»؛ و هو تحريف، و التصحيح عن «الحيوان للجاحظ» (5:234).

6- في الأصول: «يأتي بهنّ» و التصويب من «الحيوان». و صكه: ضربه شديدا. و بكلّ مزلق، أي بكلّ منقار أو مخلب مزلق، من زلق الحديد: أدمن تحديدها. و الممكور: المصبوغ بالمكر أي المغرة (بفتح الميم فيهما) و في حمراء أي كأنه مصبوغ بها. و في «الحيوان»

«مذلق مطرور» وذلّق السكين: حدّده، و المَطْرور: المحدّد أيضا.

7- خَلَج كَفْرَح: اشتكى لحمه وعظامه من عمل يعمله، أو من طول مشى و تعب.

8- في الأصول «شيئا» و هو تحريف. جانبات: جمع جانبة، و الجانب: الغريب.

9- لمشمّرين، أي هذه الشواهين و الصقور لصيادين مشمّرين؛ و حسر: جمع حاسر؛ يقال: حسره كنصر و ضرب إذا كشفه؛ و تر القوس توتيرا: شد و ترها. و الرشيق من الغلمان و الجوّاري: الخفيف الحسن القد اللطيفة، و ناقة رشيقة: خفيفة سريعة. و يقال للقوس ما أرشقها أي ما أخفها و أسرع سهمها. و الرشق محرّكة: القوس السريعة السهم الرشيقة. و في «البيان و التبيين» (ج 3: ص 36): «دقيقة التوتير».

10- في الأصول «الجيوف»، و هو تصحيف. سدد: جمع سديد، و صاب يصيب (كصبوب) صيبا: أصاب، فهو صائب، و الجمع صيب. و سهم صيوب كغيور و الجمع صيب كعنق. و السمّت: الطريق و المذهب و القصد: و الجوّجؤ: الصدر.

11- الرمية: الصيد الذي ترميه. و في «الحيوان» و «البيان و التبيين»: «... تشوى... فيهم بمعتذر» يقال: رمى فأشوى: إذا أصاب الأطراف و لم يصب المقتل.

12- تبوّع: مدّ باعه و ملأ ما بين خطوه. و في الأصول: «يتسرعون... في كل طائفة الجدار بتور» و هو تحريف. و التصحيح عن «الحيوان». و قوس معطية: لينة ليس بكزة و لا ممتنعة على من يمدّ و ترها. و الجذاب: المجاذبة. و التتور: الشديدة الجذب.

عطف السيات دوائر في عطفها *** تعزى صناعتها إلى عصفور(1)

ينفث عن جذب الأكتف ثواقبا *** متشابهات القدّ و التدوير(2)

تجري بها مهج النفوس وإنها *** لنواصل(3) سلت من التحبير

ما إن تقصّر عن مدى متباعد *** في الجوّ يحسر طرف كلّ بصير(4)

حتّى تراه مزّملا بدمائه *** فكأنه متضمّخ بعبير(5)

فيظلل يومهم بعيش ناصب *** نصب المراحل معجلي التنوير(6)

أو يثوب ناجيهنّ بين مضرج *** بدم و مخلوب إلى منسور(7)

عاري الجناح من القوادم، و القرا *** كاس، عليه مائر التأمور(8)

فيئوده متبهنس في مشيه *** خطف المؤخر مشبع التصدير(9)

ذو حلقة مثل الدّجى أو غبثة *** شغب شديد الجدّ و التشمير(10)

ص: 277

1- سية القوس: ما عطف من طرفيها. و عطف: جمع عطوف. و قوس عطوف كصبور و معطفة و عطفي و معطوفة، أي عطفت سيتها عليها عطفًا شديدًا. و عطف القوس بالكسر: سيتها. و عصفور: جاء في «الحيوان» 5:233 «و عصفور القواس: إليه تضاف القسيّ العصفورية، و قد ذكره ابن سيرين حين دعا على حمام بالشواهين و الصقور و السنانير و البنادق».

2- في الأصول: «عن حدب» و هو تصحيف. و ثواقبا: في ج «ثواقبا» بالثاء، و في ب، س «نواقبا» بالنون، و كلاهما صحيح، أي سها ما ثواقب تتقب الرمية و تنفذ فيها، أو نواقب تتقب الهدف و تخرقه.

3- في ب، س: «لنواصل» و هو تصحيف. و مهج: جمع مهجة، و هي الدم. و نواصل جمع ناصل، و سهم ناصل: ذو نصل، و سهم ناصل أيضا. سقط منه نصله، ضد. و حبرت الشيء تحبيرًا: حسنته، و سهم محبر: حسن البري. و سلت: جمع أسلت، و هو في الأصل: الرجل الذي أوعب جدع أنفه. يريد به هنا السهم الذي أجيد برية و أزيل ما فيه من نتوء.

4- مدى متباعد: أي مدى طائر متباعد. حسر البصر (لازما) كحلس: كل و انقطع من طول مدى، و حسر العين بعد ما حدّقت إليه (متعديا كنصر): أكلها.

5- زملة: لفه. و تضمخ بالطيب: تلطخ، و العبير: الزعفران أو أخلاط من الطيب.

6- فيظلل يومهم: إسناد مجازي؛ أي فيظلون في يومهم. عيش ناصب: فيه نصب و كد و جهد؛ المراحل: جمع مرجل كمنبر، و هو القدر يطبخ فيها. نصب المراحل: أي قد نصبوا المراحل و أقاموها لطبخ ما صادوه من الطيور، و التنوير: الإنارة، و يريد إيقاد النار.

7- في الأصول «ميسور» و هو تصحيف. و مضرج: ملطخ. خلبه بظفره كضرب و نصر: جرحه أو خدشه أو قطعه. منسور: النسور: نتف البازي اللحم بمنسره أي بمنقاره، نسر اللحم كضرب و نصر: نتفه.

- 8- في الأصول: «ما يرى التامور» وهو تحريف. والقوادم: عشر ريشات في مقدم كل جناح. القرا: الظهر. والتامور التأمور: الدم؛ ومار الدم يَمور: إذا جرى، أي إن القرا، قد كسى بالدم المائر. وفي «الحيوان» «بصائر التامور» وبصائر جمع بصيرة وهي الدفعة من الدم.
- 9- أخذ يدعو على ما بقي من الحمام أن يقع بين مخاطب السنانير. جاء في «الحيوان» للجاحظ في «وصف السنور بصفة الأسد» 5:271 «قال ابن يسير في صفة السنور فوصفه بصفة الأسد. في دعائه على حمام ذلك الجار حين انتهى إلى ذكر السنور: وخبعتن في مشيه متبهنس خطف المؤخر كامل التصدير الخبعشن (كقذعمل): الأسد؛ أراد به السنور، والمتبهنس: المتبختر، وفي الأصول: «متيقن» وهو تحريف. وآه ينوده: عطفه، يعني فيمسكه. والخطف (كتفل وعتق): الضمر وخفة لحم الجنب. وإخطاف الحشا: انطاؤه، والوصف منه: مخطف الحشا (بفتح الطاء) وأخطف الحشا ومخطوفه، أي ضامره. أما الوصف «بخطف» كما في البيت فلم يرد في كتب اللغة.
- 10- الحلكة: شدة السواد والدجى: جمع دجية، وهي الظلمة. والغبثة (والبغثة): لون إلى الغبرة. وشغبهم وبهم وعليهم كمنع وفرح: هيج الشر عليهم، وهو شغب. وفي الأصول «شديد الحد والتيسير» وأراه «والتشمير» لأنه المناسب للجد. وفي «الحيوان»: متسريل ثوب الدجى أو غبشة شبيت على متنيه بالتنمير

فيمرّ منها في البراري والقرى *** من كل أعصل كالسنان هصور(1)

في حين تؤذيها المبايت موهنا *** أو بعد ذلك آخر التسحير(2)

يختصّ كلّ سليل سابق غاية *** محض التجار مجرّب مخبور(3)

عجل عليه بما دعوت له به *** أره بذاك عقوبة التّوير

حتى يقول جميع من هو شامت *** هذي إجابة دعوة ابن يسير

فلا لفيّتك عند حالي حسرة *** وتأسّف وتلهّف وزفير

وتلفينّ إذا رمتك بسهمها *** أيدي المصائب منك غير صبور

قوله في قصر خرب

أخبرني عمّي قال حدّثنا ابن مهرويه قال: حدّثني القاسم بن الحسن مولى جعفر بن سليمان قال:

خرجنا مع بعض ولد التّوشجاني(4) إلى قصر له في بستانهم بالجعفرية(5)، ومعنا محمّد بن يسير، وكان ذلك القصر من القصور الموصوفة بالحسن، فإذا هو قد خرب و اختلّ، فقال فيه محمّد بن يسير:

ألا يا قصر قصر التّوشجاني *** أرى بك بعد أهلك ما شجاني(6)

أفلو ألقى البلاء ديار قوم *** لفضل منهم ولعظم شان

لما كانت ترى بك بيّات *** تلوح عليك آثار الزمان

قوله في رثاء نفسه

أخبرني عمّي قال حدّثنا ابن مهرويه قال حدّثنا محمّد بن أبي حرب قال أنشدنا يوما محمّد بن يسير في مجلس أبي محمّد الزاهد صاحب الفضيل بن عياض لنفسه قال:

ويل لمن لم يرحم الله *** ومن تكون النار مثواه

واغفلنا في كلّ يوم مضى *** يذكرني الموت وأنساه

من طال في الدنيا به عمره *** وعاش فالموت قصاراه(7)

كأنّه قد قيل في مجلس *** قد كنت آتية وأغشاه

قال: فأبكي والله جميع من حضر.

ص: 278

-
- 1- ناب أعصل: معوج شديد. وفي ب، س «أعبل» وفي ج «أعصل» وهو تحريف. وهصور: كاسر.
 - 2- الموهن (و الوهن): نحو من نصف الليل أو بعد ساعة منه.
 - 3- سليل: ولد. والنجار بالكسر والضم: الأصل. والمحض من كل شيء: الخالص. ومخبور: مختبر.
 - 4- نسبة إلى نوشجان، وهي مدينة بفارس.
 - 5- الجعفرية: محلة كبيرة في الجانب الشرقي من بغداد.
 - 6- شجاني: أحزني.
 - 7- قصاراه: غايته.

أخبرني الحسن بن عليّ وعمّي قالَا حدّثنا ابن مهرويه قال حدّثني أبو الشّبل قال:

كان محمّد بن يسير صديقًا لداود(1) بن أحمد بن أبي داود كثير الغشيان له ففقدته أهله أيّامًا و طلبوه فلم يجدوه، و كان مع أصحاب له قد خرجوا يتنزّهون فجاءوا إلى داود بن أحمد يسألونه عنه، فقال لهم: اطلبوه في منزل «حسن» المغنّية فإن وجدتموه وإلا فهو في حبس أبي شجاع صاحب شرطة «خمار» التركي. فلما كان بعد أيام جاءه ابن يسير فقال له: إيه(2) أيها القاضي، كيف دللت عليّ أهلي؟ قال: كما بلغك، وقد قلت في ذلك أبياتا.

قال: أو فعلت ذلك أيضًا؟ زدني من برّك، هات، أيش(3) قلت؟ فأنشده:

و مرسلّة توجّه كلّ يوم *** إليّ و ما دعا للصبح داعي

تسانلني و قد فقدوه حتّى *** أرادوا بعده قسم المتاع

إذا لم تلقه في بيت «حسن» *** مقيما للشّراب و للسّماع

و لم ير في طريقي بني سدوس *** يخطّ الأرض منه بالكراع(4)

يدقّ(5) حزونها بالوجه طورا *** و طورا باليدين و بالذّراع

فقد أعياك مطلبه و أمسى *** (فلا تغلط) حبيس أبي شجاع

قال: فجعل ابن يسير يضحك و يقول: أيها القاضي لو غيرك يقول لي هذا لعرف خبره. ثم لم يبرح ابن يسير حتى أعطاه داود مائتي درهم و خلع عليه خلعة من ثيابه.

أبيات له في الحكم

أخبرني عمّي قال: حدّثنا ابن مهرويه قال: حدّثني عليّ بن القاسم طارمة قال: كنت مع المعتصم لمّا غزا الروم، فجاء بعض سراياه(6) بنخبر عمّه(7)، فركب من فوره و سار أجدّ سير و أنا أسايره، فسمع منشدا يتمثل في عسكره:

ص: 279

1- لعله «داود» اسم جده.

2- إيه: كلمة استزادة و استنطاق.

3- جاء في كتاب «معاني القرآن للفراء» (نسخة خطية محفوظة بدار الكتب المصرية): «و مما كثر في كلام العرب فحذفوا منه أكثر من ذا (يشير إلى حذف الألف من بسم الله) قولهم: أيش عندك، فحذفوا إعراب «أي» و إحدى ياءيه، و حذف الهزمة من «شيء» و كسرت الشين». و جاء في «المصباح المنير» في مادة شيأ، «و قالوا: أي شيء، ثم خفت الياء و حذف الهزمة تخفيفا و جعلوا كلمة واحدة فقيل:

أيش، قاله الفارابي) و جاء في «شفاء الغليل» ص 15: «أيش: بمعنى أي شيء خفف منه، نص عليه ابن السيد في شرح أدب الكاتب، و صرحوا لأنه سمع من العرب» و فيه أيضا: «قال السهيلي: و أيش في معنى أي شيء، كما يقال و يلمه في معنى ويل لأنه، على الحذف لكثرة الاستعمال.» أقول: و قد جاء في «الأغاني» (ج 2: ص 36 من هذه الطبعة) قال مجنون ليلى: قالت جنت على أيش فقلت لها الحب أعظم مما بالمجانين الحب ليس يفيق الدهر صاحبه و إنما يصرع المجنون في الحين

4- الكراع من الإنسان: ما دون الركبة إلى الكعب.

5- في الأصول: «يدف» بالفاء، تصحيف.

6- سرايا: جمع سرية كفضية، و هي قطعة من الجيش، من خمسة أنفس إلى ثلاثمائة أو أربعمائة.

7- هو إبراهيم بن المهدي، و خبره هو خروجه على المأمون.

إنّ الأمور إذا انسَدَّت مسالكها *** فالصبر يفتح منها كلّ ما ارتتجا(1)

لا تياسنّ وإن طالّت مطالبة *** إذا استعنت بصبر أن ترى فرجا

فسرّ بذلك وطابت نفسه، ثم التفت إليّ وقال لي: يا عليّ أتروي هذا الشعر؟ قلت: نعم. قال: من يقوله؟ قلت:

محمّد بن يسير. فتفاعل باسمه ونسبه. وقال: أمر محمود و سير سريع يعقب هذا الأمر. ثم قال: أنشدني الأبيات، فأشدته قوله:

ما ذا يكلفك الرّوحات و الدّلجا *** البرّ طورا و طورا تركب اللّججا(2)

أكم من فتى قصرت في الرّزق خطوته *** ألفيته بسهام الرزق قد فلجا(3)

لا تياسنّ وإن طالّت مطالبة *** إذا استعنت بصبر أن ترى فرجا

إنّ الأمور إذا انسَدَّت مسالكها *** فالصبر يفتح منها كلّ ما ارتتجا

أخلق بذّي الصبر أن يحظى بحاجته *** و مدمن القرع للأبواب أن يلجا

فاطلب لرجلك قبل الخطو موضعها *** فمن علا زلقا عن غرّة زلجا(4)

و لا يغرنك صفوانت شاربه *** فرّبما كان بالتكدير ممتزجا

لا ينتج النّاس إلا من لقاحهم *** يبدو لقاح الفتى يوما إذا نتجا(5)

أبيات له في وصيفة بخرته و طبيته

أخبرني عيسى بن الحسين و الحسن بن عليّ و عمّي قالوا: حدّثنا محمّد بن القاسم بن مهرويه قال: حدّثني أبو السّبل قال:

كنا عند قثم(6) بن جعفر بن سليمان ذات يوم و معنا محمّد بن يسير و نحن على شراب، فأمر أن نبخّر و نطيّب(7)، فأقبلت وصيفة له حسنة الوجه، فجعلت تبخّرنا و تغلّفنا بغالية(8) كانت معه. فلما غلّفت ابن يسير و بخّرته التفت إليّ - و كان إلى جنبي - فأشدني:

ص: 280

1- رتج الباب و ارتتجه: أغلقه إغلاقا وثيقا. و ارتتج: استغلق.

2- الروحات: جمع روحة و هي المرة من الرواح؛ يقال راح رواحا إذا سار أو عمل في الروح و هو العشيّ. و الدلج: جمع دلجة بالضم و الفتحة و هي: السير من أوّل الليل. و في «لسان العرب»: «الدلجة بالضم: سير السحر، و الدلجة بالفتح: سير الليل كله. و يقال: خرجنا بدلجة و دلجة: إذا خرجوا في آخر الليل». و اللجج: جمع لجة، و هي معظم الماء.

3- فلج كنصر: ظفر و فاز.

4- في «أشعار الحماسة» «قدّر لرجلك». علا زلقا: أي مكانا زلقا. و هي في الأصل مصدر. و في ج «على زلقا» و في ب، س: «على زلق»

وهو تحريف. الغرة: الغفلة، زلج: زل وزلق.

5- يقال: نتجت الناقة (بالبناء للمجهول) إذا ولدت، فإذا وليها الإنسان حتى تضع قيل نتجها نتجا كضرب. واللقاح: اسم ماء الفحل من الإبل والخيل، وهو في «اللسان» و«القاموس» بالكسر. وفي «النهاية» بالفتح، وفي «المصباح»: والاسم اللقاح بالفتح والكسر.

6- في ج «قيم» وفي ب، س: «قاسم» تحريف.

7- في الأصول: «يبخر ويطيب» تصحيف.

8- الغالية: أخلاط من الطيب وعلف لحيته بالطيب والغالية والحناء: لطحها.

يا باسطا كَفَّه نحوي يطَيِّبني *** كَفَّاك أطيب يا حَبِّي من الطَّيب

/كَفَّاك يجري مكان الطيب طيبهما *** فلا تزدني عليها عند تطيبي

يا لائمي في هواها أنت لم ترها *** فأنت مغرى بتأنيبي و تعذيبي

انظر إلى وجهها، هل مثل صورتها *** في الناس وجه مجلّي غير محجوب؟

فقلت له: اسكت ويحك! لا، تصفع والله و تخرج. فقال: والله لو وثقت بأن نصفع جميعا لأنشدته الأبيات، ولكنني أخشى أن أفرد بالصّفع دونك.

أبيات له في أهل الجدل

أخبرني عيسى بن الحسين قال: حدّثنا الكرائيّ قال: حدّثنا الرّياشي قال:

كان محمّد بن يسير جالسا في حلقتنا في مسجد البصرة، وإلى جانبنا حلقة قوم من أهل الجدل يتصايحون في المقالات والحجج فيها، فقال ابن يسير: اسمعوا ما قلت في هؤلاء، فأنشدنا قوله:

يا سائلي عن مقالة الشّيع *** وعن صنوف الأهواء والبدع

دع عنك ذكر الأهواء ناحية *** فليس ممن شهدت ذورع

كلّ أناس بديهم حسن *** ثم يصيرون بعد للسمع

أكثر ما فيه أن يقال لهم: *** لم يك في قوله بمنقطع

قوله في استغناؤه عن تدوين ما يسمعه

أخبرني عيسى بن الحسين قال: حدّثنا ابن مهرويه قال: حدّثني محمّد بن عليّ الشاميّ قال:

كان محمّد بن يسير يصف نفسه بالذكاء والحفظ والاستغناء عن تدوين شيء يسمعه؛ من ذلك قوله:

إذا ما غدا الطّلاب للعلم ما لهم *** من الحظّ إلا ما يدوّن في الكتب

اغدوت بتشمير و جدّ عليهم *** فمحررتي أذني و دفترها قلبي (1)

بيتان من الشعر الحكمي

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا ابن مهرويه قال: حدّثني إبراهيم بن المدبّر (2) قال:

كان إبراهيم بن رباح إذا حزبه (3) الأمر يقطعه بمثل قول محمد بن يسير:

تخطي النفوس مع العيا*** ن وقد تصيب مع المظنة

كم من مضيق في الفضا***ء و مخرج بين الأسنة

ص: 281

-
- 1- جاء في «المصباح المنير»: «في المحبرة لغات: أجودها محبرة بفتح الميم و الباء، و الثانية محبرة بضم الباء، مثل مأدبة و مأدبة، و الثالثة محبرة بكسر الميم و فتح الباء لأنها آلة».
 - 2- المدبر بفتح الباء، و الضبط عن كتاب «المشتبه في أسماء الرجال للذهبي» ص 472 طبع أوربة.
 - 3- حزبه الأمر، نابه و اشتد عليه و ضغطه.

قوله في نعل خلق له

أخبرني عمي قال: حدّثنا ابن مهرويه قال: حدّثني الحسن بن أبي السريّ قال:

مرّ ابن يسير بأبي عثمان المازنيّ فجلس إليه ساعة، فرأى من في مجلسه يتعجّبون من نعل كانت في رجله خلق(1) وسخة مقطّعة، فأخذ ورقة وكتب فيها:

كم أرى ذا تعجّب من نعالني *** ورضائي منها بلبس البوالي

كلّ جرداء قد تكتفيها *** من أظفارها بسود النّقال(2)

لا تداني، وليس تشبه في الخل *** قة إن أبرزت، نعال الموالي

/من يغال من الرجال بنعل *** فسواي إذا بهنّ يغالي(3)

لو حذاهنّ للجمال فإني *** في سواهنّ زينيّ وجمالي(4)

في إخواني وفي وفائي ورأبي *** ولساني ومنتقي وفعالي(5)

ما وقاني الحفا وبلّغني الحا *** جة منها فإني لا أبالي

قوله و قد أخذ من قثم بن جعفر ألواح آبنوس بعد أن أسكره

أخبرني عمي قال: حدّثنا ابن مهرويه قال: حدّثني عبد الله(6) بن محمّد بن يسير قال:

دعا قثم بن جعفر بن سليمان أبي(7) فشرّب عنده، فلما [سكر] (8) سرق منه ألواح آبنوس كانت تكون في كمّه، فقال في ذلك:

عين بكّي بعبرة تسفاح *** وأقيمي ماتم الألواح(9)

أوحشت حجتني وردناي منها *** في بكوري وعند كلّ رواح(10)

ص: 282

1- في الأصول «خلقة»؛ وهو تحريف. جاء في «لسان العرب»: «شيء خلق: بال، الذكر والأنثى فيه سواء؛ لأنه في الأصل مصدر الأخلق وهو الأملس. يقال: ثوب خلق، وملحفة خلق، ودار خلق، ويقال: جبة خلق بغير هاء، ولا يجوز: جبة خلقة. قال اللحياني: قال الكسائي: لم نسمعهم قالوا: خلقة في شيء من الكلام».

2- هكذا ورد البيت في الأصول!!

3- في الأصول «يغالي» وهو فعل الشرط، وحذف الياء لا يخل بالوزن، وفيه كف كما في أول الشطر الثاني.

4- في الأصول «حداهن» تصحيف. وحذا النعل: قدّرها وقطعها. يريد: لو فصلهن واقتناهن للتجمل والزينة.

5- في الأصول «في إخاء وفي وفاء» و الفعال: اسم الفعل الحسن، و الكرم.

6- في الأصول «محمّد بن عبد الله بن بشير».

7- في الأصول «إليّ» تحريف.

8- تكملة يقتضيهما السياق.

9- في الأصول «عين بلى»..... «مآثم الأنواح» وهو تحريف.

10- ورد هذا البيت في ب، س هكذا: أوحشت حجرتي وردّ أناتي منها في بكور و عنه كل رواح و كله تحريف. و في ج بأقل من هذا التحريف. و قد صححته كما ترى. و الحجة: معقد الإزار. و الردن: أصل الكم.

و اذكريها إذا ذكرت بما قد *** كان فيها من مرفق و صلاح (1)

/أبنوس دهماء حالكة اللو *** ن لباب من اللطاف الملاح (2)

ذات نفع خفيفة القدر و المح *** مل حلكوكة الذرا و النواحي (3)

و سريع جفوفها إن محاها *** عند ممل مستعجل القوم ماحي (4)

هي كانت على [علمي] (5) و الآ *** داب و الفقه عدّتي و سلاحي

كنت أغدو بها على طلب العل *** م إذا ما غدوت كلّ صباح

هي كانت غداء زوري إذا زا *** ر، و ريّ النديم يوم الصطباحي (6)

- يعني أنه يعمل فيها الشعر و يطلب لزوّاره المأكول و المشروب -

آب عسري و غاب يسري و جودي *** حين غابت و غاب عني سماحي

هجاؤه أحمد بن يوسف

أخبرني محمّد بن خلف و كيع قال: حدّثنا ابن مهوريه قال: حدّثنا عبد الله بن أحمد قال:

كان محمّد بن يسير يعادي أحمد بن يوسف، فبلغه أنه يتعشّق جارية سوداء مغنيّة، فقال/ابن يسير يهجوّه:

أقول لمّا رأيته كلفا *** بكلّ سوداء نزره قدره (7)

أهل لعمري لما كلفت به *** عند الخنازير تنفق العذره (8)

/أخبرني و كيع قال: حدّثنا ابن مهوريه قال: حدّثنا أبو العواذل قال: عوتب محمّد بن يسير على حضور المجالس بغير ورق و لا محبرة، و أنه لا يكتب ما يسمعه، فقال:

ما دخل الحمّام من علمي *** فذاك ما فاز به سهمي (9)

و العلم لا ينفعني جمعه *** إذا جرى الوهم على فهمي

قوله في ألواح الأبنوس أيضا

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال: حدّثنا محمّد بن يزيد قال:

- 1- المرفق من الأمر (كمجلس و منبر): ما ارتفعت و انتفعت به.
- 2- في الأصول: «وهما»؛ تحريف. و الدهماء: السوداء و لباب كل شيء و لبه: خالصه و خياره.
- 3- الحلكة بالضم: شدة السواد، و هو حالك و حلكوك كعصفور.
- 4- في ب، س: «جفونها» و في ج «خفوتها» تحريف.
- 5- زيادة يقتضيها المقام.
- 6- الزور: الزائرون.
- 7- كلفا: مولعا، و امرأة نزور و نزره (بكسر الزاي و سكن هنا للشعر): قليلة الولد أو قليلة اللبن.
- 8- تنفق: تروج. و العذرة: الغائط.
- 9- أي ما دخل معي الحمام عن علمي؛ و ذلك أن المرء إذا دخل الحمام تجرد من ثيابه و كتبه و غيرها و لكنه لا يتجرد من علمه، يريد أن علمه محفوظ في صدره.

كان محمّد بن يسير يعاشر ولد جعفر بن سليمان، فأخذ منه قثم بن جعفر ألواح أبنوس كان يكتب فيها بالليل، فقال ابن يسير في ذلك:

أبقت الألواح إذ أخذت *** حرقه في القلب تضطرم

زانها فصّان من صدف *** و احمرار السّير (1) و القلم

و تولّى أخذها قثم *** لا تولّى نفعها قثم

شعره إلى بعض الهاشميين و قد جفاه

أخبرني الأخفش قال: حدّثنا محمّد بن يزيد قال:

كان محمّد بن يسير يعاشر بعض الهاشميين، ثم جفاه الهاشمي لملال كان فيه فكتب إليه ابن يسير قوله:

قد كنت منقبضا و أنت بسطتني *** حتى انبسطت إليك ثم قبضتني

أذكرتني خلق التّفاق و كان لي *** خلقا فقد أحسنت إذ أذكرتني

لو دام ودك و انبسطت إلى امرئ *** في الودّ بعدك كنت أنت غررتني

فهلّمّ نجتذب التّذاكر بيننا *** و نعود بعد كأننا لم نطفن (2)

قوله و قد أفاق من سكر

أخبرني أحمد بن العباس العسكريّ قال: حدّثنا الحسن بن عليل العنزيّ قال: حدّثنا مسعود بن يسير قال:

شرب محمّد بن يسير نبيذا مع قوم فأسكروه، حتى خرج من عندهم و هو لا يعقل فأخذ رداءه و عثر في طريقه و أصاب وجهه آثار؛ فلما أفاق أنشأ يقول:

شاربت قوما لم أطق شربهم *** يغرق في بحرهم بحري

لما تجارينا إلى غاية *** قصّر عن صبرهم صبري

خرجت من عندهم مثخنا (3) *** تدفعني الجدر إلى الجدر

مقبّح المشي كسير الخطا *** تقصر عند الجدّ عن سيري (4)

فلست أنسى ما تجشّمت (5) من *** كدح و من جرح و من أثر (6)

و شقّ ثوب و توى (7) آخر *** و سقطه بان بها ظفري

- 1- السير: ما قد من الجلد طولاً.
- 2- فطن إليه وله، كفرح ونصر وكرم: فهم.
- 3- أثنه: أوهنه بالجراحة وأضعفه.
- 4- في الأصول: «مقبح المشي كثير الخطأ يقصر عند الجدّ عن سري»
- 5- في الأصول «مانحبي: من» وهو تحريف والوزن غير مستقيم؛ وقد صححته كما ترى.
- 6- الكدح: كل أثر من خدش أو عض. وقيل: الكدح أكبر من الخدش. والأثر: أثر الجرح يبقى بعد البرء.
- 7- توى كفرح توى: هلك. وفي ب، س «وThor أخذ» وفي ج: «وThوى أخذ» وهو تحريف.

حدّثني عمّي و جحظة عن أحمد بن الطيب قال: حدّثنا بعض أصحابنا عن مسعود بن يسير، ثم ساق الخبر مثله سواء.

أخبرني محمّد بن خلف بن المرزبان قال: حدّثني أبو العيناء قال:

اجتمع جعيفران الموسوس و محمّد بن يسير في بستان، فنظر إلى محمّد بن يسير وقد انفرد/ناحية للغائط، ثم قام عن شيء عظيم خرج منه، فقال جعيفران:

قد قلت لابن يسير *** لمّا رمى من عجانة(1)

في الأرض تلّ سماء *** علا على كئبانة(2)

طوبى لصاحب أرض *** خرّت في بستانه

قال: فجعل ابن يسير يشتم جعيفران ويقول: أيّ شيء أردت مني يا مجنون يا ابن الزانية حتى صيرتني شهرة(3) بشعرك!!

شعره إلى والي البصرة يستسقيه نبذا

إشارة

أخبرني جحظة قال: حدّثني سوار بن أبي شراة قال: حدّثني عبد الله بن محمّد بن يسير قال:

كان أبي مشغوفاً بالنبذ مشتهراً بالشرب، و ما بات قطّ إلاّ و هو سكران، و ما نبذ قطّ نبذا، و إنما كان يشربه عند إخوانه و يستسقيه منهم، فأصبحنا بالبصرة يوماً على مطر هادٍ(4)، و لم تمكنه معه الحركة إلى قريب من إخوانه و لا بعيد و كاد(5) يجرّّ لمّا فقد النبذ. فكتب إلى والي البصرة و كان هاشمياً، و هو محمّد بن أيّوب بن جعفر بن سليمان قال:

كم في علاج نبذ التمر لي تعب *** الطبخ و الدلّك و المعصار و العكر(6)

و إن عدلت إلى المطبوخ معتمدا *** رأيتني منه عند الناس أشتهر(7)

نقل الدنان إلى الجيران يفضحني *** و القدر تركني في القوم أعتذر

فصرت في البيت أستسقي و أطلبه *** من الصديق و رسلي فيه تبتدر(8)

فمنهم باذل سمح بحاجتنا *** و منهم كاذب بالزور يعتذر

إفسقني ريّ أيام لتمنعي *** عمّن سواك و تغنيني فقد خسروا

إن كان زقّ فزقّ أو فوافرة *** من الدساتيج لا يزري بها الصّفّر(9)

- 1- العجان: الاست.
- 2- كئبان: جمع كئيب، وهو التل من الرمل.
- 3- الشهرة: ظهور الشيء في شنة.
- 4- هادّ، من الهدّ وهو الصوت، يقال هدّ يهدّ (مثل فر)، وما سمعنا العام هادة. أي رعدا.
- 5- في الأصول: «وكان».
- 6- المعصار: الذي يجعل فيه الشيء فيعصر. العكر: دردى كل شيء.
- 7- اشتهر: أظهر في شنة. شهره كمنعه و شهره و اشتهره فاشتهر.
- 8- تبتدر: تستبق.
- 9- الصفر: الفراغ والخلو، عنى أنها ممتلئة، وفي ب، س «السفر»، تحريف.

وإن تكن حاجتي ليست بحاضرة*** وليس في البيت من آثارها أثر

فاستسق غيرك أو فاذكر له خبري*** إن اعتراك حياء منه(1) أو حصر

ما كان من ذلكم فليأتني عجلا*** فإتني واقف بالباب أنتظر

لا لي نبئذ ولا حرّ فيدعوني*** وقد حماني من تطفيلي المطر(2)

قال: فضحك لما قرأها، وبعث إليه بزقّ نبئذ و مائتي درهم، و كتب إليه: اشرب النبئذ و أنفق الدراهم إلى أن يمسه المطر و يتسع لك التطفيل، و متى أعوزك مكان فاجعلني فيئة(3) لك، و السلام.

صوت

أنت حديثي في النوم و اليقظه*** أتعبت ممّا أهذي بك الحفظه

كم واعظ فيك لي و واعظة*** لو كنت ممن تنهاه عنك عظه

الشعر لديك الجنّ الحمصيّ. و الغناء لعريب، هزج، ذكر ذلك ذكاء وجه الرّزة و قمرّي جميعا، و الله أعلم

ص: 286

1- في الأصول: «منك» و هو تحريف. و الحصر: العي و ضيق الصدر.

2- طفل: تطفل.

3- الفيئة بالفتح و الكسر: الرجوع: أي فاجعلني مرجعا لك.

نسبه و نبذة في ترجمته

اديك الجنّ لقب غلب عليه(1)، واسمه عبد السلام بن رغبان(2) بن عبد السلام بن حبيب بن عبد الله بن رغبان بن يزيد(3) بن تميم. و كان جدّه تميم ممن أنعم الله - عزّ و جلّ - عليه بالإسلام من أهل مؤتة(4) على يدي حبيب(5) بن مسلمة الفهريّ، و كان شديد التشعب(6) و العصبية على العرب، يقول: ما للعرب علينا فضل، جمعتنا وإياهم ولادة إبراهيم صلّى الله عليه و سلّم، و أسلمنا كما أسلموا، و من قتل منهم رجلا مّا قتل به، و لم نجد الله عزّ و جلّ فضّلهم علينا، إذ جمعنا(7) الدين.

و هو شاعر مجيد يذهب مذهب أبي تمام و الشاميين في شعره. من شعراء الدولة العباسية. و كان من ساكني حمص، و لم يبرح نواحي الشام، و لا وفد إلى العراق و لا إلى غيره منتجعا بشعره و لا متصدّيا لأحد. و كان يتشيع تشيعا حسنا، و له مرث كثيرة في الحسين بن عليّ - عليهما السلام -، منها قوله:

يا عين لا للقضا و لا الكتب *** بكا الرّزايا سوى بكا الطّرب

او هي مشهورة عند الخاص و العام، و يناح بها. و له عدّة أشعار في هذا المعنى، و كانت له جارية يهواها، فاتّهمها بسلام له فقتلها، و استنفذ شعره بعد ذلك في مرثيها.

قصيدته في هجاء ابن عمه

قال أبو الفرج: و نسخت خبره في ذلك من كتاب محمّد بن طاهر، أخبره بما فيه ابن أخ لديك الجنّ يقال له أبو وهب الحمصيّ، قال:

كان عمّي خليعا ماجنا معتكفا(8) على القصف و اللهو، متلافا لما ورث عن آبائه، و اكتسب بشعره من أحمد

ص: 287

- 1- أصله دويبة توجد في البساتين (انظر «حياة الحيوان الكبرى» للدميمري ج 1: ص 519).
- 2- ترجم له ابن خلكان (ج 1: 415) و قد جاء فيه: «و مولده سنة 161 هـ و توفي في أيام المتوكل سنة 235 أو سنة 236».
- 3- كذا في ج، و «تاريخ ابن عساکر» (نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية رقم 1041 «تاريخ» ج 24 ص 112). و في ب، س، و «وفيات الأعيان» «زيد».
- 4- مؤتة: قرية من قرى البلقاء بمشارف الشام.
- 5- كان من خواص معاوية و له معه في وقعة صفين آثار شكرها له.
- 6- الشعوية (بضم الشين): الذين يحتقرون أمر العرب و يصغرون شأنهم و لا يرون لهم فضلا على غيرهم، و الواحد شعوبي، نسبة إلى شعوب. و شعوب: جمع شعب (بالفتح)؛ و هو ما تشعب من قبائل العرب أو العجم. و لكن الشعوب بلفظ الجمع غلب على العجم و نسبوا إليه فقالوا شعوبي، كما قالوا أنصاري نسبة إلى الأنصار.
- 7- يحتجون بقوله تعالى: إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ و قوله: إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ و بقوله صلّى الله عليه و سلّم في خطبته في حجة الوداع:

«ليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى، كلكم لأدم و آدم من تراب».

8- في ب، س: «منعكفا» وهو تحريف، يقال: اعتكف و تعكف. قال في «القاموس المحيط»: «ولا نقل انعكف». و القصف: اللهو و

اللعب، و يقال إنها مولدة. قال ابن دريد: لا أحسبه عربيا.

و جعفر ابني عليّ الهاشميين، و كان له ابن عم يكنى أبا الطيّب يعظه و ينهاه عما يفعله، و يحول بينه و بين ما يؤثره و يركبه من لذّاته و ربما هجم عليه و عنده قوم من السفهاء و المجان و أهل الخلاعة، فيستخفّ بهم و به. فلما كثر ذلك على عبد السلام قال فيه:

مولاتنا يا غلام مبتكره *** فباكر الكأس لي بلا نظره(1)

غدت على اللهو و المجون، على *** أن الفتاة الحيّة الخفرة(2)

لحبّها - لا عدمتها - حرق *** مطوية في الحشا و منتشره(3)

ما ذقت منها سوى مقبلها *** و ضمّ تلك الفروع منحدره(4)

و انتهرتني فمتّ من فرق *** يا حسنّها في الرضا و منتهره(5)!

انتم انتت سورة الخمار بنا *** خلال تلك الغدائر الخمره(6)

و ليلة أشرفت بكلكلها *** عليّ كالطيسان معتجره(7)

فتقت ديجورها إلى قمر *** أثوابه بالعفاف مستتره(8)

عج عبرات المدام نحوي من *** عشر و عشرين و اثنتي عشره(9)

قد ذكر الناس عن قيامهم *** ذكرى بعقلي ما أصبحت نكره(10)

معرفتي بالصواب معرفة *** غزاء إمّا عرفتم النكره(11)

يا عجباً من أبي الخبيث و من *** سروحه في البقائر الدّثره(12)

ص: 288

1- باكره: بكر إليه، يريد: أسرع إليّ بالكأس. النظرة: التأخير في الأمر.

2- غدت: في الأصول «عدت» و هو تصحيف، الحية: في الأصول «الخبیثة» و هو تحريف. الخفرة: وصف من الخفر بالتحريك و هو شدّة الحياء.

3- في ب، س: «يحبها لاجع منها و بي حرق» و هو تحريف. و في ج: «يحنها... حرق».

4- الفروع: جمع فرع، و هو الشعر التام.

5- انتهره و نهره: زجره. و في الأصول «و ابتهرتني» («و مبّهرة»؛ و هو تصحيف، و الصواب بالنون لأنه في مقابله «الرضا». و الفرق: الخوف و الفزع.

6- انتت، في الأصول «انتبت» و هو تصحيف. سورة الخمر: حدثها. و خمار الخمر: ما أصاب الشارب من ألمها و صداعها و أذاها. الغدائر: جمع غديرة، و هي الخصلة من الشعر. الخمر بالتحريك: كل ما وارك من شجر و غيره. و مكان خمّر (بفتح فكسر): كثير الخمر

(بالتحريك). و الغدائر الخمرة على التشبيه بذلك.

7- الكلكل: الصدر. وفي ب، س: «بعد كلكلها» وهو خطأ. الطيلسان: كساء من أكسية العجم أسود، فارسي معرب. والاعتجار: ولبسة كالالتحاف.

8- الديجور: الظلام.

9- عاجه يعوجه: أماله وعطفه، وأراد بعبيرات المدام ما يصب منها في الكأس. وفي الأصول «فحوي» وهو تحريف.

10- قيامهم: أي بعثهم يوم القيامة. نكرة: اسم من الإنكار كنفقة من الإنفاق، بمعنى اسم المفعول أي منكرة. وفي ب و س «نفرة» وفي ج «طفرة» و أراه تحريفاً.

11- غراء: معروفة مشهورة. إما: أصله إن ما، و ما زائدة بعد إن.

12- «من أبي الخبيث» يريد «من أبي الطيب» قلب كنيته إلى الضد تهكما به و زراية عليه. وفي الأصول «سروجه في البكائر» وهو تحريف. سروحه، من سرحت الماشية سروحا، و البقير و البقيرة: برد يشق ثم تلقيه المرأة في عنقها من غير كمين و لا جيب، و الجمع بقائر. الدثرة: الوسخة؛ وصف من الدثر (بالتحريك) و هو الوسخ.

- يحمل رأساً تنبو المعاول عن *** صفحته و الجلامد الوعره(1)
- الو البغال الكمت ارتقت سندا *** فيه لمدت قوائم خدره(2)
- ولا المجانيق فيه مغنية *** ألف تسامى و ألف منكدره(3)
- انظر إلى موضع المقص من ال *** هامة تلك الصفيحة العجره(4)
- فلو أخذتم لها المطارق *** حرّائية صنعة اليد الخبره(5)
- إذا لراحت أكفّ جلّتهم *** كليلة و الأداة منكسره(6)
- كم طربات أفسدتهنّ و كم *** صفوة عيش غادرتها كدره
- و كم إذا ما رأوك يا ملك ال *** موت لهم من أنامل خصره(7)
- و كم لهم دعوة عليك و كم *** قذفة أمّ شنعاء مشتهره
- كريمة لؤمك استخفّ بها *** و نالها بالمثالب الأشره(8)
- قفوا على رحله تروا عجباً *** في الجهل يحكي طرائف البصرة(9)
- يا كلّ مني و كلّ طالعة *** نحس و يا كلّ ساعة عسره(10)
- سبحان من يمسك السماء على ال *** أرض و فيها أخلاقك القدره

قصته مع زوجه ورد

قال: و كان عبد السلام قد اشتهر بجارية نصرانية من أهل حمص هويها و تمادى به الأمر حتى غلبت عليه

ص: 289

- 1- تنبو: تكل. المعاول: جمع معول، و هو الفأس العظيمة التي ينقر بها الصخر. و الجلامد: جمع جلمد كجعفر و هو الصخر كالجلمود. و الوعرة (بكسر العين): ضد السهلة كالوعرة (بسكونها).
- 2- في الأصول: «لولا- البغال» تحريف. و كلمة «الكمت» ساقطة من ب، س. و الكمت: جمع كميث، كسروه على مكبره المتوهم، وصف من الكمتة: و هي لون بين السواد و الحمرة. و السند: ما قبالك من الجبل و علا عن السفح. و خدرت رجله كفرح: غشيها ثقل و فتور فلم تقو على المشي.
- 3- في الأصول «معنية» و هو تصحيف. و المجانيق: جمع منجنيق (بفتح الميم و تكسر): آلة ترمى بها الحجارة، معرّبة. و منكدره، من انكدرت النجوم أي تناثرت، و انكدر أيضا: أسرع و انقض. و انكدر عليه القوم: انصبوا.

- 4- في الأصول «الصبيحة» تحريف. و الصفيحة: الحجر العريض. و العجرة: الضخمة الصلبة.
- 5- في الأصول «المطارف» بالفاء؛ و هو تصحيف. و حرانية: نسبة إلى حران، و هي مدينة على طريق الموصل و الشام و الروم، و قرية من قرى حلب، و قرية بغوطة دمشق. و خبر بالشيء: عالم به. مثل خبير و خابر.
- 6- جلتهم: كبارهم.
- 7- خصرة: باردة. و تبرد أطراف المرء عند نزول الموت به.
- 8- المثالب: العيوب جمع مثلبة (بفتح اللام و تضم). و في ب، س «دنا لها» تحريف. و في جميع الأصول: «الأشرة» و لعلها محرفة عن «الدفرة» بالدال أو الذال، و صف من الدفر (بالتحريك). و الذفر كذلك، و هو النتن.
- 9- الرحل: المنزل و المسكن. و البصرة: بلد معروف بالعراق و هو بفتح الباء، و كسرهما، و يحرك، و تكسر الصاد.
- 10- مني: يقال: مناه به يمنيه منيا، و مناه يمنوه منوا: إذا ابتلاه، و مني بيلية: ابتلي بها.

و ذهبت به. فلما اشتهر بها دعاها إلى الإسلام ليتزوج بها، فأجابته لعلمها برغبته فيها، وأسلمت على يده، فتزوجها، وكان اسمها وردا؛ ففي ذلك يقول:

انظر إلى شمس القصور و بدرها *** وإلى خزاماها و بهجة زهرها(1)

لم تبل عينك أبيضاً في أسود *** جمع الجمال كوجهها في شعرها(2)

وردية الوجنات يختبر اسمها *** من ريقها من لا يحيط بخبرها

و تمايلت فضحكت من أردافها *** عجباً و لكّي بكيت لخصرها

تسنيك كأس مدامة من كفها *** وردية و مدامة من ثغرها

قال: وكان قد أعسر و اختلت حاله، فرحل إلى سلمية(3) قاصداً لأحمد بن علي الهاشمي، فأقام عنده مدة طويلة، و حمل ابن عمه بغضه(4) إياه بعد موته له و إشفاقه عليه بسبب هجائه له على أن أذاع على تلك المرأة التي تزوجها عبد السلام أنها تهوى غلاماً له، و قرّر ذلك عند جماعة من أهل بيته و جيرانه و إخوانه، و شاع ذلك الخبر حتى أتى عبد السلام، فكتب إلى أحمد بن علي شعراً يستأذنه في الرجوع إلى حمص و يعلمه ما بلغه من خبر المرأة من قصيدة أولها:

إنّ ريب الزمان طال انتكائه *** كم رمتني بحادث أحداثه(5)

يقول فيها:

ظبي انس قلبي مقيل ضحاه *** و فؤادي بريه و كبائه(6)

و فيها يقول:

خيفة أن يخون عهدي و أن يضحى *** لغيري حجوله و رعائه(7)

و مدح أحمد بعد هذا؛ و هي طويلة. فأذن له فعاد إلى حمص؛ و قدّر(8) ابن عمه وقت قدومه، فأرصد له قوماً يعلمونه بموافاته باب حمص. فلما وافاه خرج إليه مستقبلاً و معنفاً على تمسكه بهذه المرأة بعد ما شاع من ذكرها بالفساد، و أشار عليه بطلاقها، و أعلمه أنّها قد أحدثت في مغيبه حادثة لا يجمل به معها المقام عليها، و دسّ الرجل الذي رماها به، و قال له: إذا قدم عبد السلام و دخل منزله فقف على بابه كأنك لم تعلم بقدومه، و ناد باسم ورد؛ فإذا قال: من أنت؟ فقل: أنا فلان. فلما نزل عبد السلام منزله و ألقى ثيابه، سألها عن الخبر و أغلظ عليها، فأجابته جواب من لم يعرف من القصة شيئاً. فبينما هو في ذلك إذ قرع الرجل الباب فقال: من هذا؟ فقال: أنا

ص: 290

1- الخزامي: نبت زهره أطيب الأزهار نفحة.

2- لم تبل: لم تختبر و لم تر. و في ب، س: «لم تبك» و هو تحريف.

- 3- سلمية: بلبدة بالشام من أعمال حمص.
- 4- في ب، س «على بغضه». بزيادة «على» و هو خطأ.
- 5- انتكائه: انتقاضه.
- 6- البرير: الأول من ثمر الأراك. والكباش: النصيح منه.
- 7- حجول: جمع حجل (بالفتح و الكسر) و هو الخلخال. و رعاث: جمع رعثة كوردة ورقبة، و هي القرط.
- 8- في ب و س «وفر» و هو تحريف.

فلان. فقال لها عبد السلام: يا زانية، زعمت أنك لا تعرفين من هذا الأمر شيئاً! ثم اخترط سيفه فضربها به حتى قتلها، وقال في ذلك:

ليتني لم أكن لعطفك نلت *** وإلى ذلك الوصال وصلت

فالذي منّي اشتملت عليه *** العار ما قد عليه اشتملت

قال ذو الجهل قد حلمت ولا أع *** لم آتي حلمت حتى جهلت

لاثم لي بجهله ولما ذا *** أنا وحدي أحببت ثم قتلت!

اسوف آسى طول الحياة وأبكي *** ك على ما فعلت لا ما فعلت

وقال فيها أيضا:

لك نفس موأية *** و المنايا معاديه(1)

أيها القلب لا تعد *** لهوى البيض ثانية

ليس برق يكون أخ *** لب من برق غانيه(2)

خنت سرّي ولم أخن *** ك فموتي علانيه

قال: و بلغ السلطان الخبر فطلبه، فخرج إلى دمشق فأقام بها أياما. و كتب أحمد بن عليّ إلى أمير دمشق أن يؤمنه، و تحمّل عليه بإخوانه حتى يستوهبوا جنايته(3) فقدم حمص و بلغه الخبر على حقيقته و صحّته، و استيقنه فندم، و مكث شهرا لا يستفيق من البكاء و لا يطعم من الطعام إلا ما يقيم رمقه، و قال في ندمه على قتلها:

يا طلعة طلع الحمام عليها *** و جنى لها ثمر الردى بيديها

رويت من دمها الثرى و لطالما *** روى الهوى شفتي من شفتيها

قد بات سفي في مجال و شاحها *** و مدامعي تجري على خديها(4)

فو حقّ نعليها و ما وطنى الحصى *** شيء أعزّ عليّ من نعليها

ما كان قتلها لأتني لم أكن *** أبكي إذا سقط الدباب عليها

لكن ضننت على العيون بحسنها *** و أنفت من نظر الحسود إليها(5)

و هذه الأبيات تروى لغير ديك الجن.

- 1- مواتية: موافقة مطاوعة.
- 2- أخلب: أخدع، من حلبه كنصره: خدعه؛ ويقال: برق خلب (كسكر): أي مطمع مخلف. و الغانية: المرأة التي تطلب ولا تطلب، أو الغنية بحسنها عن الزينة.
- 3- في الأصول: «خيانتة» تصحيف.
- 4- الوشاح: أديم عريض يرصع بالجواهر تشده المرأة بين عاتقها و كشحها. و في «تاريخ ابن عساكر» «في مجال خناقها».
- 5- في «وفيات الأعيان و ابن عساكر»: لكن بخلت على سواي بحبها و أنفت من نظر الغلام إليها

كان من غطفان رجل يقال له السّليك بن مجمّع، و كان من الفرسان، و كان مطلوباً في سائر القبائل بدماء قوم قتلهم، و كان يهوى/ابنة عمّ له، و كان خطبها مدّة فمنعها أبوها، ثمّ زوّجه إياها خوفاً منه، فدخل بها في دار أبيها ثمّ نقلها بعد أسبوع إلى عشيرته، فلقيه من بني فزارة ثلاثون فارساً كلّهم يطلبه بذحل(1)، فحلّقوا(2) عليه، و قاتلهم و قتل منهم عدداً، و أثنى بالجراح آخرين، و أثنى هو حتى أيقن بالموت. فعاد إليها فقال: ما أسمح بك نفساً لهؤلاء، و إني أحبّ أن أقدمك قبلي. قالت: افعل، و لو لم تفعله أنت لفعلته أنا بعدك. فضربها بسيفه حتى قتلها، و أنشأ يقول:

يا طلعة طلع الحمام عليها

و ذكر الأبيات المنسوبة إلى ديك الجن، ثم نزل إليها فتمرّغ في دمها و تخصّب به، ثم تقدّم فقاتل حتى قتل.

و بلغ قومه خبره، فحملوه و ابنة عمّه فدفنوهما. قال: و حفظت فزارة عنه هذه الأبيات فنقلوها. قال: و بلغني أن قومه أدركوه و به رمق، فسمعوه يردّد هذه الأبيات، فنقلوها و حفظوها عنه، و بقي عندهم يوماً ثم مات.

و قال ديك الجن في هذه المقتولة(3):

أشفقت أن يرد الزمان بغدره *** أو أتلى بعد الوصال بهجره

/قمر أنا استخرجته من دجنه *** لبلبتي و جلوته من خدره

فقتلته و له عليّ كرامة *** ملء الحشى و له الفؤاد بأسره

عهدي به ميتا كأحسن نائم *** و الحزن يسفح عبرتي في نحره

لو كان يدري الميت ما ذا بعده *** بالحىّ حلّ بكى له في قبره

غصص تكاد تفيظ منها نفسه *** و تكاد تخرج قلبه من صدره(4)

و قال فيها أيضاً:

أ ساكن حفرة و قرار لحد *** مفارق خلّة من بعد عهد(5)

أجبنى إن قدرت على جوابي *** بحقّ الودّ كيف ظللت بعدي

و أين حللت بعد حلول قلبي *** و أحشائي و أضلاعي و كبدي؟

أما و الله لو عاينت و جدي *** إذا استعبرت(6) في الظلمات و حدي

1- الذحل: الثأر، وفي ب، س «بدم».

2- في الأصول: «فحنقوا» و أراه محرفا.

3- في «وفيات الأعيان»: «و يروى أن المتهم بالجارية غلام كان يهواه فقتله أيضا، وصنع فيه أبياتا وهي... وأورد الأبيات». وفي «ابن عساكر»: «و كان له غلام كالشمس و جارية كالقمر، و كان يهواهما جميعا، فدخل يوما منزله، فوجد الجارية معانقة للغلام تقبله، فشدّ عليهما فقتلتهما، ثم جلس عند رأس الجارية فبكاها طويلا، ثم قال: يا طلعة طلع الحمام..... الأبيات، ثم جلس عند رأس الغلام فبكاها و أنشأ يقول: أشفقت أن يرد الزمان... الأبيات».

4- فاظت نفسه تقيظ: خرجت روحه، مثل فاضت تقيظ؛ و كرهها بعضهم، و زعم أبو عبيدة أنها لغة لبعض تميم.

5- الخلة: الصديق للذكر و الأنثى و الواحد و الجمع.

6- استعبر: جرت عبرته.

و جدّ تنفّسي و علا زفيري *** و فاضت عبرتي في صحن خدي

إذا لعلمت أنّي عن قريب *** ستحفر حفرتي و يشقّ لحدي

و يعدلني السفية على بكائي *** كأنّي مبتلى بالحزن و حدي

يقول قتلتها سفها و جهلا *** و تبكيها بكاء ليس يجدي

كصياد الطيور له انتحاب *** عليها و هو يذبحها بحدّ

و قال فيها أيضا:

ما لا مرئ بيد الدهر الخنون يد *** و لا على جلد الدنيا له جلد

طوبى لأحباب أقوام أصابهم *** من قبل أن عشقوا موت فقد سعدوا

أو حقّهم إنّه حقّ أضنّ به *** لأنفدنّ (1) لهم دمعي كما نقدوا

يا دهر إنك مستقي بكأسهم *** و وارد ذلك الحوض الذي وردوا

/الخلق ماضون و الأيام تتبعهم *** نفنى [جميعا](2) و يبقى الواحد الصّمد

و قال فيها:

أما آن للطيف أن يأتيا *** و أن يطرق الوطن الدّانيا

و إني لأحسب ريب الرّما *** ن يتركني جسدا باليا

سأشكر ذلك لا ناسيا *** جميل الصّفاء و لا قاليا(3)

و قد كنت أنشره ضاحكا *** فقد صرت أنشره باكيا

و قال أيضا:

قل لمن كان(4) وجهه كضياء ال *** شمس في حسنه و بدر منير

كنت زين الأحياء إذ كنت فيهم *** ثم [قد](5) صرت زين أهل القبور

بأبي أنت في الحياة و في الموم *** ت و تحت الثرى و يوم التّشور

خنتني في المغيب و الخون نكر *** و ذميم في سالفات الدّهور

-
- 1- في الأصول «لا ينفذن» وهو تحريف.
 - 2- زيادة يستقيم بها الكلام. وقد جاء هذا الشطر في س: «تقنى ولم يبق إلا الواحد الصمد».
 - 3- قاليا: مبعضا كارها.
 - 4- في ب، ج: «لمن قال».
 - 5- زيادة يستقيم بها الشعر. وقد جاء هذا الشطر في س: «ولقد صرت...».
 - 6- في الأصول: «فسقاني» وهو تصحيف.

قوله في غلامه الذي يقال له بكر

قال أبو الفرج: ونسخت من هذا الكتاب قال:

كان ديك الجنّ يهوى غلاما من أهل حمص يقال له بكر، وفيه يقول وقد جلسا يوما يتحدثان إلى أن غاب القمر:

دع البدر فليغرب فأنت لنا بدر *** إذا ما تجلّى من محاسنك الفجر

/إذا ما انقضى سحر الذين ببابل *** فطرفك لي سحر وريقك لي خمر(1)

ولو قيل لي قم فادع أحسن من ترى *** لصحت بأعلى الصوت يا بكر يا بكر

قال: وكان هذا الغلام يعرف ببكر بن دهمرد. قال: وكان شديد التمتع والتصوّن، فاحتال قوم من أهل حمص فأخرجوه إلى متنزّه(2) لهم يعرف بميماس، فأسكروه وفسقوا به جميعا، وبلغ ديك الجنّ الخبر فقال فيه:

قل لهضيم الكشح مياس *** انتقض العهد من الناس(3)

يا طلعة الآس التي لم تمد *** إلا أذلت قضب الآس(4)

وثقت بالكأس وشرابها *** وحتف أمثالك في الكاس(5)

و حال ميماس و يا بعد ما *** بين مغيثيك و ميماس(6)

تقطيع أنفاسك في أثرهم *** و ملكهم قّطع أنفاسي(7)

لا بأس مولاي، على أنها *** نهاية المكروه والبأس

هي الليالي ولها دولة *** ووحشة من بعد إيناس

بيننا أنافت وعلت بالفتى *** إذ قيل حطّته على الرّاس

/فاله و دع عنك أحاديثهم *** سيصبح الذّاكر كالنّاسي

وقال فيه أيضا:

يا بكر ما فعلت بك الأبطال *** يا دار ما فعلت بك الأيام(8)

ص: 294

2- في الأصول «منتزه» وهو تصحيف. جاء في «المصباح المنير» وقال ابن قتيبة: «ذهب بعض أهل العلم في قول الناس: خرجوا يتنزهون إلى البساتين أنه غلط وهو عندي ليس بغلط؛ لأن البساتين في كل بلد إنما تكون خارج البلد، فإذا أراد أحد أن يأتيها فقد أراد البعد عن المنازل والبيوت، ثم كثر هذا حتى استعملت النزهة في الخضر والجنان».

3- هضيم الكشح: ضامر الخصر. و مياس: متبختر.

4- الآس: شجر عطر الرائحة. و ماد يميد: تحرك و تبختر.

5- في الأصول «و حيف» تصحيف.

6- كذا في الأصول: و لا معنى له. و لعل صوابه: «... و يا بعده بين مغيثك و معاس» و معاس: جمع معس، من معس المرأة: وطئها. أي حال ابتعادك في هذا المنتزه بين المغيثين لك و بين الفاتكين بك.

7- الأثر: إكثار الفحل من ضراب الناقة؛ و قد أثرها كنصر. و ملكهم: من ملك العجين كضرب ملكا: أنعم عجنه. كملكه و أملكه.

8- في ج، ب: «بل يا دار» و لا يستقيم به الوزن. الأرتال: يعني بها أرتال الخمر. و من تعبيرهم المألوف في هذا الصدد قولهم في الشارب: «شرب رطلا». قال أحمد بن يوسف من أبيات: فعين الرأي أن تأتي برطل فتشربه و تدعولي برطل

أفي الدار بعد بقية نستمها *** إذ ليس فيك بقية تستام(1)

عزم الزمان على الديار برغمهم *** و عليك أيضا للزمان عرام(2)

شغل الزمان كراك في ديوانه *** فتفرغت لدواتك الأقالام(3)

قال فيه أيضا:

قولا لبكر بن دهمرد إذا اعتكرت *** عساكر الليل بين الطاس و الجام(4)

ألم أقل لك إن البغي مهلكة *** و البغي و العجب إفساد لأقوام

قد كنت تفرق من سهم بغانية *** فصرت غير رميم رقعة الرامي(5)

و كنت تفرع من لمس و من قبل *** فقد ذلت لإسراج و إجام

إن تدم فخذاك من ركض فربتما *** أمسي و قلبي عليك الموجع الدامي

/أخبرني أبو المعتصم عاصم بن محمد الشاعر بأنطاكية، و بها أنشدني قصيدة البحري:

ملامك إنه عهد قريب *** و رزء ما انقضت منه الندوب(6)

و أنشدني لديك الجن يعزي جعفر بن علي الهاشمي:

نغفل و الأيام لا تغفل *** و لا لنا من زمن موئل

و الدهر لا يسلم من صرفه *** أعصم في القته مستوع(7)

يتخذ الشعري شعارا له *** كأنما الأفق له منزل(8)

كأنه بين شناظيرها *** بارقة تكمن أو تمثل(9)

و لا حباب صلتان السرى *** أرقم لا يعرف ما يجهل(10)

ص: 295

1- السوم: عرض السلعة على البيع، و استامه إياها: غالى.

2- عزم (كنصر و ضرب و علم و كرم عرامة و عراما): اشتد. و في الأصول (عزم... عزم... غرام) و هو تصحيف.

3- في س (فتفرقت) و هو تحريف، و كنى بالدواة و الأقالام عما يستقبح ذكره.

4- اعتكر الليل: اشتد سواده و التبس، و اعتكروا: اختلطوا في الحرب، و اعتكر العسكر: رجع بعضهم على بعض فلم يقدر على عدّهم. و

الجام: إناء من فضة.

5- تفرق: تفرع. وأراد بسهم الغانية: عينها. غير رميم: غير بال، من رم العظم (كضرب) إذا بلى وربما كان غير ذميم) أو «دميم».

6- البيت مطلع قصيدة للبحثري يرثي غلامه قيصر. ملامك: أي دع ملامك و اكفف. وفي «الديوان» «ما عفت منه الندوب» و عفا الأثر: درس و امحى.

7- صرف الدهر: حدثانه و نوائبه. و الأعصم من الوعول: ما في ذراعيه أو في إحداهما بياض و سائره أسود أو أحمر. و القنة: أعلى الجبل كالقلة. و استوعل الوعل: إذا ذهب في قلة الجبل.

8- الشعري: كوكب نير يطلع بعد الجوزاء، و هما شعريان: الشعري العبور، و الشعري الغميصاء و في ب، س «الشعر» و هو تحريف. و أصل الشعار: ما ولى شعر الجسد من الثياب.

9- سناظير الجبل: أطرافه و حروفه، الواحد سناظير كخنزير.

10- الحباب: الحية، و هو معطوف على أعصم. و الصلتان: النشيط الحديد الفؤاد من الخيل. و السرى: سير عامة الليل. و الأرقم: أخبث الحيات و أطلبها للناس.

نضناض فيفاء يرى أنّه *** بالرمل غان و هو المرمل(1)

يطلب من فاجئة معقلا *** و هو لما يطلب لا يعقل

و الدهر لا يسلم من صرفه *** مسربل بالسرد مستبسل(2)

او لا عقنباة السّلامى لها(3) *** في كلّ أفق علق مهمل

فتخاء في الجوّ خداريّة *** كالغيم و الغيم لها متقل(4)

آمن من كان لصرف الرّدى *** أنزلها من جوّها منزل

و الدّهر لا يحجبه مانع *** يحجبه العامل و المنصل(5)

يصغي جديدها إلى حكمه *** و يفعل الدهر بما يفعل(6)

كأته من فرط عزّبه *** أشوس إذ أقبل أو أقبل(7)

الأقبل: الذي في عينه قبل، و هو دون الحول.

في حسب أوفى، له جحفل *** يقدمه من رأيه جحفل(8)

بيننا على ذلك إذ عرّشت *** في عرشه داهية ضنبل(9)

إن يك في العزّ له مشقص *** ماض فقد تاح له مقتل(10)

اجاد على قبرك من ميّت *** بالروح ربّ لك لا يبخل(11)

او حتّت المزن على قبره *** بعارض نجوته محفل(12)

ص: 296

1- حية نضناض و نضناضة: لا- تستقر في مكان، أو إذا نهشت قتلت من ساعتها. و الفيفاء و الفيفاة: المفازة. غان: غنيّ. و في الأصول: «عان» تصحيف. مرمل: من أرمل إذا نفذ زاده.

2- السرد هنا: الدرع المسرودة أي المنسوجة. و سربله: ألبسه السربال، و هو الدرع أو كل ما لبس.

3- في «معجم البلدان» السلامي: اسم موضع مضافا إليه «ذو». و المعروف في كلامهم «عقاب ملاح» (كسحاب و كتاب)، و عقاب عقنباة و عبناة و بعنقاة: ذات مخالب حداد، و يقال: عقاب ملاح بالإضافة، و عقاب ملاح و ملوع كصبور على النعت، أي خفيفة الضرب و الاختطاف، و ملاح قيل هو من نعت العقاب، و قيل اسم هضبة عقبانها أخبث العقبان، و قيل أرض أضيفت إليها عقاب في قولهم: أودت بهم عقاب ملاح، و قيل المفازة لا نبات بها. و العرب تقول في أمثالها: «أبصر من عقاب ملاح»؛ لأن عقاب الصحراء أبصر و أسرع من

عقاب الجبال. و العلق: الدم عامة أو الشديد الحمرة أو الغليظ أو الجامد، يريد به دم الفرائس التي تصرعها العقاب.

4- الفتحاء من العقبان: اللينة الجناح. و خدارية: سوداء.

5- مانع: أي سيد مسلط مانع لحوزته حام لذماره. و عامل الرمح و عاملته: صدره. و المنصل: السيف.

6- الجديدان: الليل و النهار. و الضمير في «جديده» للدهر، و في «حكمه» لمانع و كذا في «يفعل» الثاني.

7- الأشوس: الذي ينظر بمؤخر العين تكبرا أو تغيظا.

8- في ب و س. «في حب» و في كل الأصول: «فله جحفل»: و هو تحريف.

9- عرشت: بنت عريشا. و الضئبل: الداھية.

10- المشقص: النصل العريض أو الطويل. و تاح له الشيء يتيح و يتوح: تهيأ.

11- الروح: الرحمة.

12- المزن: السحاب. و العارضي: السحاب الذي يعترض في أفق السماء. و النجوة: ما ارتفع من الأرض فلم يعله السيل. و المحفل:

مجتمع الماء حيث يحفل أي يجتمع.

غيث ترى الأرض على وبله *** تضحك إلا أنه يهمل(1)

يصلّ والأرض تصليّ له *** من صلوات معه تسأل(2)

أنت أبا العباس عبّاسها *** إذا استطار الحدث المعضل(3)

و أنت ينبوع أفانينها *** إذا هم في سنة أمحلوا

و أنت علامّ غيوب الثنا *** يوماً إذا نسأل أو نسأل(4)

نحن نعزيك و منك الهدى *** مستخرج و النور مستقبل(5)

نقول بالعقل و أنت الذي *** ناوي إليه و به نعقل

نحن فداء لك من أمة *** و الأرض و الآخر و الأوّل

إذا غفا عنك و أودى بها *** ذا الدهر فهو المحسن المجمل(6)

رثاؤه جعفر بن علي الهاشمي

قال أبو المعتصم: ثم مات جعفر بن عليّ الهاشمي، فرثاه ديك الجن فقال:

على هذه كانت تدور النواذب *** و في كلّ جمع للذهاب مذاهب

/نزلنا على حكم الزّمان و أمره *** و هل يقبل التّصف الألدّ المشاغب؟(7)

و تضحك سنّ المرء و القلب موجع *** و يرضى الفتى عن دهره و هو عاتب

ألا أيّها(8) الرّكبان و الرّدّ واجب *** قفوا حدّثونا ما تقول النّواذب

إلى أيّ فتیان النّدى قصد الرّدى *** و أيّهم نابت حماه النّواذب؟

فيا لأبي العباس كم ردّ راغب *** لفقْدك ملهوفاً و كم جبّ غارب(9)

و يا لأبي العباس إنّ مناكبا *** تنوء بما حمّلتها لنواكب

فيا قبره جد كلّ قبر بجوده *** ففك سماء ثرة و سحائب(10)

- 1- الوبل: المطر الشديد الضخم القطر. و تضحك: تفتتح فيها الزهر، و هملت السماء: دام مطرها في سكون.
- 2- في الأصول «يصلي» و هو تحريف. و يصل: يصوت. و تصلى له، أي تصل لأجله شكرا لله. «معه تسأل» كذا في الأصول، و لعله «دمعه تسال» أي تسال انهلاله و انصبابه.
- 3- استطار: انتشر و تفرق.
- 4- في ب، س: «غيوب الثناء» و في ج «عيوب الثناء» و هو تصحيف: و نثا الحديث و الخبر نثوا: حدث به و أشاعه و أظهره، و الاسم منه النثا. و في الأصول «إذا نسأل أو تسأل» و هو تصحيف.
- 5- في الأصول: «نحن نجزيك» تحريف، و في «المثل الثائر» - باب الفرقات ص 468: - «و الضبر» بدل «و النور».
- 6- في طبعة بولاق «عفا». و غفا: نام نومة خفيفة.
- 7- النصف (بفتح النون و ضمها و كسرهما): الإنصاف. و الألد: الخصم الشحيح الذي لا يرجع إلى الحق.
- 8- في الأصول: «إنها»، و هو تصحيف.
- 9- في الأصول: «حب عارب» تصحيف. و الغارب: الكاهل.
- 10- ثرة: غزيرة. و الجود: المطر الغزير.

فإنك لو تدري بما فيك من علا *** علوت و باتت في ذراك الكواكب(1)

أخا كنت أبكيه دما و هو نائم *** حذارا و تعمى مقلتي و هو غائب

فمات و لا صبري على الأجر واقف *** و لا أنا في عمر إلى الله راغب

أأسعى لأحظى فيك بالأجر إنه *** لسعي إذن مني لدى الله خائب

و ما الإثم إلا الصبر عنك و إنما *** عواقب حمد أن تدم العواقب

يقولون: مقدار على المرء واجب *** فقلت: و إعوال على المرء واجب

هو القلب لما حم يوم ابن أمه *** و هي جانب منه و أسقم جانب

ترشفت أيامي و هنّ كوالح *** عليك، و غالبت الردى و هو غالب

و دافعت في صدر الزمان و نحره *** و أي يد لي و الزمان محارب؟

و قلت له: خلّ الجواد لقومه *** و ها أنا ذا فازدد فإنّا عصائب(2)

فو الله إخلاصا من القول صادقا *** و إلا فحبي آل أحمد كاذب

لو أنّ يدي كانت شفاءك أو دمي *** دم القلب حتى يقضب القلب قاضب(3)

للسلمت تسليم الرضا و اتخذتها *** يدا للردى ما حجّ لله راكب

فتى كان مثل السيف من حيث جنّته *** لنائبة نابتك فهو مضارب

فتى همّه حمد على الدهر رابح *** و إن غاب عنه ماله فهو عازب

شمانل إن يشهد فهنّ مشاهد *** عظام و إن يرحل فهنّ كتائب

بكاك أخ لم تحوه بقرابة *** بلى إنّ إخوان الصفاء أقارب

و أظلمت الدنيا التي كنت جارها *** كأنك للدنيا أخ و مناسب

يبرّد نيران المصائب أنني *** أرى زمنا لم تبق فيه مصائب

آيات له في أهل حمص و قد عزلوا إمام مسجدهم

قال أبو الفرج: ونسخت من كتاب محمد بن طاهر عن أبي طاهر:

إنّ خطيب أهل حمص كان يصلّي على النبيّ صلّى الله عليه وسلّم على المنبر ثلاث مرات في خطبته، وكان أهل حمص كلّهم من اليمن، لم يكن فيهم من مضر إلاّ ثلاثة أبيات، فتعصّبوا على الإمام وعزلوه؛ فقال ديك الجنّ:

سمعوا الصلّاة على النبيّ توالى *** فتفرّقوا شيعا وقالوا: لا لا

ثم استمرّ على الصلّاة إمامهم *** فتحزّبوا ورمى الرّجال رجالا

ص: 298

1- ذراك: كنفك و ظلك.

2- كذا في ج. وفي ب، س: «و هل ندّ فارده» و هو تحريف.

3- في الأصول: «لو أن دمي كانت شفاؤك» و هو تحريف. قضبه: قطعه.

يا آل حمص توقّعوا من عارها *** خزيا يحلّ عليكم ووبالا

شاهت وجوهكم وجوها طالما *** رگمت معاطسها وساءت حالا (1)

صوت

أيا ابنة عبد الله و ابنة مالك *** و يا ابنة ذي البردين و الفرس الورد

إذا ما صنعت الزاد فالتمسي له *** أكيلا فإني لست آكله وحدي

عروضه من الطويل. الشعر لقيس بن عاصم المنقريّ، و الغناء لعلّويه، ثقيل أوّل بالوسطى.

ص: 299

1- شاهت: قبحت. و رگم أنفه (مثلثة الغين): ذل عن كره. و المعطس، وزان مجلس و مقعد: الأنف.

نسبه

هو قيس بن عاصم بن سنان بن خالد بن منقر بن عبيد بن مقاعس. واسم مقاعس الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم. ويكنى أبا عليّ. وأمّه أمّ أصعر بنت خليفة بن جرول بن منقر.

بعض صفاته

وهو شاعر فارس شجاع حلّيم كثير الغارات، مظفّر في غزواته. أدرك الجاهليّة والإسلام فساد فيهما. وهو أحد من وأد بناته(1) في الجاهليّة، وأسلم وحسن إسلامه، وأتى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، وصحبه في حياته، وعمر بعده زمانا، وروى عنه عدّة أحاديث.

وأده بناته في الجاهلية

أخبرني عمّي الحسن بن محمّد قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني عليّ بن الصّبّاح عن ابن الكلبيّ عن أبيه قال:

وفد قيس بن عاصم على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فسأله بعض الأنصار عما يتحدّث به عنه من الموءودات التي وأدهنّ من بناته؛ فأخبر أنه ما ولدت له بنت قطّ إلاّ وأدها. ثم أقبل على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يحدثه فقال له: كنت أخاف سوء الأحدثة و الفضيحة في البنات، فما ولدت لي بنت قطّ إلاّ وأدتها، و ما رحمت منهن موءودة قطّ إلاّ بنيت لي ولدتها أمّها وأنا في سفر، فدفعتها أمّها إلى أحوالها فكانت فيهم؛ وقدمت فسألت عن الحمل، فأخبرتني المرأة أنّها ولدت ولدا ميّتا. ومضت على ذلك سنون حتى كبرت الصبيّة و يفعت، فزارت أمّها ذات يوم، فدخلت فرأيتها وقد صفرت شعرها وجعلت في قرونها شيئا من خلوق(2) ونظمت عليها ودعا، وأبستها قلادة جزع(3)، وجعلت في عنقها مخنقة(4) بلح: فقلت، من هذه الصبيّة فقد أعجبنى جمالها و كيسها؟(5) فبكت ثم قالت: هذه ابنتك، كنت خبّرتك أنّي ولدت ولدا ميّتا، وجعلتها عند أحوالها حتّى بلغت هذا المبلغ. فأمسكت عنها حتى اشتغلت عنها، ثم أخرجتها يوما فحفرت لها حفيرة فجعلتها فيها وهي تقول: يا أبت(6) ما تصنع بي؟ وجعلت أقذف عليها التراب وهي تقول: يا أبت أ مغطى أنت بالتراب؟! أ تاركي أنت وحدي ومنصرف عني؟! وجعلت أقذف عليها التراب ذلك حتى واريها وانقطع صوتها، فما رحمت أحدا ممن واريته غيرها. فدمعت عينا النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ثم قال: «إنّ هذه لقسوة،

ص: 300

- 1- وأد ابنته: دفنها حية.
- 2- الخلوق: ضرب من الطيب.
- 3- الجزع بالفتح (ويكسر): الخرز اليماني الصيني، فيه سواد وبياض، تشبه به العين.
- 4- المخنقة: القلادة.
- 5- الكيس: العقل.
- 6- يا أبت: التاء فيه عوض من ياء المتكلم، ويجوز فيها الفتح والكسر، وسمع فيها الضم أيضا. قال في «التسهيل»: «وجعلها هاء في الخط والوقف جائز»، ورسمت في المصحف بالتاء؛ قال الدماميني: «فرسمها بالتاء أولى».

وإن من لا يرحم لا يرحم»(1) أو كما قال صَلَّى اللهُ عليه وسلّم.

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا أحمد بن الهيثم بن فراس قال: حدّثني عمّي أبو فراس محمد بن فراس عن عمر بن أبي بكار عن شيخ من بني تميم عن أبي هريرة:

أن قيس بن عاصم دخل على رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وسلّم وفي حجره بعض بناته يشمّها، فقال له: ما هذه السّخلة(2) تشمّها؟ فقال: هذه ابنتي. فقال: والله لقد ولد لي بنون وأدت بنيات ما شممت منهنّ أنثى ولا ذكراً قطّ. فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وسلّم: «فهل إلا أن ينزع الله الرحمة من قلبك(3)»!

سبب وأده لبناته

قال أحمد بن الهيثم قال عمّي فحدّثني عبد الله بن الأهتم:

أن سبب وأد قيس بناته أنّ المشمرج اليشكريّ أغار على بني سعد فسبى منهم نساء واستاق أموالاً، وكان في النساء امرأة، خالها قيس بن عاصم، وهي رميم بنت أحمر(4) بن جندل السّعديّ، وأمّها أخت قيس. فرحل قيس إليهم يسألهم أن يهبوها له أو يفدوها، فوجد عمرو بن المشمرج قد اصطفاها لنفسه. فسأله فيها، فقال: قد جعلت أمرها إليها فإن اختارتك فخذها. فخيّرت، فاختارت عمرو بن المشمرج. فانصرف قيس فوآد كلّ بنت، وجعل ذلك سنّة في كلّ بنت تولد له، واقتدت به العرب في ذلك؛ فكان كلّ سيّد يولد له بنت يئدها خوفاً من الفضيحة.

خبره مع زوجه منفوسة بنت زيد الفوارس

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدّثني عمّي عن العباس بن هشام عن أبيه عن جدّه قال:

تزوج قيس بن عاصم المنقريّ منفوسة بنت زيد الفوارس الصّبيّ، وأتته في الليلة الثانية من بنائه بها بطعام، فقال: فأين أكيلي؟ فلم تعلم ما يريد؛ فأنشأ يقول:

أيا بنة عبد الله و ابنة مالك *** ويا ابنة ذي البردين و الفرس الورد(5)

إذا ما صنعت الزاد فالتمسي له *** أكيلاً فأني لست آكله وحدي

/أخا طارقاً أو جار بيت فأني *** أخاف ملامات الأحاديث من بعدي

ص: 301

1- روى البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قبل رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وسلّم الحسن بن علي وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالسا، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدا. فنظر إليه رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وسلّم ثم قال: «من لا يرحم لا يرحم». (إرشاد الساري) «لشرح صحيح البخاري» (20:9).

2- السخلة: ولد الشاة.

3- روى البخاري بسنده عن عائشة رضي الله عنها قالت: جاء أعرابي إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: تقبلون الصبيان! فما تقبلهم، فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أوأملك لك أن نزع الله من قلبك الرحمة!»! «إرشاد الساري» (9:21).

4- في الأصول: «بنت أحمد»، وهو تحريف.

5- ذو البردين: هو عامر بن أحيمر بن بهدلة بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم؛ لقب بذلك لأن الوفود اجتمعوا عند عمرو بن المنذر بن ماء السماء، فأخرج بردين وقال: ليقم أعز العرب فليلبسهما، فقام عامر؛ فقال له: أنت أعز العرب؟ قال: نعم؛ لأن العز كله في معدّ ثم نزار ثم مضر ثم تميم ثم سعد ثم كعب؛ فمن أنكر ذلك فليناظر، فسكتوا. فقال: هذه قبيلتك، فكيف أنت في نفسك وأهل بيتك؟ فقال: أنا أبو عشرة وأخو عشرة وعم عشرة، ثم وضع قدمه على الأرض وقال: من أزالها عن مكانها فله مائة من الإبل، فلم يقم إليه أحد؛ فأخذ البردين وانصرف. «تاج العروس» (مادة برد). و الفرس الورد: الذي بين الكميت والأشقر.

وإنّي لعبد الضّيف من غير ذلّة *** و ما بي إلاّ تلك من شيم العبد(1)

قال: فأرسلت جارية لها مليحة فطلبت له أكبلا، وأنشأت تقول له:

أبى المرء قيس أن يذوق طعامه *** بغير أكيل إنّه لكريم

فبوركت حيّا يا أبا الجود والّئدى *** و بوركت ميتا قد حوتك رجوم(2)

أبيات للعبّاس بن مرداس يمدح فيها قيسا و يهجو جويّنا الطائي

أخبرني هاشم بن محمّد الخزاعيّ قال حدّثنا دماذ عن أبي عبيدة قال:

جاور رجل من بني القين من قضاة قيس بن عاصم، فأحسن جواره و لم ير منه إلاّ خيرا حتى فارقه، ثم نزل عند جويّنا الطائيّ أبي عامر بن جويّنا، فوثب عليه رجال من طيئ فقتلوه و أخذوا ماله، فقال العبّاس بن مرداس يهجوهم و يمدح قيسا:

لعمرى لقد أوفى الجواد ابن عاصم *** و أحصن جارا يوم يحدج بكره(3).

أقام عزيزا منتدى القوم عنده *** فلم ير سوءات و لم يخش غدره(4)

أقام بسعد يشرب الماء آمنا *** و يأكل وسطاها و يربض حجره(5)

فإنّك إذ بادلت قيس بن عاصم *** جويّنا لمختار المنازل شرّه(6)

فأصبح يحدو رحله بمفازة *** و ما ذا عدا جارا كريما و أسرّه(7)

يظللّ بأرض الغدر يأكل عهده *** جويّنا و شمش خاربين بوجره(8)

يدمّان بالأزواد و الزاد محرم *** سروقان من عرق شرورا و فجره(9)

ص: 302

1- وردت هذه الأبيات في «الكامل» للمبرد 1: 279 ببعض تغيير في الرواية و كذا في «أشعار الحماسة» ج 2: 244 فانظرها هناك.

2- رجوم: تعني حجارة القبر. و آذني في كتب اللغة: «الرجمة بالضم و الفتح: القبر، و الجمع رجام، ككتاب، و هو الرجم، كسبب، و الجمع أرقام، و الرجم و الرجام: الحجارة المجموعة على القبر، و الرجم، كشمس: اسم لما يرمم به الشيء المرجوم و الجمع رجوم» و ليس فيها «رجوم» بمعنى حجارة القبر.

3- في الأصول: «و أحسن جدا» و هو تحريف، و أحصنه: منعه و حفظه. و حدج البعير كضرب: شدّ عليه الحدج و الأداة و وسقه. و الحدج: الحمل، و زنا و معنى. و البكر: الفتى من الإبل.

4- المنتدى: مجلس القوم و متحدتهم. و غدره: يجوز أن يكون بالتاء و بالهاء.

5- بسعد: أي ببني سعد وهم قوم قيس بن عاصم. ويأكل وسطاها، من أمثال العرب: «يرتعي وسطا ويربض حجرة» و الوسط من المرعى: خياره، أي يرتعي أوسط المرعى وخياره ما دام القوم في خير، فإذا أصابهم شر اعتزلهم. وربض حجرة أي ناحية. انظر «لسان العرب» (وسط و حجر). ويروى هذا المثل أيضا: «يأكل خضرة ويربض حجرة» أي يأكل من الروضة ويربض ناحية. انظر «مجمع الأمثال» للميداني 2:150 - وقد ضمن الشاعر البيت المثل فقال: ويأكل وسطاها أي وسطي مآكلها، و وسطي مؤنث أوسط، و أوسط الشيء و وسطه (بالتحريك): أعدله و خياره، أي يأكل خير مآكلها و أطيبها.

6- شرة: مفعول مختار، و شرة و شرى أيضا كفضلى مؤنث شر.

7- حدا البعير: ساقه، و المفازة: الفلاة لا ماء بها. و أسرة الرجل: عشيرته و رهطه الأذنون لأنه يتقوى بهم.

8- يأكل عهده: يريد «ينكث» من قولهم أكل فلان عمره: أفناه. و شمخ: اسم رجل. و الخارب: اللص، و جرة: اسم موضع.

9- أذم به: تهاون، و الأزواد جمع زاد. المحرم: الحرمة التي لا يحل انتهاكها، و العرق: الأصل. و الفجرة: الفجور، و يقال: حلف فلان على فجرة، و اشتمل على فجرة: إذا ركب أمرا قبيحا من يمين كاذبة أو زنا أو كذب، و في س «من مرق سروق و فخره» و في ب، ح «من عرق سرق و فخرة» و هو تحريف.

حلّمه و عفوه عن ابن أخيه و قد قتل ابنه

أخبرني أحمد بن العباس العسكري قال حدّثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدّثني دماذ عن أبي عبيدة قال، قال الأحنف:

أما تعلّمت الحلّم إلّا من قيس بن عاصم المنقريّ، ف قيل له: وكيف ذلك يا أبا بحر؟ فقال: قتل ابن أخ له ابنا له فأتى بابن أخيه مكتوفا يقاد إليه، فقال: ذعرتم الفتى. ثم أقبل عليه فقال: يا بنيّ، نقصت عددك، وأوهيت (1) ركنك، وفتت في عضدك، وأشمت عدوك، وأسأت بقومك. خلّوا سبيله، واحملوا إلى أم المقتول ديتة، قال: فانصرف القاتل و ما حلّ قيس حبوته (2)، و لا تغير وجهه (3).

وفود قيس على الرسول عليه السّلام

أخبرني عبيد الله الرازيّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخراز عن المدائنيّ عن ابن جعدبة وأبي اليقظان قالوا:

وقد قيس بن عاصم على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فقال النبيّ عليه الصلاة والسّلام: «هذا سيّد أهل الوبر».

قصته مع تاجر خمار

أخبرني محمّد بن الحسن بن دريد قال حدّثنا أبو حاتم عن أبي حاتم قال:

جاور داريّ (4) كان يتّجر في أرض العرب قيس بن عاصم، فشرّب قيس ليلة حتى سكر، فربط الداريّ وأخذ ماله، و شرب من شرابه فازداد سكرًا، و جعل من السكر يتطاول و يثاور (5) النجوم ليبلغها و ليتناول القمر، و قال:

و تاجر فاجر جاء إلّاه به *** كأن عثنونه أذئاب أجمال (6)

ثم قسم صدقة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم في قومه و قال:

ص: 303

1- و هي الحائط: ضعف و هم بالسقوط، و أوهاه هو. فت في عضده: أضعفه.

2- احتبى: جمع بين ظهره و ساقيه بعمامة و نحوها، و الاسم الحبوّة (يفتح و يضم).

3- الخبر في «أمالي السيد المرتضى» 1:76. و جاء في «مجمع الأمثال للميداني» 1:148 و «العقد الفريد» 1:177 «قيل للأحنف بن قيس: ممن تعلّمت الحلّم؟ قال: من قيس بن عاصم المنقريّ، حضرته يوما قاعدا بفناء داره، محتبيا بحمانل سيفه يحدّثنا، إذ جاءوا بابن له قتييل و ابن عم له كتييف، فقالوا: هذا ابن أخيك قتل ابنك، فو الله ما حلّ حبوته و لا قطع كلامه، حتى إذا فرغ من الحديث التفت إلى ابن أخيه و قال له: يا ابن أخي، أثمت بربك، و رميت نفسك بسهمك، و قتلت ابن عمك. ثم قال لابن له آخر: يا بني قم إلى ابن عمك فأطلقه، و إلى أخيك فادفنه، و إلى أم القتييل فأعطها مائة ناقة دية ابنها فإنها غريبة لعلها تسلو عنه، ثم أنشأ يقول: إني امرؤ لا يتعري خلقي دنس يهجنه و لا أفن من منقر من بيت مكرمة و الغصن ينبت حوله الغصن خطباء حين يقوم قائلهم بيض الوجوه مصانع لسن لا يفطنون لعيب جارهم و هم لحفظ جواره فطن

4- داريّ: من الدارين، و هم بنو الدار بن هانئ بن حبيب بن نمارة بن لخم بن عدي، ينتهي نسبهم إلى كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب

بن قحطان.

5- ثاوره مٹاوره و ثوارا: واٹبه.

6- العثنون من اللحفة: ما نبت على الذقن و تحته سفلا. و أجمال: جمع جمل. جاء في «الكامل» للمبرد 280:1 «قال ذلك لأن ذنب البعير يضرب إلى الصهبة و فيه استواء و هو يشبه اللحفة».

ألا أبلغا عني قريشا رسالة *** إذا ما أتتهم مهديات الودائع

حبوت بما صدقت في العام منقرا *** وأياست منها كل أطلس طامع(1)

قال: فلمّا فعل بالداريّ ما فعل و سكر، جعل ما له نهبي(2)، فلم تزل امرأته تسكّنه حتّى نام. فلما أصبح أخبر بما كان منه، فألى ألا يدخل الخمر بين أضلاعه أبدا.

خدعه الزبرقان بن بدر حتى فرّق الصدقات في قومه

أخبرني وكيع قال/حدّثنا المدائنيّ قال:

ولي قيس بن عاصم على عهد رسول الله صلّى الله عليه و سلّم صدقات بني مقاعس و البطون كلّها، و كان الزبرقان بن بدر قد ولي صدقات عوف و الأبناء(3). فلما توفّي رسول الله صلّى الله عليه و سلّم و قد جمع كلّ واحد من قيس و الزبرقان صدقات من ولي صدقته دسّ إليه الزبرقان من زين له المنع لما في يده و خدعه بذلك، و قال له: إنّ النبيّ صلّى الله عليه و سلّم قد توفّي، فهلّمّ نجتمع هذه الصدقة و نجعلها في قومنا؛ فإن استقام الأمر لأبي بكر و أدّت العرب إليه الزكاة جمعنا له الثانية. ففرّق قيس الإبل في قومه؛ فانطلق الزبرقان إلى أبي بكر بسبعمائة بعير فأذاها إليه، و قال في ذلك:

وفيت بأذواد النبيّ محمّد *** و كنت امرأ لا أفسد الدين بالغدر(4)

فلمّا عرف قيس ما كاده به الزبرقان قال: لو عاهد الزبرقان أمّه لغدر بها.

أسباب سيادته

أخبرني عبد الله بن محمّد الرازيّ قال حدّثنا الحارث بن أسامة قال حدّثنا المدائنيّ، و أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ثعلب على ابن الأعرابيّ قال:

قيل لقيس بن عاصم: بما ذا سدت؟ قال: ببذل الندى، و كفّ الأذى، و نصر الموالي(5).

نصيحة لبنيه

أخبرني وكيع قال حدّثنا العمري عن الهيثم قال:

كان قيس بن عاصم يقول لبنيه: إياكم و البغي؛ فما بغى قوم قطّ إلا قلّوا و ذلّوا. فكان بعض بنيه يلطمه(6) قومه أو غيرهم فينهى إخوته عن أن ينصروه.

حديث له مع رسول الله صلّى الله عليه و سلّم في المال

أخبرني عبيد الله بن محمّد الرازي قال حدّثنا الحارث عن المدائني عن ابن جعدبة: أنّ قيس بن عاصم قال:

أتيت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فرحّب بي وأدنانني؛ فقلت: يا رسول الله، المال الذي لا يكون عليّ فيه تبعة ما ترى في

ص: 304

-
- 1- حباه: أعطاه بلا جزاء ولا منّ، أو هو عام. و المصدق: أخذ الصدقات، و المتصدق: معطيها. و الأطلس هنا: اللص الخبيث.
 - 2- النهي: اسم للمنهوب، كالنهبه بالضم.
 - 3- الأبناء، هم خمسة من ولد سعد بن زيد مناة بن تميم، و هم عبد شمس و مالك و عوف و عوانة و جشم.
 - 4- الذود: ثلاثة أبعرة إلى العشرة، و قيل غير ذلك، و الجمع أذواد.
 - 5- في «أمالي» السيد المرتضى 1:76 «و نصر الولي».
 - 6- في «أمالي» السيد المرتضى: «يظلمه».

إمساكه لضعيف إن طرقتي، و عيال إن كثروا عليّ؟ فقال: «نعم المال(1) الأربعون، و الأكثر الستون، و ويل لأصحاب المثين - ثلاثا - إلا من أعطى من رسلها(2) و أطرق(3) فحلها، و أفقر ظهرها(4)، و منح غزيرتها(5)، و أطعم القانع و المعتز(6). فقلت له: يا رسول الله، ما أكرم هذه الأخلاق! إنه لا يحلّ بالوادي الذي أنا فيه من كثرتها. قال:

«فكيف تصنع في الإطراق؟» قلت: يغدو الناس، فمن شاء أن يأخذ برأس بعير ذهب به، قال: «فكيف تصنع في الإفطار؟» فقلت إنّي لأفقر الناب(7) المدبرة و الضرع(8) الصغيرة. قال: «فكيف تصنع في المنيحة؟»(9) قلت: إنني لأمنح في السنة المائة. قال: «إنما لك من مالك ما أكلت فأفئيت، أو لبست فأبليت، أو تصدّقت فأبقيت».

خبره مع الحوفزان

أخبرني هاشم بن محمّد الخزاعيّ حدّثنا أبو غسان دماذ عن أبي عبيدة قال:

قيس بن عاصم هو الذي حفز الحوفزان بن شريك الشيباني، طعنه في استه في يوم جدود(10).

و كان من حديث ذلك اليوم أنّ الحارث بن شريك بن عمرو الصّلب بن قيس بن شراحيل بن مرّة بن همّام كانت بينه و بين بني يربوع موادة، ثم همّ بالعدو بهم، فجمع بني شيبان(11) و بني ذهل و اللّهازم: قيس بن ثعلبة و تيم الله بن ثعلبة و غيرهم، ثم غزا بني يربوع، فنذر(12) به عتيبة بن الحارث بن شهاب بن شريك، فنادى في قومه بني جعفر بن ثعلبة من بني يربوع(13) فوادعه. و أغار الحارث بن شريك على بني مقاعس و إخوتهم بني ربيع فلم يجيئهم(14)، فاستصرخوا بني منقر فركبوا حتّى/الحقوا بالحارث بن شريك و بكر بن وائل و هم

ص: 305

1- أكثر ما يطلق المال عند العرب على الإبل؛ لأنها كانت أكثر أموالهم.

2- الرسل: اللين.

3- أطرقه فحلها: أعاره إياه ليضرب في إبله.

4- الظهر: الإبل التي يحمل عليها و يركب. و أفقره بعيره: أعاره إياه يركب ظهره في سفر أو يحمل عليه ثم يرده.

5- منح غزيرتها: أعطها من يحلبها و يردها.

6- القانع هنا: الذي يسأل، و المعتز: المتعرض للمعروف من غير أن يسأل.

7- الناب: الناقة المسنة. و المدبرة: الهرمة، التي هزمت فأدبر خيرها.

8- الضرع: الصغير من كل شيء، أو الصغير السن الضعيف الضاوي النحيف. و ككتف: الضعيف.

9- في ب، س: «المليحة» و هو تحريف.

10- جدود: اسم موضع في أرض بني تميم قريب من حزن بني يربوع على سمت اليمامة، فيه الماء الذي يقال له الكلاب، و كان فيه

وقعتان مشهورتان عظيمتان من أعرف أيام العرب. اقرأ حديث يوم جدود أيضا في «العقد الفريد» (3:72).

11- شيبان: حي من بكر بن وائل، و هما شيبانان: أحدهما شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن صععب بن علي بن بكر بن وائل، و الآخر شيبان بن

ذهل بن ثعلبة بن عكابة. و اللّهازم، هم قيس بن ثعلبة بن عكابة، و تيم الله - أو تيم اللات - بن ثعلبة بن عكابة، و عجل بن لجيم، و عنزة بن

أسد بن ربيعة - انظر «العقد الفريد» (3:68)، و «لسان العرب». و في الأصول «و اللّهازم و قيس بن ثعلبة» بزيادة الواو و هو خطأ.

12- نذر به كفرح: علمه فحذره. وفي ب، س «عتبة بن الحارث».

13- وذلك أن الحوفزان لما انتهى إلى جدود منعتهم بنو يربوع أن يردوا الماء - ورئيسهم عتيبة بن الحارث بن شهاب - فقاتلوهم، فلم يكن لبني بكر بهم يد، فصالحوهم على أن يعطوا بني يربوع بعض غنائمهم، و على أن يخلوهم يردون الماء، فقبلوا ذلك و أجازوهم، فبلغ ذلك بني سعد، فقال قيس بن عاصم في ذلك: جزى الله يربوعا.. الأبيات الآتية (انظر «العقد الفريد» «يوم جدود»).

14- كذا في الأصل، و الظاهر أن في الكلام نقصا. و بنو ربيع (كزبير) هم بنو ربيع بن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة، و جاء في «النقائض» ص 145 طبع أوربة (بعد أن أورد خبر موادعته بني يربوع): «فمضى إلى بني سعد فأغار على ربيع بن الحارث فأصاب نسوة و هم خلوف و أصاب إبلا، فإن الصريخ بني سعد، فركب قيس بن عاصم في بني سعد...».

قائلون(1) /في يوم شديد الحرّ. فما شعر الحوفزان إلا بالأهتّم بن سمي بن سنان بن خالد بن منقر - واسم الأهتّم سنان - وهو واقف على رأسه، فوثب الحوفزان إلى فرسه فركبه وقال للأهتّم: من أنت؟ فانتسب له، وقال: هذه منقر قد أتتك. فقال الحوفزان: فأنا الحارث بن شريك! فنادى الأهتّم: يا آل سعد! ونادى الحوفزان: يا آل وائل! وحمل كلّ واحد منهما على صاحبه، ولحقت بنو منقر، فاقتتلوا أشدّ قتال و أبرحه(2)، ونادت نساء بني ربيع: يا آل سعد! فاشتدّ قتال بني منقر لصياحهن، فهزمت بكر بن وائل، و خلّوا من(3) كان في أيديهم من بني مقاعس، وما كان في أيديهم من أموالهم، و تبعتهم بنو منقر بين قتل و أسر؛ فأسر الأهتّم حمران بن عبد عمرو(4)، و قصد قيس بن عاصم الحوفزان، و لم يكن له همّة غيره، و الحارث على فرس له قارح(5) يدعى الزّبد، و قيس على مهر، فخاف قيس أن يسبقه الحارث، فحفزه بالرّمح في استه، فتحفّز به الفرس فنجا، فسّمى الحوفزان. و أطلق قيس أموال بني مقاعس و بني ربيع و سباياهم، و أخذ أموال بكر بن وائل و أساراهم.

أبيانه التي قالها في يوم جدود

و انتقضت طعنة قيس على الحوفزان بعد سنة فمات. و في هذا اليوم يقول قيس بن عاصم:

جزى الله يربوعا بأسوا فعلها(6) *** إذا ذكرت في النائبات أمورها

أو يوم جدود قد فضحتم ذماركم *** و سالمتم و الخيل تدمى نحورها(7)

ستخطم سعد و الرباب أنوفكم *** كما حرّ في أنف القضيب جريها(8)

و قال سوار(9) بن حيّان المنقرّي:

و نحن حفزنا الحوفزان بطعنة *** سقته(10) نجيعا من دم الجوف أشكلا(11)

و حمران قسرا أنزلته رماحنا *** فعالج غلاّ في ذراعيه مقفلا

إغارته على اللهازم يوم النجاج و ثبتل و ما قال ابنه علي في ذلك اليوم

ص: 306

1- القائلة: نصف النهار، و قال: نام في القائلة، فهو قائل.

2- أبرحه: أشده و أشقّه.

3- في الأصول: «ما كان» تحريف.

4- في «العقد الفريد»: «حمران بن بشر بن عمرو بن مرثد». و في «لسان العرب» مادة (حفز): «حمران بن عبد بن عمرو بن بشر بن عمرو بن مرثد».

5- قرح الفرس قروحا: إذا ألقى أقصى أسنانه، و ذلك إذا استنم الخامسة و دخل في السادسة. و الزبد ككتف (كما في «القاموس المحيط»).

6- في «النقائض» و «العقد» «سعيها».

- 7- الذمار: ما يلزمك حفظه و حمايته. وفي «معجم البلدان» و «العقد الفريد» و «النقائض»: «قد فضحتكم أباكم»؛ يعني ما كان منهم من موادة الحوفزان، وقد تقدّم خبرها.
- 8- خطمه: ضرب أنفه، و الرباب: خمس قبائل تجمعوا فصاروا يدا واحدة، و هم ضبة و ثور و عكل (كقفل) و تيم و عديّ، و القضيب: الناقة التي لم ترض. و الجدير: الزمام.
- 9- كذا في «الأصول» و «أمالي» السيد المرتضى 1:77 و «النقائض». وفي «العقد الفريد»: «سويد».
- 10- في «العقد الفريد» و «النقائض»: «تمج تجيعا».
- 11- حفزه بالرمح طعنه. و النجيع من الدم: ما كان إلى السواد، أو دم الجوف. و الأشكل: ما يخلط سواده حمرة.

قال: وأغار قيس بن عاصم أيضا على الهازم، فتبعه بنو كعب بن سعد بالنّجاج و ثبتل(1)، فتخوّف أن يكره أصحابه لقاء بكر بن وائل، وقد كان يتناجون(2) في ذلك، فقام ليلا فشقّ مزادهم(3)، لئلا يجدوا بدءا من لقاء العدو، فلما فعل ذلك أذعنوا بلقائهم وصبروا له، فأغار عليهم، فكان أشهر يوم يوم ثبتل لبني سعد، وظفر قيس بما شاء، وملا يديه من أموالهم وغنائمهم. وفي ذلك يقول ابنه علي(4) بن قيس بن عاصم:

أنا ابن الذي شقّ المزاد وقد رأى *** بثبتل أحياء الهازم حصرا

فصبّحهم بالجيش قيس بن عاصم *** وكان إذا ما أورد الأمر أصدر(5)

قتاله عبد القيس

قال: وأغار قيس أيضا ببني سعد على عبد القيس، وكان رئيس بني سعد يومئذ سنان بن خالد، وذلك بأرض البحرين، فأصابوا ما أرادوا، واحتالت عبد القيس في أن يفعل ببني تميم كما فعل بهم بالمشقّر(6) حين أغلق عليهم بابه فامتنعوا، فقال في ذلك سوار بن حيان:

فيا لك من أيام صدق أعدّها *** كيوم جوثى والنّجاج و ثبتلا(7)

كان رئيس بني سعد يوم الكلاب الثاني

قال: وكان قيس بن عاصم رئيس بني سعد يوم الكلاب(8) الثاني، فوقع بينه وبين الأهتم اختلاف في أمر عبد يغوث بن وقاص بن صلاة الحارثي حين أسره عصمة بن أبيير التيمي/و دفعه إلى الأهتم، فرفع قيس قوسه فضرب فم الأهتم بها فهتم أسنانه؛ فيومئذ سمّي الأهتم.

ما قاله لأولاده حين حضرته الوفاة

أخبرنا هشام بن محمد الخزاعي قال حدّثنا دماذ عن أبي عبيدة، وأخبرني عيسى بن الحسين الورّاق قال:

ص: 307

1- في ب و س. «نبتل» وفي ج: «ثبتل» تصحيف. والنّجاج: موضع من البصرة على عشر مراحل. و ثبتل: ماء قرب النّجاج، وبهما يوم من أيام العرب مشهور لتميم على بكر بن وائل كما رأيت.

2- يتناجون: يتسارون.

3- المزادة: الراوية التي يحمل فيها الماء. قال أبو عبيد: لا تكون إلا من جلدين تقام بجلد ثالث بينهما لتتسع، سميت بذلك لمكان الزيادة.

4- وبه يكنى «أبا علي». وفي «معجم البلدان»: «قال قرّة بن قيس بن عاصم». وفي «العقد الفريد»: «مرة».

5- رواه «معجم البلدان» و «العقد الفريد»: فصبّحهم بالجيش قيس بن عاصم فلم يجدوا إلا الأسنة مصدرا سقاها بها الذيفان قيس بن عاصم وكان إذا ما أورد الأمر أصدرها و الذيفان، بالفتح و يكسر: السم القاتل.

6- المشقّر: حصن عظيم بالبحرين لعبد قيس، يلي حصنا لهم آخر يقال له الصفا قبل مدينة هجر، وفيه يقول يزيد بن مفرغ الحميري: و جاورت عبد القيس أهل المشقّر وفيه حبس كسرى بني تميم، وقد أوقع بهم فأخذ الأموال و سبى الدراري بمدينة هجر. لأنهم أغاروا على

لطيمة (أي غير)، له فيها مسك و عنبر و جوهر كثير.

7- جؤاى و يقال له (جواى و جواىاء): حصن لعبد القيس بالبحرين.

8- الكلاب: اسم ماء بين جبلة و شمام على سبع ليال من اليمامة. و للعرب فيه يومان مشهوران: هما الكلاب الأؤل، و الكلاب الثانى.

حدّثنا أحمد بن الهيثم بن عديّ قال:

اجمع قيس بن عاصم ولده حين حضرته الوفاة وقال: يا بني، إذا متّ فسوّدوا كباركم، و لا تسوّدوا صغاركم فيسّفه الناس كباركم. وعليكم بإصلاح المال فإنّه منبهة للكريم، ويستغنى به عن اللثيم. وإذا متّ فادفنونني في ثيابي التي كنت أصليّ فيها وأصوم. وإياكم والمسألة فإنّها آخر (1) مكاسب العبد؛ وإنّ امرأ لم يسأل إلاّ ترك مكسبه. وإذا دفنتموني فأخفوا قبري عن هذا الحيّ من بكر بن وائل؛ فقد كان بيننا خماسات (2) في الجاهليّة. ثم جمع ثمانين سهما فربطها بوتر، ثم قال: اكسروها فلم يستطيعوا، ثم قال: فرّقوا. ففرّقوا، فقال: اكسروها سهما سهما، فكسروها. فقال: هكذا أنتم في الاجتماع وفي الفرقة. ثم قال:

إنما المجد ما بنى والد الصّد *** ق وأحيا فعاله المولود

و تمام الفضل الشجاعة والحل *** م إذا زانه عفاف وجود

و ثلاثون يا بني إذا ما *** جمعتهم في النائبات العهود

كثلاثين من قداح إذا ما *** شدّها للزمان قدح شديد

لم تكسّر وإن تفرّقت الأس *** هم أودى بجمعها التبيد

و ذوو الحلم و الأكابر أولى *** أن يرى منكم لهم تسويد

و عليكم حفظ الأصاغر حتّى *** يبلغ الحنث الأصغر المجهود (3)

رثاء عبدة بن الطيب له

ثم مات؛ فقال عبدة بن الطيب يرثيه:

عليك سلام الله قيس بن عاصم *** ورحمته ما شاء أن يترحمّا

تحية من أوليته منك نعمة *** إذا زار عن شحط بلادك سلّما

فما كان قيس هللكه هلك واحد *** و لكنّه بنيان قوم تهدّما

تمثل هشام بن عبد الملك بيت من أبيات عبدة في رثائه

أخبرني عبيد الله بن محمّد الرازيّ قال: حدّثنا أحمد بن الحارث عن المدائني قال:

لما مات عبد الملك بن مروان اجتمع ولده حوله، فبكى هشام حتى اختلفت (4) أضلاعه، ثم قال: رحمك الله يا أمير المؤمنين! فأنت والله

كما قال عبدة بن الطيب:

-
- 1- جاء في «الكامل» للمبرد: «أخر بقصر الهمزة لا غير، و من رواه بالمد أخطأ. و معنى آخر: أدنى و أرذل». و جاء في «لسان العرب»: «و في الحديث: المسألة آخر كسب المرء، أي أرذله و أدناه. و يروى بالمد؛ أي إن السؤال آخر ما يكتسب به المرء عند العجز عن الكسب».
 - 2- خماشات: جراحات و جنيات.
 - 3- بلغ الغلام الحنث: أي الإدراك و البلوغ، أي بلغ مبلغ الرجال و جرى عليه القلم فكتب عليه الحنث (أي المعصية و الإثم) و الطاعة.
 - 4- اختلفت: اضطربت.

فقال له الوليد: كذبت يا أحول يا مشئوم، لسنا كذلك، و لكننا كما قال الآخر:

إذا مكرم مئاً ذرا حدّ نابه *** تخمّط فينا ناب آخر مكرم(1)

هو و عبدة بن الطيب

أخبرني حبيب بن نصر المهلبّي قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثنا عليّ بن الصّبّاح عن ابن الكلبيّ عن أبيه قال:

كان بين قيس بن عاصم و عبدة بن الطيّب لحيان، فهجره قيس بن عاصم، ثم حمل عبدة دما في قومه، فخرج يسأل فيما تحمّله، فجمع إبلا، و مرّ به قيس بن عاصم و هو يسأل في تمام الدية، فقال: فيم يسأل عبدة؟ فأخبر؛ فساق إليه الدية كاملة/من ماله، و قال: قولوا له ليستمتع(2) بما صار إليه، و ليسق هذه/إلى القوم. فقال عبدة:

أما و الله لو لا أن يكون صلحي إياه بعقب هذا الفعل عارا عليّ لصالحته، و لكنني أنصرف إلى قومي ثم أعود فأصالحه. و مضى بالإبل ثم عاد، فوجد قيسا قد مات، فوقف على قبره و أنشأ يقول:

عليك سلام الله قيس بن عاصم *** و رحمته ما شاء أن يترحمّا

الأبيات.

سبب تحريمه الخمر على نفسه

أخبرني محمّد بن يزيد بن أبي الأزهر قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال ذكر عاصم بن الحدّثان و هشام بن الكلبيّ عن أشياخهما:

أنّ قيس بن عاصم المنقريّ سكر من الخمر ليلة قبل أن يسلم، فغمز عكنة(3) ابنته - أو قال أخته - فهربت منه. فلمّا صحا منها، فقيل له: أو ما علمت ما صنعت البارحة؟ قال: لا. فأخبروه بصنعه، فحرّم الخمر على نفسه، و قال في ذلك:

وجدت الخمر جامحة و فيها *** خصال تفضح الرّجل الكريما

فلا و الله أشربها حياتي *** و لا أدعو لها أبدا نديما

و لا أعطي بها ثمننا حياتي *** و لا أشفي بها أبدا سقيما

فإنّ الخمر تفضح شاربها *** و تجشّمهم بها أمرا عظيما(4)

إذا دارت حمياها تعلّت *** طوابع تسفه الرّجل الحلّيما(5)

ص: 309

1- البيت لأوس بن حجر («اللسان» مادة خمط، و قرم). و مكرم: سيد، و هو في الأصل: البعير المكرم الذي لا يحمل عليه و لا يذلل و

- لكن يكون للفحلة و الضراب؛ سمي به السيد الرئيس من الرجال تشبيها بالمقرم من الإبل لعظم شأنه و كرمه عندهم. و ذرا نابه ذروا: انكسر حدّه أو سقط و وقع. و التخمط: الأخذ و القهر بغلبة. أراد: إذا هلك منا سيد خلفه آخر. و في ب، س: «تحمط» و هو تصحيف.
- 2- في الأصول: «ليستفح» و هو تحريف.
- 3- العكنة: ما انطوى و تثنى من لحم البطن سمنا.
- 4- جشم (كسمع) الأمر و تشجمه: تكلفه على مشقة، و أجشمه إياه.
- 5- حمياها: سورتها و شدتها و إسكارها. تعلي: علا في مهلة.

/أخبرني محمد بن يزيد عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن عاصم بن الحدثان قال:

قال الزبيرقان: إن تاجرا ديافيا(1) مرّ بحمل خمر على قيس بن عاصم فنزل به، فقال قيس: اصبحني قدحا؛ ففعل.

ثم قال له: زدني، فقال له: أنا رجل تاجر طالب ربح و خير، و لا أستطيع أن أسقيك بغير ثمن. فقام إليه قيس فربطه إلى دوحه في داره حتى أصبح، فكلّمته أخته في أمره، فلطمها و خمش وجهها - و زعموا أنه أرادها على نفسها - و جعل يقول:

و تاجر فاجر جاء الإله به *** كأنّ لحيته أذنان أجمال

فلما أصبح قال: من فعل هذا بضيفي؟ قالت له أخته: الذي صنع هذا بوجهي، أنت و الله صنعته، و أخبرته بما فعل. فأعطى الله عهدا ألا يشرب الخمر أبدا. فهو أول عربي حرّمها على نفسه في الجاهلية، و هو الذي يقول:

فو الله لا أحسويد الدهر خمره *** و لا شربة تزري بذي اللبّ و الفخر(2)

فكيف أذوق الخمر و الخمر لم تزل *** بصاحبها حتى تكسّع في الغدر(3)

و صارت به الأمثال تضرب بعد ما *** يكون عميد القوم في السرّ و الجهر

و بيدرهم في كلّ أمر ينوبهم *** و يعصمهم ما نابهم حادث الدهر

فيا شارب الصّهباء دعها لأهلها ال *** غواة و سلّم للحسيم من الأمر

فإنك لا تدري إذا ما شربتها *** و أكثرت منها ما تريش و ما تبرى(4)

قصته مع امرأته و قد فارقته لإسلامه

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدّثني أحمد بن منصور قال أخبرني أبو جعفر المبارك قال أخبرني المدائني عن مسلمة بن محارب قال:

قال الأحنف بن قيس: ذكرت بلاغة النساء عند زياد، فحدّثته أنّ قيس بن عاصم أسلم و عنده امرأة من بني حنيفة، فأبى أهلها و أبوها أن يسلموا و خافوا إسلامها، فاجتمعوا إليها و أقسموا إنّها إن أسلمت لم يكونوا معها في شيء ما بقيت. فطالبت قيسا بالفرقة، ففارقها، فلما احتملت لتلحق بأهلها قال لها قيس: أما و الله لقد صحبتني ساّرة، و لقد فارقتني غير عازّة(5)، لا صحبتك مملولة، و لا أخلاقك مذمومة، و لولا ما اخترت ما فرّق بيننا إلاّ الموت، و لكنّ أمر الله و رسوله صلّى الله عليه و سلّم أحقّ أن يطاع. فقالت له: أنبت بحسبك و فضلك، و أنت و الله إن كنت للدائم المحبة، الكثير المودّة، القليل اللائمة، المعجب الخلوة، البعيد التّبوة. و لتعلمنّ أنّي لا أسكن بعدك إلى زوج.

فقال قيس: ما فارقت نفسي شيئا قطّ فتبعته كما تبعتها.

كان يكنى أبا علي

-
- 1- ديافي: نسبة إلى دياف، وهي قرية بالشام وأهلها نبط الشام، تنسب إليها الإبل والسيوف، وإذا عرضوا برجل أنه نبطي نسبوه إليها.
 - 2- يد الدهر: مدّ زمانه. وفي الأصول: «بذا الدهر» وهو تحريف.
 - 3- تكسع في ضلاله: تمادى، كتسكع.
 - 4- راش السهم يريشه: ألزق عليه الريش. وقولهم: فلان لا يريش ولا يبيري، أي لا يضر ولا ينفع.
 - 5- عزّه بمكروه: أصابه به، وعزّه: ساءه.

كان قيس بن عاصم يكنى أبا عليّ، و كان خاقان بن الأهتم إذا ذكره قال: بخ! من مثل أبي عليّ!

تطيف به كعب بن سعد كأنما *** يطيفون عمّارا ببيت محرّم (1)

بعض صفات قومه بني منقر

وقال علاّن بن الحسن الشّعوبي: بنو منقر قوم غدر، يقال لهم (2) الكوادن، و يلقّبون أيضا أعراف البغال، و هم أسوأ خلق الله جوارا، يسمّون الغدر كيسان (3)، و فيهم بخل شديد.

وصيته لبنيه بحفظ المال

و أوصى قيس بن عاصم بنيه، فكان أكثر وصيّته إيّاهم أن يحفظوا المال، و العرب لا تفعل ذلك و تراه قبيحا.

و فيهم يقول الأخطل بن ربيعة بن النمر بن تولب:

يا منقر بن عبيد إنّ لؤمكم *** مذ عهد آدم في الدّيان مكتوب

للضّيف حقّ على من كان ذا كرم *** و الضّيف في منقر عريان مسلوب

وقال النمر بن تولب يذكر تسميتهم الغدر كيسان في قصيدة هجاهم بها:

إذا ما دعوا كيسان كانت كهولهم *** إلى الغدر أدنى من شبابهم المرء

قال: و هذا شائع في جميع بني سعد (4)، إلا أنهم يتدافعونه إلى بني منقر، و بنو منقر يتدافعونه إلى بني سنان بن خالد بن منقر، و هو جدّ قيس بن عاصم.

وفوده على النبي مع عمرو بن الأهتم و تهاترها أمامه

و حكى ابن الكلبي أنّ النبي صلّى الله عليه و سلّم لمّا افتتح مكّة قدمت عليه وفود العرب، فكان فيمن قدم عليه قيس بن عاصم و عمرو بن الأهتم ابن عمّه، فلمّا صارا عند النبي صلّى الله عليه و سلّم تسابّا و تهاترا (5)؛ فقال قيس لعمرو بن الأهتم: و الله يا رسول الله ما هم منّا، و إنهم لمن أهل الحيرة. فقال عمرو بن الأهتم: بل هو و الله يا رسول الله من الروم و ليس منّا. ثم قال له:

اظللت مفترش الهلباء تشتمني *** عند الرّسول فلم تصدق و لم تصب

الهلباء يعني استه، يعيره بذلك، و بأن عانته وافية.

إن تبغضونا فإنّ الروم أصلكم *** و الروم لا تملك البغضاء للعرب

- 1- في الأصول: «بيت عمرم» وهو تحريف. وعماراً: أي معتمرين، من العمرة، وهي الحج الأصغر. والفرق بينها وبين الحج أن العمرة الطواف بالبيت الحرام والسعي بين الصفا والمروة فقط، والحج لا يكون إلا مع الوقوف بعرفة يوم عرفة، وأن العمرة تكون في السنة كلها، والحج لا يكون إلا في أشهر الحج: شوال وذي القعدة وعشر من ذي الحجة.
- 2- الكوادر: جمع كودن، وهو البغل والبرزون والفيل، ويشبهه به البليد.
- 3- في ب، س: «وكيسان» بالواو؛ وهو خطأ.
- 4- بنو سعد أخو النمر بن تولى. والبيت في «اللسان» (كيس)، وقبله: إذا كنت في سعد وأمك منهم غريباً فلا يغرك خالك من سعد.
- 5- تهاتراً: تساباً بالباطل.

سدنا فسوددنا عود و سوددكم *** مؤخر عند أصل العجب و الذنب(1)

قال: وإتما نسبه إلى الروم لأنه كان أحمر. فيقال: إن النبي صلى الله عليه و سلم نهاه عن هذا القول في قيس، و قال: إن إسماعيل بن إبراهيم - صلى الله عليهما و سلم - كان أحمر. فأجابه قيس بن عاصم فقال:

ما في بني الأهم من طائل *** يرجى و لا خير له يصلحون

قل لبني الحيرى مخصوصة *** تظهر منهم بعض ما يكتمون

لو لا دفاعي كنتم أعبدا *** مسكنها الحيرة فالسيلحون(2)

جاءت بكم عفرة من أرضها *** حيرية ليست كما ترعمون

في ظاهر الكفّ و في بطنها *** و سم(3) من الداء الذي تكتمون

ارتداده

و ذكر علان أن قيسا ارتد بعد النبي صلى الله عليه و سلم عن الإسلام، و آمن بسجاح، و كان مؤذنها، و قال في ذلك:

أضحت نبيتنا أنثى نظيف بها *** و أصبحت أنبياء الله ذكرانا

قال: ثم لما تزوجت سجاح بمسيلمة الكذاب الحنفي و آمنت به آمن به قيس معها. فلما غزا خالد بن الوليد اليمامة و قتل الله مسيلمة أخذ قيس بن عاصم أسيرا، فأدعى عنده أن مسيلمة أخذ ابنا له، فجاء يطلبه. فأحلفه خالد على ذلك، فحلف فحلى سبيله، و نجا منه بذلك.

قصته مع عبادة بن مرثد

قال: و مما يعيرون به أن عبادة بن مرثد بن عمرو بن مرثد أسر قيس بن عاصم و سبى أمه و أخته يوم أبرد الكبريت(4)، ثم من عليهم فأطلقهم بغير فداء، فلم يثبه قيس و لم يشكره على فعله بقول يبلغه. فقال عبادة في ذلك:

على أبرد الكبريت قيس بن عاصم *** أسرت و أطراف الفناقصد حمر(5)

متى يعلق السعدي منك بدمّة *** تجده إذا يلقي و شيمته الغدر

قال: و كان قيس بن عاصم يسمّى في الجاهلية الكودن.

قصته مع زيد الخيل

و كان زيد الخيل الطائي خرج عن قومه و جاور بني منقر، فأغارت عليهم بنو عجل و زيد فيهم، فأعانهم و قاتل بني عجل قتالا شديدا، و أبلى بلاء حسنا، حتى انهزمت عجل؛ فكفر قيس فعله و قال: ما هزمهم غيري. فقال زيد

- 1- العجب: أصل الذنب و مؤخر كل شيء.
- 2- السيلحون: بلد قرب الحيرة بين الكوفة و القادسية.
- 3- في «معجم البلدان»: «وشم».
- 4- أبرق الكبريت: موضع كان به يوم من أيام العرب.
- 5- قصد: قطع، جمع قصدة كقطعنة.

الخيال يعيريه و يكذبه في قصيدة طويلة:

ولست بوقاف إذا الخيل أجحمت *** ولست بكذاب كقيس بن عاصم(1)

إسلامه

و مما روى قيس بن عاصم عن النبي صلى الله عليه وسلم: حدثنا حامد بن محمد بن شعيب البلخي قال: حدثنا أبو خيثمة زهير بن حرب قال: حدثنا وكيع قال: حدثنا سفيان الثوري عن الأغر المنقري عن خليفة بن حصين بن قيس بن عاصم عن أبيه عن جدّه أنّه أسلم على عهد النبي صلى الله عليه وسلم، فأمره النبي عليه السلام أن يغتسل بماء و سدر.

حديثه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

إشارة

و حدثنا حامد قال حدثنا أبو خيثمة قال حدثنا جرير عن المغيرة عن أبيه شعبة عن التوام قال:

سأل قيس بن عاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحلف، فقال: «لا حلف(2) في الإسلام، ولكن تمسكوا بحلف الجاهلية».

أخبرني عمي قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثنا ابن عائشة قال: حدثني رجل من الرّباب قال:

ذكر رجل قيس بن عاصم عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال: لقد هممت أن آتية فأفعل به و أصنع به، كأنه توعدّه. فقال له النبي صلى الله عليه وسلم «إذا تحول سعد دونه بكرأها»(3).

قال: و لما مات قيس رثاه مرداس(4) بن عبدة بن منبّه فقال:

و ما كان قيس هللكه هلك واحد *** و لكنّه بنيان قوم تهدّما

صوت

خذ من العيش ما كفى *** و من الدّهر ما صفا

حسن الغدر في الأنا *** م كما استقبح الوفا

صل أخوا الوصل إنّه *** ليس بالهجر من خفا

عين من لا يريد وص *** لك تبدي لك الجففا(5)

- 1- أحجم عنه: كف، كأحجم، وفي الأصول «أجمحت» وهو تحريف - انظر هذا الخبر في «الأغاني» 56:16 ساسى -.
- 2- جاء في «النهاية في غريب الحديث والأثر» ج 1: ص 249: «لا حلف في الإسلام: أصل الحلف المعاقدة والمعاودة على التعاضد والتساعد والاتفاق. فما كان منه في الجاهلية على الفتن والقتال بين القبائل والغارات فذلك الذي ورد النهي عنه في الإسلام بقوله صلى الله عليه وسلم: «لا حلف في الإسلام»، وما كان منه في الجاهلية على نصر المظلوم وصلة الأرحام كحلف المطيبين وما جرى مجراه فذلك الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم: «وأيما حلف كان في الجاهلية لم يزد الإسلام إلا شدة» يزيد: من المعاقدة على الخير ونصرة الحق. وبذلك يجتمع الحديثان. وهذا هو الحلف الذي يقتضيه الإسلام، والممنوع منه ما خالف حكم الإسلام. وقيل: المحالفة كانت قبل الفتح، وقوله «لا حلف في الإسلام» قاله زمن الفتح فكان ناسخاً.
- 3- كراكر: جمع كركرة، بكسر الكافين؛ وهي الجماعة من الناس.
- 4- تقدم أن هذا الشعر لعبد بن الطبيب.
- 5- في ب: «من حفا». وفي س: «من جفا».

نسبه و شيء من أخباره

هو محمد بن حازم بن عمرو الباهلي. و يكنى أبا جعفر. و هو من ساكني بغداد مولده و منشؤه البصرة. أخبرني بذلك ابن عمّار أبو العباس عن محمد بن داود بن الجراح عن حسن بن فهم.

و هو من شعراء الدولة العباسية، شاعر مطبوع، إلا أنه كان كثير الهجاء للناس، فأطرح، و لم يمدح من الخلفاء إلا المأمون، و لا اتصل (1) بواحد منهم، فيكون له نباهة طبقته. و كان ساقط الهمة، متقللاً جداً، يرضيه اليسير، و لا يتصدى لمدح و لا طلب.

قصته مع الطاهري

حدّثنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدّثنا الخليل بن أسد قال:

سمعت محمد بن حازم الباهلي في منزلنا يقول: بعث إليّ فلان الطاهري - و كنت قد هجوته فأفرطت (2) - بألف دينار و ثياب، و قال: أمّا ما قد مضى فلا سبيل إلى ردّه، و لكن أحبّ ألا تزيد عليه شيئاً. فبعثت إليه بالألف الدينار (3) و الثياب، و كتبت:

لا ألبس النعماء من رجل *** ألبسته عارا على الدهر

خبره مع أحمد بن سعيد بن سالم

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثنا أبو علي - و سقط اسمه من كتابي - قال قرأت في كتاب عمّي:

قال لي محمد بن حازم الباهلي: مر بي أحمد بن سعيد بن سالم و أنا على بابي فلم يسلم عليّ سلا ما أرضاه، فكتبت رقعة و أتبعته بها، و هي:

و باهلي من بني وائل *** أفاد مالا بعد إفلاس

قطب في وجهي خوف القرى *** تقطيب ضرغام لدى الباس

و أظهر التيه فتايهته *** تيه امرئ لم يشق بالناس (4)

أعرته إعراض مستكبر *** في موكب مرّ بكتّاس

ص: 314

1- في الأصول: «و اتصل» و هو خطأ.

2- كذا في ج. و في ب، س «فأفرطني» و هو تحريف.

3- في الأصول: «بالألف الدرهم» وهو لا يلائم ما قبله، والأظهر أنه «بألف الدينار» لأن قائله وهو محمد بن حازم بصري - مولده و منشؤه البصرة كما تقدم - والبصريون إذا أرادوا تعريف العدد المضاف عرفوا المضاف إليه. والكوفيون هم الذين يجيزون تعريف المتضايين. قال الزمخشري: وذلك بمعزل عند أصحابنا - أي البصريين - عن القياس واستعمال الفصحاء.

4- في الأصول: «بالباس».

أخبرني ابن عمار قال حدّثني أبو عليّ قال:

لقيت محمّد بن حازم في الطريق فقلت له: يا أبا جعفر، كيف ما بينك وبين صديقك سعد بن مسعود اليوم(1) - وهو أبو إسحاق/ابن سعد، و كان يكتب للتوشجاني - فأشدني:

راجع بالعتبي فأعتبته *** وربما أعتبك المذنب(2)

وإن في الدّهر، على صرفه *** بين الصّديقين، لمستعتب(3)

قصيدته في مديح الشباب و ذم الشيب

أخبرني محمّد بن القاسم الأنباريّ وابن الوشاء جميعا قالا حدّثنا أحمد بن يحيى ثعلب قال:

قال ابن الأعرابيّ: أحسن ما قال المحدثون من شعراء هذا الزّمان في مديح الشّباب و ذمّ الشّيب:

لا حين صبر فخلّ الدّمع ينهمل *** فقد الشّباب بيوم المرء متّصل

سقيا ورعيا لأيام الشّباب وإن *** لم يبق منه له رسم ولا طلل

جرّ الزّمان ذيولا في مفارقه *** وللزّمان على إحسانه علل

وربّما جرّ أذيال الصّبا مرحا *** وبين برديه غصن ناعم خضل(4)

يصبي الغواني ويزهاه بشرته *** شرخ الشّباب و ثوب حالك رجل(5)

لا تكذبنّ فما الدّنيا بأجمعها *** من الشّباب بيوم واحد بدل

كفالك بالشّيب عيبا عند غانية *** والشّباب شفيعا أيها الرّجل(6)

بان الشّباب وولّى عنك باطله *** فليس يحسن منك اللّهُو والغزل

أمّا الغواني فقد أعرضن عنك قلى *** وكان إعراضهنّ الدّلّ والخجل

أعرنك الهجر ما لاحت مطوّقة *** فلا وصال ولا عهد ولا رسل(7)

ليت المنايا أصابتنني بأسهمها *** فكّن يبكين عهدي قبل أكتهل(8)

- 1- في الأصول بعد هذه الكلمة: «و الرادي علي». و لا أرى لها معنى و لا موضعاً في الكلام.
- 2- العتبي: الرضا، أعتبه: أعطاه العتبي ورجع إلى مسرته.
- 3- مستعتب: استرضاء، تقول: استعتبت فاعتبني أي استرضيته فأرضاني و كان الأولى أن يقول: «لمستعتبا» بالنصب لأنه اسم «إن»، و لكن على النصب يكون في البيت إقواء أو يخرج الرفع على أن اسم «إن» ضمير الشأن و جملة «في الدهر لمستعتب» خبرها.
- 4- خضل: ند، يترشش نداء.
- 5- شرة الشباب: نشاطه. و شرخ الشباب: أوله. يزهاه: يستخفه و يحمله على الزهو و هو الكبر و التيه و العظمة. و ثوب حالك: يريد به شعر الشباب. و شعر رجل: بين السبوة و الجعودة.
- 6- في ب، س: «عيب عند عائبه» و هو تحريف.
- 7- في ب، س: «أعرتك»؛ و هو تصحيف.
- 8- في الأصول: «تبكين» تصحيف.

اعهد الشّباب لقد أبقيت لي حزنا *** ما جدّ ذكرك إلا جدّ لي ثكل (1)

إنّ الشباب إذا ما حلّ رائده *** في منهل راد يقفوا إثره أجل (2)

بكاؤه الشيب أيضا

قال ابن الوشاء خاصّة: و ما أساء (3) ولا قصر عن الأولى، حيث يقول في هذا المعنى:

أبكي الشّباب لندمان و غانية *** و للمغاني و للأطلال و الكشب (4)

و للصرّيح و للآجام في غلس *** و للقنا السّمر و الهنديّة القضب (5)

و للخيال الذي قد كان يطرقني *** و للتّدامي و للذّات و الطّرب (6)

يا صاحباً لم يدع فقدي له جلدا *** أضعت بعدك إنّ الدهر ذو عقب (7)

و قد أكون، و شعبانا معا، رجلا *** يوم الكريهة فرّاجا عن الكرب (8)

هجاؤه ابن حميد

أخبرني ابن عمّار عن العنزّي قال:

كان محمّد بن حازم الباهليّ مدح بعض بني حميد فلم يشبهه، و جعل يفتش شعره فيعييب فيه الشيء بعد الشيء، و بلغه ذلك فهجاه هجاء كثيرا شنيعا، منه قوله:

اعدواك المكارم و الكرام *** و خلّك دون خلّتك اللّثام (9)

و نفسك نفس كلب عند زور *** و عقبى زائر الكلب التّدام (10)

تهرّ على الجليس بلا احترام *** لتحشمه إذا حضر الطّعام (11)

إذا ما كانت الهمم المعالي *** فهّمك ما يكون به الملام

ص: 316

1- في الأصول: «نكل» بالنون و هو تصحيف.

2- الرائد: المرسل في طلب الكلاء. و رادت الدابة ترود: رعت.

3- في الأصول: «و لا قصد» و هو تحريف. و قوله «عن الأولى» أي عن القصيدة الأولى السابقة.

4- المغاني: جمع مغنى، و هو المنزل.

- 5- الصريخ: المستغيث. والآجام: جمع أجمة، وهي الشجر الكثير الملتف، أي وللصيد والقنص. والغلس: ظلمة آخر الليل، والقنا: الرماح. والهندية: أي السيوف الهندية. والقضب: القاطعة.
- 6- عدّد في الأبيات الثلاثة الأسباب التي من أجلها يبكي الشباب، وهي مظاهر الحياة والنشاط والقوة والمتعة.
- 7- عقب: جمع عقبة بالضم، وهي النوبة.
- 8- الكريهة: الحرب أو الشدة في الحرب، والنازلة.
- 9- الخلة: الصديق للذكر والأنثى والواحد والجمع.
- 10- الزور: الزائر. الالتدام في الأصل: ضرب النساء صدورهنّ وجوههن في النياحة.
- 11- هرير الكلب: صوته، وهو دون النباح. والحشمة بالكسر والضم: أن يجلس إليك الرجل فتؤذيه وتسمعه ما يكره، حشمة كضرب و نصر وأحشمه. وحشمه وأحشمه أيضا: أخجله؛ يقال للمتقبض عن الطعام: ما الذي حشمك أو أحشمك، من الحشمة بالكسر وهي الاستحياء والانقباض؛ وحشمه وأحشمه كذلك: أغضبه. وفي ج «لتجمشه» بالجيم وهو خطأ، ويصح أن يكون «لتحشمه» بالحاء، يقال حمشه وأحشمه إذا أغضبه.

قبحت ولا سقاك الله غيثا *** و جانبك التحية و السلام

هجاؤه ابن حميد أيضا

قال: فبعث إليه ابن حميد بمال و اعتذر إليه و سأله الكفّ، فلم يفعل، و ردّ المال عليه، و قال فيه:

موضع أسرارك المريب *** و حشو أثوابك العيوب

و تمنع الضيف فضل زاد *** و رحلك الواسع الخصيب(1)

يا جامعا مانعا بخيلا *** ليس له في العلا نصيب

أبالرّشا يستمال مثلي؟ *** كلاً! و من عنده الغيوب(2)

الا أرّدي حلّة لمتن *** بوجهه من يدي ندوب(3)

و بين جنبيه لي كلوم *** دامية ما لها طيب

ما كنت في موضع الهدايا *** منك، و لا شعبنا قريب

أنّي و قد نشّيت المكاوي *** عن سمة شأنها عجيب(4)

و سار بالذّمّ فيك شعري *** و قيل لي محسن مصيب

مالك مال اليتيم عندي *** و لا أرى أكله يطيب

حسبك من موجز بليغ *** يبلغ ما يبلغ الخطيب

خانه محمّد بن حميد فهجاه

حدّثني عمّي قال حدّثني محمّد بن القاسم بن مهرويه قال: حدّثني عليّ بن الحسين الشيبانيّ قال:

بعث الحسن بن سهل محمّد بن حميد في وجهة، و أمره بجباية مال، و بحرب قوم من الشّراة(5)، فخان في المال و هرب من الحرب، فقال فيه محمّد بن حازم الباهليّ:

تشبّه بالأسد الثعلب *** فغادره معتقا يجنب(6)

و حاول ما ليس في طبعه *** فأسلمه الناب و المخلب

فلم تغن عنه أباطيله *** و حاص فأحرزه المهرب(7)

- 1- الفضل: البقية. والرحل هنا: منزل الرجل و مسكنه و بيته.
- 2- الرشوة، مثلثة الراء: الجعل، و الجمع رشا، بالكسر و الضم.
- 3- الندبة كشجرة: أثر الجرح الباقي على الجلد، و الجمع ندب كشجر، و جمع الجمع أنداب و ندوب، و قيل: الندب واحد و الجمع أنداب و ندوب.
- 4- نشت: سمع لها صوت عند الكي.
- 5- الشراة: الخوارج.
- 6- أعنق الكلب: جعل في عنقه قلادة و في ج «مفنقا» و هو تحريف، و جنبه كنصر: قاده إلى جنبه.
- 7- حاص: حاد و عدل.

أو كان مضياً على صدره *** فعيّب، و الغادر الأخبب(1)

أيا ابن حميد كفرت النعي *** م جهلا و وسوسك المذهب(2)

و متتك نفسك ما لا يكون *** و بعض المنى خلب يكذب

و ما زلت تسعى على منعم *** ببغي و تنهى فلا تعتب

فأصبحت بالبغي مستبدلا *** رشادا و قد فات مستعتب

قال: و قال فيه لَمَا شخّص إلى حيث وجّهه الحسن بن سهل:

إذا استقلّت بك الرّكاب *** فحيث لا درّت السحاب

زالت سراعاً و زلت يجري *** بينك الظبي و الغراب

بحيث لا يرتجى إياب *** و حيث لا يبلغ الكتاب

فقبل معروفك امتنان *** و دون معروفك العذاب

أو خير أخلاقك اللواتي *** تعاف أمثالها الكلاب

ردّه على من عابه بقصر شعره

حدّثني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال: حدّثني أبي قال: قال يحيى بن أكثم لمحمد بن حازم الباهلي: ما نعيب شعرك إلا أنّك لا تطيل؛ فأنشأ يقول:

أبي لي أن أطيل الشعر قصدي *** إلى المعنى و علمي بالصّواب

و إيجازي بمختصر قريب *** حذفته به الفضول من الجواب

فابعثهنّ أربعة و خمسا *** مثقفةً بألفاظ عذاب(3)

أخوالد ما حدا ليل نهارا *** و ما حسن الصبّا بأخي السّبّاب

و هنّ إذا و سمت بهنّ قوما *** كأطواق الحمام في الرّقاب

و هنّ إذا أقمت مسافرات *** تهادتها الرّواة مع الرّكاب

خبره مع أبي ذؤيب

حدّثني حبيب بن نصر المهلهبي قال: حدّثنا علي بن محمّد بن سليمان التّوفليّ قال:

كان بالأهواز(4) رجل يعرف بأبي ذؤيب من التّتار، وكان مقصد الشعراء وأهل الأدب، فقصده محمّد بن

ص: 318

1- مضيا: مبالغة في ماض.

2- وسوس المذهب الرجل: كلمه كلاما خفيا، أي ناجاك مذهبك الخبيث الدنيء فسوّ لك أن تفعل ما فعلت.

3- أي فابعثهن أربعة أبيات وخمسة أبيات. وقد أنث العدد الأول وذكر الثاني، وهو جائز. وذلك أنه إذا حذف المعدود مع قصده في المعنى، فالفصيح أن يكون كما لو ذكر؛ تقول: صمت خمسة تريد أياما، وسهرت خمسا تريد ليالي. ويجوز أن تحذف التاء من المذكر كحديث: «من صام رمضان وأتبعه بست من شؤال».

4- الأهواز: إقليم في الجنوب الغربي من فارس.

حازم، فدخل عليه يوما وعليه ثياب بذة(1)، وهينة رثة، ولم يعرفه نفسه، وصادفهم يتكلمون في شيء من معاني الشعر، وأبو ذؤيب يتكلم متحققا بالعلم بذلك. فسأله محمد بن حازم - وقد دخل عليه يوما - عن بيت من شعر الطرمّاح جهله، فردّ عليه جوابا محالا(2) كالمستصغر له وازدراه، فوثب عن مجلسه مغضبا. فلما خرج قيل له:

ما ذا صنعت بنفسك وفتحت عليها من الشرّ؟ أتدري لمن تعرّضت؟ قال: و من ذلك؟ قيل: محمد بن حازم الباهليّ، أخبث الناس لسانا و أهجاهم. فوثب إليه حافيا حتى لحقه، فحلف له أنه لم يعرفه، واستقاله فأقاله، و حلف أنه لا يقبل له رفدا و لا يذكره بسوء مع ذلك أبدا، و كتب إليه بعد أن افترقا:

أخطأ و ردّ عليّ غير جوابي *** و زرى عليّ و قال غير صواب

و سكنت من عجب لذك فزادني *** فيما كرهت بظنّه المرتاب

و قضى عليّ بظاهر من كسرة *** لم يدر ما اشتملت عليه ثيابي

/من عفة و تكرمّ و تحمّل *** و تجلد لمصيبة و عقاب

و إذا الزمان جنى عليّ و جدتني *** عودا لبعض صفائح الأقتاب(3)

و لئن سألت ليخبرتك عالم *** أتّي بحيث أحبّ من آداب

و إذا نبا بي منزل خليته *** قفرا مجال ثعالب و ذئاب(4)

و أكون مشترك الغنى متبدّلا(5) *** فإذا افترت قعدت عن أصحابي

لكنّه رجعت عليه ندامة *** لما نسبت و خاف مضّ عتابي(6)

فأقلته لما أقرّ بذنبه *** ليس الكريم على الكريم بناب

ترضاه صديق له فقال شعرا

أخبرني حبيب بن نصر قال: حدّثنا النوفليّ قال:

كان سعد بن مسعود القطريليّ(7): أبو إسحاق بن سعد صديقا لمحمد بن حازم الباهليّ، فسأله حاجة فردّه عنها، فغضب محمد و انقطع عنه، فبعث إليه بألف درهم و ترضاه، فردّها و كتب إليه:

/متّسع الصدر مطيق لما *** يحار فيه الحوّل القلب(8)

راجع بالعتبي فأعتبته *** و ربّما أعتبك المذنب

- 1- أي رث اللبسة.
- 2- المحال من الكلام: ما عدل به عن وجهه؛ يقال: أحال الكلام إحالة إذا أفسده.
- 3- الأفتاب: جمع قتب كجبل، وهو الإكاف الصغير على قدر سنام البعير. وصفائح الأفتاب: ألواحها.
- 4- نبا به منزله: لم يوافقته.
- 5- في الأصول «متبدلاً». وقد سبقه إلى هذا المعنى جرير فقال: و إنني لعف الفقر مشترك الغنى سريع إذا لم أرض داري احتماليا
- 6- مض عتابي: أي حرقتة وإيلامه.
- 7- قطربل: قرية شمالي بغداد تنسب إليها الخمر، وفي ج «القطري».
- 8- في ب، س: «منطيق». وفي ج «مطبق» وهو تحريف.

أجل وفي الدّهر - على أنه *** موكلّ بالبين - مستعتب
/سقىا ورعىا لزمان مضى *** عني، وسهم الشّامت الأخبب
قد جاءني منك مويل فلم *** أعرض له و الحرّ لا يكذب(1)
أخذي مالا منك بعد الذي *** أودعتنيه مركب يصعب
أبيت أن أشرب عند الرضا *** والسخط إلا مشربا يعذب
أعزني اليأس وأغنى فما *** أرجو سوى الله ولا أهرب(2)
قارون عندي في الغنى معدم *** وهمتي ما فوقها مذهب
فأي هاتين تراني بها *** أصبو إلى مالك أو أرغب؟

خبره مع أحمد بن يحيى

حدّثنا محمّد بن العباس اليزيدي وعيسى بن الحسين الوزّاق، واللفظ له، قالوا: حدّثنا الخليل بن أسد التّوشجانيّ قال، حدّثنا حمّاد بن يحيى قال: حدّثنا أحمد بن يحيى قال: آخر ما فارقت عليه محمّد بن حازم أنه قال: لم يبق شيء من اللذات إلا بيع السنانير. فقلت له: سخنت (3) عينك! أيش (4) لك في بيع السنانير من اللذات؟ قال: يعجبني أن تجيئني العجوز الرّعاء تخاصمني وتقول: هذا ستوري سرق مني، وأخاصمها وأشتمها وتشتمني، وأغيظها وأباغضها؛ ثم أنشدني:

صل خمرة بخمار *** وصل خمارا بخمر(5)

وخذ بحظك منها *** زادا إلى حيث تدري

قال: قلت: إلى أين ويحك؟ قال: إلى النار يا أحمق.

ردّه على كتاب أحمد بن أبي نهيك

أخبرني الحسن بن عليّ الخفّاف قال: حدّثنا محمّد بن القاسم بن مهرويه قال: حدّثني الحسن بن أبي السّريّ قال:

كان إسحاق بن أحمد بن أبي نهيك أنسا بمحمد بن حازم الباهليّ يدعوه ويعاشره مدّة. فكتب إليه يستزيه ويعاتبه عتابا أغضبه؛ وبلغه أنه غضب، فكتب إليه:

ما مستزيرك في ودّ رأى خللا *** في موضع الأناهل منك(6) للغضب

- 1- في ب، س: «ذو موئل» وهو تحريف، و مويل: تصغير مال.
- 2- في الأصول: «أعزبي البأس» وهو تصحيف. وكان الأنسب به أن يقول: «ولا أرهب».
- 3- يقولون في شتم المرء و الدعاء عليه: «سختت عينه» أي من حرارة البكاء، و «أسخن الله عينه» أي أبكاه، و هو تقيض قولهم في الدعاء له: «قرت عينه» أي بردت و انقطع بكأؤها، أو رأيت ما كانت متشوقة إليه، «أقر الله عينه».
- 4- في الأصول: «أليس» و هو تحريف.
- 5- خمار الخمر: ما خالط من سكرها.
- 6- في الأصول: «عنك» و هو تحريف.

قد كنت توجب لي حقًا و تعرف لي *** قدري و تحفظ منّي حرمة الأدب

ثم انحرفت إلى الأخرى فأحشمني *** ما كان منك بلا جرم ولا سبب(1)

وإن أدنى الذي عندي مسامحة *** في حاجتي بعد أن أعذرت في الطلب(2)

فاختر فعندي من ثنتين واحدة *** عذر جميل و شكر ليس باللعب

فإن تجدد كما قد كنت(3) تفعله

خبره مع الحسن بن سهل

حدّثني محمّد بن يونس الأنباريّ المعروف بمحصنة قال: حدّثني ميمون بن هارون قال:

قال محمّد بن حازم الباهليّ: عرضت لي حاجة في عسكر أبي محمّد الحسن بن سهل، فأتيته، وقد كنت قلت في السفينة شعرا، فلمّا دخلت على محمّد بن سعيد بن سالم انتسبت له، فعرفني، فقال: /ما قلت فيه شيئا؟ فقال له رجل كان معي: بلى، قد قال أبياتا و هو في السفينة؛ فسألني أن أنشده، فأنشدته قولي:

/وقالوا لو مدحت فتى كريما *** فقلت و كيف لي بفتى كريم؟

بلوت الناس مذ خمسين عاما *** و حسبك بالمجرّب من عليم

فما أحد يعدّ ليوم خير *** و لا أحد يعود و لا حميم(4)

و يعجبني الفتى و أظنّ خيرا *** فأكشف منه عن رجل لئيم

تقيّل بعضهم بعضا فأضحوا *** بني أبوين قدّا(5) من أديم

فطاف الناس بالحسن بن سهل *** طوافهم بززم و الحطيم(6)

و قالوا سيّد يعطي جزىلا *** و يكشف كربة الرجل الكظيم(7)

فقلت مضى بدمّ القوم شعري *** و قد يؤتى البريء من السقيم

و ما خبر ترجمه ظنوني *** بأشفى من معاينة الحلّيم(8)

فجئت و للأموّر مبشّرات *** و لن يخفى الأغرّ من البهيم(9)

فإن يك ما تنسّر عنه حقًا *** رجعت بأهبة الرجل المقيم

- 1- أحشمني: أغضبني.
- 2- أعذر: أبدى عذرا وبالغ فيه.
- 3- الشطر الثاني من هذا البيت ساقط. في الأصول. وهذه الأبيات كتبت في النسخة المخطوطة شطرا تحت شطر.
- 4- يلاحظ أن في البيت إقواء.
- 5- في الأصول: «فذا» وهو تصحيف. و تقيل: أشبه.
- 6- زمزم: بئر عند الكعبة. والحطيم: حجر الكعبة (بكسر الحاء) أو جداره، أو ما بين الركن و زمزم.
- 7- الكظيم: المكروب.
- 8- كلام مرجم: أي عن غير يقين.
- 9- الأغر: ذو الغرّة، وهي بياض في الجبهة. و البهيم: الأسود.

وإن يك غير ذاك حمدت ربّي *** وزال الشكّ عن رجل حكيم(1)

وما الآمال تعطفني عليه *** ولكنّ الكريم أخو الكريم

قال: فلمّا أنشدته هذا الشعر، قال لي: بمثل هذا الشعر تلقى الأمير! والله لو كان نظيرك لما جاز أن تخاطبه بمثل هذا! فقلت: صدقت، فكذلك قلت، إنني لم أمدحه بعد، ولكنني سأمدحه مدحا يشبه مثله. قال: فافعل، وأنزلي عنده/و دخل إلى الحسن فأخبره بخبري وعجبه من جودة البيت الأخير فأعجبه، فأمر بإدخاله إليه بغير مدح، فأدخلت إليه. فأمرني أن أنشد هذا الشعر، فاستعفيته فلم يعفني، وقال: قد قنعنا منك بهذا القدر إذا لم تدخلنا في جملة من ذممت، وأرضيناك بالمكافأة الجميلة. فأنشدته إيّاه؛ فضحك وقال: ويحك! ما لك وللناس تعمّم بالهجاء؟ حسبك الآن من هذا النمط وأبق عليهم. فقلت: وقد وهبتهم للأمير. قال: قد قبلت، وأنا أطلبك بالوفاء مطالبة من أهديت إليه هدية قبلها وأثاب عليها. ثم وصلني فأجزل وكساني. فقلت في ذلك وأنشدته:

وهبت القوم للحسن بن سهل *** فعوّضني الجزيل من الثواب

وقال دع الهجاء وقل جميلا *** فإنّ القصد أقرب للثواب(2)

فقلت له: برئت إليك منهم *** فليتهم بمنقطع التراب(3)

ولولا نعمة الحسن بن سهل *** عليّ لسمتهم سوء العذاب(4)

شعر يعجب الشعراء منه *** يشبّه بالهجاء وبالعتاب

أكيدهم مكايده الأعادي *** وأختلهم مخاتلة الذئاب(5)

بلوت خيارهم فبلوت قوما *** كهولهم أخسّ من الشباب

أو ما مسخوا كلابا غير أنّي *** رأيت القوم أشباه الكلاب

قال: فضحك وقال: ويحك! الساعة ابتدأت بهجائهم وما أفلتوا منك بعد. فقلت: هذه بغية طفحت على قلبي، وأنا كافّ عنهم ما أبقى الله الأمير.

شعره في صديق تغير عليه

أخبرني الحسن بن عليّ الخفّاف قال حدّثنا محمّد بن القاسم بن مهرويه قال حدّثني عليّ بن الحسن الشيبانيّ قال:

كان لمحمد بن حازم الباهليّ صديق على طول الأيام، فنال مرتبة من السلطان وعلا قدره، فجفا محمّدا وتغيّر له؛ فقال في ذلك محمّد بن حازم:

وصل الملوك إلى التّعالى *** ووفى الملوك من المحال

- 1- في الأصول: «جهدت» و هو تصحيف. وفيها أيضا «حليم» و هو تصحيف.
- 2- القصد: استقامة الطريق.
- 3- بمنقطع التراب: أي بالمكان النائي الموحش الذي انقطع وطء ترابه و اجتيازه، أو القبر.
- 4- في الأصول: «سوم العذاب» تحريف.
- 5- ختله كضرب و نصر: خدعه.

ما لي رأيتك لا تدو *** م على المودّة للرجال

إن كان ذا أدب و ظر *** ف قلت ذاك أخو ضلال (1)

أو كان ذا نسك و دي *** ن قلت ذاك من الثقال (2)

أو كان في وسط من ال *** أمرين قلت يرغ مالي (3)

فبمثل ذا - ثكلتك أمك *** - تبتغي رتب المعالي؟

خبره مع إبراهيم بن المهدي

حدّثني الحسن قال حدّثني ابن مهرويه قال: حدّثني الحسن بن عليّ الشيبانيّ قال:

كان محمّد بن حازم الباهليّ قد نسك و ترك شرب النبيذ، فدخل يوماً على إبراهيم بن المهديّ، فحدثه و ناشده و أكل معه لمّا حضر الطعام، ثم جلسوا للشّراب؛ فسأله إبراهيم أن يشرب، فأبى و أنشأ يقول:

أبعد خمسين أصبو؟ *** و الشيب للجهل حرب

سنّ و شيب و جهل! *** أمر لعمرك صعب

يا ابن الإمام فهلاً *** أيام عودي رطب!

/و شيب رأسي قليل *** و منهل الحبّ عذب

و إذ سهامي صياب *** و نصل سيفي عضب (4)

و إذ شفاء الغواني *** منّي حديث و قرب

فالآن لمّا رأى بي ال *** عدّال لي ما أحبّوا

و أقصر الجهل منّي *** و ساعد الشيب لبّ

و آنس الرّشد منّي *** قوم أعاب و أصبو

آليت أشرب كأساً *** ما حجّ لله ركب

خبره مع النوشجاني

حدّثني الحسن قال: حدّثنا ابن مهرويه قال: حدّثني الحسن بن أبي السريّ قال:

وعد التّوشجانيّ محمّد بن حازم شيئاً سأله إيّاه ثمّ مّطّله، وعاتبه فلم ينتفع بذلك، واقتضاه (5)، فأقام على مّطّله؛ فكتب إليه:

أبا بشر تطاول بي العتاب *** و طال بي التردّد و الطّلاب

ص: 323

-
- 1- أي إن كان الرجل ذا أدب.
 - 2- النسك مثلثة و بضمّتين: العبادة.
 - 3- في الأصول «يريع» و هو تصحيف و يريغ: يريد و يطلب.
 - 4- صياب: جمع صائب كصاحبه و صحاب. و صائب، يجوز أن يكون من صاب السهم يصوب، أو صاب يصيب، لغة في أصاب.
 - 5- اقتضى دينه و تقاضاه بمعنى.

ولم أترك من الأعداء شيئاً *** ألام به وإن كثر الخطاب

/سألتك حاجة فطويت كشحا *** على رغم، وللدهر انقلاب (1)

وسمتني الدنية مستخفاً *** كما خزمت بأنفها الصعاب (2)

كأنك [كنت (3)] تطلبني بثأر *** وفي هذا لك العجب العجاب

فإن تك حاجتي غلبت وأعيت *** فمعدور، وقد وجب الثواب (4)

/وإن يك وقتها شيب الغراب *** فلا قضيت ولا شاب الغراب

رجوتك حين قيل لي ابن كسرى *** وإتك سرّ ملكهم اللباب

فقد عجلت لي من ذاك وعدا *** وأقرب من تناوله السحاب

وكلّ سوف ينشر غير شكّ *** ويحمّله لطيبته (5) الكتاب

خبره مع بعض ولد سعيد بن سالم

أخبرني الحسن قال: حدّثني ابن مهرويه قال: حدّثني الحسن بن أبي السريّ قال:

قصده محمّد بن حازم بعض ولد سعيد بن سالم وقد ولي عملاً، واسترفده (6)؛ فأطال مدّته ولم يعطه شيئاً؛ وانصرف عنه وقال:

أللدنيا أعدك يا بن عمّي *** فأعلم أم أعدك للحساب

إلى كم لا أراك تنيل حتّى *** أهزك! قد برئت من العتاب

وما تنفك من جمع و وضع *** كأنك لست توقن بالإياب

فشرّك عن صديقك غير ناء *** وخيرك عند منقطع التراب

أيتيك زائراً فأتيت كلباً *** فحظّي من إخوانك للكلاب

فبس أخو العشيرة ما علمنا *** وأخبت صاحب لأخي اغتراب

أيرحل عنك ضيفك غير راض *** ورحلك واسع خصب الجناب

فقد أصبحت من كرم بعيداً *** ومن ضدّ المكارم في اللباب

- 1- الكشح: ما بين الخاصرة إلى الضلع من الخلف. و طوى كشحه عنه: أعرض عنه وقطعه. و طوى كشحه على الأمر: أضمه وستره.
- 2- سامه الذل: كلفه إياه و أراداه عليه. و آنف: جمع أنف. و الصعاب: جمع صعب، و هو من الإبل ضدّ الذلول.
- 3- ساقطة من ب.
- 4- أعياه الأمر و أعياء عليه: عجز عنه.
- 5- في الأصول «لطيها» و هو تحريف. يقال: مضى لطيته، أي لوجهه الذي يريد. و لنيته التي اتواها.
- 6- استرفده: طلب رفته، أي صلته و عطاءه.
- 7- الجدا و الجدوى: العطية.

تمثل المتوكل بشعره حينما غاضبته قبيحة

حدّثني عمّي قال: حدّثني يزيد بن محمّد المهلبّي قال:

كنا عند المتوكل يوما وقد غاضبته قبيحة، فخرج إلينا فقال: من ينشدني منكم شعرا في معنى غضب قبيحة عليّ، و حاجتي أن أخضع لها حتى ترضى؟ فقلت له: لقد أحسن محمّد بن حازم الباهليّ يا أمير المؤمنين حيث يقول:

صفحت برغمي عنك صفح ضرورة *** إليك و في قلبي ندوب من العتب (1)

خضعت و ما ذنبي إن الحبّ عزّني (2) *** فأغضيت صفحا عن معالجة الحبّ

و ما زال بي فقر إليك منازع *** يذلّ منّي كلّ ممتنع صعب

إلى الله أشكو أنّ ودي محصّل *** و قلبي جميعا عند مقتسم القلب (3)

و الغناء لعبيدة الطنبوريّة رمل بالوسطى - قال: أحسنت و حياتي يا يزيد! و أمر بأن يغتّى فيه، و أمر لي بألف دينار.

هجاؤه بني نمير

حدّثني الحسن بن عليّ قال: حدّثني ابن مهرويه قال: حدّثنا عليّ بن خالد البرمكيّ قال:

سافر محمّد بن حازم الباهليّ سفرا، فمرّ بقوم من بني نمير، فسألوا منه بعيرا له عليه ثقله (4): فقال يهجوهم:

نمير: أجبنا حيث يختلف القنا *** و لؤما و بخلا عند زاد و مزود (5)؟

و منع قرى الأضياف من غير علّة *** و لا عدم، إلا حذار التّعود

و بغيا على الجار الغريب إذا طرا *** عليكم و ختل الرّاكب المتفرّد (6)

أعلى أنكم ترضون بالذلّ صاحبا *** و تعطون من لا حاكم الضّيم عن يد (7)

أما و أبي إنّنا لنعفو و إنّنا *** على ذلك أحيانا نجور و نعتدي

نكيد العدا بالحلم من غير ذلّة *** و نغشى الوغى بالصدق لا بالتّوعد

نفى الضّيم عنّا أنفس مضرّية *** صراح و طعن الباسل المتمرّد (8)

و إنّ لمن قيس بن عيلان في التي *** هي الغاية القصوى بعزّ و سودد

- 1- في ج «يذوب من العقب» وهو تحريف.
- 2- عزني: غلبي.
- 3- محصل: مجمع ثابت.
- 4- في الأصول: «فسلوا عليه بعيرا...» و سلوا: استلوا. و الثقل: متاع المسافر.
- 5- المزود: وعاء الزاد.
- 6- طراً على القوم: أتاهم من غير أن يعلموا. وفي الأصول «طراً إليكم». و الختل: الخدع.
- 7- لاحاه: نازعه. و عن يد: عن ذلة.
- 8- في الأصول: «صراخ بالخاء المعجمة» و هو تصحيف.

وإن لنا بالترك قبرا مباركا *** وبالصين قبرا عز كل موحد(1)

و ما نابنا صرف الزمان بسيد *** بكينا عليه أو يوافي بسيد(2)

و لو أن قوما يسلمون من الردى *** سلمنا و لكن المنايا بمرصد(3)

أبي الله أن يهدي نميرا لرشدها *** ولا يرشد الإنسان إلا بمرشد

هجاؤه عاملا لمحمد بن حامد على الأهواز

حدثني الحسن بن علي قال: حدثني محمد بن القاسم ورجل من ولد البختكان(4) من الأهوازيين. أن محمد بن حامد ولي بعض كور الأهواز في أيام المأمون، و أن محمد بن/حازم الباهلي قدم عليه زائرا و مدحه، فوصله و أحسن إليه، و كتب له إلى تستر(5) بحنطة و شعير، فمضى بكتابه، و أخذ ما كتب له به، و تزوج هناك امرأة من الدهاقين(6)، فزرع الحنطة و الشعير في ضيعتها؛ و ولي محمد بن حامد رجلا من أهل الكوفة الخراج بتستر، فوكل بغلة محمد بن حازم، و طالبه بالخراج فأداه، فقال يهجو:

زرعنا فلما سلم الله زرعنا *** و أوفى عليه منجل بحصاد(7)

بلينا بكوفي حليف مجاعة *** أضر علينا من دبا و جراد(8)

أتى مستعدا ما يكذب دونه *** و لج يارغام له و بعاد(9)

فطورا بالجاح علي و غلظة *** و طورا بخبط دائم و فساد

و لو لا أبو العباس أعنى ابن حامد *** لرحلته عن تستر بسواد

فكفوا الأذى عن جاركم و تعلموا *** بأني لكم في العالمين منادي

فبعث محمد بن حامد إلى عامله فصرفه عن الناحية، و قال له: عرضتني لما أكره، و احتمل خراج محمد بن حازم.

ص: 326

1- في الأصول («وإنا») تحريف. يفتخر في هذا البيت بمآثر قتيبة بن مسلم الباهلي - و هو باهلي مثله - و يتمدح بفتوحه التي كان فيها عز الإسلام و المسلمين. و ذلك أن الحجاج و لاه خراسان فغزا بلاد ما وراء النهر، و افتتح بخارى و سمرقند و خوارزم؛ و وصل في فتوحه إلى كشغر من بلاد الصين، و قتل سنة 96 هـ.

2- في الأصول: («و ما فاتنا») و هو تحريف، و في ج («بيننا عليها») و في ب، س («يثبنا عليها») و هو تحريف.

3- أخذه من قول عدوي: («وإن المنايا للرجال بمرصد»). رصده كنصر: قعد له على طريقه. و المرصد و المرصاد: الطريق.

4- البختكان: هو والد بزرجمهر الوزير العادل لأنوشروان ملك الفرس. و قد اشتهر هذا الوزير برجاحة عقله و حكمته، و أثر عنه كثير من الحكم البليغة، و أحضر جملة كتب من الهند، و ترجمها إلى اللسان البهلوي، و عمر طويلا، و توفي زمن هرمز الثالث بن أنوشروان بين

سنة 580، و سنة 590 م. انظر «قاموس الأعلام» لشمس الدين سامي.

5- تستر: مدينة كبيرة بالأهواز.

6- الدهاقين: جمع دهقان بالكسر والضم: وهوزعيم فلاحى العجم، ورئيس الإقليم.

7- أوفى عليه: أشرف.

8- الدبا: أصغر الجراد والنمل.

9- ما يكذب دونه، أي ما ينثني عن الزرع حتى يستولي على حصة الخراج منه؛ من قولهم: حمل عليه فما كذب (بالتشديد): أي ما انثنى و

ما جبن و ما رجع.

أخبرني محمد بن الحسين بن الكندي المؤدّب قال: حدّثنا الرياشي قال: سمعت الأصمعيّ يقول:
قال هذا الباهليّ محمد بن حازم في وصف الشيب شيئاً حسناً، فقال له أبو محمد الباهليّ: تعني قوله:

كفأك بالشيب ذنبا عند غانية *** والشباب شفيعا أيها الرّجل

فقال: إيّاه عنيت. فقال له الباهليّ: ما سمعت لأحد من المحدثين أحسن منه.

خبره مع محمد بن زبيدة

حدّثني عمّي قال: حدّثنا حسين بن فهم قال: حدّثني أبي قال:

دخل محمد بن حازم على محمد بن زبيدة وهو أمير، فدعاه إلى أن يشرب معه، فامتنع وقال:

أبعد خمسين أصبو *** والشيب للجهل حرب

سنّ وشيب و جهل! *** أمر لعمرك صعب

يا ابن الإمام فهلاًّ *** أيام عودي رطب!

وشيب رأسي قليل *** و منهل الحبّ عذب

و إذ شفاء الغواني *** منّي حديث و شرب

الآن حين رأى بي *** عواذلي ما أحبّوا!

آليت أشرب كأسا *** ما حجّ لله ركب

قال: فأعطاه محمد بن زبيدة و وصله.

نسبه

اسمه فيما أخبرني به أبو الفضل بن برد الخيار (1)، سليمان بن عليّ: و ذكره جحظة في كتاب الطنبوريين (2)، فتله (3) في نفسه و أخلاقه و مدح صنعته، و قال: مما أحسن فيه قوله:

أرقت لبرق لاح في فحمة الدّجى *** فأذكرني الأحباب و المنزل الرّحبا

قال: و هذا خفيف رمل مطلق. و مما أحسن فيه أيضا:

تعالى نجدد عهد الصّبا *** و نصفح للحبّ عمّا مضى

و هو خفيف رمل مطلق أيضا:

ثلبة جحظة و تندر عليه

و ذكر أنه كان مع أبيه قصّار (4)، و تعلّم الغناء فبرع فيه. و من طيّب ما ثلّبه به جحظة و تندر عليه (5) به - و أراها مصنوعة - أنه مرّ/يوما على أبيه، و معه غلام يحمل قاطر ميز (6) نبيذ، و جوامرجة (7) مذبوحة مسموطة (8)، فقال:

الحمد لله الذي أراني ابني قبل موتي يأكل لحم الجواميرات، و يشرب نبيذ القاطر ميزات (9).

و حدّث عن بعض جيرانه أنّ ابن القصّار غنّى له يوما بحبل و دلو، و أنّ إسماعيل بن المتوكّل و هب له مائتي أترجة (10) كانت بين يديه، فباعها بثلاثة دنانير، و أنه يحمل بلبكيذة (11) إلى دار السلطان، و له فيه خبز و جبن فيأكله،

ص: 328

1- كذا في الأصول، و يؤيد هذا ما ورد في «معجم البلدان» (في «ناحية» ج 4: 727 طبع أوربة): «قرأت بخط بعض الفضلاء الأئمة و هو أبو الفضل العباس بن علي المعروف بابن برد الخيار» بالراء أيضا. و جاء في «معجم الأدباء» (ج 1: ص 269 طبع هندية في ترجمة إبراهيم بن عباس الصولي): «و اجتمع هارون بن محمّد بن عبد الملك الزيات و ابن برد الخباز» بالزاي.

2- أي الضاربيين بالطنبور، و هو من آلات الطرب ذو عنق طويل و ستة أوتار. فارسي معرّب.

3- في الأصول «قبله» و هو تصحيف: يقال: تل فلانا بتلة سوء (بكسر التاء): أي رماه بأمر قبيح.

4- القصار و المقصر: محرّ الثياب و مبيضها؛ لأنه يدقها بالقصرة و هي القطعة من الخشب. و حرفته القصار بالکسر.

5- ثلّبه: عابه. و جاء في «أساس البلاغة» «و فلان يتنادر علينا»، و معناه يحدّثنا بال نوادر و الملح، و في الأصول: «و تبادر» و هو تصحيف.

6- كلمة فارسية، جاء في «شفاء العليل» ص 165: «قطرميز: قلة كبيرة من الزجاج معروفة؛ و قال الشاعر: أنا لا أرتوي بطاس و كاس فاسقنيها بالزرق و القطرميز و كذلك جاء في «معجم دوزي»: «قطرميز: إناء زجاجي برقبة قصيرة و فوهة واسعة». أقول: و من البيت المذكور يرى أن الطاء ساكنة و الراء محرّكة.

- 7- هكذا في الأصول. وفي الفارسية: «الجوجة: الفروجة». وأكبر ظني أن تلك الكلمة هي المرادة؛ بدليل قوله «مذبوحة مسموطة».
- 8- سمط: نتف شعرها بالماء الحار.
- 9- في ح: «لحم الجوانيرات... نبيذ القامرطيرات».
- 10- الأترج: فارسية وعريته «متك» كفلس انظر كتب اللغة.
- 11- المفهوم من السياق أن تلك الكلمة معناها: حقيبة كان يضع فيها حاجاته. ولعلها كانت من جلد النمر. فالظاهر أن صوابها «بلنكينة».

و يحمل في البلبكيذ ما يوضع بين يديه في دار السلطان، فيدعو إخوانه عليه. و أكثر من ثلب الرجل مما لا فائدة فيه.

و لو أراد قائل [أن] (1) يقول فيه ما لا يبعد من هذه الأخلاق لوجد مقالا واسعا، ولكنه مما يقبح ذكره، سيّما وقد لقيناه وعاشرناه. عفا الله عنا وعنه.

كان مفضلا بحضرة السلطان

أخبرنا ذكاء وجه الرّزة قال: كنا نجتمع مع جماعة في الطنبوريين، و نشاهدهم في دور الملوك و بحضرة السلطان، فما شاهدت منهم أفضل من المسرور و عمر الميداني و ابن القصار.

خبره مع زوج البلوري

إشارة

و حدّثني قمرية البكتمرية قالت: كنت لرجل من الكتاب يعرف بالبلوري، و كان شيخا، و كانت ستي (2) التي ربّتي مولاته (3)، و كانت معنّية شجّية الصّوت حسنة الغناء، و كانت تعشق ابن القصار، و كانت علامة مصيره إليها أن يجتاز في دجلة و هو يغني، فإن قدرت على لقائه أوصلته إليها، و إلاّ مضى. فأذكره و قد اجتاز بنا في ليلة مقمرة و هو يغني خفيف رمل قال:

أنا في يمني يديها *** و هي في يسرى يديه

إنّ هذا لقضاء *** فيه جور يا أختية

و يغني في آخره رده:

ويل (4) ويلي يا أبيه

و كانت ستي واقفة بين يدي مولاها، فما ملكت نفسها أن صاحت: أحسنت! و الله يا رجل! فتفضّل و أعد، ففعل و شرب رطلا و انصرف، و علم أنه لا يقدر على الوصول إليها. و كان مولاها يعرف الخبر، فتغافل عنها لموضعها من قلبه؛ فلا أذكر أنّي سمعت قطّ أحسن من غنائه.

صوت

باح بالوجد قلبك المستهام *** و جرت في عظامك الأسقام

يوم لا يملك البكاء أخو الشوّ *** ق فيشفي و لا يردّ سلام

لم يقع إليّ قائل هذا الشعر. و الغناء لمعبد اليقطينيّ ثاني ثقيل بالبنصر عن أحمد بن المكيّ.

- 1- زيادة يقتضيها المقام.
- 2- في «القاموس»: «وستي للمرأة أي يا ست جهاتي، أو لحن و الصواب سيدتي». وفي «شرح القاموس»: «قوله: و الصواب سيدتي: و يحتمل أن الأصل سيدتي فحذف بعض حروف الكلمة، و له نظائر، قاله الشهاب القاسمي. و نقل شيخنا عن السيد عيسى الصفوي ما نصه: ينبغي ألا يقيد بالنداء لأنه قد لا يكون نداء. قال: و الظاهر أن الحذف سماعي، و أن النداء على التمثيل لا أنه قيد كما توهموه اه. و يروي المعري في «رسالة الغفران»: ست إن أعيالك أمري فاحمليني زقفونه
- 3- في ج محل هذه الكلمة «له».
- 4- في الأصول «ويلي ويلي» و لا يستقيم به الوزن.

نسبه

كان معبد اليقطيني غلاما مولدا خلاسيًا (1) من موآدي المدينة، اشتراه بعض ولد علي بن يقطين. وقد شدا (2) بالمدينة، وأخذ الغناء عن (3) جماعة من أهلها، وعن جماعة (3) أخرى من علية المغنين بالعراق في ذلك الوقت، مثل إسحاق وابن جامع وطبقتهما، ولم يكن فيما ذكر بطيب المسموع، ولا خدم أحدا من الخلفاء إلا الرشيد، ومات في أيامه، وكان أكثر انقطاعه إلى البرامكة.

خبره مع غلام من المدينة

اشارة

أخبرني عمي الحسن بن محمد قال: حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدّثني محمد بن عبد الله بن مالك الخزاعي قال: حدّثني معبد الصغير المغني مولى علي بن يقطين قال:

كنت منقطعاً إلى البرامكة، أخذ منهم و ألامهم. فبينما أنا ذات يوم في منزلي إذا بابي يدقّ، فخرج غلامي ثم رجعت إليّ فقال: على الباب فتى ظاهر المروءة يستأذن عليك؛ فأذنت له. فدخل عليّ شاب ما رأيت أحسن وجهاً منه، ولا أنظف ثوباً، ولا أجمل زياً منه، من رجل دنف عليه آثار السّمّ ظاهرة، فقال لي: إني أرجو (4) لقاك منذ مدّة فلا أجد إليه سبيلاً، وإنّ لي حاجة. قلت: ما هي؟ فأخرج ثلاثمائة دينار فوضعها بين يديّ، ثم قال: أسألك أن تقبلها وتصنع في بيتين قلتهما لحنا تغنيني به. فقلت: هاتهما، فأنشدهما، وقال:

صوت

والله يا طرفي الجاني على بدني *** لتطفنّ بدمعي لوعة الحزن

أو لأبوحنّ حتّى يحجبوا سكني *** فلا أراه ولو أدرجت في كفني (5)

- والغناء فيه لمعبد اليقطيني ثقيل أول مطلق في مجرى الوسطى - قال: فصنعت فيهما لحنا ثم غنيته إياه؛ فأغمي عليه حتى ظننته قد مات. ثم أفاق فقال: أعد فديتك! فناشدته الله في نفسه وقلت: أخشى أن تموت. فقال:

هيهات! أنا أشقى من ذلك. وما زال يخضع لي ويتضرّع حتى أعدته، فصعق صعقة أشدّ من الأولى، حتى ظننت أن نفسه قد فاظت. فلما أفاق رددت الدنانير عليه ووضعتها بين يديه، وقلت: يا هذا خذ دنانيرك وانصرف عني؛ فقد

ص: 330

1- الحلاسي: الولد بين أبوين أبيض وأسود.

2- في الأصول «شدا» وهو تصحيف.

3- في الأصول: «من جماعة».

4- في ج: «أخاف» و هو خطأ.

5- سكني: محبوبي الذي أسكن إليه.

قضيت حاجتك، وبلغت و طرا(1) مما أردته، و لست أحب أن أشرك في دمك. فقال: يا هذا! لا حاجة لي في الدنانير. فقلت: لا والله و لا بعشرة أضعافها إلا على ثلاث شرائط. قال: و ما هنّ؟ قلت: أولها أن تقيم عندي و تتحرّم بطعامي، و الثانية أن تشرب أقداحا من التّبيد تشدّ قلبك و تسكّن ما بك، و الثالثة أن تحدّثني بقصّتك. فقال:

أفعل ما تريد. فأخذت الدنانير، و دعوت بطعام فأصاب منه إصابة معذر(2)، ثم دعوت بالتّبيد فشرب أقداحا، و غنّيته بشعر غيره في معناه، و هو يشرب و يبكي. ثم قال: الشرط أعزّك الله، فغنّيته، فجعل يبكي أحرّ بكاء و ينشج(3) أشدّ نشيج/و ينتحب. فلما رأيت ما به قد خفّ عما كان يلحقه، و رأيت التّبيد قد شدّ من قلبه، كررت عليه صوته مرارا، ثم قلت: حدّثني حديثك. فقال: أنا رجل من أهل المدينة خرجت متنزّها في ظاهرها و قد سال العقيق(4)، في فتية من أقراني و أجداني(5)، فبصرنا بقينات قد خرجن لمثل ما خرجنا له، فجلسن حجرة(6) منّا، و بصرت فيهنّ بفتاة كأنها قضيب قد طلّه الندى، تنظر بعينين ما ارتدّ طرفهما إلا بنفس من يلاحظهما. فأطلنا و أطلن، حتى تفرّق الناس، و انصرفن و انصرفنا، و قد أبقت بقلبي جرحا بطيئا اندماله(7). فعدت إلى منزلي و أنا و قيذ(8).

و خرجت من الغد إلى العقيق، و ليس به أحد، فلم أر لها و لا لصواحباتها أثرا. ثم جعلت أتبعها في طرق المدينة و أسواقها؛ فكانّ الأرض أضمرتها، فلم أحسّ لها بعين و لا أثر، و سقمت حتى أيس مّني أهلي. و دخلت ظئري(9) فاستعلمتني حالي، و ضمنّت لي حالها و السعي فيما أحبه منها؛ فأخبرتها بقصّتي، فقالت: لا بأس عليك! هذه أيام الربيع، و هي سنة خصب و أنواء، و ليس يبعد عنك المطر، و هذا العقيق، فتخرج حينئذ و أخرج معك؛ فإن النسوة سيجئن. فإذا فعلن و رأيتها تبعتها حتى أعرف موضعها، ثم أصل بينك و بينها، و أسعى لك في تزويجها. فكانّ نفسي اطمأنت إلى ذلك، و وثقت به و سكنت إليه؛ فقويت و طمعت و تراجعت نفسي، و جاء مطر بعقب ذلك، فأسال الوادي، و خرج الناس و خرجت مع إخواني إليه، فجلسنا مجلسنا الأول بعينه، فما كنّا و النسوة إلا كفرسي رهان.

و أوامأت إلى ظئري فجلست حجرة منّا و منهنّ، و أقبلت على إخواني فقلت: لقد أحسن القائل حيث قال:

ارمتني بسهم أقصد(10) القلب و انثنت *** و قد غادرت جرحا به و ندوبا

فأقبلت على صواحباتها فقالت: أحسن و الله القائل، و أحسن من أجابه حيث يقول:

بنا مثل ما تشكو، فصبرا لعلنا *** نرى فرجا يشفي السقام قريبا

فأمسكت عن الجواب خوفا من أن يظهر مّني ما يفضحني و إيّاها، و عرفت ما أرادت. ثم تفرّق الناس و انصرفنا، و تبعتها ظئري حتى عرفت منزلها، و صارت إليّ فأخذت بيدي و مضينا إليها. فلم تزل تتلطف حتى

ص: 331

1- في الأصول: «نظرا» و هو تحريف، و الوطر: الحاجة.

2- أعذر: أبدى عذرا، و ثبت له عذر.

3- نشج الباكي كضرب نشيجا: و هو مثل بكاء الصبي إذا ضرب فلم يخرج بكاءه و ردّد صوته في صدره.

4- العقيق: موضع بالمدينة مما يلي الحرة إلى منتهى البقيع.

5- أخذان: جمع خدان بالكسر، و هو الصديق.

6- حجرة: ناحية.

7- اندمل الجرح: برئ.

8- وقيد: صريع.

9- الظئر: العاطفة على ولد غيرها المرضعة له.

10- أقصده: طعنه فلم يخطئه.

وصلت إليها. فتلاقينا وتداورنا على حال مخالسة و مراقبة. وشاع حديثي وحديثها، وظهر ما بيني وبينها، فحجبها أهلها، وتشدد عليها أبوها. /فما زلت أجتهد في لقائها فلا أقدر عليه. وشكوت إلى أبي - لشدة ما نالني - حالي، وسألته خطبتها لي. فمضى أبي ومشىخة أهلي إلى أبيها فخطبها. فقال: لو كان بدأ بهذا قبل أن يفضحها ويشهرها لأسعفته بما التمس، ولكنه قد فضحها، فلم أكن لأحقق قول الناس فيها بتزويجه إياها؛ فانصرفت على يأس منها ومن نفسي. قال معبد: فسألته أن ينزل، فحبرني(1) وصارت بيننا عشرة. ثم جلس جعفر بن يحيى للشرب فأغثيته؛ فكان أول صوت غثيته صوتي في شعر الفتى، فطرب عليه طربا شديدا، وقال: ويحك! إن لهذا الصوت حديثا، فما هو؟ فحدثته، فأمر بإحضار الفتى، فأحضر من وقته، واستعاده الحديث، فأعاده عليه. فقال: هي في ذمتي حتى أزوجه إياها، فطابت نفسه، وأقام معنا ليلتنا حتى أصبح. وغدا جعفر إلى الرشيد فحدثه الحديث، فعجب منه، وأمر بإحضارنا جميعا، فأحضرنا، وأمر بأن أغثيه الصوت/فغثيته، وشرب عليه، وسمع حديث الفتى، فأمر من وقته بالكتاب إلى عامل الحجاز بإشخاص الرجل وابنته وجميع أهله إلى حضرته، فلم يمض إلا مسافة الطريق حتى أحضر. فأمر الرشيد بإيصاله إليه فأوصل، وخطب إليه الجارية للفتى، وأقسم عليه ألا يخالف أمره، فأجابته وزوجه إياها، وحمل إليه الرشيد ألف دينار لجهازها، وألف دينار لنفقة طريقه، وأمر للفتى بألف دينار، وأمر جعفر لي وللفتى بألف دينار. وكان المدني بعد ذلك في جملة ندماء جعفر بن يحيى.

صوت

هل نفسك المستهامة السدمه *** سالية مرة و معترمه(2)

عن ذكر خود قضى لها الملك ال *** خالق ألا تكنها ظلمه(3)

الشعر لابن أبي الزوائد، والغناء لحكم رمل بالوسطى عن الهشامي.

ص: 332

1- في الأصول: «فخبرني» تصحيف. و حبرني الأمر (كنصر) وأحبرني: سرني.

2- في الأصول: «و مغترمة». و السدمة: وصف من السدم: وهو الهم، وقيل: غيظ مع حزن.

3- الخود: الحسننة الخلق الشابة أو الناعمة. و الظلمة (بضمزة و بضمتين) و الظلماء و الظلام واحد.

نسبه

اسمه سليمان بن يحيى بن زيد بن معبد بن أيوب بن هلال بن عوف بن نضلة بن عصية بن نصر بن سعد بن بكر بن هوازن بن منصور. ويقال له ابن أبي الزوائد أيضا. شاعر مقل، من مخضرمي الدولتين، وكان يؤم الناس في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

شعره في جارية كان يتعشقها

أخبرني بذلك محمد بن خلف وكيع قال: حدثنا ابن أبي خيثمة عن بعض رجاله عن الأصمعي، وأخبرني وكيع قال: حدثني طلحة بن عبد الله الطلحي قال: أخبرني أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل قال:

كان ابن أبي الزوائد يتعشق جارية سوداء مولاة الصّهبين (1)، وكان يختلف إليها وهي في النخل بحاجزة.

فلما حان الجداد قال:

حجيج أمسى جداد حاجزة *** فليت أنّ الجداد لم يحن (2)

و شتّ بين و كنت لي سكنا *** فيما مضى كان ليس بالسكن (3)

لقد كان لي منك ما أسرّ به *** وليت ما كان منك لم يكن (4)

نعفّ في لهونا و يجمعنا ال *** مجلس بين العريش و الجرن (5)

يعجبنا اللّهُو و الحديد و لا *** نخلط في لهونا هنا بهن (6)

لو قد رحلت الحمار منكشفا *** لم أرها بعدها و لم ترني (7)

فقال له أبو محمد الجمحي: إنّ الشعراء يذكرون في شعرهم أنّهم رحلوا الإبل و التّجائب، و أنت تذكر أنّك رحلت حمارا. فقال: ما قلت إلاّ حقًا، و الله ما كان لي شيء أرحله غيره. قال: و قال فيها أيضا:

ص: 333

1- نسبة إلى صهيب بن سنان الرومي، و هو من النمر بن قاسط، سبته الروم و هو غلام صغير، فنشأ بالروم، ثم ابتاعته كلب منهم و قدمت به مكة، فاشتره منهم عبد الله بن جدعان و أعتقه. و قد أسلم و هاجر إلى المدينة و شهد بدرًا و أحدا و الخندق و المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، و مات بالمدينة سنة 38 هـ و دفن بالبقيع.

2- جد النخل كنصر جدا و جدادا، كسحاب و كتاب: صرمة و قطعه. و أمسى هنا تامة. و المفهوم من السياق أنه ينادي معشوقته فيقول: يا حجيج حان قطع و حاجزة اسم البقعة التي كان فيها النخل.

3- شت كضرب: فرّق. و البين هنا: البعد و الفراق.

4- في ب، س: «و كان ما كان».

5- الجرن كقفل، و الجرين: موضع تجفيف التمر و هو له كالبيدر للحنطة. و جمع جرين: أجرنة و جرن كعنتق.

6- الهن: كناية عما يستفحش ذكره من الرجل و المرأة.

7- رحل البعير كمنع: حط عليه الرحل.

يا ليت أن العرب استلحقوا *** ريم الصَّهبيَّين ذاك الأجم (1)

وكان منهم فتزوجته *** أو كنت من بعض رجال العجم

هجاؤه لأبي عبيدة بن عبد الله

أخبرني وكيع قال: حدَّثني طلحة بن عبد الله بن الزبير بن بكار عن عمه قال:

كان أبو عبيدة بن عبد الله بن ربيعة صديقا لابن أبي الزوائد، ثم تباعد ما بينهما لشيء بلغ أبا عبيدة عنه، فهجره من أجله، فهجاه؛ فقال:

قطع الصفاء - ولم أكن *** أهلا لذاك - أبو عبيده

لا تحسبتك عاقلا *** فلأنت أحق من حميده (2)

حميدة: امرأة كانت بالمدينة رعناء يضرب بها المثل في الحمق.

شعره في قيان حماد بن عمران

حدَّثني عمي وكيع قال: حدَّثنا الكراي عن أبي غسان دماذ عن أبي عبيدة قال:

دخل ابن أبي الزوائد إلى حماد بن عمران الطليحي، وكان يلقب بعطعط، وكان له قيان يسمعهنَّ الناس عنده، فرآهن ابن أبي الزوائد فقال فيهنَّ:

أقول وقد صفت البظر لي: *** ألبظر أدخلني عطعط؟

فإني امرؤ لا أحب الزنا *** ولا يستفزني البربط (3)

ولو بعضهنَّ ابتغى صبوتي *** لخالط هامتها المخبط (4)

لبس فعال امرئ قد قرا *** وهمت عوارضه تشمط (5)

وما كنت مفترشا جارتني *** وسيدها نائم يضطر

أفرغ في جارتني نطفة *** حراما كما يفرغ المسعط (6)

هجاؤه لامرأته الأنصارية

أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال: حدَّثني أبو هفان قال: حدَّثني إسحاق بن إبراهيم الموصلي قال:

حدَّثني المسيبي:

1- ريم: مخفف رئم، وهو الظبي الخالص البياض، أجم: ليس له قرنان.

2- في ج: «من عبيدة» وهو خطأ.

3- البربط: العود؛ معرب.

4- المخبط كمنبر: العصا يخبط بها الورق.

5- في الأصول، «لبس فعل من قد قرى» وهو تحريف لا يستقيم به الوزن. وقرا: مسهل عن «قرأ» أي الذي قد قرأ القرآن، وقد كان يؤم الناس في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ذكر في أول الترجمة، والشمط بالتحريك: بياض الرأس يخالط سواده. والعارضة: صفحة الخد.

6- المسعط (بضم الميم والعين و كمنبر): ما يجعل فيه السعوط و يصب منه في الأنف.

أن ابن أبي الزوائد كانت عنده امرأة أنصاريّة، فطال لبثها عنده حتى ملّها وأبغضها، فقال يهجوها:

يا رمل أنت الغول بين رمال *** لم تظفري ببقى ولا بجمال (1)

يا رمل لو حدثت أنك سلفع *** شوهاء كالسّعلاة بين سعالي (2)

ما جاء يطلبك الرسول بخطبة *** منّي ولا ضمت عليك حبالي

ولقد نهى عنك النّصيح وقال لي: *** لا تقرننّ بذية بعيال

لما هزرت مهندي وقذفته *** فيها وقد أرففته بصقال

ارجع المهند ما له من حيلة *** وهناك تصعب حيلة المحتال

وكأنما أولجته في قلة *** قد بردت للصوم أو بوقال (3)

ورأيت وجهها كاسفا متغيّرا *** و حرا أشق كمركن الغسال (4)

ما كان أير الفيل بالغ قعره *** بتحامل عنه ولا إدخال

ولقد طعنت مبالها بسلاحها *** فوجدت أخبث مسلح و مبال

قال: وقال لها وقد فخرت:

هلاّ سألت منازلنا بغيرار *** عمّن عهدت به من الأحرار (5)

أين انتنوا ونحاهم صرف النوى *** عتّا و صرف مقنّم مغيار (6)

أكره المقام و ظنّ بي وبأهلها *** ظنّا فكان بنا على إصرار

عدّي رجالك و اسمعي يا هذه *** عنّي مقالة عالم مفخار

سأعدّ سادات لنا و مكارما *** وأبوّة ليست عليّ بعار (7)

قيس و خندف والداي كلاهما *** و العمّ بعد ربيعة بن نزار (8)

من مثل فارسنا دريد فارسا *** في كلّ يوم تعانق و كرار (9)

- 1- في الأصول: «بقا» و هو تحريف.
- 2- و السلف: الصخابة البذيئة السيئة الخلق، و السعلاة. أخبث الغيلان.
- 3- البوقال: كوز بلا عروة «القاموس».
- 4- و المركن: الآنية التي تغسل فيها الثياب.
- 5- في الأصول «بفزار» و غرار: جبل بتهامة.
- 6- انتأى: نأى و بعد، و النوى: البعد. في ج: «ملحم» و في ب، س: «مفحم» و أراه «مفحم» بالقاف، و تقحيم النفس في الشيء: إدخالها فيه من غير روية.
- 7- في س: «سأعده». و في ب «سأعد سوادات» و في ج: «سأعده سوادات»، و كله تحريف.
- 8- قيس، هو قيس بن الياس و هو عيلان بن مضر بن نزار. و خندف هي ليلي بنت حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة زوجة الياس بن مضر بن نزار.
- 9- دريد: هو دريد بن الصمة فارس العرب، من بني جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان. و كرار: مصدر، كازّه مكازّه و كرارا.

و بنو زياد من لقومك مثلهم *** أو مثل عنتره الهزبر الصّاري(1)

و الحيّ من سعد ذؤابة قومهم *** و الفخر منهم و السّنام الواري(2)

و المانعون من العدو ذمارهم *** و المدركون عدوهم بالثار

و الناكحون بنات كلّ متوّج *** يوم الوغى غصبا بلا إمهار

و بنو سليم نكل من عاداهم *** و حيا العفاة و معقل الفرّار(3)

ليسوا بأنكاس إذا حاستهم ال *** موت العداة و صمّموا لمغار(4)

قدومه بغداد و تشوقه إلى المدينة و شعره

أخبرني عيسى بن الحسين قال: حدّثنا الزبير بن بكار عن عمّه قال:

كان ابن أبي الزوائد وفد إلى بغداد في أيّام المهديّ، فاستوخمها، فقال يتشوق إلى المدينة و يخاطب أبا غسان محمّد بن يحيى و كان معه نازلا:

يا ابن يحيى ما ذا بدا لك ما ذا *** أم مقام أم قد عزمت الخياذا(5)

فالبراغيث قد تتورّ منها *** سامر ما نلوذ منها ملاذا(6)

فنحكّ الجلود طورا فتدمى *** و نحكّ الصّدور و الأفخاذا

فسقى الله طيبة الوبل سحّا *** و سقى الكرخ و الصّراة الرّذاذا(7)

بلدة لا ترى بها العين يوما *** شاربا للثبيذ أو تباذا(8)

أو فتى ماجنا يرى اللّهُو و البا *** ظل مجدا أو صاحبا لوّذا(9)

هذه الذال فاسمعوها و هاتوا *** شاعرا قال في الرّويّ على ذا

ص: 336

1- هو زياد بن الربيع من بني عيسى بن بغيض بن ريث بن غطفان بن قيس بن عيلان. و عنتره الفوارس من بني عبس. و الهزبر: الأسد.
2- سعد: هم بنو سعد بن زيد مناة بن تميم بن مر بن أد بن طابخة بن عيلان بن مضر، أو هم بنو سعد بن بكر بن هوزان.. و ذؤابة كل شيء: أعلاه. الواري: الشحم السمين.
3- بنو سليم: هم بنو سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة. و الثكل: الموت و الهلاك. في ج، ب، س: «فكل»؛ و هو تحريف. و الحيا:

الخصب و المطر. و العفاة: جمع عاف، و هو كل طالب فضل أو رزق.

4- أنكاس: جمع نكس بالكسر، و هو الضعيف و المقصر عن غاية النجدة و الكرم. و حاسي: مفاعلة من الحسو، و المغار: الإغارة.

5- كذا في الأصول و الذي في «لسان العرب» و «تاج العروس»: الخواذ و المخاوذة: الفراق. و جاء أيضا في «القاموس»: الخواذ بالحاء: البعد.

6- تتور: ثار و هاج، و سمر كنصر: لم ينم.

7- طيبة: المدينة المنورة. جاء في «النهاية لابن الأثير»: «و في الحديث أنه صلّى الله عليه و سلّم أمر أن تسمى المدينة طيبة و طابة، و هما من الطيب لأن المدينة كان اسمها يثرب، و الثرب: الفساد، فنهى أن تسمى به و سماها طيبة و طابة و هما تأنيث طيب و طاب بمعنى الطيب، و قيل هو من الطيب بمعنى الطاهر لخلوصها من الشرك و تطهيرها منه». و الوبل: المطر الشديد الضخم القطر. و الكرخ: محلة ببغداد. و الصرة: نهر ببغداد. و الرذاذ: المطر الضعيف.

8- نبذ نبيذا: اتخذه، و النباذ: بائع النبيذ، كالخمار بائع الخمر.

9- يحتمل أن يكون «صاخبا» من الصخب و هو كثرة اللغط و الجلبة. و لواذ مبالغة في لاند، من لاذ به أي لجأ إليه و عاذ به.

قالها شاعر لو أنّ القوافي *** كنّ صخرًا أطارهن جذاذا(1)

شعره حين شرب خمرا

إشارة

قال الزبير: و أنشدني له أبو غسان محمد بن يحيى، و كان قد دخل إلى رجلين من أهل الحجاز/يقال لأحدهما أبو الجوّاب، و الآخر أبو أيّوب، فسقيه نبذا على أنه طريّ لا يسكر، فأسكراه؛ فقال:

سقاني شربة فسكرت منها *** أبو الجوّاب صاحبي الخبيث

و عاونه أبو أيّوب فيها *** و من عاداته الخلق الخبيث

فلمّا أن تمسّيت في عظامي *** و همّمت وثبتي منها تريث(2)

علمت بأنّني قد جئت أمرا *** تسوء به المقالة و الحديث

فدعهم - لا أبا لك - و اجتنبهم *** فإنّ خليطهم لهو اللّويث(3)

و تمام الأبيات التي فيها الغناء بعد البيتين المذكورين:

كالشمس في شرقها إذا سمرت *** عنها و مثل المهابة ملتثمه(4)

ما صوّر الله حين صوّرها *** في سائر الناس مثلها نسمة

كلّ بلاد الإله جئت فما *** أبصرت شبيها لها - و قد علمه -

أنتي(5) من العالمين تشبهها *** عابسة هكذا و مبتسمه

فتانة المقلتين مخطفة ال *** أحشاء منها البنان كالعنمه(6)

إذا تعاطت شيئا لتأخذه *** قلت غزال يعطو إلى برمه(7)

يا طيب فيها و طيب قبلتها *** و القرب منها في الليلة الشّجمه(8)

إنّ من اللذة التي بقيت *** غشيانك الخود من بني سلمه

لا تهجر الخود إن تغال بها *** بعد سلوّ، و قبل ذلك فمه(9)

- 1- الجذاذ: قطع ما كسر، القطعة جذاذة. وقال الفراء في قوله تعالى: فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا هُوَ مِثْلُ الْحَطَامِ وَالرَّفَاتِ، وَ مَنْ قَرَأَهَا جُذَاذًا بِالْكَسْرِ فَهُوَ جَمْعُ جَذِيذٍ مِثْلُ خَفِيفٍ وَ خَفَافٍ.
- 2- راث يريث: أبطاً.
- 3- الخليط: المخالط، و اللويث، الذي في كتب اللغة: الألوث: الأحمق، فالوصف على أفعل، و قد صاغه الشاعر على فاعيل، أو هو بمعنى ملوث ملطخ، فاعيل بمعنى اسم المفعول.
- 4- سفرت المرأة: كشفت عن وجهها. و المهابة: البقرة الوحشية.
- 5- في س: «أنفى العالمين» و هو تحريف.
- 6- إخطاف الحشا: انطواؤه و ضميره. و العنم: شجر له ثمر أحمر تشبه به بنان الجواري.
- 7- في س: «تعاطت شيء» و هو تحريف، و العطو: تناول و رفع الرأس و اليدين. و البرمة: واحدة البرم، و هو ثمر الطلح أو ثمر الأراك.
- 8- الشبمة: الباردة.
- 9- غالى به: اشتراه بثمن غال. و مه: كف. و المعنى: إن تغال بالحبيبة فلا تهجرها بعد سلوها إياك، و كف عن هجرها قبل السلو - و ذلك أولى بك - أي لا تهجرها و لا تقطع وصلها سالية لك أو غير سالية.

آتي معدًا لها الكلام فما *** أنطق من هيبة ولا كلمه

أحبّ و الله أن أزوركم *** وحدي كذا أو أزوركم بلمه(1)

هذا الجمال الذي سمعت به *** سبحانه ذي الكبرياء والعظمه

من أبصرت عينه لها شباها *** حلّ عليه العذاب والتقمه(2)

صوت

يا هنديا هند نولي رجلا *** وكيف تنويل من سفكت دمه

أو تدركي نفسه فقد هلكت *** أو ترحميه فمثلكم رحمه

أمر المنصور بزواج بني عبد مناف بالمنافيات

إشارة

أخبرني حبيب بن نصر المهلبّي قال: حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدّثني محمّد بن جعفر بن قادم(3) مولى بني هاشم قال: حدّثني عمّي أحمد بن جعفر عن ابن دأب قال:

أخرجت أنا وأخي يحيى وابن أبي السّءلاء(4) ومعنا مصعب بن عبد الله التّوفليّ(5) وثابت والزّبير ابنا خبيب بن ثابت بن عبد الله بن الزّبير وابن أبي الزوائد السعدي وابن أبي ذئب متزّهين إلى العقيق، وقد سأل يومئذ، إذا أتانا آت ونحن جلوس، فسألناه عن الخبر بالمدينة؟ فقال: ورد كتاب أمير المؤمنين المنصور أن لا تتزوج منافية(6) إلا منافيا. قال ابن أبي ذئب(7): إذن والله لا يخطب قرشي إلا من لا يحبّها، ولا يرغب فيمن لا يرغب فيها ممن لا فضل له عليها، وكان غير حسن الرأي في بني هاشم. وتكلم ابنا خبيب بمثل ذلك، وقال أحدهما. إنّ نسبنا من بني/عبد مناف قد طال، فأدالنا(8) الله منهم. قال: فغضب مصعب التّوفليّ وكان أحول فازدادت عيناه انقلابا، فقال: أما أنت يا ابن أبي ذئب فوالله ما شرفتك جاهليّة ولا رفعتك إسلام، فيقع في بال أحد أنّك عنيت بما جرى.

وأما أنتما يا بني خبيب فبغضكما لبني عبد مناف تالد موروث، ولا يزال يتجدّد كلّما ذكرتم قتل الزّبير(9)، وإنكم لمن طينتين مختلفتين: أما إحداهما فمن صفيّة، وهي الطّينة الأبطحيّة السّنيّة، تنزعان إليها إذا نافرتما(10)، وتفخران بها إذا افتخرتما، والأخرى الطّينة العواميّة التي تعرفانها، ولو شئت أن أقول لقلت، ولكنّ صفيّة تحجزني، فأحسننا

ص: 338

1- اللمة: الجماعة من الرجال ما بين الثلاثة إلى العشرة.

2- النّمة بفتح النون وكسر القاف، كالنّمة بكسر النون وفتحها مع سكون القاف.

3- في ب، س: «قاضم».

4- ساقطة من ج.

5- النوفلي: نسبة إلى نوفل بن عبد مناف بن قصي بن كلاب.

6- منافية: نسبة إلى عبد مناف المذكور، وهو الجد الثالث للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

7- كذا في ب، س، و يؤيده ما ورد بعد. وفي ج: «أبي الزوائد».

8- أداله الله من عدوه: نصره عليه.

9- قتله عمرو بن جرموز بوادي السباع في وقعة الجمل، وأتى عليا بسيفه فقال علي: سيف طالما جلى الكرب عن وجه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لكنه الجبن و مصارع السوء، وقاتل ابن صفية في النار والخبر مشهور.

10- هي السيدة صفية بنت عبد المطلب عمه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأم الزبير بن العوام، والأبطحية: نسبة إلى الأبطح وهو أبطح مكة: مسيل واديها والمنافرة: المفاخرة والمحاكمة في الحساب.

الشكر لمن رفعكما، ولا تميلاً عليه بمن /وضعكما. فقالا له: مهلاً، فوالله لقد يمنا في الإسلام أفضل من قديمك، ولحظنا فيه بالزبير أفضل من حظك. فقال مصعب: والله ما تفخران في نسبكما إلا بعمتي، ولا تفضلان في دينكما إلا بابن عمي صلى الله عليه وسلم؛ فمفاخره لي دونكما. ثم تفرقا؛ فقال ابن أبي الزوائد:

لعمركما يا بني خبيب بن ثابت *** تجاوزتما في الفخر جهلاً مداكما

وأنكرتما فضل الذين بفضلهم *** سمت بين أيدي الأكرمين يداكما

فإنكما لم تعرفا إذ سموتما *** إلى العز من آل النبي أباكما

ولم تعرفا الفضل الذي قد فخرتما *** فليس من العوام حقاً أتاكما

فلولا الكرام الغر من آل هاشم *** - فلا تجهلا - لم تدفعا من رماكما

صوت

محبّ صدّ آلفه *** فليس ليله صبح

يقلّبه على مضض *** مواعد ما لها نجح

له في عينه غرب *** وفي أحشائه جرح (1)

صحا عنه الذي يرجو *** زيارته و ما يصحو

الشعر لأبي الأسد، والغناء لعلّويه، هزج بالوسطى و خفيف ثقيل بالوسطى.

ص: 339

1- الغرب هنا: الدمع.

نسبه

اسمه، فيما ذكر لنا عيسى بن الحسين الوراق عن عيسى بن إسماعيل تينة(1) عن القحذمي، نبأته بن عبد الله الحماني(2). و ذكر أبو هفان المهزمي(3) أنه من بني شيبان. و هو شاعر مطبوع متوسط الشعر، من شعراء الدولة العباسية من أهل الدينور(4). و كان طباً(5) مليح التوارد مزاحا خبيث الهجاء، و كان صديقا لعلويه المغني الأعسر، ينادمه و يواصل عشرته و يصله علويه بالأكابر، و يعرضه للمنافع، و له صنعة في كثير من شعره.

شعره في جارية ترقبها فأخلفت

فأخبرني عمي قال: حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدّثني محمد بن محمد الأبراري(6) قال:

كان أبو الأسد الشاعر صديقا لعلويه، و كان كثيرا ما يغني في شعره. فدعانا علويه ليلة، و وعدته جارية لآل يحيى بن معاذ - و كانت تأخذ عنه الغناء - أن تزوره تلك الليلة، و كانت من أحسن الناس وجها و غناء، و كان علويه /يهيم بها، فانتظرناها حتى أيسنا منها احتباسا. فقال علويه لأبي الأسد: قل في هذا شعرا؛ فقال:

/محبّ صدّ ألفه *** فليس لليله صبح

صحاحه الذي يرجو *** زيارته و ما يصحو

قال: فصنع علويه فيه لحنا من خفيف الثقيل هو الآن مشهور في أيدي الناس، و غنّانا فيه؛ فلم نزل نشرب عليه حتى أصبحنا. و صنع في تلك الليلة بحضرتنا فيه الرّمل في شعر أبي و جزة السّعدّي:

قتلنتي بغير ذنب قتول *** و حلال لها دمي المطلول

ما على قاتل أصاب قتيلا *** بدلال و مقلتين سبيل

طلب من موسى بن الضحاك غلاما فشا طره غلامانه

أخبرني الحسن بن عليّ الخفاف قال: حدّثنا ابن مهرويه قال: حدّثني أبو هفان قال:

كتب أبو الأسد و هو من بني حمان إلى موسى بن الضحاك:

لموسى أعبد و أنا أخوه *** و صاحبه، و ما لي غير عبد

- 1- تينة: لقب عيسى (كما في «القاموس المحيط»).
- 2- الحمانى: نسبة إلى حمان: وهو حي من تميم، أحد حبي بني سعد بن زيد مناة.
- 3- نسبة إلى مهزم كمنبر، و من أسمائهم أيضا مهزم كمعظم.
- 4- دينور: مدينة من أعمال الجبل بفارس.
- 5- الطب: الحاذق الماهر. وفي الأصول «طيبا» وهو تحريف.
- 6- الأبزاري: نسبة إلى أزار و هي قرية بنيسابور.

فلو شاء الإله و شاء موسى *** لآس جانبي فرج بسعد

قال: و «فرج» غلام كان لأبي الأسد، و «سعد» غلام كان لموسى فبعث إليه موسى بسعد، و قاسمه بعده بقيّة غلمانة، فأخذ شطرهم و أعطاه شطرهم.

سبب هجاءه أحمد بن أبي دواد

أخبرني محمّد الخزاعيّ قال: حدّثني العباس بن ميمون طائع قال:

هجأ أبو الأسد أحمد بن أبي دواد فقال:

أنت امرؤ غثّ الصّنيعة رثّها *** لا تحسن التّقى إلى أمثالي

نعماك لا تعدوك إلاّ في امرئ *** في مسك(1) مثلك من ذوي الأشكال

/و إذا نضرت إلى صنيعك لم تجد *** أحدا سموت به إلى الإفضال

فاسلم بغير سلامة ترجى لها *** إلاّ لسدك خلة الأندال(2)

قال: فأدّى إليه سلامة و هو عبد الرحمن بن عبد الله بن عائشة هذه الأبيات عن أبي الأسد، فبعث إليه ببرد و استكفّه(3)، و بعث بابن عائشة إلى مظالم ماسبذان(4)، و قال له: قد شركته في التّويخ لنا فشركناك في الصّفقة(5)، فإن كنتما صادقين في دعواكما كنتما من الأندال، و إن كنتما كاذبين فقد جريتما بالقيح حسنا.

سبب الهجاء

حدّثني عليّ بن سليمان الأخفش قال: حدّثنا محمّد بن الحسن بن الحرون قال:

كان سبب هجاء أبي الأسد أحمد بن أبي دواد أنّه مدحه فلم يثبه، و وعده بالثواب و مطلقه؛ فكتب إليه:

ليتك إذ نبتني بواحدة *** تقنعني منك آخر الأبد

تخلف ألاّ تبرّني أبدا *** فإنّ فيها بردا على كبدي

اشف فؤادي منّي فإنّ به *** منّي جرحا نكأته بيدي(6)

إن كان رزقي إليك فارم به *** في ناظري حيّة على رصد(7)

قد عشت دهرا و ما أقدر أن *** أرضى بما قد رضيت من أحد

-
- 1- المسك: الجلد.
 - 2- الخلة هنا: الحاجة والفقير.
 - 3- استكفه: طلب إليه أن يكف عنه.
 - 4- ماسبذان: كورة ببلاد فارس.
 - 5- في ب، س: «الصنعة» وهو تحريف.
 - 6- نكأ القرحة كمنع: قشرها قبل أن تبرأ فنديت.
 - 7- الرصد والمرصد: موضع الرصد. ومرصد الحية: مكنها.
 - 8- السدد والسداد: الاستقامة.

الو كنت حرًا كما زعمت وقد *** كددتني بالمطال لم أعد

اصبرت لَمَّا أسأت بي، فإذا *** عدت إلى مثلها فعد و عد

فإتني أهل ذاك في طمعي *** وفي خطائي سبيل معتمد(1)

أبعدني الله حين يحملني *** حرصي على مثل ذا من الأود(2)

الآن أيقنت بعد فعلك بي *** أتني عبد لأعبد قفد(3)

فصرت من سوء ما رميت به *** أكنى أبا الكلب لا أبا الأسد

مدحه الفيض بن صالح

أخبرني علي بن الحسين بن عبد السميع المروزي(4) الوراق قال: حدّثني عيسى بن إسماعيل تينة عن القحذميّ قال:

كان أبو الأسد الشاعر - واسمه نباته بن عبد الله الحمّاني - منقطعاً إلى الفيض بن صالح وزير المهديّ، وفيه يقول:

ولائمة لامتك يا فيض في الندى *** فقلت لها لن يقدح اللّوم في البحر

أرادت لتنهى الفيض عن عادة الندى *** ومن ذا الذي يثني السّحاب عن القطر؟

مواقع جود الفيض في كلّ بلدة *** مواقع ماء المزن في البلد القفر

كأنّ وفود الفيض لما تحمّلوا *** إلى الفيض لاقوا عنده ليلة القدر

و كان أبو الأسد قبله منقطعاً إلى أبي دلف مدّة، فلمّا قدم عليه علي بن جبلة العكوّك غلب عليه، وسقطت منزلة أبي الأسد عنده، فانقطع إلى

الفيض بعد عزله عن الوزارة و لزومه منزله، وذلك في أيام الرشيد. وفيه يقول:

أتيت الفيض مشتكياً زماني *** فأعداني(5) عليه جود فيض

و فاضت كفّه بالبذل منه *** كما كفّ ابن عيسى ذات غيض(6)

مدحه حمدون بن إسماعيل و هجاؤه علي بن المنجم

أخبرني عيسى بن الحسين قال: حدّثني ابن مهرويه قال: حدّثني علي بن الحسن بن الأعرابيّ قال:

سأل أبو الأسد بعض الكتّاب، وهو علي بن يحيى المنجم، حاجة يسأل فيها بعض الوزراء، فلم يفعل. و بلغ حمدون بن إسماعيل الخبر،

فسأل له فيها مبتدئاً و نجزها و أنفذها إليه. فقال أبو الأسد يهجو الرجل الذي كان سألته

1- في الأصول: «فاني» «وفي خطاي» وهو تحريف، و النخطاء و الخطأ: ضد الصواب. و هو هنا بمعنى إخطاء.

2- الأود: الاعوجاج.

3- فقد جمع أققد: و هو المسترخي العنق أو الغليظة. و في الأصول «فقد» و هو تصحيف.

4- المروزي: نسبة إلى مرو، و هي بلد بفارس، و كانت قصبة خراسان، نسبة على غير قياس، و ينسب إليها أيضا فيقال مروى بسكون الراء و فتحها.

5- أعداه عليه: نصره و أعانه و قواه.

6- غاض الماء غيضا: قل و نقص.

- صنع من الله! أتّي كنت أعرفكم *** قبل اليسار و أنتم في التّباين(1)
- فما مضت سنة حتّى رأيتم *** تمشون في القمّ و القوهي و اللّين(2)
- و في المشاريق ما زالت نساؤكم *** يصحن تحت الدّوالي بالوراشين(3)
- افصرن يرفلن في وشي العراق و في *** طرائف الخزّ من دكن و طاروني(4)
- أنسين قطع الحلاوى من معادنها *** و حملهنّ كشوثا في الشّقابين(5)
- حتى إذا أسروا قالوا - و قد كذبوا -: *** نحن الشّهاريح أولاد الدّهاقين(6)
- في است أمّ ساسان أ يرى إن أقرّ بكم *** و أير بغل مشطّ في است شيرين(7)
- الوسيل أوضعهم قدرا و أنذلهم *** لقال من فخره إتّي ابن شوبين(8)

ص: 343

- 1- التباين: جمع تبا نكرمان، و هو سراويل صغار مقدار شبر يستر العورة المغلظة فقط يكون للملاحين.
- 2- القز: الحرير. و القوهي: ضرب من الثياب بيض، نسبة إلى قوهستان (بضم القاف و كسر الهاء) و هي كروة بين نيسابور و هراة، و مدينة بكرمان. و اللين أي لين العيش و خفضه و نعومته، و اللين أيضا اسم قرية بمرو، و قرية بين الموصل و نصيبين، و لعلها كانت مشهورة بضرب من الثياب ينسب إليها فيقال الليني، كالقوهي المنسوب إلى قوهستان، و عليه يكون صواب الكلمة «و الليني».
- 3- المشاريق: جمع مشراق كمحراب، أو مشريق كمنديل، و هو موضع القعود في الشمس بالشتاء كالمشرقة مثلثة الرء. و الدوالي جمع دالية، و هي الدولاب يستقى عليه، و الناعورة. و الوراشين: جمع ورشان محرّكة، و هو طائر شبه الحمامة. و من أمثال أهل العراق: «بعلة الورشان، تأكل الرطب المشان» - و في «الصحاح»: تأكل رطب المشان بالإضافة، قال: و لا تقل الرطب المسان - و المشان (كغراب و كتاب) من أطيب الرطب. يضرب لمن يظهر شيئا و المراد منه شيء آخر.
- 4- رفلت: جرت ذيلها و تبخترت أو خطرت بيدها. و الوشي: نقش الثوب. و الخز: الحرير، و في الأصول «طوائف» و هو تحريف. و دكن: جمع أدكن و دكناء. و الدكنة: لون إلى السواد. و الطاروني: ضرب من الطرن (بالضم) و هو الخز. و في الأصول «و طارون» و هو تحريف.
- 5- في الأصول «الحلاني» و لم أعثر عليه، و أرى صوابه «الحلاوى» و هي: نبتة زهرتها صفراء و لها شوك كثير و ورق صغير مستدير، و الجمع الحلاوى أيضا و الحلاويات، و روى عن الأصمعي في باب فعالي (بالضم و القصر) خزامي و رخامي و حلاوى، كلهن نبت. و من معادنها: من منابتها، و الكشوث (بالفتح و بضم): نبات أصفر يتعلق بأغصان الشجر من غير أن يضرب بعرق في الأرض، و يجعل في النبيذ، و في الأصول «كثوثا» و هو تحريف، و يقال في مولد الأمثال لمن كان ذليلا: «هو كشوث الشجر»؛ قال الشاعر: هو الكشوث فلا أصل و لا ورق و لا نسيم و لا ظل و لا ثمر (انظر «اللسان» و «مجمع الأمثال» للميداني في المثل: «أذل من ققع بقرقة»، و الشقبان بالضم: شبك يسويها الحشاشون (الذين يقطعون الحشيش) من الليف و الخوص، تجعل لها عرى واسعة يتقلدها الحشاش فيضع فيها الحشيش. و يقال فيه «شكبان» أيضا.

6- الشهراريج: وجوه القوم وأعيانهم، جمع شهرج، وأصلها بالفارسية جهره ومعناها: الوجه. و الدهاقين: جمع دهقان بالكسر و الضم، و هو رئيس الإقليم، معرب.

7- ساسان، هو ساسان الأكبر أبو أردشير بابك رأس الدولة الساسانية التي حكمت فارس من سنة 202 م إلى سنة 636 م، و كان آخر أكاسرتها يزدجرد الثالث الذي فتح العرب في عهده بلاد فارس. و شيرين، زوجة برونز ملك الفرس الذي حكم من سنة 591 إلى سنة 627 م و كانت زوجته المحبوبة المقربة إليه، و كان حبه لها مضرب الأمثال في الوفاء و الإخلاص، و مادة دسمة لأدباء الفرس و شعرائهم الروائيين، و شط و أشط: إذا أنعط حتى يصير متاعه كالشطاط (و الشطاط ككتاب: خشبة محددة الطرف تدخل عروتي الجوالقين لتجمع بينهما عند حملهما على البعير). و في الأصول: «شط» و هو تصحيف.

8- سال يسأل كخاف يخاف لغة في سأل. و شوبين: هو بهرام جوبين، و كان صاحب الجيش لدى هرمز بن أنوشروان العادل، و قد سعى بينهما سعاة السوء حتى أفسدوا ذات بينهما، و اعتدى هرمز على قائده و ظل يوبخه و يستهزئ به حتى اضطره إلى الخروج عليه. و قد جرت بين جوبين و بين هرمز ثم ابنه خسرو برونز حروب انتهت بانهزام جوبين و فراره إلى الترك و قتله هناك.

أوقال أقطعني كسرى وورثني *** فمن يفاخرني أم من يناويني (1)

من ذا يخبر كسرى و هو في سقر *** دعوى النيبط و هم بيض الشياطين (2)

وأنهم زعموا أن قد ولدتهم *** كما ادعى الضب إني نطفة التون (3)

فكان ينحز جوف النار واحدة *** تفري و تصدع خوفا قلب قارون (4)

أما تراهم و قد حطوا برادعهم *** عن أتتهم و استبدوا بالبراذين (5)

أو أفرجوا عن مشارات البقول إلى *** دور الملوك و أبواب السلاطين (6)

تغلي على العرب من غيظ مراجلهم *** عداوة لرسول الله في الدين

فقل لهم و هم أهل لتزنية *** شر الخليفة يا بحر العثانين (7)

ما التأس إلا نزار في أرومتها *** و هاشم سرجها الشم العرائين (8)

و الحي من سلفي قحطان إنهم *** يزرون بالنبط اللكن الملاعين (9)

فما على ظهرها خلق له حسب *** مما يناسب كسرى غير حمدون

قرم عليه شهنشاهية و نبا *** ينيك عن كسروي الجد ميمون (10)

و إن شككت ففي الإيوان صورته *** فانظر إلى حسب باد و مخزون

ص: 344

1- أقطعه قطعة من الأرض: أعطاه إياها يملكها و يستبد بها و ينفرد. يناويني مسهل يناونني، أي يعاديني.

2- في الأصول «سفر» و هو تصحيف و سقر: جهنم. و النبط و النيبط و الأنباط: جيل ينزلون بالبطائح بين العرافين. و بيض الشياطين، يعني أولادهم و سلالتهم.

3- الضب: دويبة من الحشرات تشبه الورل. قال عبد اللطيف البغدادي: «الورل و الضب و الحرباء و شحمة الأرض و الوزغ كلها متناسبة في الخلق». و النون: الحوت، و من أمثال العرب: «حتى يؤلف بين الضب و النون» و هما لا يأتلفان أبدا؛ إذ أن مسكن الأول الرمال، و مقر الثاني المياه. و همزة «إن» مكسورة لأنه ضمن «ادعى» معنى قال، أو التقدير: كما ادعى الضب قائلا إني.

4- قارون: كان من قوم موسى، و هو ابن عمه و ابن خالته؛ و فيه يقول الله تعالى: وَ آتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ وَ نحزه: ضربه و دفعه و نحسه و دقه، و نحزه في صدره: ضربه بجمع كفه، تفري: تشق، و كذا تصدع. و في ب، س «ينحر» و فيهما أيضا «يفري و يصدع» و هو تصحيف.

5- البرادع: جمع بردعة. و هي بالدال و بالذال، و الأتن (بسكون التاء و بضمها) جمع أتان و هي الحمارة. و البراذين من الخيل: ما كان من

غير نتاج العراب.

- 6- أفرجوا عن المكان: تركوه. مشارات المزرعة: مجاري مائها وسواقيها، جمع مشاركة. أو هو «مشاركة» بمعنى مبايعة.
- 7- في ب، س «التربية»، وفي ج «الترنية». تصحيف، و الترنية: القذف. وبخر: جمع أبخر وصف من البخر بالتحريك، و هو النتن في الفم و غيره. و العثانين: جمع عثون كعصفور: و هو اللحية أو ما نبت على الذقن و تحته سفلا. و يريد بها هنا الأفواه.
- 8- الأرومة (بفتح الهمزة و تضم): الأصل. و سرج: جمع سراج. و الشم: جمع أشم وصف من الشمم بالتحريك: و هو ارتفاع قصبية الأنف و حسنها و استواء أعلاها. و العرائين: جمع عرين بالكسر و هو الأنف. و شم العرائين: كناية عن الرفعة و العلو و شرف الأنفس.
- 9- قحطان: هو أصل عرب اليمن و منه تناسلوا. قوله: سلفى قحطان لأن مرجع العرب القحطانية إلى قبيلتين: حمير بن سبأ، و كهلان بن سبأ. و اللكن: جمع ألكن وصف من اللكنة بالضم، و هي عجمة في اللسان و عي.
- 10- القرم: السيد. و شهنشاهية: نسبة إلى شهنشاه، و شاه بالفارسية: معناه الملك، و شهنشاه: معناه ملك الملوك، قال الأعشى: و كسرى شهنشاه الذي سار ملكه و أصله شاهان شاه، حذف منه الألفان فبقي شهنشاه، و نبا سهل نبأ، و هو الخبر.

عتابه لأبي دلف لحجبه إياه

أخبرني عمي قال: حدّثنا أحمد بن أبي طاهر.

أنّ أبا الأسد زار أبا دلف في الكرج (1)، فحجّب عنه أياماً، فقال يعاتبه وكتب بها إليه:

ليت شعري أضاقت الأرض عني *** أم بفتحّ أنا الغداة طريد(2)؟

أم أنا قانع بأدنى معاش *** همّتي القوت و القليل الزهيد

مقولي قاطع و سيفي حسام *** و يدي حرّة و قلبي شديد

ربّ باب أعزّ من بابك اليو *** م عليه عساكر و جنود

قد ولجناه داخلين غدواً *** و رواحا و أنت عنه مذود(3)

فاكفف اليوم من حجابك إذ لس *** ت أميرا و لا خميسا تقود(4)

و اغترب في فدادن الصدّ إذ لس *** ت أسيرا و لا عليّ قيود(5)

لا يقيم العزيز في بلد الهو *** ن و لا يكبت الأريب الجليد(6)

شعره في صديقه بسطام

أخبرني عليّ بن صالح بن الهيثم قال: أنشدني أبو هفان لأبي الأسد في صديق له يقال له بسطام كان برّاً به - قال: وهذا من جيّد شعره، وقد سرق البحتريّ معناه منه في شعر مدح به عليّ بن يحيى (7) المنجم -:

أعدو على مال بسطام فأنهبه *** كما أشاء فلا تثني إليّ يدي

حتى كأني بسطام بما احتكمت *** فيه يداي و بسطام أبو الأسد

رثاؤه إبراهيم الموصلي

أخبرني عليّ بن صالح بن الهيثم قال: حدّثني أبو هفان، و أخبرني به يحيى بن عليّ بن يحيى قال: حدّثني أبو أيوب المديني قال: حدّثنا أبو هفان قال: حدّثني أبو دعامة قال:

لما مات إبراهيم الموصليّ قيل لأبي الأسد - و كان صديقه - ألا ترثيه؟ فقال يرثيه:

- 1- الكرج: مدينة بفارس بين همذان وأصبهان؛ وأول من مصرها أبو دلف القاسم بن عيسى العجلي وجعلها وطنه، وإليها قصده الشعراء وذكروها في أشعارهم. وفي الأصول «إلى الكرج».
- 2- الفج: الطريق الواسع بين جبلين.
- 3- مذود: مدفوع مطرود.
- 4- الخميس: الجيش، لأنه خمس فرق: المقدّمة والقلب والميمنة والميسرة والساقة.
- 5- في الأصول «واعترف» وهو تحريف. وفادفد: جمع فدفد كجعفر، وهي الفلاة. وفي ج «فدافي» وهو تحريف.
- 6- في الأصول «يكسب» وهو تحريف، وكتبه كضرب: أذله.
- 7- في الأصول «علي بن صالح يحيى المنجم». وأكبر ظني أن الناسخ أقحم كلمة «صالح» في الكلام إقحاماً. وقد تقدّم في «الأغاني» أنه من رجال السند، وورد في «ديوان البحري» مدائح فيه. وورد في «تاريخ بغداد» 12:122 «علي بن يحيى بن أبي منصور المنجم، كان راوية للأخبار والأشعار، شاعراً محسناً، أخذ عن إسحاق الموصلي الأدب وصنعة الغناء، ونام المتوكل وكان من خاصة ندمائه عنده وعند من بعده من الخلفاء إلى أيام المعتمد، وتوفي آخر أيام المعتمد».

اتولّى الموصليّ فقد تولّت *** بشاشات المزاهر والقيان(1)

وأى ملاحه بقيت فتبقى *** حياة الموصليّ على الزّمان!(2)

ستبكيه المزاهر والملاهي *** ويسعدهنّ عاتقة الدّنان(3)

و تبكيه الغويّة إذ تولّى *** ولا تبكيه تالية القرآن(4)

لفقيل له: ويحك فضحته وقد كان صديقك. فقال: هذه فضيحة عند من لا يعقل، أما من يعقل فلا. وبأيّ شيء كنت أذكره وأرثيه به؟ أ بالفقه أم بالزّهد أم بالقراءة؟ وهل يرثي إلاّ بهذا وشبهه!

هجاؤه شاهين ابن أخي دلف

إشارة

قال أبو الفرج: نسخت من كتاب لأحمد بن عليّ بن يحيى، أخبرني أبو الفضل الكاتب وهو ابن خالة أبي عمرو الطّوسيّ قال:

كنت مقيماً بالجبل(5) فمرّ بي أبو الأسد الشاعر الشّيبانيّ، فأنزلته عندي أياماً، وسألته عن خبره فقال:

صادفت شاهين بن عيسى ابن أخي أبي دلف، فما احتبسني ولا برّني ولا عرض عليّ المقام عنده، وقد حضرني فيه أبيات فأكتبها، ثم أنشدني:

إني مررت بشاهين وقد نفحت *** ريح العشيّ وبرد الثلج يؤذيني(6)

فما وقى عرضه متّي بكسوته *** لا بل ولا حسب دان ولا دين

إن لم يكن لبن الدّايات غيره *** عن طبع آبائه السّمّ العرائين(7)

فربّما غاب بعل عن حليلته *** فناكها بعض سؤاس البراذين(8)

وما تحرّك أير فامتلا شبقاً *** إلاّ تحرّك عرق في است شاهين(9)

ثم قال: لأمرّقه كلّ ممزّق، ولأصيرنّ إلى أبي دلف فلأنشدنّه. ومضى من فوره يريد أبا دلف، فلم يصل إليه، حتى بلغ أبا دلف الشعر، فشقّ عليه وغمّه. وأتاه أبو الأسد فدخل عليه، فسأله عن قصّته مع شاهين، فأخبره بها؛ فقال: هبه لي. قال: قد فعلت. وأمر له بعشرة آلاف درهم، فأمسك عنه.

قال أبو الفرج: هذا البيت الأخير لبشار كان عرض له فقال:

1- المزاهر: جمع مزهر كمنبر، وهو العود يضرب به.

2- في الأصول «فلاحة» وهو تحريف.

3- خمر معتقة وعتيق وعتيقة وعاتق: لم يفض أحد ختامها أو قديمة حبست زمانا في ظرفها.

4- الغوية: المرأة الضالة. والقرآن: مسهل القرآن.

5- بلاد الجبل: بأرض فارس.

6- في الأصول «لفحت» واللفح لكل حار من الرياح، والنفح لكل بارد.

7- الدايات: جمع داية، جاء في «اللسان»: الداية: العاثر حكاه ابن جني، قال: كلاهما عربي فصيح وأنشد للفرزدق: ربيبة دايات ثلاث

رببها يلقمونها من كل سخن ومبرد

8- البعل: الزوج. والحليلة: الزوجة.

9- الشبق: شدة الغلظة وطلب النكاح.

و ما تحرّك أير فامتلا شبقا *** إلا تحرّك عرق في است.....

ثم قال: في است من؟ و مرّ به تسنيم بن الحواري(1) فسلم عليه، فقال: في است تسنيم و الله. فقال له: أي شيء و إليك؟ فقال: لا تسل. فقال: قد سمعت ما أكره، فاذكر لي سببه. فأشده البيت، فقال: و إليك! أي شيء حملك على هذا؟ قال: سلامك عليّ. لا سلم الله عليك و لا عليّ إن سلمت عليك بعدها، و بشار يضحك. و قد مضى هذا الخبر بإسناده في أخبار بشار(2).

صوت

و قد جمع معه كل ما يغنى في هذه القصيدة:

أجذك أن نعم نأت أنت جازع *** قد اقتربت لو أن ذلك نافع

و حسبك من نأي(3) ثلاثة أشهر *** و من حزن أن شاق قلبك رابع

ابكت عين من أبكك ليس لك البكى *** و لا تتخالجك الأمور التّوازع(4)

فلا يسمعن سرّي و سرّك ثالث *** ألا كلّ سرّ جاوز اثنين شائع

أو كيف يشيع السرّ منّي و دونه *** حجاب و من فوق الحجاب الأضالع

كان فؤادي بين شقين من عصا *** حذار وقوع البين و البين واقع

و قالت و عيناها تفيضان عبرة *** بأهلي، بين لي متى أنت راجع؟

فقلت لها بالله يدري مسافر *** إذا أضمرته الأرض ما الله صانع؟

فشدت على فيها اللثام و أعرضت *** و أقبلن بالكحل السّحيق المدامع(5)

عروضه من الطويل. الشعر لقيس بن الحداية، و الغناء لإسحاق في الأول و الثاني من الأبيات خفيف رمل بالوسطى، و في الثالث و ما بعده أربعة.

ص: 347

1- سموا: الحواري بفتح أوله و ثانيه و في آخره ياء مشدودة، و الحواري بضم أوله و بواو مشدودة مفتوحة و راء مفتوحة، انظر «تاج العروس».

2- انظر الجزء الثالث 173 طبع دار الكتب، و في تلك الرواية: ما قام أير حمار.....

3- في الأصول «من ثاني» و في ب، س، «رائع» و هو تحريف.

4- تخالجه الهموم: نازعته؛ يقال: تخالجه الهموم: إذا كان له هم في ناحية و هم في ناحية كأنه يجذبه إليه. و النوازع: التي تنزع النفوس من

صدورها.

5- السحيق: المسحوق. وأقبلن بإثبات النون، على لغة طيى وأزد شنوءة أو هو وأقبل و سيرد بعد في القصيدة «وأمعن».

إشارة

هو قيس بن منقذ بن عمرو بن عبيد بن ضاطر(1) بن صالح بن حبشية(2) بن سلول بن كعب بن عمرو بن ربيعة بن حارثة وهو خزاعة بن عمرو وهو مزيقياء(3) بن عامر/ وهو ماء السماء بن حارثة الغطريف(4) بن امرئ القيس البطريق(5) بن ثعلبة بن مازن بن الأزدي، وهو «رداء(6)» ويقال: رديني»، وقد مضى نسبه متقدماً؛ والحداية أمه، وهي امرأة من محارب بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر، ثم من قبيلة منهم يقال لهم بنو حداد. شاعر من شعراء الجاهلية، وكان فاتكاً شجاعاً صعلوكاً خليعاً، خلعت خزاعة بسوق عكاظ، وأشهدت على أنفسها بخلعها إياه، فلا تحتمل جريرة له، ولا تطالب بجريرة يجزها أحد عليه.

أغار على بني قميير وقتل ابن عشي وقال شعرا

قال أبو الفرج: نسخت خبره من كتاب أبي عمرو الشيباني: لما خلعت خزاعة بن عمرو - وهو مزيقياء بن

ص: 348

1- في ب وس «ضياطر» وقد تكرر فيهما، والصواب في ج. جاء في «كتاب الاشتقاق» لابن دريد طبع أوربة ص 276: «رجال خزاعة و بطونها... ومنهم بنو ضاطر، والضاطر اشتقاقه من قوم ضياطر. وهو الضخم الذي لا منفعة فيه ولا غناء، والجمع ضياطر وضيظرون» وجاء في ص 277: «و من بني ضاطر: قيس بن عمرو بن منقذ (بتقديم عمرو على منقذ) الشاعر الذي يقال له ابن الحداية، جاهلي، و بنو حداد من بني كنانة» - وقد ضبط فيه بالشكل بضم الحاء وفتح الدال مخففة. - وجاء في كتاب «مختلف القبائل و مؤلفها» لأبي جعفر محمد بن حبيب طبع أوربة ص 35: «و في كنانة بن خزيمة: حداد بن مالك بن كنانة» مضبوطاً بالشكل بضم الحاء. وجاء في هذا الكتاب أيضاً: «و في طيئ: حداد بن نصر بن سعد بن نبهان» مضبوطاً بضم الحاء وفتح الدال مخففة، وفي «لسان العرب»: «و بنو حداد: بطن من طيئ» مضبوطاً بضم الحاء و تشديد الدال ولكن صاحب «الأغاني» /ج 1 ص 417 و السمعاني مادة حداد/ ضبطاه بكسر الحاء وتخفيف الدال.

2- حبشية: جاء في «القاموس»: «و حبشية بن سلول بالضم» أي بضم الحاء، وفي «تاج العروس»: «و ضبطه بعضهم بفتح الحاء و سكون الموحدة، نقله الحافظ» وجاء في كتاب «مختلف القبائل و مؤلفها» ص 4: «في خزاعة: حبشية (بفتح الحاء و الباء) بن سلول بن كعب.... وفي «مزينة»: حبشية (بضم الحاء و سكون الباء) بن كعب بن عبد بن ثور بن هذمة بن لاطم بن عثمان بن عمرو وهو مزينة».

3- كان من ملوك اليمن، وإنما لقب بذلك لأنه كان يلبس كل يوم حلتين منسوجتين بالذهب، فإذا أمسى خلعهما و مزقهما، وكان يكره أن يعود فيهما و يأنف أن يلبسهما غيره، و هو جد الأنصار، و لذلك فخر أوس بن الصامت (أخو عبادة بن الصامت) بقوله: أنا ابن مزيقيا عمرو، و جدّي: أبوه عامر ماء السماء و لقب أبوه عامر بماء السماء لوجوده و كثرة نفعه فشبّه بالغيث، و أما المنذر بن ماء السماء اللحمي أحد ملوك الحيرة فإن أباه امرؤ القيس عمرو بن عدي، و ماء السماء أمه و هي بنت عوف بن جشم بن النمر بن قاسط، و إنما قيل لها ماء السماء لحسنها و جمالها - انظر «وفيات الأعيان» لابن خلكان 2: 148 ترجمة المهلب بن أبي صفرة.

4- الغطريف: السيد الشريف السحي السري.

5- البطريق: الرجل الوضيء المختال المزهو، و البطريق بلغة الروم: القائد الحاذق بالحرب و أمورها، و يقال: إن البطريق عربي وافق العجمي، و هو لغة أهل الحجاز، و قال أمية بن أبي الصلت: من كل بطريق لبط حريق نقي الوجه واضح

6- كذا في الأصول. وفي «طرفة الأصحاب» ص 20: «ابن درة» و يقال: درّاء.

عامر، و هو ماء السماء بن الحارث - قيس بن الحداذية، كان أكثرهم قولاً في ذلك و سعيًا قوم منهم يقال لهم: بنو قمير بن حبشية بن سلول، فجمع لهم قيس شذاذًا(1) من العرب وفتاكًا من قومه، و أغار عليهم بهم، و قتل منهم رجلاً يقال له ابن عس، و استاق أموالهم، فلحقه رجل من قومه كان سيّداً، و كان ضلعه(2) مع قيس فيما جرى عليه من الخلع، يقال له ابن محرّق، فأقسم عليه أن يردّ ما استاقه، فقال: أمّا ما كان لي و لقومي فقد أبررت قسمك فيه، و أمّا ما اعتورت(3) أيدي هذه الصعاليك فلا حيلة لي فيه، فردّ سهمه و سهم عشيرته، و قال في ذلك:

إفأقسم لولا أسهم ابن محرّق *** مع الله ما أكثرت عدّ الأقارب(4)

أتركت ابن عسّ يرفعون برأسه *** ينوء بساق كعجها غير راتب(5)

و أنهاهم خلعي على غير ميرة *** من اللحم حتى غيّبوا في الغوائب(6)

و قال أبو عمرو: أغار أبو بردة بن هلال بن عويمر، أخو بني مالك بن أفصى بن حارثة بن عمرو بن عامر بن امرئ القيس على هوازن في بلادها، فلقي عمرو بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة و بني نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فانهزمت بنو عامر(7) و بنو نصر، و قتل أبو بردة قيس بن زهير أخا خدّاش بن زهير الشاعر، و سبى نسوة من بني عامر: منهن صخرة بنت أسماء بن الصّربية التّصري، و امرأتين منهم يقال لهما:

بيقر و ربّاً، ثم انصرفوا راجعين، فلما انتهوا إلى هرشي(8) خنقت صخرة نفسها فماتت، و قسم أبو بردة السبي و النّعم و الأموال في كلّ من كان معه، و جعل فيه نصيباً لمن غاب عنها من قومه و فرقه فيهم.

ثم أغار هوازن على بني ليث، فأصابوا حيّاً منهم يقال لهم: بنو الملوّح بن يعمر بن عوف، و رعاء لبني ضاطر بني حبشية، فقتلوا منهم رجلاً و سبوا منهم سبياً كثيراً و استاقوا أموالهم، فقال في ذلك مالك بن عوف التّصري(9):

إنحن جلبنا الخيل من بطن ليّة *** و جلدان جردا منعلات و وقّحاً(10)

ص: 349

- 1- الشذاذ: الذين ليسوا في حيمهم و منازلهم.
- 2- ضلعك معه بفتح الضاد، أي ميلك و هواك.
- 3- اعتوروا الشيء و تعاوروه: تداولوه.
- 4- لولا أسهم: أي لولا أن أسهم بتقدير أن كقوله: أنت المبارك و الميمون سيرته لولا تقوّم درء القوم لاختلفوا و أسهم له: أعطاه سهماً و المعنى: لولا أن ابن محرّق جعل لله سهماً في هؤلاء القوم أي لولا أنه أقسم عليّ بالله أن أرد إليهم ما غنمته منهم، ما أكثرت عدّ الأقارب: أي لقللت عدد أقاربي فلم أبق على هؤلاء الذين نالوني بالأذى منهم.
- 5- غير راتب: أي غير منتصب.
- 6- نهى من اللحم كفرح و أنهى: شبع منه و اكتفى. الميرة: الطعام يمتاره الإنسان أي يجلبه، و في ج «و أنهاهم خلعي غير ميرة» بإسقاط «على» و في ب، س «على غير مرة عن».
- 7- هم بنو عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن.

8- هرشى: ثنية في طريق مكة قريبة من الجحفة.

9- كان قائد المشركين في غزوة حنين.

10- لية: من نواحي الطائف، مر به رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انصرافه من حنين يريد الطائف وأمر وهوبلية بهدم حصن مالك بن عوف. جلدان: ويروى بالدال وبالذال، موضع قرب الطائف بين لية وسبل، يسكنه بنو نصر بن معاوية من هوازن، جردا جمع أجرد: وهو القصير الشعر، وذلك من علامات العتق والكرم، وفرس منعل: شديد الحافر، ووقح الحافر: صلب فهو واقح والجمع وقح، ووقاح كسحاب، والجمع وقح كسحاب أي صلب باق على الحجارة. وفي البيت خرم.

فأصبحن قد جاوزن مرًا وجحفة*** و جاوزن من أكناف نخلة أبطحا(1)

تلقطن ضيطاري خزاعة بعد ما*** أبرن بصحراء الغميم الملوّحا(2)

قتلناهم حتى تركنا شريدهم*** نساء و أيتاما و رجلا مسدّحا(3)

فإنك لو طالعتهم لحسبتهم*** بمنعرج الصّفراء عترا مذبحا(4)

أغار على هوازن و قتل أبو زيد و عروة و قال شعرا

فلما صنعت هوازن بني ضاطر ما صنعت، جمع قيس بن الحداديّة قومه، فأغار على جموع(5) هوازن، فأصاب سببا و مالا، و قتل يومئذ من بني قشير: أبا زيد و عروة و عامرا و مروّحا، و أصاب أبياتا من كلاب خلّوفا(6)، و استاق أموالهم و سببا، ثم انصرف و هو يقول.

نحن جلبنا الخيل قبا بطونها*** تراها إلى الدّاعي المثوّب جنّحا(7)

بكلّ خزاعيّ إذا الحرب شمّرت*** تسربل فيها برده و توشّحا

قرعنا قشيرا في المحلّ عشية*** فلم يجدوا في واسع الأرض مسرحا

قتلنا أبا زيد و زيدا و عامرا*** و عروة أقصدنا(8) بها و مروّحا

و أبنا بابل القوم تحدى، و نسوة*** يبكين شلوا أو أسيرا مجرّحا(9)

غداة سقيننا أرضهم من دمائهم*** و أبنا بأدم كنّ بالأمس وّصّحا(10)

و رعنا كلابا قبل ذلك بغارة*** فسقنا جلادا في المبارك قرّحا(11)

لقد علمت أفناء بكر بن عامر*** بأنّا نذود الكاشح المتزحزحا(12)

ص: 350

1- بطن مر، و يقال له: مر الظهران: موضع بينه و بين مكة خمسة أميال، و الجحفة: على ثلاث مراحل من مكة في طريق المدينة، و نخلة الشامية و اليمانية: و اديان على ليلتين من مكة يجتمعان ببطن مر، و الأبطح: مسيل واسع فيه دفاق الحصى.

2- الضيطار: الضخم اللثيم الذي لا غناء عنده، أبارهم: أهل كهم، الغميم: موضع بين مكة و المدينة قرب المدينة بين رابع و الجحفة.

3- السدح: ذبحك الشيء و بسطكه على الأرض، أو هو الصرع بطحا على الوجه أو إلقاء على الظهر كالسدح.

4- طالعه طلاعا و مطالعة: اطلع عليه، الصفراء: قرية كثيرة النخل و المزارع، و هي فوق ينبع مما يلي المدينة، و العتر و العتيرة كذبح و ذبيحة: الرجبية، و هي شاة كانوا يذبحونها في الجاهلية في رجب يتقربون بها إلى آلهتهم و يصب دمها على رأسها، و في ب، س «عزنا».

5- في الأصول «مصنوع» و هو تحريف.

- 6- الخلوف: الحيّ إذا خرج الرجال و بقي النساء.
- 7- القبب كسبب: دقة الخصر و ضمور البطن، قب بطن الفرس يقب كبعض فهو أقب و هي قباء و الجمع قب بالضم، الثويب تثنية الدعاء، جنح جمع جانحة: أي مائلة إليه مقبلة عليه. و في البيت خرم.
- 8- أقصده: طعنه فلم يخطئه.
- 9- تحدى: تساق. و الشلو: كل مسلوخ أكل منه شيء و بقيت منه بقية.
- 10- بآدم: أي بسبايا من النساء آدم، جمع أدماء، وصف من الأدمة بالضم و هي في الناس: السمرة، وضحا: أي بيضا جمع واضحة، صرن أدما لشدة ما قاسين من ذل السبي و الغلبة.
- 11- رعنا: أفزعنا، و الجلاذ من الإبل: الغزيرات اللبن، أو التي لا- لبن لها و لا نتاج، و القرّح و القوارح: جمع قارح و هي الناقة أول ما تحمل.
- 12- الأفناء: الأخلاط، و الكاشح: مضمرة العداوة، و المتزحزح: المتباعد، يريد المتباعد عن محبتنا المتجافي عن مودّتنا.

و أنا بلا مهر سوى البيض و القنا *** نصيب بأفناء القبائل منكحا

شعره في حرب خزاعة و عامر بن الظرب

و قال أبو عمرو: و زعموا أن قيس بن عيلان رغب في البيت، و خزاعة يومئذ تليه، و طمعوا أن ينزعوه منهم، فساروا و معهم قبائل من العرب و رأسوا عليهم/عامر بن الظرب/العدواني، فساروا إلى مكة في جمع لهام(1)، فخرجت إليهم خزاعة فاقتتلوا، فهزمت قيس، و نجا عامر على فرس له جواد(2). فقال قيس بن الحداية في ذلك:

لقد سمت نفسك يا ابن الظرب *** و جشمتهم منزلا قد صعب(3)

و حملتهم مركبا باهظا *** من العبء إذ سقتهم للشغب(4)

بحرب خزاعة أهل العلا *** و أهل الثناء و أهل الحسب

هم المانعو البيت و الذاندون *** عن الحرمات جميع العرب

نفوا جرهما و نفوا بعدهم *** كنانة غصبا ببيض القضب(5)

و سمر الرماح و جرد الجياد *** عليها فوارس صدق نجب

و هم ألحقوا أسدا عنوة *** بأحياء طي و حازوا السلب(6)

خزاعة قومي فإن أفتخر *** بهم يزك معتصري و التسب(7)

هم الرأس و الناس من بعدهم *** ذنابي، و ما الرأس مثل الذنب(8)

يواسي لدى المحل مولا هم *** و تكشف عنه غموم الكرب(9)

فجارهم آمن دهره *** بهم إن يضام و أن يغتصب

يلتون في الحرب خوف الهجاء *** و يبرون أعداءهم بالحرب(10)

أو لو لم ينجك من كيدهم *** أمين الفصوص شديد العصب(11)

لزرت المنايا، فلا تكفرن *** جوادك نعماه يا ابن الظرب

فإن يلتقوك يزرك الحما *** م أو تنج ثانية بالهرب

- 1- لهام: كثير عظيم.
- 2- فرس جواد: رائع.
- 3- يريد لقد سمت نفسك خسفا، أي أوليتها إياه.
- 4- بهظه الأمر: غلبه و ثقل عليه.
- 5- في ج؛ «تبيد القضب» وفي ب و س «بيد».
- 6- عنوة: قهرا، و السلب: ما يسلب.
- 7- زكا يزكوا: نما، و يقال: رجل كريم المعتصر: جواد عند المسألة كريم.
- 8- الذنابي: الذنب.
- 9- المحل: الجذب، و المولى: الجار و الحليف.
- 10- في ج، ب: «يكبون».
- 11- الفصوص: جمع فص، و هو ملتقى كل عظمين، و الأمين: القوي.

قال أبو الفرج: هذه القصيدة مصنوعة، و الشعر بين التوليد.

شعر لابن الأحب في غارة هوازن على خزاعة

وقال أبو عمرو: أغارت هوازن على خزاعة وهم بالمحصّب (1) من منى، فأوقعوا بيطن منهم يقال لهم بنو العنقاء، و يقوم من بني ضاطر، فقتلوا منهم عبدا و عوفا و أقرم و غبشان، فقال ابن الأحبّ العدواني يفخر بذلك:

غداة التقينا بالمحصّب من منى *** فلاقت بنو العنقاء إحدى العظام

تركنا بها عوفا و عبدا و أقرما *** و غبشان سؤرا للّسور القشاعم (2)

أجاب قيس على ابن الأحب و غيره بأنه فخر بيوم لم يكن لهم

فأجابه قيس بن الحدادية، فقال يعيّره أن فخر بيوم ليس لقومه:

فخرت بيوم لم يكن لك فخره *** أحاديث طسم إنما أنت حالم (3)

تفاخر قوما أطردتك رماحهم *** أكعب بن عمرو: هل يجاب البهائم (4)

فلو شهدت أمّ الصبيّين حملنا *** و ركضهم لا يبيّض منها المقادم

غداة تولّيتهم و أدبر جمعكم *** و أبنا بأسراكم كأنّا ضراغم (5)

مدح أسد بن كرز لحمايته له، و قال شعرا في ذلك

قال أبو عمرو: و كان ابن الحدادية أصاب دما في قوم من خزاعة هو و ناس من أهل بيته، فهربوا فنزلوا في فراس بن غنم، ثم لم يلبثوا أن أصابوا أيضا منهم رجلا، فهربوا فنزلوا في بجيلة على أسد بن كرز، فأواهم و أحسن إلى قيس و تحمّل عنهم ما أصابوا في خزاعة/ و في فراس، فقال قيس بن الحدادية يمدح أسد بن كرز:

لا تعذّليني سلمى اليوم و انتظري *** أن يجمع الله شملا طالما افترقا

إن شئت الدهر شملا بين جيرتكم *** فطال في نعمة يا سلم ما اتفقا

و قد حللنا بقسريّ أخي ثقة *** كالبدر يجلو دجى الظلماء و الأفقا

لا يجبر الناس شيئا هاضه أسد *** يوما و لا يرتقون الدهر ما افتقا (6)

كم من ثناء عظيم قد تداركه *** و قد تفاقم فيه الأمر و انخرقا

قال أبو عمرو: و هذه الأبيات من رواية أصحابنا الكوفيين، وغيرهم يزعم أنها مصنوعة، صنعها حمّاد الراوية لخالد القسري (7) في أيام ولايته، و أنشده إياها فوصله، و التوليد بين فيها جدًا.

ص: 352

- 1- المحصب: موضع رمي الجمار بمنى.
- 2- السور: البقية و الفضلة، و القشاعم: جمع قشعم كجعفر، و هو من النسور: المسن الضخم.
- 3- طسم: قبيلة من عاد انقرضوا. و من أمثال العرب: «أحاديث طسم و أحلامها» يضرب لمن يخبرك بما لا أصل له.
- 4- أطرده: صيره طريدا.
- 5- ضراغم: جمع ضرغم كجعفر و هو الأسد.
- 6- هاض الشيء: كسره.
- 7- هو خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد بن كرز البجلي ثم القسري، و لاه الوليد بن عبد الملك مكة سنة 89، و ولي العراقين في عهد هشام بن عبد الملك، و توفي سنة 126 هـ.

شعره في غارة ضريس على بني ضاطر

وقال أبو عمرو: غزا الضّرّيس القشيريّ بني ضاطر في جماعة من قومه، فثبتوا(1) له وقاتلوه حتى هزموه، وانصرف ولم يفز بشيء من أموالهم، فقال قيس بن الحدادية في ذلك:

فدى لبني قيس وأفناء مالك *** لدى الشّسع من رجلي إلى الفرق صاعدا(2)

غداة أتى قوم الضريس كأنهم *** قطا الكدر من ودّان أصبح واردا(3)

أفلم أر جمعا كان أكرم غالبا *** وأحمى غلاما يوم ذلك أطردا(4)

رميهاهم بالحوّ والكمت والقنا *** وبيض خفاف يختلين السواعدا(5)

مدحه بني عدي بن عمرو من خزاعة

قال أبو عمرو: ولما خلعت خزاعة قيسا، تحوّل عن قومه، ونزل عند بطن من خزاعة، يقال لهم بنو عدي بن عمرو بن خالد، فأووه وأحسنوا إليه، وقال يمدحهم:

جزى الله خيرا عن خليع مطرد *** رجالا حموه آل عمرو بن خالد

فليس كمن يغزو الصديق بنوكه *** وهمته في الغزو كسب المزاد(6)

عليكم بعرضات الديار فإنني *** سواكم عديد حين تبلى مشاهدي(7)

ألا وذتم حتى إذا ما أمنتهم *** تعاورتم سجعا كسجع الهداهد(8)

تجنّى عليّ المازنان كلاهما *** فلا أنا بالمغصي ولا بالمساعد(9)

وقد حذبت عمرو عليّ بعزّها *** وأبنائها من كل أروع ماجد(10)

أمصاليت يوم الرّوع كسبهم العلا *** عظام مقيل الهام شعر السواعد(11)

ص: 353

1- في الأصول «فثنوا» وهو تحريف.

2- في الأصول «وأقباء» وفي س «إلى الفراق» وهو تحريف. والشسع: أحد سيور النعل. والفرق: موضع المفروق من الرأس أي وسطه الذي يفرق فيه الشعر.

3- الكدر: موضع قرب المدينة؛ والكدري: ضرب من القطا. وودّان: قرية بين مكة والمدينة قريبة من الجحفة.

4- كذا في الأصول وفي البيت سناد التأسيس، وهو عيب من عيوب القافية، ولعلها «طاردا».

- 5- الحو جمع أحوى و حواء وصف من الحوّة: وهي حمرة إلى السواد، والكميت من الخيل يستوي فيه المذكر والمؤنث، وصف من الكمنة، وهي لون بين السواد والحمرة، وجمعه كمت. يختلين السواعد: يقطعن ويذهبن بسواعد المضروبين بها.
- 6- فليس كمن يغزو: أي فليس هذا الحي كمن يغزو. والنوك بالفتح والضم: الحمق، والمزود: جمع مزود كمنبر، وهو وعاء الزاد.
- 7- يخاطب في هذا البيت وما بعده قومه. والعريضة: كل بقعة بين الدور واسعة ليس فيها بناء، والجمع عريصات بفتح الراء، وسكنت في البيت للضرورة. عديد: معدود. تبلى: تختبر. مشاهد جمع مشهد، أي شهودي القتال وخوضي غماره، وفي الأصول «بلى مساهد» وهو تحريف.
- 8- لاوذ: استتر، وتاوروه: تداولوه، وسجعت الحمامة: طرّبت في صوتها والتت على طريق واحد.
- 9- في ج «تحنى» أي عطف، وفي ب، و س «تجنى»، وتجنى عليه: ادعى ذنبا لم يفعله.
- 10- حدب عليه كفرح: عطف. والأروع: من يعجبك بحسنه و جهارة منظره أو بشجاعته.
- 11- مصاليت: جمع مصلات، وهو الماضي في الأمور. الهام: الرءوس، جمع هامة، ومقيل الهامة: مستقر الرأس أي العنق، يقول: إنهم غلاظ الأعناق وهو كناية عن قوة البأس. شعر: جمع أشعر، وهو كثير الشعر طويله.

أولئك إخواني و جلّ عشيرتي *** و ثروتهم و النصر غير المحارَد(1)

مدحه عديّ بن نوفل

أخبرني أحمد بن سليمان الطوسي، و الحرمي بن أبي العلاء قالاً: حدّثنا الزبير بن بكار قال: أخبرني عمّي أنّ خزاعة أغارت على اليمامة(2)، فلم يظفروا منها بشيء، فهزموا و أسر منهم أسرى، فلما كان أوان الحج، أخرجهم من أسرهم إلى مكة في الأشهر الحرم لبيتاعهم قومهم، فغدوا جميعاً إلى الخلاء(3)، و فيهم قيس بن الحدادية، فأخرجوهم و حملوهم، و جعلوهم في حظيرة ليحرقوهم، فمرّ بهم عديّ(4) بن نوفل، فاستجاروا به، فابتاعهم و أعتقهم، فقال قيس يمدحه:

ادعوت عدياً و الكبول تكبني *** ألا يا عديّ يا عديّ بن نوفل(5)

دعوت عدياً و المنايا شوارع *** ألا يا عديّ للأسير المكبل(6)

فما البحر يجري بالسّفين إذا غدا *** بأجود سيبا منه في كل محفل(7)

تداركت أصحاب الحظيرة بعد ما *** أصابهم مّا حريق المحلل(8)

و أتبعت بين المشعرين سقاية *** لحجاج بيت الله أكرم منهل

هجرة خزاعة لجذب أصابهم و شعر له في ذلك

قال أبو عمرو: و كان قيس بن الحدادية يهوى أم مالك بنت ذؤيب الخزاعيّ، و كانت بطون من خزاعة خرجوا جالين إلى مصر و الشام لأنهم أجذبوا، حتى إذا كانوا ببعض الطريق، رأوا البوارق خلفهم، و أدركهم من ذكر لهم كثرة الغيث و المطر و غزارته، فرجع عمرو بن عبد مناة في ناس كثير إلى أوطانهم، و تقدّم قبيصة بن ذؤيب و معه أخته أم مالك، و اسمها نعم بنت ذؤيب، فمضى، فقال قيس بن الحدادية هذه القصيدة التي فيها الغناء المذكور:

أجدك إن نعم نأت أنت جازع *** قد اقتربت لو أن ذلك نافع

قد اقتربت لو أن في قرب دارها *** نوالاً، و لكن كلّ من ضنّ مانع

و قد جاورتنا في شهور كثيرة *** فما نوّلت، و الله راء و سامع

فإن تلقين نعمى هديت فحيّها *** و سل كيف ترعى بالمغيب الودائع(9)

ص: 354

1- الثروة: كثرة العدد بين الناس. و المال غير المحارَد، أي غير المنقطع، و أصله من حارَدت الإبل حرادا: انقطعت ألبانها أو قلت.

2- اليمامة: صقع شرقي الحجاز و يعد من نجد.

- 3- في ب، س «الحلقاء» وفي ج «الخلفاء» و هو تحريف. و الخلصاء: بلد بالدهناء، و الدهناء: من ديار بني تميم بنجد.
- 4- هو عدي بن نوفل بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة.
- 5- الكبول: جمع كبل بالفتح، و هو أعظم ما يكون من الأقياد. و كبه: قلبه و صرعه.
- 6- شوارع: جمع شارعة، أي مسددة، من شرعت الرماح أي تسدّت.
- 7- السيب: العطاء.
- 8- المحلل: أي من حلل إحراقنا في الأشهر الحرم.
- 9- فإن تلقين: مؤكد بنون التوكيد الخفيفة. وفي الأصول «فإن تلقيا».

و ظنّي بها حفظ لغيبي، ورعية *** لما استرعيت، و الظن بالغيب واسع (1)

وقلت لها في السرّ بيني وبينها *** على عجل: أيّان من سار راجع؟

فقلت: لقاء بعد حول و حجة *** و شحط النوى إلا لذي العهد قاطع (2)

وقد يلقي بعد الشتات أولو النوى *** و يسترجع الحيّ السحاب اللوامع (3)

و ما إن خذول نازعت جبل حابل *** لتنجو إلا استسلمت و هي ظالع (4)

بأحسن منها ذات يوم لقيتها *** لها نظر نحوي كذي البتّ خاشع (5)

رأيت لها نارا تشب، و دونها *** طويل القرا من رأس ذروة فارع (6)

فقلت لأصحابي: اصطلوا النار إنها *** قريب، فقالوا: بل مكانك نافع (7)

فيا لك من حاد حبوت مقيدا *** و أنحى على عرنين أنفك جادع (8)

أغيظا أرادت أن تحبّ حمالها *** لتفجع بالإظعان من أنت فاجع (9)

فما نطفة بالطود أو بضرية *** بقية سيل أحرزتها الوقائع (10)

يطيف بها حرّان صاد و لا يرى *** إليها سبيلا غير أن سيطالع (11)

بأطيب من فيها إذا جنّت طارقا *** من الليل و اخضلتّ عليك المضاجع (12)

أو حسبك من نأي ثلاثة أشهر *** و من حزن أن زاد شوقك رابع

ص: 355

1- في الأصول «حفظ بعيني» و هو تحريف، و الرعية: اسم من الرعاية.

2- الحجة: السنة. و الشحط: البعد.

3- النوى: البعد. يسترجع الحي، أي يرجعهم ويردهم.

4- الخذول من الظباء و البقر: التي تخذل صواحباتها و تتخلف عن القطيع و تنفرد مع ولدها؛ و يقال هو مقلوب لأنها هي المتروكة. ظلع كمنع: غمز في مشيه.

5- البتّ: أشد الحزن. و في ج «نجوى كذا الثب خاشع» و هو تحريف.

6- تشب: توقد. القرا: الظهر. ذروة: اسم جبل. الفارع: العالي.

7- اصطلوا النار: يريد جدوا في السير لنصطلي النار إنها قريب، يستوي فيه المذكر و المؤنث و الواحد و الجمع، أو تأويله: في مكان قريب.

8- في الأصول «فمالك» و لعله محرف. و أنحى: في الأصول «و الحي» و هو تحريف. و المعنى: فقالوا عجباً لك! إنك تسير سيرا بطيئاً

كحبو الصبي مقيدا، وقد جدع عرنين أنفك أي ليس لديك العدة الكافية للحاق بها فكيف تدركها؟ أو لعله يدعو عليّ فأمد القافلة بالأسر و جدع الأنف لأنه لم يلب طلبته.

9- في ج «أغيظي» وفي ب، س «أعيظا» وهو تصحيف، خبت: أسرعت، وقد أخبرها صاحبها. ظعن كمنع: سار، وأظعنه إظعانا: سيره. من أنت فاجع: أي أصحابك، والمعنى: أرادت أن تخب جمالها غيظا لك فيحملك ذلك على أن تشق على أصحابك وتجهدهم في السير، ويصح أن يكون «بالأظعان» بفتح الهمزة، جمع ظعينة: وهي المرأة ما دامت في الهودج، أي لتفجع أصحابك بهذه الطعائن المرتحلة - وفيهن محبوبته نعم - فتكدهم في السير لإدراكها.

10- النطفة: الماء الصافي قل أو كثر، والجمع نطاف. والطود: الجبل. و ضريرة: بئر، وفي الأصول «صرية» وهو تصحيف، والوقائع جمع وقية، وهي النقرة في الجبل يستتقع فيها الماء.

11- أطاف به: ألم به وقاربه. حران صاد: عطشان. طالع: اطلع عليه أي أشرف.

12- الطارق: الآتي ليلا. أخضلت: نديت.

سعى بينهم واش بأفلاق برمة *** لتفجع بالأطعان من هو جازع(1)

بكت من حديث بثّه وأشاعه *** ورصفه واش من القوم راصع(2)

ابكت عين من أبكاك لا يعرف البكا *** ولا تتخالجك الأمور النوازع(3)

فلا يسمعن سرّي وسرّك ثالث *** ألا كلّ سرّ جاوز اثنين شائع

و كيف يشيع السرّ منّي ودونه *** حجاب و من دون الحجاب الأضالع!

و حبّ لهذا الرّب يمضي أمامه *** قليل القلى منه جليل و رادع(4)

لهوت به حتى إذا خفت أهله *** و بين منه للحبيب المخادع

نزعت فما سرّي لأوّل سائل *** و ذو السر ما لم يحفظ السرّ ماذع(5)

وقد يحمد الله العزاء من الفتى *** و قد يجمع الأمر الشتيت الجوامع

ألا قد يسلى ذو الهوى عن حبيبه *** فيسلى، و قد تردي المطي المطامع

أو ما راعني إلا المنادى ألا اظعنوا *** وإلا الرواغي غدوة و القعاقع(6)

فجئت كأني مستضيف وسائل *** لأخبرها كلّ الذي أنا صانع

فقلت: تزحزح ما بنا كبر حاجة *** إليك و لا منّا لفقرك راقع

فما زلت تحت السّتر حتى كأنني *** من الحرّ ذو طمرين في البحر كارع(7)

فهزّت إليّ الرأس مني تعجّبا *** و عضّض مما قد فعلت الأصابع

فأيّهما ما أتبعنّ فإنني *** حزين على إثر الذي أنا وادع(8)

ص: 356

1- برمة: عرض من أعراض المدينة قرب «بلاكث» بين خيبر و وادي القرى، و هي عيون و نخل لتريش. و أفلاق جمع فلق كسبب، و هو

المطمئن من الأرض بين ربتين، و قد ورد جمعه في كتب اللغة على فلقان بالضم، و في الأصول «لتفجع» و هو تصحيف.

2- بث الخبر: نشره، و رصف الشيء كقتل: ضم بعضه إلى بعضه و نظمه (و قد ضعف الفعل هنا) و رصعه بالرمح: طعنه طعنا شديدا غيب

السنان كله فيه، و رصع الشيء: عقده عقدا مثلثا متداخلا كمعقد التميمة و نحوها.

3- تقدم هذا البيت في أبيات الصوت، و صدره: «بكت عين من أبكاك ليس لك البكا» و روى هنا في الأصول «بكت عين من أبكاك، لا

يعرف البكا» و لعل صوابه «لا يعدم البكا» أي لازمه وصاحبه، وهي جملة دعائية ثانية، دعا على الواشي في الجملة الأولى بأن تبكي عينه، وفي الثانية بأن يلازمه البكاء.

4- الربع: المنزل. في الأصول «قليل» مكان «جليل»، و لعل الصواب ما أثبتنا.

5- في ج «وادع» وفي ب و س «وازع» و أرى صوابه «ماذع» جاء في كتب اللغة: المذاع كشداد: من لا وفاء له و لا يحفظ أحدا بالغيب و من لا يكتم السر.

6- رغت الناقية رغاء: صوتت فهي راغية و الجمع الرواعي، وفي الأصول «الرواعي» و هو تصحيف، و القعاقع: تتابع أصوات الرعد في شدة، جمع قعقعة، و المراد هنا أصوات تقويض الأخبية و ما إلى ذلك تأهبا للرحيل. و قد قالوا: قعقت عمدهم و قعقت، أي ارتحلوا، أو هو «القعاقع» بالضم، رجل قعاقع: كثير الصوت.

7- الطمر: الثوب الخلق. كرع في الماء كمنع و سمع: تناوله بفيه من موضعه من غير أن يشرب بكفيه و لا بإناء، و كل خائض ماء كارع، شرب أو لم يشرب.

8- يستشهد بهذا البيت على استعمال وادع بمعنى تارك، اسم فاعل من ودع بمعنى ترك، ورد في «لسان العرب»: «و لا يقولون ودعتك و لا وذرتك استغنوا عنهما بتركتك و المصدر فيهما تركا، و لا يقال ودعا و لا وذرا و حكاهما بعضهم، و لا وادع، و قد جاء في بيت أنشده الفارسي في البصريات: «فأيهما ما أتبعنّ فإنني حزين على ترك الذي أنا وادع» و هكذا روى الشطر الأول في نسخة ج، و في ب، س «فأيهما منها اتبعت».

بكى من فراق الحيّ قيس بن منقذ *** وإذراء عيني مثله الدمع شائع (1)

بأربعة تنهّل لما تقدّمت *** بهم طرق شتى و هنّ جوامع (2)

و ما خلت بين الحيّ حتى رأيتهم *** بينونة السفلى و هبت سوافع (3)

كأن فؤادي بين شقين من عصا *** حذار وقوع البين و البين واقع

يحتّ بهم جاد سريع نجاؤه *** و معرى عن الساقين و الثوب واسع (4)

فقلت لها يا نعم حلّي محلّنا *** فإن الهوى يا نعم و العيش جامع (5)

فقلت و عيناها تفيضان عبرة *** بأهلي بين لي متى أنت راجع؟

فقلت لها تالله يدري مسافر *** إذا أضمرته الأرض ما الله صانع

فشدّت على فيها اللثام و أعرضت *** و أمعن بالكحل السّحيق المدامع (6)

و إني لعهد الودّ راع، و إنّي *** بوصلك ما لم يطوني الموت طامع

قال أبو عمرو: فأنشدت عائشة بنت طلحة بن عبيد الله هذه القصيدة، فاستحسنتها و بحضرتها جماعة من الشعراء. فقالت: من قدر منكم أن يزيد فيها بيتا واحدا يشبهها و يدخل في معناها فله حلّتي هذه، فلم يقدر أحد منهم على ذلك.

شعره في معشوقته نعم

قال أبو عمرو: و قال قيس أيضا يذكر بين الحيّ و تفرقهم و ينسب بنعم:

سقى الله أطلا لا بنعم ترادفت *** بهن التوى حتى حللن المطالبا (7)

فإن كانت الأيام يا أم مالك *** تسليكم عني و ترضي الأعدايا

فلا يأمن بعدي امرؤ فجع لذة *** من العيش أو فجع الخطوب العوافيا (8)

ص: 357

1- هذا البيت من قول حبيته بدليل «و إذراء عيني مثله» و الظاهر أنه قد سقط قبله من الرواية بيت أو أكثر، أذرت العين الدمع إذراء: صبته.

2- بأربعة، أي بأربع أعين و هي عيناها و عيناها. و انهلت العين: سالت بالدمع.

3- البين: الفراق. و بينونة: موضع بين عمان و البحرين، و هما بينونتان: بينونة الدنيا و بينونة القصوى، و كلتاهما في شق بني سعد بين عمان و يبرين، و في الأصول «وهن» و مكان «وهبت»؛ و هو تحريف. السوافع: لوافح السموم، سفعته الشمس و السموم: لفحته لفحا يسيرا

فغيرت لون بشرته وسودته.

4- النجاء: السرعة في السير.

5- في ج «خلي» وهو تصحيف.

6- أمعن الماء: سال وجرى.

7- المطالي: الأرض السهلة اللينة تنبت العضاء، واحدتها مطلاء على وزن مفعال. وهي مؤنثة لا غير. أطلاقاً جمع طلل، و طلل كل شيء

شخصه. ترادفت: تتابعت عليها الرحلة.

8- العوافي: جمع عافية وهي الطامسة.

أوبدلت من جدواك يا أم مالك *** طوارق همّ يحضرن و ساديا(1)

أوأصبحت بعد الأانس لابس جبّة *** أساقي الكماة الدارعين العواليا(2)

فيوماي يوم في الحديد مسربلا *** و يوم مع البيض الأوانس لاهيا

فلا مدركا حظا لدى أم مالك *** و لا مستريحا في الحياة فقاضيا(3)

خليلي إن دارت على أم مالك *** صروف الليالي فابعثنا لي ناعيا

و لا تركاني لا لخير معجل *** و لا لبقاء تنظران بقائيا

وإن الذي أمّلت من أم مالك *** أشاب قذالي و استهام فؤاديا(4)

فليت المنايا صبححتني غدّية *** بذبح و لم أسمع لبين مناديا(5)

نظرت و دوني يذبل و عماية *** إلى آل نعم منظرا متنائيا(6)

شكوت إلى الرحمن بعد مزارها *** و ما حملتني و انقطاع رجائيا

و قلت و لم أملك أعمرو بن عامر *** لحتف بذات الرّقميتين يرى ليا(7)

و قد أيقنت نفسي عشية فارقوا *** بأسفل وادي الدّوح أن لا تلاقيا(8)

إذا ما طواك الدهر يا أم مالك *** فشان المنايا القاضيات و شانيا(9)

أراد قوم من مزينة أسره فقاتلهم حتى قتل و هو يرتجز

إشارة

قال أبو عمرو: و قد أدخل الناس أبياتا من هذه القصيدة في شعر المجنون.

قال أبو عمرو: و كان من خبر مقتل قيس بن الحدادية أنه لقي جمعا من مزينة يريدون الغارة على بعض من يجدون منه غرة، فقالوا له: استأسر، فقال: و ما ينفعكم منّي إذا استأسرت و أنا خليع؟ و الله لو أسرتموني ثم طلبتم بي من قومي عنزا جرباء جذماء(10) ما أعطيتموها، فقالوا له: استأسر لا أم لك(11)! فقال: نفسي عليّ أكرم من ذلك، و قاتلهم حتى قتل. و هو يرتجز و يقول:

ص: 358

- 2- الجبة: الدرع. و الكمامة: جمع كميّ: و هو الشجاع المتكفي في سلاحه أي المتغطي المتستر بالدرع و البيضة. و رجل دارع: عليه درع. و العوالي جمع عالية، و هي أعلى الرمح و رأسه.
- 3- قاضيا: ميتا، من قضى، أي مات.
- 4- القذال: جماع مؤخر الرأس، و استهام فؤاده: أذهب.
- 5- غدية مثل عشية: لغة في غدوة، كضحية لغة في ضحوة، و الجمع غدايا كعشية و عشايا. و البين: الفراق.
- 6- يذبل و عماية: جبلان في بلاد نجد.
- 7- الرقمتان: روضتان إحداهما قريب من البصرة، و الأخرى بنجد. و في ج «أبزي ليا» و هو تحريف.
- 8- في ب، س «وادي الروح» و هو تحريف.
- 9- في الأصول «القاصيات» و هو تصحيف.
- 10- الجذماء. المقطوعة اليد.
- 11- يقول الرجل للرجل: «لا- أم لك» و هو شتم و سب، و معناه ليس لك أم حرّة، و ذلك أن بني الإمام عند العرب مذمومون ليسوا بمرضيين و لا لاحقين ببني الحرائر. و قيل: معناه أنت لقيط لا تعرف لك أم، و ربما وضع موضع المدح بمعنى التعجب منه.

أنا الذي تخلعه مواليه *** وكلهم بعد الصفاء قاله (1)

وكلهم يقسم لا يباله (2) *** أنا إذا الموت ينوب غاليه

مختلط أسفله بعاليه *** قد يعلم الفتیان آتي صاليه

إذا الحديد رفعت عواليه

وقيل: إنه كان يتحدث إلى امرأة من بني سليم، فأغاروا عليه وفيهم زوجها، فأفلت فنام في ظلّ وهو لا يخشى الطلب، فاتبعوه فوجدوه، فقاتلهم، فلم يزل يرتجز وهو يقاتلهم حتى قتل.

صوت

<شعر لابن قنبر في التشبيب>

صرمتني ثم لا كلمتني أبدا *** إن كنت خنتك في حال من الحال (3)

ولا اجترمت الذي فيه خيانتكم *** ولا جرت خطرة منه على بالي (4)

فسوّغيني المنى كيما أعيش بها *** وأمسكي البذل ما أطلعت آمالي (5)

أو عجّلي تلفي إن كنت قاتلتي *** أو نؤليني بإحسان وإجمال

الشعر لابن قنبر، والغناء ليزيد بن حوراء خفيف رمل بالبنصر عن عمرو بن بانه، وذكر إسحاق أنه لسليم ولم يذكر طريقته.

ص: 359

1- قاله: مبغضه.

2- في ب، س «لا يناليه»، يقال لا يباله ولا يباله به، والغالي في أمر: المبالغ فيه.

3- في الأصول «إن كنت جنتك»، وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما سيرد في الترجمة.

4- اجترم: أجرم وأذنب، وفي ب، ج «خطرة مني».

5- في الأصول: «أعيش به» وهو تحريف.

نسبه

هو الحكم بن محمد بن قنبر المازني مازن بني عمرو بن تميم، بصريّ شاعر ظريف من شعراء الدولة الهاشمية، وكان يهاجي مسلم بن الوليد الأنصاري مدّة، ثم غلبه مسلم.

هجاؤه مسلم بن الوليد

قال أبو الفرج: نسخت من كتاب جدّي يحيى بن محمد بن ثوابة بخطّه: حدّثني الحسن بن سعيد قال: حدّثني منصور بن جهور قال: لمّا تهاجى مسلم بن الوليد و ابن قنبر، أمسك عنه مسلم بعد أن بسط عليه لسانه، فجاء مسلما ابن عم له فقال: أيها الرجل، إنك عند الناس فوق هذا الرجل في عمود الشعر، وقد بعثت عليك لسانك ثم أمسكت عنه، فإما أن قاذعته، و إما أن سالمته؛ فقال له مسلم: إن لنا شيئا و له مسجد يتهجّد(1) فيه، و له دعوات يدعوها، و نحن نسأله أن يجعل بعض دعواته في كفايتنا إياه، فأطرق الرجل ساعة ثم قال:

غلب ابن قنبر و اللثيم مغلب *** لما اتّقيت هجاءه بدعاء(2)

ما زال يقذف بالهجاء و لدعه *** حتى اتقوه بدعوة الآباء

قال: فقال له مسلم: و الله ما كان ابن قنبر ليبلغ منّي هذا، فأمسك عني لسانك و تعرف خبره بعد، قال: فبعث الرجل و الله عليه من لسان مسلم ما أسكته.

أخبرني الحسن بن علي قال: حدّثنا ابن مهرويه قال: حدّثني محمد بن عبد الله العبدي القسري قال: رأيت مسلم بن الوليد و الحكم بن قنبر في مسجد الرصافة(3) في يوم جمعة، و كل واحد منهما بإزاء صاحبه، و كانا يتهاجيان، فبدأ مسلم فأنشد قصيدته:

أنا النار في أحجارها مستكنة *** فإن كنت ممّن يقدح النار فاقدح(4)

و تلاه ابن قنبر فأنشد قوله:

قد كدت تهوي و ما قوسي بموترة *** فكيف ظنك بي و القوس في الوتر(5)

فوثب مسلم و تواخزا(6) و توثبا حتى حجز الناس بينهما فتفرّقا، فقال رجل لمسلم - و كان يتعصب له -: ويحك! أعجزت عن الرجل حتى و اثبتته؟ قال: أنا و إيّاه لكما قال الشاعر:

ص: 360

1- التهجد: صلاة الليل.

2- المغلب: المحكوم له بالغلبة.

3- يعني رصافة بغداد، و هي في الجانب الشرقي.

4- في الأصول: «إذا النار» ولعل الصواب ما أثبتناه.

5- أوتر القوس: جعل لها وترا.

6- تواخزا: تطاعنا طعنا غير نافذ، وقيل فيه غير ذلك. وفي الأصول: «وتواخذا» بالذال؛ وهو تصحيف.

هنيئاً مريئاً أنت بالفحش أبصر

و كان ابن قنبر مستعلياً عليه مدّة، ثم غلبه مسلم بعد ذلك، فمن مناقضتهما قول ابن قنبر:

و من عجب الأشياء أنّ لمسلم *** إليّ نزاعاً في الهجاء و ما يدري (1)

و الله ما قيست عليّ جدوده *** لدي مفخر في الناس قوساً و لا شعري (2)

و لابن قنبر قوله:

كيف أهجوك يا لئيم بشعري *** أنت عندي فاعلم هجاء هجائي

يا دعني الأنصار بل عبدها النذ *** ل تعرّضت لي لدرك الشقاء

أنشد المأمون بيتين له و أمر ابن محرز بتلحينها.

إشارة

أخبرني عيسى بن الحسين الوزّاق قال: حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدّثني أبو توبة، عن محمّد بن جبير (3) عن الحسين بن محرز المغنّي المدني قال: دخلت يوماً على المأمون في يوم نوبتي و هو ينشد:

صوت

فما أقصر اسم الحبّ يا ويح ذي الحبّ *** و أعظم بلواه على العاشق الصبّ

يمرّ به لفظ اللسان مشمراً *** و يغرق من ساقاه في لجج الكرب

فلما بصر بي قال: تعال يا حسين، فجنّت، فأنشدني البيتين، ثم أعادهما عليّ حتى حفظتهما، ثم قال: اصنع فيهما لحناً، فإن أجدت سررتك، فخلوت و صنعت فيهما لحنين المشهور، و عدت فغنّيته إيّاه، فقال: أحسنت، و شرب عليه بقيّة يومه، و أمر لي بألف دينار، و الشعر لحكم بن قنبر.

شعره في النسيب

أخبرني محمّد بن الأزهر قال: حدّثني حماد بن إسحاق، عن أبيه، عن محمّد بن سلام قال: أنشدني ابن قنبر لنفسه:

ويلي على من أطار النوم و امتنعا *** و زاد قلبي على أوجاعه و جعا

ظبي أغرّ ترى في وجهه سرجا *** تعشي العيون إذا ما نوره سطعا(4)

كأنما الشمس في أثوابه بزغت *** حسنا، أو البدر في أردانه طلعا(5)

فقد نسيت الكرى من طول ما عطلت *** منه الجفون و طارت مهجتي قطعاً

ص: 361

-
- 1- نزع إليه نزاعاً: اشتاق، كنازع.
 - 2- عليّ: على جدودي وأصولي. قوساً: مقدار قوس.
 - 3- في الأصول: «حبر» بالحاء المهملة؛ والتصويب عن «الأغاني» ج 13:277 سطر 14.
 - 4- سرجاً: جمع سراج. تعشى العيون: أعشاه فعشى (كفرح) عشا، والعشا سوء البصر، وفي الأصول «يغشي».
 - 5- أردان: جمع ردن بالضم، وهو أصل الكم.

قصته مع جوار تعرض له

قال ابن سلام: ثم قال ابن قنبر: لقيتني جوار من جوارى سليمان بن علي في الطريق الذي بين المربد وقصر أوس، فقلن لي: أنت الذي تقول:

ويلي على من أطار النوم وامتتعا

فقلت: نعم. فقلن: أمع هذا الوجه السمج تقول هذا؟ ثم جعلن يجذبني ويلهون بي حتى أخرجني من ثيابي، فرجعت عاريا إلى منزلي. قال: وكان حسن اللباس.

حفظ علي بن محمد النوفلي من شعره

أخبرني محمد بن الحسين الكندي مؤدبي قال: حدثني علي بن محمد النوفلي قال: حدثني عمي قال: دخل الحكم بن قنبر على عمي - و كان صديقا له - فبش به ورفع مجلسه، وأظهر له الأوس والسور، ثم قال: أنشدني أبياتك التي أقسمت فيها بما في قلبك. فأنشده:

و حق الذي في القلب منك فإنه *** عظيم لقد حصنت سرّك في صدري

ولكنما أفشاه دمعى، وربما *** أتى المرء ما يخشاه من حيث لا يدري

فهب لي ذنوب الدمع، إنى أظنه *** بما منه يبدو إنما يبتغي ضري

ولو يبتغي نفعي لخلّى ضمائري *** يرّد على أسرار مكنونها ستري

فقال لي: يا بني اكتبها واحفظها، ففعلت و حفظتها يومئذ وأنا غلام.

رواية محمد بن سلام لشعره و اعتراضه عليه

إشارة

أخبرني اليزيدي قال: أخبرني عمي عن ابن سلام، وأخبرني به أحمد عن ابن عباس العسكري عن القنبري عن محمد بن سلام قال: أنشدني ابن قنبر لنفسه قوله:

صرمتي ثم لا كلمتني أبدا *** إن كنت خنتك في حال من الحال

ولا اجترمت الذي فيه خيانتكم *** ولا جرت خطرة منه على بالي

قال: فقلت له وأنا أضحك: يا هذا لقد بالغت في اليمين. فقال: هي عندي كذاك، وإن لم تكن عندك كما هي عندي.

قال اليزيدي: قال عمّي وهو الذي يقول (و فيه غناء):

صوت

/ليس فيها ما يقال له *** كملت لو أنّ ذا كملا

كلّ جزء من محاسنها *** كائن في فضله مثلاً

لو تمّت في ملاحظتها *** لم تجد من نفسها بدلاً

فيه لحن لابن القصّار رمل.

ص: 362

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثني ابن مهرويه قال: قال لي إبراهيم بن المدبّر: أتعرف الذي يقول(1):

إن كنت لا ترهب ذمّي لما *** تعرف من صفحي عن الجاهل

فاخش سكوتي فطنا منصتا *** فيك لتحسين خنا القائل(2)

مقالة السوء إلى أهلها *** أسهل من منحدر سائل

و من دعا الناس إلى ذمّه *** ذمّوه بالحقّ وبالباطل

/فقلت: هذه للعتابي، فقال: ما أنشدتها إلا لابن قنبر، فقلت له: من شاء منهما فليقلها، فإنّه سرقه من قول عبيد الله بن عبد الله بن عتبة:

وإن أنا لم أمر ولم أنه عنكما *** سكتّ له حتى يلجّ ويستشري(3)

ذم كل قرشي لم يتخلق بأخلاق قريش

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا ابن مهرويه قال: حدّثني أبو مسلم يعني محمّد بن الجهم قال: أطعم رجل من ولد عبد الله بن كرز صديقا له ضيعة، فمكثت في يده مدة، ثم مات الكريزي، فطالب ابنه الرجل بالضيعة، فمنعه إياها، فاختصما إلى عبيد الله بن الحسن، فقبل له: ألا تستحي! تطالب بشيء إن كنت فيه كاذبا أثمت، وإن كنت صادقا فإنما تريد أن تنقض مكرمة لأبيك، فقال له ابن الكريزي - وكان ساقطا - الشحيح أعظم من الظالم أعزك الله، فقال له عبيد الله بن الحسن: هذا الجواب والله أعزّ من الخصومة ويحك، وهذا موضع هذا القول، اللهم اردد على قريش أخطارها(4)، ثم أقبل علينا فقال: لله درّ الحكم بن قنبر حيث يقول:

إذا القرشيّ لم يشبه قريشا *** بفعلهم الذي بدّ الفعالا

فجرميّ له خلق جميل *** لدى الأقسام أحسن منه حالا(5)

تمثل الرشيد بشعره للعباس بن محمّد

أخبرني محمّد بن الحسين الكندي قال: حدّثنا الحسن بن عليل العنزّي قال: حدّثنا مسعود بن بشر قال: شكّا العباس بن محمّد إلى الرشيد أن ربيعة الرقيّ/هجاه فقال له: قد سمعت ما كان مدحك به، وعرفت ثوابك إياه، وما قال في ذمك بعد ذلك، فما وجدته ظلمك به، والله درّ ابن قنبر حيث قال:

و من دعا الناس إلى ذمّه *** ذمّوه بالحقّ وبالباطل

- 1- أورد صاحب «زهر الآداب» «ج 2: ص 110» ثمانية أبيات منها الأربعة المذكورة هنا، ونسبها لمحمد بن حازم الباهلي.
- 2- الخنا من الكلام: أفحشه، وفي ج «حني» وفي ب، س «جني» وهو تصحيف، ورواية «زهر الآداب»: فاحش سكوتي إذ أنا منصت فيك لمسموع خنا القائل
- 3- في ج، ب، س «يلج و يشترى». والتصويب عن «مختار الأغاني الكبير» 3:413، استشرى الفرس في سيره: لج و مضى وجد فيه بلا فتور و لا انكسار، و من هذا يقال للرجل إذا لَجَّ في الأمر: قد شرى فيه كفرح و استشرى.
- 4- أخطارها: أقدارها.
- 5- جرمي: نسبة إلى جرم بن زبان، بطن من قضاة.

وبعد، فقد اشتريت عرضك منه، و أمرته بأن لا يعود لدمك تعريضا و لا تصريحاً.

شعره في مرض موته

إشارة

أخبرني محمّد بن العباس اليزيدي قال: حدّثنا أحمد بن أبي خيثمة قال: حدّثنا محمّد بن سلام قال: مرض ابن قنبر فأتوه بخصيب الطبيب يعالجه، فقال فيه:

ولقد قلت لأهلي *** إذ أتوني بخصيب

ليس و الله خصيب *** للذي بي بطيب

إنما يعرف داني *** من به مثل الذي بي

قال: وكان خصيب عالما بمرضه، فنظر إلى مائه فقال: زعم جالينوس أن صاحب هذه العدة إذا صار ماؤه هكذا لم يعيش، فقيل له: إن جالينوس ربما أخطأ، فقال: ما كنت إلى خطئه أحوج مني إليه في هذا الوقت. قال: و مات من علته.

صوت

<شعر للأسود بن عمارة>

خليلي من سعد ألمّا فسلمّا *** على مريم، لا يبعد الله مريما

وقولا لها هذا الفراق عزمته *** فهل من نوال قبل ذاك فنعلما

الشعر للأسود بن عمارة النوفلي، والغناء لدهمان ثاني ثقيل بالوسطى.

نسبه و أخباره

إشارة

هو - فيما أخبرني به الحرميّ بن أبي العلاء و الطّوسي، عن الزبير بن بكار، عن عمّه - الأسود بن عمار بن الوليد بن عديّ بن الخيار بن عدي بن نوفل بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤي بن غالب، و كان الأسود شاعرا أيضا.

قال الزبير - فيما حدّثنا به شيخنا(1) المذكوران عنه - : و حدّثني عمّي قال: كان عمار بن الوليد النوفلي أبو الأسود بن عمار شاعرا، و هو الذي يقول:

صوت

<شعره في معشوقته هند>

تلك هند تصدّ للبين صدّا *** أدلا لا أم هند تهجر جدّا(2)

أم لتنكا به قروح فؤادي *** أم أرادت قتلي ضرارا و عمدا(3)

قد براني و شقني الوجد حتى *** صرت مما ألقى عظاما و جلدا

أيها الناصح الأمين رسولا *** قل لهند عني إذا جئت هنداً

علم الله أن قد أوتيت مني *** غير منّ بذاك نصحا و ودّا

ما تقرّبت بالصفاء لأذنو *** منك إلا نأيت و ازددت بعدا

الغناء لعبادل خفيف رمل بالبنصر في مجراها عن إسحاق، و في كتاب حكم: الغناء له خفيف رمل، و في كتاب يونس: فيه لحن ليونس غير مجسّس، و فيه ليحيى المكي أو لابنه أحمد بن يحيى ثقيل أول:

ولايته بيت المال

قال الزبير: قال عمّي و من لا يعلم: يروى هذا الشعر لعمار بن الوليد النوفلي، قال: و كان الأسود يتولى بيت المال بالمدينة، و هو القائل:

خليليّ من سعد ألمّا فسلمّا *** على مريم، لا يبعد الله مريما

وقولا لها هذا الفراق عزمته *** فهل من نوال قبل ذلك فنعلما

ص: 365

-
- 1- في ب؛ س «شيخنا المذكور عن عمه».
 - 2- كذا في ب، س. و الذي في ج: «أم هجر هند أجدا».
 - 3- نكأ القرحة كمنع: قشرها قبل أن تبرأ فنديت.

شعره في محمد بن عبد الله بن كثير

قال: وهو الذي يقول لمحمد بن عبيد الله بن كثير بن الصلت:

ذكرناك شرطيا فأصبحت قاضيا *** وصررت أميرا، أبشري قحطان

/أرى نزوات بينهن تفاوت *** وللدهر أحداث وذا حدثان(1)

أقيمي بني عمرو بن عوف أو اربعي *** لكل أناس دولة وزمان(2)

قال: وإنما خاطب بني عمرو بن عوف هاهنا لأن الكثيري كان تزوج إليهم، وإنما قال: «أبشري قحطان» لأن كثير بن الصلب من كندة حليف لقريش.

قصته مع محبوبته مريم

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدّثني علي بن سليمان النوفلي أحد بني نوفل بن عبد مناف قال:

كان أبي يتعشق جارية مولّدة مغنّية لامرأة من أهل المدينة، ويقال للجارية مريم، فغاب غيبة إلى الشام، ثم قدم فنزل في طرف المدينة، و حمل متاعه على حمة الين، وأقبل يريد منزله، وليس شيء أحبّ إليه من لقاء مريم، فبينما هو يمشي إذ هو بمولاة مريم قائمة على قارعها(3)، وعيناها تدمعان، فسألهما وسأله، فقال للعجوز: ما هذه المصيبة التي أصبت بها؟ قالت: لم أصب بشيء إلا مبيعي مريم، قال: وممن بعتهما؟ قالت: من رجل من أهل العراق، وهو على الخروج، وإنما ذهبت بها حتى ودّعت أهلها، فهي تبكي من أجل ذلك، و أنا أبكي من أجل فراقها، قال:

الساعة تخرج؟ قالت: نعم الساعة تخرج، فبقي(4) متبلّدا حائرا، ثم أرسل عينيه يبكي، وودّع مريم وانصرف، وقال قصيدته التي أولها:

خليلي من سعد ألمًا فسلمًا *** على مريم، لا يبعد الله مريما

وقولا لها هذا الفراق عزمته *** فهل من نوال قبل ذاك فنعلما

قال: وهي طويلة؛ وقد غنّى بعض أهل الحجاز في هذين البيتين غناء زيانيا(5). هكذا قال ابن عمّار في خبره.

قصته في بيتين من شعره

أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال: حدّثني ابن مهرويه قال: حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدّثني أبو العباس أحمد بن مالك اليمامي، عن عبد الله بن محمد البواب قال: سألت الخيزران(6) موسى الهادي أن يولي خاله الغطريف اليمن، فوعدها بذلك و دافعها(7) به، ثم كتبت إليه يوما رقعة تتنجزه فيها أمره، فوجه إليها برسولها يقول:

- 1- نزوات: جمع نزوة من نزا ينزونزوا إذا وثب، قال ابن الأثير: وقد يكون في الأجسام والمعاني، وحدثنا الدهر وأحداثه: حوادثه ونوبه.
- 2- ربع كمنع: انتظر و تحبس.
- 3- قارعتها، أي قارعة المدينة، وقارعة الطريق: أعلاه.
- 4- في الأصول «متلبدا» وهو تحريف.
- 5- نسبة إلى الزيانب، وهي اسم لسبعة أصوات ليونس الكاتب، والشعر فيها كلها لابن رهيمة المدني في زينب بنت عكرمة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام (انظر أخبار يونس الكاتب في الجزء الرابع من «الأغاني» ص 402 طبع دار الكتب).
- 6- الخيزران: أم موسى الهادي الخليفة العباسي.
- 7- ويقال: دافع فلان فلانا في حاجته إذا مطله فيها فلم يقضها له وفي الأصول: «و دفعها».

خَيْرِيه بين اليمن و طلاق ابنته، أو مقامي عليها و لا- أوليه اليمن، فأيهما فاختار فعلته، فدخل الرسول إليها - ولم يكن فهم عنه ما قال - فأخبرها بغيره، ثم خرج إليه فقال: تقول لك: ولاية اليمن، فغضب و طلق ابنته و ولاه اليمن، و دخل الرسول فأعلمه بذلك، فارتفع الصياح/من داره، فقال: ما هذا؟ فقالوا: من دار بنت خالك، قال: أو لم تختري ذلك! قالوا: لا، و لكن الرسول لم يفهم ما قلت فأذى غيره، و عجلت بطلاقها، ثم ندم و دعا صالحا صاحب المصلّى و قال له: أقم على رأس كل رجل بحضرتي من التّدماء رجلا بسيف، فمن لم يطلق امرأته منهم فلتضرب عنقه، ففعل ذلك، و لم يبرح من حضرته أحد إلاّ و قد طلق امرأته، قال ابن البواب: و خرج الخدم إليّ فأخبروني بذلك و على الباب رجل واقف متلّع بطيلسانه يراوح(1) بين رجله، فخطر ببالي:

خليليّ من سعد ألمّا فسلمّا *** على مريم، لا يبعد الله مريما

و قولاً لها: هذا الفراق عزمته *** فهل من نوال قبل ذاك فنعلما

/فأنشدته فيعلما بالياء، فقال لي: فنعلما بالنون، فقلت له: فما الفرق بينهما؟ فقال: إن المعاني تحسّن الشعر و تقسده، و إنما قال: «فنعلما» ليعلم هو القصة، و ليس به حاجة إلى أن يعلم الناس سره، فقلت: أنا أعلم بالشعر منك، قال: فلمن هو؟ قلت: للأسود بن عمارة، قال: أو تعرفه؟ قلت: لا، قال: فأنا هو، فاعتذرت إليه من مراجعتي إياه، ثم عرّفته خبر الخليفة فيما فعله، فقال: أحسن الله عزاءك، و انصرف و هو يقول: «هذا أحقّ منزل بترك»(2).

شعره في تولية أبي جعفر المدينة

إشارة

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال: حدّثنا الزبير بن بكار قال: كان محمّد بن عبيد الله بن كثير بن الصّلت على شرطة المدينة، ثم ولي القضاء، ثم ولي القضاء، ثم ولاه أبو جعفر المدينة و عزل عبد الصمد بن علي، فقال الأسود بن عمارة:

/ذكرتك شرطيا، فأصبحت قاضيا *** فصرت أميرا، أبشري قحطان(3)

أرى نزوات بينهنّ تفاوت *** و للدهر أحداث و ذا حدثان

أرى حدثا ميطان منقطع له *** و منقطع من بعده ورقان(4)

أقيمي بني عمرو بن عوف أو اربعي *** لكلّ أناس دولة و زمان

صوت

<شعر لعلي بن الخليل>

هل للدهر قد مضى من معاد *** أو لهمّ داخل من نفاد

1- في س «يروح»؛ وهو تحريف. و المراوحة بين الرجلين: أن يقوم على كل مرة.

2- في ب، و س «ينزل»؛ وهو تحريف.

3- في ج «خفرتك» وفي ب و س «جفوتك». و لعل صوابه ما أثبتنا. وقد ذكر البيت قريبا وروايته «ذكرناك».

4- ميطن: من جبال المدينة، ضبطه صاحب «القاموس» فقال: كميزان، و كذا ضبط في «اللسان» بكسر الميم، وفي «معجم البلدان» بفتح أوله، وفي ب، س «ميطان» بالباء و هو تصحيف. ورقان: جبل أسود على يمين المصعد من المدينة إلى مكة، و نسبه «معجم البلدان» إلى نوفل بن عمارة بن الوليد قال: أرى حدثا ميطن منقلع به و منقطع من دونه ورقان

أذكرتني عيشة قد تولّت *** هاتقات نحن في بطن وادي(1)

هجن لي شوقا وألهبن نارا *** للهوى في مستقرّ الفؤاد

بأن أحبابي وغودرت فردا *** نصب ما سرّ عيون الأعداي

الشعر لعلي بن الخليل، والغناء لمحمد الرف، و لحنه خفيف رمل بالبنصر من رواية عمرو بن بانه.

ص: 368

1- هاتقات: نائحات.

نسبه وأخباره

هو رجل من أهل الكوفة مولى لمعن بن زائدة الشيباني، ويكنى أبا الحسن، وكان يعاشر صالح بن عبد القدوس لا يكاد يفارقه، فاتَّهم بالزُّندقة، وأخذ مع صالح ثم أطلق لَمَّا انكشف أمره.

كان مولى معن بن زائدة الشيباني

قال محمّد بن داود بن الجراح: حدّثني محمّد بن الأزهر عن زياد بن الخطاب عن الرشيد، أنه جلس بالرافقة (1) للمظالم، فدخل عليه علي بن الخليل وهو متوكئ على عصا، وعليه ثياب نظاف، وهو جميل الوجه حسن الثياب، في يده قصة (2)، فلما رآه أمر بأخذ قصته (2)، فقال له يا أمير المؤمنين: أنا أحسن عبارة (3) لها، فإن رأيت أن تأذن لي في قراءتها فعلت. قال: اقرأها، فاندفع ينشده [فيها] (4) قصيدته:

يا خير من وخذت بأرحله *** نجب الرّكاب بمهمه جلس (5)

فاستحسنها الرشيد وقال له: من أنت؟ قال: أنا علي بن الخليل الذي يقال فيه إنه زنديق، فضحك وقال له: أنت آمن، وأمر له بخمسة آلاف درهم، وخص به بعد ذلك وأكثر مدحه.

حبسه الرشيد مع صالح بن عبد القدوس ثم مدحه فأطلقه

/أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حدّثنا أحمد بن يحيى ثعلب قال: كان الرشيد قد أخذ صالح بن عبد القدوس وعلي بن الخليل في الزندقة - وكان علي بن الخليل استأذن أبا نواس في الشعر - فأنشده علي بن الخليل:

يا خير من وخذت (6) بأرحله *** نجب تخبّ بمهمه جلس (6)

تطوي السباسب في أزمتها *** طيّ التجار عمائم البرس (7)

لما رأتك الشمس إذ طلعت *** كسفت بوجهك طلعة الشمس (8)

ص: 369

1- الرافقة: بلد متصل البناء بالرقّة وهما على ضفة الفرات، من أعمال الجزيرة، بناه المنصور سنة 155 هـ على بناء مدينة بغداد ورتب به جندا من أهل خراسان وجرى ذلك على يد المهدي وهو ولي عهده ثم بنى الرشيد قصور هذا البلد.

2- في «أمالى السيد المرتضى» 101:1 «قصيدة».

3- في «أمالى المرتضى» «أنا أحسن قراءة لها من غيري».

4- عن ج.

5- في ج «وخذت بأرجله» في ب، س: «وخزت بأرجله» وهو تحريف. ووخد البعير كوعد وخدا: أسرع ووسع الخطو، أو رمى بقوائمه

- كمشي النعام، وأرحل جمع رحل، وهو مركب للبعير. نجب جمع نجيب، والنجيب من الإبل: القوي الخفيف السريع. والمهمة:
المفازة البعيدة. والجلس: الغليظ من الأرض.
- 6- في ج «وجدت»، ويقال: خبت الناقة خبا وخبيا: أسرع.
- 7- السباب: جمع سبب، وهي المفازة. والبرس بالكسر والضم: القطن.
- 8- في «أمالى السيد المرتضى» «سجدت لوجهك».

- خير البرية أنت كلهم *** في يومك الغادي و في أمس
و كذاك لن تنفك خيرهم *** تمسي و تصبح فوق ما تمسي
للّه ما هارون من ملك *** برّ السريرة طاهر النفس
ملك عليه لربّه نعم *** تزداد جدّتها على اللبس
تحكي خلافته ببهجتها *** أنق السرور صبيحة العرس(1)
من عترة طابت أرومتهم *** أهل العفاف و منتهى القدس(2)
نطق إذا احتضرت مجالسهم *** و عن السفاهة و الخنا خرس
إني إليك لجأت من هرب *** قد كان شرّدي و من لبس(3)
أو اخترت حكمك لا أجازه *** حتى أوسد في ثرى رمسي(4)
لما استخرت اللّه في مهل *** يّممت نحوك رحلة العنس(5)
كم قد قطعت إليك مدرّعا *** ليلا بهيم اللّون كالتّقس(6)
إن هاجني من هاجس جزع *** كان التوكّل عنده ترسي
ما ذاك إلا أنني رجل *** أصبو إلى بقر من الإنس
بقر أو انس لا قرون لها *** نجل العيون نواعم لعس(7)
ردع العبير على ترائبها *** يقبلن بالترحيب و الخلس(8)
و أشاهد الفتیان بينهم *** صفراء عند المزج كالورس(9)
للماء في حافاتها حبب *** نظم كرقم صحائف الفرس(10)
و اللّه يعلم في بقيته *** ما إن أضعت إقامة الخمس(11)

ص: 370

1- الأثق: الفرح و السرور.

2- عترة الرجل: نسله و رهطه الأذنون. و في «أمالي المرتضى» «من عصابة». و الأرومة و تضم: الأصل.

- 3- اللبس: الالتباس والاشتباه.
- 4- الرمس: القبر، والثرى: التراب.
- 5- العنس: الناقة الصلبة.
- 6- في س «كم قطعت». وادّرع: لبس الدرع، والمعنى: لابساً الليل كأنه درع. و البهيم: الأسود. والنقس: المداد.
- 7- نجل: جمع، نجلاء وصف من النجل بالتحريك، وهو سعة العين. لعس جمع لعساء: وصف من اللعس، وهو سواد يعلو شفة المرأة البيضاء؛ وقيل: هو سواد في حمرة.
- 8- العبير: أخلاط من الطيب. والردع: أثر الطيب في الجسد. والترائب: ما ولى الترقوتين، واحدها تريبة. الخلس: النظر خلسة. وفي «أمالي المرتضى»: «يقتلن بالتطويل والحبس».
- 9- الورس: صبغ أصفر، وفي «أمالي المرتضى»: «أجاذب الفتیان بينهم صهباء مثل مجاجة الورس».
- 10- الحبب: النفاخات و الفقاقيع التي تطفو فوق الخمر كأنها القوارير.
- 11- بقية الله: طاعته وانتظار ثوابه. وفي «أمالي المرتضى» «في بريته».

أفأطلقه للرشيد، وقتل صالح بن عبد القدوس، واحتج عليه في أنه لا يقبل له توبة بقوله:

و الشيخ لا يترك أخلاقه *** حتى يوارى في ثرى رسمه

وقال: إنما زعمت ألا تترك الزندقة و لا تحول عنها أبدا.

شعره في يعقوب بن داود و ابن علاثة

أخبرني محمد بن خلف وكيع، قال: حدّثني أحمد بن زهير بن حرب، قال: كان عافية بن يزيد يصحب ابن علاثة(1)، فأدخله على المهدي، فاستقضاه معه بعسكر المهديّ وكانت قصة يعقوب مع أبي عبيد الله(2) كذلك، أدخله إلى المهديّ ليعرض عليه، فغلب عليه، علي بن الخليل في ذلك:

عجبا لتصريف الأمو *** ر مسرة و كراهية(3)

ارثت ليعقوب بن دا *** ود حبال معاوية(4)

و عدت علي ابن علاثة ال *** قاضي بوائق عافيه(5)

أدخلته فعلا علي *** ك كذاك شؤم الناصية

و أخذت حتفك جاهدا *** يمينك المتراخية(6)

يعقوب ينظر في الأمو *** ر و أنت تنظر ناحيه

ولاية ابن الجهم السوس لإنشاده شعره

أخبرني عمي الحسن بن محمد قال: حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدّثني محمد بن عمرو بن فراس

ص: 371

1- عافية بن يزيد الأودي، و محمد بن عبد الله بن علاثة الكلابي، استقضاهما المهدي سنة 161 كانا يقضيان في عسكره، و قد شرك بينهما في القضاء فكانا يقضيان جميعا في المسجد الجامع في الرصافة، هذا في أدناه، و ذاك في أقصاه، و كان عافية أكثرهما دخولا على المهدي («تاريخ بغداد» 12: 307).

2- هو أبو عبيد الله معاوية بن يسار من موالي الأشعريين، كان كاتب المهدي و نائبه قبل الخلافة، فلما ولي الخلافة فوض إليه تدبير المملكة، و سلم إليه الدواوين، و كان من أبرع الكتاب و أوسعهم حذقا و علما و خبرة، ثم إن الربيع بن يونس ما زال يسعى به إلى المهدي حتى عزله عن الوزارة، و أفرد في «ديوان الرسائل»، و استوزر يعقوب بن داود سنة 163 ثم عزل أبا عبيد الله عن «ديوان الرسائل» سنة 167 و رتب في الربيع بن يونس، و مات أبو عبيد الله سنة 170 هـ، و كان يعقوب بن داود من الموالي أيضا و قد فوض المهدي إليه الأمور كلها و سلم إليه الدواوين و قدمه على جميع الناس حتى قال بشار بن برد يهجوه: بني أمية هبوا طال نومكم إن الخليفة يعقوب بن داود ضاعت

خلافتكم يا قوم فالتمسوا خليفة الله بين الزرق و العود ثم إن الساعين ما زالوا يسعون بيعقوب إلى المهدي حتى نكبه و حبسه، فلم يزل كذلك أيام المهدي و مدة الهادي حتى أخرجه الرشيد، و مات سنة 187 - اقرأ أخبار الأول في «تاريخ الطبري» 9:339 و 9:10 و «الفخري» ص 163. و أخبار الثاني في «وفيات الأعيان» لابن خلكان 2:331 و «الفخري».

3- في «وفيات الأعيان»: فقال في ذلك علي بن الخليل الكوفي من جملة أبيات: قل للوزير أبي عبي د الله هل من باقيه ثم أورد البيت السادس فالرابع فالخامس مما ورد هنا.

4- في الأصول «دب» و هو تصحيف. و معاوية: اسم الوزير أبي عبيد الله.

5- بوائق جمع بانقة، و هي الداهية.

6- في الأصول «ضيفك» و هو تخريف؛ و التصويب من «وفيات الأعيان».

الدّهلي عن أبيه قال: قال لي محمّد بن الجهم البرمكي: قال لي المأمون يوماً: يا محمّد: أنشدني بيتاً من المديح جيّداً فإخرا عريباً لمحدث حتى أوليك كورة تختارها. قال قلت: قول علي بن الخليل:

فمع السماء فروع نبعثهم *** ومع الحضيض منابت الغرس(1)

متهلّلين على أسرتهم *** ولدى الهياج مصاعب شمس(2)

أقول: أحسنت، وقد وليتكَ الدّينور، فأنشدني بيت هجاء على هذه الصّفة حتى أوليك كورة أخرى، فقلت: قول الذي يقول:

قبحت مناظرهم فحين خبرتهم *** حسنت مناظرهم لقبح المخبر(3)

أقول: قد أحسنت، قد وليتكَ همذان، فأنشدني مرثية على هذا حتى أزيدك كورة أخرى، فقلت: قول الذي يقول:

أرادوا ليخفوا قبره عن عدوّه *** فطيب تراب القبر دل على القبر

أقول: قد أحسنت، قد وليتكَ نهاوند، فأنشدني بيتاً من الغزل على هذا الشرط حتى أوليك كورة أخرى، فقلت: قول الذي يقول:

تعالى نجدد دارس العلم(4) بيننا *** كالنا على طول الجفاء ملوم

أقول: قد أحسنت، قد جعلت الخيار إليك فاختر، فاخترت السّوس من كور الأهواز، فولاني ذلك أجمع، ووجّهت إلى السّوس بعض أهلي.

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حدّثنا محمّد بن يزيد، عن التّوّزيّ قال: نزل أبو دلامة بدهقان(5) يكنى أبا بشر، فسقاه شراباً أعجبه، فقال في ذلك:

سقاني أبو بشر من الراح شربة *** لها لذة ما ذقتها لشراب

و ما طبخوها غير أنّ غلامهم *** سعى في نواحي كرمها بشهاب(6)

قال: فأنشد علي بن الخليل هذين البيتين فقال: أحرقه العبد أحرقه الله.

تهنئة يزيد بن يزيد بمولوده

أخبرني الحسن بن علي، وعمي الحسن بن محمّد، قالوا: حدّثنا ابن مهوريه قال: حدّثني محمّد بن عمران

ص: 372

1- النبعة: واحدة النبع، وهو شجر للقسي والسهم. والحضيض: القرار في الأرض.

2- تهلل الوجه: تالأل. ومصاعب: جمع مصعب (بضم الميم وفتح العين)، وهو الفحل الذي لم يمسه جبل ولم يركب. ورجل مصعب: مسود. وشمس: جمع شمس كصبور من شمس الفرس: إذا منع ظهره. «و متهلّلين» و «مصاعب شمس» نعوت لعترة في قوله

«من عترة طابت أرومتهم». و البيتان من قصيدته السينية السابقة، وقد ورد البيت الأول ضمن أبياتها في «أمالى المرتضى»، و أوله: «فوق النجوم».

3- هذا البيت و الذى يليه لمسلم بن الوليد الأنصارى.

4- كذا فى الأصول: و لعله «الوصل» أو «العهد» كما يرشد إليه ما يأتى بعد من قوله: «على طول الجفاء».

5- الدهقان: رئيس الإقليم، فارسى معرب.

6- الشهاب: شعلة من نار ساطعة، شبه به الخمر.

الضبيّ عن عليّ بن يزيد قال، ولد ليزيد(1) بن مزيد ابن، فأتاه عليّ بن الخليل، فقال: اسمع أيها الأمير تهنئة بالفارس الوارد، فتبسّم وقال: هات، فأنشده:

يزيد يا ابن الصيّد من وائل *** أهل الرئاسات وأهل المعال(2)

يا خير من أنجبه(3) والد *** ليهنك الفارس ليث النزال

جاءت به غزاة ميمونة *** والسعد يبدو في طلوع الهلال

عليه من معن و من وائل *** سيما تبشير و سيما جلال(4)

والله يبقيه لنا سيّدا *** مدافعا عنّا صروف الليال

حتى نراه قد علا منبرا *** و فاض في سؤاله بالنوال

وسدّ ثغرا فكفى شرّه *** وقارع الأبطال تحت العوال(5)

كما كفانا ذاك أبأوه *** فيحتذي أفعالهم عن مثال

فأمر له عن كل بيت بألف دينار.

المهدي يذكره بشعره في الخمر

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدّثني ابن مهرويه قال: حدّثني ابن الأعرابي المنجم الشّيباني، عن عليّ بن عمرو الأنصاري، قال: دخل عليّ بن الخليل على المهديّ فقال له: يا عليّ، أنت على معاقرتك الخمر وشربك لها؟ قال: لا والله يا أمير المؤمنين، قال: وكيف ذلك؟ قال: تبت منها، قال: فأين قولك؟:

أولعت نفسي بلذّتها *** ما ترى عن ذلك إقصارا

و أين قولك؟:

إذا ما كنت شاربها فسرا *** ودع قول العواذل واللّواحي(6)

قال: هذا شيء قلته في شبابي، وأنا القائل بعد ذلك:

على اللذات و الراح السلام *** تقصّي العهد و انقطع الدّمام

مضى عهد الصّبا و خرجت منه *** كما من غمده خرج الحسام

وقرت على المشيب فليس منّي *** وصال الغانيات ولا المدام(7)

1- ابن أخي معن بن زائدة الشيباني. و كان يزيد بن مزيد أميراً شجاعاً، و كان والياً لأرمينية ثم عزله عنها الرشيد سنة 172، ثم ولاه إياها و ضم إليه أذربيجان سنة 183، و تولى محاربة الوليد بن طريف الشيباني الخارجي و قتله سنة 179، و توفي سنة 185 هـ («وفيات الأعيان» 2:283).

2- الصيد: جمع أصيد، و هو الملك، و رافع رأسه كبراً، و الأسد.

3- الذي في كتب اللغة: أنجب الرجل و المرأة إذا ولدا ولداً نجيباً أي كريماً، و لم يرد فيها أنجب متعدياً.

4- السيمة: العلامة.

5- الثغر: موضع المخافة من البلدان. و العوالي: رءوس الرماح.

6- اللواحي: جمع لائحة: و هي اللائمة.

7- وقر ككرم و وعد: رزن.

وَوَلَّى اللّهُو والقينات عَنِّي *** كما وَلَّى عن الصبح الظلام

حلبت الدهر أشطره فعندي *** لصرف الدهر محمود و ذام(1)

مدحه معن بن زائدة

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش، قال: حدّثني محمّد بن الحسن بن الحرون، عن عليّ بن عبيدة الشيباني، قال: دخل عليّ بن الخليل ذات يوم إلى معن بن زائدة/فحادثه و ناشده، ثم قال له معن: هل لك في الطعام؟ قال: إذا نشط الأمير، فأتيا بالطعام، فأكلا، ثم قال: هل لك في الشراب؟ قال: إن سقيتني ما أريد شربت، وإن سقيتني من شرابك فلا حاجة لي فيه، فضحك ثم قال: قد عرفت الذي تريد، وأنا أسقيك منه، فأتي بشراب عتيق، فلما شرب منه و طابت نفسه أنشأ يقول:

يا صاح قد أنعمت إصباحي *** ببارد السّلسال و الراح(2)

قد دارت الكأس برقاقة *** حياة أبدان و أرواح(3)

تجري على أعيد ذي رونق *** مهذب الأخلاق ججاج(4)

ليس بفحّاش على صاحب *** و لا على الراح بفصّاح

تسرّه الكأس إذا أقبلت *** بريح أترجّ و تفّاح(5)

يسعى بها أزهر في قرطق *** مقلّد الجيد بأوضح(6)

كانها الزّهرة في كفه *** أو شعلة في ضوء مصباح

هجأؤه لدهقان

حدّثنا عليّ بن سليمان الأخفش قال: حدّثنا محمّد بن يزيد قال: كان لعليّ بن الخليل الكوفي صديق من الدّهاقين يعاشره و يبهره، فغاب عنه مدّة طويلة/و عاد إلى الكوفة و قد أصاب مالا و رفعة، و قويت حاله، فادعى أنه من بني تميم، فجاءه عليّ بن الخليل فلم يأذن له، و لقيه فلم يسلم عليه، فقال يهجوّه:

يروح بنسبة المولى *** و يصبح يدّعي العربا

فلا هذا و لا هذا *** ك يدركه إذا طلبا

أتينا به بشبّوط *** ترى في ظهره حدبا(7)

- 1- أشطره: أي أشطر الدهر. و المعنى أنه اختبر حالات الدهر: خيره و شره فعرف ما فيه، و هو مثل يضرب فيمن جرب الدهر. و الذام: الظم.
- 2- خمر سلسال: لينة.
- 3- كل شيء له بصيص و تألؤ فهو رراق، و أراد بالرقاقة هنا الخمر.
- 4- غيد كفرح فهو أغيد: مالت عنقه و لانت أعطافه، و الجحجج و الجحجج: السيد.
- 5- في الأصول: «فسره» و هو تحريف.
- 6- القرطق (بضم القاف و فتح الطاء و قد تضم): لباس من ملابس العجم يشبه القباء، معرب كرتة. و الأوضاح: جمع وضح كسبب، و هو حليّ من الفضة.
- 7- الشبوط بالفتح يضم: سمك دقيق الذنب، عريض الوسط، صغير الرأس.

فقال: أما لبخلك من *** طعام يذهب السّغبا(1)

فصد لأخيك يربوعا *** وضبا و اترك اللعبا(2)

فرشت له قريح المس *** ك و التّسرين و الغربا(3)

فأمسك أنفه عنها *** وقام مؤليا هربا

يشمّ الشّيح و القيصو *** م كي يستوجب النسبا(4)

وقام إليه ساقينا *** بكأس تنظم الحببا(5)

معتقة مروّقة *** تسلي همّ من شربا

فألى لا يسلسلها *** وقال اصعب لنا حلبا(6)

/وقد أبصرته دهرا *** طويلا يشتهي الأدبا

فصار تشبّها بالقو *** م جلفا جافيا جشبا(7)

إذا ذكر البرير بكى *** وأبدى الشوق و الطربا(8)

و ليس ضميره في القو *** م إلا التّين و العنبا

جحدت أباك نسبته *** وأرجو أن تفيد أبا

قال عليّ بن سليمان: وأنشدني محمّد بن يزيد و أحمد بن يحيى جميعا لعلي بن الخليل في هذا الذكر، و ذكر ثعلب أن إسحاق بن إبراهيم أنشد هذه الأبيات لعليّ، قال:

يا أيّها الراغب عن أصله *** ما كنت في موضع تهجين(9)

متى تعرّبت و كنت امرأ *** من الموالى صالح الدّين

لو كنت إذ صرت إلى دعوة *** فزت من القوم بتمكين(10)

لكفّ من وجدتي، و لكنني *** أراك بين الضّبّ و التّون(11)

ص: 375

- 2- اليربوع: دويبة نحو الفأر لكن ذنبه و أذناه أطول من ذنب و أذني الفأر، ورجلاه أطول من يديه. و الضب: دويبة من تشبه التمساح الصغير و ذنبها كذنبه و تتلون كالحرباء.
- 3- القريح: الخالص، كالقراح. و النسرين: ورد، فارسي معرّب. و الغرب: ضرب من الشجر.
- 4- القيصوم: من نبات البادية.
- 5- هذا البيت في الأصول مقدم على سابقه، و هو خطأ. يدل على ذلك سياق المعنى.
- 6- آلى: أقسم. و تسلسل الماء في الحلق: جرى، و سلسله: صب فيه. و الحلب: اللبن المحلوب. و في الأصول «زقا أصيب لنا حيبا» و هو تحريف.
- 7- الجلف: الجافي، و الجشب: الخشن الغليظ.
- 8- البرير: ثمر الأراك.
- 9- التهجين: التقبيح.
- 10- الدعوة في النسب «بالكسر»: أن ينتسب الإنسان إلى غير أبيه و عشيرته.
- 11- الوجد: الحزن.

فلو تراه صارفاً أنفه *** من ریح خیري و نسرين (1)

لقلت: جلف من بني دارم *** حنّ إلى الشّیح بیبرین (2)

دعموص رمل زلّ عن صخرة *** يعاف أرواح البساتین (3)

/تنبو عن الناعم أعطافه *** والخزّ و السنجاب و اللّین (4)

شعره في تعلق أحد أولاد المنصور بجارية

أخبرني جحظة و محمد بن مزید جميعاً، قالاً: حدّثنا حمّاد بن إسحاق، عن أبيه قال: كان عليّ بن الخليل جالساً مع بعض ولد المنصور، و كان الفتى يهوى جارية لعتبة مولاة المهدي، فمرّت به عتبة في موكبها و الجارية معها، فوقفّت عليه و سلّمت، و سألت عن خبره، فلم يوفّها حقّ الجواب، لشغل قلبه بالجارية، فلما انصرفت أقبل عليه عليّ بن الخليل، فقال له:

راقب بطرفك من تخا *** ف إذا نظرت إلى الخليل

فإذا أمنت لحاظهم *** فعليك بالنظر الجميل (5)

إن العيون تدلّ بالن *** ظر المليح على الدّخيل (6)

إمّا على حبّ شدي *** د أو على بغض أصيل

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال: حدّثنا عيسى بن إسماعيل تينة قال: كان عليّ بن الخليل يصحب بعض ولد جعفر بن المنصور، فكتب إليه والبة بن الحباب يدعوه، و يسأله ألا يشتغل بالهاشمي يومه ذلك عنه، و يصف له طيب مجلسه و غناء حصّله و غلاماً دعاه، فكتب إليه عليّ بن الخليل:

أما و لحاظ جارية *** تذيب حشاشة المهج (7)

و سحر جفونها المضي *** ك بين الفتر و الدّعج (8)

/مليحة كلّ شيء ما *** خلا من خلقها السّمج

و حرمة دنّك المبزو *** ل و الصهباء منه تجي (9)

ص: 376

-
- 1- الخيري بالكسر: المنشور الأصفر.
 - 2- يبرين: رمل لا تدرك أطرافه، من أصقاع البحرين.
 - 3- الدعموص: دويبة صغيرة تكون في مستنقع الماء. و سياق البيت يدل على أنه يريد به دويبة صحراوية لا مائية. يعاف: يكره. أرواح: جمع

ريح.

- 4- في ج «تنبو عن الفاقم» وهو تحريف. و السنجاب: حيوان شعره في غاية النعومة، يتخذ من جلده الفراء، يلبسه المتنعمون. انظر «حياة الحيوان الكبرى» للدميري.
- 5- لحاظهم، أي لحاظ من تخافهم، و اللحاظ بالكسر: مصدر لاحظه أي راعاه. و اللحاظ بالفتح: مؤخر العين مما يلي الصدغ.
- 6- في ج «تذل» وفي ج، ب، س «الرحيل» وهو تحريف.
- 7- الحشاشة: بقية الروح في المريض و الجريح.
- 8- الدعج: سواد العين مع سعتها، و أراد بالفتر هنا: الفتور قال الشاعر: وقاصرة الطوف مكفوحة بفتر الجفون و خون النظر
- 9- بزل الخمر: ثقب إناءها، و يقال للحديدة التي تفتح مبزل الدن و مبزال و مبزل لأنه يفتح بها، و في ب، س «المبذول»، و الصهباء: الخمر.

كأن مجيئها في الكأ***س حين تصبّ من ودج(1)

لوانعرج الأنام إلى ***بشاشة مجلس بهج

و كنت بجانب جدب ***لكان إليك منعرجي

وصار إليه في إثر الرقعة.

ص: 377

1- الودج: عرق في العنق.

إشارة

14 - أخبار محمد الزّفّ (1)

نسبه و بعض أخباره

إشارة

هو محمد بن عمرو مولى بني تميم، كوفي الأصل و المولد و المنشأ؛ و الزّفّ: لقب غلب عليه، و كان مغتيا ضاربا طيب المسموع، صالح الصنعة، مليح النادرة، أسرع خلق الله أخذًا للغناء، و أصحهم أداء له، و أذكاهم، إذا سمع الصوت مرتين أو ثلاثا أدّاه لا يكون بينه و بين من أخذه عنه فرق، و كان يتعصب على ابن جامع، و يميل إلى إبراهيم الموصلي و ابنه إسحاق، فكانا يرفعان منه، و يقدمانه و يجتلبان له الرّفد و الصلات من الخلفاء، و كانت فيه عريضة إذا سكر، فعربد بحضرة الرشيد مرّة فأمر بإخراجه، و منعه من الوصول إليه، و جفاه و تناساه، و أحسبه مات في خلافته أو في خلافة الأمين.

أخبرني بذلك ذكاء وجه الرزة عن محمد بن أحمد بن يحيى المكي المرتجل.

أخبرني ابن جعفر جحظة قال: حدّثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال: غنى ابن جامع يوما بحضرة الرشيد:

صوت

<ادّعاؤه غناء لابن جامع>

جسور على هجري، جبان على وصلي *** كذوب غدا يستتبع الوعد بالمطل (2)

مقدّم رجل في الوصال مؤخّر *** لأخرى (3)، يشوب الجدّ في ذاك بالهزل

/يهمّ بنا حتى إذا قلت قد دنا *** و جاد ثنى عطفًا و مال إلى البخل (4)

يزيد امتناعا كلّما زدت صبوة *** و ازداد حرصا كلّما ضنّ بالبذل

فأحسن فيه ما شاء و أجمل، فغمزت عليه محمدًا الزّفّ، و فطن لما أردت، و استحسنته الرشيد، و شرب عليه، و استعاده مرتين أو ثلاثا، ثمّ قمت للصلاة و غمزت الزّفّ و جاني، و أوامأت إلى مخارق و علّويه و عقيد فجاءوني، فأمرته بإعادة الصوت، فأعاده و أدّاه كأنه لم يزل يرويه، فلم يزل يكرره على الجماعة حتى غنّوه و دار لهم، ثمّ عدت إلى المجلس، فلما انتهى الدّور إليّ بدأت فغنّيته قبل كلّ شيء غنّيته، فنظر إليّ ابن جامع محدّدًا نظره، و أقبل عليّ الرشيد فقال: أ كنت تروي هذا الصوت؟ فقلت: نعم يا سيدي. فقال ابن جامع: كذب و الله، ما

-
- 1- في الأصول «الرف» بالراء، وورد في الجزء الخامس من «الأغاني» في نسب إبراهيم الموصلي وأخباره «محمد الزف» بالزاي، وقد يرجح هذا أن الزف و الزيف معناه الإسراع، وهو الملائم لما عرف عنه من أنه كان أسرع خلق الله أخذًا للغناء وانظر «الأغاني» ج 1 ح 2 من صفحة 306 طبع دار الكتب المصرية.
 - 2- في ج «كذوب غدا يبيع الوعد بالمطل».
 - 3- ساقطة من نسخة ج.
 - 4- ثني عطفه: لوى عنقه معرضا. وفي الأصول «عظفا» وفي ج «وحادبني» وهو تصحيف.

الساعة. فقلت: هذا صوت أرويه قديما، وما فيمن حضر أحد إلا وقد أخذه مني، وأقبلت عليه، فغناه علويه ثم عقيد ثم مخارق، فوثب ابن جامع فجلس بين يديه و حلف بحياته و بطلاق امرأته أن اللحن صنعه منذ ثلاث ليال، ما سمع منه قبل ذلك الوقت، فأقبل عليّ فقال: بحياتي اصدقني عن القصة، فصدقته، فجعل يضحك و يصقّ و يقول:

لكل شيء آفة، و آفة ابن جامع الرّف.

لحن هذا الصوت خفيف ثقيل أول بالبنصر، و الصنعة لابن جامع من رواية الهشاميّ و غيره.

قوة حفظه و براعته في الغناء

قال أبو الفرج: و قد أخبرني بهذا الخبر محمّد بن مزيد، عن حماد عن أبيه بخلاف هذه الرواية، فقال فيه قال: محمّد الرّف أروى خلق الله للغناء، و أسرعهم أخذا لما سمعه منه، ليست عليه في ذلك كلفة، و إنما يسمع الصوت مرّة واحدة/وقد أخذه، و كتّا معه في بلاء إذا حضر، فكان من غنّى منا صوتا فسأله عدوّ له أو صديق أن يلقيه عليه، فبخل و منعه إياه، سأل محمّدا الرّف أن يأخذه، فما هو إلا أن يسمعه مرة واحدة حتى قد أخذه و ألقاه على من سأله، فكان أبي يبرّه و يصله و يجديه(1) من كل جائزة و فائدة تصل إليه، فكان غناؤه عنده حمى مصونا لا يقربه، و لم يكن طيب المسموع، و لكنّه كان أطيب الناس نادرة، و أملحهم مجلسا، و كان مغرى بابن جامع خاصة من بين المغنّين لبخله، فكان لا يفتح ابن جامع فاه بصوت إلا وضع عينه عليه، و أصغى(2) سمعه إليه، حتى يحكيه، و كان في ابن جامع بخل شديد لا يقدر معه على أن يسعفه ببرّ و رقد،

غناء لابن جامع بحضرة الرشيد

إشارة

فغنّى يوما بحضرة الرشيد:

صوت

أرسلت تقرئ(3) السلام الرّباب *** في كتاب و قد أتانا الكتاب

فيه: لوزرتنا لوزرتنا ليلا *** بمنى حيث تستقلّ الركاب(4)

فأجبت الرّباب: قد زرت لكن *** لي منكم دون الحجاب حجاب

/إنما دهرك العتاب و ذمّي *** ليس يبقي على المحبّ عتاب

و لحنه من الثقيل الأول، فأحسن فيه ما شاء، و نظرت إلى الرّف فغمزته و قمت إلى الخلاء، فإذا هو قد جاءني، فقلت له: أي شيء عملت؟ فقال: قد فرغت لك منه، قلت: هاته، فرده عليّ ثلاث مرات، و أخذته و عدت إلى مجلسي، و غمزت عليه عقيدا و مخارقا، فقاما، و تبعهما

فألقاه عليهما، و ابن جامع لا يعرف الخير، فلما عاد إلى المجلس أمأت إليهما أسألتهما عنه، فعرفاني أنهما قد أخذاه، فلما بلغ/الدور إليّ كان الصوت أول شيء غيّته، فحدّد الرشيد نظره إليّ، و مات ابن جامع و سقط(5) في يده، فقال لي الرشيد: من أين لك هذا؟ قلت: أنا أرويه

ص: 379

- 1- أجدها: أعطاه الجدوى و هي العطية.
- 2- أصغى: أمال.
- 3- في ج «أقرنا».
- 4- استقلوا: مضوا و ارتحلوا.
- 5- سقط في يده و أسقط «مضمومتين»: تحيّر.

قديمًا، وقد أخذته عني مخارق وعقيد، فقال: غنّياه. فغنّياه، فوثب ابن جامع فجلس بين يديه ثم حلف بالطلاق ثلاثًا بأنه صنعه في ليلته الماضية، ما سبق إليه ابن جامع أحد، فنظر الرشيد إليّ، فغمزته بعيني أنه صدق، وجدّ الرشيد في العبث به بقيّة يومه، ثم سألتني بعد ذلك عن الخبر، فصدّقته عنه وعن الرّّف، فجعل يضحك ويقول: لكل شيء آفة، وآفة ابن جامع الرّّف، قال حماد: وللرّف صنعة يسيرة جيّدة منها في الرمل الثاني:

صوت

لمن الطعائن سيرهنّ ترحف *** عوم السّفين إذا تقاذف مجذف(1)

مرّت بذي حسم كأنّ حمولها *** نخل ييثرب طلعتها مترحف(2)

فلئن أصابتنّي الحروب لرّبما *** أدعى إذا منع الرّدا فآردف(3)

فأثير غارات وأشهد مشهدا *** قلب الجبان به يطيش فيرجف

قال: و من مشهور صنعه في هذه الطريقة:

صوت

إذا سئت غنّتي بأجراع بيّشة *** أو النخل من تثليث أو من يللمما(4)

مطوّقة طوقا وليس بحلية *** ولا ضرب صوّاع بكفّيه درهما

تبكي على فرخ لها ثم تغتدي *** مدلّهة تبغي له الدهر مطعما(5)

تؤمل منه مؤنسا لانفرادها *** وتبكي عليه إن زقا أو ترنما(6)

و من صنعه في هذه الطريقة:

صوت

يا زائرنا من الخيام *** حيّاكما الله بالسلام

يحزنني أن أطمعمني *** ولم تنالا سوى الكلام

- 1- تزحف: من تزحف الصبي على الأرض أو على بطنه، قبل أن يمشي. و السفين: جمع سفينة، و مجداف السفينة و مجدافها بالدال و بالذال: لغتان فصيحتان. و في ج «يحذف».
- 2- ذو حسم: موضع بالبادية، و جاء في شعر المهلهل: أ ليلتنا بذى حسم أنيري إذا أنت انقضيت فلا تحوري و الحمول: الهودج، أو الإبل عليها الهودج، واحدها حمل بالكسر و يفتح، يثرب: المدينة المنورة.
- 3- أردفه معه: أركبه؛ و ردفه بالكسر و أردفه: ركب خلفه.
- 4- بيشة: من عمل مكة مما يلي اليمن، و هي من مكة على خمس مراحل، بها من النخل شيء كثير. و في ج، و ب «شيبة». و الأجرع: جمع جرع بالتحريك، و هو الرملة الطيبة المنبئة السهلة المستوية. تثليث: موضع بالحجاز قرب مكة. يلملم: موضع على ليلتين من مكة، و هو ميقات أهل اليمن.
- 5- المدله: الساهي القلب، الذاهب العقل.
- 6- زقا الطائر يزقو: صاح.

بورك هارون من إمام *** بطاعة الله ذي اعتصام

له إلى ذي الجلال قربي *** ليس لعدل ولا إمام

وله في هذه الطريقة:

صوت

ابان الحبيب فلاح الشيب في راسي *** وبّت منفردا وحدي بوسواس

ما ذا لقيت فدتك النفس بعدكم *** من التبرم بالدنيا وبالناس

لو كان شيء يسلي النفس عن شجن *** سلّت فؤادي عنكم لذة الكاس (1)

صوت

<شعر لأبي الشبل البرجمي>

بأبي ريم رمى قل *** بي بألحاظ مراض (2)

و حمى عيني أن تل *** تّدّ طيب الاغتماض

كلّما رمت انبساطا *** كفّ بسطي بانقباض

أو تعالی أملي في *** ه رماه انخفاض

فمتى ينتصف المظ *** لوم و الظالم قاضي

الشعر لأبي الشبل البرجمي، والغناء لعنث الأسود، خفيف ثقيل أول بالوسطى، وفيه لكثير رمل، ولبنان خفيف رمل.

ص: 381

1- الشجن: الهمّ والحزن.

2- الرئم: الظبي الخالص البياض.

نسبه

أبو الشَّبل اسمه عاصم بن وهب من البراجم، مولده الكوفة، ونشأ و تأدب بالبصرة.

مجونه و اتصاله بالمتوكل

أخبرني بذلك الحسن بن علي، عن ابن مهرويه، عن علي بن الحسن الأعرابي.

وقدم إلى سرّ من رأى في أيام المتوكل و مدحه، و كان طبّا(1) نادرا، كثير الغزل ماجنا، فنفق(2) عند المتوكل بإيثاره العبث، و خدمه، و خصّ به، فأثرى و أفاد، فذكر لي عمّي عن محمّد بن المرزبان بن الفيروزان عن أبيه أنّه لما مدحه بقوله:

أقبلني فالخير مقبل *** و اتركي قول المعلّل

و تقي بالنجح إذ أب *** صرت وجه المتوكل

ملك ينصف يا ظا *** لمتي فيك و يعدل

فهو الغاية و المأ *** مول يرجوه المؤمّل

أمر له بألف درهم لكل بيت، و كانت ثلاثين بيتا، فانصرف بثلاثين ألف درهم.

الغناء في هذه الأبيات لأحمد المكي رمل بالبنصر.

أخبرني يحيى بن علي، عن أبي أيوب المدني، عن أحمد بن المكي قال: غنّيت المتوكل صوتا شعره لأبي الشَّبل البرجمي و هو:

أقبلني فالخير مقبل *** و دعي قول المعلّل

/فأمر لي(3) بعشرين ألف درهم، فقلت: يا سيدي أسأل الله أن يبلغك الهنيدة، فسأل عنها الفتح فقال: يعني مائة سنة، فأمر لي بعشرة آلاف أخرى.

و حدّثني الحسن بن علي عن هارون بن محمّد الزيات، عن أحمد بن المكي مثله.

دعته جاريتة فقال شعرا

حدّثني الحسن بن علي قال: حدّثنا ابن مهرويه قال: حدّثني أبو الشَّبل عاصم بن وهب الشاعر، و هو القائل:

أقبلني فالخير مقبل *** و دعي قول المعلّل

- 1- في الأصول «طيبا» و هو تحريف.
- 2- نفق: راج.
- 3- في س «فأمر له» و هو تحريف.

اقال: كانت لي جارية اسمها سكر، فدخلت يوما منزلي ولبست ثيابي لأمضي إلى دعوة دعيت إليها، فقالت: أقم اليوم في دعوتي أنا، فأقمت وقلت:

أنا في دعوة سكر *** و الهوى ليس بمنكر

كيف صبري عن غزال *** وجهه دلو مقبّر (1)

فلما سمعت الأوّل ضحكت و سرّت، فلما أنشدتها البيت الثاني قامت إليّ تضربني (2) و تقول لي: هذا البيت الأخير الذي فيه «دلو» لمالك (3)، لو لا الفضول؛ فما زالت - يعلم الله - تضربني حتى غشي عليّ.

مدحه مالك بن طوق ثم ذمه

و ذكر ابن المعتز أن أبا الأغر الأسديّ حدّثه قال: مدح أبو الشبل مالك بن طوق بمدح عجب، و قدّر منه ألف درهم، فبعث إليه صرّة مختومة فيها مائة دينار، فظنّها دراهم، فردّها و كتب معها قوله:

فليت الذي جادت به كفّ مالك *** و مالك مدسوسان في است أمّ مالك

فكان إلى يوم القيامة في استها *** فأيسر مفقود و أيسر هالك

و كان مالك يومئذ أميراً على الأهواز، فلما قرأ الرقعة أمر بإحضاره، فأحضر، فقال له: يا هذا ظلمتنا و اعتديت علينا، فقال: قد قدّرت عندك ألف درهم فوصلتني بمائة درهم، فقال: افتحها، ففتحتها فإذا فيها مائة دينار، فقال:

أقلني أيها الأمير. قال: قد أقلتك، و لك (4) عندي كلّ ما تحب أبدا ما بقيت و قصدتني.

رثاؤه لطبيب

حدّثنا الحسن بن عليّ قال: حدّثنا ابن مهرويه قال: قال لي أبو الشبل البرجميّ: كان في جيرانني طبيب أحقق، فمات فرثيته فقلت:

قد بكاه بول المريض بدمع *** و اكف فوق مقلتيه ذروف (5)

ثم شقّت جيوبهن القواري *** ر عليه و نحن نوح اللّهيّف (6)

يا كساد الخيار شنبر و الأّق *** راص طرّاً و يا كساد السّفوف

كنت تمشي مع القويّ فإن جا *** ء ضعيف لم تكثرث بالصّعيف

لهف نفسي على صنوف رقاعا *** ت تولّت منه و عقل سخيف (7)

- 1- مقير: مطلي بالقار أو القير: وهو الزفت.
- 2- في الأصول «لتضربني».
- 3- كذا في الأصول.
- 4- في الأصول: «ولكن»؛ وهو تحريف.
- 5- وكف الدمع: سال. وذرف الدمع: سال أيضا. و الذي في كتب اللغة: «دمع ذريف أي مذروف، قال الشاعر: ما بال عيني دمعها ذريف».
- 6- اللهيف: الملهوف.
- 7- الرقاعة: الحمق. وفي س «رفاعات» وهو تصحيف.

حدّثنا الحسن قال: حدّثنا ابن مهوريه قال: حدّثنا أبو الشبل قال: إن (1) خالد بن يزيد بن هبيرة كان يشرب النبيذ، فكان يغشانا، وكانت له جارية صفراء مغنّية يقال لها لهب، فكانت تغشانا معه، فكنت أعبث بهما كثيرا ويشتماني، فقام مولاها يوما إلى الخاوية يستقي نبذا، فإذا قميصه قد انشقّ، فقلت فيه:

قالت له لهب يوما و جادلها *** بالشعر في باب فعلا ن و مفعول

أما القميص فقد أودى الزمان به *** فليت شعري ما حال السراويل؟

فبلغ الشعر أبا الجهم أحمد بن يوسف فقال:

حال السراويل حال غير صالحة *** تحكي طرائقه نسج الغرايل

و تحته حفرة قوراء واسعة *** تسيل فيها ميازيب الأحاليل (2)

قال أبو الشبل: وكانت أم خالد هذا ضراطة، تضطرب على صوت العيدان وغيرها في الإيقاع، فقلت فيه:

في الحى من لا عدمت خلّته *** فتى إذا ما قطعته وصلا (3)

له عجوز بالحبق أبصر من *** أبصرته ضاربا و مرتجلا (4)

نادمتها مرّة و كنت فتى *** ما زلت أهوى و أشتهي الغزلا

حتى إذا ما أمالها سكر *** يبعث في قلبها لها مثلا

اتكأت يسرة و قد حرقت *** أشراجها كي تقوم الرّملا (5)

فلم تزل باستها تطارحني *** اسمع إلى من يسومني العلالا (6)

عرض شعره على المازني فذمه

حدّثني الحسن قال: حدّثنا ابن مهوريه قال: حدّثني أبو الشبل قال: لما عرض لي الشعر أتيت جارا لي نحويا، وأنا يومئذ حديث السنّ - أظنه قال إنه المازني - فقلت له: إن رجلا لم يكن من أهل الشعر ولا من أهل الرواية قد جاش صدره بشيء من الشعر، فكره ان يظهره حتى تسمعه. قال: هاته، / او كنت قد قلت شعرا ليس بجيد، إنما هو قول مبتدئ، فأنشدته إياه، فقال: من العاصّ بظر أمّه القائل لهذا؟ فقلت خجلا، فقلت لأبي الشبل: فأى شيء قلت له أنت؟ قال: قلت في نفسي: أعصك الله بظر أمك و بهضك (7).

- 1- في ج «حدّثنا خالد بن يزيد بن هبيرة، و كان».
- 2- قوراء: واسعة. الأحاليل: جمع إحليل بالكسر، و هو مخرج البول من ذكر الإنسان.
- 3- الخلة: الصداقة المختصة لا خلل فيها.
- 4- الحبق: الضراط.
- 5- حرق الشيء: حك بعضه ببعض، و في ب، س «حرفت» و هو تصحيف. أشراج: جمع شرح، جاء في «اللسان»: الشرح كشمس و سبب و الأول أفصح: أعلى ثقب الاست. و في «القاموس»: الشرح كسبب: فرج المرأة.
- 6- في س «استها» و في ب «استهام» و هو تحريف و في ج، ب، س «يزل..... يطارحني» و هو تصحيف.
- 7- في ج «و نهضتك»، و في س «و بهضتك» و هو تحريف، و الصواب ما أثبتنا، يقال: بهضني الأمر و أبهضني، أي فدحني، و بالظاء أكثر.

أخبرني عمي عن محمد بن المرزبان بن الفيرزان قال: كنت أرى أبا الشبل كثيرا عند أبي، وكان إذا حضر أضحك الثكلى بنوادره، فقال له أبي يوما: حدثنا ببعض نوادرك وطرائفك؛ قال: نعم، من طرائف أموري أنّ ابني زني بجارية سنديّة لبعض جيراني، فحبلت وولدت، وكانت قيمة الجارية عشرين ديناراً، فقال: يا أبت، الصبيّ والله ابني، فساومت به، فقبل لي: خمسون ديناراً، فقلت له: ويلك! كنت تخبرني الخبر وهي حبل فأشتريتها بعشرين ديناراً، وبيع الفضل بين الثمنين، وأمست عن المساومة بالصبيّ حتى اشتريته من القوم بما أرادوا. ثم أحبلها ثانيا فولدت له ابناً آخر، فجاءني يسألني أن ابتاعه، فقلت له: عليك لعنة الله، ما يحملك أن تحبل هذه؟ فقال: يا أبت لا أستحبّ العزل(1)، وأقبل على جماعة عندي يعجبهم منّي، ويقول: شيخ كبير يأمرني بالعزل ويستحلّه! فقلت له: يا ابن الزانية، تستحلّ الزنا وتتحرج من العزل! فضحكنا منه.

خبره مع خمار يهودي

وقلت له: وأي شيء أيضاً؟ قال: دخلت أنا ومحمود الوراق إلى حانة يهوديّ خمار، فأخرج إلينا شيئاً عجيباً، فظننّاه خمر بنت عشر، قد أنضجها الهجير(2)، فأخرج إلينا منها شيئاً عجيباً وشربنا، فقلت له: اشرب معنا، قال: لا أستحلّ/اشرب الخمر، فقال لي محمود: ويحك! رأيت أعجب ممّا نحن فيه. يهوديّ يتحرّج من شرب الخمر، ونشربها ونحن مسلمون! فقلت له: أجل، والله لا نفلح أبداً، ولا يعبأ الله بنا، ثم شربنا حتى سكرنا، وقمنا في الليل فنكنا بنته وامراته وأخته، وسرقنا ثيابه، وخربنا في نقيرات(3) نبيذ له وانصرفنا.

هجاؤه هبة الله بن إبراهيم

أخبرني محمد بن يحيى الصّولي قال: أخبرنا عون بن محمد الكنديّ، قال: وقعت لأبي الشبل البرجميّ إلى هبة الله بن إبراهيم بن المهديّ حاجة فلم يقضها فهجاه، فقال:

صلف تندقّ منه الرقبة *** و مساو لم تطقها الكتبة

/كلّما بادره ركب بما *** يشتهي منه نادى يا أبه(4)

ليته كان التوى الفرج به *** لم يزد في هاشم هذي هبه

يعني غلاماً لهبة الله كان يسمّى بدر، وكان غالباً على أمره.

حدّثني الصّولي قال: حدّثني القاسم بن إسماعيل قال: قال رأى أبو الشبل إبراهيم بن العباس يكتب، فأنشأ يقول:

ينظّم اللؤلؤ المنشور منطقه *** وينظّم الدرّ بالأقلام في الكتب

2- الهجع: نصف النهار عند اشتداد الحرّ.

- 3- في ب، س «نقارات» وفي ج «بغارات» وهو تحريف و الصواب؛ ما أثبتنا جاء في كتب اللغة: (و النقيير أصل النخلة ينقر وسطه ثم ينبذ فيه التمر و يلقي عليه الماء فيصير نبذا مسكرا) ثم جمع نقيير على نقيرات على تقدير أنه مؤنث معنى، إذ هو في معنى باطية.
- 4- نادى يا أبة: يريد نادى غلامه «بدرا» مستعينا به على قضاء حاجة ذلك الركب، إذ كان غلامه صاحب أمره و مسيطرا عليه كأنه أبوه.

حدّثنا الحسن بن عليّ قال: حدّثنا ابن مهرويه قال: حدّثني أبو الشبل البرجمي قال: حضرت مجلس عبيد الله بن يحيى بن خاقان، و كان إليّ محسنا، و عليّ مفضلا، /فجرى ذكر البرامكة، فوصفهم الناس بالجدود، و قالوا في كرمهم و جوائزهم و صلاتهم فأكثرُوا، فقامت في وسط المجلس، فقلت لعبيد الله: أيها الوزير، إني قد حكمت في هذا الخطب حكما نظمته في بيتي شعر لا يقدر أحد أن يرده عليّ، و إنما جعلته شعرا ليدور و يبقى، فيأذن الوزير في إنشادهما قال: قل، فربّ صواب قد قلت، فقلت:

رأيت عبيد الله أفضل سوددا *** و أكرم من فضل و يحيى بن خالد

أولئك جادوا و الزّمان مساعد *** و قد جاد ذا و الدهر غير مساعد

فتهلّل وجه عبيد الله و ظهر السرور فيه، و قال: أفرطت أبا الشّبل، و لا كلّ هذا، فقلت: و الله ما حابيتك أيها الوزير، و لا قلت إلاّ حقًا، و اتبعني القوم في وصفه و تقرّظه، فما خرجت من مجلسه إلا و عليّ الخلع، و تحتي دابة(1) بسرجه و لجامه، و بين يديّ خمسة آلاف درهم.

قصته مع جاريتين

حدّثني الحسن قال: حدّثنا ابن مهرويه قال: حدّثني علي بن الحسن الشيباني قال: حدّثني أبو الشبل الشاعر قال: كنت أختلف إلى جاريتين من جوارى النّخاسين(2) كانتا تقولان الشعر، فأتيت إحداهما فتحدّثت إليها، ثم أنشدتها بيتا لأبي المستهلّ شاعر منصور بن المهديّ في المعتصم:

أقام الإمام منار الهدى *** و أحرص ناقوس عمّوريه(3)

/ثم قلت لها: أجزبي؛ فقالت:

كساني الميلىك جلابيه *** ثياب علاها بسّمورية(4)

ثم دعت بطعام فأكلنا، و خرجت من عندها، فمضيت إلى الأخرى، فقالت: من أين يا أبا الشبل؟ فقلت: من عند فلانة، قالت: قد علمت أنّك تبدأ بها - و صدقت، كانت أجملهما فكنت أبدأ بها - ثم قالت: أما الطعام فاعلم أنه لا حيلة لي في أن تأكله، لعلمي بأن تلك لا تدعك تنصرف أو تأكل. فقلت: أجل. قالت: فهل لك في الشراب؟ قلت: نعم، فأحضرتة و أخذنا في الحديث، ثم قالت: فأخبرني ما دار بينكما؟ فأخبرتها، فقالت: هذه المسكينة كانت تجدد البرد، و بيتها أيضا هذا الذي جاءت به يحتاج إلى سمّورية، أفلا قالت:

فأضحى به الدّين مستبشرا *** و أضحت زنادهما واريه(5)

فقلت: أنت و الله أشعر منها في شعرها، و أنت و الله في شعرك فوق أهل عصرك. و الله أعلم.

ص: 386

1- تطلق الدابة على الذكر و الأنثى.

2- النّخّاس: بيّاع الرقيق.

3- عمّورية: بلد من بلاد الروم (الأناضول) فتحها المعتصم سنة 223 هـ.

4- سمورية: نسبة إلى سمور (وياء النسب هنا مخففة) وسمور: دابة تتخذ من جلدها فراء عالية الأثمان.

5- وري الزند كوعى وولى: خرجت ناره.

شعره في الشيب

/أخبرنا الحسن قال: حدّثنا ابن مهرويه قال: أنشدني أبو الشبل لنفسه:

عذيري من جوارى الح *** ي إذ يرغبن عن وصلي(1)

رأين الشيب قد ألب *** سني أبهة الكهل

فأعرضن وقد كنّ *** إذا قيل أبو الشبل

تساعين فرقعن ال *** كوى بالأعين التّجل(2)

/قال: وهذا سرقة من قول العتبي:

رأين الغواني الشيب لاح بمفرقي *** فأعرضن عني بالخدود النواضر

و كنّ إذا أبصرني أو سمعني *** سعين فرقعن الكوى بالمحاجر(3)

خبره مع حاتم بن الفرّج

حدّثني الحسن قال: حدّثني ابن مهرويه قال: حدّثني أبو الشبل قال: كان حاتم بن الفرّج يعاشرنني ويدعوني، و كان أهتم، قال أبو الشبل: و أنا أهتم؛ و هكذا كان أبي و أهل بيتي، لا تكاد تبقي في أفواههم حاكة(4)، فقال أبو عمر أحمد بن المنجّم:

لحاتم في بخله فطنة *** أدقّ حسًا من خطا النمل

قد جعل الهمتان ضيفا له *** فصار في أمن من الأكل(5)

ليس على خبر امرئ ضيعة *** أكيله عصم أبو الشبل(6)

ما قدر ما يحمله كفه *** إلى فم من سنّه عطل(7)

فحاتم الجود أخو طيئ *** مضى و هذا حاتم البخل

شعره في جارية سوداء يحبها

أخبرني محمّد بن خلف بن المرزبان قال: حدّثني أبو العيناء قال: كانت لأبي الشبل البرجمي جارية سوداء،

1- العذير: العاذر.

2- الكوى: جمع كوة بالفتح وبضم، وهي الخرق في الحائط.

3- المحاجر: جمع محجر كمجلس ومنبر وهو من العين ما دار بها وبدا من البرقع.

4- الحاكة: السن.

5- هتمان: جمع أهتم - ولم يرد في كتب اللغة - وقد جاء فعلا في كلام العرب جمعا لأفعل كأسود وسودان وأبيض وبيضان وأحمر وحمران. وضيف هنا للجمع، جاء في كتب اللغة: «الضيف للواحد والجميع، وقد يجمع على أضياف وضيوف وضيفان، وهي ضيف وضيفة» وقد ورد في «القرآن الكريم» للجمع، قال تعالى: هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ وقال: إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُون. و قد سقطت كلمة «له» من ج، وفيها أيضا «في أمر» وهو تحريف.

6- عصم: سمت العرب عاصما وعصما.

7- استفهام يراد به النفي، أي لا قدر له.

و كان يحبّها حبّاً شديداً، فعوتب فيها، فقال:

أغدت بطول الملام عاذلة *** تلومني في السواد والدّعج (1)

ويحك كيف السلو عن غرر *** مفترقات الأرجاء، كالسبح (2)

يحملن بين الأفخاذ أسنمة *** تحرق أوبارها من الوهج (3)

لا عذب الله مسلما بهم *** غيري ولا حان منهم فرجي (4)

فإتني بالسواد مبتهج *** و كنت بالبيض غير مبتهج

هجاؤه جارية لهاشمة النحوي

حدّثني عمي قال: حدّثني أحمد بن الطيّب قال: حدّثني أبو هريرة البصري النحويّ الضرير قال: كان أبو الشبل الشاعر البرجمي يعايب قينة لهاشم النحوي يقال لها خنساء، وكانت تقول الشعر، فعبث بها يوماً فأفرط حتى أغضبها، فقالت له: ليت شعري، بأيّ شيء تدلّ؟ أنا والله أشعر منك، لئن شئت لأهجوئك حتى أفضحك، فأقبل عليها وقال:

حسناء قد أفرطت علينا *** فليس منها لنا مجير

تاهت بأشعارها علينا *** كأنما ناكها جرير

قال: فخرجت حتى بان ذلك عليها و أمسكت عن جوابه.

شعره في ذم المطر

قال عمي: قال أحمد بن الطيّب: حدّثني أبو هريرة هذا قال: حدّثني أبو الشبل أنها وعدته أن تزوره في يوم بعينه كان مولاهم غائبا فيه، فلما حضر ذلك اليوم جاء مطر منعها من الوفاء بالموعد، قال: فقلت أذم المطر:

ادع المواعيد لا تعرض لوجهتها *** إن المواعيد مقرون بها المطر

إن المواعيد و الأعياد قد منيت *** منه بأنك ما يمني به بشر (5)

أمّا الثياب فلا يغرك إن غسلت *** صحو شديد و لا شمس و لا قمر

و في الشخوص له نوء و بارقة *** و إن تبيّت فذاك الفالج الذكر (6)

و إن هممت بأن تدعو مغنّية *** فالغيث لا شك مقرون به السحر

- 1- في الأصول «عذرت»، «وهو تحريف لا يستقيم به الوزن والمعنى. ولعل صوابه ما أثبتنا. والدعج: سواد العين مع سعتها.
- 2- الأرجاء: النواحي. مفترقات الأرجاء: أي لكل منهن ناحية من الحسن خاصة. السيج: خرز أسود، معرب.
- 3- الوهج: اتقاد النار.
- 4- يلاحظ أنه استعمل هنا ضمير جماعة الذكور موضع ضمير جماعة الإناث.
- 5- منيت: ابتليت.
- 6- شخص شخصاً: خرج من موضع إلى غيره. تبيته عن حاجته: حبسه عنها. والفالج: الشلل. والذكر: يعني القويّ الشديد، من قولهم: مطر ذكر أي شديد وابل، وقول ذكر أي صلب متين، وشعر ذكر أي فحل.

هجاؤه مولى عبد الله بن يحيى

حدّثني عمي قال: حدّثني أحمد بن أبي طاهر قال: كان لعبيد الله بن يحيى بن خاقان غلام يقال له نسيم، فأمره عبيد الله بقضاء حاجة كان أبو الشبل البرجمي سأله إيّاها، فأخّرها نسيم، فشكاه إلى عبيد الله، فأمر عبيد الله غلاما له آخر فقضاها بين يديه، فقال أبو الشبل يهجو نسيمًا:

قل لنسيم أنت في صورة *** خلقت من كلب و خنزيره

رعت دهرًا بعد أعفاجها *** في سلح مخمور و مخموره (1)

حتى بدا رأسك من صدعها *** زانية بالفسق مشهورة (2)

لا تقرب الماء إذا أجنبت *** و لا ترى أن تقرب التوره (3)

ترى نبات الشعر حول استها *** درابزينا حول مقصوره (4)

هجاؤه محمّد بن حماد

حدّثني عيسى بن الحسين الوراق قال: حدّثني ابن مهرويه قال: كان أبو الشبل يعاشر محمّد بن حماد بن دلقيش، ثم تهاجرا بشيء أنكره عليه، فقال أبو الشبل فيه:

لا بن حماد أياذ *** عندنا ليست بدون

عنده جارية تش *** في من الداء الدفين

و لها في رأس مولا *** ها أكاليل قرون

ذات صدع حاتميّ ال *** فعل في كن مكين (5)

لا يرى منع الذي يح *** وى و لو أمّ البنين

شعره في كبش كسر قنديله

حدّثني عمي قال: حدّثني أحمد بن الطيب قال: حدّثني أبو هريرة النحويّ قال: كان أبو الشبل البرجمي قد اشترى كبشًا للأضحى، فجعل يعلفه و يسمّنه، فأفلت يوما على قنديل له كان يسرجه بين يديه، و سراج و قارورة للزيت، فنطحه فكسره، و انصبّ الزيت على ثيابه و كتبه و فراشه، فلما عاين ذلك ذبح الكبش قبل الأضحى، و قال يرثي سراجة:

يا عين بكيّ لفقد مسرجة *** كانت عمود الضياء و النور (6)

- 1- الأعتاج: الأعتاء.
- 2- الصدع: الشق، أراد به فرجها. وفي الأصول «من صدغها» وهو تصحيف.
- 3- أجنبت: من الجنابة أي كانت جنباً. و النورة: حجر يحرق ويسوى منه الكلس ويضاف إليه أخلاط ويحلق به شعر العانة.
- 4- الدرايزين: قوائم مصفوفة تعمل من خشب أو حديد تحاط بها السلالم وغيرها. فارسية، وهي الجلفق (كجعفر).
- 5- صدع: أراد به الفرج كما تقدم، وفي س «صدغ» وهو تصحيف.
- 6- في ب، س «يا عين أبكي» وهو تحريف.
- 7- الحندس: و الديجور: الظلمة. وفي ج «إذا أمال الظلام» وهو تحريف.

شَقَّتْ بنيرانها غياطه *** شَقًّا دعا الليل بالدياجير(1)

صينية الصين حين أبدعها *** مصوّر الحسن بالتصاوير

او قبل ذا بدعة أتيح لها *** من قبل الدهر قرن يعفور(2)

وصكّها صكّة فما لبثت *** أن وردت عسكر المكاسير(3)

وإن تولّت فقد لها تركت *** ذكرا سيبقى على الأعاصير(4)

من ذا رأيت الزمان ياسره *** فلم يشب يسره بتعسير(5)

و من أباح الزمان صفوته *** فلم يشب صفوه بتكدير

مسرّجتي لو فديت ما بخلت *** عنك يد الجود بالدنانير

ليس لنا فيك ما نقدّره *** لكنما الأمر بالمقادير

مسرّجتي كم كشفت من ظلم *** جليت ظلماءها بتتوير

و كم غزال على يدك نجا *** من دقّ خصيبه بالطوامير(6)

من لي إذا ما النديم دبّ إلى *** التّدمان في ظلمة الدياجير

وقام هذا يبوس ذاك، وذا *** يعنق هذا بغير تقدير(7)

وازدوج القوم في الظلام فما *** تسمع إلا الرّشاء في البير(8)

فما يصلّون عند خلوتهم *** إلا صلاة بغير تطهير

أوحشت الدار من ضيائك و ال *** بيت إلى مطبخ و تتور(9)

إلى الرواقين فالمجالس فال *** مربد مذ غبت غير معمور(10)

ص: 390

1- غيظلة الليل: التجاج سواده و التباس ظلامه و تراكمه.

2- اليعفور: ظبي بلون التراب، يعني قرن كبش شبيه باليعفور.

3- صكها: ضربها ضربا شديدا. المكاسير جمع مكسور، و في ج «المساكين» و هو تحريف، يعني: نطحها بقرنه فما لبثت أن صارت في عداد الأشياء المكسورة المهشمة.

4- العصر: الدهر، وجمعه أعصار.

5- يأسره: لاينه.

6- الطومار و الطامور: الصحيفة.

7- البوس: التقبيل، فارسي معرّب باسه ييوسه: وفي ج «يعنف» و هو تحريف. وفي كتب اللغة: «عانقه: جعل يديه على عنقه و ضمه إلى نفسه» وهذا هو المعنى المراد في البيت، وليس فيها بهذا المعنى إلا صيغة «عانق» وقد استعمل الشاعر أعنق بمعنى عانق.

8- الرشاء: الحبل، وقد كنى بذلك عما يستقبح ذكره.

9- التنور: الكانون يخبز فيه. وهذا البيت في ج هكذا: قد أوحشت من ضيائك الدار و البيت إلى مطبخ و تنور و هو غير مستقيم الوزن.

10- الرواق ككتاب و غراب: سقف في مقدّم البيت. و المرید: محبس الإبل، من ربد الإبل كنصر ربا: حبسها.

قلبي حزين عليك إذ بخلت *** عليك بالدمع عين تميمير(1)

إن كان أودى بك الزمان فقد *** أبقيت منك الحديث في الدور

دع ذكرها واهج قرن ناطحها *** وأسرد أحاديثه بتفسير(2)

كان حديثي أنني اشتريت فما اش *** تريت كبشا سليل خنزير

فلم أزل بالتوى أسمنه *** والتبن والقث والأثاجير(3)

أبرد الماء في القلال له *** واتقي فيه كل محذور(4)

تخدمه طول كل ليلتها *** خدمة عبد بالذل مأسور

وهي من التيه ما تكلمني ال *** فصيح إلا من بعد تفكير

شمس كأن الظلام ألبسها *** ثوبا من الزفت أو من القير(5)

/من جلدها خفها وبرقعها *** حوراء في غير خلقة الحور(6)

فلم يزل يغتذي السرور، و ما ال *** محزون في عيشة كمسرور(7)

حتى عدا طوره، و حق لمن *** يكفر نعمى بقرب تغيير

فمدّ قرنيه نحو مسرجة *** تعدّ في صون كل مذخور

شدّ عليها بقرن ذي حنق *** معود لللطاح مشهور

وليس يقوى بروقه جبل *** صلد من الشمخ المذاكير(8)

فكيف تقوى عليه مسرجة *** أرقّ من جوهر القوارير

/تكسرت كسرة لها ألم *** و ما صحيح الهوى كمكسور(9)

ص: 391

1- الظاهر أن «تمير» اسم امرأته.

2- كلمة «ناطحها» ساقطة من ج. وفيها أيضا «وأسر أحاديثه» وهو تحريف.

3- القث: الرطبة من علف الدواب. والشجير: ثقل كل شيء يعصر، وقد جمعه الشاعر على أثاجير، والظاهر أنه جمع جمع لأشجرة، و أشجرة جمع شجير.

4- القلال: جمع قلة مثل برمة و برام، وربما قيل: قلال مثل غرفة و غرف.

5- استطرذ في هذا البيت و ما بعده إلى وصف خادمته فقال: إنها كالشمس، يريد في جمالها و إن كانت سوداء. و القير و القار: الزفت، و في ج «ثوبا من الوقت» و هو تحريف.

6- الحور: شدة سواد العين في شدة بياضها في شدة بياض الجسد، و لا تسمى حوراء حتى تكون مع حور عينيها بياض لون الجسد، و لذا قال: غير خلقة الحور.

7- في ج «فلم يزل يفتد» و هو تحريف.

8- الروق: القرن. و الصلد: الصلب. و الشامخ: المرتفع الشاهق. مذاكير: جمع ذكر على غير قياس، و قد و صفوا بهذا اللفظ يريدون الدلالة على قوة الموصوف و شدته، فقالوا: رجل ذكر أي قوي شجاع. و مطر ذكر أي شديد وابل، و قول ذكر أي رصين، و شعر ذكر أي فحل، و قال الشاعر: ما أنت و السير في متلف يبرح بالذكر الضابط أي بالجمل القوي الشديد.

9- في ج: «ولا تكسرت».

فأدرّكته شعوب فانشعبت *** بالرّوع و الشلو غير مقتور(1)

أديل منه فأدرّكته يد *** من المنايا بحدّ مطرور(2)

يلتهب الموت في ظباه كما *** تلهب النار في المساعير(3)

او مزّفته المدى فما تركت *** كفّ القرا منه غير تعسير(4)

و اغتاله بعد كسرهما قدر *** صيره نهزة السنانير(5)

فمزّقت لحمه برائتها *** وبذّرتة أشدّ تبذير(6)

و اختلسته الحداء خلّسا مع ال *** غربان لم تزدجر لتكبير(7)

و صار حظّ الكلاب أعظمه *** تهشم أنحاءها بتكسير(8)

كم كاسر نحوه و كاسرة *** سلاحها في شفا المناقير(9)

و خامع نحوه و خامعة *** سلاحها في شبا الأظافير(10)

قد جعلت حول شلوه عرسا *** بلا افتقار إلى مزامير

و لا مغنّ سوى هماهما *** إذا تمطّط لوارد العير(11)

يا كبش ذق إذ كسرت مسرجتي *** لمدية الموت كأس تنحير(12)

بغيت ظلما و البغي مصرع من *** بغى على أهله بتغيير

أضحية ما أظن صاحبها *** في قسمه لحمها بمأجور

سرق منه قرطاس فرناه

أخبرني الحسن بن عليّ الشيباني قال: دخلت على أبي الشبل يوما فوجدت تحت مخدّته ثلث قرطاس،

ص: 392

1- شعوب: المنية. و قتر الشيء: ضم بعضه إلى بعض. و الرّوع: القلب. و الشلو: الجسد.

2- أداله الله من عدوّه: جعل له الغلبة عليه. و الطر: تحديد السكين. و التقدير: بحد سكين مطرور.

3- الظبي جمع ظبة، و هي حد السنان و نحوه، استعمل الجمع هنا في موضع المفرد. و المساعير مع مسعار، و المسعار و المسعر: ما

سعر به أي أوقد به النار.

4- قراه قرى: أضافه. و التعسير: التصنيق، و المراد به هنا القليل، أي أن القرى لم يبق لنا من لحمه إلا اليسير.

5- النهزة: الفرصة. و السنانير: جمع سنور.

6- برائن: جمع برثن كبرقع، و هو الكف مع الأصابع.

7- الخلس: الاختلاس.

8- في ج «يهشم ألحاهها» و في ب، س «يهشم ألحاءها» و هو تحريف.

9- الشفا: حرف كل شيء.

10- جمع في مشيته كمنع: عرج. و الشبا: جمع شباة، و هي حد كل شيء. و الأظافير: جمع أظفور لغة في الظفر.

11- هماهم: جمع همهمة، و هي ترديد الصوت في الصدر و كل صوت معه بحح. لوارد العير: أي للغير الواردة، و العير: الإبل يحمل

الميرة.

12- نجره نجرًا: ذبحه، و قد ضعفه الشاعر فقال: «تنحير» للشعر.

فسرقته منه و لم يعلم بي، فلما كان بعد أيام جاءني فأنشدني لنفسه يرثي ذلك الثلث القرطاس.

فكر تعترى و حزن طويل *** و سقيم أنحى عليه التحول

ليس بيكي رسما و لا طلالا مح *** كما تندب الربا و الطلول (1)

إنما حزنه على ثلث كا *** ن لحاجاته فغالته غول (2)

كان للسر و الأمانة و الكت *** مان إن باح بالحديث الرسول

كان مثل الوكيل في كل سوق *** إن تلكأ أو ملّ يوما و كيل

كان للهيم إن تراكم في الصد *** ر فلم يشف من عليل غليل (3)

لم يكن يبتغي الحجاب من الحجاب *** إن قيل ليس فيها دخول (4)

إن شكا حاجبا تشدد في الإذ *** ن فللحاجب الشقي العويل (5)

يرفع الخير عنه و الرزق و الكس *** وة فهو المطرود و هو الذليل (6)

كان يشى في جيب كل فتاة *** دونها خندق و سور طويل (7)

يقف الناس و هو أول من يد *** خله القصر غادة عطبول (8)

فإذا أبرزته باح به في ال *** قصر مسك و عنبر معلول (9)

أو له الحبّ و الكرامة ممن *** بات صبا و الشمّ و التقييل (10)

ليس كالكاتب الذي بأبي الخطاب *** يكنى قد شابه التطفيل (11)

ذا كريم يدعي، و هذا طفيلي *** و هذا و ذا جميعا دليل (12)

ذاك بالبشر و الجماعة يلقي *** و لهذا الحجاب و التنكيل (13)

ص: 393

1- محت الدار: عفت.

2- غالته غول: أهلكته هلكتة.

3- الغليل: حرارة الجوف.

4- في ج «لا يبتغي الحجاب» و لا يستقيم به الوزن.

- 5- إن شكّا حاجبا، أي إن شكوت فيه حاجبا.
- 6- في الأصول: «الحبر عنه و الورق» و هو تحريف.
- 7- في س «حيب» و هو تصحيف.
- 8- العطبول: المرأة الفتية الجميلة الممتلئة الطويلة العنق.
- 9- معلول: مضاعف، من العلل كسبب و هو الشرب بعد الشرب تباعا، و قد عله كضرب و نصر فهو معلول، و منه قول كعب بن زهير: كأنه منهل بالراح معلول و في حديث علي رضي الله عنه: من جزيل عطائك المعلول. و في ج «إذا بررت» و هو تحريف.
- 10- في ج «و الستم»، و في ب، س «و اللثم».
- 11- في الأصول: «لأبي الخطاب» و هو تحريف. و يقال: طفل تطفلا و تطفل تطفلا.
- 12- في ب و س «ذليل»، و هو تصحيف، يعني أن كليهما دليل يتقدم لقضاء حاجة صاحبه، لكنهما يفترقان في مظهرهما، فهذا كريم و هذا طفيلي.
- 13- في س «و المجاعة»، و هو تحريف صوابه ما أثبتنا كما في ج و ب.

لم يفد وفده الزمان على الأُل *** سن منه عطف و لا تنويل

كان مع ذا عدل الشهادة مقبو *** لا إذا عرّ شاهدها تعديل

و إذا ما التوى الهوى بالألّيفي *** ن فلم يرع واصلا موصول(1)

فهو الحاكم الذي قوله بي *** ن الألفين جائر مقبول

فلئن شئت الزمان به شم *** ل دواتي و حان منه رحيل(2)

لقديما ما شئت البين و الأُل *** فة من صاحب، فصبر جميل(3)

لا تلمني على البكاء عليه *** إنّ فقد الخليل خطب جليل

قال: فرددته عليه، و كان اتّهم به أبا الخطاب الذي هجاه في هذه القصيدة، فقال لي: ويحك، نجّيت(4) و وقع أبو الخطاب بلا ذنب، و لو عرفت أنّك صاحبها لكان هذا لك، و لكنّك قد سلمت.

ص: 394

1- في الأصول: «فاصلا»، و هو تحريف، أي فلم يرع محبا حبيب.

2- في ب، س «دوائى»، و هو تحريف.

3- البين هنا: الوصل.

4- في ج «ويلك جيت»، و هو تحريف.

نسبه

كان عنث أسود مملوكا لمحمد بن يحيى بن معاذ، ظهر له منه طبع و حسن أخذ و أداء، فعلمه الغناء، و خرّجه و أدبه، فبرع في صناعته، و يكنى أبا دليجة و كان مأبونا؛ و الله أعلم.

أخبرني بذلك محمّد بن العباس اليزيديّ عن ميمون بن هارون قال: حدّثني عنث الأسود، قال: مخارق كناني بأبي دليجة، و كان السبب في ذلك أن أول صوت سمعني أغنيته:

أبا دليجة من توصي بأرملة *** أم من لأشعث ذي طمرين ممحال(1)

فقال لي: أحسنت يا أبا دليجة، فقبلتها و قبلت يده، و قلت: أنا يا سيّدي أبا المهنا؛ أتشرف بهذه الكنية إذا كانت نحلة(2) منك. قال ميمون: و كان مخارق يشتهد غناءه و يحزنه إذا سمعه.

ما وقع له في مجلس غناء

قال أبو الفرج: نسخت من كتاب عليّ بن محمّد بن نصر بخطه، حدّثني يعني ابن حمدون قال: كنا يوما مجتمعين في منزل أبي عيسى بن المتوكّل، و قد عزمنا على الصّبح و معنا جعفر بن المأمون، و سليمان بن وهب، و إبراهيم بن المدبر، و حضرت عريب و شارية و جواريهما، و نحن في أتم سرور، فغنّت بدعة جارية عريب:

أعاذلتي أكثرت جهلا من العذل *** على غير شيء من ملامي و في عدلي

/و الصنعة لعريب؛ و غنّت عرفان:

إذا رام قلبي هجرها حال دونه *** شفيعان من قلبي لها جدلان

و الغناء لشارية، و كان أهل الطّرف و المتعانون(3) في ذلك الوقت صنفين: عربيّة و شاريّة(4)، /فمال كل حزب إلى من يتعصب له منهما من الاستحسان و الطرب و الاقتراح، و عريب و شارية ساكتان لا تنطقان، و كل واحدة من جواريهما تغني صنعة ستها لا تتجاوزها، حتى غنّت عرفان:

بأبي من زارني في منامي *** فدنا متي و فيه نفار

فأحسنت ما شاءت، و شربنا جميعا، فلما أمسكت قالت عريب لشارية: يا أختي لمن هذا اللّحن؟ قالت: لي، كنت صنعته في حياة سيّدي، تعني إبراهيم بن المهديّ، و غنّيته إياه فاستحسنه، و عرضه على إسحاق و غيره فاستحسنوه،

- 1- البيت لأوس. وفي ب «أم لأشعث»، وفي س «لم توصى أم لأشعث» وفيه تحريف و سقط، والتصويب عن ج. والأشعث: المغبر، الرأس. و الطمر: الثوب الخلق. ممحال: من المحل، وهو الجذب.
- 2- النحلة: العطية.
- 3- في ج: «و المتعابنون»، وهو تحريف.
- 4- في الأصول: «و شروية»، وهو تحريف.

فأسكتت (1) عريب، ثم قالت لأبي عيسى: أحب يا بني (2) - فديتك - أن تبعث إلي عثعث فتجيني به، فوجه إليه، فحضر و جلس، فلما اطمأن و شرب و غنّى، قالت له: يا أبا دليجة أو تذكر صوت زبير بن دحمان عندي و أنت حاضر، فسألته أن يطرحه عليك؟ قال: و هل تنسى العذراء أبا عذرها (3)، نعم، و الله إني لذاكره حتّى كأننا أمس افترقنا عنه. قالت: فغنّه، فاندفع فغنّى الصوت الذي ادّعه شارية حتّى استوفاه/و تضاحكت عريب، ثم قالت لجواريتها: خذوا في الحقّ، و دعونا من الباطل، و غنّوا الغناء القديم. فغنّت بدعة و سائر جوارى عريب، و خجلت شارية و أطرقت و ظهر الانكسار فيها، و لم تنتفع هي يومئذ بنفسها، و لا أحد من جواريتها و لا متعصبيها أيضا بأنفسهم.

غناؤه في مجلس المتوكل

إشارة

قال: و حدّثني يحيى بن حمدون قال: قال لي عثعث الأسود: دخلت يوما على المتوكل و هو مصطبح و ابن المارقى يغنّيه قوله:

أقاتلتي بالجد و القدّ و الخدّ *** و باللون في وجه أرقّ من الورد

و هو على البركة جالس، قد طرب و استعاده الصوت مرارا و أقبل عليه، فجلست ساعة ثم قمت لأبول، فصنعت هزجا في شعر البحترى الذي يصف فيه البركة:

صوت

إذا النجوم تراءت في جوانبها *** ليلا حسبت سماء ركّبت فيها

و إن علتها الصّبا أبدت لها حبكا *** مثل الجواشن مصقولا حواشيها (4)

و زادها زينة من بعد زينتها *** أن اسمه يوم يدعى من أساميتها

فما سكت ابن المارقى سكوتا مستوجبا حتّى اندفعت أغنّي هذا الصوت، فأقبل عليّ و قال لي: أحسنت و حياتي، أعد، فأعدت، فشرب قدحا، و لم يزل يستعيدنيه و يشرب حتّى اتكأ، ثم قال للفتح: بحياتي ادفع إليه الساعة ألف دينار و خلعة تامّة و احمله على شهري (5) فاره بسرجه و لجامه، فانصرفت بذلك أجمع.

نسبة ما في هذه الأخبار من الغناء

صوت

أعادلتي أكثرت جهلا من العذل *** على غير شيء من ملامي و لا عدلي

1- يقال: تكلم ثم سكت بغير ألف، فإذا انقطع كلامه فلم يتكلم قيل أسكت.

2- هكذا في ج. وفي ب، س: «بأبي فديتك».

3- العذرة بالضم: البكارة، وهو أبو عذرها وأبو عذرتها: إذا كان قد افتضاها.

4- الصبا: الريح تهب من مطلع الشمس. والحبك: التكسر الذي يبدو على الماء إذا مرت به الريح. والجواشن: جمع جوشن، وهو الدرع.

5- الشهرية: ضرب من البراذين. الفاره: الجيد السير.

انأيت فلم يحدث لي الناس سلوة*** ولم ألف طول [النأي](1) عن خلة يسلي

عروضه من الطويل، الشعر لجميل، والغناء لعريب، ثقيل أول بالبنصر، ومنها:

صوت

إذا رام قلبي هجرها حال دونه*** شفيعان من قلبي لها جدلان

إذا قلت لا، قالأ بلي، ثم أصبحا*** جميعا على الرأي الذي يريان

عروضه من الطويل، والناس ينسبون هذا الشعر إلى عروة بن حزام، وليس له.

الشعر لعلي بن عمرو الأنصاري، رجل من أهل الأدب والرواية، كان بسر من رأى كالمنقطع إلى إبراهيم بن المهدي، والغناء لشارية، ثقيل أول بالوسطى، وقيل إنه من صنعة إبراهيم، ونحلها إياه، وفيه لعريب خفيف رمل بالبنصر.

ومنها:

صوت

بأبي من زارني في منامي*** فدنا منّي وفيه نفار

ليلة بعد طلوع الثريا*** وليالي الصيف بترقصار

قلت هلكي أم صلاحني فعطفنا*** دون هذا منك فيه الدمار

فدنا منّي وأعطى وأرضى*** وشفى سقمي ولذّ المزار

لم يقع إلينا لمن الشعر، والغناء لزبير بن دحمان، ثقيل أول بالوسطى، وهو من جيّد صنعتته وصدور أغانيه.

غناؤه في شعر

إشارة

أخبرني ابن عليّ قال: حدّثنا ابن مهرويه قال: حدّثنا أحمد بن طيفور قال: كتب صديق لأحمد بن يوسف الكاتب في يوم دجن: «يومنا يوم ظريف التّواة، رقيق الحواشي، قد رعدت سماؤه وبرقت، وحتّ وارجحتت(2)، وأنت قطب السرور، ونظام الأمور، فلا تفردنا منك فنقل، ولا تفرد عتّا فنذلّ، فإنّ المرء بأخيه كثير، وبمساعده جدير». قال: فصار أحمد بن يوسف إلى الرجل، وحضرهم عثعث بن الأسود، فقال

صوت

أرى غيما يؤلّفه جنوب *** وأحسبه سيأتينا بهطل

فعين الرأي أن تأتي برطل *** فتشربه و تدعولي برطل

ص: 397

1- هذه الكلمة أو ما يفيد معناها ساقطة من الأصول، كما يدل عليها قوله «نأيت» في أول البيت. وفي ب، س: «طولا». الخلة: الخلية.

2- ارجحن السحاب: مال من ثقله.

و تسقيه ندامانا جميعا *** فينصرفون عنه بغير عقل

فيوم الغيم يوم الغم (1) إن لم *** تبادر بالمدامة كلّ شغل

ولا تكره محرّمها عليها *** فإتي لا أراه لها بأهل

قال: و غتّى فيه عثعث اللّحن المشهور الذي يغتّى به اليوم.

صوت

ترى الجند و الأعراب يغشون بابه *** كما وردت ماء الكلاب هوامله (2)

إذا ما أتوا أبوابه قال: مرحبا *** لجوا الدار حتى يقتل الجوع قاتله

عروضه من الطويل. الهوامل: التي لا-رعاء لها، ولجوا: ادخلوا، يقال: ولج يلج ولجا. وقوله: / «حتى يقتل الجوع قاتله»: أي يطعمكم فيذهب جوعكم، جعل السّبع قاتلا للجوع.

الشعر لعبد الله بن الزّبير الأسدي، و الغناء لابن سريج، رمل بالسّبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق.

ص: 398

1- في الأصول: «الغيم» وهو تحريف.

2- هوامل: جمع هامل، وهي المسيبة لا راعي لها. و الكلاب: يوم من أيام العرب المشهورة.

نسبه

عبد الله بن الزبير بن الأشم بن الأعشى بن بجرة بن قيس بن منقذ بن طريف بن عمرو بن قعين بن الحرث بن ثعلبة بن دودان(1) بن أسد بن خزيمه.

أخبرني بذلك أحمد عن الخرز عن ابن الأعرابي؛ وهو شاعر كوفي المنشأ والمنزل، من شعراء الدولة الأموية، وكان من شيعة بني أمية و ذوي الهوى فيهم و التعصب و النصره على عدوهم، فلما غلب مصعب بن الزبير على الكوفة أتى به أسيراً فمّنّ عليه و وصله و أحسن إليه، فمدحه و أكثر، و انقطع إليه، فلم يزل معه حتى قتل مصعب، ثم عمي عبد الله بن الزبير بعد ذلك، و مات في خلافة عبد الملك بن مروان، و يكنى عبد الله أبا كثير، و هو القائل يعني نفسه:

فقلت: ما فعلت أبا كثير *** أضح الودّ أم أخلفت بعدي؟(2)

و هو أحد الهجّائين للناس، المرهوب شرهم.

خبره مع عبد الرحمن بن أم الحكم

قال ابن الأعرابي: كان عبد الرحمن بن أم الحكم على الكوفة من قبل خاله معاوية بن أبي سفيان، و كان ناس من بني علقمة بن قيس بن وهب بن الأعشى بن بجرة بن قيس بن منقذ قتلوا رجلاً من بني الأشيم، من رهط عبد الله بن الزبير دنية(3)، فخرج عبد الرحمن بن أمّ الحكم و افدا إلى معاوية، و معه ابن الزبير و رفيقان له من بني أسد، يقال لأحدهما أكل(4) بن ربيعة من بني جذيمة(5) بن مالك بن نصر بن قعين، و عدي بن الحرث أحد بني العدان(6) من بني نصر، فقال عبد الرحمن بن أم الحكم لابن الزبير: خذ من بني عمك ديتين لقتيلك، فأبى ابن

ص: 399

1- في الأصول «داود» و هو تحريف، و التصويب عن «العقد الفريد» 2:47.

2- سيرد هذا البيت بعد، و آخره: «أم أخلفت عهدي».

3- دنية: لحا.

4- كذا في الأصول: «أكل»، و لعله «أكيل» كزبير أو «أكتل» كأحمد، و قد سمت بهما العرب، جاء في «تاج العروس» مستدرک مادة أكل: «و كزبير أكيل أبو حكيم مؤذن مسجد إبراهيم النخعي، و موسى بن أكيل روى عنه إسماعيل بن أبان الوراق» و جاء في «تاج العروس»: «أكتل: لص من لصوص البادية، قال الشاعر: إن بها أكتل أو زاما خويرين ينفقان الهاما و أكتل بن الشماخ العكلي، شهد الجسر مع أبي عبيدة، محدث حدث عنه الشعبي».

5- في الأصول: «خزيمة» و هو تحريف.

6- في ب، س «القدان» و هو تحريف و صوابه «العدان» و في «تاج العروس» مستدرک مادة عدن: و العدان: قبيلة من بني أسد، و قد جاء في قصيدة لزهير بن أبي سلمى في مدح سنان بن أبي حارثة المري: فلست بتارك ذكرى سليمانى و تشيبينى بأخت بني العدان انظر «شرح

ديوان زهير لأبي العباس ثعلب» ص 305 طبع دار الكتب.

الزبير، وكان ابن أم الحكم يميل إلى أهل القاتل، فغضب عليه عبد الرحمن وردّه عن الوفد من منزل يقال له فيّاض، فخالف ابن الزبير الطريق إلى يزيد بن معاوية، فعاذ به، فأعاده وقام بأمره، وأمره(1) يزيد بأن يهجو ابن أم الحكم، وكان يزيد يبغضه وينتقصه ويعيبه، فقال فيه ابن الزبير قصيدة أولها قوله:

أبى الليل بالمرّان أن يتصرّما *** كأنى أسوم العين نوعا محرّما(2)

لوردّ بثنييه كأن نجومه *** صوار تناهى من إران فقوما(3)

إلى الله أشكو لا إلى الناس أنى *** أمصّ بنات الدر ثديا مصرّما(4)

وسوق نساء يسلبون ثيابها *** يهادونها همدان رقّا و خثعما(5)

على أي شيء يا لؤيّ بن غالب *** تجيبون من أجرى عليّ و أجمما(6)

و هاتوا فقصّوا آية نقرءونها *** أحلت بلادى أن تباح و تظلما

و إلا فأقصى الله بيني و بينكم *** و لى كثير اللؤم من كان الأما(7)

و قد شهدتنا من ثقيف رضاعة *** و غيب عنها الحوم قوام زمزما(8)

لبنو هاشم لو صادفوك تجدها *** مججت و لم تملك حيازيمك الدما(9)

ستعلم إن زلت بك النعل زلة *** و كلّ امرئ لاقى الذي كان قدما

ص: 400

1- في ب، س «و أمر».

2- مران: موضع على ليلتين من مكة على طريق البصرة. يتصرم: ينقضي. أسوم: أكلف.

3- ثيا الجبل: طرفاه. الصوار ككتاب و غراب: القطيع من البقر. تناهى الشيء: بلغ نهايته. الإران: النشاط. فقوما: جاء في كتب اللغة: قامت به دابته: إذا كلت و أعيت فوقفت و لم تسر، و منه قوله تعالى: وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَوْمًا أَي وَقَفُوا وَ ثَبَتُوا فِي مَكَانِهِمْ غَيْرَ مُتَقَدِّمِينَ وَ لَا مُتَأَخِّرِينَ، وَ لَعَلَّ «قَوْم» فِي الْبَيْتِ مِنْ ذَلِكَ، فَهِيَ مُضَعَفٌ قَامَ بِهَذَا الْمَعْنَى، وَ التَّضْعِيفُ لِلتَّكْثِيرِ كَمَا فِي طَوْفٍ وَ جَوْلٍ وَ مَوْتٍ وَ حَوْمٍ...

4- الدر: اللبن. و يقال: ناقة مصرمة، و ذلك أن يقطع ضرعها فلا يخرج اللبن، و هو أقوى لها، أو أن يصيب ضرعها شيء فيكوى بالنار فلا يخرج منه لبن أبدا. ثديا: بدل من بنات الدر، أي أمصّ بنات الدر ثديا مصرما منها.

5- في ب و س «تهب دونها» و في ج «تهبدونها» بوصل الكلمتين و لعل الصواب ما أثبتنا. يهادونها أي يهدونها. الرق: العبودية. همدان و خثعم: قبيلتان كبيرتان من عرب اليمن من بني كهلان. و المعنى: يهدونهنّ رقيقات إلى همدان و خثعم.

6- لؤي بن غالب: يعني معاوية و عشيرته، فهو معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر و هو قريش. أجرى أي أجرى الخيل للغارة عليّ.

7- فأقصى أي أبعد. وفي الأصول «أقصى» وهو تصحيف.

8- قوام أي القائمون على زمزم، المتولون سقاية الحاج منها، و زمزم: بئر بمكة أنبع الله عينها لإسماعيل و أمه هاجر حين أسكنهما إبراهيم مكة، ثم طمت تلك البئر و ما زالت مطمومة إلى زمن عبد المطلب بن هاشم، فأتاه آت و هو نائم بالحجر فأمره بحفرها فحفرها و أقام سقاية زمزم للحاج، و كانت السقاية في الجاهلية بيد ابنه أبي طالب، ثم سلمها إلى أخيه العباس. يقول: إن لنا رضاعة في ثقيف - و قد كان والد عبد الرحمن المذكور من ثقيف كما سيأتي بعد - أي أنه يجمعني و إياك اخوة رضاعة و صلة ماسة كان جديرا بك أن تقدّرها و ترعاها، ثم عطف فقال: و قد نفى الدنس و النقص عن تلك الرضاعة أشرف بني هاشم القائمون على زمزم.

9- تجدها: تقطعها. صادفه: وجدته و لقيه، مجبت: من مَجَّ الشراب من فيه: رماه. حيازيم. جمع حيزوم: و هو وسط الصدر و ما يضم عليه الحزام. يقول: إن بني هاشم لو وجدوك تقطع هذه العلاقة التي تربطني بك، أي لو وجدوك تعدو عليّ و لا ترعى حتى صلتني بك لأراقوا دمك و لم تشدد حيازيمك حيالهم.

بأنك قد ماطلت أنياب حية *** تزجي بعينها شجاعا و أرقما(1)

و كم من عدو قد أراد مساءتي *** بغيب و لولا قيته لتندما

و أنتم بني حام بن نوح أرى لكم *** شفاها كأذنان المشاجر و رما(2)

فإن قلت خالي من قريش فلم أجد *** من الناس شرا من أبيك و ألأما(3)

صغيرا ضغافي خرقة فأمصه *** مربيه حتى إذ أهّم و أفطما(4)

رأى جلدة من آل حام متينة *** و رأسا كأمثال الجريب مؤوما(5)

و كنتم سقيطا في ثقيف، مكانكم *** بني العبد، لا توفي دماؤكمو دما(6)

شعره حين عزل عبد الرحمن عن الكوفة

قال ابن الأعرابي: ثم عزل ابن أم الحكم عن الكوفة، ووليها عبيد الله(7) بن زياد، فقال ابن الزبير:

أبلغ عبيد الله عني فإنني *** رميت ابن عوذ إذ بدت لي مقاتله(8)

على قفرة إذ هابه الوفد كلهم *** و لم أك أشوي القرن حين أناضله(9)

و كان يمارى من يزيد بوقعة *** فما زال حتى استدرجته حباله(10)

فتقصيه من ميراث حرب و رهطه *** و آل إلى ما ورثته أوائله(11)

و أصبح لما أسلمته حبالهم *** ككلب القطار حلّ عنه جلاجه

و نسخت من كتاب جدّي لأمي يحيى بن محمد بن ثوبة، قال يحيى بن حازم و حدّثنا عليّ بن صالح صاحب المصلّى عن القاسم بن معدان: أن عبد الرحمن بن أم الحكم غضب على عبد الله بن الزبير الأسديّ لما بلغه أنّه

ص: 401

1- عني بالحية نفسه. تزجي: تسوق. و الشجاع كغراب و كتاب: الحية أو الذكر منها، و جمعه شجاعان بالكسر و الضم. و الأرقم: أخبث الحيات، أو ما فيه سواد و بياض، أو ذكر الحيات. يقول: ستعلم عندئذ أنك قد تعرّضت لمعاداة رجل مرهوب جانبه، مخشيّ بأسه، كالحية، له نصراء يؤازرونه من عشيرته أمثال الشجاعان و الأرقام.

2- المشاجر: جمع مشجر (بكسر الميم و فتحها)، و هو عود الهودج. و رم: جمع وارمة.

3- أبوه هو عبد الله بن عثمان بن عبد الله بن ربيعة بن الحرث الثقفي.

4- ضغا: صاح و ضجّ. أمضه: آلمه و شق عليه. أهّم، أي أهّم آله و ذويه، أي بلغ مبلغا جعلهم يهتمون له و يتعلقون به. أفطم: حان أن

يفطم، وفي ج «حتى إذا لهم أفطما» وهو تحريف.

5- الجريب: مكيال قدر أربعة أقدرة. المؤوم: العظيم الرأس أو المشوه.

6- السقيط: الأحمق الناقص العقل. وجاء في «مستدرک» (سقط) في «تاج العروس»: وقوم سقاط بالكسر جمع ساقط كرائم ونيام و سقيط و سقاط كطويل و طوال.

7- ولي معاوية عبد الرحمن الكوفة بعد عزل الضحاک بن قيس سنة 58 هـ ثم عزله عنها سنة 59 واستعمل عليها النعمان بن بشير الأنصاري، و مات معاوية سنة 60 وولى ابنه يزيد الخلافة، وبقي النعمان واليا على الكوفة، فلما كاتب أهلها الحسين رضي الله عنه ليبايعوه بالخلافة وبعث إليهم مسلم بن عقيل، بعث يزيد إلى عبيد الله بن زياد و كان على البصرة فولاه الكوفة مع البصرة.

8- من أسمائهم «عوذ» والمفهوم هنا أن «ابن عوذ» كنية عبد الرحمن.

9- في ب و س «أثوي القرن حتى»، وهو تحريف.

10- في ب، س «من يريد»، وهو تصحيف صوابه «من يزيد» وهو يزيد بن معاوية.

11- في ج «فتقضيه ميراث»، وهو تحريف.

هجاه، فهدم داره، فأتى معاوية فشكاه إليه، فقال له: كم كانت قيمة دارك؟ فاستشهد أسماء بن خارجة، وقال له:

سله عنها؛ فسأله؛ فقال: ما أعرف يا أمير المؤمنين قيمتها، / ولكنه بعث إلى البصرة بعشرة آلاف درهم للساج(1)، فأمر له معاوية بألف(2) درهم، قال: وإنما شهد له أسماء كذلك ليرفده(3) عند معاوية، ولم تكن داره إلا خصاص قصب.

وكان عبد الرحمن بن أم الحكم لَمَّا ولي الكوفة أساء بها السيرة، فقدم قادم من الكوفة إلى المدينة، فسأته امرأة عبد الرحمن عنه، فقال لها: تركته يسأل إلحافا، وينفق إسرافا، وكان محمّقا(4)، ولاه معاوية خاله عدّة أعمال، فذمه أهلها وتظلموا منه، فعزله وأطرحة(5)، وقال له: يا بني، قد جهدت أن أنفقك(6) وأنت تزداد كسادا.

ووقالت له أخته أم الحكم بنت أبي سفيان بن حرب: يا أخي، زوج ابني بعض بناتك؛ فقال: ليس لهنّ بكفء؛ فقالت له: زوجني أبو سفيان أباه، وأبو سفيان خير منك، وأنا خير من بناتك، فقال لها: يا أختي، إنما فعل ذلك أبو سفيان لأنه كان حينئذ يشتهي الزبيب، وقد كثر الآن الزبيب(7) عندنا، فلن نزوج إلا كفوًا.

خبره مع عمرو بن عثمان بن عفان

حدّثنا الحسن بن الطيّب البلخي قال: حدّثني أبو غسان قال: بلغني أن أول من أخذ بعينة(8) في الإسلام عمرو بن عثمان بن عفان، أتاه عبد الله بن الزبير الأسدي، فرأى عمرو تحت ثيابه ثوبا رثًا، فدعا وكيله وقال:

اقترض لنا مالا؛ فقال: هيهات! ما يعطينا التجار شيئا. قال: فأربحهم(9) ما شاءوا، فاقترض له ثمانية آلاف درهم، و ثانيا عشرة آلاف، فوجّه بها إليه مع تخت(10) ثياب، فقال عبد الله بن الزبير في ذلك:

ص: 402

- 1- الساج: خشب يجلب من الهند، أسود رزين يشبه الأبنوس، وهو أقل سوادا منه، ولا تكاد الأرض تبليه.
- 2- هكذا في الأصول. وهو غير ظاهر؛ وقد تكررت هذه القصة في آخر الترجمة، وفيها: «... أعطاني عشرين ألف درهم وسألني أن أبتاع له بها ساجا من البصرة ففعلت... وأمر معاوية له بها».
- 3- الإرفاد: الإعانة.
- 4- أي ينسب إلى الحمق. وفي ب، س «وكان مخفا» وهو تحريف، والتصويب عن ط.
- 5- جاء في «تاريخ الطبري» 6:174 «استعمله معاوية على الكوفة فأساء السيرة فيهم فطرده، فلحق بمعاوية وهو خاله، فقال له: أوليك خيرا منها، مصر، فولاه فتوجه إليها، وبلغ معاوية بن حديج الخبر، فخرج فاستقبله على مرحلتين من مصر فقال: ارجع إلى خالك فلعمري لا تسير فينا سيرتك في إخواننا من أهل الكوفة، فرجع إلى معاوية، وأقبل معاوية بن حديج وافدا، وكان إذا جاء صربت له قباب الرياح، فدخل على معاوية وعنده أم الحكم، فقالت: من هذا يا أمير المؤمنين؟ قال: بخ، هذا معاوية بن حديج، قالت: لا مرحبا به «تسمع بالمعيديّ خير من أن تراه» فقال: على رسلك يا أم الحكم، أما والله لقد تزوّجت فما أكرمت، وولدت فما أنجبت، أردت أن يلي ابنك الفاسق علينا فيسير فينا كما سار في إخواننا من أهل الكوفة، ما كان الله ليريه ذلك، ولو فعل ذلك لضربناه ضربا يطأطي منه، وإن كره ذلك الجالس، فالتفت إليها معاوية فقال: كفى».
- 6- جهد كمنع: جدّ. ونفق السلعة: روجها.

7- تقدّم أن أبا عبد الرحمن من ثقيف، وكانت ثقيف تنزل بالطائف، وفي الطائف تكثر البساتين وكروم العنب، ولذا كان الزبيب فيها كثيرا، وقد ذكروا أن الحجاج الثقفي كان أول أمره يبيع الزبيب بالطائف. يقول: حسبنا ما كان من مصاهرة أبي سفيان ثقيفا، ولسنا نرغب بعد في مصاهرتهم.

8- العينة: الربا.

9- في ج: «فأربحوا» وهو تحريف.

10- التخت: وعاء تصان فيه الثياب.

سأشكر عمرا إن تراخت منيّي *** أيادي لم تمنن وإن هي جلّت (1)

فتى غير محبوب الغنى عن صديقه *** ولا مظهر الشكوى إذا النعل زلّت

رأى خلّتي من حيث يخفى مكانها *** فكانت قذى عينيه حتى تجلّت (2)

مدحه أسماء بن خارجة

إشارة

أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبيّ إجازة قال: حدّثني أحمد بن عرفة المؤدّب قال: أخبرني أبو المصّبّح (3) عادية بن المصّبّح السّلولي قال: أخبرني أبي قال: كان عبد الله بن الرّبير الأسيديّ قد مدح أسماء (4) بن خارجة الفزاريّ فقال:

صوت

تراه إذا ما جنّته متهلّلاً *** كأنك تعطيه الذي أنت نائله (5)

ولو لم يكن في كفه غير روحه *** لجاد بها فليتنق الله سانله

فأثابه أسماء ثوابا لم يرضه، فغضب وقال يهجوه:

بنت لكم هند بتلذيع بظرها *** دكاكين من حصّ عليها المجالس (6)

فو الله لو لا رهن هند ببظرها *** لعدّ أبوها في اللّثام العوايس (7)

/فبلغ ذلك أسماء، فركب إليه، فاعتذر من فعله بضيقه شكاهها، وأرضاه وجعل على نفسه وظيفة (8) في كل سنة، واقتطعه جنتيه، فكان بعد ذلك يمدحه ويفضّله. وكان أسماء يقول لبنيه: والله ما رأيت قط جصافي بناء ولا غيره إلاّ ذكرت بظر أمكم هند فخجلت.

حبسه ابن أم الحكم و شعره

ص: 403

1- جاء في «وفيات الأعيان» لابن خلكان 3:147 طبع النهضة أن هذه الأبيات لإبراهيم بن العباس الصولي، وأن عمرا المذكور في البيت هو عمرو بن مسعدة، قال: «وكان بين عمرو بن مسعدة وبين إبراهيم بن العباس الصولي مودّة، فحصل لإبراهيم ضائقة بسبب البطالة في بعض الأوقات، فبعث له عمرو مالا، فكتب إليه إبراهيم الأبيات.

2- الخلة: الحاجة والفقير. والقذى: ما يقع في العين.

3- في الأصول: «أبو المصباح» و هو مصحف و صوابه «أبو المصباح» و هو من كنى العرب، كنى بها أعشى همدان الشاعر الأموي.

4- هو أسماء بن خارجة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري.

5- تهلل وجهه: تاللاً. نائله: آخذه. و يروى «أنت سائله» أي سائله إياه. و المعروف و المشهور أن البيت الأول لزهير بن أبي سلمى في

مدح حصن بن حذيفة بن بدر جد أسماء من قصيدته التي مطلعها: صحا القلب عن سلمى و أقصر باطله و عرى أفراس الصبا و رواحله و أن

البيت الثاني لأبي تمام في مدح المعتصم من قصيدته التي مطلعها: أجل أيها الربع الذي خف أهله لقد أدركت فيك النوى ما تحاوله

6- كان يحيى أبو حماد عجرد مولى لبني هند بنت أسماء بن خارجة، فولدت هند من بشر بن مروان عبد الملك بن بشر...» يريد أن هنداً

بزواجها من بشر أخي الخليفة عبد الملك بن مروان رفعت من قدر أهلها و هيأت لهم مجالس الشرف و الرفعة.

7- رهزها: حركتها عند الجماع. و في ج «زهده» و هو تحريف. و في هذا البيت إقواء.

8- الوظيفة: ما يقدر من رزق.

أخبرني عمي عن ابن مهرويه، عن أبي مسلم، عن ابن الأعرابي قال: حبس ابن أمّ الحكم عبد الله بن الزبير وهو أمير في جناية وضعها عليه، وضربه ضرباً مبرحاً لهجائه إيّاه، فاستغاث بأسماء بن خارجة، فلم يزل يلطف في أمره، ويرضي خصومه ويشفع إلى ابن أمّ الحكم في أمره حتى يخلصه، فأطلق (1) شفاعته، وكساه أسماء ووصله وجعل له ولعياله جارية (2) دائمة من ماله، فقال فيه هذه القصيدة التي أولها الصوت المذكور بذكر أخبار ابن الزبير، يقول فيها:

ألم تر أنّ الجود أرسل فانتقى *** حليف صفاء وأتلى لا يزايله (3)

تخيّر أسماء بن حصن فبطنت *** بفعل العلا أيمانه وشمائله (4)

ولا مجد إلا مجد أسماء فوّه *** ولا جرى إلا جري أسماء فاضله

أو محتمل ضغنا لأسماء لو جرى *** بسجلين من أسماء فارت أباجله (5)

عوى يستجيش النابحات وإنما *** بأنيابه صمّ الصفا وحنادله (6)

وأقصر عن مجرة أسماء سعيه *** حسيرو كما يلقي من التّرب ناخله (7)

وفضّل أسماء بن حصن عليهم *** سماحة أسماء بن حصن وناثله (8)

فمن مثل أسماء بن حصن إذا غدت *** شأبيبه أم أيّ شيء يعادله (9)

أو كنت إذا لاقيت منهم حطيطة *** لقيت أبا حسان تندى أصائله (10)

تضيّقه غسان يرجون سيبه *** وذو يمن أحبوشه ومقاله (11)

فتى لا يزال الدهر ما عاش مخصبا *** ولو كان المومة تخدي رواحله (12)

فأصبح: ما في الأرض خلق علمته *** من الناس إلا باع أسماء طائله (13)

ص: 404

1- أي قبل شفاعته إطلاقاً لم يقيداً بقيد ولم يعتل فيها باستثناء.

2- الجارية: الجاري من الوظائف.

3- انتقى: اختار. اتتلى: أقسم.

4- في س: «أسماء بن حفص» وهو تحريف.

5- في ب و س «صفنا» وهو تحريف. والسجل: الجري. أباجل: جمع أبجل، وهو عرق في باطن الذراع. والمعنى: لو جرى بشوطين من جري أسماء، لأعيا وانبهر.

6- يستجيش النابحات: أي يستمد الكلاب النابحات. الصفا: جمع صفاة، وهي الحجر الصلد الضخم. والمعنى أنه لا ينال منه ولا يؤثر

فيه إلا كما يؤثر العاض على الصم الصلاب، وهو كقول الأعشى: كناطح صخرة يوما ليوهيها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

7- حسيرا: كليلا.

8- النائل: العطاء.

9- غدت: بكرت. والشايب: جمع شؤبوب، وهو الدفعة من المطر.

10- أبو حسان: كنية أسماء. أصائل: جمع أصيل، وهو العشيّ. تندی أصائله، أي يندى في الأصائل. والحطيطة: البنس.

11- أصله تتضيفه أي تنزل عليه ضيفا. والسيب: العطاء. الأحيوش: جماعة الحيش، وفي ب، س: «أحيوشة». والمقاول: جمع مقول، وهو الملك من ملوك حمير، أو هو دون الملك الأعلى.

12- الراحلة: المركب من الإبل ذكرا أو أنثى. وخدي البعير خديا وخديانا: أسرع وزج بقوائمه. وفي ج: «بالمومات» بناء مفتوحة، وفي ب و س: «بالموتان» وهو تحريف. والمومة: المغازة.

13- طاله: فاقه في الطول.

تراه إذا ما جئته متهللاً *** كأنك تعطيه الذي أنت سائله

ترى الجند و الأعراب يغشون بابه *** كما وردت ماء الكلاب نواهله

إذا ما أتوا أبوابه قال: مرحبا *** لجو الباب حتى يقتل الجوع قاتله

ترى البازل البختيّ فوق خوانه *** مقطّعة أعضاؤه و مفاصله(1)

إذا ما أتوا أسماء كان هو الذي *** تحلّب كفاه الندى و أنامله

تراهم كثيرا حين يغشون بابه *** فتسترهم جدرانهم و منازلهم

قال: فأعطاه أسماء حين أنشده هذه القصيدة ألفي درهم.

شعره بين يدي عيد الله بن زياد

أخبرني هاشم بن محمد قال: حدّثنا العبّاس بن ميمون طائع قال: حدّثني أبو عدنان عن الهيثم بن عديّ، عن ابن عياش، و قال ابن الأعرابي أيضا: دخل عبد الله بن الزبير على عبيد الله بن زياد بالكوفة و عنده أسماء بن خارجة حين قدم ابن الزبير من الشام، فلمّا مثل بين يديه أنشأ يقول:

حنّت قلوصي و هنا بعد هدأتها *** فهيجت مغرما صبّا على الطرب(2)

احنّت إلى خير من حنّ المطيّ له *** كالبدري بين أبي سفيان و العتب

تذكّرت بقرى البلقاء نائله *** لقد تذكرته من نازح عزب(3)

و الله ما كان بي لو لا زيارته *** و أن ألقى أبا حسان من أرب

حنّت لترجعني خلفي فقلت لها *** هذا أمامك فالقيه فتى العرب

لا يحسب الشرّ جارا لا يفارقه *** و لا يعاقب عند الحلم بالغضب

من خير بيت علمناه و أكرمه *** كانت دماؤهم تشفى من الكلب(4)

قال ابن الأعرابيّ: كانت العرب تقول: من أصابه الكلب و الجنون لا يبرأ منه إلى أن يسقى من دم ملك، فيقول: إنه من أولاد الملوك.

2- القلوص من الإبل: الشابة. الوهن: نحو من نصف الليل أو ما بعد ساعة منه. الهدأة و الهدوء: السكون عن الحركات، ويقال: أتانا بعد هدأة من الليل أي حين هدأ الليل.

3- البلقاء: كورة من أعمال دمشق. نازح: بعيد، عزب: بعيد أيضا؛ وقالوا: رجل عزب: للذي يعزب في الأرض.

4- في ج: «أشفي».

معاونة ابن زياد على قتل هانئ بن عروة

أخبرني أحمد(1) بن عيسى العجلي بالكوفة قال: حدّثنا سليمان بن الربيع البرجمي قال: حدّثنا مضر بن مزاحم، عن عمرو بن سعد، عن أبي مخنف، عن عبد الرحمن بن عبيد بن أبي الكنود، وأخبرني الحسن بن علي قال: حدّثنا الحارث بن محمّد قال: حدّثنا ابن سعد عن الواقدي، وذكر بعض ذلك ابن الأعرابي في روايته عن المفصّل، وقد دخل حديث بعضهم في حديث الآخرين، أن المختار بن أبي عبيد(2) خطب الناس يوماً على المنبر فقال: «لتنزلن ناراً من السماء، تسوقها ريح حالكّة/دهماء، حتى تحرق دار أسماء وآل أسماء» وكان لأسماء بن خارقة بالكوفة ذكر قبيح عند الشيعة، يعدّونه في قتلة الحسين عليه السّلام، لما كان من معاوته عبيد الله بن زياد على هانئ بن عروة المراديّ حتى قتل، وحرّكته في نصرته على مسلم بن عقيل بن أبي طالب، وقد ذكر ذلك شاعرهم فقال:

أ يركب أسماء الهماليج آمنا *** وقد طلبته مذحج بقتيل!(3)

يعني بالقتيل هانئ بن عروة المراديّ، وكان المختار يحتال ويدبّر في قتله من غير أن يغضب قيساً فتصره، فبلغ أسماء قول المختار فيه، فقال: أوقد سجع بي أبو إسحاق! لا قرار على زار من الأسد(4)، وهرب إلى الشام، فأمر المختار بطلبه ففاته، فأمر بهدم داره، فما تقدّم عليها مضريّ [بتة](5) لموضع أسماء وجلالة قدره في قيس، فتولّت ربيعة واليمن هدمها، وكانت بنو تيم الله وعبد القيس مع رجل من بني عجل كان على شرطة المختار، فقال في ذلك عبد الله بن الزبير:

تأؤب عين ابن الزبير سهودها *** ولّى على ما قد عراها هجودها(6)

كانّ سواد العين أبطن نحلة *** وعاودها مما تذكّر عيدها(7)

مخصّرة من نحل جيحان صعبة *** لوى بجناحيها وليد يصيدها(8)

ص: 406

1- كذا في ط: و مط؛ وفي باقي الأصول «محمّد».

2- انظر «الكامل» للمبرد 2: 167.

3- الهماليج: جمع هملاج، والهملاج من البراذين: الحسن السير. وبنو مراد: قبيلة هانئ بن عروة بطن من مذحج، فهم بنو مراد بن مالك بن مذحج بن أدد..... من بني كهلان.

4- أخذه من قول النابغة الذبياني في النعمان بن المنذر من قصيدته المشهورة: أنبت أن أبا قابوس أو عدني ولا قرار على زار من الأسد

5- زيادة عن ط، مط.

6- تأؤبها سهودها، أي راجعها وعاودها. والهجود: التّوم، وعلى هنا بمعنى اللام.

7- تذكر، أي تتذكر. والعيد: ما اعتادك من هم أو مرض أو حزن.

8- في ج و ب و س «محضرة» وهو تصحيف، كشح مخصر: دقيق، ورجل مخصر: ضامر الخصر. جيحان: نهر بالمصيصة في الشام. و

من الليل وهنا، أو شظية سنبل *** أذاعت به الأرواح يذرى حصيدها(1)

إذا طرفت أذرت دموعا كأنها *** نثير جمان بان عنها فريدها(2)

وبتَّ كأنَّ الصدر فيه ذبالة *** شبا حرَّها القنديل، ذاك وقودها(3)

فقلت أناجي النفس بيني وبينها *** كذاك الليالي نحسها وسعودها

فلا تجزعي مما ألمَّ فإنني *** أرى سنة لم يبق إلا شريدها(4)

أتاني وعرض الشام بيني وبينها *** أحاديث و الأنباء ينمي بعيدها(5)

بأنَّ أبا حسان تهدم داره *** لكيز سعت فساقها و عبيدها(6)

جزت مضرا عني الجوازي بفعلها *** ولا أصبحت إلا بشرَّ جدودها(7)

فما خيركم؟ لا سيِّدا تنصرونه *** ولا خائفا إن جاء يوما طريدها(8)

أخذلانه في كلِّ يوم كريمة *** ومسألة ما إن ينادى وليدها(9)

لأتمكم الويلات أني أتيتم *** جماعات أقوام كثير عبيدها

فيا ليتكم من بعد خذلانكم له *** جوار على الأعناق منها عقودها

ألم تغضبوا تبا لكم إذ سطت بكم *** مجوس القرى في داركم ويهودها!(10)

تركتم أبا حسان تهدم داره *** مشيِّدة أبوابها و حديدها

يهدمها العجلي فيكم بشرطة *** كما نبَّ في شبل التيوس عتودها(11)

ص: 407

1- من الليل وهنا: متعلق بقوله: و عاودها، أو شظية: عطف على نحلة. و الشظية: كل فلقة من شيء. أذاع بالشيء: ذهب به. و الأرواح: جمع ريح. ذرته الريح و أذرته: أطارته.

2- طرفت عينه: أصيبت بشيء فدمعت. و في ب، س «طرفت» و هو تصحيف، أذرت العين الدمع: صبته. نثير: منثور. و في ب و س «نثير» و هو تحريف. الجمان: اللؤلؤ. الفريد و الفريدة: الجوهرة النفيسة.

3- الذبالة: الفتيلة، شبا النار شبوا: أوقدها كسبها. و المعنى: زاد القنديل في حرَّها بما يمدّها به من الزيت. و في الأصول: «سنا» و هو تصحيف. ذكت النار: اشتدَّ لهبها.

4- السنة: العام، و الجذب، و القحط.

5- ينمي: ينتشر ويرتفع.

6- لكيز: قبيلة من ربيعة، وهو لكيز بن أفضى بن عبد القيس. وفي ب، س «وعتيدها» وهو تصحيف.

7- يقال: جزتك عني الجوازي، أي جزتك جوازي أفعالك، والجوازي: جمع جازية، وهي الجزاء، مصدر على فاعلة. جدود: جمع جد بالفتح، وهو الحظ، يدعو عليها بنحس الجدّ و تعس الحظ.

8- ولا خائفا، أي ولا تؤمنون الطريد إن جاء يوما خائفا.

9- أ خذلانه... أي أ مذهبكم خذلانه، أو أترون خذلانه؟ و مسألة، أي وفي كل مسألة، يقال في المثل: هم في أمر لا ينادى وليده، قال ابن سيده: أصله كأنّ شدة أصابتهم حتى كانت الأم تنسي وليدها فلا تناديه و لا تذكره مما هي فيه، ثم صار مثلا لكل شدة، وقيل: أصله من الغارة، أي تذهل الأم عن ابنها أن تناديه و تضمه، و لكنها تهرب عنه، وقيل: هو أمر جليل شديد لا ينادى فيه الوليد و لكن تنادى فيه الجلة، وقيل يقال في الخير و الشر، أي اشتغلوا به حتى لو مدّ الوليد يده إلى أعز الأشياء لا ينادى عليه زجرا.

10- تبا لكم، أي ألزمكم الله هلاكا و خسرا.

11- نب التيس: صاح عند الهياج. العتود من أولاد المعز: ما رعى وقوى و أتى عليه حول. و كتب أمام البيت في نسخة ط ما نصه: يريد عمرو بن سعيد بن العاص كان والي العراق و هدم دار أسماء.

لعمرى لقد لفّ اليهوديّ ثوبه *** على غدرة شعاء باق نشيدها(1)

فلو كان من قحطان أسماء شمّرت *** كتائب من قحطان صعر خدودها(2)

اففي رجب أو غرة الشهر بعده *** تزوركم حمر المنايا و سودها

ثمانون ألفا دين عثمان دينهم *** كتائب فيها جبرئيل يقودها

فمن عاش منكم عاش عبدا و من يمت *** ففي النار سقياه هناك صديدها

او قال ابن مهرويه: أخبرني به الحسن بن علي عنه، حدّثني عبد الله بن أبي سعد قال: حدّثني علي بن الصباح عن ابن الكلبي: أن مصعب بن الزبير لما ولي العراق لأخيه هرب أسماء بن خارجة إلى الشام، و بها يومئذ عبد الملك بن مروان قد ولي الخلافة، و قتل عمرو(3) بن سعيد، و كان أسماء أمويّ الهوى، فهدم مصعب بن الزبير داره و حرقها، فقال عبد الله بن الزبير في ذلك:

تأؤب عين ابن الزبير سهودها

و ذكر القصيدة بأسرها، و هذا الخبر أصح عندي من الأوّل، لأن الحسن بن علي حدّثني قال: حدّثنا أحمد بن سعيد الدمشقي قال: حدّثنا الزبير بن بكار قال: حدّثني عمي مصعب قال: لما ولي مصعب بن الزبير العراق، دخل إليه عبد الله بن الزبير الأسدي، فقال له: إيه يا ابن الزبير، أنت القائل:

إلى رجب السبعين أو ذاك قبله *** تصبّحكم حمر المنايا و سودها(4)

ثمانون ألفا نصر مروان دينهم *** كتائب فيها جبرئيل يقودها

فقال: أنا القائل لذلك، و إن الحقين ليأبى العذرة(5)، و لو قدرت على جحده لجحدته، فاصنع ما أنت صانع؛ فقال: أما إني ما أصنع بك إلاّ خيرا، أحسن إليك قوم فأحببتهم(6) و واليتهم و مدحتهم، ثم أمر له بجائزة و كسوة،

ص: 408

1- النشيد: الصوت.

2- صعر خدودها، أي قد أمالت خدودها كبيرا. و في ب، ج «صغرا» و هو تحريف.

3- هو عمرو و الأشدق بن سعيد بن العاص، و ذلك أنه لما كانت الفتنة بعد موت معاوية الثاني، و انحاز الضحّاك بن قيس الفهري عن مروان بن الحكم و استمال الناس و دعا إلى ابن الزبير، التقى مروان و عمرو بن سعيد فقال عمرو لمروان: هل لك فيما أقوله لك، فهو خير لي و لك؟ قال: و ما هو؟ قال: أدعو الناس إليك و آخذها لك على أن تكون لي من بعدك، فقال مروان: لا بل بعد خالد بن يزيد بن معاوية، فرضي الأشدق بذلك، و دعا الناس إلى بيعة مروان فأجابوا، و بايع مروان بعده لخالد بن يزيد، و لعمر بن سعيد بعد خالد، ثم مات مروان و خلفه ابنه عبد الملك، و لما اعتزم عبد الملك أن يخرج إلى العراق لقتال مصعب بن الزبير بنفسه قال له عمرو: إنك تخرج إلى العراق و قد كان أبوك وعدني هذا الأمر من بعده، و على ذلك جاهدت معه، و قد كان من بلائي معه ما لم يخف عليك، فاجعل لي هذا الأمر من

بعذك، فلم يجبه عبد الملك إلى شيء، فلما كان من دمشق على ثلاث مراحل أغلق عمرو بن سعيد دمشق و خالف عليه، فرجع إلى دمشق و حاصرها حتى صالح عمرا على أنه الخليفة بعده ففتح له، ثم إن عبد الملك احتال له حتى قتله سنة 69 هـ.

4- إلى رجب السبعين، أي إلى رجب السنة السبعين.

5- في س «وإن الحقيير ليأبى الغدرة» و في ب «وإن الحمير ليأبى الغدرة» و هو تحريف. و من أمثال العرب: أبى الحقيين العذرة، و الحقيين: المحقون أي المحبوس. و العذرة: العذر، و أصله أن رجلا ضاف قوما فاستسقاها لبنا، و عندهم لبن قد حقنوه (حبسوه) في وطب، فاعتلوا عليه و اعتذروا فقال: أبى الحقيين العذرة، أي قبول العذر، أي أن هذا اللبن الحقيين يكذبكم، يضرب مثلا للرجل يعتذر و لا عذر له.

6- في ط «فاجتبتهم».

ورده إلى منزله مكرّماً، فكان ابن الزبير بعد ذلك يمدحه ويشيد بذكره، فلما قتل مصعب بن الزبير اجتمع ابن الزبير وعبيد الله بن زياد بن ظبيان في مجلس، فعرف ابن الزبير خبره - وكان عبيد الله هو الذي قتل مصعب بن الزبير - فاستقبله بوجهه وقال له:

أبا مطر شلت يمين تقرّعت *** بسيفك رأس ابن الحواري مصعب(1)

فقال له ابن ظبيان: فكيف النجاة من ذلك؟ قال: لا نجاة، هيهات! «سبق السيف العذل»(2)، قال: فكان ابن ظبيان بعد قتله مصعباً لا ينتفع بنفسه في نوم ولا يقظة، /كان يهول عليه(3) في منامه فلا ينام، حتى كل جسمه ونهك، فلم يزل كذلك حتى مات.

شعره عند عبيد الله بن زياد

إشارة

وقال ابن الأعرابي: لما قدم ابن الزبير من الشام إلى الكوفة دخل على عبيد الله بن زياد بكتاب من يزيد بن معاوية إليه يأمره بصيانتته وإكرامه وقضاء دينه وحوادثه وإدراة عطائه، فأوصله إليه، ثم استأذنه في الإنشاد، فأذن له، فأنشده قصيدته التي أولها:

صوت

أصرم بليلى حادث أم تجبب *** أم الحبل منها واهن متقضب(4)

أم الودّ من ليلي كعهدي مكانه *** ولكن ليلى تستزيد وتعتب(5)

غنى في هذين البيتين حنين ثاني ثقيل عن الهشامي.

ألم تعلمي يا ليل أنني لئن *** هضوم وأني عنيس حين أغضب(6)

أو أنني متى أنفق من المال طارفا *** فإني أرجو أن يثوب المثوب(7)

ص: 409

1- تقرّعت: علت. وفي ب، س، ج؛ «تقرّعت» والتصويب عن ط، مط. الحواري: الناصر أو ناصر الأنبياء: وهو هنا الزبير بن العوام، قال صلى الله عليه وسلم: «الزبير ابن عمتي وحواري من أمتي» أي خاصتي من أصحابي وناصري، وقال أيضاً: «إن لكل نبي حوارياً، وحواري الزبير بن العوام».

2- أول من قال هذا المثل ضبة بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر، وكان له ابنان يقال لأحدهما: سعد وللآخر سعيد، فنفرت إبل لضبة تحت الليل، فوجه ابنه في طلبها، ففترقا؛ فوجدها سعد فردّها، ومضى سعيد في طلبها، فلقيه الحرث بن كعب، وكان على الغلام بردان، فسأله الحرث إياهما، فأبى عليه، فقتله وأخذ برديه، فكان ضبة إذا أمسى فرأى تحت الليل سوادا قال: أسعد أم سعيد؟ فمكث ضبة بذلك ما شاء الله أن يمكث، ثم إنه حجج، فوافى عكاظ، فلقي بها الحرث بن كعب، ورأى عليه بردي ابنه سعيد فعرفهما، فقال له: هل أنت مخبري ما هذان البردان اللذان عليك؟ قال: بلى لقيت غلاماً وهما عليه فسألته إياهما، فأبى عليّ فقتلته وأخذت برديه هذين، فقال ضبة: بسيفك هذا؟

قال: نعم، فقال: فأعطينيه انظر إليه فإنني أظنه صارما، فأعطاه الحرث سيفه، فلما أخذه هزه وقال: الحديث ذو شجون أي ذو طرق جمع شجن كشمس ثم ضربه به حتى قتله، فقبل له: يا ضبة، أفي الشهر الحرام! فقال: سبق السيف العدل، أي اللوم.
3- هَوَّل عليه: أفرعه.

4- الصرم: القطيعة. واهن: ضعيف. منقضب: متقطع.

5- في ب، س، ج «لعهدي»؛ وقد أخذنا برواية ط، مط.

6- الهضوم: المنفق لماله. والعنيس: الأسد.

7- الطارف: المستحدث. ثاب و ثوب: رجع.

أ أن تلف المال التّلاذ بحقّه *** تشمّس ليلي عن كلامي و تقطب(1)

اعشية قالت و الركاب مناخه *** بأكوارها مشدودة: أين تذهب؟(2)

أفي كل مصر نازح لك حاجة *** كذلك ما أمر الفتى المتشعب(3)

فو الله ما زالت تلبّث ناقتي *** و تقسم حتى كادت الشمس تغرب(4)

دعيني ما للموت عني دافع *** و لا للذي ولى من العيش مطلب

إليك عبيد الله تهوي ركابنا *** تعسف مجهول الفلاة و تدأب(5)

و قد ضمّرت حتّى كأنّ عيونها *** نطاف فلاة ماؤها متصبّب(6)

فقلت لها: لا تشكّي الأين إنه *** أمامك قرم من أمية مصعب(7)

إذا ذكروا فضل امرئ كان قبله *** ففضل عبيد الله أثرى و أطيب(8)

و أنك لو يشفي بك القرح لم يعد *** و أنت على الأعداء ناب و مخلب(9)

تصافى عبيد الله و المجد صفوة ال *** حليفين ما أرسى ثبير و يثرب(10)

و أنت إلى الخيرات أول سابق *** فأبشر، فقد أدركت ما كنت تطلب

أعني بسجل من سجالك نافع *** ففني كل يوم قد سرى لك محلب(11)

فإنك لو إيّاي تطلب حاجة *** جرى لك أهل في المقال و مرحب(12)

قال: فقال له عبيد الله - و قد ضحك من هذا البيت الأخير -: فإني لا أطلب إليك حاجة، كم السّجل الذي يرويك؟ قال: نوالك أيها الأمير يكفيني، فأمر له بعشرة آلاف درهم.

شعره في صديقه

ص: 410

1- التلاذ: المال القديم. تشمس: تتشمس، أي تنفر و تعرض، من شمس الفرس، أي شرد، و منه المشمس، و هو الشديد القوي الذي يمنع ما وراء ظهره؛ و البخيل الذي لا ينال منه خير. قطب كضرب: زوى ما بين عينيه و عبس و كلح.

2- الأكوار: جمع كور بالضم، و هو الرجل بأداته.

3- نازح: بعيد. المتشعب: المتفرق. و«ما» زائدة.

4- في ج «وأقسم».

5- هوي كرمي: أسرع في السير. تعسف، أي تتعسف؛ تعسف الطريق: سار فيه على غير هداية. و الفلاة: الصحراء. تدأب: تجدد وتتعب.

6- نطاف: جمع نطفة بالضم، وهي الماء الصافي قل أو كثير.

7- الأيـين: الإعياء. القرم من الرجال: السيد المعظم، وأصله الفحل الذي يترك من الركوب والعمل ويودع للفحلة. ورجل مصعب:

مسود، وأصله بمعنى القرم، أي الفحل الذي لم يمسه جبل ولم يركب.

8- أثرى: أفلح، من الثروة، أي أكثر.

9- القرع بالفتح و بضم: عض السلاح ونحوه مما يخرج بالبدن، أو بالفتح: الآثار، وبالضم: الألم؛ أراد به ما ينوبه من صروف الدهر.

10- رسا وأرسى: ثبت. ثبير: جبل بظاهر مكة. يثرب: مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم.

11- السجل: الدلو العظيمة مملوءة.

12- لو إياي، أي لو إياي تقصد، جرى لك... أي لقلت لك أهلا وسهلا ومرحبا. وقوله: «المقال»، ساقط من مط.

قال ابن الأعرابي: كان نعيم بن دجاجة بن شداد بن حذيفة بن بكر بن قيس بن منقذ بن طريف صديقا لعبيد الله بن الزبير، ثم تغيّر عليه، وبلغه عنه قول قبيح فقال في ذلك:

ألا طرقت رويمة بعد هده *** تخطي هول أنمار و أسد(1)

تجوس رحالنا حتى أتتنا *** طروقا بين أعراب و جند(2)

فقلت: ما فعلت أبا كثير *** أصحّ الودّ أم أخلفت عهدي؟

كأنّ المسك ضمّ على الخزامى *** إلى أحسانها و قضيب رند(3)

ألا من مبلغ عني نعيما *** فسوف(4) يجرب الإخوان بعدي

رأيتك كالشموس ترى قريبا *** و تمنع مسح ناصية و خدّ

/فإني إن أقع بك لا أهلل *** كوقع السيف ذي الأثر الفرند(5)

فأولى ثم أولى ثم أولى *** فهل للدّرّ يحلب من مردّ؟(6)

رثاؤه لصديقه

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال: حدّثني عيسى بن إسماعيل تينة، وأخبرني عمي قال: حدّثنا الكراني قال: حدّثني عيسى بن إسماعيل عن المدائني عن خالد بن سعيد عن أبيه قال: كان عبد الله بن الزبير صديقا لعمر و بن الزبير بن العوّام، فلما أقامه أخوه(7) ليقتصّ(8) منه بالغ كل ذي حقد عليه في ذلك، و تدسّس فيه من يتقرّب إلى أخيه، و كان أخوه/لا يسأل من ادّعى عليه شيئا بيّنة، و لا يطالبه بحجّة، و إنما يقبل قوله ثم يدخله إليه السجن ليقتص منه، فكانوا يضربونه و القيح ينتضح من ظهره و أكتافه على الأرض لشدة ما يمرّ به، ثم يضرب و هو على تلك الحال، ثم أمر بأن يرسل عليه الجعلان(9)، فكانت تدبّ عليه فتتقب لحمه، - و هو مقيد مغلول(10) - يستغيث فلا يغاث، حتى مات على تلك الحال، فدخل الموكل به على أخيه عبد الله بن الزبير و في يده قدح لبن يريد أن يتسحّر به و هو يبكي فقال له: مالك؟ أمات عمرو؟ قال: نعم، قال: أبعد الله، و شرب اللبن، ثم قال: لا تغسّ لموه و لا تكفّنوه، و ادفنوه في مقابر المشركين، فدفن فيها، فقال ابن الزبير الأسدي يرثيه و يؤنّب أخاه بفعله، و كان له صديقا و خلا و نديما:

/أيا راكبا إمّا عرضت فبلّغن *** كبير بني العوّام إن قيل من تعني(11)

ص: 411

1- الهدء: أول الليل إلى ثلثه. تخطي: أصله تتخطى. أنمار و أسد أي رجال شجعان كالأنمار و الأسود.

2- أتانا طروقا: إذا جاء بليل.

3- الخزامى: نبت زهره أطيب الأزهار فحة. الرند: شجر طيب الرائحة.

4- في ج: «فكيف».

5- هلال عن الأمر: فزع وجبن وولى عنه ونكص، والأثر بالفتح والكسر. فرند السيف، وهو جوهره و ماؤه الذي يجري فيه و طرائقه.

6- الدر: اللبن، وفي ج و ب و س «يجلب» و هو تصحيف.

7- أي عبد الله بن الزبير.

8- في ج و ب. س «ليقبض» و هو تصحيف.

9- الجعلان: جمع جعل كعمر، و هو دويبة سوداء أكبر من الخنفساء.

10- مغلول: مقيد بالغل و هو القيد.

11- عرضت: أتيت العروض (بفتح العين) و هي مكة و المدينة. تعني: تقصد. و في ب و س: «تغني» و هو تصحيف.

ستعلم - إن جالت بك الحرب جولة *** إذا فوق الرامون - أسهم من تغني(1)

فأصبحت الأرحام حين وليتها *** بكفّيك أكراشا تجرّ على دمن(2)

عقدتم لعمرو عقدة و غدرتم *** بأبيض كالمصباح في ليلة الدّجن(3)

و كبلته حولا وجود بنفسه *** تنوء به في ساقه حلق اللبن(4)

فما قال عمرو إذ وجود بنفسه *** لضاربه - حتى قضى نحبه -: دعني(5)

تحدّث من لاقيت أنك عائد *** وصرّعت قتلى بين زمزم و الرّكن(6)

/جعلتم لضرب الظّهر منه عصيّكم *** تراوحه، و الأصبحيّة للبطن(7)

تعذّر منه الآن لما قتلته *** تفاوت أرجاء القلب من الشّطن(8)

فلم أر وفدا كان للغدر عاقدا *** كوفدك شدّوا غير موف و لا مسني(9)

و كنت كذات الفسق لم تدر ما حوت *** تخيّر حالها أ تسرق أم تزني(10)

جزى الله عني خالدا شرّ ما جزى *** و عروة شرّاء، من خليل، و من خدن(11)

قتلتم أخاكم بالسيّاط سفاهة *** فيا لك للرأي المضللّ و الأفن(12)

فلو أنكم أجهزتم إذ قتلتم! *** و لكن قتلتم بالسيّاط و بالسّجن

ص: 412

1- الفوق بالضم: موضع الوتر من السهم؛ و فوق السهم: جعل له فوقا. تغني: تنفع، يقال: ما يغني عنك هذا: ما يجزئ عنك، و ما ينفعك، و في ج و ب «تعني» بالعين و هو صحيح، جاء في «اللسان»: «قال أبو تراب: يقال: ما أعني شيئا و ما أغني شيئا بمعنى واحد، و في «المصباح المنير»: «و حكى الأزهري ما أغنى فلان شيئا بالعين و العين أي لم ينفع في مهم و لم يكف مؤونة». و أسهم: مبتدأ و من: اسم استفهام مضاف إليه، و جملة تغني خبره.

2- أكراش: جمع كرش كحمل و كتف. و الدمن: السرقين المتلبد و البعر.

3- الدجن: إلباس الغيم الأرض.

4- ناء به الحمل: أثقله و أماله. حلق بفتح الحاء و كسرهما: جمع حلقة بسكون اللام و فتحها. «اللبن» بالفتح: الضرب الشديد، و في «معاهد التنصيص» «البيين» و هو الفرق.

5- قضى نحبه: مات، و أصله الوفاء بالندر.

6- كان عبد الله بن الزبير يدعى «العائذ» لأنه عاذ بالبيت الحرام، ففي ذلك يقول ابن قيس الرقيات بذكر مصعبا: بلد تأمن الحمامة فيه

حيث عاذ الخليفة المظلوم «الكامل» للمبرد 2:597 طبع أوربا.

7- تراوحه: تتعاقب عليه. والأصبحي: السوط، نسبة إلى ذي أصبح ملك من ملوك حمير.

8- المعذر: الذي يتكلف العذر وهو لا عذر له. تفاوت الشينان: تباعد ما بينهما. والأرجاء: النواحي. والقليب: البئر. الشطن كسبب: الحبل الطويل الشديد الفتل يستقى به، وسكنت الطاء. هنا للشعر.

9- في ج وب و س «موق» وهو تحريف، وصوابه عن ط: أي غير موفين، أفرد موف مراعاة للفظ «وفد». وأسناه: رفعه.

10- ما حوت: أي من المكاسب والمنافع، وفي ط، مط: «ما حلت» ولعله «ما جنت».

11- الخدن: الصديق. و خالد وعروة: أخوا عبد الله بن الزبير، وقد استعمل عبد الله أخاه خالدًا على اليمن، وكان عروة من كبار فقهاء المدينة، وكان عمرو قد خالف أخاه عبد الله فقاتله، ثم أتاه في جوار عبيدة أخيه، قال له عبيدة: امض معي إليه وأنت في جوارِي، فإن أَمَنَكَ وإلا رددتكَ إلى مأمَنِكَ، فذهب معه فلم يجز عبد الله أمانه، واقتص منه حتى مات. انظر «المعارف» لابن قتيبة ص 113 طبع أروبة.

12- الأنف ويحرك: ضعف العقل والرأي.

وإني لأرجو أن أرى فيك ما ترى *** به من عقاب الله ما دونه يغني (1)

قطعت من الأرحام ما كان واشجا *** على الشيب، وابتعت المخافة بالأمن (2)

أو أصبحت تسعى قاسطا بكتيبة *** تهدم ما حول الحطيم ولا تبني (3)

فلا تجز عن من سنة قد سننتها *** فما للدماء الدهر تهرق من حقن

رثاؤه يعقوب بن طلحة

أخبرني عمي قال: حدّثني الخراز عن المدائني قال: قتل يعقوب بن طلحة يوم الحرّة (4)، وكان يعقوب ابن خالة يزيد [بن معاوية] (5) فقال يزيد: يا عجبا قاتلني كل أحد حتى ابن خالتي! قال: وكان الذي جاء بنعيه إلى الكوفة رجل يقال له الكروس، فقال ابن الزبير الأسدي يرثيه:

لعمرك ما هذا بعيش فيبتغي *** هنيء ولا موت يريح سريع

لعمري لقد جاء الكروس كاظما *** على أمر سوء حين شاع فظيع

انعى أسرة يعقوب منهم فأقفرت *** منازلهم من رومة فبقيع (6)

وكلهم غيث إذا قحط الوري *** ويعقوب منهم للأنام ربيع (7)

وقال ابن الأعرابي: كان على ابن الزبير دين لجماعة، فلازموه و منعوه التصرف في حوائجه، وألح عليه غريم

له من بني نهشل يقال له: ذئب، فقال ابن الزبير:

أحابس كيد الفيل عن بطن مكّة *** وأنت على ما شئت جمّ الفواضل (8)

أرحني من اللائي إذا حلّ على دينهم *** يمشون في الدارات مشي الأرامل (9)

إذا دخلوا قالوا: السلام عليكم *** وغير السلام بالسلام يحاول (10)

ص: 413

1- ما دونه يغني، أي ما قليله يجزئ ويكفي في الانتقام منك.

2- واشجا: متداخلا متشابكا.

3- قاسطا: ظالما جائرا. الحطيم: حجر الكعبة أو ما بين الركن وزمزم والمقام.

4- كان أهل المدينة كرهوا خلافة يزيد بن معاوية و خلعوه و حصروا من كان بها من بني أمية و أخافوهم، فوجه إليهم يزيد مسلم بن عقبة

المري في جيش، فقمع فتنهم، وأحمد ثورتهم، وكانت هذه الوقعة تسمى «وقعة الحرة»؛ لأن مسلما حاصر المدينة من جهة الحرة - موضع بظاهر المدينة - وكانت في ذي الحجة سنة 63 هـ.

5- عن ط.

6- رومة: أرض بالمدينة فيها بئر رومة التي ابتاعها عثمان رضي الله عنه و تصدق بها، وفي الأصول «دومة» و هو تحريف. و البقيع: مقبرة أهل المدينة.

7- في هذا البيت إقواء.

8- كيد الفيل: أي كيد أصحاب الفيل، يشير إلى وقعة الفيل، و ما كان من أبرهة الأشرم ملك اليمن حين خرج بجيشه إلى مكة على الأفيال ليهدم الكعبة فجعل الله كيدهم في تضليل، و أرسل عليهم طيرا أبايل... و الفواصل: الأيادي الجسيمة.

9- هذا البيت شاهد على استعمال اللائي بمعنى الذين، كقول الشاعر: فما آباؤنا بأمنّ منه علينا اللاء قد مهدوا الحجورا و هو قليل، قال ابن مالك «و اللاء كالذين نزرا وقعا». و الدارة: العرصة و هي ساحة الدار.

10- أي يبغي من وراء التحية مأربا له. و في هذا البيت و تاليه إقواء.

ألين إذا اشتدَّ الغريم و ألتوي *** إذا استدَّ حتى يدرك الدين قابل(1)

عرضت على «زيد» ليأخذ بعض ما *** يحاوله قبل اشتغال الشواغل(2)

تثأب حتى قلت: داسع نفسه *** وأخرج أنيابا له كالمعاول(3)

دخوله المدينة مع عبد الرحمن بن الحكم

وقال ابن الأعرابي: استجار ابن الزبير بمروان بن الحكم وعبد الله بن عامر لما هجا عبد الرحمن بن أمّ الحكم، فأجاراه وقاما بأمره، ودخل مع مروان إلى المدينة، وقال في ذلك:

أجدّي إلى مروان عدوا فقلّصي *** وإلا فروحي واغتدي لابن عامر(4)

إلى نفر حول النبيّ بيوتهم *** مكاريم للعافي رفاق المآزر(5)

لهم سورة في المجد قد علمت لهم *** تذبذب باع المتعب المتقاصر(6)

لهم عامر البطحاء من بطن مكّة *** ورومة تسقى بالجمال القياسر(7)

حبسه زفر فقال شعرا

وقال ابن الأعرابي: عرض قوم من أهل المدراء(8) لابن الزبير الأسديّ في طريقه من الشام إلى الكوفة وقد نزل بقرقيسياء(9)، فاستعدوا(10) عليه زفر بن الحارث الكلابيّ(11) وقالوا: إنه أموي الهوى، وكانت قيس يومئذ زبيرية، وقرقيسياء وما والاها في يد ابن الزبير، فحبسه زفر أياما وقيدته، وكان معه رفيق من بني أميّة يقال له: /أبو الحدراء، فرحل وتركه في حبسه أياما، ثم تكلمت فيه جماعة من مضر، فأطلق، فقال في ذلك:

ص: 414

1- الغريم: الدائن. وفي الأصول «والتوي إذا اشتد» وهو تصحيف، إذ أنه ليس بمستساغ أن يذكر كلمة «اشتد» مرتين في بيت واحد، و الصواب «والتوي إذا استد» و استد: استقام، وهو المقابل لكلمة «التوي». قابل: أي العام القابل. وفي الأصول: «قائل».

2- كذا في الأصول ولعله يريد «ذنبا» المشار إليه قبل في قوله «يقال له ذنب».

3- داسع: فاعل من الدسع؛ وهو الدفع، دسعه كدفعه وزنا ومعنى، ودسع البعير بجرته: دفعها حتى أخرجها من جوفه إلى فيه وأفاضها.

4- أجدّ السير: أسرع فيه. وقلصت الناقة: شممت واستمرت في مضيتها.

5- مكاريم: جمع مكرم، على حد قوله تعالى: وَ لَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ. العافي: كل طالب فضل أو رزق، و المآزر: جمع منزر بالكسر: وهو الملحفة، و رفاق المآزر كناية عن النعيم والترف.

6- السورة من المجد: أثره و علامته و ارتفاعه. ذبذبه: حرّكه، فتذبذب؛ تحرك واضطرب. المتقاصر: المقصر العاجز.

7- البطحاء: مسيل واسع فيه دقاق الحصى. وفي الأصول «ردمة» وهو تحريف. و القيسريّ من الإبل: الضخم الشديد القويّ، و جمعه: قياسر وقياسرة.

8- أهل المدراء: أهل الحضر.

9- بلد على الفرات.

10- استعداه عليه: استنصره.

11- ما مات معاوية بن يزيد اختلف الناس بالشام، فكان أول من خالف من أمراء الأجناد النعمان بن بشير الأنصاري و كان على حمص فدعا لابن الزبير، فبلغ خبره زفر بن الحرث الكلابي فدعا إلى ابن الزبير أيضا..... ودعا مروان بن الحكم إلى نفسه، ثم التقى الزبيريون، و عليهم الضحاك بن قيس الفهدي في مرج راهط بغوطة دمشق، فقتل الضحاك وانهزم جيشه، و استقام الأمر لمروان، و فر يومئذ زفر، و في ذلك يقول: فلم تر مني زلة قبل هذه فراري و تركي صاحبي من ورائيا

أغاد أبو الحدراء أم متروّح؟ *** كذاك النوى ممّا تجدّ و تمزح(1)

لعمري لقد كانت بلاد عريضة *** لي الرّوح فيها عنك و المتسرّح(2)

ولكنه يدنو البغيض و يبعد ال *** حبيب و ينأى في المزار و ينزح(3)

إلا ليت شعري هل أتى أمّ واصل *** كبول أعضّوها بساقيّ تجرح(4)

إذا ما صرفت الكعب صاحت كأنها *** صريف خطاطيف بدلوين تمتح(5)

تبغّي أباه في الرفاق و تنثني *** و ألوى به في لجة البحر تمسح(6)

أمر تحل وفد العراق و غودرت *** تحنّ بأبواب المدينة صيدح(7)

فإنك لا تدرين فيما أصابني *** أريثك أم تعجيل سيرك أنجح(8)

أظنّ أبو الحدراء سجنني تجارة *** ترجّى و ما كل التجارة تريح!

خبره مع الحجاج

أخبرني محمّد بن عمران الصّيرفيّ قال: حدّثنا الحسن بن عليل قال: حدّثني محمّد بن معاوية/الأسدّيّ قال: لما قدم الحجاج الكوفة واليا عليها صعد المنبر، فخطبهم فقال: يا أهل العراق، يا أهل الشقاق و النفاق، و مساوي الأخلاق، إن الشيطان/قد باض و فرّخ في صدوركم، و دبّ و درج في حجوركم، فأنتم له دين، و هو لكم قرين، و مَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ثُمَّ حَثَّهِمْ عَلَى اللِّحَاقِ بِالمَهْلَبِ(9) بن أبي صفرة، و أقسم ألاّ يجد منهم أحدا اسمه في جريدة المهلب بعد ثلاثة بالكوفة إلاّ قتله، فجاء عمير بن ضابئ البرجمي فقال: أيها الأمير، إني شيخ لا فضل فيّ، و لي ابن شابّ جلد، فاقبله بدلا منّي، فقال له عنبسة بن سعيد بن العاص: أيها الأمير، هذا جاء إلى عثمان و هو مقتول، فرفسه و كسر ضلعين من أضلاعه، و هو يقول:

أين تركت ضابئا يا نعثل(10)

ص: 415

1- تروح: سار في الرواح، و هو العشيّ.

2- الروح: الراحة. و المتسرّح: انفراج الضيق و الغم.

3- نزح كمنع و ضرب: بعد.

4- كبول: جمع كبل بالفتح و الكسر، و هو القيد الضخم.

5- صرفت: رددت، أي حرّكت. صاحت أي صوّتت الكبول. صرفت البكرة صريفا. صوّتت عند الاستقاء. و الخطاطيف: جمع خطاف كرمان، و هو حديدة حجناء في جانبي البكرة فيها المحور. متح الماء كمنع: نزعه.

6- ألوى به: ذهب به. التمسح: التمسح.

7- صيدح: اسم ناقة ذي الرمة، وفيها يقول: «فقلت لصيدح انتجعي بلالا» و الظاهر أنه اسم ناقته هو أيضا.

8- الريث: الإبطاء.

9- و كان على قتال الخوارج الأزارقة، و ذلك أن الخوارج كانوا قد مضوا إلى مكة سنة 64 هـ ليمنعوا الحرم من جيش يزيد، و ناصروا ابن الزبير و قاتلوا معه، ثم ناظروه فلم يرقهم ما سمعوا منه، فتفرقوا عنه، و صارت طائفة كبيرة منهم إلى البصرة، و بايعوا نافع بن الأزرق الحنفي، و سموه أمير المؤمنين، و خرج بهم إلى الأهواز - و هي كورة كبيرة في الجنوب الغربي من فارس - فغلبوا عليها و على ما وراءها من أرض فارس و كرمان، و نسبوا إليه فقييل لهم: الأزارقة.

10- كان من قصة عمير بن ضائب أن أباه ضائب بن الحرث البرجمي استعار من قوم من الأنصار كلبا يدعى قرحان يصيد الظباء، فأعاروه إياه، ثم طلبوه منه، فحبسه عنهم، فنافره الأنصاريون و استعانوا عليه بقومه، فكاثروه، فانتزعه منه و ردوه على الأنصار، و كان فحاشا، فهجاهم و رمى أمهم به، فقال من أبيات: و أمكم لا- تتركوها و كلبكم فإن عقوق الوالدات كبير فاستعدوا عليه عثمان، فأرسل إليه فعزره و حبسه، فاضطغن على عثمان لما فعل به، فلما دعى به ليؤدب شد سكيناً في ساقه ليقتل بها عثمان، فعثر عليه فأحسن أدبه، و ما زال في الحبس حتى مات فيه، و قد قال في ذلك أبياتا منها: هممت و لم أفعل و كدت و ليتني تركت على عثمان تبكي حلالته انظر «تاريخ الطبري» 5:137 و «الكامل» للمبرد 1:185. و نعثل: رجل من أهل مصر كان طويل اللحية، و كان عثمان إذا نيل منه و عيب شبه بهذا الرجل لطول لحيته، فكان أعداؤه و شاتموه يسمونه نعثلا لذلك، و في حديث عائشة: اقتلوا نعثلا، قتل الله نعثلا تعني عثمان، و كان هذا منها لما غاضبته و ذهبت إلى مكة.

فقال له الحجاج: فهلاً يومئذ بعثت بديلاً، يا حرسيّ(1)! اضرب عنقه، وسمع الحجاج ضوضاء، فقال: ما هذا؟ فقال: هذه البراجم جاءت لتتصر(2) عميراً فيما ذكرت، فقال: أتخفوهم برأسه، فرموهم برأسه، فولوا هاربين، فازدحم الناس على الجسر للعبور إلى المهلب حتى غرق بعضهم(3)، فقال عبد الله بن الزبير الأسدي:

أقول لإبراهيم لَمَّا لقيته *** أرى الأمر أمسى واهياً متشعباً(4)

تخير فإما أن تزور ابن ضابئ *** عميراً وإما أن تزور المهلباً

هما خطتا خسف نجاؤك منهما *** ركوبك حولياً من الثلج أشهباً(5)

فأضحى و لو كانت خراسان دونه *** رآها مكان السوق أو هي أقرباً(6)

ص: 416

- 1- الحرسيّ: واحد حرس السلطان وهم الحراس.
- 2- في الأصول ما عدا ط، «لتبصر»؛ وهو تصحيف.
- 3- وفي «الكامل» 1:183 «فقال الحجاج: ردوه، فلما رد قال له: أيها الشيخ هلا بعثت إلى أمير المؤمنين عثمان بدلاً يوم الدار! إن في قتلك أيها الشيخ لصلاحاً للمسلمين، يا حرسيّ اضرب عنقه، فجعل الزجل يضيق عليه أمره فيرتحل ويأمر وليه أن يلحقه بزاده» وفي «الكامل» أيضاً 2:213 «ثم جلس لتوجيه الناس فقال: قد أجلتكم ثلاثاً» وأقسم بالله لا يتخلف أحد من أصحاب ابن مخنف بعدها ولا من أهل الثغور إلا- قتله، ثم قال لصاحب حرسه وصاحب شرطه: إذا مضت ثلاثة أيام فاتخذنا سيوفكما عصياً، فجاءه عمير بن ضابئ البرجمي بابنه فقال: أصلح الله الأمير، إن هذا أنفع لكم مني، وأشدّ بني تميم أيداً، وأجمعهم سلاحاً، وأربطهم جأشاً، وأنا شيخ كبير عليل، واستشهد جلساءه، فقال الحجاج: إن عذرك لوأضح، وإن ضعفك لبين، ولكني أكره أن يجترئ بك الناس عليّ، وبعد فأنت ابن ضابئ صاحب عثمان، ثم أمر به فقتل، فاحتمل الناس، وإن أحدهم لينبع بزاده وسلاحه» الخ.
- 4- يخاطب إبراهيم بن عامر الأسدي أحد بني غاضرة بن مالك بن ثعلبة بن دودان بن أسد، وكان قد لقي ابن الزبير في السوق فسأله عن الخبر، فقال ابن الزبير هذه الآيات. وفي رواية «الكامل» 2:686. «أقول لعبد الله يوم لقيته أرى الأمر أمسى منصباً متشعباً» أنصبه الأمر: أعياه وأتعبه.
- 5- الخسف: الذل. الحولي: ما أتى عليه حول. أشهب: أشد شهبه، والشهبة: بياض يصدعه سواد في خلاله. و الثلج شف و لكنه عند تراكمه يرى خلاله ظل من السواد، واستعماله أفعل التفضيل من اللون شاهد على جوازه عند الكوفيين، وعليه درج المتنبّي في قوله يخاطب الشيب: ابعده بعدت بياضاً لا بياض له لأنت أسود في عيني من الظلم
- 6- جاء في تعليق الأخفش على «الكامل» 1:183: «دونه: الهاء عائدة على المهلب» فمعناه: فأضحى و لو كانت خراسان قريبة من موضع غزوة، و جاء في «تفسير المبرد» لهذا البيت في «الكامل» 1:185 «وقوله: فأضحى و لو كانت خراسان دونه: يعني دون السفر رآها مكان السوق للخوف والطاعة» فمعنى دون السفر: قريبة من موضع سفره، قال المرصفي في «رغبة الأمل» 4:90 «وقد سلف عن الأخفش أن الهاء من دونه عائدة على المهلب، وهو أجود. مكان السوق: يريد سوق حكمة (كرقة) وهو موضع بنواحي الكوفة، نسبت إلى حكمة بن حذيفة بن بدر. أو هي أقربا: أو بمعنى بل، وأقرب ظرف متعلق بخبر هي، وقيل: مفعول ثان، وهي توكيد للأول، أي رآها مكان السوق أو رآها هي أقرب.

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق قال: حدّثنا الزبير بن بكار قال: حدّثني علي بن عثّام الكلابيّ قال: دخل عبد الله بن الزبير الأسديّ على مصعب بن الزبير بالكوفة لمّا وليها وقد مدحه، فاستأذنه الإنشاد، فلم يأذن له، وقال له: أ لم تسقط السماء علينا و تمنعنا قطرها في مديحك لأسماء بن خارقة! ثم قال لبعض من حضر: أنشدها، فأنشده:

إذا مات ابن خارقة بن حصن *** فلا مطرت على الأرض السماء

و لا رجع الوفود بغنم جيش *** و لا حملت على الطّهر النساء

ليوم منك خير من أناس *** كثير حولهم نعم و شاء

فبورك في بنيك و في أبيهم *** إذا ذكروا و نحن لك الفداء

فالتفت إليه مصعب و قال له: اذهب إلى أسماء، فما لك عندنا شيء، فانصرف، و بلغ ذلك أسماء، فعوّضه حتى أرضاه، ثم عوّضه مصعب بعد ذلك، و خصّ به، و سمع مديحه، و أحسن عليه ثوابه.

مدحه لبشر بن مروان

قال ابن الأعرابي: لما ولي بشر بن مروان الكوفة أدنى عبد الله بن الزبير الأسديّ و برّه و خصّه بأنسه، لعلمه بهواه في بني أميّة، فقال يمدحه:

أ لم ترني(1) و الحمد لله أنني *** برئت و داواني بمعروفه بشر

رعى ما رعى مروان منّي قبله *** فصحت(2) له مني النصيحة و الشكر

ففي كلّ عام عاشه الدهر صالحا *** عليّ لربّ العالمين له(3) نذر

إذا ما أبو مروان خلّى مكانه *** فلا تهناً الدنيا و لا يرسل القطر

أو لا يهنئ الناس الولادة بينهم *** و لا يبق فوق الأرض من أهلها شفر(4)

فليس البحور بالتّي تخبروني *** و لكن أبو مروان بشر هو البحر

و قال فيه أيضا فذكر أمّه قطبة بنت بشر بن مالك ملاعب الأستّة:

جاءت به عجز مقابلة *** ما هن من جرم و من عكل(5)

يا بشر يا ابن الجعفرية ما *** خلق الإله يديك للبخل

1- رواية ط، مط «ألم تريا».

2- في ط، مط «فحقت».

3- في ط، مط «به».

4- في ج وب «فوق الدهر» وفي ب «سفر» وفي س «و لم يبق» وهو تحريف يقال: هنأني الأمر و هنأ لي يهنأ و يهنئ و يهنؤ: سرنئ، شفر: أحد، يقال: ما بالدار شفر بالفتح والضم: أي أحد.

5- عجز: جمع عجوز. المقابل: الكريم النسب من كالا- طرفيه أبيه و أمه. جرم: بطنان من عرب اليمن، بطن في قضاة و هي بنو جرم بن زبان (كشداد) و بطن في طيء و هم بنو ثعلبة بن عمرو بن الغوث بن طيء، و عكل: قبيلة فيهم غباوة و قلة فهم، و لذلك يقال لكل من فيه غباوة و يستحمق: عكلي.

أنت ابن سادات لأجمعهم *** وفي بطن مكة عزة الأصل

بحر من الأعياص جدن به *** في مغرس للجود والفضل (1)

متهلل تندى يده إذا *** صنّ السحاب بوابل سجل (2)

خروجه مع الحجاج

أخبرني عمي قال: حدّثنا الكراني قال: حدّثنا العمري، عن الهيثم [بن عدي] (3) عن عبد الله بن عيَّاش قال:

أخبرني مشيخة من بني أسد أن ابن الزبير الأسديّ لمّا قفل من قتال الأزارقة صوّب (4) بعث إلى الرّي، قال: فكنت فيه، وخرج الحجّاج إلى القنطرة يعني قنطرة الكوفة التي بزارة (5) ليعرض الجيش، فعرضهم، وجعل يسأل عن رجل من هو؟ فمر به ابن الزبير، فسأله من هو؟ فأخبره، فقال أنت الذي تقول:

تخيّر فإما أن تزور ابن ضابئ *** عميرا، وإما أن تزور المهلبا

قال: بلى، أنا الذي أقول:

ألم تر أنّي قد أخذت جعيلة *** و كنت كمن قاد الجنيب فأسمحا (6)

فقال له الحجّاج: ذلك خير لك، فقال:

وأوقدت الأعداء يا مّي فاعلمي *** بكلّ شرى نارا فلم أر مجمحا (7)

فقال له الحجّاج: قد كان بعض ذلك، فقال:

ولا يعدم الدّاعي إلى الخير تابعا *** ولا يعدم الدّاعي إلى الشرّ مجدحا (8)

فقال له الحجّاج: إن ذلك كذلك، فامض إلى بعثك، فمضى إلى بعثه فمات بالري.

ص: 418

1- الأعياص من قريش: أولاد أمية بن عبد شمس الأكبر، وهم أربعة: العاص، وأبو العاص والعيص، وأبو العيص؛ وبشر هو بشر بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس.

2- في الأصول عدا ط «كما صن» وهو تحريف. تهلل الوجه: تالّأ، بوابل سجل، أي ذي سجل، سجلت الماء سجلا: صببته صبا متصلا. وفي ب، ج؛ «يبدى نداء».

3- عن ط، مط.

4- صوب، أي أرسل، من صوبت الفرس: إذا أرسلته في الجري. والري: مدينة بفارس.

5- جاء في «معجم البلدان» «زبارا: موضع، أظنه من نواحي الكوفة»؛ وقد ذكر غير مضبوط وفي آخره ألف.

6- الجعيلة: ما جعل لك على عملك، و جنبه كنصره: قاده إلى جنبه، فهو جنيب، وفي مط «الحبيب» وهو تصحيف. وأسمحت الدابة: لانت و انقادت بعد استصعاب. يذكره الحجاج بأنه القائل: تخير... الأبيات أي أنه لا مناص لك من إحدى اثنتين: إما أن تقاتل مع المهلب، وإما أن تقتل كابن صائب - وفيها يقول: فما إن أرى الحجاج يغمد سيفه يد الدهر حتى يترك الطفل أشيا فيجيبه بقوله أنا الذي أقول..... أي أنني نفذت ما أمرتنا به فأخذت جعيلتي (أي عطائي) و سرت لقتال الأزارقة مع المهلب، و كان الحجاج قد توعدهم في خطبته بقوله: «و إن أمير المؤمنين أمرني بإعطائكم أعطياتكم و أن أوجهكم لمحاربة عدوكم مع المهلب بن أبي صفرة، و إنني أقسم بالله لا أجد رجلا تخلف بعد أخذ عطائه بثلاثة أيام إلا ضربت عنقه».

7- الشرى: الطريق و الناحية. مجمحا يريد مفرا و مهربا من لقائهم. و في ج «مجحا» و هو تحريف.

8- جدح السويق و غيره: لته. و المجدح: ما يجدح به، و هو خشبة في رأسها خشبتان معترضتان، و المعنى: لا يعدم محركا و مجيبا له.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال: حدّثنا الزبير بن بكار قال: حدّثني عمي قال: [لما] (1) ولي عبد الرحمن ابن أم الحكم الكوفة، مدحه عبد الله بن الزبير، فلم يشبهه، وكان قدم في هيئة رثة، فلما اكتسب وأثرى بالكوفة تاه وتجرّب، فقال ابن الزبير فيه:

تبقلت لما أن أتيت بلادكم *** وفي مصرنا أنت الهمام القلمس (2)

ألست ببغل أمه عربية *** أبوك حمار أدبر الظهر ينخس (3)

قال: وكان بنو أمية إذا رأوا عبد الرحمن يلقبونه البغل، وغلبت عليه حتى كان يشتم من ذكر بغلا، يظنه يعرض به.

شعره في مقتل عبد الله بن الزبير

أخبرني عمي قال: حدّثنا الكراني عن العمري عن العتبي قال: لما قتل عبد الله بن الزبير صلب الحجاج (4) جسده، وبعث برأسه إلى عبد الملك، فجلس على سريره وأذن للناس فدخلوا عليه، فقام عبد الله بن الزبير الأسدي فاستأذنه في الكلام، فقال له: تكلم ولا تقل إلا خيرا، وتوخّ الحق فيما تقوله، فأنشأ يقول:

مشى ابن الزبير القهقري فتقدمت *** أمية حتى أحرزوا القصبات

و جئت المجلي يا ابن مروان سابقا *** أمام قريش تنفض العذرات (5)

فلا زلت سباقا إلى كل غاية *** من المجد نجاء من الغمرات (6)

قال: فقال له: أحسنت فسل حاجتك: فقال له: أنت أعلى عينا بها وأرحب صدرا يا أمير المؤمنين؛ فأمر له بعشرين ألف درهم وكسوة، ثم قال له: كيف قلت؟ فذهب يعيد هذه الأبيات، فقال: لا، ولكن أبياتك في المحل (7) في وفي الحجاج التي قلتها: فأنشده:

شعره في المحل وفي الحجاج

كأنني بعبد الله يركب ردعه *** وفيه سنان زاعبي محرب (8)

ص: 419

1- عن ط و مط.

2- القلمس: البحر، والرجل الخير المعطاء، والسيد العظيم، والرجل الداھية المنكر البعيد الغور. تبقل: خرج يطلب البقل.

3- أدبر: وصف من الدبر بالتحريك وهو الجرح الذي يكون في ظهر الدابة.

4- في ط و مط: «جسمه».

- 5- في الأصل: «المعلى، وإنما هو «المجلى»: السابق من الخيل. والعذرة: الناصية، وقيل هي الخصلة من الشعر، وعرف الفرس و ناصيته.
- 6- الغمرات: جمع غمرة: وهي الشدة، و من أمثالهم «غمرات ثم ينجلين». وفي ب، س «إلى المجد» وهو تحريف و التصويب عن ط، مط.
- 7- كان عبد الله بن الزبير يدعى المحل، لإحلاله القتال في الحرم، وفي ذلك يقول رجل في رملة بنت الزبير: ألا من القلب معنى غزل بذكر المحلة أخت المحل - «الكامل» للمبرد 2:598 طبع أوربا.
- 8- يقال للقتيل: ركب ردعه: إذا خر لوجهه على دمه. زاعبي: في ط، ج، وفي ب «زاغبي» وهو تصحيف، و زاعب بلد أو رجل و منه الرماح الزاعبية أو هي التي إذا هزت كأن كعوبها يجري بعضها في بعض. و حرب السنان: حدّده.

وقد فرّ عنه الملحدون و حلّقت *** به و بمن آساه عنقاء مغرب(1)

تولّوا فخلّوه فशलّوا بشلوه *** طويل من الأجزاء عار مشدّب(2)

بكفّي غلام من ثقيف نمت به *** قريش و ذو المجد التليد معتب

لقال له عبد الملك: لا تقل غلام، و لكن همام، و كتب له إلى الحجاج بعشرة آلاف درهم أخرى؛ و الله أعلم.

هجاؤه عبد الله بن الزبير

أخبرني أبو الحسن الأسديّ قال: حدّثنا حمّاد بن إسحاق، عن أبيه، عن الهيثم بن عديّ، عن مجالد قال:

قتل ابن الزبير من شيعة بني أمية قوما بلغه أنهم يتجسّسون لعبد الملك، فقال فيه عبد الله بن الزبير في ذلك يهجوّه و يعيره بفعله:

أيها العائذ في مكّة كم *** من دم أهرقته في غير دم

أيد عائذة معصمة *** و يد تقتل من حلّ الحرم!

مدحه بشر بن مروان

قال أبو الفرج: و نسخت من كتاب لإسحاق بن إبراهيم الموصليّ فيه إصلاحات بخطّه، و الكتاب بخط النضر بن حديد(3) من أخبار عبد الله بن الزبير و شعره، قال: دخل عبد الله بن الزبير على بشر بن مروان و عليه ثياب كان بشر خلّعها عليه، و كان قد بلغ بشرا عنه شيء يكرهه، فحفاه، فلما وصل إليه وقف بين يديه، و جعل يتأمل من حوالبه من بني أمية، و يجيل بصره فيهم كالمتعجب من جمالهم و هيتهم، فقال له بشر، إن نظرك يا ابن الزبير ليذلّ أن وراءه قولا؛ فقال: نعم؛ قال: قل؛ فقال:

كان بني أمية حول بشر *** نجوم وسطها قمر منير

هو الفرع المقدم من قريش *** إذا أخذت مأخذها الأمور

لقد عمت نوافله فأضحى *** غنيا من نوافله الفقير(4)

جبرت مهيضنا و عدلت فينا *** فعاش البائس الكلّ الكسير(5)

فأنت الغيث قد علمت قريش *** لنا، و الواكف الجون المطير(6)

لقال: فأمر له بخمسة آلاف درهم و رضي عنه، فقال ابن الزبير:

لبشر بن مروان على الناس نعمة *** تروح و تغدو لا يطاق ثوابها

- 1- يقال: عنقاء مغرب و مغربة على الوصف و عنقاء مغرب بالإضافة، و هي التي أغربت في البلاد فنأت و لم تحس و لم تر.
- 2- الشلو: الجسد. شال به: رفعه، أي أنه صلب على جذع طويل. و التشذيب: إصلاح الجذع.
- 3- في ط، مط «حبيب».
- 4- النوافل: جمع نافلة، و هي العطية.
- 5- هاض العظم: كسره بعد الجبور أو بعد ما كاد ينجر فهو مهيض. الكل: من كان عيالا و ثقلا على صاحبه. و في ب، ج «الفقير».
- 6- وكف الماء: سال. الجون: يطلق على الأسود و الأبيض، و هو هنا الأسود أي السحاب الكثيف المتراكم.

به أَمَّنَ اللهَ النفوس من الردى *** وكانت بحال لا يقرّ ذبابها(1)

دمغت ذوي الأضغان يا بشر عنوة *** بسيفك حتى ذلّ منها صعابها(2)

أو كنت لنا كهفاً وحصناً ومعقلاً *** إذا الفتنة الصّماء طارت عقابها(3)

وكم لك يا بشر بن مروان من يد *** مهذّبة بيضاء راس ظرابها(4)

وطدت لنا دين النبيّ محمّد *** بحلمك إذ هرت سفاها كلابها(5)

وسدت ابن مروان قريشا وغيرها *** إذا السنة الشهباء قلّ سحابها(6)

رأبت ثأنا واصطنعت أياديا *** إلينا و نار الحرب ذاك شهابها(7)

شعره لبشر بن مروان

قال النضر بن حديد في كتابه هذا: ودخل عبد الله بن الزبير إلى بشر بن مروان متعرّضاً له و يسمعه(8) بيتاً من شعره فيه، فقال له بشر: أراك متعرضاً لأن أسمع منك/و هل أبقى أسماء بن خارجة منك أو من شعرك أو من ودك شيئاً؟ لقد نزحت فيه بحرك يا ابن الزبير؛ فقال: أصلح الله الأمير، إن أسماء بن خارجة كان للمدح أهلاً، وكانت له عندي أياد كثيرة، و كنت لمعرفه شاكراً، و أيادي الأمير عندي أجلّ، و أملي فيه أعظم، و إن كان قولي لا- يحيط بها فقي فضل الأمير على أوليائه ما قبل به ميسورهم، و إن أذن لي في الإنشاد رجوت أن أوفّق للصواب. فقال: هات، فقال:

تداركني بشر بن مروان بعد ما *** تعاوت إلى شلوي الذئب العواسل(9)

غياث الضعاف المرملين و عصمة ال *** يتامى و من تأوي إليه العباهل(10)

قريع قريش و الهمام الذي له *** أقرت بنو قحطان طراً و وائل(11)

و قيس بن عيلان و خندف كلّها *** أقرت و جنّ الأرض طراً و خابل(12)

ص: 421

1- في ج «لا تغو ذبانها». و في ب و س «لا تفرّ ذبابها» و هو تحريف. و التصويب عن ط و الذباب: الشرّ، أي لا يسكن شرها، و الذباب أيضاً: الجنون، أي لا يهدأ اضطرابها.

2- دمغت: علوت و قهرت.

3- في س «و كنت لها». الكهف: الملجأ و كذا المعقل. الفتنة الصماء: هي التي لا سبيل إلى تسكينها لتناهيها في ذهابها، لأن الأسم لا يسمع الاستغاثة و لا يقلع عما يفعله. و قيل: هي كالحية الصماء التي لا تقبل الرقي. و في ج و ب و س «القنة» و هو تحريف.

4- ظراب: جمع ظرب ككتف، وهو الجبل المنبسط.

5- وطدت: ثبت. هزّ الكلب هريرا، وهو صوته دون نباحه.

6- سنة شهباء: إذا كانت مجدبة بيضاء من الجذب لا يرى فيها خضرة؛ وقيل الشهباء التي ليس فيها مطر.

7- الثأى كالثرى: الإفساد. ذكت النار: اشتد لهيها. والشهاب: شعلة من نار ساطعة.

8- كذا في ج، ط، مط. والذي في ب، س: «شيئا».

9- الشلو: الجسد. والعواسل: جمع عاسل، غسل الذئب كضرب: اضطرب في عدوه وهز رأسه.

10- أرمّل: نفذ زاده. العباهلة: هم الذين أقروا على ملكهم لا يزالون عنه (بالبناء للمجهول) وقد جاء هنا العباهل بغير تاء، وفي كتاب

رسول الله صلى الله عليه وسلم «إلى الأقيال العباهلة» وواحد العباهلة عبهل كجعفر والتاء لتأكيد الجمع، كقشعم وقشاعمة، ويجوز أن

يكون الأصل عباهيل جمع عبهول أو عبهال فحذفت الياء و عوض منها الهاء، والأول أشبه.

11- القريع: السيد.

12- الخابل: الجنّ، جاء في «لسان العرب»: الخبل بالتحريك: الجن و هم الخابل، وقيل الخابل: الجن، و الخبل، اسم الجمع كالقعد و

الروح: اسمان لجمع قاعد ورائح، وقيل: هو جمع، وفي ط، ب، س «و حابل» وفي ج «و حامل» وهو تحريف.

يداك ابن مروان يد تقتل العدا *** وفي يدك الأخرى غياث(1) و نائل

إذا أمطرتنا منك يوماً سحابة *** رويانا بما جادت علينا(2) الأنامل

/فلا زلت يا بشر بن مروان سيّدا *** يهّل علينا منك طلّ و وابل

فأنت المصقّى يا ابن مروان و الذي *** توافت إليه بالعطاء القبائل

يرجّون فضل الله عند دعائكم *** إذا جمعتمكم و الحجيج المنازل

و لولا بنو مروان طاشت حلومنا *** و كنا فراشا أحرقتها الشعائل

شعره في أمير المؤمنين

فأمر له بجائزة و كساه خلعة، و قال له: إني أريد أن أوفدك على أمير المؤمنين، فتهيأ لذلك يا ابن الزبير، قال:

أنا فاعل أيها الأمير، قال: فما ذا تقول له إذا وفدت عليه و لقيته(3) إن شاء الله. فارتجل من وقته هذه القصيدة ثم قال:

أقول: أمير المؤمنين عصمتنا *** ببشر من الدهر الكثير الزلازل(4)

و أطفأت عنا نار كل منافق *** بأبيض بهلول طويل الحمامل(5)

نمته قروم من أمية للعلى *** إذا افتخر الأقوام وسط المحافل(6)

هو القائد الميمون و العصمة التي *** أتى حقها فينا على كل باطل

أقام لنا الدين القويم بحلمه *** و رأي له فضل على كل قائل

أخوك أمير المؤمنين و من به *** نجاد و نسقى صوب أسحم هاطل(7)

/إذا ما سألنا رفته هطلت لنا *** سحابة كفيّه بجود و وابل(8)

حليم على الجهال منا و رحمة *** على كل حاف من معدّ و ناعل

/فقال بشر لجلسائه: كيف تسمعون؟ هذا و الله الشعر، و هذه القدرة عليه! فقال له حجار بن أبجر العجلي، و كان من أشرف أهل الكوفة، و

كان عظيم المنزلة عند بشر: هذا أصلح الله الأمير أشعر الناس و أحضرهم قولاً إذا أراد،

1- كذا في ب وس و الذي في ج، ط، مط «عقاب».

2- كذا في ط، مط و الذي في ب، س، ج «عليه».

3- في س، ب «وألقيته» و هو تحريف.

4- الزلازل: البلايا و الشدائد.

5- إذا قالت العرب: فلان أبيض، فالمعنى نقاء العرض من الدنس و العيوب، و هو كثير في شعرهم، لا يريدون به بياض اللون، و لكنهم يريدون المدح بالكرم و نقاء العرض. و البهلول: السيد الجامع لكل خير. الحمائل جمع حمالة بالكسر، و هي علاقة السيف. و طويل الحمائل كناية عن أنه طويل القامة.

6- يقال: نماه جده: إذا رفع إليه نسبه، و منه قوله: «نماني إلى العياء كل سميدع» و قروم جمع قرم بالفتح: و هو السيد.

7- الصوب: المطر، أسحم: أي سحاب أسحم: و هو الأسود المتكاثف.

8- الجود: المطر الغزير، أو ما لا مطر فوقه، جمع جائد.

فقال محمّد بن عمير بن عطارد - وكان عدوّاً لحجّار - أيّها الأمير، إنه لشاعر، وأشعر منه الذي يقول:

شعر الفرزدق في بشر بن مروان

لبشر بن مروان على كلّ حالة *** من الدهر فضل في الرخاء وفي الجهد

قريع قريش و الذي باع ماله *** ليكسب حمدا حين لا أحد يجدي (1)

ينافس بشر في السماحة و التدى *** ليحرز غايات المكارم بالحمد

فكم جبرت كفّاك يا بشر من فتى *** ضريك، و كم عيّلت قوما على عمد (2)

و صيّرت ذا فقر غنيّا، و مثريا *** فقيرا، و كلاً قد حدوت بلا وعد (3)

خبره مع حجار بن أبجر

فقال بشر: من يقول هذا؟ قال: الفرزدق، و كان بشر مغضباً عليه، فقال: ابعث إليه فأحضره، فقال له: هو غائب بالبصرة، و إنّما قال هذه الأبيات و بعث بها لأنشدكها و لترضى عنه، فقال بشر: هيهات! لست راضياً عنه حتى يأتيني، فكتب محمّد بن عمير إلى الفرزدق، فتهيأ للقدوم على بشر، ثم بلغه أن البصرة قد جمعت له مع الكوفة، فأقام و انتظر قدومه، فقال عبد الله بن الزبير لمحمّد بن عمير في مجلسه ذلك بحضرة بشر:

/بني دارم هل تعرفون محمّدا *** بدعوته فيكم إذا الأمر حقّقا (4)

و ساميتم قوما كراما بمجدكم *** و جاء سكتنا آخر القوم مخفقا (5)

فأصلك دهمان بن نصر فردّهم *** و لا تك و غدا في تميم معلّقا

فإن تميما لست منهم و لا لهم *** أخا يا ابن دهمان فلا تك أحمقا

و لو لا أبو مروان لاقيت و ابلا *** من السوط ينسبك الرّحيق المعتقا (6)

أ حين علاك الشيب أصبحت عاهرا *** و قلت اسقني الصّهباء صرفا مروّقا (7)

تركت شراب المسلمين و دينهم *** و صاحبت و غدا من فزارة أزرقا (8)

نبيتان من شرب المدامة كالذي *** أتيج له جبل فأضحى مخنّقا

فقال بشر: أقسمت عليك إلاّ كفت، فقال: أفعل أصلحك الله، و الله لو لا مكانك لأنفذت

- 1- أجدى: أعطى.
- 2- كلمة «كفاك» ساقطة من ج، ب، س وقد أثبتناها عن ط، مط. والضريك: الفقير السيئ الحال. عيلهم: أهملهم.
- 3- حدوت: قدّرت.
- 4- دارم بن مالك بن حنظلة: بطن من تميم: و محمّد: هو محمّد بن عمير بن عطارد بن حاجب بن زرارة التميمي سيد تميم الكوفة. و الدعوة في النسب بالكسر: أن ينتسب الإنسان إلى غير أبيه و عشيرته.
- 5- السكيت: الذي يجيء آخر حلبة الخيل.
- 6- كذا في ط، مط. و الذي في باقي الأصول «وإثلا»؛ و هو تصحيف.
- 7- الصهباء: الحمر. و الصرف: الخالص، ذكر الوصف حملا على المعنى، أي شرابا صرفا مرقا. و الرحيق: الخمر أو أطيبيها.
- 8- أزرق، أي أزرق العين، أي شبيه بالروم، و كان العرب يكرهون الروم و هم زرق العيون، فكانت الزرقاة أبغض شيء من ألوان العيون إلى العرب، و كذا قالوا في صفة العدو. أزرق العين.

حَضْنِيهِ(1) بالحق، وكف ابن الزبير وأحسن بشر جائزته وكسوته، وشمت حَجَّار بن أْبجر بمحمد بن عمير - وكان عدوّه - وأقبلت بنو أسد على ابن الزبير فقالوا: عليك غضب الله، أشمت حَجَّارا بمحمد، والله لا نرضى عنك حتى تهجوه هجاء يرضى به محمّد بن عمير عنك، أو لست تعلم أن الفرزدق أشعر العرب؟ اقال: بلى، ولكن محمّدا ظلمني وتعرّض لي، ولم أكن لأحلم عنه إذ فعل، فلم تزل به بنو أسد حتى هجا حَجَّارا، فقال:

سليل النصارى سدت عجلا ولم تكن *** لذلك أهلا أن تسود بني عجل(2)

أو لكنّهم كانوا لنا ما فسدتهم *** ومثلك من ساد اللئام بلا عقل

و كيف بعجل إن دنا الفصح و اغتدت *** عليك بنو عجل و مرجلكم يغلي(3)

وعندك قسيس النصارى وصلبها *** وعائنة صهباء مثل جنى النحل(4)

قال: فلما بلغ حَجَّارا قوله شكاه إلى بشر بن مروان، فقال له بشر: هجوت حَجَّارا؟ فقال: لا والله أعزّ الله الأمير، ما هجوته، لكنّه كذب عليّ، فأتاه ناس من بني عجل و تهدّدوه بالقتل، فقال فيهم:

تهدّدني عجل، و ما خلت أنّي *** خلاة لعجل و الصليب لها بعل(5)

و ما خلّتي و الدهر فيه عجائب *** أعمّر حتى قد تهدّدني عجل

و توعدني بالقتل منهم عصابة *** و ليس لهم في العزّ فرع و لا أصل

و عجل أسود في الرخاء، ثعالب *** إذا التقت الأبطال و اختلف النّبل

فإن تلقنا عجل(6) هناك فما لنا *** و لا لهم م الموت منجّى و لا وعل(7)

منعه عبد الرحمن الخروج إلى الشام

وقال النضر في كتابه: لما منع عبد الرحمن بن أمّ الحكم عبد الله بن الزبير الخروج إلى الشام، وأراد حبسه، لجأ إلى سويد بن منجوف، و استجار به، فأخرجه مع بني شيبان في بلادهم، وأجازه(8) عمل ابن أمّ الحكم، فقال يمدحه:

أليس ورائي إن بلاد تجهّمت *** سويد بن منجوف و بكر بن وائل(9)

حصون يراها الله لم ير مثلها *** طوال أعاليها شداد الأسافل

ص: 424

- 2- بنو عجل: قبيلة من ربيعة، وهو عجل بن لجيم بن صععب بن علي بن بكر بن وائل. وفي أ، ج، ب، س «و من يكن كذلك أهلاً»، و ما أثبتناه عن ط، مط.
- 3- الفصح: عيد للنصارى.
- 4- صهباء: ذات صهباء بالضم: وهي حمرة أو شقرة.
- 5- الخلي: الرطب من النبات واحده خلعة، وقيل: الخلعة كل بقلعة قلعتها، والبعل من النخل: ما شرب بعروقه من غير سقي ولا ماء سماء.
- 6- في ط، مط «يوماً».
- 7- في ب، س «والموت» وهو تحريف، التصويب عن ج، ط، مط. أي من الموت. والوعل: الملبأ.
- 8- أي يسر له أن يجتاز حدود ولايته.
- 9- تجهمه و تجهم له: استقبله بوجه كريمة، وقوله: «وبكر بن وائل» لأن بني شيبان من بكر.

هم أصبحوا كنزي الذي لست تاركا *** ونبلي التي (1) أعددتها للمناضل

حاجب بشر قال شعرا

وقال أيضا في هذا الكتاب: جاء عبد الله بن الزبير يوما إلى بشر بن مروان، فحجبه حاجبه، وجاء حجار بن أبحر فأذن له، وانصرف ابن الزبير يومئذ، ثم عاد بعد ذلك إلى بشر وهو جالس جلوسا، فدخل إليه، فلما مثل بين يديه أنشأ يقول:

ألم تر أن الله أعطى فخصنا *** بأبيض قرم من أمية أزهر (2)

طلوع ثنايا المجد، سام بطرفه *** إذا سئل المعروف ليس بأوعرا (3)

فلولا أبو مروان بشر لقد غدت *** ركابي في فيف من الأرض أغبرا (4)

سراعا إلى عبد العزيز دوائبا *** تخلل زيتونا بمصر وععرا (5)

و حاربت في الإسلام بكر بن وائل *** كحرب كليب أو أمر وأمقرا (6)

إذا قادت الإسلام بكر بن وائل *** فهب ذاك دينا قد تعير مهترا (7)

بأي بلاء أم بأي نصيحة *** تقدم حجارا أمامي ابن أبحرا

وما زلت مذ فارقت عثمان صاديا *** و مروان ملتاحا عن الماء أزورا (8)

ألا ليتني قدمت و الله قبلهم *** و أن أخي مروان كان المؤخرا (9)

بهم جمع الشمل الشئيت، وأصلح ال *** إله، و داوى الصدع حتى تجبرا

قضى الله: لا ينفك منهم خليفة *** كريم يسوس الناس يركب منبرا

فاعتذر إليه بشر و وصله و حملة، و أنكر على حاجبه ما تشكاه، و أمر أن يأذن له عند إذنه لأخص أهله و أوليائه.

شعر لأبيه

وقال النضر في كتابه هذا: كان الزبير بن الأشيم - أبو عبد الله بن الزبير (10) - شاعرا، و كان لعبد الله بن الزبير

ص: 425

- 2- في ب، س: «أخصنا»، والتصويب عن ط، مط.
- 3- ثانيا: جمع ثنية، وهو الطريق في الجبل.
- 4- الفيف: المفازة كالفيفاة والفيفاء.
- 5- هو عبد العزيز بن مروان أخو بشر، وكان واليا على مصر. والععرع: شجر السرو.
- 6- بكر بن وائل: تقدم أن حجار بن أبجر من بني عجل وهم من بكر بن وائل. وكليب: هو كليب بن ربيعة الذي قتله جساس بن مرة، و نشبت بقتله حرب البسوس المشهورة بين بكر وتغلب. وأمقر: أمر، وفي ط، مط «وأسفرا».
- 7- هب: عد، أهتر الرجل وأهتر بالبناء للمجهول: ذهب عقله من كبر أو مرض أو حزن فهو مهتر، ورجل مهتر: مخطئ في كلامه، و المعنى: فعده دينا فاسدا غير قويم.
- 8- الصادي: العطشان. الملتاح: المتغير. أزور: مائل، من الزور بالتحريك، وهو الميل. وعن الماء متعلق به.
- 9- كذا في ط، مط والذي في باقي الأصول: «فيا ليتني».
- 10- في ج و ب و س «أبو عبد الله محمد بن الزبير» بزيادة كلمة «محمد» وهو خطأ. والتصحيح عن ط، مط.

ابن يقال له الزبير شاعر، فأما أبوه الزبير بن الأشيم فهو الذي يقول:

ألا يا لقومي للزقاد المؤرّق *** وللربيع - بعد الغبطة - المتفرّق (1)

وهمّ الفتى بالأمر من دون نبيله *** مراتب صعبات على كلّ مرتقى

ويوم بصحراء البديدين قلته *** بمنزلة النعمان و ابن محرّق

أو ذلك عيش قد مضى كان بعده *** أمور أشابت كلّ شأن و مفرّق (2)

وغير ما استتكرت يا أم واصل *** حوادث إلا تكسر العظم تعرق (3)

فراق حبيب أو تغير حالة *** من الدهر أورام لشخصي مفوّق

على أنني جلد صبور مرزاً *** و هل ترك الأيام شيئاً لمشفق؟

شعر لابنه

و أما ابنه الزبير بن عبد الله بن الزبير، فهو القائل يمدح محمد بن عيينة بن أسماء بن خارجة الفزاري:

قالت عبيدة موهنا *** أين اعتراك الهمّ أينه (4)

هل تبلغنّ بك المنى *** ما كنت تأمل في عينه

بدر له السّيم الكرا *** ثمّ كاملات فاعتلينه

و الجوع يقتله التّدى *** منه إذا قحط ترينه

فهناك يحمده الورى *** أخلاق غيركم اشتكينه

قال: و هو القائل في بعض بني عمّه:

و مولى كداء البطن أو فوق دائه *** يزيد موالي الصّدق خيرا و ينقص (5)

تلوّمت أرجو أن يثوب فيرعوي *** به الحلم حتّى استيأس المتربّص (6)

هروبه إلى معاوية

وقال النضر في كتابه هذا: لما هرب ابن الزبير من عبد الرحمن بن أم الحكم إلى معاوية، أحرق عبد الرحمن داره، فتظلم منه وقال: أحرق لي دارا قد قامت عليّ بمائة ألف درهم، فقال معاوية: ما أعلم بالكوفة دارا أنفق عليها هذا القدر، فمن يعرف صحة ما ادعيت؟ قال: هذا المنذر بن الجارود حاضر ويعلم ذلك، فقال معاوية

ص: 426

-
- 1- أي ولربيع المتفرق بعد الغبطة، فصل بين الموصوف والوصف بمعمول الوصف، وهو جائز قال تعالى: ذُكِرَ حَسْرَةً عَلَيْنَا يَسِيرًا. و الغبطة: حسن الحال والمسرة.
 - 2- الشأن: موصل قبائل الرأس.
 - 3- عرق العظم كنصر: أكل ما عليه من اللحم.
 - 4- الموهن: نحو من نصف الليل أو بعد ساعة منه.
 - 5- المولى: ابن العم. يقول: إن موالي الصدق يزيدون خيرا وهو ينقص.
 - 6- تلوم في الأمر: تمكث وانتظر كتربص. يشوب: يرجع. واستيأس: يئس.

للمنذر: ما عندك في هذا؟ قال: إني لم آبه (1) لنفقته على داره و مبلغها، و لكنني لما دخلت الكوفة و أردت الخروج عنها، أعطاني عشرين ألف درهم و سألتني أن أبتاع له بها ساجا من البصرة، ففعلت، فقال معاوية: إن دارا اشترى لها ساج بعشرين ألف درهم لحقيق أن يكون سائر نفقتها مائة ألف درهم! و أمر له بها، فلما خرجا أقبل معاوية على جلسائه، ثم قال لهم: أيّ الشيخين عندكم أكذب؟ و الله إني لأعرف داره، و ما هي إلاّ خصاص قصب، و لكنهم يقولون فنسمع، و يخادعوننا فننخدع، فجعلوا يعجبون منه.

مدحه إبراهيم بن الأشر

إشارة

أخبرني الحسن بن علي و محمّد بن يحيى قالا: حدّثنا محمّد بن زكريا الغلابيّ عن عبد الله بن الضحاك، عن الهيثم بن عديّ قال: أتى عبد الله/بن الزبير إبراهيم بن الأشر التّخعي فقال له: إني قد مدحتك بأبيات فاسمعهنّ، فقال: إني لست أعطي الشعراء، فقال: اسمعها منّي و ترى رأيك، فقال: هات إذا، فأنشده قوله:

الله أعطاك المهابة و التّقى *** و أحلّ بيتك في العديد الأكثر

و أقرّ عينك يوم وقعة خازر *** و الخيل تعثر بالقنا المتكسر (2)

/إنيّ مدحتك إذ نبا بي منزلي *** و ذممت إخوان الغنى من معشر

و عرفت أنك لا تخيّب مدحتي *** و متى أكن بسبيل خير أشكر

فهلّمّ نحوي من يمينك نفحة *** إن الزمان ألحّ يا ابن الأشر

فقال: كم ترجو أن أعطيك؟ فقال: ألف درهم أصلح بها أمر نفسي و عيالي، فأمر له بعشرين ألف درهم.

صوت

ما هاج شوقك من بكاء حمامة *** تدعو إلى فنن الأراك حماما (3)

تدعو أخوا فرخين صادف ضاريا *** ذا مخلبين من الصّقور قطاما (4)

إلا تذكرك الأوانس بعد ما *** قطع المطيّ سباسبها و هياما (5)

الشعر لثابت قطنه؛ و قيل إنه لكعب الأشقريّ، و الصحيح أنه لثابت، و الغناء ليحيى المكيّ، خفيف ثقيل أوّل بالبنصر، من رواية ابنه و الهشاميّ أيضا.

1- أي لم أحفل.

2- في الأصول «جازر» وهو تصحيف، وفي ج «المتكثر» وهو تحريف، و خازر: نهر بين إربل و الموصل، و كانت عنده رقعة بين عبيد الله بن زياد و إبراهيم بن الأشتر، و كان قد خرج مع المختار بن أبي عبيد الثقفي للطلب بدم الحسين رضي الله عنه، و قتل يومئذ ابن زياد سنة 66 هـ.

3- الفنن: الغصن و في أ، ط، مط، «على» و الذي أثبتناه عن ب، س، ج.

4- صقر قظام بفتح القاف و قظامي بفتحها و ضمها: لحم.

5- سباسب: جمع سبسب كجعفر، و هي الفلاة.

نسبه

هو ثابت بن كعب، وقيل ابن عبد الرحمن بن كعب، ويكنى أبا العلاء، أخو بني أسد بن الحارث بن العتيك (1)، وقيل: بل هو مولى لهم، و لقب قطنة لأن سهما أصابه في إحدى عينيه فذهب بها في بعض حروب التّرك، فكان يجعل عليها قطنة، وهو شاعر فارس شجاع من شعراء الدولة الأموية، و كان في صحابة يزيد (2) بن المهلب، و كان يوليّه أعمالاً من أعمال الثغور، فيحمد فيها مكانه لكفايته (3) و شجاعته.

فأخبرني إبراهيم بن أيوب قال: حدّثنا عبد الله بن مسلم بن قتيبة، و أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال:

حدّثنا محمّد بن يزيد قال: كان ثابت قطنة قد ولي عملاً من أعمال خراسان، فلما صعد المنبر يوم الجمعة رام الكلام، فتعدّر عليه و حصر، فقال: سَيَجْعَلُ اللهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا، و بعد عي بيانا، و أنتم إلى أمير فعّال، أحوج منكم إلى أمير قوّال:

و إلا أكن فيكم خطيباً فإنني *** بسيفي إذا جدّ الوغى لخطيب

فبلغت كلماته خالد بن صفوان - و يقال الأ-حنف بن قيس - فقال: و الله ما علا ذلك المنبر أخطب منه في كلماته هذه، و لو أن كلاماً استخفني، فأخرجني من بلادي إلى قائله استحساناً له، لأخرجتني هذه الكلمات إلى قائلها، و هذا.

الكلام بخالد بن صفوان أشبه منه بالأحنف.

صلاته الجمعة بالناس

أخبرني محمّد بن خلف وكيع قال: حدّثني أحمد بن زهير بن حرب، عن دعبل بن/علي، قال: كان يزيد بن المهلب تقدّم (4) إلى ثابت قطنة (5) في أن يصلّي بالناس يوم الجمعة، فلما صعد المنبر و لم يطق الكلام، قال حاجب الفيل يهجهوه:

[أبا العلاء لقد لقيت معضلة *** يوم العروبة من كرب و تخنيق (6)]

أمّا القرآن فلم تخلق لمحكّمه *** و لم تسدّد من الدنيا لتوفيق (7)

ص: 428

- 1- في ج، ب، س «الفتيك» و هو تحريف. و العتيك كأمير: فخذ من الأزدي، و هو العتيك بن الأزدي.
- 2- ولي خراسان بعد وفاة أبيه المهلب بن أبي صفرة سنة 72 في خلافة عبد الملك بن مروان، و عزل عنها سنة 86، و لما ولي الخلافة سليمان بن عبد الملك سنة 96 و لاه أمر العراق، ثم و لاه خراسان سنة 97.
- 3- في أ، ب، س: «لكتابته».
- 4- تقدّم إليه في كذا: أمره به.
- 5- في ط، ب «ثابت بن قطنة»، و هو تحريف.

6- ما بين مربعين ساقط من ط، مط؛ وقد أثبتناه عن ج، ب، س. و يوم العروبة: يوم الجمعة.

7- القرآن: مسهل عن القرآن.

لَمَّا رَمَتِكَ عَيُونَ النَّاسِ هَبْتَهُمْ *** فَكَدْتَ تَشْرِقَ لَمَّا قَمْتَ بِالرِّيْقِ

تلوي اللسان وقد رمت الكلام به *** كما هوى زلق من شاهق النيق(1)

خبر حاجب الفيل مع يزيد بن المهلب

أخبرني عمي قال: حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدّثني علي بن الصباح قال: كان سبب هجاء حاجب بن ذبيان المازني - وهو حاجب الفيل، والفيل لقب لقبه به ثابت قطنه و كعب الأشقري - أن حاجبا دخل على يزيد بن المهلب، فلما مثل بين يديه أنشده:

إليك امتطيت العيس تسعين ليلة *** أرجي ندى كفيك يا ابن المهلب(2)

[وأنت امرؤ جادت سماء يمينه *** على كل حيّ بين شرق و مغرب](3)

فجد لي بطرف أعوجي مشهر *** سليم الشظا عبل القوائم سلهب(4)

اسبوح طموح الطرف يستنّ مرجم *** أمرّ كما مرار الرشاء المشذب(5)

طوى الضمر منه البطن حتى كأنه *** عقاب تدلّت من شماريخ كبكب(6)

تبادر جنح الليل فرخين أقويا *** من الزاد في قفر من الأرض مجذب(7)

فلما رأت صيدا تدلّت كأنها *** دلالة تهاوى مرقا بعد مرقب(8)

فشكّت سواد القلب من ذنب قفرة *** طويل القرا عاري العظام معصب(9)

و سابغة قد أتقن القين صنعها *** وأسمر خطّي طويل محرّب(10)

و أبيض من ماء الحديد كأنه *** شهاب متى يلق الضربية يقضب(11)

وقل لي إذا ما شئت في حومة الوغى *** تقدّم أو اركب حومة الموت أركب

ص: 429

1- النيق: أرفع موضع في الجبل.

2- العيس: الإبل البيض يخالط بياضها شقرة.

3- سقط هذا البيت من ط، مط.

4- الطرف: الكريم من الخيل. أعوجي: نسبة إلى أعوج، وأعوج: فرس كريم سابق كان لبني هلال، ركب صغيرا فاعوججت قوائمه، وإليه

تنسب الخيل الكرام، فيقال: الخيل الأعوجية. مشهر و مشهور: معروف المكان المذكور. والشظا: عظم لاصق بالركبة. عبل: ضخم؛ و

السلهب من الخيل: ما عظم و طال عظامه. وفي ط، مط، ج «منهب» و المنهب: الفائق في العدو.

- 5- فرس سبوح: يسبح بيديه في سيره. استن الفرس في المضممار: إذا جرى في نشاطه على سننه في جهة واحدة. وفي ب، س «يستر» و هو تحريف. و فرس مرجم: يرمم الأرض بحوافره. أمر الحبل إمرارا: أحكم قتله. الرشاء: الحبل.
- 6- كبكب: جبل بعرفات، شماریخ: جمع شمراخ، و هو رأس الجبل.
- 7- جنح الليل: أي في جنح الليل و هو الطائفة منه. أقوى: افتقر (و استغنى أيضا، ضد).
- 8- الدلاة: الدلو. تهاوى: تساقط. المرقب: الموضع المشرف يرتفع عليه الرقيب.
- 9- سواد القلب: حبته. القرا: الظهر. المعصب: الجائع. وفي ط، ج «من ذنب» و هو تحريف.
- 10- و سابغة: معطوف على «طرف» أي بدرع سابغة و هي التامة الطويلة. القين: الحدّاد. وفي ج «قد أيقن صنعها» و فيه تصحيف و سقط. و الأسمر: الرمح. و النخطي: نسبة إلى النخط، مرفأ السفن بالبحرين، و كانت تباع به الرماح. حرب السنان: حدده. وفي ط، ج، س، مط «مجرب».
- 11- أبيض، أي و سيف أبيض. و الشهاب: شعلة من نار ساطعة. و الضريبة: ما يضرب، يقضب: يقطع.

فإني امرؤ من عصابة ما زينة *** نماني أب ضخم كريم المركب

قال: فأمر له يزيد بدرع وسيف ورمح و فرس، وقال له: قد عرفت ما شرطت لنا على نفسك؟ فقال: أصلح الله الأمير، حجّتي بيّنه، وهي قول الله عزّ وجلّ: **أَوْ الشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ. أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ.**

وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ . فقال [له] (1) ثابت قطنه: ما أعجب ما وفدت به من بلدك في تسعين ليلة! مدحت الأمير بيتين، وسألته حوائجك في عشرة أبيات، وختمت شعرك بيت تفخر عليه فيه، حتى إذا أعطاك ما أردت حدثت عما شرطت له على نفسك فأكذبتها كأنك كنت تتخذه، فقال له يزيد: مه يا ثابت، فإنا لا نخدع، ولكننا نتخادع، و سوّغه (2) ما أعطاه، وأمر له بألفي درهم. ولجّ حاجب يهجو ثابتاً فقال فيه:

لا يعرف الناس منه غير قطنته *** وما سواها من الأنساب مجهول

خبره مع حاجب الفيل عند يزيد

قال: ودخل حاجب يوما على يزيد بن المهلب، وعنده ثابت قطنه وكعب الأشقرّي - وكانا لا يفارقان مجلسه - فوقف بين يديه فقال له: تكلم يا حاجب، فقال: يأذن لي الأمير أن أنشده/أبياتا، قال: لا حتى تبدأ فتسأل حاجتك، قال: أيها الأمير، إنه ليس أحد ولو أظنبت في وصفك موقيك حقا، ولكنّ المجتهد محسن، فلا تهجني بمنعني الإنشاد، وتأذن لي فيه، فإذا سمعت فجودك أوسع من مسألتي. فقال له يزيد: هات، فما زلت مجيدا محسنا مجملا. فأنشده:

كم من كميّ في الهياج تركته *** يهوي لفيه مجدلا مقتولا (3)

جلّلت مفرق رأسه ذارونق *** غضب المهزّة صارما مصقولا (4)

قدت الجياد وأنت غرّ يافع *** حتى اكنهلت ولم تزل مأمولا

كم قد حربت وقد جبرت معاشرًا *** وكم امتنتت وكم شفيت غليلا (5)

/فقال له يزيد: سل حاجتك، فقال: ما على الأمير بها خفاء، فقال: قل، قال: إذا لا أقصر ولا أستعظم عظيما أسأله الأمير أعزّه الله مع عظم قدره، قال: أجل، فقل يفعل، فلست بما تصير إليه أغبط منا، قال: تحملني و تخدمني (6) و تجزل جائزتي، فأمر له بخمسة تخوت (7) ثياب و غلامين و جاريتين و فرس و بغل و بردون و خمسة آلاف درهم، فقال حاجب:

شم الغيث وانظر ويك أين تبعجت *** كلاه تجدها في يد ابن المهلب (8)

ص: 430

1- عن ط، مط.

2- سوّغه ما أعطاه: تركه له خالصا.

3- الكمي: الشجاع المتكمي في سلاحه، المتغطي به. جدّله: صرعه.

- 4- جللت...: أي علوته بسيف ذي رونق قاطع.
- 5- حربه يحربه حربا، كطلبه يطلبه طلبا: أخذ ماله و تركه بلا شيء.
- 6- أخدمه: أعطاه خادما يخدمه.
- 7- تخوت: جمع تخت، وهو وعاء تصان فيه الثياب.
- 8- شام البرق: نظر إليه أين يمطر. ويك: وى اسم فعل بمعنى أعجب، و الكاف للخطاب أو أصله ويك و حذفت اللام لكثرة الاستعمال.
تبعج السحاب بالمطر: انفرج عن الوبل الشديد، و كلية السحاب: أسفله، و الجمع كلي.

يداه يد يخزي بها الله من عصي *** وفي يده الأخرى حياة المعصّب (1)

قال: فحسده ثابت قطنة وقال: والله لو على قدر شعرك أعطاك لما خرجت بملء كفك نوى، ولكنك أعطاك على قدره، وقام مغضبا، وقال لحاجب يزيد بن المهلب: إنما فعل الأمير هذا ليضع منا يا جزاله العظيمة لمثل هذا، وإلا فلو أنا اجتهدنا في مديحه ما زادنا على هذا، وقال ثابت قطنة يهجو حاجبا حينئذ:

أ حاجب لو لا أن أصلك زيف *** وأنت مطبوع على اللؤم والكفر (2)

وأني لو أكثرت فيك مقصّر *** رميتك رميا لا يبید يد الدهر (3)

فقل لي ولا تكذب فإني عالم *** بمثلك هل في مازن لك من ظهر؟ (4)

فإنك منهم غير شك ولم يكن *** أبوك من الغرّ الجحاحجة الزهر (5)

أبوك ديافيّ وأمك حرّة *** ولكنّها لا شكّ وافية البظر (6)

فلست بهاج ابن ذبيان إني *** سأكرم نفسي عن سباب ذوي الهجر (7)

هجاء حاجب له

فقال حاجب: والله لا أرضى بهجاء ثابت وحده، ولا بهجاء الأزد كلّها، ولا أرضى حتى أهجو اليمن طرّا؛ فقال يهجوهم:

دعوني وقحطانا وقولوا لثابت *** تنحّ ولا تقرب مصاولة البزل (8)

فللزنج خير حين تسب والدا *** من أبناء قحطان العفاشلة الغرل (9)

أناس إذا الهيجاء شبت رأيتهم *** أذلّ على وطء الهوان من التعل (10)

نساؤهم فوضى لمن كان عاهرا *** وجيرانهم نهب الفوارس والرّجل

شعره عن نفسه

أخبرني وكيع قال: حدّثنا أحمد بن زهير قال: و حدّثني دعبل قال: بلغني أن ثابت قطنة قال هذا البيت في نفسه و خطر بباله يوما فقال:

ص: 431

1- المعصّب: الذي عصبته السنون أي أكلت ماله، والذي يتعصب بالخرق من الجوع.

2- في ط «زيفة» وما أثبتناه عن باقي الأصول.

3- يد الدهر: مد زمانه.

4- من ظهر: أي من أنصار وقوة. وفي ج «فإنك عالم» وهو تحريف.

5- الجحجج كجعفر: السيد كالجحجج. والجمع ججاجح وججاجحة.

6- دياف: من قرى الشام، وقيل من قرى الجزيرة، وأهلها نبط، وإذا عرضوا برجل أنه نبطي نسبوه إليها. وفي ب و س «ديابي»؛ وهو تحريف.

7- الهجر: القبيح من الكلام.

8- البزل جمع بازل: وهو الرجل الكامل في تجربته.

9- العفاشلة جمع عفشل كجعفر: وهو الثقل الوخم. وفي ط، مط، ج؛ «التنابلة»؛ والتنبل: الرجل القصير. والغزل: جمع أغزل، وهو الذي لم يختن.

10- الهيجاء: الحرب.

لا يعرف الناس منه غير قطنته *** و ما سواها من الأنساب مجهول

وقال: هذا بيت سوف أهجى به أو بمعناه، وأنشده جماعة من أصحابه و أهل الرواية وقال: اشهدوا أنني قائله، فقالوا: ويحك ما أردت [إلا] (1) أن تهجو/نفسك به، ولو بالغ عدوك ما زاد على هذا. فقال: لا بد من أن يقع على خاطر غيري، فأكون قد سبقته إليه، فقالوا له: أما هذا فشرّ قد تعجّلت، ولعلّه لا يقع لغيرك، فلمّا هجاه به حاجب الفيل استشهدهم على أنه هو قائله، فشهدوا على ذلك، فقال يردّ على حاجب:

هيهات ذلك بيت قد سبقت به *** فاطلب له ثانيا يا حاجب الفيل

أخبرني أحمد بن عثمان العسكري المؤدّب قال: حدّثنا الحسن بن عليل العنزّي قال: حدّثنا قعنب بن المحرز الباهليّ عن أبي عبيدة قال: كان ثابت قطنه قد جالس قوما من الشّراة (2) وقوما من المرجئة (3) كانوا يجتمعون فيتجادلون بخراسان، فمال إلى قول المرجئة وأحبّه، فلمّا اجتمعوا بعد ذلك أنشدهم قصيدة قالها في الإرجاء:

يا هند إنّي أظنّ العيش قد نفدا *** ولا أرى الأمر إلا مدبرا نكدا (4)

إنني رهينة يوم لست سابقه *** إلا يكن يومنا هذا فقد أفدا (5)

بايعت ربّي بيعا إن وفيت به *** جاورت قتلى كراما جاوروا أحدا (6)

يا هند فاستمعي لي إن سیرتنا *** أن نعبد الله لم نشرك به أحدا

نرجي الأمور إذا كانت مشبّهة *** ونصدق القول فيمن جار أو عندا (7)

المسلمون على الإسلام كلّهم *** والمشركون أشّوا دينهم قددا (8)

ص: 432

1- سقطت هذه الكلمة من جميع الأصول. و سياق الكلام يقتضيها.

2- يسمي الخوارج أنفسهم «الشراة»، جمع شار كقاض وقضاة، من شرى كرمى بمعنى باع، لقولهم: شرينا أنفسنا في طاعة الله أي بعناها و وهبناها، أخذ من قوله تعالى: وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ أو من شرى بمعنى اشترى لقولهم: شرينا الآخرة بالدنيا أي اشتريناها.

3- المرجئة: فرقة من الفرق الإسلامية؛ والإرجاء على معنيين: أحدهما التأخير، من أرجأه إذا أخره، وترك الهمز لغة فيه، قال تعالى: قَالُوا أَرْجَاهُ وَأَخَاهُ * أَي أمهله وأخره، والثاني: إعطاء الرجاء، وعلى هذا فهو من أرجى أي بعث فيه الرجاء، أما إطلاق اسم المرجئة على هذه الجماعة بالمعنى الأول فلأنهم كانوا يؤخرون العمل عن الإيمان؛ وأما بالمعنى الثاني فلأنهم كانوا يقولون: لا تضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة. وقيل: الإرجاء تأخير حكم صاحب الكبيرة إلى يوم القيامة، فلا يقضى عليه بحكم ما في الدنيا، وقد غلت طائفة من المرجئة فقالوا: «إن الإيمان عقد بالقلب، وإن أعلن الكفر بلسانه بلا تقيّة، و عبد الأوثان أو لزم اليهودية أو النصرانية في دار الإسلام، و عبد الصليب و أعلن التثليث في دار الإسلام، و مات على ذلك فهو مؤمن كامل الإيمان عند الله عزّ و جلّ، وليّ لله، من أهل الجنة». و

قيل: إن أول من قال بالإرجاء الحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب، و كان يكتب فيه الكتب إلى الأمصار، إلا أنه ما أخرج العمل عن الإيمان كما قالت المرجئة، لكنه حكم بأن صاحب الكبيرة لا يكفر، إذ الطاعات و ترك المعاصي ليست من أصل الإيمان حتى يزول الإيمان بزوالها - انظر «الملل و النحل» للشهرستاني 1:144، و «الفرق بين الفرق» للبغدادي ص 190.

4- نقد: فني.

5- أهد: دنا و أرف.

6- أهد: جبل بالمدينة كانت عنده غزوة أحد المشهورة.

7- عند عن الطريق عنودا: مال.

8- في ب، س «استوا في دينهم»، و اشتوا: فرقوا. و قددا، أي فرقا مختلفة أهواؤها جمع قدة بالكسر.

و لا أرى أن ذنبا بالغ أحدا *** م الناس شركا إذا ما وحدوا الصمدا(1)

لا نسفك الدم إلا أن يراد بنا *** سفك الدماء طريقا واحدا جددا(2)

من يتق الله في الدنيا فإن له *** أجر التقي إذا وقى الحساب غدا

و ما قضى الله من أمر فليس له *** رد، و ما يقض من شيء يكن رشدا

كلّ الخوارج منخط في مقالته *** و لو تعبد فيما قال و اجتهدا

أما عليّ و عثمان فإنهما *** عبدان لم يشركا بالله مذ عبدا

و كان بينهما شغب و قد شهدا *** شقّ العصا، و بعين الله ما شهدا(3)

يجزى عليّ و عثمان بسعيهما *** و لست أدري بحق أية وردا

الله يعلم ما ذا يحضران به *** و كلّ عبد سلقى الله منفردا

/قال أبو الفرج: و نسخت من كتاب بخط المرهبيّ الكوفي في شعر ثابت قطنة، قال: لما ولي سعيد بن عبد العزيز(4) بن الحارث بن الحكم بن أبي العاص بن أمية خراسان بعد عزل عبد الرحمن بن نعيم، جلس يعرض الناس و عنده حميد الرّؤاسي و عبادة المحاربي، فلما دعي بثابت قطنة تقدّم، و كان تامّ السلاح، جواد الفرس، فارسا من الفرسان، فسأله عنه، فقيل: هذا ثابت قطنة، و هو أحد فرسان الشّغور، فأمضاه و أجاز على اسمه، فلما انصرف قال له حميد و عبادة: هذا أصلحك الله الذي يقول:

إنّا لضربّابون في حمس الوغى *** رأس الخليفة إن أراد صدودا(5)

فقال سعيد: عليّ به، فردّوه و هو يريد قتله، فلما أتاه قال له: أنت القائل:

إنّا لضربّابون في حمس الوغى

قال: نعم، أنا القائل:

إنّا لضربّابون في حمس الوغى *** رأس المتوّج إن أراد صدودا

عن طاعة الرحمن أو خلفائه *** إن رام إفسادا و كرّ عنودا

فقال له سعيد: أولى لك، لو لا أنّك خرجت منها لضربت عنقك، قال: و بلغ ثابتا ما قاله حميد و عبادة، فأتاه عبادة معتذرا، فقال [له](6): قد قبلت عذرك، و لم يأته حميد، فقال ثابت يهجو:

و ما كان الجنيد و لا أخوه *** حميد من رءوس في المعالي

- 1- بالغ أحدا، أي بالغ من أحد.
- 2- طريق جدد: مستو.
- 3- في ب، س: الشغب. وهو تهيج الشر. وفي أ، ج، ط، مط: «الشعب». والشعب: الصدع والتفرق. ويقال: شقوا عصا المسلمين: أي شقوا اجتماعهم وائتلافهم.
- 4- في ب، س «العزى».
- 5- حمس الأمر كفرح حمسا: اشتد.
- 6- عن «ط» و سقطت من جميع الأصول.

إفان يك دغفل أمسى رهينا*** وزيد و المقيم إلى زوال(1)

فعدكم ابن بشر فاسألوه*** بمر و الرّوذ يصدق في المقال(2)

و يخبر أنه عبد زنيم*** لثيم الجدّ من عمّ و خال(3)

قال: و اجتاز ثابت قنطة في بعض أسفاره بمدينة كان أميرها محمّد بن مالك بن بدر(4) الهمداني ثم الخيواني(5)، و كان يغمز في نسبه، و خطب إلى قوم من كندة فردّوه، فعرف خبر ثابت في نزوله، فلم يكرمه، و لا أمر له بقري، و لا تقفّده بنزل(6) و لا- غيره، فلما رحل عنه قال يهجوّه و يعيّرّه برّد من خطب إليه:

الوانّ بكيلا هم قومه*** و كان أبوه أبا العاقب(7)

لأكرمنا إذ مررنا به*** كرامة ذي الحسب الثاقب

و لكنّ خيوان هم قومه*** فبئس هم القوم للصّاحب(8)

و أنت سنيد بهم ملصق*** كما ألصقت رقعة الشاعب(9)

و حسبك حسبك عند الثّثا*** بأفعال كندة من عائب(10)

خطبت فجازوك لما خطبت*** جزاء يسار من الكاعب(11)

ص: 434

1- في ج «دعبلا» و في ب، س، ط، مط «دعبل» و هو تحريف صوابه «دغفل»، و هو دغفل بن حنظلة النسابة من بني ذهل بن ثعلبة بن عكابة، كان أعلم أهل زمانه بالأنساب، و من أمثالهم: أنسب من دغفل، و قد وفد على معاوية، و قتلته الأزارقة، و له حديث طويل مع معاوية حين قدم عليه مع وفد العراق - اقرأه في «ذيل الأمالي» ص 26، ج 2: 203، و «مجمع الأمثال» ج 1: ص 13 في المثل: «إن البلاء موكل بالمنطق»، و في «العقد الفريد» 2: 55، و «المعارف» لابن قتيبة: 232 و «بلوغ الأرب» 3: 198. و زيد: «هو زيد بن الكيس النمري من ولد عوف بن سعد بن الخزرج بن تيم الله بن النمر بن قاسط، كان نسابة، قال أبو عبيدة: إنه ممن يقارب دغفلا في العلم بالأنساب من العرب، و فيه و في دغفل يقول مسكين بن عامر: فحكم دغفلا و ارحل إليه و لا تدع المطي من الكلال أو ابن الكيس النمريّ زيدا و لو أمسى بمنخرق الشمال - «تاج العروس» «كيس»، و «بلوغ الأرب» 3: 202.

2- مرو الروذ: مدينة بخراسان، مات بها المهلب بن أبي صفرة.

3- الزنيم: الدعبيّ. و اللثيم: المعروف بلؤمه و شره.

4- كذا في ب، س، ج، و الذي في ط، مط: «يزيد».

5- في ب، س «الحراني» و هو تحريف التصويب عن ط، ج، مط. نسبة إلى خيوان بن نوف (كشمس) بن همدان.

6- النزل كعنق و قفل: ما هيئ للضيف أن ينزل عليه.

7- بكيل: حيّ من همدان، هم بنو بكيل بن جشم بن خيوان بن نوف بن همدان: و العاقب: الذي يخلف السيد.

8- في ج، ب، س «حيوان» وهو تصحيف. ولعل الصواب ما أثبتنا. ورواية ط، مط: فبئس أخو القوم و الصاحب

9- السنيدي: الدعوي، شعب صدع الإناء كمنع: أصلحه ولأمه.

10- النثا: ما أخبرت به عن الرجل من حسن أو سيئ يقال فلان حسن النثا، وقبيح النثا، وفي ج و ب س: «الشبا»، وفي ط، مط: «الشتا»؛ وهو تحريف.

11- من أمثالهم: لقي ما لاقى يسار الكواعب، و الكاعب: الجارية التي كعب ثديها أي نهدها، و يسار: عبد أسود دميم، و كان يقال له يسار الكواعب لأن النساء إذا رأينه ضحكن منه لقبحه، فكان يظن أنهن يضحكن من إعجابهن به، حتى نظرت إليه امرأة مولاه فضحكت فظن أنها خضعت له، فقال لصاحب له أسود كان يكون معه في الإبل: قد والله عشقتني مولاتي فلأزورنها الليلة، و لم يكن يفارق الإبل، فقال له صاحبه: يا يسار، اشرب لبن العشار، و كل لحم الحوار، (بالضم و قد يكسر: ولد الناقة إلى أن يفصل عن أمه) و إياك و بنات الأحرار، فقال له: يا صاحب، أنا يسار الكواعب، و الله ما رأيتني حرّة إلا عشقتني، فلما أمسى قال لصاحبه: احفظ عليّ الإبل حتى أنصرف و أعود إليك، فنهاه فلم ينته، حتى دخل على امرأة مولاه يراودها عن نفسها، فقالت له: مكانك، فإن للحرائر طيبا أشمك إياه، فقال: هاتيه، فأتته بطيب و موسى قاطعة، فأشمته الطيب ثم انحنى بالموسى على أنفه فقطعته، و قيل: وضعت تحته بخورا و قطعت مذاكيره، فصاح، فقالت: صبرا على مجامر الكرام، ثم خرج هاربا حتى أتى صاحبه و دمه يسيل فضرب به المثل - انظر «سرح العيون شرح رسالة ابن زيدون» لابن نباتة المصري ص 270. و في «مجمع الأمثال» للميداني 2:248 أنه كان لمولى يسار بنت، فمرّت يوما بإبله و هي ترتع في روض معشب، فجاء يساء بعلبة لبن فسقاها، و كان أفحج الرجلين، فنظرت إلى فحجه فتبسّمت ثم شريت و جزته خيرا، فانطلق فرحا حتى أتى عبدا كان يراعيه، و قص عليه القصة و قال: دخلت إليّ دخلة لا أخيبها (يقول: ضحكت ضحكة) ثم قام إلى علبة فملأها و أتى بها ابنة مولاه... فوضعت البخور تحته و تطأطأت كأنها تصلح البخور و أخذت مذاكيره و قطعتها بالموسى، قال الفرزدق يخاطب جريرا: و إني لأخشى إن خطبت إليهم عليك الذي لاقى يسار الكواعب

كذبت فزيّقت عقد النكاح *** لمّتْكَ بالنّسب الكاذب(1)

فلا تخطين بعدها حرّة *** فتثنى بوسم على الشارب(2)

هجاؤه لقتيبة بن مسلم

قال أبو الفرج: ونسخت من هذا الكتاب قال: كان لثابت قطنة راوية يقال له النضر، فهجا ثابت قطنة قتيبة بن مسلم وقومه، وغيرهم بهزيمة انهزموها عن التّرك، فقال:

توافت تميم في الطّعان وعرّدت *** بهيلة لّمّا عاينت معشرا غلبا(3)

كماة كفاة يرهب الناس حدّهم *** إذا ما مشوا في الحرب تحسبهم نكبا(4)

تسامون كعبا في العلا و كلابها *** و هيهات أن تلقوا كلابا و لا كعبا

قال: فأفشى عليه راويته ما قاله، فقال ثابت فيه وقد كان استكتمه هذه الأبيات:

يا ليت لي بأخي نضر أختة *** لا أرهب الشّرّ منه غاب أم شهدا

أصبحت منك على أسباب مهلكة *** وزلّة خائفا منك الردى أبدا(5)

ما كنت إلا كذّاب السّوء عارضه *** أخوه يدمى ففرّى جلده قددا

أو كابن آدم خلّى عن أخيه وقد *** آدمى حشاه ولم يبسط إليه يدا(6)

أهم بالصّرّف أحيانا فيمنعني *** حيّا ربّيعة والعقد الّذي عقدا

ص: 435

1- المت: التوسل بقرابة.

2- تثنى: ترد. و الوسم: أثر الكيّ.

3- كذا في ج، ط، مط. و عرّدت: هربت. و بهيلة: تصغير باهلة: قوم قتيبة تصغير ترخيم؛ و يؤيد ذلك قوله: «فهجا ثابت قطنة قتيبة بن مسلم وقومه». غلب: جمع أغلب، و هو الغليظ الرقبة.

4- نكبا: جمع نكباء و هي كل ريح من الرياح الأربع، انحرفت و وقعت بين ريحين، و هي تهلك المال و تحبس القطر، و النكب من الرياح أربع: نكباء الصبا و الجنوب، و نكباء الصبا و الشمال، و نكباء الشمال و الدبور، و نكباء الجنوب و الدبور.

5- رواية ط، مط: و زلة خائفا من شرها أبدا

6- يشير إلى ابني آدم قابيل و هابيل، إذ قريا قربانا إلى الله و هو زرع لقابيل و كبش لهابيل، فتقبل من هابيل، فنزلت نار من السماء فأكلت قربانه و لم يتقبل من قابيل، فغضب و قتل أخاه.

رثاؤه المفضل بن المهلب

ونسخت منه أيضا قال: لما قتل المفضل (1) بن المهلب دخل ثابت قطنة على هند بنت المهلب، والناس حولها جلوس يعزّونها، فأنشدها:

يا هند كيف بنصب بات يبكيني *** وعائر في سواد الليل يؤذيني (2)

كانّ ليلي والأصداء هاجدة *** ليل السليم، وأعيا من يداويني (3)

لما حنى الدهر من قوسي وعدّرتني *** شيبني وقاسيت أمر الغلظ واللين (4)

إذا ذكرت أبا غسان أرقني *** هم إذا عرس السارون يشجيني (5)

كان المفضل عزّا في ذوي يمن *** وعصمة و شمالا للمساكين (6)

ما زلت بعدك في همّ تحيش به *** نفسي وفي نصب قد كاد يبليني (7)

إني تذكّرت قتلى لو شهدتهم *** في حومة الموت لم يصلوا بها دوني (8)

لا خير في العيش إن لم أجن بعدهم *** حربا تبيء بهم قتلى فيشفوني (9)

فقال له هند: اجلس يا ثابت، فقد قضيت الحقّ، و ما من المرثية (10) بدّ، و كم من ميتة ميّت أشرف من حياة حيّ، وليست المصيبة في قتل ممن استشهد ذابّا عن دينه، مطيعا لربه، وإنما المصيبة فيمن قلّت بصيرته، و خمل ذكره بعد موته، و أرجو ألا يكون المفضل عند الله خاملا، يقال: إنه ما عزّي يومئذ بأحسن من كلامها.

رده على ابن الكواء

قال أبو الفرج: و نسخت من كتابه أيضا قال: كان ابن الكواء (11) اليشكريّ مع الشّراة و المهلب يحاربهم، و كان

ص: 436

1- بعد هزيمة يزيد بن المهلب و قتله - كما سيأتي بعد - اجتمع آل المهلب بالبصرة و أمروا عليهم المفضل بن المهلب، و خرجوا إلى كerman، و بكرمان فلول كثيرة، و بعث مسلمة بن عبد الملك في طلبهم، و قد اجتمعت الفلول إلى المفضل بفارس، فأدركوهم في عقبة و اشتدّ قتالهم إياه، فقتل المفضل و جماعة من خواصه، و قتل آل المهلب عن آخرهم إلا أبا عيينة بن المهلب و عثمان بن المفضل، فإنهما نجوا فلاحقا برتبيل ملك الترك.

2- النصب بالفتح و الضم و بضمّتين: الداء و البلاء. و العائر: كل ما أعل العين، و الرمذ، و القذى كالعوّار.

3- الأصداء: جمع صدى، و هو الصوت. و الهجود: النوم. و السليم: الملدوغ. أعيا: أعجز.

4- كذا في ط، مط. و الّذي في باقي الأصول: قاسيت منه أمر الغلظ و اللين و عدّرتني: من عذر الدار: طمس آثارها، و المعنى: هدّني و

هدمني، وفي ج «و غدرني» وهو تصحيف. و الغلظ بفتح اللام و خفف هنا بتسكينها للشعر.

5- عرس القوم: نزلوا في آخر الليل للاستراحة. سرى: سار ليلا، شجاه وأشجاه: أحزنه.

6- الشمال: الغياث الذي يقوم بأمر قومه. وفي ط، مط «في المساكين».

7- جاشت النفس: ارتفعت من حزن أو فزع. وفي ب، س، ج، ط، مط: «كاد يسليني».

8- في ب، س: «تذكرت فعلي» وهو تحريف. وصلّى النار وبها: قاسى حرها.

9- تبيء: أبا القاتل بالقتيل: قتله.

10- في ب، س (المرزنة).

11- في جميع الأصول «ابن الكوفي» وهو تحريف، وهو عبد الله بن الكواء. لما رجع الإمام علي من صفين إلى الكوفة اعتزله جماعة

ممن رأوا التحكيم ضلالا، ونزلوا حروراء بظاهر الكوفة في اثني عشر ألفا، وأمروا على القتال شبت بن ربيعي التميمي، وعلى الصلاة عبد

الله بن الكواء اليشكري.

بعض بني أخيه شاعرا فهجا المهلب وعم الأزد بالهجاء، فقالت لثابت: أجبه [فقال له ثابت] (1):

كلّ القبائل من بكر نعدّهم *** و يشكرويون منهم الأم العرب (2)

أثرى لجيم وأثرى الحصن إذ قعدت *** يشكر أمه المعرورة التّسب (3)

نحّاكم عن حياض المجد و الدكم *** فما لكم في بني البرشاء من نسب (4)

أنتم تحلّون من بكر إذا نسبوا *** مثل الفراد حوالي عكوة الذّنب (5)

تبتت أن بني الكواء قد نبجوا *** فعل الكلاب تتلّى اللّيث في الأشب (6)

يكوي الأبيجر عبد الله شيخكم *** ونحن نبرى الذي يكوى من الكلب (7)

كتابه إلى يزيد بن المهلب

ونسخت من كتابه أيضا قال: كتب ثابت قطنة إلى يزيد بن المهلب يحرضه:

إن امرأ حلبت ربيعة حوله *** و الحي من يمن و هاب كنودا (8)

لضعيف ما ضمت جوانح صدره *** إن لم يلف إلى الجنود جنودا (9)

أيزيدكن في الحرب إذ هيّجتها *** كأبيك لا رعشا و لا رعديدا (10)

/شاورت أكرم من تناول ماجد *** فأريت همك في الهموم بعيدا

/ما كان في أبويك قادح هجنة *** فيكون زندك في الزناد صلودا (11)

إننا لضرابون في حمس الوغى *** رأس المتوّج إن أراد صدودا

و قر إذا كفر العجاج ترى لنا *** في كلّ معركة فوارس صيدا (12)

يا ليت أسرتك الذين تعيّبوا *** كانوا ليومك بالعراق شهودا

ص: 437

1- تكملة من ط، مط، مب.

2- بكر: هم بكر بن وائل، و منهم بنو يشكر بن بكر. وفي س ((و يشكرين))؛ و هو تحريف، وفي ب، س ((نعددهم)).

3- لجيم: هو لجيم بن صععب بن علي بن بكر بن وائل. و الحصن: هو ثعلبة بن عكابة بن صععب بن علي بن بكر بن وائل، وفي بعض

الأصول: «فقدت» و هو تحريف، و الصواب ما أثبتنا كما في ط، مط، مب، ها.

4- في ب، س، ج («حياض الوجد») و هو تحريف، و البرشاء: لقب أم ذهل و شيبان و قيس بني ثعلبة بن عكابة بن صععب بن علي بن بكر بن وائل، لقبت بذلك لبرش أصابها (و البرش: البرص).

5- العكوة بالضم و بفتح: أصل الذنب.

6- في ج، ط «قد ضبحوا». الأشب: شدة التفاف الشجر و كثرته حتى لا مجاز فيه.

7- الأبيجر: مصغر الأبحر، و هو العظيم البطن.

8- الكنود: المرتقى الصعب.

9- ما ضمت جوانح صدره: كناية عن القلب.

10- الرعش و الرعيد: الجبان.

11- الهجنة كون أحد الزندين واديا و الآخر صالدا. و صلد الزند: صوت و لم يور، فهو صالد و صلود.

12- العجاج: الغبار، كفره كضرب كفرا بالفتح: ستره و غطاه. الثرى: الأرض. صيد: جمع أصيد و هو رافع رأسه كبرا.

و ترى مواطنهم إذا اختلف القنا *** و المشرفيّة يلتظين وقودا(1)

فقال يزيد لما قرأ كتابه(2): إن ثابتا لغافل عمّا نحن فيه، و لعمرى لأطيعنّه، و سيرى ما يكون، فاكتبوا إليه بذلك.

أخبرني عمّي قال: حدّثنا الكرانيّ عن العمريّ عن الهيثم بن عديّ قال: أشدّ مسلمة بن عبد الملك بعد قتل يزيد بن المهلب قول ثابت قطنة:

يا ليت أسرتك الذين تغيبوا *** كانوا ليومك يا يزيد شهودا

فقال مسلمة: و أنا و الله لوددت أنهم كانوا شهودا يومئذ، فسقيتهم بكأسه، قال: فكان مسلمة أحد من أجاب شعرا بكلام منشور فغلبه.

خطب امرأة، فدفعه عنها جوير بن سعيد

أخبرني محمّد بن خلف بن المرزبان قال: حدّثني عبيد الله بن أحمد بن محمّد الكوفي قال: حدّثني محمّد القحذميّ عن سليمان بن ناصح الأسدي قال: خطب/ثابت قطنة امرأة كان يميل إليها، فجعل السفير بينه و بينها جوير بن سعيد المحدث، فاندسّ فخطبها لنفسه، فتزوّجها و دفع عنها ثابتا، فقال ثابت حين بان له الأمر(3):

أفشى عليّ مقالة ما قلتها *** و سعى بأمر كان غير سديد

إني دعوت الله حين ظلمتني *** ربّي و ليس لمن دعا ببعيد

أن لا تزال متيما بخريدة *** تسبي الرجال بمقتلين و جيد(4)

حتى إذا وجب الصّدق تلبّست *** لك جلد أغضف بارز بصعيد(5)

تدعو عليك الحاربات مبرّة(6) *** فترى الطلاق و أنت غير حميد

قال: فلقى جوير كلّ ما دعا عليه ثابت به، و لحقه من المرأة كلّ شرّ و ضرّ حتى طلقها بعد أن قبضت صداقها منه.

رثاؤه يزيد بن المهلب

أخبرني جعفر بن قدامة قال: حدّثني حماد بن إسحاق عن أبيه قال: كان ثابت قطنة مع يزيد بن المهلب في يوم العقر(7)، فلما خذله أهل العراق و فروا عنه فقتل، قال ثابت قطنة يرثيه:

كل القبائل بايعوك على الذي *** تدعو إليه و تابعوك و ساروا

ص: 438

1- القنا: الرماح. و المشرفية: السيوف نسبة إلى مشارف الشام. النظت و تلظت: تلهبت و توقدت.

2- في ب، س: «الكتاب».

- 3- كذا في ط، مط. وفي باقي الأصول «فحين بان الأمر قال».
- 4- تيمه الحب: عبده و ذلله، و الخريدة: البكر التي لم تمسس.
- 5- في ب و س: «تلعبت». و الأغضف: الكلب.
- 6- مبرة: غالبية قاهرة. وفي ب، س «بنكبة».
- 7- العقر: موضع ببابل قرب كربلاء من الكوفة، كانت فيه الوقعة بين مسلمة بن عبد الملك و بين يزيد بن المهلب، وفيه قتل يزيد.

حتى إذا حمس الوغى و جعلتهم *** نصب الأستة أسلموك و طاروا(1)

إن يقتلوك فإنّ قتلك لم يكن *** عارا عليك، و بعض قتل عار(2)

هجاؤه لربيعة

قال أبو الفرج: و نسخت من كتاب المرهبي قال: كانت ربيعة لما حالفت اليمن و حشدت مع يزيد بن المهلب تنزل حواليه هي و الأزدي، فاستبطأته ربيعة في بعض الأمر، فشغبت عليه حتى أرضاها فيه، فقال ثابت قطنة يهجوهم:

عصافير تنزوف في الفساد، و في الوغى *** إذا راعها روع جمايح بروق(3)

/الجمايح: ما نبت على رءوس القصب مجتمعا، و واحده جماح، فإذا دقّ تطاير. و بروق: نبت ضعيف.

أ أحلم عن ذبان بكر بن وائل *** و يعلق من نفسي الأذى كلّ معلق(4)

أ لم أك قد قلّدتكم طوق خزية *** و أنكلت عنكم فيكم كلّ ملصق(5)

لعمرك ما استخلفت بكرا ليشغبوا *** عليّ، و ما في حلفكم من معلق(6)

ضممتكم ضمّا إليّ و أنتم *** شتات كفقع القاعة المتفرّق(7)

فأنتم على الأذنى أسود خفيّة *** و أنتم على الأعداء خزّان سملق(8)

شعره لما منعه قتيبة بن مسلم

أخبرني محمّد بن خلف بن المرزبان قال: حدّثني أبو بكر العامريّ قال: قال القحذميّ: دخل ثابت قطنة على بعض أمراء خراسان - أظنّه قتيبة(9) بن مسلم - فمدحه و سأله حاجة، فلم يقضها له، فخرج من بين يديه و قال لأصحابه: لكن يزيد بن المهلب لو سألته هذا أو أكثر منه لم يردني(10) عنه، و أنشأ يقول:

أبا خالد لم يبق بعدك سوقة *** و لا ملك ممّن يعين على الرّفد(11)

ص: 439

1- أسلموك: خذلوك.

2- في «وفيات الأعيان»، و «مغني اللبيب» 1:24 «و رب قتل عار» و هو على تقدير «هو عار».

3- نزا: وثب. و الروع: الفزع.

4- الذبان: الذباب، و في ج «دبان» و في ب و س «ديان» و هو تصحيف، و في س «من نفس الأذى»، و في ج، ب، س «و تعلق» و هو تصحيف.

5- أي كل ملصق فيكم، و أنكلت الحجر عن مكانه: دفعته عنه.

6- من معلق، أي من شيء يتعلق به ويعتمد عليه.

7- شتات، أي ذوو شتات وهو الفرقة، و من أمثال العرب: أذل من فقح بقرقر، و الفقح بالفتح و يكسر: البيضاء الرخوة من الكمأة، و الجمع فقعة كقردة. و القاع و القاعة و القرقر: أرض مطمئنة سهلة مستوية، و ذلك لأن الفقعة لا تمتنع على من اجتناها، أو لأنها توطأ بالأرجل لأنها لا أصول لها و لا أغصان.

8- في ج «أسود خيفة» و في ب و س «أسود مخيفة» و التصويب عن ط، مط. و خفية هي أجمة في سواد الكوفة تنسب إليها الأسود، فيقال أسود خفية. و السملق: الأرض المستوية الجرداء التي لا شجر بها، و خزان: جمع خرز بضم ففتح و هو ذكر الأرناب، و هي معروفة بالجبن.

9- و لاه الحجاج خراسان بعد يزيد بن المهلب سنة 86، و قتل سنة 96.

10- كذا في ب، س، ج، و الذي في ط، مط «لما ردني».

11- أبو خالد: كنية يزيد بن المهلب، و الرفض: العطاء.

ولا فاعل يرجو المقلون فضله *** ولا قائل ينكى العدو على حقد(1)

لو أن المنايا سامحت ذا حفيظة *** لأكرمنه أو عجن عنه على عمد(2)

شعره في قومه

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال: حدثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال: عتب ثابت قطنه على قومه من الأزدي في حال استنصر عليها بعضهم(3) فلم ينصره فقال في ذلك:

تعففت عن شتم العشيرة إني *** وجدت أبي قد عفّ(4) عن شتمها قبلي

حليما إذا ما الحلم كان مروءة *** وأجهل أحيانا إذا التمسوا جهلي

خبره مع أمية بن عبد الله بن خالد

إشارة

أخبرني عمي قال: حدثني العنزّي عن مسعود بن بشر قال: كان ثابت قطنه بخراسان، فوليها أمية بن عبد الله بن خالد بن أسد لعبد الملك بن مروان، فأقام بها مدة، ثم كتب إلى عبد الملك: «إن خراج خراسان لا يفي بمطبخي»، وكان أمية يحتمق، فرفع ثابت قطنه إلى البريد(5) رقعة وقال: أوصل هذه معك، فلما أتى عبد الملك/أوصل إليه كتاب أمية، ثم نثل(6) كنانته بين يديه فقرأ ما فيها، حتى انتهى إلى رقعة ثابت قطنه، فقرأها ثم عزله عن خراسان.

صوت

طربت وهاج لي ذاك اذكارا *** بكشّ وقد أطلت به الحصارا(7)

و كنت ألدّ بعض العيش حتّى *** كبرت و صار لي همّي شعارا

رأيت الغانيات كرهن وصلي *** وأبدن الصرّيمة لي جهازا(8)

الشعر لكعب الأشقرّي، ويقال إنه لثابت قطنه، والصحيح أنه لكعب، والغناء للهدلي، ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو بن بانه، وذكر في نسخته الثانية أن هذا اللحن لقف النجار.

ص: 440

- 2- عاج عنه: رجع وانصرف.
- 3- كذا في ط، مط، و الذي في ج، ب، س: «استنصروا به فيها فلم ينصروهم».
- 4- كذا في ط، مط وفي باقي الأصول «كفّ».
- 5- البريد: الرسول.
- 6- نثل الكنانة كضرب: استخرج نبلها فنثرها.
- 7- كش: قرية من قرى أصبهان بفارس، و أعاد عليها الضمير في «به» مذكرا باعتبار البلد أو المكان.
- 8- الصريمة: القطيعة.

نسبه و بعض أخباره

هو كعب بن معدان الأشقرّي، و الأشاقر(1): قبيلة من الأزد، و أمّه من عبد القيس، شاعر/فارس خطيب معدود في الشجعان، من أصحاب المهلب و المذكورين في حروبه للأزارقة، و أوفده المهلب إلى الحجاج، و أوفده الحجاج إلى عبد الملك.

أخبرني محمّد بن خلف وكيع قال: حدّثنا أحمد بن أبي خيثمة قال: حدّثنا [أبي قال حدّثنا](2) وهب بن جرير قال: حدّثنا أبي عن قتادة قال: سمعت الفرزدق يقول: شعراء الإسلام أربعة: أنا، و جرير، و الأخطل، و كعب الأشقرّي.

أخبرني وكيع قال: حدّثني أحمد بن أبي خيثمة قال: حدّثنا [أبي قال: حدّثنا](2) وهب بن جرير قال: حدّثنا أبي عن المتلمّس قال: قلت للفرزدق: يا أبا فراس، أشعرت أنه قد نبغ من عمان شاعر من الأزد يقال له «كعب؟ فقال الفرزدق: إي و الذي خلق الشعر»(3).

شعره للحجاج عن وقعة الأزارقة

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حدّثنا محمّد بن يزيد، و أخبرني عمّي، قال: حدّثنا الكراني قال:

حدّثنا العمري عن العتبيّ - و اللفظ له و خبره أتمّ - قال: أوفد المهلب بن أبي صفرة كعبا الأشقرّي و معه مرة بن التليد(4) الأزدّي إلى الحجاج بخبر وقعة كانت له مع الأزارقة، فلمّا قدما عليه و دخلا داره بدر كعب بن معدان فأنشد الحجاج قوله:

يا حفص إني عداني عنكم السفر *** و قد سهرت فأذى عيني السهر(5)

علّقت يا كعب بعد الشيب غانية *** و الشيب فيه عن الأهواء مزدجر(6)

أ ممسك أنت منها بالذي عهدت *** أم جبلها إذ نأتك اليوم منبتر(7)

ذكرت خودا بأعلى الطّف منزلها *** في غرفة دونها الأبواب و الحجر(8)

ص: 441

1- الأشاقر: جمع أشقر: و هم بنو عائذ بن دوس.

2- تكملة عن ط، مط.

3- رواية ط، مط: «فقال كعب: إي و الذي خلق الشعر».

4- في ب، «التليه» و هو تحريف و صوابه كما في ط، مط، ج.

5- عداه من الأمر: صرفه و شغله.

6- علق امرأة: أحبها.

7- يقال ناه و نأى عنه، أي بعد. منبتر: منقطع.

8- الخود: الحسنه الخلق الشابه أو الناعمة. و الطف: موضع قرب الكوفة.

وقد تركت بشطّ الزّابيين لها *** دارا بها يسعد البادون و الحضر(1)

و اخترت دارا بها قوم أسرّ بهم *** ما زال فيهم لمن تختارهم خير

أبا سعيد فإني سرت منتجعا *** و طالب الخير مرتاد و منتظر(2)

لولا المهلب ما زرنا بلادهم *** ما دامت الأرض فيها الماء و الشجر

و ما من الناس من حيّ علمتهم *** إلا يرى فيهم من سييكم أثر(3)

و هي قصيدة طويلة قد ذكرها الرّواة في الخبر، فتركت ذكرها لطولها(4)، يقول فيها:

فما يجاوز باب الجسر من أحد *** قد عصّت الحرب أهل المصر فانجروا(5)

كنا نهون قبل اليوم(6) شأنهم *** حتى تقام أمر كان يحتقر

لما و هنا و قد حلّوا بساحتنا *** و استنفر الناس تارات فما نفروا(7)

نادى امرؤ لا خلاف في عشيرته *** عنه و ليس به عن مثلها قصر

/حتى انتهى إلى قوله بعد وصفه وقائعهم مع المهلب في بلد بلد، فقال:

خبّوا كمينهم بالسّفح إذ نزلوا *** بكارزون فما عزّوا و ما نصروا(8)

باتت كتائبنا تردى مسومة *** حول المهلب حتى نور القمر(9)

هناك ولّوا خزايا بعد ما هزموا *** و حال دونهم الأنهار و الجدر(10)

تأبى علينا حزازات النفوس فما *** بقي عليهم و لا يبقون إن قدروا

فضحك الحجاج و قال له: إنك لمنصف يا كعب، ثم قال الحجاج: أخطيب أنت أم شاعر؟ فقال: شاعر و خطيب.

فقال له: /كيف كانت حالكم مع عدوكم؟ قال: كنا إذا لقيناهم بعفونا و عفوهم، فعفوهم تأنيس منهم، فإذا لقيناهم بجهدنا و جهدهم طمعنا

فيهم، قال: فكيف كان بنو المهلب؟ قال: حماة للحريم(11) نهارا، و فرسان بالليل أيقاظا، قال: فأين السماع من العيان؟ قال: السماع دون

العيان، قال: صفهم رجلا رجلا، قال: المغيرة فارسهم و سيدهم،

1- الزابيان: نهران أسفل الفرات بين الموصل و تكريت.

2- أبو سعيد: كنية المهلب. و انتجع: طلب الكلاء في موضعه، و انتجعه، أتاه طالبا معروفة.

3- السيب: العطاء.

4- أوردها الطبري في «تاريخه»، وعدّها ثلاثة وثمانون بيتاً.

5- في ب، س «فأنحجروا» و هو تصحيف.

6- ح ب، س «قبل الموت».

7- وهنا: ضعفنا. استنفر القوم فنفروا معه، أي استنجدهم واستنصرهم فنصروه.

8- رواية الطبري «عبوا جنودهم» و كازرون: مدينة بفارس بين البحرين و شيراز.

9- ردى الفرس كرمى: عدا فرجم الأرض بحوافره. و الكتيبة: جماعة من الخيل إذا أغارت، من المائة إلى الألف، الخيل المسومة: المرسلّة و عليها ركبانها، أو المعلمة التي عليها السومة و هي العلامة.

10- في ط، مط «هناك ولوا جراحا بعد ما هزموا» و في ب، س «هناك ولوا جراحا بعد ما هربوا».

11- كذا في ط، مط. و الذي في باقي الأصول «للغريم».

نار ذاكية، وصعدة(1) عالية، وكفى بيزيد فارسا شجاعا، ليث غاب، وبحر جمّ العباب(2)، وجوادهم قبيصة، ليث المغار، وحمي الذمار(3)، ولا يستحي الشجاع أن يفرّ من مدرك، فكيف لا يفرّ من الموت الحاضر، والأسد الخادر(4)، وعبد الملك سمّ نافع، وسيف قاطع، وحبیب/الموت الذّاعف(5)، إنما هو طود شامخ، وفخر باذخ(6)، وأبو عيينة البطل الهمام، والسيف الحسام، وكفالك بالمفضّل نجدة، ليث هدّار، وبحر مؤار(7)، ومحمّد ليث غاب، وحسام ضراب، قال: فأيّهم أفضل؟ قال: هم كالحلقة المفرغة لا يعرف طرفاها، قال: فكيف جماعة الناس؟ قال: على أحسن حال، أدركوا ما رجوا، وأمنوا ممّا خافوا، وأرضاهم العدل، وأغناهم النّقل(8)، قال:

فكيف رضاهم عن المهلّب؟ قال: أحسن رضا، وكيف لا يكونون كذلك وهم لا يعدمون منه رضا الوالد، ولا يعدم منهم برّ الولد؟ قال: فكيف فاتكم قطريّ؟(9) قال: كدناه فتحولّ عن منزله وظن أنه قد كادنا، قال: فهلاّ تبعتموه! قال: حال الليل بيننا وبينه، فكان التحرّز(10) - إلى أن يقع العيان، ويعلم امرؤ ما يصنع - أحزم، وكان الحدّ عندنا أثر من الفلّ، فقال له المهلّب: كان أعلم بك حيث بعثك وأمر له بعشرة آلاف درهم، وحمله على فرس، وأوفده على عبد الملك بن مروان فأمر له بعشرة(11) آلاف أخرى.

شعره في المهلب وولده

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدّثني أبو عمرو بندار الكرجيّ قال: حدّثنا أبو غسان التميمي عن أبي عبيدة قال: كان عبد الملك بن مروان يقول للشعراء: تشبهوني مرّة بالأسد، ومرّة بالبازي، ومرّة بالصقر، ألا قلت كما قال كعب الأشقر في المهلب وولده! /برك الله حين براك بحرا*** وفجر منك أنهارا غزارا

بنوك السابقون إلى المعالي*** إذا ما أعظم الناس الخطارا(12)

كأنّهم نجوم حول بدر*** دراريّ تكمل فاستدارا(13)

ص: 443

1- ذكت النار: اشتد لهبها، والصعدة: القناة المستوية تبت كذلك.

2- في ب، س «جم عباب».

3- الذمار: ما يلزمك حفظه وحمايته.

4- أسد خادر: مقيم في عرينه داخل في الخدر.

5- يقال: موت ذعاف وذواف وزعاف وزواف: شديد سريع.

6- الطود: الجبل، والباذخ: العالي.

7- مار: ماج واضطرب.

8- النفل: الغنيمة والهبّة.

9- هو قطري بن الفجاءة المازني، وولاه الخوارج الأزارقة عليهم، وبايعوه بعد قتل أميرهم الزبير بن علي السليطيّ، ودار بينه وبين المهلب قتال عنيف، ولما دبت عقارب الخلاف بين الأزارقة خلعوا قطريا، ولوا عبد ربه الصغير، فانفصل إلى عبد ربه أكثر من الشطر، وارتحل قطري ومن معه إلى طبرستان، فوجه إليه الحجاج جيشا عليه سفيان بن الأبرد فقاتلوه وفرق عنه أصحابه وقتل سنة 78 هـ.

10- في ب وس «المتحري» وفي ج «المتحرر» والتصويب عن ط، مط. والعيان. المشاهدة.

11- في ط، مط، ما، مب: «بعشرين ألف درهم».

12- الخطار: المراهنة.

13- في ب، س «حول بحر» والتصويب عن ط، مط. و كوكب دزّي: مضيء؛ والجمع دراريّ و تقدير البيت: كأنهم نجوم دراريّ؛ حول بدر تكمل فاستدار.

ملوك ينزلون بكلّ ثغر *** إذا ما الهام يوم الرّوع طارا(1)

رزان في الأمور ترى عليهم *** من الشّيوخ الشمائل والنجارا(2)

نجوم يهتدى بهم إذا ما *** أخو الظّلماء في الغمرات حارا(3)

وهذه الأبيات من القصيدة التي أولها:

طربت و هاج لي ذاك ادكارا

التي فيها الغناء.

تهاجيه و زياد الأعجم

أخبرني محمّد بن الحسين الكندي قال: حدّثنا غسان بن ذكوان الأهوازي قال: ذكر العتبيّ أن زيادا الأعجم هاجى كعبا الأشقريّ، واتصل الهجاء بينهما، ثم غلبه زياد، وكان سبب ذلك أنّ شرا وقع بين الأزدي وبين عبد القيس، و حربا سكّنها المهلب وأصلح بينهم، و تحمّل ما أحدثه كلّ فريق على الآخر، وأدى دياته، فقال كعب يهجو عبد القيس:

إني وإن كنت فرع الأزدي قد علموا *** أخزى إذا قيل عبد القيس أخوالي

فهم أبو مالك بالمجد شرفني *** و دنس العبد عبد القيس سربالي

قال: فبلغ قوله زيادا الأعجم فغضب وقال: يا عجبا للعبد بن العبد بن الحيتان و السرطان(4)، يقول هذا في عبد القيس، وهو يعلم موضعي فيهم! والله لأدعته وقومه غرضا لكل لسان، ثم قال يهجوه:

نبت أشقر تهجوننا فقلت لهم *** ما كنت أحسبهم كانوا ولا خلقوا

لا يكثرون وإن طالت حياتهم *** و لو يبول عليهم ثعلب غرقوا

قوم من الحسب الأدنى بمنزلة *** كالققع بالقاع لا أصل ولا ورق(5)

إنّ الأشاقر قد أضحوا بمنزلة *** لو يرهنون بنعلي عبدنا غلقوا(6)

قال: وقال فيه أيضا:

هل تسمع الأزدي ما يقال لها *** في ساحة الدّار أم بها صمم؟

اختتن القوم بعد ما هرموا *** واستعربوا ضلّة وهم عجم(7)

- 1- الهام: جمع هامة، وهي الرأس.
- 2- رزان: جمع رزين. الشمائل: جمع شمال بالكسر، وهو الطبع. و النجار: الأصل و الحسب.
- 3- كذا في جميع الأصول. و الذي في ابن أبي الحديد. «أخو الغمرات في الظلماء» و الغمرات الشدائد.
- 4- السرطان: دابة تسمى عقرب الماء.
- 5- رواية «العقد الفريد»: و هم من الحسب الزاكي بمنزلة كطحلب الماء لا أصل و لا ورق
- 6- غلق الرهن كفرح: استحقه المرتهن إذا لم يفك في الوقت المشروط.
- 7- الضلة: الحيرة.

قال: فشكاه كعب إلى المهلب وأنشده هذين البيتين، وقال: والله ما عنى بهما غيرك، ولقد عمّ بالهجاء قومك، فقال المهلب: أنت أسمعنا هذا وأطلقت لسانه فينا به، وقد كنت غنياً عن هجاء عبد القيس وفيهم مثل زياد، فاكفف عن ذكره، فإنك أنت بدأت، ثم دعا بزياد فعاتبه، فقال: أيها الأمير، اسمع ما قال فيّ وفي قومي فإن كنت ظلمته فانتصر، وإلا فالحجة عليه، ولا حجة على امرئ انتصر لنفسه وحسبه وعشيرته، وأنشده قول كعب فيهم:

العلّ عبيد القيس تحسب أنّها *** كتغلب في يوم الحفيظة أو بكر(1)

يضعض عبد القيس في الناس منصب *** دنيء وأحساب جبرن على كسر

إذا شاع أمر الناس وانشقت العصا *** فإنّ لكيزا لا تريش ولا تبرى(2)

فقال المهلب: قد قلت له أيضاً، قال: لا والله ما انتصرت، ولولاك ما قصرت وأيّ انتصار في قولي له(3):

يا أيها الجاهل الجاري ليدركني *** أقصر فإنك إن أدركت مصروع

يا كعب لا تك كالعنز التي بحثت *** عن حتفها وجنب الأرض مربوع

وقولي(3):

لئن نصبت لي الرّوقين معترضاً *** لأرميتك رمياً غير ترفيع

إنّ المآثر والأحساب أورثني *** منها المجاميع ذكراً غير موضوع

هجاؤه عبد القيس

يعني مجاعة بن مرة الحنفي، ومجاعة بن عمرو بن عبد القيس، فأقسم عليهما المهلب أن يصطلحا، فاصطلحا وتكافأ، ومما هجا كعب الأشقريّ عبد القيس به قوله:

ثوى عامين في الجيف اللّواتي *** مطرحة على باب الفصيل(4)

أحبّ إليّ من ظلّ وكنّ *** لعبد القيس في أصل الفصيل(5)

إذا ثار الفساء بهم تغنّوا *** ألم تربع على الدّمن المثل

تظلّ لها ضبابات علينا *** موانع من مبيت أو مقيل

هجاؤه ربيعة و اليمن

قال أبو الفرج: ونسخت من كتاب للنضر بن حديد: كانت ربيعة و اليمن متحالفة، فكان المهلب و ابنه يزيد ينزلان هاتين القبيلتين في

محلتهما، فقال كعب الأشقرى ليزيد:

لا ترجونَّ هنائياً لصالحة *** و اجعلهم و هدادا أسوة الحمير(6)

ص: 445

-
- 1- الحفيظة و الحفاظ: الذب عن المحارم و المنع لها عند الحروب.
 - 2- هو لكيز بن أفضى بن عبد القيس. راش السهم يريشه: ركب عليه الريش.
 - 3- ساقطة من ج و ط، مط.
 - 4- ثوى: أقام. و مطرحة، أي هي مطروحة، و الفصيل: ولد الناقة إذا فصل عن أمه.
 - 5- الكن: الستر. و الفسيل: جمع فسيلة: وهي النخلة الصغيرة.
 - 6- هنائي: نسبة إلى هناء، و هم بنو هناء بن عمرو بن الغوث بن طيء. و هداد: حي من اليمن.

حيّان مالهما في الأزد مأثرة *** غير التّواكة و الإفراط في الهذر(1)

واجعل لكيذا وراء الناس كلّهم *** أهل الفساء و أهل التّن و القدر

قوم علينا ضباب من فسائهم *** حتى ترانا له ميذا من السّكر(2)

أبلغ يزيد بأنّا ليس ينفعنا *** عيش رغيد و لا شيء من العطر

حتى تحلّ لكيذا فوق مدرجة *** من الرّياح على الأحياء من مضر(3)

ليأخذوا لنزار حظّ سبّتها *** كما أخذنا بحظّ الحلف و الصّهر

شعره في المهلب أمام رسول الحجاج

أخبرني محمّد بن خلف وكيع قال: حدّثنا أحمد بن زهير بن حرب قال: حدّثنا أبي قال: كتب الحجاج بن يوسف إلى المهلب يأمره بمناجزة الأزارقة و يستبطنه و يضعفه، و يعجزه في تأخيره أمرهم و مطاولتهم(4)، فقال المهلب لرسوله: قل له: إنّما البلاء أنّ الأمر إلى من يملكه لا إلى من يعرفه، فإن كنت نصبتني لحرب هؤلاء القوم على أن أدبرها كما أرى، فإن أمكنتني الفرصة انتهزتها، وإن لم تمكّنني / [توقّفت](5)، فأنا أدبر ذلك بما يصلحه، وإن أردت ممّي أن أعمل [و أنا حاضر](5) برأيك و أنت غائب، فإن كان صوابا فلك، وإن كان خطأ فعليّ، فابعث من رأيت مكاني، و كتب من فوره بذلك إلى عبد الملك، فكتب إليه عبد الملك: لا تعارض المهلب فيما يراه و لا تعجله، و دعه يدبر أمره، و قام الأشقريّ إلى المهلب فأنشده بحضرة رسول الحجاج:

إن ابن يوسف غره من غزوكم *** خفض المقام بجانب الأمصار

لو شاهد الصّفين حين تلاقيا *** ضاقت عليه رحبية الأقطار

من أرض سابور الجنود، و خيلنا *** مثل القداح بريتها بشفار(6)

من كلّ خنذيذ يرى بلبانه *** وقع الطّباة مع القنا الخطّار(7)

و رأى معاودة الرّباع غنيمة *** أزمان كان محالف الإقتار

فدع الحروب لشيها و شبابها *** و عليك كلّ خريدة معطار(8)

فبلغت آياته الحجاج، فكتب إلى المهلب يأمره بإشخاص كعب الأشقريّ إليه، فأعلم المهلب كعبا بذلك، و أوفده إلى عبد الملك [من تحت ليلته، و كتب إليه يستوهبه منه، فقدم كعب على عبد الملك](9)، و استشده

- 2- الميّد: ما يصيب الإنسان من الدوار من السكر أو الغثيان أو ركوب البحر. وقد ماد فهو مائد من قوم ميدي كسكري.
- 3- لكيز: من عبد القيس، من سلالة ربيعة بن نزار أخي مضر بن نزار. المدرجة: الطريق يدرج فيها أي يمشي.
- 4- كذا في ط، مط. و الذي في باقي الأصول: «و مطالبتهم».
- 5- ما بين القوسين ساقط من ب، س، ج، وقد أثبتناه عن ط، مط، مب، ها.
- 6- سابور: كورة بفارس.
- 7- اللبان: الصدر أو وسطه. والظبات: جمع ظبة، وهي حد السيف. ورمح خطار: ذو اهتزاز شديد.
- 8- امرأة معطار: اعتادت أن تتعهد نفسها بالطيب و تكثر منه.
- 9- هذه التكملة ساقطة من ب، س، ج. وقد أثبتناه عن ط، مط، مب، ها.

فأعجبه ما سمع منه، فأوفده إلى الحجاج، وكتب إليه يقسم عليه أن يعفو عنه و يعرض عمّا بلغه من شعره، فلما وصل إليه و دخل عليه قال: إيه يا كعب.

و رأى معاودة الرباع غنيمة

/فقال له: أيها الأمير، و الله لقد وددت في بعض ما شاهدته في تلك الحروب و أزماتها، و ما يوردناه المهلب من خطرها، أن أنجو منها و أكون حجاجاً أو حائكا، فقال له الحجاج: أولى لك، لو لا قسم أمير المؤمنين لما نفعك ما أسمع، فالحق بصاحبك، و ردّه من وقته.

هروبه إلى عمان

قال أبو الفرج: و نسخت من كتاب النضر بن حديد: لمّا عزل يزيد بن المهلب عن خراسان و وليها قتيبة بن مسلم، مدحه كعب الأشقرى، و نال من يزيد و ثلبه، ثم بلغته/ولاية يزيد على خراسان، فهرب إلى عمان على طريق الطّبيين و قال:

وإني تارك مروا ورائي(1) *** إلى الطّبيين معتام عمانا

لأوي معقلا فيها و حرزا *** فكتّا أهل ثروتها زمانا(2)

فأقام بعمان مدّة ثم اجتواها(3)، و ساءت حاله بها، فكتب إلى المهلب معذرا:

بسّ التبدّل من مرو و ساكنها *** أرض عمان و سكنى تحت أطواد(4)

يضحي السحاب مطيرا دون منصفها *** كأنّ أجبالها علّت بفرداد(5)

يا لهف نفسي على أمر خطلت به *** و ما شفيت به غمري و أحقادي(6)

أفريت خمسين عاما في مديحك *** ثم اغتررت بقول الظالم العادي

/أبلغ يزيد قرين الجنود مألكة *** بأنّ كعبا أسير بين أصفاد(7)

فإن عفوت(8) فبيت الجود بيتكم *** و الدهر طوران من غي و إرشاد

و إن مننت بصفح أو سمحت به *** نزع نحوك أطنابي و أوتادي(9)

ص: 447

1- كذا في ب، س، ج و في ط، مط («أمامي»). و مرو: هي مرو الشاهجان قصبه خراسان و أشهر مدنها. و الطّيسان: طبس العناب، و الأخرى طبس التمر، و العرب تسميها باب خراسان لأنهم لما قصدوا فتح خراسان في خلافة عثمان كانت أول فتوحهم. و اعتم: اختار.

2- الثروة: كثرة العدد من الناس و المال.

3- اجتواها، كرها.

4- السكنى: الإقامة. و الطود: الجبل.

5- المنصف من الطريق و من كل شيء: وسطه. علت: سقيت مرة بعد مرة. و الفرصاد: صبغ أحمر.

6- خطل كفرح فهو خطل، أي أحرق عجل. و الغمر: الحقد و الغل.

7- المألكة بضم اللام و تفتح: الرسالة. و الأصفاد: جمع صنفد كسبب، و هو القيد. و في ب، س «أسيرا» و التصويب عن ط، مط، مب، ها.

8- في ب، س، مط «عفوت».

9- الأطناب: جمع طناب كعنتق، و هو جبل طويل يشد به الخباء.

وذكر المدائني أن يزيد بن المهلب حبسه و دس إليه ابن أخ له فقتله.

شعره في مقتل بني الأهم

قال أبو الفرج: و نسخت من كتاب التّضر أيضا أن الحجاج كتب إلى يزيد بن المهلب يأمره بقتل بني الأهم، فكتب إليه يزيد: إن بني الأهم أصحاب مقال و ليسوا بأصحاب فعال، فلا تقدّر أن نحدث فيهم ضررا، و في قتلهم عار و سبة؛ [و استوهبهم منه (1)]، فتغافل عنهم، ثم انضموا إلى المفضل بن المهلب، فكتب إليه الحجاج يأمره بقتلهم، فكتب إليه بمثل ما كتب به أخوه، فأعفاهم (2)، ثم ولي قتيبة بن مسلم، فخرجوا إليه و التقوا معه، و ذكروا بني المهلب فعابوهم، فقبلهم (3) قتيبة و احتوى عليهم، فكانوا يغرون الجند عليه و يحملونهم على سوء الطاعة، فكتب يشكوهم إلى الحجاج، فكتب إليه يأمره بقتلهم، فقتلهم جميعا، فقال كعب الأشقريّ في ذلك:

قل للأهاتم من يعود بفضله *** بعد المفضل و الأغرّ يزيد

ردّا صحائف حتفكم بمعاذر *** رجعت أشائم طيركم بسعود

ارداً على الحجاج فيكم أمره *** فجز يتم إحسانه بجحود

فاليوم فاعتبروا فعال (4) أخيكم *** إن القياس لجاهل و رشيد

شعره في عمرو بن عمير

قال أبو الفرج: و نسخت من كتابه أيضا قال: ولى يزيد بن المهلب رجلا من اليحمدي (5) يقال له عمرو بن عمير الرّمّ، فلقبه كعب الأشقريّ فقال له: أنت شيخ من الأزديّ يوليّك الرّمّ. و يوليّ ربيعة الأعمال السنّية، و أنشده:

لقد فازت ربيعة بالمعالي *** و فاز اليحمديّ بعهد زّم

فإن تك راضيا منهم بهذا *** فزادك ربّنا غمّا بغمّ

إذا الأزديّ وضح عارضاه *** و كانت أمّه من حيّ جرم (6)

فتمّ حماقة لا شكّ فيها *** مقابلة فمن خال و عمّ (7)

فردّ اليحمديّ عهد يزيد عليه، فحلف لا يستعمله سنة، فلما أبحفت (8) به [المثونة] (9) قال لكعب:

لو كنت خليّتي يا كعب متكئا *** في دور زّم لما أقفرت من علف

ص: 448

2- كذا في ب، س، ج و الذي في ط، مط «فعفا عنهم».

3- في ج «فقتلهم» و في ب، س «فغلبهم»، و التصويب عن ط، مط. و احتوى عليهم: جمعهم.

4- في ب، س، ج «فراق» و ما أثبتناه عن ط، مط، مب، ها.

5- يحمد: أبو بطن من الأزد، و الزم: بلد بشط جيحون.

6- الوضح كسبب: الشيب، أتى بالفعل منه مضعفا لتكثير المعنى. و العارضان: جانبا الوجه.

7- من قولهم، رجل مقابل: أي كريم من كلا طرفيه أبيه و أمه، و الحمافة المقابلة التي يقابل أحد طرفيها الآخر، أي حمافة من طرفي الأب و الأم.

8- أجمعت به المثونة: دنت منه.

9- عن ط، مط، مب، ها.

و من نبيذ و من لحم أعلّ به *** لكنّ شعرك أمر كان من حرفي

إنّ الشقيّ بمرّو من أقام بها *** يقارع السّوق من بيع و من حلف(1)

/أخبرني(2) أبو الحسن الأسديّ قال: حدّثني الرّياشي عن الأصمعيّ قال: قال كعب الأشقريّ يهجو زيادا الأعجم:

و أقلف صلّى بعد ما ناك أمّه *** يرى ذاك في دين المجوس حلالا(3)

فقال [له] (4) زياد: يا ابن النّمّامة أهي أخبرتك أنّي أقلف؟ فغلبه زياد.

و القصيدة التي أوّلها:

طربت وهاج لي ذاك اذكّارا

شعر له فيه غناء

و فيه الغناء المذكور بذكره خبر كعب الأشقريّ، يمدح بها المهلب بن أبي صفرة و يذكر قتاله الأزارقة، و فيها يقول بعد الأبيات الأربعة(5) التي فيها الغناء:

غرضن بمجلسي و كرهن وصلي *** أو ان كسيت من شمط عذارا(6)

زرين عليّ حين بدا مشيبي *** و صارت ساحتي للهّم دارا(7)

أتاني و الحديث له نماء *** مقالة جائر أحمى و جارا(8)

سلوا أهل الأباطح من قریش *** عن العزّ المؤبّد أين صارا(9)

و من يحمي الثغور إذا استحرّت *** حروب لا ينون لها غرارا(10)

لقومي الأزد في الغمرات أمضى *** و أوفى ذمّة و أعزّ جارا

/هم قادوا الجياد على و جاها *** من الأمصار يقذفن المهارا(11)

بكلّ مفازة و بكلّ سهب *** بسابس لا يرون لها منارا(12)

ص: 449

1- في ط، مط، مب، ها «سلف».

2- كذا في ب، س، ج و الذي في ط، مط، مب، ها: «حدّثني».

- 3- الألف: من لم يختن.
- 4- عن ط، مط، مب، ها.
- 5- كذا في جميع الأصول. و يلاحظ أن المذكور في الصوت ثلاثة أبيات لا أربعة.
- 6- غرضن بمجلسي أي مللنه وضجرن منه. و الشمط: بياض بالرأس يخالط سواده. و العذار: جانبا للحية.
- 7- زرى عليه: عابه.
- 8- رواية ط، مط، مب، ها «مقالة قائل...».
- 9- المؤبد: المخلد.
- 10- لا ينون لها: لا يتوانون و لا يفترون عنها. غرارا: غافلين، جمع غارّ، و هو الغافل، كقيام جمع قائم.
- 11- الوجى: الحفا. المهيار جمع مهر: و هو ولد الفرس.
- 12- المفازة و السهب: الفلاة. و البسابس: جمع بسبس كجعفر، و هي الفلاة. منارا، أي علما يهدي إلى الطريق.

إلى كرمان يحملن المنايا *** بكلّ ثنية يوقدن ناراً(1)

شواذب لم يصبن الثار حتى *** رددناها مكلّمة مراراً(2)

ويشجرن العوالي السمر حتى *** ترى فيها عن الأسل ازوراراً(3)

غداة تركن مصرع عبد ربّ *** يثرن عليه من رهج عصاراً(4)

ويوم الزحف بالأهواز ظلنا *** نروّي منهم الأسل الحراراً(5)

فقرّت أعين كانت حديثاً *** ولم يك نومها إلا غراراً(6)

صنائعنا السوابغ والمذاكى *** ومن بالمصر يحتلب العشاراً(7)

افهّن يحن كلّ حمى عزيز *** ويحمين الحقائق والذماراً(8)

طولات المتون يصنّ إلا *** إذا سار المهلب حيث سارا

فلولا الشيخ بالمصريين ينفي *** عدوّهم لقد تركوا الدياراً(9)

ولكن قارع الأبطال حتى *** أصابوا الأمن واجتنبوا الفراراً(10)

إذا وهنوا وحلّ بهم عظيم *** يدقّ العظم كان لهم جبارا

ومبهمة يحيد الناس عنها *** تشبّ الموت شدّ لها الإزارا

شهاب تنجلي الظلماء عنه *** يرى في كلّ مبهمة منارا

ابل الرحمن جارك إذ وهنّا *** بدفعك عن محارمنا اختيارا

براك الله حين براك بحرا *** وفجرّ منك أنهارا غزارا

وقد مضت هذه الأبيات متقدّمة فيما سلف من أخبار كعب وشعره.

شعره في المهلب وولده

أخبرني عمي قال: حدّثنا محمّد بن سعد الكراني قال: حدّثني العمري عن العتيبي قال: قال عبد الملك بن

- 1- كرمان: بلد بفارس. و الثنية: الطريق في الجبل.
- 2- خيول شواذب، أي ضوامر، جمع شازب، مكلمة: مجرّحة.
- 3- السمر و الأسل: الرماح. و العوالي: جمع عالية، و هي القناة المستقيمة. و ازورّ عنه: انحرف و مال.
- 4- ولي عبد ربه الصغير أمر الأزارقة بعد خلع قطريّ، و نشبت الحرب بينه و بين المهلب فأجلت الوقعة عنه قتيلا، و بذّا خدمت حروب الأزارقة. و الرهج و يحرك: الغبار. و العصار: الغبار الشديد.
- 5- الحرار: جمع حرّان، و هو العطشان.
- 6- كذا في جميع الأصول. و رواية ابن أبي الحديد «حزينا» و حزين كقتيل يستوي فيه المذكر و المؤنث و المفرد و المثنى و الجمع.
- 7- صنائع: جمع صنّاعة، و هي المعروف و الإحسان. السوابغ: جمع سابعة، و هي الدرع التامة الطويلة. و المذاكي: الخيل التي أتى عليها بعد قروحها سنة أو سنتان. و العشار: جمع عشاء، و هي من النوق التي مضى لحملها عشرة أشهر، أو هي من الإبل كالنفساء من النساء.
- 8- فهن، أي السوابغ و المذاكي. و في ط، مط مب، ها: «بهن نبيح». و الذمار: ما يلزمك حفظه و حمايته.
- 9- المصران: الكوفة و البصرة. تركوا الديار: أي ترك الديار أهلوها.
- 10- في ج، ط، مط: «و اجتلبوا». و في ها: «و احتلوا القرارا».

مروان: يا معشر الشعراء، تشبّهوننا بالأسد الأبحر، و الجبل الوعر، و الملح الأجاج؟ ألا قلتم كما قال كعب الأشقر في المهلب و ولده:

لقد خاب أقوام سرّوا ظلم الدّجى *** يؤمّون عمرا ذا الشّعير و ذا البرّ

يؤمّون من نال الغنى بعد شبّه *** و قاسى وليدا ما يقاسى ذو و الفقر

أفقل للجيم يا لبكر بن وائل *** مقالة من يلحى أخاه و من يزري(1)

فلو كنتم حيّا صميما نفيتم *** بخيلكم بالرّغم منه و بالصّغر(2)

و لكنكم يا آل بكر بن وائل *** يسودكم من كان في المال ذا وفر

هو المانع الكلب التّباح و ضيفه *** خميص الحشا يرعى النجوم التي تسري(3)

هجاؤه لأخيه و خبر ذلك

قال: و كان بين كعب و بين ابن أخيه هذا(4) تباعد و عداوة، و كانت أمّه سوداء فقال يهجوّه:

إنّ السواد الذي سربلت تعرفه *** ميراث جدّك عن أبائه التّوب(5)

أشبّهت خالك خال اللؤم مؤتسيا *** بهديه سالكا في شرّ أسلوب(6)

مقتله

قال المدائني في خبره: و كان ابن أخيه كعب هذا عدوا له يسعى عليه، فلما سأل مجزأة بن زياد بن المهلب أباه في كعب فخلّاه، دسّ إليه زياد بن المهلب ابن أخيه الشاعر، و جعل له مالا على قتله، فجاءه يوما و هو نائم تحت شجرة، فضرب رأسه بفأس فقتله، و ذلك في فتنه يزيد بن المهلب و هو بعمان يومئذ، و كان لكعب أخ غير أخيه الذي قتله ابنه، فلما قتل يزيد بن المهلب فرّق مسلمة بن عبد الملك أعماله على(7) عمّال شتى فولّي البصرة و عمان عبد الرحمن بن سليمان الكلبيّ، فاستخلف عبد الرحمن على عمان محمّد بن جابر الراسبيّ، فأخذ أخو كعب الباقي ابن أخيه الذي قتل كعبا، فقَدّمه إلى محمّد بن جابر، و طلب القود(8) منه بكعب، فقيل له: قتل أخوك بالأمس، و تقتل قاتله و هو ابن أخيك اليوم! و قد مضى أخوك و انتضى، فتبقي فردا كقرن الأعضب(9)! فقال:

نعم إن أخيه كعبا كان سيّدنا و عظيمنا و وجهنا، فقتله هذا، و ليس فيه خير، و لا في بقائه عزّ، و لا هو خلف من كعب فأنّا أقتله به، فلا خير في بقائه بعد كعب، فقَدّمه محمّد بن جابر فضرب عنقه و الله أعلم.

ص: 451

1- يلحى: يلوم. زرى عليه: عابه.

2- الصغر و الصغار: الذل.

- 3- خميص الحشا: ضامر البطن.
- 4- الإشارة إلى ابن أخيه الذي قتله.
- 5- النوب: سكان بلاد النوبة جنوبي مصر، واحده نوبيّ.
- 6- اتسى به: جعله أسوة و قدوة. و الأسلوب: الطريق.
- 7- في ط، مط: «عماله على أعمال».
- 8- القود: القصاص و قتل القاتل بدل القتل.
- 9- الأعضب: المكسور أحد قرنيه.

إشارة

أخبرنا أبو بكر محمد بن خلف بن المرزبان قال: حدّثنا أحمد بن الهيثم قال: حدّثنا العمري، عن الهيثم بن عديّ و لقيط و غيرهما، قالوا: حاصر يزيد بن المهلب مدينة خوارزم في أيام ولايته، فلم يقدر على فتحها، واستصعب عليه، ثم عزل و وليّ قتيبة بن مسلم، فزحف إليها، فحاصرها (1) ففتحها، فقال كعب الأشقر يمدحه و يهجو يزيد بن المهلب بقوله:

ارمتك فيل بما فيها و ما ظلمت *** من بعد ما رامها الفجفاجة الصّلف (2)

قيس صريح و بعض الناس يجمعهم *** قري و ريف و منسوب و مقترف (3)

منهم شناس و مرداذاء نعرفه *** و فسخرءاء، قبور حشوها القلف

لم يركبوا الخيل إلا بعد ما هرموا *** فهم ثقّال على أكتافها عنف

إقال: الفيل الذي ذكره هو حصن خوارزم يقال له الكهندر، و الكهندر: الحصن العتيق، و الفجفاجة: الكثير الكلام. و شناس: اسم أبي صفرة، وغيره، و تسمى ظالما، و مرداذاء: أبو أبي صفرة، و سمّوه بسراق (4) لما تعرّبوا، و فسخرءاء: جدّه، و هم قوم من الخوز (5) من أهل عمان، نزلوا الأزدي، ثم ادّعوا أنّهم صليبية صرحاء منهم،

صوت

لأسماء رسم أصبح اليوم دارسا *** وقفت به يوما إلى الليل حابسا

فجئنا بهيت لا نرى غير منزل *** قليل به الآثار إلا الروامسا (6)

يدورون بي في ظلّ كلّ كنيسة *** فيسونني قومي و أهوى الكنائسا

البيت الأوّل من الشعر للعبّاس بن مرداس السّلميّ، و بيت العبّاس مصراعه الثاني:

توهّمت منه رحرحان فراكسا (7)

و غيره يزيد بن معاوية فقال [مكان] (8) هذا المصراع:

وقفت به يوما إلى الليل حابسا

و البيت الثاني للعبّاس بن مرداس، و الثالث ليزيد بن معاوية، ذكر بعض الرّواة أنه قاله على هذا الترتيب و أمر بديحا

- 1- كان ذلك سنة 93 هـ.
- 2- كانت مدينة ولاية خوارزم يقال لها «فيل» قديماً، ثم سميت المنصورة. ويعني بالفجفاجة الصاف يديه.
- 3- في جميع الأصول «صريح قيس» والتصويب عن «تاريخ الطبري» 8:84، وذلك أن قتيبة بن مسلم باهلي، و باهلة: من قبائل قيس عيلان. يقول: إن نسب قتيبة صريح، ويعرض بآل المهلب بقوله «وبعض الناس». و منسوب، أي معروف النسب خالصه، يعني قتيبة. و مقترف: قرفه بسوء: رماه به.
- 4- في ب، س «بشيرا» والتصويب عن ط، مط، ج، مب، ها.
- 5- الخوز: جيل من الناس، أعجمي معرب.
- 6- هيت: بلدة على الفرات. الروامس: الرياح التي تثير التراب و تدفن الآثار.
- 7- رحرحان: جبل قريب من عكاظ خلف عرفات. و راكس: واد.
- 8- الزيادة من نسخة ها، ج.

أن يغني فيه، ففعل؛ ولم يأت ذلك من جهة يوثق بها، والصحيح أن الغناء لمالك، خفيف ثقيل بالبنصر عن الهشامي ويحيى المكي، و هذا صوت زعموا أن مالكا صنعه على لحن سمعه من الرهبان.

/أخبرني الحسن بن يحيى، عن حماد بن إسحاق، عن أحمد المكي، عن أبيه، عن سياط، أن مالكا دخل مع الوليد بن يزيد ديرا، فسمع لحننا من بعض الرهبان، فاستحسنه، فصنع عليه.

ليس رسم على الدفين ببالي

فلما غناه الوليد قال له: الأول أحسن فعد إليه. اللحن الثاني الذي لمالك، ثقيل بالبنصر عن الهشامي وعمرو، وأوله:

دَرَّ دَرَّ الشَّبَابِ وَ الشَّعْرَ الأَسْ *** وَد وَ الضامرات تحت الرحال(1)

وَ الخنازيد كالقداح من الشو *** حط يحملن شكّة الأبطال(2)

ص: 453

1- يقولون لمن يمدح ويتعجب من عمله: لله دره: أي لله عمله، وربما استعملوه من غير أن يقولوا: لله، فيقولون: دَرَّ دَرَّ فلان؛ فإذا شتموه و ذموا عمله قالوا لا دَرَّ دَرَّه، أي لا زكا عمله ولا أكثر خيره.

2- الخنازيد: جراد الخيل أو طولها جمع خنذيد بالكسر. وفي ب، س «و الخفاديد» و هو تحريف. و الشوحط: شجر تتخذ منه القسي. و الشكّة: السلاح.

نسبه

العباس بن مرداس بن أبي عامر بن حارثة بن عبد قيس بن رفاعة بن بهثة بن سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار، ويكنى أبا الهيثم، وإياه يعني أخوه سراقه بقوله يرثيه:

أعين ألا ابكي أبا الهيثم *** وأذري الدموع ولا تسأمي (1)

وهي أبيات تذكر في أخباره، وأمّه الخنساء الشاعرة بنت عمرو بن الشريد، وكان العباس فارساً شاعراً شديداً العارضة (2) والبيان، سيّداً في قومه من كلا طرفيه، وهو مخضرم أدرك/الجاهليّة والإسلام، ووفد إلى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، فلما أعطى المؤلّفة قلوبهم فضّل عليه عيينة بن حصن والأقرع بن حابس، فقام وأنشده شعراً قاله في ذلك، فأمر بلالا فأعطاه حتى رضي، وخبره في ذلك يأتي بعد هذا الموضوع؛ والله أعلم.

خبره مع صنم كان لهم

أخبرني محمّد بن جرير الطبريّ قال: حدّثنا محمّد بن حميد قال: حدّثنا سلمة بن الفضل، عن محمّد بن إسحاق عن منصور بن المعتمر، عن قبيصة، عن عمرو والخزاعيّ عن العباس بن مرداس بن أبي عامر أنه قال: كان لأبي صنم اسمه ضمّار (3)، فلما حضره الموت أوصاني به وعبادته والقيام عليه، فعمدت إلى ذلك الصنم فجعلته في بيت، وجعلت آتية في كلّ يوم وليلة مرّة، فلما ظهر أمر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم سمعت صوتاً في جوف الليل راعني، فوثبت إلى ضمّار، فإذا الصّوت في جوفه يقول:

أقل للقبائل من سليم كلّها *** هلك الأيس وعاش أهل المسجد

إنّ الذي ورث النبوة والهدى *** بعد ابن مريم من قريش مهتدي

أودى الضّمّار وكان يعبد مرّة *** قبل الكتاب إلى النبيّ محمّد

قال: فكتمت الناس ذلك، فلم أحدث به أحداً حتى انقضت غزوة الأحزاب، فبينما أنا في إيلي في طرف العقيق وأنا نائم، إذ سمعت صوتاً شديداً، فرفعت رأسي فإذا أنا برجل على حيالي (4) بعمامة يقول: إن النور الذي وقع بين الاثنين وليلة الثلاثاء، مع صاحب الناقة العضباء (5)، في ديار بني أخي العنقاء (6)، فأجابه طائف عن شماله

ص: 454

1- في ج «أعين لا أبكي على الهيثم» وهو تحريف. والتصويب عما ورد بآخر الترجمة.

2- العارضة: القدرة على الكلام؛ والرأي الجيد.

3- ضمّار: صنم عبده العباس بن مرداس ورهطه. وفي ب، س ج «ضمّاد»، وهو تصحيف. والتصويب عن ها.

4- يقال: وقف حياله وبحياله: بإزائه.

5- العنقاء: اسم ناقة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

6- العنقاء: لقب ثعلبة بن عمرو مزيقياء بن عامر ماء السماء، قال حسان: ولدنا بني العنقاء وابني محرق فأكرم بنا خالا وأكرم بنا ابنما. و الأوس و الخزرج: ابنا حارثة بن ثعلبة العنقاء و من بطون الخزرج بنو عدي بن النجار أخوال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تزوج منهم جده هاشم سلمى بنت عمرو و النجارية أم عبد المطلب.

لا أبصره فقال: بشر الجنّ وأجناسها، أن وضعت المطي أحلاسها(1)، وكفت(2) السماء أحراسها، وأن يغصّ السّوق أنفاسها(3)، قال: فوثبت مذعورا وعرفت أنّ محمّدا/رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مصطفى، فركبت فرسي وسرت حتّى انتهيت إليه فبايعته وأسلمت، و انصرفت إلى ضممار فأحرقته بالنار.

خروجه إلى النبي صلّى الله عليه وسلّم وإسلامه

وقال أبو عبيدة: كانت تحت العباس بن مرداس حبيبة بنت الضحّاك بن سفيان السلمي أحد بني رعل(4) بن مالك، فخرج عباس حتى انتهى إلى إبله وهو يريد النبي صلّى الله عليه وسلّم، فبات بها، فلمّا أصبح دعا براعيه فأوصاه بإبله، وقال له: من سألك عني فحدّثه أنّي لحقت بيثرب، ولا أحسبني إن شاء الله تعالى إلاّ آتيا محمّدا وكائنا معه، فإني أرجو أن نكون برحمة من الله ونور، فإن كان خيرا لم أسبق إليه، وإن كان شرّا نصرته(5) لخئولته، على أنّي قد رأيت الفضل البيّن وكرامة الدنيا والآخرة في طاعته ومؤازرته، وأتباعه ومبايعته، وإيثار أمره على جميع الأمور، فإنّ مناهج سبيله واضحة، وأعلام ما يجيء به من الحقّ نيرة، ولا أرى أحدا من العرب ينصب(6) له إلاّ أعطي عليه الظفر والعلوّ، وأراني قد ألقيت عليّ محبة له، وأنا باذل نفسي دون نفسه أريد بذلك رضا إله السماء والأرض، قال: ثم سار نحو النبي صلّى الله عليه وسلّم، وانتهى الراعي نحو إبله، فأتى امرأته فأخبرها بالذي كان من أمره ومسيره إلى النبي صلّى الله عليه وسلّم، فقامت فقوّضت بيتها، ولحقت بأهلها، فذلك حيث يقول عباس بن مرداس، حين أحرق ضممارا ولحق بالنبي صلّى الله عليه وسلّم:

العمرى إني يوم أجعل جاهدا *** ضممارا لربّ العالمين مشاركا

و تركي رسول الله والأوس حوله *** أولئك أنصار له، ما أولئكنا؟(7)

اكتارك سهل الأرض، والحزن بينغي *** ليسلك في غيب الأمور المسالكا

فأمنت بالله الذي أنا عبده *** وخالفت من أمسى يريد الممالكا

و وجهت وجهي نحو مكّة قاصدا *** و تابعت بين الأخشبين المباركا(8)

ص: 455

1- أحلاس: جمع حلس بالكسر، وهو كساء على ظهر البعير تحت البرذعة.

2- في ب، س «و وكفت» وهو تحريف.

3- في الأصول «أن بعض» ولعل صوابه ما أثبتنا، أي وبشر الجن بأن يغص... وبشر هنا بمعنى أندر، ويغص أنفاسها: يصيبها بغصة، و السوق: الدفع الشديد. والمعنى: لم يعد لها سلطان، وكانت العرب تعتقد أن الجن تأتي بنجر السماء فتلقيه في جوف الأصنام. وجاء في رواية الروض الأنف: «عن عباس بن مرداس أنه كان في لقاح له نصف النهار، فاطلعت عليه نعامة بيضاء عليها راكب عليه ثياب بيض، فقال لي: يا عباس ألم تر أنّ السماء كفت أحراسها، وأن الحرب جرعت أنفاسها، وأن الخيل وضعت أحلاسها، وأن الذي نزل عليه البر والتقى يوم الاثنين ليلة الثلاثاء، صاحب الناقة القصواء. قال: فخرجت مرعوبا قد راعني ما رأيت، وسعيت حتى جئت وثننا لي يقال له الضمار كنا نعبده ونكلم من جوفه...». و القصواء: التي قطع طرف أذنها، وهو لقب ناقة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ولم تكن ناقته قصواء، وإنما كان هذا لقبا لها، وقيل: كانت مقطوعة الأذن.

4- رعل: قبيلة من سليم.

5- في ج، ب «بصرته» وفي س «أبصرته» و الصواب عن «ها» و هو تحريف.

6- نصب له: عاداه.

7- تركي، معطوف على أ جعل المنزل منزلة المصدر، أي يوم جعلي ضمارا مشاركا و تركي. ما أولئكا: استفهام للتعظيم و التهويل.

8- الأخشبان: جبلان مطيفان بمكة، و هما أبو قبيس و الأحمر. و في ج «الأحسين» و هو تصحيف.

نبيّ أتانا بعد عيسى بناطق *** من الحقّ فيه الفصل منه كذلكا

أميناً على الفرقان أول شافع *** و آخر مبعوث يجيب الملائكا

تلافي عرا الإسلام بعد انفصامها *** فأحكمها حتّى أقام المناسكا

رأيتك يا خير البريّة كلّها *** توسّطت في القربى من المجد مالكا(1)

سبقتهم بالمجد و الجود و العلا *** و بالغاية القصوى تفوت السنابكا(2)

فأنت المصفّى من قریش إذا سمت *** غلاصمها تبغي القروم الفواركا(3)

قال: فقدم عباس على رسول الله صلّى الله عليه و سلّم المدينة حيث أراد المسير إلى مكّة عام الفتح، فواعد رسول الله صلّى الله عليه و سلّم قديدا(4)، و قال: القنى/أنت و قومك بقديد، فلما نزل رسول الله صلّى الله عليه و سلّم قديدا و هو ذاهب، لقيه عبّاس في ألف من بني سليم، ففي ذلك يقول عبّاس بن مرداس:

بلّغ عباد الله أنّ محمّدا *** رسول الإله راشد أين يمّما(5)

دعا قومه و استنصر الله ربّه *** فأصبح قد وافى الإله و أنعما(6)

عشيّة واعدنا قديدا محمّدا *** يوم بنا أمرا من الله محكما

حلفت يمينا برة لمحمّد *** فأوفيته ألفا من الخيل معلما

سرايا يراها الله و هو أميرها *** يوم بها في الدّين من كان أظلما(7)

على الخيل مشدودا علينا دروعنا *** و خيلا كدقّاع الأتيّ عرمرما(8)

أطعناك حتّى أسلم الناس كلهم *** و حتّى صبحنا الخيل أهل يلملما(9)

و هي قصيدة طويلة.

ص: 456

1- يعني مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار.

2- السنابك: جمع سنبك كقنفذ، و هو طرف الحافر. و المعنى: لا تبلغنها سنابك الخيول المتسابقة إليها.

3- غلاصم: جمع غلصمة، و هي أصل اللسان أو الجماعة أو السادة. و القروم: جمع قرم بالفتح، و هو السيد، و أصله الفحل الذي يترك من الركوب و العمل و يودع للفحلة و الضراب. و الفوارك: جمع فارك، من فرك الرجل امرأته فركا: أبغضها، يعني أنهم ليسوا ممن تلهيهم النساء عن عظام الأمور، و من ذلك قول الأخطل: قوم إذا حاربوا شدوا مآزرهم دون النساء و لو باتت بأطهار و قد تمثل به عبد الملك بن مروان

حين تهيأ لقتال ابن الأشعث. وفي وصف القروم بالفوارك ملاءمة ظاهرة.

4- قديد: موضع قرب مكة.

5- في هذا البيت خرم. ويمم: طلب. وفي «الروض الأنف» ج 2 ص 268 «من مبلغ الأقسام».

6- وافى الله حقّه وفاه: أداه، ويقال: فعل كذا وأنعم: أي زاد.

7- يراها الله، أي بعين رعايته. وأظلم هنا بمعنى ظالم.

8- في الأصول: «عليها» وهو تحريف، والخيل: الفرسان. وفي «السيرة» «ورجلا» وهم الرجالة أي المشاة. وسيل أتى: وفي ب، س:

«اللواتي»؛ وهو تحريف. والتصويب عن ها، و«السيرة النبوية». والدفاع: كثرة الماء وشدته و تدافع جريه. و جيش عرمرم: كثير شديد.

9- كذا في الأصول. وفي «الروض الأنف»: «صبحنا الجمع». يللمم: ميقات اليمن، جبل على مرحلتين من مكة. وفي ب، س «يلمما»؛

وهو تحريف.

قال: ولَمَّا عَرَفَ راعي العَبَّاس بن مرداس زوجته بنت الضحّاك بن سفيان خبره وإسلامه قوّضت بيتها، وارتحلت إلى قومها، وقالت تؤنّبهُ:

ألم ينه عباس بن مرداس أنّي *** رأيت الوري مخصوصة بالفجائع

/أتاهم من الأنصار كلّ سميذع *** من القوم يحمي قومه في الوقائع (1)

بكلّ شديد الوقع غضب، يقوده *** إلى الموت هام المقربات البرائع (2)

لعمري لئن تابعت دين محمّد *** وفارقت إخوان الصّفا والصنائع (3)

لبدّلت تلك النفس ذلاًّ بعزّة *** غداة اختلاف المرهفات القواطع (4)

وقوم هم الرأس المقدّم في الوغى *** وأهل الحجا فينا وأهل الدّسائع (5)

سيوفهم عزّ الدليل وخيلهم *** سهام الأعداي في الأمور الفظائع

شعره لرسول الله حين فضل غيره عليه في الغنائم و خبر ذلك

/فأخبرني أحمد بن محمّد بن الجعد قال: حدّثنا محمّد بن إسحاق المسيبي قال: حدّثنا محمّد بن فليح عن موسى بن عقبة، عن ابن شهاب، وأخبرني عمر بن إسماعيل بن أبي غيلان الثّقفي قال: حدّثنا داود بن عمرو الصّبي قال: حدّثنا محمّد بن راشد عن ابن إسحاق، و حدّثني محمّد بن جرير قال: حدّثنا محمّد بن حميد قال: حدّثنا سلمة عن ابن إسحاق - وقد دخل حديث بعضهم في حديث بعض - أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قسّم غنائم هوازن، فأكثر العطايا لأهل مكّة، وأجزل القسم لهم ولغيرهم ممّن خرج إلى حنين، حتى إنه كان يعطي الرجل الواحد مائة ناقة، والآخر ألف شاة، وزوى كثيرا من القسم عن أصحابه، فأعطى الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن والعباس بن مرداس عطايا فضّل فيها عيينة والأقرع على العَبَّاس، فجاءه العَبَّاس فأنشده:

أو كانت نهابا تلافيتها *** بكرّي على المهر في الأجرع (6)

وإيقاظي الحيّ أن يرقدوا *** إذا هجع القوم لم أهجع

فأصبح نهبي ونهب العبي *** د بين عيينة والأقرع (7)

وقد كنت في الحرب ذا تدرا *** فلم أعط شيئا ولم أمنع (8)

1- السميذع: السيد الكريم والشجاع.

2- المقربات: جمع مقربة، وهي الفرس التي تدني وتقرّب وتكرم، ولا تترك أن ترود لنلا يقرعها فحل لثيم، أو هي التي ضمّرت للركوب.

البرائع: جمع بريعة، وهي المرأة الفاتكة في الجمال و العقل؛ جعلها هنا و صفا للأفراس.

3- الصنائع: جمع صنيعة، وهي الإحسان.

4- المرهفات: السيوف المرققة.

5- الدسائع: جمع دسيعة، وهي العطية.

6- في ب، س «كانت رزايا» و التصويب عن ج، ها. و النهاب: الغنائم.

7- العبيد: اسم فرس العباس بن مرداس. و في الأصول «عينية» و هو تصحيف.

8- رجل ذو تدرأ و تدرئة: مدافع ذو عز و منعة.

و ما كان حصن ولا حابس *** يفوقان مرداس في مجمع

و ما كنت دون امرئ منهما *** و من تضع اليوم لا يرفع

فبلغ قوله رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فدعاه فقال له: أنت القائل: «أصبح نهبي ونهب العبيد بين الأقرع وعيينة؟» فقال أبو بكر:

بأبي أنت وأمِّي يا رسول الله، لم يقل كذلك، ولا والله ما أنت بشاعر، ولا ينبغي لك الشعر، و ما أنت براوية، قال:

فكيف قال؟ فأشده أبو بكر رضي الله عنه، فقال: هما سواء، لا يضرك بأيهما بدأت: بالأقرع أم بعيينة، فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قطعوا عني لسانه، وأمر بأن يعطوه من الشاء(1) والتعم ما يرضيه ليمسك، فأعطي، قال:

فوجدت(2) الأنصار في أنفسهم، وقالوا: نحن أصحاب موطن(3) و شدة، فأثر قومه علينا، وقسم قسما لم يقسمه لنا، و ما نراه فعل هذا إلا و هو يريد الإقامة بين أظهرهم، فلما بلغ قولهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أتاهم في منزلهم فجمعهم، وقال: من كان هاهنا من غير الأنصار فليرجع إلى أهله، فحمد الله وأثنى عليه/ثم قال: يا معشر الأنصار، قد بلغتني مقالة قلموها، و موجدة وجدتموها في أنفسكم، ألم أتكم ضللا فهداكم الله؟ قالوا: بلى. قال: ألم أتكم قليلا فكثركم الله؟ قالوا: بلى. قال: ألم أتكم أعداء فألف الله بين قلوبكم؟ قالوا: بلى.

قال محمد بن إسحاق: و حدثني يعقوب بن عيينة أنه قال: ألم أتكم وأنتم لا تركبون الخيل فركبتموها؟ قالوا:

بلى. قال: أفلا تجيبون يا معشر الأنصار؟ قالوا: لله و لرسوله علينا المنّ و الفضل، جئنا يا رسول الله و نحن في الظلمات، فأخرجنا الله بك إلى النور، و جئنا يا رسول الله و نحن على شفا حفرة من النار، فأنقذنا الله، و جئنا يا رسول الله و نحن أذلة قليلون فأعزنا/الله بك، فرضينا بالله ربنا، و بالإسلام ديننا، و بمحمد رسولا. فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أما والله لو شتتم لأجبتهموني بغير هذا، فقلت: جئنا طريدا فأويناك، و مخذولا فنصرناك، و عائلا فأغنيناك، و مكذبا فصدقناك، و قبلنا منك ما ردّه عليك الناس، لقد صدقتم. فقال الأنصار: لله و لرسوله علينا المنّ و الفضل، ثم بكوا حتى كثر بكاؤهم، و بكى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، و قال: يا معشر الأنصار وجدتم في أنفسكم في الغنائم أن آثرت بها ناسا أتألفهم على الإسلام ليسلموا، و وكلتكم إلى الإسلام، أ و لا ترضون أن يذهب الناس بالشاء و الإبل، و ترجعوا برسول الله إلى رحالكم؟ و الذي نفس محمد بيده لو سلك الناس شعبا(4) و سلك الأنصار شعبا لسلك شعب الأنصار، و لو لا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار، ثم بكى القوم ثانية حتى أخضلوا(5) لحاهم، و قالوا: رضينا يا رسول الله بالله و برسوله حظا و قسما، و تفرّق القوم راضين، و كانوا بما قال لهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أشدّ اغتباطا من المال.

و قال أبو عمرو الشيباني في هذا الخبر: أعطى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جماعة من أشرف العرب عطايا يتألف بها قلوبهم و قومهم على الإسلام، فأعطى كل رجل من هؤلاء الثفر - و هم: أبو سفيان بن حرب، و ابنه معاوية، و حكيم بن حزام، و الحرث بن هشام، و سهيل بن عمرو، و حويطب بن عبد العزّي، و صفوان بن أمية، و العلاء بن حارثة الثقفي حليف بني زهرة، و عيينة بن حصن، و الأقرع بن حابس - مائة من الإبل، و أعطى كل واحد من

ص: 458

1- في ب، س، ج: «من النساء»؛ و هو تحريف و التصويب عن ها.

2- وجد عليه يجد: غضب.

3- الموطن: المشهد من مشاهد الحرب.

4- الشعب: الطريق في الجبل.

5- أخضله: بله.

مخرمة بن نوفل وعمير بن وهب أحد بني عامر بن لؤي وسعيد بن يربوع، ورجلا من بني سهم دون ذلك ما بين الخمسين وأكثر وأقل، و أعطى العباس بن مرداس أبا عمر، فتسخطها وقال الأبيات المذكورة، فأعطاه حتى رضي.

كتب عبد الملك كتابا فيه شعر لابن الزبير يتوعدده و رده على ذلك

حدّثنا وكيع قال: حدّثنا الكراني قال: حدّثنا عطاء بن مصعب، عن عاصم بن الحدثان قال: كتب عبد الملك بن مروان إلى عبد الله بن الزبير كتابا يتوعدده فيه و كتب فيه:

إني لعند الحرب تحمل شكّتي *** إلى الرّوع جرداء السيّالة ضامر(1)

و الشعر للعبّاس بن مرداس. فقال ابن الزبير: أ بالشعر يقوى عليّ؟ و الله لا أجيئه إلاّ بشعر هذا الرجل؛ فكتب إليه:

إذا فرس العوالي لم يخالج *** همومي غير نصر و اقتراب(2)

و إنّنا و السّوايح يوم جمع *** و ما يتلو الرسول من الكتاب(3)

هزمتنا الجمع جمع بني قسيّ *** و حكّت بركها ببني رئاب(4)

هذه الأبيات من قصيدة يفخر فيها العبّاس برسول الله صلّى الله عليه و سلّم و نصره له، و فيها يقول:

بذي لجب رسول الله فيه *** كتيبته تعرّض للضّراب(5)

و لو أدركن صرم بني هلال *** لأم نساؤهم و التّقع كابي(6)

خبر قتل أخيه هريم

قال أبو عبيدة: و كان هريم بن مرداس مجاورا في خزاعة في جوار رجل منهم يقال له/عامر، فقتله رجل من خزاعة يقال له خويلد، و بلغ ذلك أخاه العبّاس بن مرداس، فقال يحضّ عامرا على الطلب بثأر جاره، فقال:

إذا كان باغ منك نال ظلامه *** فإنّ شفاء البغي سيفك فافصل

و تبيّت أن قد عوّضوك أبعرا *** و ذلك للجيران غزل بمغزل

فخذها فليست للغزير بنصرة *** و فيها متاع لا مرئى متدلّل

و هذا البيت الأخير كتب به الوليد بن عقبة إلى معاوية لما دعاه عليّ عليه السّلام إلى البيعة، و تحدّث الناس أنّه وعده أن يولّيه الشام إذا بايعه. قال: فلما/بلغته هذه الأبيات آلى لا يصيب رأسه و لا جسده ماء بغسل حتى يثأر

- 1- الشكة: السلاح. و السبالة: واحدة السبال، و هو شجر سبط الأغصان له شوك أبيض و أراد بها المتن - على التشبيه - و في الأصول: «السبالة» بالباء.
- 2- فرسه فرسا: دقه و كسره. و العوالي: جمع عالية، و هي رأس الرمح.
- 3- السوابح: جمع سابع، و هو من الخيل ما يمدّ يديه في الجري سبحا. و في ج، ب، س «يوم بدر» و التصويب عن ها و «السيرة النبوية» لابن هشام، و قد قال العباس هذا الشعر يوم حنين. و جمع: المزدلفة.
- 4- في ج، ب، س «يوم بني قسي». و قسي هو ثقيف. و البرك: كل كل البعير و صدره الذي يدوك به الشيء تحته، و يقال في صفة الجرب و شدّة وطأتها: «حكّت بركها بهم».
- 5- بذى لجب، أي بجيش ذي لجب، و اللجب: الجلبة و الصياح. و في الأصول: «كعارضة تعرض للصواب» و التصويب عن «السيرة النبوية».
- 6- الصرم: الفرقة من الناس ليسوا بالكثير. و النقع: الغبار. و الكابي: المرتفع الضخم.

بهريم، ثم إن أبا حليس النَّصْرِيّ لقي خويلاً قاتل هريم فقتله، فقال بنو نصر: بؤ(1) بدم فلان النصريّ - رجل كانت خزاعة قتلته - فقال أبو الحليس: لا، بل هو بؤ بدم هريم بن مرداس، وبلغ العباس، فقال يمدحه بقوله:

أتاني من الأنباء أنّ ابن مالك *** كفى ثائرا من قومه من تعبّبا(2)

[و يلقاك ما بين الخميس خويلد *** أرى عجبا بل قتله كان أعجبا(3)]

فدى لك أمي إذ ظفرت بقتله *** وأقسم أبغي عنك أمّا ولا أبأ(4)

فمثلك أدّى نصره القوم عنوة *** ومثلك أعيّا ذا السّلاح المجربا

خروجه لحرب بني نصر

قال أبو عبيدة: أغارت بنو نصر(5) بن معاوية على ناحية من أرض بني سليم، فبلغ ذلك العباس بن مرداس، فخرج إليهم في جمع من قومه، فقاتلهم حتى أكثر فيهم القتل، وظهرت عليهم بنو سليم، وأسروا ثلاثين رجلا منهم، وأخذت بنو نصر فرسا للعبّاس عائرة(6) يقال لها زرة(7)، فانطلق بها عطية(8) بن سفيان النصري - وهو يومئذ رئيس القوم - فقال في ذلك العباس:

أبي قومنا إلا الفرار و من تكن *** هوازن مولا ه من الناس يظلم(9)

/أغار علينا جمعهم بين ظالم *** وبين ابن عمّ كاذب الودّ أيهم(10)

كلاب و ما تفعل كلاب فإنّها *** و كعب سراة البيت ما لم تهدّم(11)

فإن كان هذا صنعكم فتجرّدوا *** لألفين متّا حاسر و ملامم(12)

و حرب إذا المرء السّمين تمرّست *** بأعطافه بالسيف لم يترمرم(13)

و لم أحسب سفيان حتى لقيته *** على ماقط إذ بيننا عطر منشم(14)

ص: 460

1- أي خويلد بؤ. يقال: باء دمه بدمه بوءا و بواء: عدله.

2- ثائرا، أي آخذ بالثأر.

3- تكملة عن «ها».

4- أبغي: لا أبغي.

5- هم بنو نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة... فهم و بنو سليم أبناء عم.

6- يريد: شاردة و ضالة، من قولهم: أصابه سهم عائر أي لا يدري من رماه.

7- في الأصول: «زورة» و هو تحريف، و صوابه ما أثبتنا كما في (تاج العروس).

- 8- في ب، س «غبطة» و صوابه ما أثبتنا كما في ها.
- 9- أبى قومنا: يريد بني عمهم بني نصر. يظلم، أي يتعرّض للظلم و العدوان عليه لضعفهم عن نصرته و الذود عنه.
- 10- الأيهم: من لا عقل له و لا فيهم.
- 11- كلاب و كعب: هما ابنا ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن. و سراة كل شيء: أعلاه و ظهره و وسطه.
- 12- رجل حاسر: لا درع عليه و لا بيضة على رأسه. و ملام: عليه لأمة، و هي الدرع، و السلاح و أداة الحرب.
- 13- تمرّس به: احتك به. و ترمم: حرّك فاه للكلام.
- 14- المأقط: المضيق الذي يقتتلون فيه. و منشم: امرأة كانت عطارة بمكة، و كانوا إذا أرادوا القتال و تطيبوا بطيبها كثرت فيهم القتلى، فضربوا بها المثل في الشؤم فقالوا: أشأم من عطر منشم.

فقلت وقد صاح النساء خلالهم *** لخيلى شدي إنهم قوم لهذم (1)

فما كان تهليل لدن أن رميتهم *** بزرة ركضا حاسرا غير ملجم

إذا هي صدت نحرها عن رماحهم *** أقدمها حتى تتعل بالدم

و ما زال منهم رائغ عن سبيلها *** و آخر يهوي لليدين و للفم (2)

لدن غدوة حتى استبيحوا عشية *** و ذلوا فكانوا لحمة المتلحم (3)

فآبوا بها عرفا و ألقيت كلكلي *** على بطل شاكي السلاح مكلم (4)

اولن يمنع الأقوام إلا مشايح *** يطارد في الأرض الفضاء و يرتمي (5)

قال: ثم إن العباس بن مرداس جمع الأسارى من بني نصر - و كانوا ثلاثين رجلا - فأطلقهم، و ظن أنهم سيثيونه بفعله، و أن سفيان سيرد عليه فرسه زرة، فلم يفعلوا، فقال في ذلك:

أزرة خير أم ثلاثون منكم *** طليقا رددناه إليكم مسلما (6)

قال: و جعل العباس يهجو بني نصر، فبلغه أن سفيان بن عبد يغوث يتوعده في ذلك، فلقبه عباس في المواسم، فقال له سفيان: و الله لتنتهين أو لأصرمنك، فقال عباس:

أتوعدني بالصرم إن قلت اوفني *** فأوف و زد في الصرم لهزمة النتن (7)

و قال العباس أيضا فيه:

ألا من مبلغ سفيان عني *** و ظني أن سيبلغه الرسول

و مولاه عطيه أن قيلا *** خلا مني و أن قد بات قيل (8)

سئتم ربكم و كفرتموه *** و ذلكم بأرضكم جميل (9)

ألا توفي كما أوفى شبيب *** فحل له الولاية و الشمول

أبوه كان خيركم و فاء *** و خيركم إذا حمد الجميل

الأم على الهجاء و كل يوم *** تلاقيني من الجيران غول (10)

- 1- اللهزم: القاطع من الأسنة الهدوم ذوو لهازم.
- 2- راغ: مال و حاد.
- 3- المتلحم: يريد طالب اللحم و مشتبهه.
- 4- العرف: اسم من الاعتراف، أي أبوا معترفين بالهزيمة. و الكلكل: الصدر. شاكي السلاح: ذو شوكة و حدّ في سلاحه، مكلم: مجرّح.
- 5- شايح: قاتل، و جدّ في الأمر. وفي الأصول «مشايخ تطاردن» و هو تصحيف. ارتموا: تراموا.
- 6- في الأصول «طليق» و هو تحريف، و الفصل بين العدد و تمييزه ضرورة، كقوله: ثلاثون للهجر حولاً كميلاً
- 7- اللهزمتان: عظامان ناتتان في اللحين تحت الأذنين، يريد يا رأس النتن و أصله.
- 8- القيل: القول، أو القول في الشر. خلا: مضى.
- 9- في ب، س «شتمتم» و التصويب عن ج.
- 10- الغول: الهلكة و الداهية.

سأجعلها لأجمعكم شعارا*** وقد يمضي اللسان بما يقول

/ وهذه الأبيات من شعر العباس بن مرداس التي ذكرنا أخباره بذكرها، وفيه الغناء المنسوب من قصيدة قالها في غزاة غزاها بني زبيد باليمن.

حربه مع بني زبيد

قال أبو عمرو وأبو عبيدة: جمع العباس بن مرداس بن أبي عامر - وكان يقال للعباس: مقطّع الأوتاد - جمعا من بني سليم فيه من جميع بطونها، ثم خرج بهم حتى صبح بني زبيد بتثليث من أرض اليمن بعد تسع وعشرين ليلة، فقتل فيها عددا كثيرا، وغنم حتى ملأ يديه، فقال في ذلك:

لأسماء رسم أصبح اليوم دارسا*** وقتت به يوما إلى الليل حابسا

يقول فيها:

فدع ذا ولكن هل أتاك مقادنا*** لأعدائنا نزجي الثقال الكوادسا(1)

سمونا لهم تسعا وعشرين ليلة*** نجيز من الأعراض وحشا بسابسا(2)

فلم أر مثل الحيّ حيّا مصبّحا*** ولا مثلنا يوم التقينا فوارسا

إذا ما شددنا شدة نصبوا لنا*** صدور المذاكي والرماح المداعسا(3)

وأحصننا منهم فما يبلغوننا*** فوارس مئا يحبسون المحابسا

وجرد كأنّ الأسد فوق متونها*** من القوم مرءوسا كميا ورائسا

و كنت أمام القوم أول ضارب*** وطاعنت إذ كان الطعان مخالسا(4)

/ ولو مات منهم من جرحنا لأصبحت*** ضياع بأكناف الأراك عرائسا

فأجابه عمرو بن معد يكرب عن هذه القصيدة بقصيدة أولها:

المن طلل بالخيف أصبح دارسا*** تبدل آراما وعينا كوانسا(5)

وهي طويلة، لم يكن في ذكرها مع أخبار العباس فائدة، وإنما ذكرت هذه الأبيات من قصيدة العباس لأن الغناء المذكور في أولها.

شعره في جلاء بني النضير و جواب خوات له

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال: حدّثنا الزبير بن بكار قال: حدّثنا أبو غزيرة عن فليح بن سليمان قال: قال

1- كدست الدواب: أسرعت وركب بعضها بعضها في سيرها.

2- الأعراض: قرى بين الحجاز واليمن. و البسابس: جمع بسبس كجعفر، وهو القفر الخالي.

3- المذاكى: الخيل التي أتى عليها بعد قروحها سنة أو سنتان. و المداعس: جمع مدعس كمنبر وهو من الرماح الغليظ الشديد الذي لا ينثني، ودعسه بالرمح: طعنه.

4- تخالس القرنان: رام كل واحد منهما اختلاس الآخر. وفي ج «مجالسا» وفي ها «تخالسا».

5- آرام: جمع رئم، وهو الظبي الخالص البياض. و العين: بقر الوحش. و كنس الظبي كضرب: دخل في كناسه. وهو ما يستره من الشجر.

العبّاس يذكر جلاء بني التّضير و يبكيهم بقوله:

لو ان قطين الدّار لم يتحمّلوا *** وجدت خلال الدار ملهى و ملعبا(1)

فإنك عمري هل رأيت طعائنا *** سلكن على ركن الشنطة فميشبا(2)

[عليهنّ عين من ظباء تباله *** أوانس يصبين الحلیم المجربا(3)]

إذا جاء باغي الخير قلن بشاشة *** له بوجه كالذنانير: مرحبا

[و أهلا فلا ممنوع خير طلبته *** ولا أنت تخشى عندنا أن تؤنبا(3)]

فلا تحسبني كنت مولى ابن مشكم *** سلام ولا مولى حيي بن أخطبا(4)

فقال خوات بن جبير يجيب العبّاس:

أ تبكي على قتلى يهود و قد ترى *** من الشجو لو تبكي أحقّ و أقربا

/فهلاّ على قتلى بطن أواره *** بكيت و ما تبكي من الشجو مغضبا

إذا السّلم دارت في الصديق رددتها *** وفي الدّين صدّادا وفي الحرب ثعلبا(5)

و إنك لما أن كلفت بمدحة *** لمن كان مينا مدحه و تكذّبا(6)

و جئت بأمر كنت أهلا لمثله *** و لم تلف فيهم قائلا لك مرحبا

فهلاّ إلى قوم ملوك مدحتهم *** بنوا من ذرا المجد المقدم منصبا

إلى معشر سادوا الملوك و كرّموا *** و لم يلف فيهم طالب الحق مجدبا(7)

أولئك أولى من يهود بمدحة *** تراهم وفيهم عزّة المجد ترتبا(8)

فقال عبّاس بن مرداس يجيبه:

هجوت صريح الكاهنين و فيكم *** لهم نعم كانت من الدهر ترتبا(9)

أولئك أحرى إن بكيت عليهم *** و قومك لو أدوا من الحقّ موجبا

- 1- القطين: أهل الدار. تحملوا: ارتحلوا.
- 2- في الأصول «السطاة فأثأبا» و هو تحريف. و التصويب عن «معجم ما استعجم» ج:3: ص 798، و الشظاة بفتح أوله: موضع قبل خيبر، ورد ذكره في «أشعار المغازي». و ميثب: من خيبر هو موضع صدقات رسول الله صلى الله عليه و سلم.
- 3- سقط هذا البيت من ب، س، ج و قد أثبتناه عن ها.
- 4- في ب، س، ج «سلم» و هو تحريف. و المولى: الحليف و الصاحب. و حيي بن أخطب: سيد بني النضير.
- 5- في ب، س، ج «مداحا» و التصويب عن «السيرة» لابن هشام.
- 6- في ج «عنا».
- 7- في ب، س، ج «محبدا» و هو تصحيف.
- 8- في ها «أحرى». و الترتب (بضم التاء الأولى و ضم الثانية و فتحها): الشيء المقيم الثابت. و في الأصول «و فيهم طابع اللؤم». و التصويب عن «السيرة النبوية».
- 9- الصريح: الخالص النسب. و الكاهنان: يطلقان على قريظة و النضير.

من الشكر إن الشكر خير مغبة *** وأوفق فعلا للذي كان أصوبا(1)

فصرت كمن أمسى يقطع رأسه *** ليبلغ عزًا كان فيه مركبا

فبك بني هارون و اذكر فعالهم *** وقتلهم للجوع إذ كنت مسغبا(2)

/قال الزبير: فحدثني محمد بن الحسن عن محرز بن جعفر قال: التقى عباس بن مرداس و خوات بن جبير يوما عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال خوات: يا عباس أنت الذي رثيت اليهود، وقد كان منهم في عداوة رسول الله صلى الله عليه و سلم ما كان! فقال عباس: إنهم كانوا أخلائي في الجاهلية، و كانوا أقواما أنزل بهم فيكرمونني، و مثلي يشكر ما صنع إليه من الجميل، و كان بينهما قول حتى تجاذبا، فقال له خوات: أما و الله لئن استقبلت غرب(3) شبابي، و شبا أنيابي، و خشن جوابي، لتكرهن عتابي. فقال عباس: و الله يا خوات، لئن استقبلت عني و فني(4) و ذكاء سني، لتفرن مني، إياي تتوعدا يا خوات، يا عاني(5) السوات! / و الله لقد استقبلك اللوم فردعك(6)، و استدبرك فكسعك(7)، و علاك فوضعك، فما أنت بمهجوم(8) عليك من ناحية إلا عن فضل لوم؛ إياي - ثكلتك أمك - تروم؟ و علي تقوم؟ و الله ما نصبت سوقك، و لأظهرن عليك(9) بعد؛ فقال عمر لهما: إما أن تسكتا و إما أن أوجعكما ضربا، فصمتا و كفأ، أخبرني بذلك علي بن نصر قال: حدثني الحسن بن محمد بن جرير، و حدثني الحرمي بن أبي العلاء، قال: حدثنا عبد الرحمن بن الحسن عن أبيه مثل ذلك. و للعباس مع خوات مناقضات أخر في هذا المعنى، كرهت الإطالة بذكرها.

رثاه أخوه بشعر

قال أبو عبيدة: و كان العباس و سراقه و حزن و عمرو بنو مرداس كلهم من الخنساء بنت عمرو بن الشريد، و كلهم كان شاعرا، و عباس أشعرهم، و أشهرهم و أفرسهم و أسودهم، و مات في الإسلام، فقال أخوه سراقه يرثيه:

/أعين ألا ابكي أبا الهيثم *** و أذري الدموع و لا تسأمي

و أثني عليه بالآئه *** بقول امرئ موجه مؤلم

[فما كنت بئعه بامرئ *** أراه يبدو و لا موسم](10)

أشد على رجل ظالم *** و أدهى لداهية ميثم(11)

ص: 464

1- في ب، س، ج «من السكران السكر» و هو تصحيف.

2- أسغب: دخل في المجاعة فهو مسغب، كما يقال: أقحط: دخل في القحط.

3- الغرب: الحدة. و الشبا جمع شباة، و هي حد كل شيء.

4- العن: الاعتراض. و الفن: الأمر العجب، رجل معن مفن (كمقصر). معن: أي يعتن و يعترض في كل شيء، مفن: يأتي بالعجائب، و مفن أيضا ذوفنون من الكلام. و الذكاء: شدة وهج النار.

5- أي يا أسير السوات.

- 6- ردعه بالشيء كفتح: لطنه به.
- 7- كسعه بالسيف كمنع، ضرب دبره به.
- 8- في ب، س «بمجهوم» و هو تحريف و التصويب عن «ها».
- 9- في ج، ها «عنك».
- 10- هذا البيت ساقط من ب، س، ج وقد أثبتناه عن «ها».
- 11- ميثم: شديد الوطء.

وقالت أخته عمرة ترثيه:

لتبك ابن مرداس على ما عراهم *** عشيرته إذ حمّ أمس زوالها

لدى الخصم إذ عند الأمير كفاهم *** فكان إليه فصلها و جدالها(1)

و معضلة للحاملين كفيتها *** إذا أنهلت هوج الرياح طلالها(2)

وقد روى العباس بن مرداس عن النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ونقل عنه الحديث.

دعاء النبي عليه السلام لأُمَّته

إشارة

حدّثنا الحسين بن الطيّب الشجاعيّ البلخي بالكوفة قال: حدّثنا أيوب بن محمّد الطّليحي(3) قال: حدّثنا عبد القاهر بن السريّ السّلمي قال: حدّثنا عبد الله بن كنانة بن عباس بن مرداس السلمي أن أباه حدّثه عن جدّه عباس بن مرداس أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دعا لأُمَّته عشية عرفة قال: فأجيب لهم بالمغفرة إلاّ ما كان من مظالم العباد بعضهم لبعض، قال: فإني آخذ للمظلوم من الظالم، قال: أي ربّ إن شئت أعطيت للمظلوم من الجنة، و غفرت للظالم، فلم يجب في حينه، فلما أصبح في المزدلفة أعاد الدعاء، فأجيب لهم بما سأل، فضحك النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو تبسّم، فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه: بأبي/أنت و أمّي! إن هذه لساعة ما كنت تضحك فيها أو تبسّم، فقال: إن إبليس لمّا علم أن الله غفر لأمتي جعل يحثو التراب على رأسه، ويدعو بالويل و الثبور، فضحكت من جزعه. تمّت أخبار العباس.

صوت

أرجوك بعد أبي العباس إذ بانا *** يا أكرم الناس أعراقا و عيدانا

أرجوك من بعده إذ بان سيّدنا *** عتّا و لولاك لاستسلمت إذ بانا

فأنت أكرم من يمشي على قدم *** و أنضر الناس عند المحل أغصانا

لو مَجّ عود على قوم عصارته *** لمَجّ عودك فينا المسك و البانا(4)

الشعر لحمّاد عجرد، و الغناء لحكم الواديّ، و لحنه من القدر الأوسط من الثقليل الأوّل بالبنصر في مجراها.

ص: 465

1- فصلها أي في الخصومات و المشاكل.

2- النهل (كسب): أوّل الشرب. هوج الرياح: الشديدة الهبوب. طلال: جمع طل و هو أخف المطر و أضعفه. يقول، إنه غياث لقومه وقت

الجدب حين تهب الرياح الهوجاء حاملة طلالا لا تغني ولا تسد حاجة.

3- الذي في ج، «ها» «الصالحى».

4- في ب، س، ج «غضارته» والتصويب عن ط، مط، ها.

نسبه

هو حمّاد بن يحيى بن عمر (1) بن كليب، ويكنى أبا عمر (2)، مولى [بني] (3) عامر بن صعصعة، وذكر ابن النطّاح أنه مولى بني سراة، و ذكر سليمان بن أبي شيخ عن صالح بن سليمان أنه مولى بني عقيل، وأصله و منشؤه بالكوفة، و كان يبري الثّبل، و قيل: بل أبوه كان ثبّالا، و لم يتكسب هو بصناعة غير الشعر.

و قال صالح بن سليمان: كان عمّ لحمّاد عجرد يقال له مؤنس (4) بن كليب، و كانت له هيئة (5) - و ابن عمّه عمارة بن حمزة بن كليب - انتقلوا عن الكوفة و نزلوا واسطا، فكانوا بها، و حمّاد من مخضرمي الدّولتين الأمويّة و العباسيّة، إلا أنه لم يشتهر في أيام بني أمية شهرته في أيام بني العباس، و كان خليعا ماجنا، متّهما في دينه، مرّيا بالزندقة.

كان أبوه مولى لبني هند، و هجاء بشار له

أخبرني عمّي قال: حدّثنا أحمد بن أبي طاهر قال: قال أبو دعامة: حدّثني عاصم بن أفلح بن مالك بن أسماء قال: كان يحيى أبو حمّاد عجرد مولى لبني هند بنت أسماء بن خارجة، و كان وكيلا لها في ضيعتها بالسّواد (6)، فولدت هند من بشر بن مروان عبد الملك بن بشر، فجرّ عبد الملك ولاء موالى أمّه فصاروا مواليه. قال: و لما كان والد حمّاد عجرد بالسّواد في ضيعتها نبطه (7) بشار لّمّا هجاه بقوله:

و اشدد يديك بحمّاد أبي عمر *** فإنّه نبطي من زنابير (8)

قال: و إنما لقبه (9) بعجرد عمرو بن سندي، مولى ثقيف لقوله فيه:

سبحت بغلة ركبت عليها *** عجا منك خيبة للمسير (10)

زعمت أنها تراه كبيرا *** حملها عجرد الرّنا و الفجور (11)

ص: 466

1- كذا في ها، و «معجم الأدباء» ج 10: 249 و في باقي الأصول «عمرو».

2- كذا في ب، س و هو الصواب؛ و في باقي الأصول «أبا عمرو».

3- عن ط، مط.

4- كذا في ط، مط. و الذي في ب، س، ج «مولى». و في ها: يونس.

5- في ب، س، ج «بقية» و ما أثبتناه عن ط، مط، ها.

6- أي سواد العراق.

7- نبطه: نسبه إلى النبط.

8- كذا في ط، مط. و الذي في باقي الأصول: «دنابير»؛ و هو تصحيف. و زنابير: أرض باليمن.

9- كذا في ط، مط، ها. و الذي في ب، س «سماه». و قد سقطت هذه الكلمة من ج.

10- سبج الفرس: مدّ يديه في العدو، شبهه بالسابح في الماء. وفي ب، س «سحبت».

11- حملها: بدل من الهاء في تراه.

إن دهرًا ركبت فيه على بغ *** ل وأوقفته بباب الأمير

لجدير ألا نرى فيه خيرا *** لصغير منّا ولا لكبير

ما امرؤ ينتقيك يا عقدة الكل *** ب لأسراره بجدّ بصير (1)

لا ولا مجلس أجنك لل *** ذات يا عجرد الخنا بستير (2)

يعني بهذا القول محمّد بن أبي العباس السّفاح، و كان عجرد في ندمائه، فبلغ هذا الشعر أبا جعفر، فقال لمحمد:

ما لي ولعجرد يدخل عليك؟ لا يبلغني أنّك أذنت له، فقال: وعجرد مأخوذ من المعجرد، وهو العريان في اللّغة، يقال: تعجرد الرجل إذا تعرّى فهو يتعجرد تعجردا: وعجرت الرجل أعجده عجردة إذا عرّيته.

الحمادون الثلاثة

أخبرني إسماعيل بن يونس قال: حدّثنا عمر بن شبة، وأخبرني إبراهيم بن أيّوب عن ابن قتيبة، ونسخت من كتاب عبد الله بن المعتز، حدّثني الثقفّي عن إبراهيم بن عمر العامريّ قال: كان بالكوفة ثلاثة نفر يقال لهم الحمادون: حمّاد عجرد وحمّاد الراوية، وحمّاد [بن] (3) الزّبرقان، يتنادمون على الشراب، ويتناشدون الأشعار ويتعاشرون معاشرة جميلة، وكانوا كأنهم نفس واحدة، يرمون بالزندقة جميعا وأشهرهم بها حمّاد عجرد.

/أخبرنا الفضل بن الحباب الجمحيّ أبو خليفة إجازة عن التّوّزيّ (4): أن حمادا لقب بعجرد لأنّ أعرابيا مرّ به في يوم شديد البرد وهو عريان/يلعب مع الصّبيان فقال له: تعجرت يا غلام؛ فسّمّي عجردا.

قال أبو خليفة: المتعجرد: المتعرّي؛ والعجرد أيضا: الذهب.

سبب مهاجاة بشار

أخبرني أحمد بن يحيى بن علي بن يحيى، عن علي بن مهدي، عن عبد الله بن عطية، عن عبّاد بن الممّزّق، وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ، قال: حدّثنا عمر بن شبة قال: كان السبب في مهاجاة حمّاد عجرد بشارا أنّ حمّادا كان نديما لنافع بن عقبة، فسأله بشار تنجّز حاجة له من نافع، فأبطأ عنها، فقال بشار فيه:

مواعيد حمّاد سماء مخيلة *** تكسّف عن رعد و لكن ستبرق (5)

إذا جتته يوما أحال على غد *** كما وعد الكمّون ما ليس يصدق (6)

وفي نافع عني جفاء، وإنتي *** لأطرق أحيانا، وذو اللّب يطرق

- 1- عقدة الكلب: قضيبه.
- 2- أجنك: سترك. الخنا: الفحش. ستير: مستور.
- 3- كذا في ط، مط، ها، مب. وقد سقطت هذه الكلمة من ب، س، ج.
- 4- كذا في ط، مط، ها. وهو الصواب. والذي في ب، س، ج: الثوري؛ وهو تصحيف.
- 5- السحابة المخيلة: التي تحسبها ماطرة.
- 6- يعني أنه كلما تطلب السعي تمهل و سوّف وقال: غدا غدا، وهذا المعنى وارد في كلامهم، من ذلك قول القائل: لا تجعلنا ككمّون بمزرعة إن فاته الماء أروته المواعيد «المحاسن والأضداد» ص 70.

و للثَّقري قوم فلو كنت منهم *** دعيت و لكن دوني الباب مغلق(1)

/أبا عمر خلّفت خلفك حاجتي *** و حاجة غيري بين عينيك تبرق

و ما زلت أستاذيك حتى حسرتني *** بوعد كجاري الآل يخفي و يخفق(2)

قال: فغضب حمّاد و أشد نافعا الشَّعر، فمنعه من «صلة»(3) بشار، فقال بشار:

أبا عمر ما في طلائيك حاجة *** و لا في الذي منيتنا ثمّ أصحرا

وعدت فلم تصدق و قلت غدا غدا *** كما وعد الكمّون شربا مؤخرا

قال: فكان ذلك السبب في التّهاجي بين بشار و حمّاد.

كان من كبار الزنادقة

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال: حدّثني أبو إسحاق الطّليحيّ قال: حدّثني أبو سهيل قال: حدّثني أبو نواس قال: كنت أتوهم أن حمّاد عجرد إنما رمي بالزندقة لمجونه في شعره، حتى حبست في حبس الزّنادقة، فإذا حمّاد عجرد إمام من أئمّتهم، و إذا له شعر مزوج بيتين بيتين يقرءون به في صلاتهم، قال: و كان له صاحب يقال له حريث(4) على مذهبه، و له يقول بشار حين مات حمّاد عجرد على سبيل التعزية له:

بكي حريث فوقه بتعزية *** مات ابن نهيا و قد كانا شريكين

تفاوضا حين شابا في نساءهما *** و حلّلا كلّ شيء بين رجلين(5)

/أمسى حريث بما سدّى له غيرا *** كراكب اثنين يرجو قوّة اثنين(6)

حتى إذا أخذنا في غير وجههما *** تفرّقا و هوى بين الطّريقين

يعني أنه كان يقول بقول الثّنوية(7) في عبادة اثنين، فتفرّقا و بقي بينهما حائرا، قال: و في حمّاد يقول بشار أيضا و ينسبه إلى أنّه ابن نهيا(8):

يا ابن نهيا رأس عليّ ثقيل *** و احتمال الرءوس خطب جليل

ادع غيري إلى عبادة الاثني *** ن فإني بواحد مشغول

ص: 468

1- في ب، س «و للثَّقدي» و هو تحريف. يقال: دعاهم الثَّقري، أي دعوة خاصة، و هو أن يدعو بعضا دون بعض ينقّر باسم الواحد بعد الواحد.

2- استأني به: انتظر به و لم يعجله. حسره: كشفه. الآل: السراب، و قيل: الآل هو الذي يكون ضحى كالماء بين السماء و الأرض، و أما

السراب فهو الذي يكون نصف النهار لاطئاً بالأرض كأنه ماء جار.

3- هذه الكلمة ساقطة من الأصول، وهي مثبتة في «مختار الأغاني» ص 415.

4- في ب، س، ج «حريب» وهو تصحيف؛ والتصويب عن ط، مط، مب، ها. وأراد هاهنا: حريث بن أبي الصلت الحنفي كما سيأتي بعد.

5- التفاوض والمفاوضة: الاشتراك في كل شيء.

6- كذا في ط، مط، ج، مب. والذي في ب، س «أسدى له عندا» وفي ها «غمرا».

7- الثنوية: فرقة يقولون باثينية الإله، أي إله الخير وإله الشر.

8- كذا في ط، مط، مب، ها. وهو يوافق ما ورد في «أمالي المرتضى». والذي في ج، ب، س «نهبا» بالباء؛ وهو تصحيف.

يا ابن نهيا برئت منك إلى اللّ *** ه جهارا، وذاك منّي قليل

قال: فأشاع حمّاد هذه الأبيات لبشار في الناس، وجعل فيها مكان «فإني بواحد مشغول»: «فإني عن واحد مشغول» ليصحّ عليه الزندقة والكفر باللّٰه تعالى، فما زالت الأبيات تدور في أيدي الناس حتى انتهت إلى بشار، فاضطرب منها وتغيّر وجزع وقال: أشاط ابن الزانية بدمي (1)، واللّٰه ما قلت إلّا «فإني بواحد مشغول» فغيّرها حتى شهرني في الناس [بما يهلكني] (2).

هجاء بشار له

أخبرني محمّد بن العبّاس اليزيديّ قال: حدّثنا سليمان بن أبي شيخ قال: حدّثني صالح بن سليمان الخثعميّ قال: قيل [لعبد اللّٰه بن ياسين] (3): إن بشارا المرعّث (4) هجا حمّادا فنّبّطه، فقال عبد اللّٰه: [قد] (5) رأيت جدّ حمّاد، و كان يسمّى كليباً، و كانت صناعته صناعة لا يكون فيها نبطي، كان يبري التّبّال و يريشها، و كان يقال له:

كليب التّبّال، مولى بني عامر بن صعصعة.

هجاء بشار له و لصديقه سليم

أخبرني أحمد بن العبّاس العسكريّ المؤدّب، قال: حدّثنا الحسن بن عليل العنزّيّ قال: حدّثني أحمد بن خلّاد قال: كان بشار صديقاً لسليم بن سالم مولى بني سعد، و كان المنصور أيّام استتر بالبصرة نزل على سليم بن سالم، فولّاه أبو جعفر حين أفضى الأمر إليه السّوس و جنديسابور، فانضمّ إليه حمّاد عجرد، فأفسده على بشار، و كان له صديقاً، فقال بشار بهجوهما:

أمسى سليم بأرض السّوس مرتقفا *** في خزّها بعد غربال و أمداد (6)

ليس النعيم و إن كنا نزنّ به *** إلّا نعيم سليم ثمّ حمّاد (7)

نيكا و ناكا و لم يشعر بذا أحد *** في غفلة من نبيّ الرحمة الهادي

فنشب الشرب بين حمّاد و بشار.

دخل بينه و بين بشار رجل بصري

أخبرني عمّي قال: حدّثنا محمّد بن القاسم بن مهرويه، عن عمر بن شبة، عن أبي أيّوب الزباليّ (8)، قال:

ص: 469

1- يقال: أشاط دمه و بدمه: أذهبه، أو عمل في هلاكه، أو عرضة للقتل.

2- ما بين القوسين من «ها».

3- في الأصول «قيل له» و ما أثبتناه عن «مختار الأغاني» ص 415.

- 4- كان بشار بن برد يلقب بالمرعّث، لرعات كانت له في صغره في أذنه؛ ورعات بالكسر: جمع رعثة بالفتح، وهو ما علق بالأذن من قرط و نحوه. وفي ب، س «المرعّث» وهو تصحيف.
- 5- سقطت من ب، س. وهي عن باقي الأصول.
- 6- في ب و س «مرتفعا» وهو تحريف، والصواب ما أثبتنا كما في ج، ط، مط، ها. و ارتفق: اتكأ على مرفقة: وهي المتكأ والمحددة، يكنى بذلك عن أنه صار منعما مترفا بعد أن كان ممتهنا. أمداد، جمع مدّ بالضم، وهو مكيال، ويفهم من هذا أنه كان قبل الولاية كَيّالا.
- 7- أزننته بكذا: اتهمته به.
- 8- في ب و س «الذبالي»؛ والتصويب عن باقي الأصول.

كان رجل من أهل البصرة يدخل بين حمّاد و بشار على اتفاق منهما ورضا بأن ينقل إلى كلّ واحد منهما و عنه الشّعر، فدخل يوماً إلى بشار فقال له: إيه يا فلان، ما قال ابن الزانية في؟ فأنشده:

إن تاه بشار عليكم فقد *** أمكنت بشاراً من التّيه

/فقال بشار: بأيّ شيء ويحك؟ فقال:

و ذاك إذ سمّيته باسمه *** و لم يكن حرّ يسمّيه

فقال: سخنت عينه(1)، فبأيّ شيء كنت أعرف؟ إيه، فقال:

فصار إنساناً بذكري له *** ما يبتغي من بعد ذكره؟

فقال: ما صنع شيئاً، إيه ويحك؟ فقال:

لم أهج بشاراً و لكنني *** هجوت نفسي بهجائيه

فقال: على هذا المعنى دار، و حوله حام(2)، إيه أيضاً، و أيّ شيء قال؟ فأنشده:

أنت ابن برد مثل بر *** د في التّدالة و الرّداله

من كان مثل أبيك يا *** أعمى أبوه فلا أبا له

فقال: جوّد ابن الزانية، و تمام الأبيات الأول:

لم آت شيئاً قطّ فيما مضى *** و لست فيما عشت آتية

أسوأ لي في الناس أحوثة *** من خطأ أخطأته فيه

فأصبح اليوم بسبّي له *** أعظم شأناً من مواليه

/أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال: حدّثنا عمر بن شبة، عن خلاد الأرقط قال: أنشد بشاراً راويته قول عجرد فيه:

دعيت إلى برد و أنت لغيره *** فهبك ابن برد نكت أمك من برد؟

فقال بشار لراويته: ها هنا أحد؟ قال: لا، فقال: أحسن و الله ما شاء ابن الزانية.

/أخبرني أحمد بن العباس العسكريّ قال: حدّثنا الحسن بن عليل العنزّيّ قال: حدّثني محمّد بن يزيد المهلبيّ قال: حدّثني محمّد بن عبد

الله بن أبي عيينة قال: قال حماد عجرد لمّا أنشد قول بشار فيه:

يا ابن نهيا رأس عليّ ثقيل *** واحتمال الرأسين أمر جليل

فادع غيري إلى عبادة ربّي *** ن فإني بواحد مشغول

والله ما أبالي بهذا من قوله، وإّما يغيظني منه تجاهله بالزندقة، يوهم الناس أنه يظن أن الزنادقة تعبد رأسا ليظن الجهّال أنّه لا يعرفها، لأن هذا قول تقوله العامّة لا حقيقة له، وهو والله أعلم بالزندقة من ماني.

ص: 470

1- سخرت عينه: نقيض قرّت، دعاء عليه.

2- في ب، س: «و حوله دام». والتصويب عن باقي الأصول.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز وأحمد بن عبيد الله بن عمّار و حبيب بن نصر المهلبّي، قالوا: حدّثنا عمر بن شبة، قال: حدّثنا أبو أيوب الزبالي قال: قال بشار لراوية حمّاد: ما هجاني به اليوم حمّاد؟ فأشده:

ألا من مبلغ عني *** الذي والده برد

فقال: صدق ابن الفاعلة، فما يكون؟ فقال:

إذا ما نسب الناس *** فلا قبل ولا بعد

فقال: كذب ابن الفاعلة، وأين هذه العرصات(1) من عقيل؟ فما يكون؟ فقال:

وأعمى قلطبان ما *** على قاذفه حدّ

/فقال: كذب ابن الفاعلة، بل عليه ثمانون جلدة، هيه، فقال:

وأعمى يشبه القرد *** إذا ما عمي القرد

فقال: والله ما أخطأ ابن الزانية حين شبّهني بقرد، حسبك حسبك، ثم صفق بيديه، وقال: ما حيلتي؟ يراني فيشبّهني ولا أراه فأشبّهه.

وقال: أخبرني بهذا الخبر هاشم بن محمّد الخزاعي قال: حدّثنا أبو غسان دماذ فذكر مثله، وقال فيه: لمّا قال حمّاد عجرد في بشار:

شبيه الوجه بالقرد *** إذا ما عمي القرد

بكي بشار، فقال له قائل: أتبكي من هجاء حمّاد؟ فقال: والله ما أبكي من هجائه ولكن أبكي لأنّه يراني ولا أراه، فيصفني ولا أصفه، قال: و تمام هذه الأبيات:

ولو ينكه في صلد *** صفا لانصدع الصلد

دنيّ لم يرح يوما *** إلى مجد ولم يغد

ولم يحضر مع الحصّاء *** رفي خير ولم يبد

ولم يخش له ذمّ *** ولم يرح له حمد

/جرى بالتّحس مذ كان *** ولم يجر له سعد(2)

هو الكلب إذا ما ما *** ت لم يوجد له فقد(3)

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حدّثنا عمر بن شبة قال: حدّثني خلاد الأرقط قال: أشاع بشار في الناس أن حمّاد عجرد كان ينشد شعرا و رجل بإزائه يقرأ القرآن وقد اجتمع الناس عليه، فقال حماد: علام اجتمعوا؟ فوالله لما أقول أحسن ممّا يقول.

قال: و كان بشار يقول: لَمَّا سمعت هذا من حماد مقتته عليه.

ص: 471

1- كذا، وفيها «العصاب».

2- في ب، س «مندكاة» وهو تحريف.

3- في ج: «إذا مات كم».

هجاء بشار له

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال: أخبرني أبو إسحاق الطّليحي قال: حدّثني أبو سهيل عبد الله بن ياسين أن بشارا قال في حمّاد عجرد وسهيل بن سالم، وكان سهيل من أشرف أهل البصرة، وكان من عمّال المنصور، ثم قتله بعد ذلك بالعذاب، وكان حمّاد وسهيل نديمين:

ليس النعيم وإن كنّا نزنّ به *** إلا نعيم سهيل ثمّ حمّاد

ناكا ونيكا إلى أن لاح شبيهما *** في غفلة عن نبيّ الرحمة الهادي

فهدين طورا وفهادين آونة *** ما كان قبلهما فهد بفهاد(1)

سبحانك الله لو شئت امتسختهما *** قردين فاعتلجا في بيت قراد(2)

قال: يعني بقوله

ما كان قبلهما فهد بفهاد

أي لم يكن الفهد فهادا، كما تقول: لم يكن زيد بظريف، ولم يكن زيد ظريفا، قال ابن ياسين: وفيه يقول بشار أيضا:

ما لمت حمّادا على فسقه *** يلومه الجاهل والمائق(3)

و ما هما من أيره واسته؟ *** ملكه إياهما الخالق

ما بات إلا فوقه فاسق *** ينيكه أو تحته فاسق

هجاؤه لبشار

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال: أنشدني ابن أبي سعد لحمّاد عجرد في بشار - قال وهو من أغلظ ما هجاه به عليه -:

نهاره أخبث من ليله *** ويومه أخبث من أمسه

وليس بالمقلع عن غيّه *** حتى يوارى في ثرى رمسه(4)

قال: وكان أغلظ على بشار من ذلك كله وأوجعه له قوله فيه:

لو طليت جلدته عنبرا *** لأفسدت جلدته العنبرا

أو طليت مسكا ذكيا إذا *** تحوّل المسك عليه خرا

قال ابن أبي سعد: وقد بالغ بشار في هجاء حمّاد، ولكن حكم الناس عليه لِحَمّاد بهذه الأبيات.

اتصاله بالربيع

أخبرني محمّد بن خلف وكيع قال: حدّثني عمر بن محمّد بن عبد الملك الزيات قال: حدّثني أحمد بن

ص: 472

1- الفهّاد: صاحب الفهود الذي يعلمها الصيد.

2- اعتلجا: تصارعا و تقاتلا.

3- المائق: الأحمق.

4- الرمس: القبر.

إسحاق قال: حدّثني عثمان بن سفيان العطار قال: اتصل حماد عجرد بالربيع (1) يؤدّب ولده، فكتب إليه بشار رقعة، فأوصلت إلى الربيع، فطرده لما قرأها، وفيها مكتوب:

يا أبا الفضل لا تتم *** وقع الذئب في الغنم

إنّ حمّاد عجرد *** إن رأى غفلة هجم

/بين فخذه حربة *** في غلاف من الأدم (2)

إن خلا البيت ساعة *** مجمع الميم بالقلم

فلما قرأها الربيع قال: صيّرتي حمّاد دريئة الشعراء، أخرجوا عني حمادا، فأخرج.

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى إجازة، عن علي بن مهدي، عن عبد الله بن عطية، عن عباد بن الممّزق أن حمّاد عجرد كان يؤدّب ولد العباس بن محمّد الهاشمي، فكتب إليه بشار بهذه الأبيات المذكورة، فقال العباس:

ما لي ولبشار؟ أخرجوا عني حمّادا، فأخرج.

هجاؤه لبشار

أخبرني يحيى بن عليّ قال: حدّثني محمّد بن القاسم قال: حدّثني عبد الله بن طاهر بن أبي أحمد الزبيريّ قال: لما أخرج العباس بن محمّد حمّادا عن خدمته، وانقطع عنه ما كان يصل إليه منه، أوجعه ذلك، فقال يهجو بشارا:

لقد صار بشار بصيرا بدبره *** وناظره بين الأنام ضير

له مقلة عمياء و است بصيرة *** إلى الأير من تحت الثياب تشير

على وده أن الحمير تنيكه *** وأنّ جميع العالمين حمير

قال أبو الفرج الأصبهاني: وقد فعل مثل هذا بعينه حمّاد عجرد بقطرب (3).

شعره في قطرب

أخبرني عمي عن عبد الله بن المعتز قال: حدّثني أبو حفص الأعمى المؤدّب، عن الزباليّ قال: اتّخذ قطرب النحويّ مؤدّبا لبعض ولد المهديّ، وكان حماد عجرد يطمع في أن يجعل هو مؤدّبه، فلم يتمّ له ذلك، لتهتكه وشهرته في الناس بما قاله فيه بشار، فلما تمكن قطرب في موضعه صار حماد عجرد كالملقى على الرّصف (4)، فجعل يقوم ويقعد بقطرب في الناس، ثم أخذ رقعة فكتب فيها:

قل للإمام جزاك الله صالحة *** لا تجمع الدهر بين السّخل والذيب (5)

1- هو الربيع بن يونس وزير المنصور، و توفي سنة 170 هـ.

2- الأدم: الجلد.

3- هو أبو علي محمد بن المستنير البصري النحوي، أخذ عن سيبويه، ولقبه سيبويه بقطرب، لأنه كان يخرج فيراه بالأسحار على بابه فيقول له: ما أنت إلا قطرب ليل؛ و القطرب: ذكر الغيلان أو الذئب الأمعط أو صغار الجن أو الخفيف أو طائر أو دابة صغيرة لا تستريح من الحركة و توفي سنة 206 هـ.

4- في ج، ط، مط، مب، «الرصد». و الرضف: الحجارة المحمأة بالشمس أو النار.

5- السخل و السخال: جمع سخلة: و هو ولد الشاة عند ولادته ذكرا أو أنثى.

السُّخْلُ غَرَّ وَ هَمَّ الذُّبُّ فَرَصْتَهُ *** وَ الذُّبُّ يَعْلَمُ مَا فِي السُّخْلِ مِنْ طَيْبٍ (1)

فلما قرأ هذين البيتين قال: انظروا لا يكون هذا المؤدّب لوطياً، ثم قال: انفوه عن الدار، فأخرج عنها، و جيء بمؤدّب غيره، و وُكِّلَ به تسعون خادماً يتناوبون، يحفظون الصبيّ، فخرج قطرب هارباً مما شهّر به إلى عيسى بن إدريس العجليّ بن أبي دلف فأقام معه بالكرج إلى أن مات.

/أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا أحمد بن الحارث، عن المدائنيّ قال: لما قال حمّاد عجرد في بشار:

وَ يَا أَقْبَحَ مِنْ قَرْدٍ *** إِذَا مَا عَمِيَ الْقَرْدُ

قال بشار: لا إله إلاّ الله، قد والله كنت أخاف أن يأتي به، والله لقد وقع لي هذا البيت منذ أكثر من عشرين سنة، فما نطقت به خوفاً من أن يسمع فأهجى به، حتى وقع عليه التّبطيّ ابن الزانية.

كان أبو حنيفة صديقا له

قال أبو الفرج: نسخت من كتاب عبد الله بن المعتزّ، حدّثني العجليّ قال: حدّثني أبو دهمان قال: كان أبو حنيفة الفقيه صديقا لحمّاد عجرد، فنسك أبو حنيفة و طلب الفقه، فبلغ (2) فيه ما بلغ ورفض حمّادا و بسط لسانه فيه، فجعل حمّاد يلاطفه حتى يكفّ عن ذكره، و أبو حنيفة يذكره، فكتب إليه حمّاد بهذه الأبيات:

إِنْ كَانَ نَسْكَكَ لَا يَتَمُّ *** بَغَيْرِ شَتْمِي وَ انْتِقَاصِي

/أَوْ لَمْ تَكُنْ إِلَّا بِهِ *** تَرْجُو النِّجَاةَ مِنَ الْقِصَاصِ

فأقعد و قم بي كيف (3) شئى *** ت مع الأداني و الأقصي

فلطالما زكّيتني *** و أنا المقيم على المعاصي

أيّام تأخذها و تع *** طي في أباريق الرّصاص

قال: فأمسك أبو حنيفة رحمه الله بعد ذلك عن ذكره خوفاً من لسانه.

كان يحيى بن زياد صديقا له

وقد أخبرني بهذا الخبر محمّد بن خلف و كيع قال: حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن النّضر بن حديد قال:

كان حمّاد عجرد صديقا ليحيى بن زياد، [و كانا يتنادمان و يجتمعان على ما يجتمع عليه مثلهما، ثم إن يحيى بن زياد (4)] أظهر تورّعا/و قراءة و نزوعا عمّا كان عليه، و هجر حمّادا و أشباهه، فكان إذا ذكر عنده ثلّبه و ذكر تهتّكه و مجونه، فبلغ ذلك حمّادا، فكتب إليه:

هل تذكرن دلجني إلي *** ك على المضمرّة القلاص (5)

- 1- في ب، س «وهم الناس».
- 2- ساقطة من ب، س.
- 3- في «ها» «حيث».
- 4- تكملة عن ط، مط، ها، مب. وسقطت من ب، س، ج.
- 5- الدلج: السير من أول الليل. وفي ط، مط «المضبرة». والمضبرة: المكتنزة اللحم. والقلوص من الإبل: الشابة أو الباقية على السير، و الجمع قلائص وقلص، و جمع الجمع قلاص.

أيّام تعطيني و تأ(1) *** خذ من أباريق الرصاص

إن كان نسكك لا يت *** مّ بغير شتمي و انتقاصي

أو كنت لست بغير ذا *** ك تنال منزلة الخلاص

فعليك فاشتم آمنة *** كلّ الأمان من القصاص

و اقعد و قم بي ما بدا *** لك في الأداني و الأفاصي

فلطالما زكّيتي *** و أنا المقيم على المعاصي

أيّام أنت إذا ذكر *** ت مناضل عني مناصي(2)

و أنا و أنت على ارتكا *** ب الموبقات من الحراس

و بنا مواطن ما ينا *** في البرّ أهلة العراض(3)

فأتصل هذا الشعر بيحيى بن زياد، فنسب حمّادا إلى الزندقة و رماه بالخروج عن الإسلام، فقال حمّاد فيه:

لا مؤمن يعرف إيمانه *** و ليس يحيى بالفتى الكافر

منافق ظاهره ناسك *** مخالف الباطن للظاهر

شعره لصديق انقطع عن مجلسه

أخبرني محمّد بن خلف و كيع قال: حدّثنا ابن أبي سعد، عن النضر بن عمرو قال: كان لحمّاد عجرد إخوان ينادمونه، فانقطع عنه الشراب، فقطعوه، فقال لبعضهم:

لست بغضبان و لكنتي *** أعرف ما شأنك يا صاح

أ أن فقدت الرّاح(4) جانبتي *** ما كان حبّيك على الرّاح

قد كنت من قبل و أنت الّذي *** يعينك إمساني و إصباحي

و ما أرى فعلك إلّا و قد *** أفسدني من بعد إصلاححي

أنت من الناس و إن عبتهم *** دونكها منّي بإفصاح(5)

كان من ندماء الوليد بن يزيد

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق قال: حدّثني ميمون بن هارون عن أبي محلّم أن الوليد(6) بن يزيد أمر شراعة بن الرّندبوذ أن يسمّي له جماعة ينادمهم من ظرفاء أهل الكوفة، فسمّي له مطيع بن إياس وحمّاد عجرد

ص: 475

-
- 1- كذا في جميع الأصول. و الذي في مب «فأخذ».
 - 2- ناصاه مناصاة: جاذبه فأخذ كل واحد منهما بناصية صاحبه.
 - 3- العراض: جمع عرصة وهي البقعة الواسعة بين الدار التي ليس فيها بناء.
 - 4- في ب، س «الخمير» و ما أثبتناه عن باقي الأصول.
 - 5- أي خذها كلمة فصيحة صريحة.
 - 6- هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان، ولي الخلافة سنة 125 و قتل سنة 126.

والمطيعي المغني، فكتب في إشخاصهم إليه، فأشخصوا، فلم يزالوا في ندمائه إلى أن قتل، ثم عادوا إلى أوطانهم.

أخبرني عيسى بن الحسين قال: حدثني حماد عن أبيه عن محمد بن الفضل السكوني قال: تزوج حماد عجرد امرأة، فدخلنا إليه صبيحة بناه بها نهته ونسأله عن خبره، فقال لنا: كنت البارحة جالسا مع أصحابي أشرب، وأنا منتظر لامرأتي أن يوتى (1) بها، حتى قيل لي: قد دخلت، فقمتم إليها فوالله ما لبثتها (2) حتى افتضضتها، وكتبت من وقتي إلى أصحابي:

إقد فتحت الحصن بعد امتناع *** بمشيح فاتح للقلاع

ظفرت كفي بتفريق شمل *** جاءنا تفرقه باجتماع

إذا شعبي وشعب حبيبي *** إنما يلتام بعد انصداع

اجتماعه بوجه البصرة

أخبرني محمد بن القاسم الأنباري عن أبيه، وأخبرني الحسن بن علي بن القاسم بن محمد الأنباري، قال:

حدثنا الحسن بن عبد الرحمن عن أحمد بن الأسود بن الهيثم، عن إبراهيم بن محمد بن عبد الحميد، قال: اجتمع عمي سهم بن عبد الحميد وجماعة من وجه أهل البصرة عند يحيى بن حميد الطويل، ومعهم حماد عجرد، وهو يومئذ هارب من محمد بن سليمان، ونازل على عقبة بن سلم وقد أمن، وحضر الغداء، فقيل له: سهم بن عبد الحميد يصلّي الضحى، فانتظر، وأطال سهم الصلاة، فقال حماد:

ألا أيّ هذا القانت المتهجد *** صلاتك للرحمن أم لي تسجد؟ (3)

أما والذي نادى من الطور عبده *** لمن غير ما برّ تقوم وتعد

فهلّا اتّقيت الله إذ كنت واليا *** بصنعاء تبرى من وليت وتجرد

ويشهد لي أنّي بذلك صادق *** حريث ويحيى لي بذلك يشهد

وعند أبي صفوان فيك شهادة *** وبكر، وبكر مسلم متهجد

فإن قلت زدني في الشهود فإنّه *** سيشهد لي أيضا بذاك محمد

قال: فلمّا سمعها قطع الصلاة وجاء مبادرا، فقال له: قبحك الله يا زنديق، فعلت بي هذا كله لشرك في تقديم أكل وتأخيرها! هاتوا طعامكم فأطعموه لا أطعمه الله تعالى، فقدّمت المائدة.

شعر لمحمد بن الفضل السكوني يعتذر إليه به

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى، عن أبيه، عن إسحاق الموصلي، عن محمد بن الفضل السكوني (4) قال:

- 1- كذا في ط، مط، مب، ها. والذي في ج، ب، س «يأتوا». و السياق يقتضي ما أثبتنا.
- 2- في ب، س «لثمها». والتصويب عن باقي الأصول.
- 3- القانت: الطائع. والمتهجد: المصلي بالليل.
- 4- في ب، س، ج، ط، مط، مب «محمّد بن الفضل السلولي» وهو تحريف؛ والتصويب عن ها و «الأغاني» ج 13 طبع دار الكتب المصرية.

لقيت حمّاد عجرد بواسط و هو يمشي و أنا راكب، فقلت له: انطلق بنا إلى المنزل، فإني الساعة فارغ لتحدّث، و حبست عليه الدّابة، فقطعني شغل عرض لي لم أقدر على تركه، فمضيت و أنسيته، فلما بلغت المنزل خفت شرّه، فكتبت إليه:

أبا عمر اغفر هديت فإنّي *** قد اذنبت ذنبا مخطئا غير عامد

فلا تجدن فيه عليّ فإنّي *** أقرّ يا جرامي و لست بعائد(1)

وهبه لنا تفديك نفسي فإنّي *** أرى نعمة إن كنت لست بواجد

و عد منك بالفضل الذي أنت أهله *** فإنّك ذو فضل طريف و تالد

فكتب إليّ مع رسولي:

/محمد يا ابن الفضل يا ذا المحامد *** و يا بهجة النادي و زين المشاهد(2)

حقّك ما اذنبت منذ عرفتني *** على خطأ يوما و لا عمد عامد

و لو كان، ما ألفتيني متسرّعا *** إليك به يوما تسرّع واجد

أي لو كان لك ذنب ما صادفتني مسرعا إليك بالمكافأة(3):

و لو كان ذو فضل يسمّى لفضله *** بغير اسمه سميت أمّ القلائد

/قال: فبيننا رقعته في يدي و أنا أقرؤها إذ جاءني رسوله برقعة فيها:

قد غفرنا الذنب يا ابن ال *** فضل و الذنب عظيم

و مسيء أنت يا ابن ال *** فضل في ذلك مليم(4)

حين تخشاني على الذن *** ب كما يخشى اللّئيم

ليس لي إن كان ما خف *** ت من الأمر حريم

أنا و الله - و لا أف *** خر - للغیظ كظوم

و لأصحابي ولاء *** ربّه برّ رحيم(5)

و بما يرضيهم عنّ *** ي و يرضيني عليهم

مديحه لجلّة من أبناء ملوك فارس

أخبرني يحيى بن عليّ، عن أبيه عن إسحاق قال: خرج حمّاد عجرد مع بعض الأمراء إلى فارس، وبها جلّة من أبناء الملوك، فعاشر قوما من رؤسائها، فأحمد معاشرتهم، وسرّ بمعرفتهم، فقال فيهم:

ص: 477

-
- 1- وجد عليه يجد بكسر الجيم وضمها موجدة ووجدا: غضب.
 - 2- في ب، س، ج «يا أبا الفضل» وهو خطأ. والصواب عن ط، مط، مب، ها. وفي ها «المساجد».
 - 3- المكافأة: المجازاة.
 - 4- ألام: أتى ما يلام عليه.
 - 5- رواية ها: «ولأصحابي - ولا من به - رب رحيم».

رَبِّ يَوْمِ بفساء *** ليس عندي بذيَم (1)

قد قرعت العيش فيه *** مع ندمان كريم

من بني صيهون (2) في البي *** ت المعلى والصميم

في جنان بين أنها *** ر وتعريش كروم

نتعاطى قهوة تش *** خص يقظان الهموم (3)

بنت عشر تترك المك *** ثر منها كالأميم (4)

فبها دأبا أحبي *** ويحييني نديمي

في إناء كسروي *** مستخف للحليم

شربة تعدل منه *** شرتي أم حكيم

عندنا دهقانة *** حسانة ذات هميم (5)

جمعت ما شئت من حس *** ن و من دلّ رخيم (6)

في اعتدال من قوام *** و صفاء من أديم

وبنان كالمداري *** و ثنايا كالنجوم (7)

لم أنل منها سوى غم *** زة كفّ أو شميم (8)

غير أن أقرص منها *** عكنة الكشح الهضيم (9)

أو بلى أطم منها *** خدّها لطم رحيم

وبنفسى ذلك يا أس *** ود من خدّ لطيم

يعني الأسود بن خلف كاتب عيسى بن موسى.

حريث بن أبي الصلت يعيه بالبخل و شعر له في ذلك

أخبرني محمّد بن مزيد بن أبي الأزهر قال: حدّثنا حمّاد بن إسحاق، عن أبيه عن أبي النضر قال: كان حريث بن أبي الصلت الحنفيّ صديقا لحمّاد عجرد، و كان يعابته بالشعر، و يعيبه بالبخل، و فيه يقول:

- 1- كذا في ب، س. وفسا (بالقصر): أنزه مدينة بفارس فيما قيل، بينها وبين شيراز أربع مراحل، مدّه هنا للشعر. وفي ط، مط، ج، مب، ها «رب يوم لي بفسا».
- 2- كذا في ط، مط. وفي ها. «مهيوذ».
- 3- القهوة: الخمر. وشخص كمنع: خرج من موضع إلى غيره، وأشخصه: أخرجته.
- 4- يقال: رجل أميم ومأموم، أي يهذي من أم رأسه.
- 5- دهقانة: مؤنث دهقان بالكسر والضم: وهو التاجر وزعيم فلاحي العجم ورئيس الإقليم، معرّب. والهميم: الديق.
- 6- الدل: الدلال، ورخم الكلام ككرم ونصر فهو رخيم: لان وسهل.
- 7- المداري: جمع مدري بكسر الميم، وهو المشط.
- 8- الشميم: الشم.
- 9- كذا في ط، مط، مب، ها. والذي في ب، س، ج «أرقص» وهو تصحيف. والعكنة: ما انطوى وتثنى من لحم البطن سمنا.

حريث أبو الفضل ذو خيرة *** بما يصلح المعد الفاسده

تخوف تخمة أضيافه *** فعودهم أكلة واحده

قوله في رجل حبق في مجلسه

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال: حدّثنا عيسى بن إسماعيل تينة، عن ابن عائشة قال: شرط رجل في مجلس فيه حمّاد عجرد و مطيع بن إياس، فتجلّد (1)، ثم شرط أخرى متعمّدا، ثم ثلث، ليظنوا أن ذلك كلّه تعمد، فقال له حماد: حسبك يا أخي فلو شرطت ألفا لعلم بأن المخلف الأول مفلت (2).

شعر له في قريش حين صلى به

حدّثنا محمد بن العباس اليزيدي قال: حدّثنا سليمان بن أبي شيخ قال: حدّثني معاذ بن عيسى مولى بني تميم قال: كان سليمان بن الفرات على كسكر (3)، ولأه أبو جعفر المنصور، وكان قريش مولى صاحب المصلّى بواسط في ضياع صالح - وهو سندي (4) - فحدّثني معاذ بن عيسى قال: كنّا في دار قريش، فحضرت الصلاة، فتقدّم قريش فصلّى بنا وحمّاد عجرد إلى جنبي، فقال لي حمّاد حين سلّم: اسمع ما قلت، وأنشدني:

قد لقيت العام جهدا *** من هنات و هنات (5)

من هموم تعتريني *** و بلايا مطبقات (6)

و جوى شيب رأسي *** و حنى مّي قناتي

و غدوي و رواحي *** نحو سلم بن الفرات

و اتمامي بالقمارى *** قريش في صلاتي (7)

خبره مع غلام أمرد

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال: حدّثنا أبو أيوب المدني عن مصعب الزبيري قال: حدّثني أبو يعقوب الخريمي قال: كنت في مجلس فيه حمّاد عجرد، و معنا غلام أمرد، فوضع حمّاد عينه عليه و على الموضع الذي ينام فيه، فلما كان الليل اختلفت مواضع نومنا، فقمت فنمت في موضع الغلام، قال: و دبّ حمّاد إليّ يظنني الغلام، فلما أحسست به أخذت يده فوضعتها على عيني العوراء - لأعلمه أنّي أبو يعقوب - قال: فنتر يده و مضى في شأنه و هو يقول: وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ .

شعره في جوهر

- 1- في ب، س «فتخلد» و هو تصحيف؛ و هو التصويب عن باقي الأصول.
- 2- المخلف: الكريه الرائحة.
- 3- كسكر: كورة واسعة كانت قصبته واسط التي بين الكوفة والبصرة.
- 4- نسبة إلى السند، و هي من بلاد الهند. و في ب، س «و هو سيدي» و هو تحريف. و التصويب عن ج، ط، مط، مب، ها.
- 5- هنات و هنات، أي شدائد و أمور عظام.
- 6- مطبقات، أي مغطية.
- 7- القماري: نسبة إلى قمار، و هو موضع ببلاد الهند ينسب إليه العود.

أخبرني عمي قال: حدّثني مصعب قال: كان حمّاد عجرد و مطيع بن اياس يختلفان إلى جوهر جارية أبي عون نافع بن عون بن المقعد، و كان حمّاد يحبّها و يجنّ بها، و فيها يقول:
إنّي لأهوى جوهرًا *** و يحبّ قلبي قلبها
و أحبّ من حبّي لها *** من ودّها و أحبّها
و أحبّ جارية لها *** تخفي و تكتم ذنبها
و أحبّ جيرانا لها *** و ابن الخبيثة ربّها

رثاؤه للأسود بن خلف

إشارة

أخبرني عمي قال: حدّثني محمّد بن سعد الكرائيّ قال: حدّثني أبيض بن عمرو قال: كان حمّاد عجرد يعاشر الأسود بن خلف و لا يكادان يفترقان، فمات الأسود قبله، فقال يرثيه - و في هذا الشعر غناء -:

صوت

- (1) قلت لحنّانة دلوح *** تسحّ من وابل سفوح
 - (2) جادت علينا لها رباب *** بواكف هاطل نضوح
 - (3) أمّي الضّريح الذي أسمي *** ثم استهلّي على الضّريح
 - (4) على صدى أسود الموارى *** في اللحد و التّرب و الصّفيح
 - (5) فاسقيه ريّا و أوطنيه *** ثم اغتدي نحوه و روحي
 - (6) اغدي بسقايي (6) فاصبحيه *** ثم اغبقيه مع الصّبوح
- ليس من العدل أن تشحّي *** على امرئ ليس بالشحيح
الغناء ليونس الكاتب ذكره في كتابه و لم يجنّسه.

هجا أبا عون مولى جوهر بشعر

- 1- سحابة حنّانة: لها حنين كحنين الإبل، أي صوت يشبه صوتها عند الحنين. و سحابة دلوح: كثيرة الماء. سفوح: مبالغة في سافح أي منصب، من سفح.
- 2- الرباب: جمع ربابة، و هي السحابة التي قد ركب بعضها بعضا. بواكف، أي بمطر واكف أي سائل. نضوح، أي ينضح بالماء، و في ط، مط «جاد».
- 3- أمي: اقصدي. استهلي، أي ارفعي الصوت بالبكاء.
- 4- الصدى: جثة الميت. الصفيح: واحد الصفائح، و هي الحجارة العريضة.
- 5- أوطنه: اتخذه وطنا.
- 6- كذا في ط، مط. و في باقي الأصول: «بسقيا فأصبحيه»: و صبحه كمنع: سقاه الصبوح و هو شرب الغداة، و غبقه كنصر و ضرب: سقاه الغبوق و هو شرب العشي. يريد اتصال هطلها عليه و دوامه صباحا و مساء.

يقين (1) عليها، و كان حمّاد عجرد يميل إليها، فإذا جاءهم/ثقل، ولم يمكن أحدا من أصدقائها أن يخلو بها، فيضّر ذلك بأبي عون، فجاءه يوما و عنده أصدقاء لجاريته، فحجّبها عنه، فقال فيه:

إنّ أبا عون و لن يرعوي *** ما رقصت رمضاؤها جندبا (2)

ليس يرى كسبا إذا لم يكن *** من كسب شفري جوهر طيبا (3)

فسلط الله على ما حوى *** مزرها الأفعى أو العقربا (4)

ينسب بالكشخ و لا يشتهي *** بغير ذاك الاسم أن ينسبا (5)

و قال فيه أيضا:

إن تكن أغلقت دوني بابا *** فلقد فتّحت للكشخ بابا

و قال فيه أيضا:

قد تخرطمت علينا لأنّا *** لم نكن نأتيك نبغي الصّوابا (6)

إنّما تكرم من كان منّا *** لسنان الحقو منها قرابا (7)

و قال فيه أيضا:

يا نافع ابن الفاجره *** يا سيّد المؤاجرة (8)

/يا حلف كلّ داعر *** و زوج كلّ عاهره

ما أمة تملكها *** أو حرّة بطاهره

تجارة أحدثتها *** في الكشخ غير بائره

لو دخلت عفيفة *** بيتك صارت فاجره

حتّى متى ترتع في ال *** خسران يا ابن الخاسره

تجمع في بيتك بي *** ن العرس و البرابرة (9)

ص: 481

- 2- الرمضاء: الأرض الشديدة الحرارة. الجندب بفتح الدال وضمها: ضرب من الجراد، والجندب إذا رمض في شدة الحر لا يقر على الأرض، بل يطير فيسمع لرجليه صرير، والمعنى: ولن يرعوي ما دامت الرمضاء ترقص الجندب.
- 3- الشفر: حرف الفرج.
- 4- المئزر: الإزار.
- 5- ينسب بالكشخ، أي يسمى بالكش خان، وسيأتي في شعره بعد: فقد أصبحت في الناس إذا سميت كشخانا والكشخان: الديوث.
- 6- تخرطم: يريد اخرنطم.
- 7- الحقو بالفتح و يكسر: الخصر، و معقد الإزار من الجنب. لسان الحقو، أي لحقوها الشبيه باللسان في الرقة و الضمور. وفي ج، ب، س «الحقوا» و هو تحريف، و التصويب عن ط، مط، مب، ها.
- 8- آجر المملوك إيجارا و مؤاجرة: أكراه.
- 9- العرس: امرأة الرجل.

وقال يهجوهُ:

أنت إنسان تسمّى *** داره دار الزّواني

قد جرى ذلك بالكر *** خ على كلّ لسان(1)

لك في دار حر يز *** ني وفي دار حران(2)

وقال فيه:

تفرح إن نيكت، وإن لم تنك *** بتّ حزين القلب مستعبرا(3)

أسكرك القوم فساھلتهم *** و كنت سهلاً قبل أن تسكرا(4)

وقال فيه:

قل للشقيّ الجدّ غير الأسعد *** أ تحبّ أنّك فقحة ابن المقعد؟(5)

لو لم يجد شيئاً يسكنها به *** يوماً لسكنها بزبّ المسجد

وقال فيه:

أبا عون لقد صفّ *** ر زوّارك أذنيكا؟

وعيناك ترى ذاك *** فأعمى الله عينيك

هجا بشارا بيت من الشعر

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال: حدّثنا عمر بن شبة قال: لما قال حمّاد عجرد في بشار:

نسبت إلى برد وأنت لغيره *** وهبك لبرد نكت أمك من برد؟

قال بشار: تهيّأ له عليّ في هذا البيت خمسة معان من الهجاء، قوله «نسبت إلى برد» معنى؛ ثم قوله: «وأنت لغيره» معنى آخر، ثم قوله: «وهبك لبرد» معنى ثالث، وقوله: «نكت أمك» شتم مفرد، واستخفاف مجدّد، وهو معنى رابع، ثم ختمها بقوله: من برد؟ ولقد طلب جرير في هجائه للفرزدق تكثير المعاني، ونحا هذا النحو، فما تهيّأ له أكثر من ثلاثة معان في بيت، وهو قوله:

لما وضعت على الفرزدق ميسمي *** وضغا البعيث جدعت أنف الأخطل(6)

1- الكرخ: محلة ببغداد.

2- في ج، ط، مط، مب «خوان» وفي ب، س «حوان» وهو تحريف. والتصويب عن «ها».

3- استعبر: بكى.

4- ساهله: ياسره.

5- الفقحة: حلقة الدبر.

6- قبل هذا البيت: أعددت للشعراء سما ناقعا فسقيت آخرهم بكأس الأول والميسم: المكواة، يريد به أهاجيه التي يكويه بها. وضغا ضغوا: استخذى، وضغا: صاح وضجّ، وضغا السنور والكلب: صوت وصاح، ثم كثر حتى قيل للإنسان إذا ضرب فاستغاث. وفي ج «وضعا» وفي «مختار الأغاني» «وضعا»، وفي ب، س «وضع البعث». والتصويب عن ط، مط، مب، ها.

فلم يدرك أكثر من هذا.

هجاؤه له أيضا

أخبرني حبيب بن نصر قال: حدّثنا عمر بن شبة قال: قال أبو عبيدة: ما زال بشار يهجو حمّادا ولا يرفث (1) في هجائه إيّاه حتى قال حمّاد:

من كان مثل أبيك يا *** أعمى أبوه فلا أبا له

أنت ابن برد مثل بر *** دفي النذالة والرذالة

لزحرتك من حجر استها *** في الحشّ خارثة غزاله (2)

من حيث يخرج جعر من *** تنة مدنسة مذاله (3)

أعمى كست عينيه من *** وذح استها وكست قذاله (4)

خنزيرة بطراء من *** تنة البدهاة والعلاله (5)

رسحاء خضراء المغا *** بن ريحها ريح الإهاله (6)

عذراء حبلى يا لقو *** مي للمجانة والضلاله (7)

مرقت فصارت قحبة *** بجعالة وبلا جعالة (8)

ولقد أقلتلك يا ابن بر *** د فاجترأت فلا إقاله

فلما بلغت هذه الأبيات بشارا أطرق طويلا، ثم قال: جزى الله ابن نهيا خيرا، فقيل له: علام تجزيه الخير؟ أعلى ما تسمع؟ فقال: نعم، والله لقد كنت أردّ/على شيطاني أشياء من هجائه إبقاء على المودة، ولقد أطلق من لساني ما كان مقيدا عنه، وأهدفني عورة ممكنة منه، فلم يزل بعد ذلك يذكر أمّ حمّاد في هجائه إيّاه، ويذكر أباه أقبح ذكر، حتى ماتت أمّ حمّاد، فقال فيها يخاطب جارا لحمّاد:

أبا حامد إن كنت تزني فأسعد *** وبك حرا ولّت به أمّ عجرد (9)

ص: 483

1- رفث في منطقه كطلب و ضرب و أرفث: أفحش فيها أو صرح بما يكنى عنه.

2- يقال: زحرت به أمه و تزحرت عنه: ولدته، و الحش: المتوضأ، سمي به لأنهم كانوا يذهبون عند قضاء الحاجة إلى البساتين.

3- الجعر: ما يبس من العذرة في الدبر. وفي ب، س «جعد» و هو تحريف، والتصويب عن ط، مط، مب، ها. و المذالة: الأمة.

4- الودح: ما تعلق بأصواف الغنم من البعر و البول، وفي ج «ودج» و في ب، س و «مختار الأغاني» «ودح» و هو تصحيف. و التصويب عن ط، مط، ها، مب. و القذال: جماع مؤخر الرأس.

- 5- البداةة و العلالة: يقال لأؤل جري الفرس: بداةته، و للذي يكون بعده: علالته، قال الأعشى: إلا بداةة أو علالة سابح نههد الجزارة و المعنى: أنها منتنة أول ما تلقاها و بعد لقائها.
- 6- رسحاء: قليلة لحم العجز و الفخذين و القبيحة. و المغابن: جمع مغبن كمنزل و هو الرفع بالضم: أي الإبط و ما حول فرج المرأة. و يعني بخضراء المغابن: أنها طويلة العانة. و الإهالة: الشحم و الزيت.
- 7- في ب، س «للمخانة»؛ و التصويب عن باقي الأصول.
- 8- مرقت، أي خرجت من عفافها. قحبة: فاجرة. الجعالة مثلثة: الجعل و هو الأجر.
- 9- أي فأسعدني و أعني بالبكاء. و في س «و ابك» و هو تحريف. و التصويب عن باقي الأصول.

حرا كان للعزّاب سهلا و لم يكن *** أيبّا على ذي الزوجة المتودّد

أصيب زناة القوم لما توجّهت *** به أم حمّاد إلى المضجع الرّدي(1)

لقد كان للأدنى و للجار و العدا *** و للقاعد المعترّ و المتريّد(2)

راوية بشار ينشده شعرا لحماد

أخبرنا محمّد بن الحسن بن دريد قال: حدّثنا أبو حاتم قال: قال يحيى بن الجون العبديّ راوية بشار:

[أنشدت بشارا](3) يوما قول حمّاد:

ألا قل لعبد الله إنك واحد *** ومثلك في هذا الزمان كثير

قطعت إخائي ظالما و هجرتني *** وليس أخي من في الإخاء يحور

أديم لأهل الودّ ودي، وإني *** لمن رام هجري ظالما لهجور

و لو أن بعضي رابني لقطعته *** وإني بقطع الرائبين جدير

فلا تحسبن منحي لك الودّ خالصا *** لعزّ ولا آتي إليك فقير

و دونك حظّي منك لست أريده *** طوال الليالي ما أقام ثبير(4)

/فقال بشار: ما قال حمّاد شعرا قطّ هو أشدّ علي من هذا، قلت: كيف ذاك و لم يهجمك فيه؟ و قد هجمك في شعر كثير فلم تجزع. قال: لأن

هذا شعر جيّد و مثله يروى، و أنا أنفس(5) عليه أن يقول شعرا جيّدا.

إعجاب محمّد بن النطّاح بشعره

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال: حدّثني هارون بن عليّ بن يحيى المنجم قال: حدّثني عليّ بن مهديّ قال: حدّثني محمّد بن النطّاح

قال: كنت شديد الحبّ لشعر حمّاد عجرد، فأنشدت يوما أخي بكر بن النطّاح قوله في بشار:

أسأت في رديّ عليّ ابن استها *** إساءة لم تبق إحسانا(6)

فصار إنسانا بذكري له *** و لم يكن من قبل إنسانا

قرعت سنّي ندما سادما *** لو كان يغني ندمي الآن(7)

1- في الأصول: «إلى مضجع» وهو تحريف، والتصويب عن «مختار الأغاني».

2- في ب، س، ها «و للقاصد المعتل والمتردد. و ما أثبتناه عن ط، مط، مب».

3- هذه التكملة ساقطة من ب، س، ج. وقد أثبتناها عن ط، مط، مب، ها.

4- ثبير: جبل بظاهر مكة.

5- نفس عليه الشيء كفرح نفاسة: لم يره أهلا له.

6- في ب، س «أسأت في ردّي لمن أسأنا» والتصويب عن ج، ط، مط، مب، ها. ومعنى «على ابن استها» على ابن الأمة، وكانت العرب

تسمي بني الأمة: «بني استها» ويقال للذي ولدته أمه: «يا ابن استها» يعنون است أمة ولدته، أي أنه ولد من استها، قال الأعشى: أسفها

أوعدت يا ابن استها لست على الأعداء بالقادر انظر («لسان العرب» مادة سته).

7- السدم محرّكة: الهمّ أو ندم أو غيظ مع حزن، سدم كفرح فهو سادم و سدمان.

يا ضبيعة الشعر ويا سواتا *** لي و لأزمني أزمانا

من بعد شتمي القرد لا والذي *** أنزل توراة و قرآنا (1)

ما أحد من بعد شتمي له *** أنذل مني، كان من كانا

/قال: فقال لي: لمن هذا الشعر؟ فقلت: لحمّاد عجرد في بشار، فأنشأ يتمثل بقول الشاعر:

ما يضرّ البحر أمسى زاخرا *** أن رمى فيه غلام بحجر

/ثم قال: يا أخي، انس هذا الشعر فسيانه أزين بك، و الخرس (2) كان أستر على قائله.

هجاه بشار أكثر مما هجاه هو

أخبرني عليّ بن سليمان قال: حدّثني هارون بن يحيى قال: حدّثني عليّ بن مهديّ قال: أجمع العلماء بالبصرة أنه ليس في هجاء حمّاد عجرد لبشار شيء جيّد إلا أربعين بيتا معدودة، و لبشار فيه من الهجاء أكثر من ألف بيت جيّد، قال: وكلّ واحد منهما هو الذي هتك صاحبه بالزندقة و أظهرها عليه، و كانا يجتمعان عليها، فسقط حمّاد عجرد و تهتّك بفضل بلاغة بشار و جودة معانيه، و بقي بشار على حاله لم يسقط، و عرف مذهبه في الزندقة فقتل به.

مجاشع بن مسعدة يهجو حمادا

أخبرني محمّد بن العباس اليزيديّ قال: حدّثني عمّي (3) الفضل عن إسحاق الموصليّ أنّ مجاشع بن مسعدة أخا عمرو بن مسعدة هجا حمّاد عجرد و هو صبيّ حينئذ ليرتفع بهجائه حمّادا، فترك حمّادا و شبّب بأمه، فقال:

راعتك أمّ مجاشع *** بالصدّ بعد وصالها (4)

و استبدلت بك و البلا *** عليك في استبدالها

/جنيّة من بربر *** مشهورة بجمالها

فحرامها أشهى لنا *** و لها من استحلالها (5)

فبلغ الشعر عمرو بن مسعدة، فبعث إلى حمّاد بصلّة، و سأله الصّفح عن أخيه، و نال أخاه بكلّ مكروه، و قال له:

ثكلتك أمك، أتعرّض لحمّاد و هو يناق (6) بشارا و يقاومه، و الله لو قاومته لما كان لك في ذلك فخر، و لئن تعرّضت له ليهتكّنك و سائر أهللك، و ليفضحنا فضيحة لا نغسلها أبدا عنا.

شعره في جارية

-
- 1- كذا في ب، س، ج. و الذي في باقي الأصول «و فرقانا».
 - 2- كذا في ج، ط، مط، مب، ها، وهو الصواب. و الذي في ب، س «و الحرمن»؛ و هو تصحيف.
 - 3- ساقطة من ب، س، ج. وقد أثبتناها عن باقي الأصول.
 - 4- راعتك: أفزعتك بالصد: و في ج، ب، س «و الصدق»؛ و هو تحريف، و التصويب عن ط، مط، مب، ها.
 - 5- في ج «أشهى لنا من استجلالها» و فيه سقط من الناسخ.
 - 6- المناقفة و النفاف: المضاربة بالسيوف على الرءوس.

أبي عمرو بن العلاء، وكانت لأبي عمرو جارية يقال لها منبوعة، وكانت رسحاء(1) عظيمة البطن، وكانت تسخر(2) بحمّاد، فقال حمّاد لأبي عمرو: أغن عني(3) جاريتك فإنّها حمقاء، وقد استغلقت(4) لي، فنهاها أبو عمرو فلم تنته فقال لها حماد عجرد:

لو تاتى لك التحوّل حتّى *** تجعلى خلفك اللطيف أماما

ويكون القدام ذو الخلقة الجز *** له خلقا مؤثلا مستكاما(5)

لإذا كنت يا منبوعة خير الرّ *** اس خلفا و خيرهم قداما

شعره في محمّد بن طلحة

أخبرني عمي قال: حدّثني الكراني قال: حدّثني الحسن بن عمارة قال: نزل حمّاد عجرد على محمّد بن طلحة، فأبطأ عليه بالطعام، فاشتد جوعه، فقال فيه حمّاد:

زرت امرأ في بيته مرّة *** له حياء و له خير(6)

يكره أن يتخم أضيافه *** إنّ أذى التّخمة محذور

ويشتهي أن يؤجروا عنده *** بالصّوم و الصالح ماجور

قال: فلمّا سمعها محمّد قال له: عليك لعنة الله، أي شيء حملك على هجائي، وإنما انتظرت أن يفرغ لك من الطعام؟ قال: الجوع و حياتك حملني عليه، وإن زدت في الإبطاء زدت في القول، فمضى مبادرا حتى جاء بالمائدة.

ردّه على حفص بن أبي وزه حين طعن على مرقش

أخبرني الحسين بن يحيى و عيسى بن الحسين و وكيع و ابن أبي الأزهري قالوا: حدّثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال: كان حفص بن أبي وزه صديقا لحمّاد عجرد، و كان حفص مرميا بالزندقة، و كان أعمش أفتس أغضف(7) مقبّح الوجه، فاجتمعوا يوما على شراب، و جعلوا يتحدّثون و يتناشدون، فأخذ حفص بن أبي وزه يطعن على مرقش و يعيب شعره و يلحنه، فقال له حمّاد:

لقد كان في عينيك يا حفص شاغل *** و أنف كثيل العود عمّا تتبّع(8)

تتبّع لحنا في كلام مرقش *** و وجهك مبني على اللّحن أجمع

ص: 486

1- رسحاء: وصف من الرسح بالتحريك، و هو قلة لحم العجز و الفخذين.

2- كذا في ب، س. و الذي في ج، ط، مط، مب، ها: «تعجرد حماد».

3- أغنّها عني: اصرفها و كفها، قال تعالى: لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ أي يكفه.

4- من قولهم: استغلقت عليّ بيعته: إذا لم يكن لي خيار في ردّها.

5- في ب، س، ويكون القدام في الخلف من ك حبركي... والتصويب عن باقي الأصول. والمؤثّل: المجتمع. والمستكّام: اسم مفعول من استكّام الرجل المرأة: إذا جامعها.

6- الخير: الكرم والشرف والأصل.

7- الأغضف: المتدلي الأذنين كالكلب على التشبيه.

8- الثيل: بالكسر والفتح: القصيب. والعود: الجمل المسن.

فأذناك إقواء و أنفك مكفأ *** و عيناك إطاء فأنت المرقع (1)

شعره في جبة لبعض الكتاب

أخبرني عمي قال: حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال: ذكر أبو دعامة عن عاصم بن الحارث بن أفلح، قال: رأى حمّاد عجرد على بعض الكتاب جبة خزّ دكناء فكتب إليه:

إنني عاشق لجبتك الدك *** ناء عشقا قد هاج لي أطراي

فبحقّ الأمير إلا أتتني *** في سراح مقرونة بالجواب

و لك الله و الأمانة أن أج *** عليها أشهراً أمير ثيابي

فوجه إليه بها. و قال للرسول: قل له و أيّ شيء لي من المنفعة في أن تجعلها أمير ثيابك؟ و أيّ شيء عليّ من الضرر في غير ذلك من فعلك، لو جعلت مكان هذا مدحا لكان أحسن، و لكنك ردّلت لنا شعرك فاحتملناك.

مرض فلم يعده مطيع بن إياس فقال شعرا في ذلك

أخبرني أحمد بن العباس العسكريّ و الحسن بن عليّ الخفاف، قالا: حدّثنا الحسن بن عليل العنزّيّ عن عليّ بن منصور قال: مرض حمّاد عجرد فلم يعده مطيع بن إياس، فكتب إليه:

كفالك عيادتي من كان يرجو *** ثواب الله في صلة المريض

فإن تحدث لك الأيام سقما *** يحول جريضه دون القريض (2)

يكن طول التأوه منك عندي *** بمنزلة الطنين من البعوض

أخبرني عمي قال: حدّثنا ابن أبي سعد قال: ذكر أبو دعامة أن التّيحان (3) بن أبي التّيحان قال: كنت عند حمّاد عجرد فأناه والبة بن الحباب (4)، فقال له: ما صنعت في حاجتي؟ فقال: ما صنعت شيئا، فدعا والبة بدواة و قرطاس و أملى عليّ:

عثمان ما كانت عدا *** تك بالعدا الكاذبة

فعلام يا ذا المكر ما *** ت و ذا الغيوث الصائبة (5)

أخرت و هي يسيرة *** في الرّزء (6) حاجة والبه؟

فأبو أسامة حقّه *** أحد الحقوق الواجبة

- 1- الإقواء، هو اختلاف حركة الرويِّ كأن يكون في آخر البيت كلمة «المحمود» مرفوعاً وفي آخر البيت الثاني «المعدود» مجروراً. و الإكفاء: هو أن يخالف الشاعر بين قوافيه فيجعل بعضها ميماً وبعضها نوناً وبعضها دالاً وبعضها طاءً وبعضها حاءً ونحو ذلك. و الإيطاء، هو إعادة كلمة الرويِّ لفظاً ومعنى، و هو عيب.
- 2- يقال: جرض بريقه، أي ابتلع ريقه على هم و حزن بجهد و مشقة. و القريض: الشعر.
- 3- يقال: رجل تيحان يتعرض لكل مكرمة و أمر شديد.
- 4- هو أستاذ أبي نواس، من شعراء الكوفة.
- 5- صاب المطر صوباً: انصب.
- 6- في ب، س: «في الرد».

فاستحي من ترداده *** في حاجة متقاربه

ليست بكاذبة(1)، ولو *** والله كانت كاذبه(1)

فقضيتها أحمدت غب *** قضائها في العاقبة

إني و ما رأيي بعا *** دم عاتب أو عاتبه(2)

الأرى لمثلك كلما *** نابت عليه نائبه

الأ يردّ يد امرئ *** بسطت إليه خائبه

قال: فلقيت والبة بعد ذلك فقلت له: ما صنعت؟ فقال: قضى حاجتي وزاد.

خبره مع المفضل بن بلال

أخبرني عمي قال: حدّثنا محمّد بن القاسم بن مهرويه عن الزبالي قال: بلغ حمّاد عجرد أنّ المفضل بن بلال أعان بشّارا عليه وقدمه وقرّظه، فقال فيه.

عجبا للمفضل بن بلال *** ما له يا أبا الزبير و ما لي

عربي لا شكّ فيه و لا مر *** ية ما باله و بال الموالي

قال: و أبو الزبير هذا الذي خاطبه هو قبيس بن الزبير، و كان قبيس و يونس بن أبي فروة كاتب عيسى بن موسى صديقين له، و كانوا جميعا زنادقة، و في يونس يقول حمّاد عجرد و قد قدم من غيبة كان غابها:

كيف بعدي كنت يا يو *** نس لا زلت بخير

و بغير الخير لا زا *** ل قبيس بن الزبير

أنت مطبوع على ما *** شئت من خير و مير(3)

و هو إنسان شبيه *** بكسير و عوير(4)

رغمه أهون عند ال *** ناس من ضرطة عير(5)

خبره مع سعاد الجارية

أخبرني علي بن سليمان الأخفش و وكيع قالوا: حدّثنا الفضل بن محمّد اليزيدي قال: حدّثني إسحاق الموصلي عن السّكوني قال: ذكر

محمّد بن سنان أنّ حمّاد عجرد حضر جارية مغنّية يقال لها سعاد - وكان مولها ظريفا - و معه مطيع بن إياس، فقال مطيع:

قَبَلِينِي سَعَادَ بِاللَّهِ قَبْلَهُ *** وَ اسأَلِينِي لَهَا فَدَيْتَكَ نَحْلَهُ (6)

ص: 488

-
- 1- في ها «يكاريه»، «كاريه».
 - 2- كذا في ها. و في باقي الأصول «غائب أو غائبة» و هو تصحيف. و لعلها «عائب أو عائبه».
 - 3- مار عياله: جلب لهم الميرة بالكسر، أي الطعام؛ و يقال: ما عنده خير و لا مير.
 - 4- يقال في المثل: «كسير و عوير و كل غير خير»، في الخصلتين المكروهتين.
 - 5- العير: الحمار، و غلب على الوحشيّ.
 - 6- النحلة: العطية.

فوربّ السماء لو قلت لي *** صلّ لوجهي جعلته الدهر قبله

فقلت لحمّاد: اكفنيه يا عمّ، فقال حمّاد:

إنّ لي صاحباً سواك وفيّا *** لا ملولا لنا كما أنت ملّه (1)

لا يباع التقبيل بيعة ولا يش *** رى فلا تجعل التعشّق علّه

فقال مطيع: يا حمّاد، هذا هجاء: وقد تعدّيت و تعرّضت، و لم تأمرك بهذا؛ فقلت الجارية - و كانت بارعة (2) ظريفة - أجل؛ ما أردنا هذا كلّه، فقال حمّاد:

/أنا و الله أشتهي مثلها من *** ك بنحل، و التّحل في ذاك حلّه (3)

فأجيبني و أنعمي و خذي البذ *** ل و أظفي بقبلة منك غلّه (4)

فرضني مطيع، و خجلت الجارية، و قالت: اكفنياني شرّكما اليوم، و خذا فيما جئتما له.

خبره مع غلام بعث به إليه مطيع

أخبرني محمّد بن خلف و كيع قال: حدّثنا أبو أيّوب المدنيّ، عن مصعب الزبيريّ عن أبي يعقوب الخريمي قال: أهدى مطيع بن إيّاس إلى حمّاد عجرد غلاماً و كتب إليه: قد بعثت إليك بغلام تتعلّم عليه كظم الغيظ.

شعر له و لمطيع في بنت دهقان

إشارة

أخبرني و كيع قال: حدّثنا أبو أيّوب المدنيّ/قال: ذكر محمّد بن سنان أنّ مطيع بن إيّاس خرج هو و حمّاد عجرد و يحيى بن زياد في سفر، فلمّا نزلوا في بعض القرى عرفوا، فقرّغ لهم منزل، و أتوا بطعام و شراب و غناء، فبينما هم على حالهم يشربون في صحن الدار، إذ أشرفت بنت دهقان من سطح لها بوجه مشرق رائق، فقال مطيع لحمّاد: [ما] (5) عندك؟ فقال حمّاد: «خذ فيما (6) شئت» فقال مطيع:

ألا يا بأبي الناظ *** ر من بينهم نحوي

فقال حمّاد عجرد:

ألا يا ليت فوق الحق *** و منها لاصقاً حقوي

/فقال مطيع:

- 1- رجل ملة: إذا كان يميل إخوانه سريعاً.
- 2- كذا في ج، ط، مب، ها. و الذي في ب، س: «مؤدية».
- 3- النحل (بضم النون): الهبة ابتداء من غير عوض ولا استحقاق. حلة: حلال.
- 4- و خذي البذل، أي ما بذله لك مطيع.
- 5- عن ها، و سقطت من باقي الأصول.
- 6- كذا في ها. و الذي في س، ب، ج، ط، مط، مب: «شيب بها».
- 7- البضع؛ الفرج. و الشوب: العسل، و اللبن، يقال: سقاه الشوب بالروب، أي العسل باللبن، و سقاه الشوب بالذوب، أي اللبن بالعسل.

فقال يحيى بن زياد:

ويا سقيا لسطح أش *** رقت من بينهم حذوي(1)

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق قال: حدّثنا حماد بن إسحاق عن أبيه: أن حمّاد عجرد قال في جوهر جارية أبي عون: - قال: وفيه غناء -:

صوت

إني أحبّك فاعلمي *** إن لم تكوني تعلمينا

حبّا أقلّ قليله *** كجميع حبّ العالمينا

شعره في وداع أبي خالد الأحول

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق قال: حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال: كان حمّاد عجرد صديقا لأبي خالد الأحول أبي أحمد بن أبي خالد، فأراد الخروج إلى واسط، وأراد وداع أبي خالد، فلما جاءه لذلك حجه الغلام وقال له: هو مشغول في هذا الوقت، فكتب إليه [يقول](2):

عليك السّلام أبا خالد *** و ما للوداع ذكرت السّلاما

ولكن تحيّة مستطرب *** يحبّك حبّ الغويّ المداما(3)

/أردت الشّخوص إلى واسط *** ولست أطيل هناك المقاما

فإن كنت مكتفيا بالكتا *** ب دون اللّمام تركت اللّماما(4)

وإلا فأوص هداك الملي *** ك بؤابكم بي وأوص الغلاما

[فإن جئت أدخلت في الداخلي *** ن إمّا قعودا وإمّا قياما](5)

فإن لم أكن منك أهلا لذاك *** فلا لوم لست أحبّ الملاما

لأنّي أذمّ إليك الأنا *** م أخزاهم الله طرا أناما

فإني وجدتهم كلّهم *** يميّتون حمدا و يحيون ذاما(6)

سوى عصبه لست أعنيهم *** كرام فإني أحبّ الكراما

وأقلل عديدهم إن عدت *** فما أكثر الأردلين اللّثاما

- 1- الحذو والحذاء: الإزاء والمقابل.
- 2- عن ط، مط. وسقطت من باقي الأصول.
- 3- استطرب: طلب الطرب.
- 4- ألم به: زاره غبا؛ و هو يزورنا لماما، أي في بعض الأحيان.
- 5- سقط هذا البيت من ب، س. وقد أثبتناه عن باقي الأصول.
- 6- الذام: العيب.

ممازحته لمطيع بن إياس و شعرهما في ذلك

أخبرني عيسى بن الحسين قال: حدّثني أبو أيّوب المدينيّ قال: قال ابن عبد الأعلى الشيبانيّ: حضر حمّاد عجرد و مطيع بن إياس مجلس محمّد بن خالد و هو أمير الكوفة لأبي/العباس، فتمازحا، فقال حماد:

يا مطيع يا مطيع *** أنت إنسان رقيق

و عن الخير بطيء *** و إلى الشرّ سريع

فقال مطيع:

إنّ حمّادا لثيم *** سفلة الأصل عديم

لا تراه الدهر إلّا *** يهن العير يهيم (1)

/فقال له حماد: ويلك، أترميني بدائك، والله لو لا كراحتي لتمادي الشرّ و لجاح الهجا لقلت لك قولا يبقى، و لكّتي لا أفسد مودّتك، و لا أكافئك إلّا بالمديح، ثم قال:

كل شيء لي فداء *** لمطيع بن إياس

رجل مستلمح في *** كلّ لين و شماس (2)

عدل و رحي بين جن *** بيّ و عينيّ براسي (3)

غرس الله له في *** كبدي أحلى غراس

لست دهري لمطيع ب *** ن إياس ذا تناس

ذاك إنسان له فض *** ل على كلّ أناس

فإذا ما الكأس دارت *** و احتساها من أحاسي (4)

كان ذكرانا مطيعا *** عندها ريحان كاسي

هجاؤه عيسى بن عمرو

أخبرني أحمد بن العباس العسكريّ و محمّد بن عمران الصّيرفيّ قالوا: حدّثنا الحسن بن عليل العنزّيّ قال:

حدّثنا التّوزيّيّ قال: كان عيسى بن عمرو بن يزيد صديقا لحمّاد عجرد (5)، و كان يواصله أيّام خدمته للربيع، فلمّا طرده الربيع و اختلّت حاله جفاه عيسى، و إنّما كان يوصله لحوائج يسأل له الربيع فيها، فقال حمّاد عجرد فيه:

أوصل الناس إذا كانت له *** حاجة عيسى وأقضاهم لحق

ولعيسى إن أتى في حاجة *** ملق ينسى به كل ملق

ص: 491

-
- 1- الهن: كناية عما يستفحش ذكره من الرجل والمرأة.
 - 2- الشماس: النفور والإباء، شمس الفرس شموسا وشماسا: منع ظهره.
 - 3- العدل: النظير.
 - 4- أحاسي: أساقي.
 - 5- في ها «لعجرد».

فإن استغنى فما يعدله *** نخوة كسرى على بعض السّوق

إن تكن كنت بعيسى واثقا *** فبهذا الخلق من عيسى فثق

و له يهجوهُ أيضا

قال العنزّي: و أنشدني بعض أصحابنا لحمّاد في عيسى بن عمر أيضا:

كم من أخ لك لست تنكره *** ما دمت من دنياك في يسر

متصنّع لك في مودّته *** يلقاك بالترّحيب و البشر

يطري الوفاء و ذا الوفاء و يل *** حى الغدر مجتهدا و ذا الغدر

فإذا عدا و الدهر ذو غير *** دهر عليك عدا مع الدهر

فارفض يا جمال مودّة (1) من *** يقلّي المقلّ و يعشق المثري

و عليك من حالاه واحدة *** في العسر إمّا كنت و اليسر

الا تخلطنّهم بغيرهم *** من يخلط العقيان بالصّفر (2)

هبجا حشيشا الكوفي

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى إجازة قال: حدّثني ابن أبي فنن قال: حدّثني العتّابي، و أخبرني عمّي عن أحمد بن أبي طاهر قال: قال العتّابي: و حديث ابن طاهر أنّهم، قال: كان رجل من أهل الكوفة من الأشاعنة يقال له حشيش و كانت أمّه حارثية، فمدحه حمّاد عجرد فلم يثبه، و تهاون به، فقال يهجوهُ:

يا لقومي للبلاء *** و معاريض الشّقاء

قسمت ألوية بي *** ن رجال و نساء

ظفرت أخت بني الحا *** رث منها بلواء

حادث في الأرض يرتا *** ع له أهل السماء

قال: فعرضت أسماء العمّال على المنصور فكان فيها اسم حشيش، فقال: أ هو الذي يقول فيه الشاعر:

يا لقومي للبلاء *** و معاريض الشّقاء؟

أقالوا: نعم يا أمير المؤمنين؛ فقال: لو كان في هذا خير ما تعرّض لهذا الشاعر، ولم يستعمله، قال: وقال حمّاد فيه أيضا يخاطب سعيد بن الأسود ويعاتبه على صحبة حشيش وعشرته:

صرت بعدي يا سعيد *** من أخلاء حشيش

أتلوّطت أم استخ *** لفت بعدي أم لأيش (3)

ص: 492

1- في ها «أخوة».

2- العقيان: الذهب. و الصفر: النحاس وفي «ها». «من يخلط العقبان بالنسر».

3- لاط و لاوط و تلوّط: عمل عمل قوم لوط.

حلقي استه أو *** سع من است بحيش (1)

ثم بغاء على ذا *** أبلغ الناس لفيش (2)

يا بني الأشعث ما عي *** شكم عندي بعيش

حين لا يوجد منكم *** غيره قائد جيش

قال: و كان بحيش هذا رجلا من أهل البصرة لم يكن بينه وبين حماد شيء، فلما بلغه هذا الشعر وفد من البصرة إلى حماد قاصدا، وقال له: يا هذا، ما لي ولك، و ما ذنبي إليك؟ قال: و من أنت؟ قال: أنا بحيش،. أ ما وجدت أحدا أوسع دبرا منّي يتمثل به؟ فضحك ثم قال: هذه بليّة صبّتها عليك القافية (3)، و أنت ظريف و ليس يجري بعد هذا مثله.

هجا أبا عون

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حدّثني محمّد بن الحسن بن الحرون. قال: كان حماد عجرد يعاشر أبا عون جدّ ابن أبي عون العابد؛ و كان ينزل الكرخ، و كان عجرد إذا قدم بغداد زاره، فبلغ أبا عون أنه يحدث الناس أنه يهوى جارية يقال لها جوهر، فحجبه و جفاه و اطرحه، فقال يهجو أبا عون:

أبا عون لحاك اللّ *** ه - يا عرّة - إنسانا (4)

فقد أصبحت في الناس *** إذا سميت كشخانا (5)

بنيت اليوم في الكشح *** لأهل الكرخ بنيانا

أو شرفت لهم في ذا *** لنا أبوابا و حيطانا

و ألفت على ذاك *** من الفساق أعوانا

و مجّانا و لن تعد *** م من يمجن مجّانا

فأخزى الله من كنت *** أخاه كان من كانا

و لا زلت و لا زال *** بأخلاقك خزيانا

و عريانا كما أصبح *** ت من دينك عريانا

و قال فيه أيضا:

إنّ أبا عون و لا *** أقول فيه كذبا

-
- 1- الحلقى: صفة سوء في الرجل، من قولهم: أتان حلقية إذا تداولتها الحمر فأصابها بسبب ذلك داء وفي «ها». «تجيش».
 - 2- الفيش و الفيشة: رأس الذكر.
 - 3- في ها «صبها عليك الروي».
 - 4- العرة: الجرب، والمعنى يا شبيها بالعره. وفي ها «ما عمر».
 - 5- الكشخان: الديوث.

إخوانه قد جعلوا *** أمّ بنيه مركبا

واتخذوا جوهره *** مبولة و ملعبا

إن نكتها أرضيته *** أو لم تنكها غضبا

أحبهم إليه من *** أدخل فيها ذنبا

و من إذا ما لم ينك (1) *** جرّ إليها جلبا

هجاؤه غيلان جدّ عبد الصّمد بن المعدّل

إشارة

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا اللّائي عن مهديّ بن سابق قال: استعمل محمّد بن أبي العباس و هو يلي (2) البصرة غيلان جدّ عبد الصّمد بن المعدّل على/بعض أعشار البصرة، و ظهر منه على خيانة، فعزله، و أخذ ما خانته فيه، فقال حمّاد عجرد يهجوّه:

ظهر الأمير عليك يا غيلان *** إذ خنته إنّ الأمير معان

أمع الدمامة قد جمعت خيانة! *** قبح الدميم الفاجر الخوّان

أخبرني عمي قال: حدّثني أحمد بن أبي طاهر عن أبي دعامة قال: أنشد بشار قول حمّاد عجرد في غلام كان يهواه يقال له أبو بشر:

صوت

أخي كفّ عن لومي فإنّك لا تدري *** بما فعل الحبّ المبرّح في صدري

أخي أنت تلحاني و قلبك فارغ *** و قلبي مشغول الجوانح بالفكر

أخي إنّ دائي ليس عندي دواؤه *** و لكن دوائي عند قلب أبي بشر

دوائي و دائي عند من لو رأيتّه *** يقلّب عينيه لأقصررت عن زجري

فأقسم لو أصبحت في لوعة الهوى *** لأقصررت عن لومي و أطنبت في عذري

و لكن بلائي منك أنّك ناصح *** و أنّك لا تدري بأنك لا تدري

فطرب بشار ثم قال: ويلكم، أحسن و الله! من هذا؟ قالوا: حمّاد عجرد؛ قال: أوّه، و كلتموني و الله بقيّة يومي بها طويل، و الله لا أطعم بقيّة

يومي طعاما و لأصوم غمًا بما يقول النّبطيّ ابن الزانية مثل هذا.

في الأول و الثاني من هذه الأبيات لحن من الثقبيل الأول ذكر/الهشاميّ أنه لعطرد.

أنشدني جحظة، عن حمّاد بن إسحاق، عن أبيه لحمّاد عجرد:

خليلي لا يفني أبدا *** يمّيني غدا فغدا

و بعد غد و بعد غد *** كذا لا ينقضني أبدا

ص: 494

1- في ط، مط «يعف».

2- في ب، س «على».

له جمر على كبدي *** إذا حرّكته اتّقدّا

شعره في يحيى بن زياد

أخبرني حبيب بن نصر المهلبّي قال: حدّثنا عمر بن شبة قال: حدّثنا الرّباليّ قال: كان المهديّ سأل أباه أن يولّي يحيى بن (1) زياد عملاً، فلم يجبه، وقال: هو خليع متخرّق في النفقة ماجن، فقال: إنه قد تاب وأناب، وتضمّن عنه ما يحبّ، فولّاه بعض أعمال الأهواز، فقصدته حمّاد عجرد إليها، وقال فيه:

فمن كان يسأل أين الفعّال *** فعندي شفاء لذا الباحث

محلّ التّدى وفعال التّهى *** وبيت العلا في بني الحارث (2)

[حللن بيحيى فحالفته *** حياء من الباعث الوارث (3)]

فلا تعدلنّ إلى غيره *** لعاجل أمر ولا رائث (4)

فإنّ لديه بلا منّة *** عطاء المرخّل و الماكت

قال: وقال فيه أيضاً:

يحيى امرؤ زينه ربّه *** بفعله الأقدم والأحدث

إن قال لم يكذب، وإن ودّ لم *** يقطع، وإن عاهد لم ينكث

أصبح في أخلاقه كلّها *** موكّلا بالأسهل الأدمث (5)

طبيعة منه عليها جرى *** في خلق ليس بمستحدث

ورّثه ذاك أبوه فيا *** طيب نثا الوارث والمورث (6)

فوصله يحيى بصلة سنّيّة وحملة وكساه، وأقام عنده مدّة ثم أنصرف.

شعره في عيسى بن عمرو

أخبرني عمّي قال: حدّثني الكراني عن النضر بن عمرو قال: وليّ عيسى بن عمرو إمارة البصرة من قبل محمّد بن أبي العباس السّفّاح لما خرج عنها عليلاً، فقال له حمّاد عجرد:

قل لعيسى الأمير عيسى بن عمرو *** ذي المساعي العظام في قحطان

و البناء العالى الذى طال حتى *** قصرت دونه يدا كل بان

يا ابن عمرو عمرو المكارم و التق *** وى و عمرو الندى و عمرو الطعان

ص: 495

-
- 1- من بني الحرث بن كعب، شاعر مترسل بليغ (انظر «الفهرست» لابن النديم» ص 171).
 - 2- النهى: العقل.
 - 3- ساقط من ب، س. وقد أثبتناه عن بقية الأصول.
 - 4- الرائث: البطيء، من راث يريث.
 - 5- الأدمث: الأسهل، من دمث كفرح: سهل ولان.
 - 6- النثا: التحدث عن إنسان بالمدح أو القدح، والمراد هنا الأول.

لك جار بالمصر لم يجعل الل *** ه له منك حرمة الجيران

لا يصلّي ولا يصوم ولا يق *** رأ حرفاً من محكم القرآن

إنما معدن الرّناة من السّف *** لة في بيته و مأوى الرّواني

و هو خدن الصّبيان و هو ابن سبعي *** ن، فما ذا يهوى من الصّبيان؟

طهّر المصر منه يا أيّها المو *** لى (1) المسمّى بالعدل و الإحسان

و تقربّ بذاك فيه إلى الل *** ه تفز منه فوز أهل الجنان

يا ابن برد إخساً إليك فمثل ال *** كلب في الناس أنت لا الإنسان (2)

/و لعمرى لأنت شرّ من الكل *** ب و أولى منه بكلّ هوان

هجا يقطينا بشعر

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا محمّد بن موسى بن حمّاد قال: حدّثني محمّد بن صالح الجبليّ قال:

كان حمّاد عجرد قد مدح يقطينا فلم يثبه، فقال يهجوّه:

متى أرى فيما أرى دولة *** يعزّ فيها ناصر الدّين

[ميمونة مجّدها ربّها *** بصادق النّية ميمون

تردّ يقطينا و أشياعه *** منها إلى أزار يقطين

قال: و كان يقطين قبل ظهور الدولة (3) العباسية بخراسان حائكا.

/قال: و مرّ يوماً بيونس بن فروة الّذي كان الربيع يزعم أنه ابنه، فلم يهشّ له كما عودّه، فقال يهجوّه:

أما ابن فروة يونس فكأنه *** من كبره ابن للإمام القائم (4)

و قال فيه:

و لقد رضيت بعصبة آخيتهم *** و إخاؤهم لك بالمعرة لازم

فعلمت حين جعلتهم لك دخلة *** أنّي لعرضي في إخوانك ظالم (5)

أخبرني عمي قال: حدّثني المغيرة بن محمّد المهلبيّ قال: حدّثني أبو معاذ التّميري أنّ بشاراً ولد له ابن، فلمّا ولد قال فيه حمّاد عجرد:

ص: 496

-
- 1- كذا في ب، س وفي باقي الأصول «يا أيها الوالي».
 - 2- خساً الكلب: طرده وزجره وقال له: اخساً.
 - 3- في ها «الدعوة».
 - 4- تكملة عن ج، ط، مط، مب. وقد سقطت من ها، ب، س.
 - 5- دخلة الرجل مثلثة الدال: بطانته.

سائل أمانة يا ابن بر *** د من أبو هذا الغلام؟

أ من الحلال أتت به *** أم من مقارفة الحرام(1)

فلتخبرتك أنه *** بين العراقي والشامي

والآخر الرومي والربن *** بطي أيضا وابن حام

أ جعلت عرسك شقوة *** غرضا لأسهم كل رام

أخبرني أحمد بن العباس العسكري قال: حدّثنا الحسن بن عليل العنزيّ قال: حدّثني مسعود بن بشر قال: مرّ حمّاد عجرد بقصر شيرين، فاستظّل من الحرّ بين سدرتين(2) كانتا بإزاء القصر، وسمع إنسانا يغني في شعر مطيع بن إلياس:

أسعداني يا نخلتي، حلوان *** وارثيا لي من ريب هذا الزمان

أسعداني وأيقنا أنّ نحسا *** سوف يلقاكما فتفترقان

قال شعرا حين سمع بيتي مطيع

فقال حمّاد عجرد:

جعل الله سدرتي قصر شيري *** ن فداء لنخلتي حلوان

جنّت مستسعدا فلم يسعداني *** و مطيع بكت له النّخلتان

استجازه محمّد بن أبي العباس وعدا

أخبرني يحيى بن عليّ إجازة عن أبيه، عن إسحاق، عن محمّد بن الفضل السّكوني قال: كان محمّد بن أبي العباس قد وعد حمّاد عجرد أن يحمله على بغل، ثم تشاغل عنه، فكتب إليه حمّاد:

طلبت البذل ممّن خ *** لقت كفّاه للبذل

و من ينفي عن المصح *** ل بالجود أذى المحل(3)

ألا يا ابن أبي العبا *** س يا ذا النائل الجزل

أما تذكر يا مولا *** ي ميعادك في البغل؟

وذاك الرّجس في الدار *** جليس لأبي سهل(4)

شعره في عثمان بن شيبه

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا هارون بن محمّد بن عبد الملك قال: حدّثنا سليمان المدينيّ قال: كان

ص: 497

1- قارف الخطيئة: خالطها.

2- السدر: شجر النبق.

3- المحل: الجذب.

4- الرجس: القدر، عنى به عدوا له.

عثمان بن شيبه مبّحلاً، و كان حمّاد عجرد يهجوّه، فجاء رجل كان يقول الشعر/إلى حمّاد فقال له:

أعني من غناك بيت شعر *** على فقري لعثمان بن شيبه

فقال [له حمّاد(1)]:

فإنّك إن رضيت به خليلاً *** ملأت يديك من فقر و خيبه

/فقال له الرجل: جزاك الله خيراً، فقد عرفّنتني من أخلاقه ما قطعني عن مدحه، فصنت وجهي عنه.

هجاؤه مطيع بن إياس

أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال: حدّثنا ابن إسحاق عن أبيه قال: كان حمّاد عجرد يهوى غلاماً من أهل البصرة من موالى العتيك يقال له: أبو بشر الحلوان الحلال - أحسبه من موالى المهلب - و كان موصوفاً بالجمال، فاندس له مطيع بن إياس، و لم يزل يحتال عليه حتى وطئه، فغضب حمّاد عجرد من ذلك، و نشب بينهما بسببه هجاء، فقال فيه حمّاد:

يا مطيع التذل أنت ال *** يوم مخذول جهول

لا يغزّتك غرور *** ذو أفانين ملول

ليس يحلو الفعل منه *** و هو يحلو ما يقول

ملذاني(2) مع الرّي *** ح إذا مالت يميل

و جواد بالمواعي *** د و بالبذل بخيل

ليس يرضيه من الجع *** ل كثير أو(3) قليل

ذاك ما اخترت خليلاً *** بس و الله الخليل

إنما يكفيك أن يا *** تيك في السرّ رسول

ساخرا منك يمّي *** ك أمانّي تطول

و قال في مطيع أيضاً و قد لّج الهجاء بينهما:

عجبت للمدّعي في الناس منزلة *** و ليس يصلح للدنيا و للدّين

لو أبصروا فيك وجه الرأى ما تركوا *** حتى يشدّوك كرها شدّ مجنون

اما نال قَطّ مطيع فضل منزلة *** إلا بأن صرت أهجوه و يهجونى

ولو تركت مطيعا لا أجابه *** لكان ما فيه م الآفات يكفينى

يختار قرب الفحول المرء معتمدا *** جهلا و يترك قرب الخرد العين (4)

ص: 498

1- ساقطة من ب و س. وقد أثبتناها عن باقي الأصول.

2- الملداني: الكذوب الذي لا يصحّ ودّه.

3- كذا في ب، س. و الذي في ط، مط، مب، «إذا عيف القليل».

4- الخرد: جمع خريدة، وهي البكر لم تمسس. و العين: جمع عيناء، وهي الواسعة العين.

مدحه و تعزيتة داود بن إسماعيل بن علي بن عبد الله بن العباس

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى إجازة عن أبيه عن إسحاق قال: قال حماد عجرد في داود بن إسماعيل بن علي بن عبد الله بن العباس يمدحه ويعزّيه عن ابن مات له ويستجيزه:

إنّ أرجى الأنام عندي وأولا *** هم بمدحي ونصرتي داود

إن يعيش لي أبو سليمان لا أح *** فل ما كادني به من يكيد (1)

هدّ ركني فقدي أباك فقد ش *** ذّ بك اليوم ركني المهودود

قائل فاعل أبي وفي *** متلف مخلف مفيد مبيد

وفى السنّ في كمال ابن خمسي *** ن دهاء وإربة بل يزيد (2)

مخلط مزيل أريب أديب *** راتق فاتق قريب بعيد (3)

أو هو الذائد المدافع عتي *** وعزيز ممتّع من يذود (4)

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال: حدّثنا عمر بن شبة قال: حدّثني عبد الملك بن شيبان قال: ولّي أبو جعفر المنصور محمّد بن أبي العباس السفاح/البصرة، فقدمها ومعه جماعة من الشعراء والمغنين منهم حماد عجرد، وحكم الوادي و دحمان، فكانوا ينادمونهم ولا يفارقونه، وشرب الشراب وعاش (5)، فبلغ ذلك أبا جعفر فعزله، قال: وكان ابن أبي العباس كثير الطيب، يملأ لحيته بالغالية (6) حتى تسيل على ثيابه فتسودّ، فلقبوه بأب الدّبس (7)، وقال فيه بعض شعراء أهل البصرة:

صرنا من الرّيح إلى الوكس *** إذ ولي المصر أبو الدّبس

ما شئت من لؤم على نفسه *** و جنسه من أكرم الجنس (8)

كان ماجنا زنديقا

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال: حدّثنا علي بن محمّد التّوفليّ قال: حدّثني أبي قال: كان أبو جعفر المنصور يبغض محمّد بن أبي العباس ويحبّ عيبه، فولّاه البصرة بعقب مقتل إبراهيم (9) بن عبد الله بن حسن،

ص: 499

1- يقال: ما حفلته و ما حفل به، أي ما بالي، ورفع هنا جواب الشرط وهو ضعيف.

2- الإربة: العقل.

3- رجل مخلط مزيل، أي يخالط الأمور ويزايلها، والمزِيل: الرجل الكيس اللطيف، والمزِيل أيضا: الجدل في الخصومات الذي يزول

من حجة إلى حجة.

4- في س «عنه» و هو تحريف.

5- عاث: أفسد.

6- الغالية: نوع من الطيب مرگب من مسك و عنبر و عود و دهن.

7- الدبس: عسل التمر و عصارته.

8- في الأصول «في لوم»، «و حبسه»، «الحبس» و هو تحريف، و التصويب عن «مختار الأغاني» ص 427 أي أن ذاته و حدها هي المعيبة.

9- كان محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (الملقب بالنفس الزكية) قد خرج على أبي جعفر المنصور، و غلب على المدينة و عزل عنها أميرها من قبل المنصور، فندب المنصور ابن أخيه عيسى بن موسى لقتاله، و كانت الغلبة لعسكر المنصور، فقتل محمد بن عبد الله و حمل رأسه إلى المنصور سنة 145 هـ. ثم خرج أخوه إبراهيم بن عبد الله و مضى إلى البصرة و دعا إلى نفسه، فأرسل إليه المنصور عيسى بن موسى بعد رجوعه من قتل أخيه، فالتقوا بقريية يقال لها باخمري قريبة من الكوفة، فكانت الغلبة لعسكر المنصور أيضا و قتل إبراهيم في المعركة سنة 145 هـ.

فقدمها، وأصحابه المنصور قوما يعاب بصحبتهم مجانا زنادقة: منهم حمّاد عجرد، وحمّاد بن يحيى، ونظراء لهم، ليغصّ منه ويرتفع ابنه المهديّ عند الناس، وكان محمّد بن أبي العباس محمّقا، فكان يغلّف لحيته إذا ركب بأواق من الغالية، فتسيل على ثيابه فيصير شهرة، فللقبه أهل البصرة أبا الدّبس؛ قال ولما أقام بالبصرة مدّة قال لأصحابه: قد عزمت على أن أعترض أهل البصرة بالسيف في يوم الجمعة، فأقتل كلّ من وجدت، لأنّهم خرجوا مع إبراهيم بن عبد الله بن حسن، فقالوا له: نعم، نحن نفعل ذلك، لما يعرفونه منه، ثم جاءوا إلى أمّه سلمة (1) بنت أيوب بن سلمة المخزوميّة فأعلموها بذلك، وقالوا: والله لئن همّ بها ليقتلنّ ولنقتلنّ معه، فإنما نحن في أهل البصرة أكلة رأس، فخرجت إليه وكشفت عن ثدييها وأقسمت عليه بحقّها حتى كفّ عمّا كان عزم عليه.

أدبه محمّد بن أبي العباس

إشارة

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى إجازة قال: حدّثني أبي عن إسحاق الموصلي قال: كان حمّاد عجرد في ناحية محمّد بن أبي العباس السّفاح، وهو الذي أدبه، وكان محمّد يهوى زينب بنت سليمان (2) بن علي، وكان قد قدم البصرة أميرا عليها من قبل عمّه أبي جعفر، فخطبها، فلم يزوّجوه لشيء كان في عقله، وكان حمّاد وحكم الوادي ينادمانه، فقال محمّد لحمّاد: قل فيها شعرا، فقال حمّاد فيها على لسان محمّد بن أبي العباس، وغنّى فيه حكم الوادي:

صوت

زينب ما ذنبي وما ذا الذي *** غضبت مني ولم تغضبوا (3)

والله ما أعرف لي عندكم *** ذنبا فقيم الهجر يا زينب؟

إن كنت قد أغضبتكم ضلّة *** فاستعبنوني إنني أعتب (4)

عودوا على جهلي بأحلامكم *** إنني - وإن لم أذنب - المذنب

/الغناء لحكم في هذه الأبيات خفيف ثقيل، الأوّل بالوسطى عن عمرو والهشاميّ وفيه هزج/يقال: إنه لخليد بن عبيد الواديّ، ويقال لعريب.

نسيب محمّد بن أبي العباس بزينب بنت سليمان

إشارة

أخبرني محمّد بن يحيى الصّولي قال: حدّثنا الحسين بن يحيى أبو الجمان الكاتب قال: حدّثني عمرو بن بانه قال: كان لمحمّد بن أبي العباس السّفاح شعر في زينب، وغنّى فيه حكم الوادي:

- 1- كذا في جميع الأصول. و الذي في «مختار الأغاني» ص 427 «أم سلمة».
- 2- هو سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس عم المنصور.
- 3- ولم تغضبوا، أي لم آت ما يستوجب غضبكم.
- 4- الضلة: الضلال. استعته: أعطاه العتي و هي الرضا. و أعتبني فلان: ترك ما كنت أجد عليه من أجله، ورجع إلى ما أرضاني عنه بعد إسخاطه إياي عليه.

صوت

قولاً لزينب لو رأي *** ت تشوّفي لك واشترافي (1)

وتلفّتي كيما أرا *** ك و كان شخصك غير خاف

وشممت ريحك ساطعا *** كالبيت جمر للطواف

فتركتني و كأنما *** قلبي يغرز بالأشافي (2)

خطبته لها

إشارة

أخبرني محمّد بن يحيى أيضا قال: حدّثني الحارث بن أبي أسامة عن المدائنيّ قال: خطب محمّد بن أبي العباس زينب بنت سليمان، ثم ذكر مثل هذا الحديث سواء، إلا أنه قال فيه: فقال محمّد بن أبي العباس فيها، و ذكر الأبيات كلّها و نسبها إلى محمّد و لم يذكر حمّادا.

قال أبو الفرج مؤلّف هذا الكتاب: هذا فيما أراه غلط من رواته، لمّا سمعوا ذكر زينب و لحن حكم، نسبوه إلى محمّد بن أبي العباس، و قد ذكر هذا الشعر بعينه إسحاق الموصليّ في كتابه، و نسبه إلى ابن رهيمة و هو من زيانب يونس الكاتب المشهورة، معروف و منها فيه يقول:

فذكرت ذاك ليونس *** فذكرته لأخ مصاف

أو ذكر إسحاق أن لحن يونس فيه خفيف رمل بالبنصر في مجرى الخنصر، و أنّ لحن حكم من الثقل الأول بالبنصر، قال محمّد بن يحيى: و لمحمد بن أبي العباس في زينب أشعار كثيرة ممّا غنّى فيها المغنّون، منها:

صوت

زينب ما لي عنك من صبر *** و ليس لي منك سوى الهجر

وجهلك و الله و إن شفّني *** أحسن من شمس و من بدر (3)

لو أبصر العاذل منك الذي *** أبصرته أسرع بالعدر

الغناء في هذه الأبيات لحكم خفيف رمل بالوسطى.

غنى دحمان في شعر قيس بن الخطيم

وأخبرني محمد بن يحيى قال: حدثنا الغلابي قال: حدثني عبد الله بن الصَّحَّاح عن هشام بن محمد قال:

دخل دحمان المغنبي مولى بني مخزوم - وهو المعروف بدحمان الأشقر - على محمد بن أبي العباس وعنده حكم الوادي، فأحضر محمد عشرة آلاف درهم وقال: من سبق منكما إلى صوت يطربني فهذه له؛ فابتدأ دحمان فغنى في شعر قيس بن الخطيم:

ص: 501

-
- 1- تشوّف إلى الشيء: تطلع و تطاول و أشرف. و الاشتراف: الانتصاب.
 - 2- الأشافى: جمع إشفى بكسر الهمزة، و هو المثقب.
 - 3- شفاه الهم: هزله.

حوراء ممكورة منعمة *** كأنما شفت وجهها ترف(1)

فلم يهش له، فغنتي حكم في شعر محمد في زينب:

زينب ما لي عنك من صبر *** وليس لي منك سوى الهجر

قال: فطرب و ضرب برجله و قال له: خذها، و أمر لدحمان بخمسة آلاف درهم، قال: و من شعره فيها الذي غنتي فيه حكم أيضا:

صوت

/أحببت من لا ينصف *** و رجوت من لا يسعف

نسب تليد بيننا *** و دادنا مستطرف

بالله أحلف جاهدا *** و مصدق من يحلف

إني لأكتم حبها *** جهدي لما أتخوف

و الحب ينطق إن سكت *** بما أجنّ و يعرف

الغناء في هذه الأبيات لحكم الوادي، و لحنه ثقيل أول.

شعر لابن أبي العباس غني فيه

إشارة

قال: و من شعر محمد فيها الذي غنتي فيه حكم:

صوت

أسعد الصبّ يا حكم *** و أعنه على الألم

و أدر في غنائه *** نغما تشبه النعم

أجميل بأن ترى *** نائما و هولم ينم

لائمي في هواي زي *** نب أنصف و لا تلم

لبس الجسم حلّة *** في هواها من السقم

غناه حكم، ولحنه هزج.

سكر حماد مع حكم الوادي عند محمد بن أبي العباس فناموا دونه

وقد أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا أبو أيّوب المديني قال: قال برة الهاشميّ حدّثني من حضر محمد بن أبي العباس وبين يديه حمّاد و حكم الواديّ يغتّيه، وندماؤه حضور، وهم يشربون حتى سكر وسكروا، فكان محمد أول من أفاق منهم، فقام إلى جماعتهم ينبّههم رجلا رجلا، فلم يجد فيهم فضلا سوى حمّاد/عجرد و حكم الواديّ، فانتبها، وابتدءوا يشربون، فقال عجرد على لسانه، و غتّى فيه حكم:

أسعد الصبّ يا حكم *** وأعنه على الألم

ص: 502

1- امرأة ممكورة: مرتوية الساقين.

أجميل بأن ترى *** نائما وهو لم ينم

هكذا ذكر هذا الخبر الحسن، ولم يزد على هذين البيتين شيئا.

محمد بن أبي العباس يشب بزینب بنت سليمان

أخبرني محمد بن يحيى قال: أشدني أبو خليفة و أبو ذكوان والغلابي لمحمد بن أبي العباس في زينب بنت سليمان بن علي:

يا قمر المربرد قد هجت لي *** شوقا فما أنفك بالمربرد

أراقب الفرقد من حبكم *** كأنني وكّلت بالفرقد(1)

أهيم ليلي ونهاري بكم *** كأنني منكم على موعد

علقتها ربا السوى طفلة *** قرية المولد من مولدي(2)

جدّي إذا ما نسبت جدّها *** في الحسب الثاقب والمحتد(3)

والله ما أنساك في خلوتي *** يا نور عيني ولا مشهدي

كان محمد نهاية في الشدة

أخبرني محمد بن يحيى قال: حدّثني الحارث بن أبي أسامة قال: حدّثني المدائني قال: كان محمد بن أبي العباس نهاية في الشدة، فعاتبه يوما المهديّ، فغمز محمد ركابه، حتى انضغطت رجل المهديّ في الركاب، ثم لم تخرج حتى ردّ محمد الركاب بيده، فأخرجها المهديّ حينئذ.

حماد يمدح محمد بن أبي العباس

أخبرني محمد بن يحيى قال: حدّثنا أبو ذكوان قال: حدّثنا العتيبيّ قال: كان محمد بن أبي العباس شديدا قويا جوادا ممدّحا، وكان يلوي العمود ثم يلقيه إلى أخته ربطة فترده، وفيه يقول/حمّاد عجرد:

أرجوك بعد أبي العباس إذ بانا *** يا أكرم الناس أعراقا وعيدانا

فأنت أكرم من يمشي على قدم *** وأنضر الناس عند المحل أغصانا

لو مَجّ عود على قوم عصارته *** لمَجّ عودك فينا المسك والبانا

خبر عزل محمد بن أبي العباس عن البصرة

أخبرني محمد بن يحيى قال: حدّثنا الغلابيّ قال: حدّثني محمد بن عبد الرحمن قال: لما أراد محمد بن أبي العباس الخروج عن البصرة لمّا عزله المنصور عنها قال:

أيا وقفة البين ما ذا شببت *** من التّار في كبد المغرم!

ص: 503

-
- 1- الفرقد: النجم الذي يهتدى به.
 - 2- علقتها: أحببتها. ريا: ممتلئة. الشوى: اليدان والرجلان. الطفلة: الرخصة الناعمة.
 - 3- في ج «ما جدى إذا» وفي ب، س «ما جدى إذ» وهو تحريف، والتصويب عن باقي الأصول. والمحتد: الأصل.

رميت جوانحه إذ رميت *** بقوس مسددة الأسهم

وقفنا لزئيب يوم الوداع *** على مثل جمر الغضى المضرم

فمن صرف دمع جرى للفراق *** لممتزج بعده بالدم

شِبِّ حَمَادِ عَجْرَدِ بَزِينِ بِنْتِ سَلِيمَانَ

أخبرني محمد قال: حدّثنا الفضل بن الحباب قال: حدّثنا أبو عثمان المازني قال: قال حمّاد عجرد يشبّب بزئيب بنت سليمان على لسان محمد بن أبي العباس:

ألا من لقلب مستهام معذب *** بحبّ غزال في الحجال مربب(1)

يراه فلا يستطيع ردّا لطرفه *** إليه حذار الكاشح المترقب

/ولو لا مليك نافذ فيه حكمه *** لأدنى وصالا ذاهبا كلّ مذهب

تغيرت خلف اللّهُو بعد صراوة(2) *** فبحت بما ألقاه من حبّ زئيب

قال: فبلغ الشعر محمد بن سليمان، فنذر دمه، ولم يقدر عليه لمكانه من محمد.

رثي حماد محمد بن أبي العباس بشعر

أخبرني محمد بن يحيى قال: حدّثني الغلابي عن محمد بن عبد الرحمن قال: مات محمد بن أبي العباس في أول سنة خمسين و مائة، فقال حمّاد يرثيه بقوله:

صرت للدهر خاشعا مستكينا *** بعد ما كنت قد قهرت الدهورا

حين أودى الأمير ذاك الذي كن *** ت به حيث كنت أدعى أميرا

كنت إذ كان لي أجير به الده *** ر فقد صرت بعده مستجيرا

يا سمي النبي يا ابن أبي الع *** باس حققت عندي المحذورا

سلبتني الهموم إذ سلبتني *** ك سروري فلست أرجو سرورا

ليتني متّ حين(3) موتك لا بل *** ليتني كنت قبلك المقبورا

أنت ظلّلتني الغمام بنعما *** ك ووطأت لي وطاء وثيرا(4)

لم تدع إذ مضيت فينا نظيرا *** مثل ما لم يدع أبوك نظيرا

خبر موت محمد بن أبي العباس

حدّثنا محمد بن العباس اليزيديّ قال: حدّثنا أحمد بن زهير قال: حدّثنا محمد بن سلام

ص: 504

-
- 1- الحجال: جمع حجلة كرقبة، وهي موضع يزيّن بالثياب والستور للعروس. مربب: مربّي.
 - 2- ورد هذا الشطر في ب، س هكذا: «وعيرت بالكتمان بعد صراوة» والتصحيح عن باقي الأصول. وتغبر الناقة: احتلب غيرها، والغبر: بقية اللبن في ضرع الناقة. والخلف: حلمة الضرع. والصرار: ما يشد فوق خلف الناقة من خيط لتلا يرضعها ولدها.
 - 3- في ب، س «قيل» وما أثبتناه عن باقي الأصول، وهو أولى لسياق الكلام.
 - 4- وثير: لبن.

الجمحي(1) قال: كان خصيب الطيب نصرانيًا نبيلًا، فسقى محمّد بن أبي العباس شربة دواء، وهو على البصرة، فمرض منها، و حمل إلى بغداد فمات بها، / أو أنّهم خصيب فحبس حتى مات، و سئل عن علته و ما به فقال: قال جالينوس: إن مثل هذا لا يعيش صاحبه، فقيل: له إن جالينوس ربّما أخطأ، / فقال: ما كنت قطّ إلى خطئه أحوج منّي اليوم، و في خصيب يقول ابن قنبر:

و لقد قلت لأهلي *** إذ أتوني بخصيب

ليس و الله خصيب *** للذي بي بطيب

إنّما يعرف ما بي *** من به مثل الذي بي

تنصّله لأخي زينب بشعر

أخبرني حبيب بن نصر و أحمد بن عبد العزيز و إسماعيل بن يونس، قالوا: حدّثنا عمر بن شبة قال: حدّثني عبد الله بن شيبان(2) و ابن داحة، و أخبرني يحيى بن علي بن يحيى إجازة قال: حدّثني أبي عن إسحاق قال: لما مات محمّد بن أبي العباس طلب محمّد بن سليمان حمّاد عجرد لما كان يقوله في أخته زينب من الشعر، فعلم أنه لا مقام له معه بالبصرة، فمضى فاستجار بقبر أبيه سليمان بن عليّ، و قال فيه:

من مقر بالذنب لم يوجب الـ *** ه عليه بسّي إقرارا

ليس إلاّ بفضل حلمك يعتدّ *** بلاء، و ما يعدّ اعتذارا(3)

يا ابن بنت النبيّ أحمد لا(4) أج *** عل إلاّ إليك منك الفرارا

غير أنّي جعلت قبر أبي *** أيّوب لي من حوادث الدهر جارا

و حرّي من استجار بذاك الـ *** قبر أن يأمن الردى و العثارا

لم أجد لي من العباد مجيرا *** فاستجرت التراب و الأحجارا

/لست أعتاض منك في بغية(5) العزة *** قحطان كلّها و نزارا

فأنا اليوم جار من ليس في الأر *** ض مجير أعزّ منه جوارا

يا ابن بيت النبيّ يا خير من *** حطّت إليه الغوارب الأكوارا(6)

إن أكن مذنبا فأنت ابن من كا *** ن لمن كان مذنبا غفّارا

فاعف عنّي فقد قدرت و خير الـ *** عفو ما قلت كن فكان اقتدارا

1- في ب، س «يسير الحمى» و هو تحريف؛ و التصويب عن باقي الأصول.

2- في ب، س «سنان» و التصويب عن باقي الأصول.

3- البلاء: الإنعام.

4- كذا في ب، س، ج. و الذي في ط، مط، مب، ها: يا ابن بنت النبي لا أجعل التوبة إلا...

5- كذا في ب، س، ج. و في ط، مط، مب، ها: لست أعتاض منكم في ابتغاء ال عز...

6- الغوارب: جمع غارب، و هو أعلى الظهر، و أعلى مقدّم السنام. و الأكوار: جمع كور بالضم: و هو الرحل أو بأداته.

لو يطيل الأعمار جار لعزّ *** كان جاري يطوّل الأعمارا

اعتذر إلى محمّد بن سليمان بشعر

أخبرني أحمد بن العباس العسكريّ ومحمّد بن عمران الصّيرفيّ قالاً: حدّثنا الحسن بن عليل العنزّيّ قال:

حدّثني علي بن الصّبّاح قال: كان محمّد بن سليمان قد طلب حمّاد عجرد بسبب نسبه بأخته زينب، ولم يكن يقدر عليه لمكانه من محمّد بن أبي العباس، فلما هلك محمّد جدّ ابن سليمان في طلبه، وخافه حمّاد خوفاً شديداً، فكتب إليه:

يا ابن عمّ النبيّ وابن النبيّ *** لعلّي إذا انتمى وعلّيّ

أنت بدر الدّجى المضيء إذا أظ *** لم واسودّ كلّ بدر مضيّ

وحيا الناس في المحول إذا لم *** يجد غيث الربيع والوسميّ (1)

إنّ مولاك قد أساء و من أع *** تب من ذنبه فغير مسيّ

ثم قد جاء تائباً فاقبل التو *** به منه يا بن الوصيّ (2) الرضيّ

هجاؤه محمّد بن سليمان

قال ومضى إلى قبر أبيه سليمان بن عليّ فاستجار به، فبلغه ذلك، فقال: واللّه لأبذلّ قبر أبي من دمه، فهرب حمّاد إلى بغداد، فعاد بجعفر بن المنصور، فأجاره، فقال: لا أرضى أو تهجو محمّد بن سليمان، فقال يهجو:

قل لوجه الخصيّ ذي العار إنيّ *** سوف أهدي لزينب الأشعارا

قد لعمرى فررت من شدّ الخو *** ف وأنكرت صاحبيّ نهارة

وظننت القبور تمنع جارا *** فاستجرت التراب والأحجارا

كنت عند استجارتى بأبي أيّ *** وب أبغي ضلالة وخسارا

لم يجرني ولم أجد فيه حظّاً *** أضرم اللّه ذلك القبر نارا

قال: وقال فيه:

له حزم برغوث وحلم مكاتب *** وغلمة سنّور بليل تولول (3)

و قال أيضا يهجو

وقال فيه يهجو:

يا ابن سليمان يا محمد يا *** من يشتري المكرات بالسمن

ص: 506

-
- 1- الحيا: المطر. المحول: جمع محل، وهو الجذب. والوسمي: مطر الربيع الأول لأنه يسم الأرض بالنبات.
 - 2- يقول الشيعة: إن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أوصى بالخلافة من بعده لعلي كرم الله وجهه، فلقبوا عليا بالوصي، وهو أوصى بها لمن بعده، وهكذا كل إمام وصي من قبله.
 - 3- تولول: تعول.

إن فخرت هاشم بمكرمة *** فخرت بالشحم(1) منك و العكن

لؤمك باد لمن يراك إذا *** أقبلت في العارضين و الذقن

ليتك إذ كنت ضيقًا نكرا *** لم تدع من هاشم و لم تكن

جدّك جدّان لم تعب بهما *** لكنّما العيب منك في البدن

قال: فبلغ هجاؤه محمّد بن سليمان فقال: والله لا يفلتني أبدا، وإنما يزداد حتفا بلسانه، ولا والله لا أعفو عنه و لا أتغافل أبدا.

وقد اختلف في وفاة حمّاد.

خبر مقتله

فأخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حدّثنا عمر بن شبة قال: حدّثني أبو داحة و عبد الملك بن شيبان أن حمّادا هرب من محمّد بن سليمان فأقام بالأهواز مستترا، و بلغ محمّدا خبره، فأرسل مولى له إلى الأهواز، فلم يزل يطلبه حتى ظفر به فقتله غيلة.

شعر له و هو يحتضر

إشارة

و أخبرني أحمد بن العباس و أحمد بن يحيى و محمّد بن عمران قالوا: حدّثنا الحسن بن عليل العنزي عن أحمد بن خلّاد أن حمادا نزل بالأهواز على سليم بن سالم فأقام عنده مدة مستترا من محمّد بن سليمان، ثم خرج من عنده يريد البصرة، فمرّ بشير زاذان في طريقه، فمرض بها، فاضطرّ إلى المقام بها بسبب علته، فاشتدّ مرضه، فمات هناك و دفن على تلعة(2)، و كان بشّار بلغه أن حمّادا عليل لما به، ثم نعي إليه قبل موته، فقال بشّار:

لو عاش حمّاد لهونا به *** لكنّه صار إلى النار

فبلغ هذا البيت حمادا قبل أن يموت و هو في السّياق(3)، فقال يرّد عليه:

نبتّ بشّارا نعاني و لل *** موت براني الخالق الباري

يا ليتني مت و لم أهجه *** نعم و لو صرت إلى النار

و أيّ خزي هو أخزي من ان *** يقال لي يا سبّ بشّار

قال: فلمّا قتل المهديّ بشّارا بالبطحة(4) اتفق أن حمل إلى منزله ميتا، فدفن مع حمادا على تلك التلعة، فمرّ بهما أبو هشام الباهليّ الشاعر البصريّ الذي كان يهاجي بشّارا، فوقف/على قبريهما و قال:

لقد تبع الأعمى قفا عجرد *** فأصبحا جارين في دار

قالت بقاع الأرض لا مرحبا *** بقرب حمّاد وبشار

ص: 507

1- في ها «أنت».

2- التلعة: القطعة المرتفعة من الأرض.

3- السياق: نزع الروح.

4- البطيحة: أرض واسعة بين واسط والبصرة.

تجاوزا بعد تنايهما *** ما أبغض الجار إلى الجار

صارا جميعا في يدي مالك *** في النار والكافر في النار

صوت

هل قلبك اليوم عن شبناء منصرف *** وأنت ما عشت مجنون بها كلف

ما تذكر الدهر إلا صدعت كيدا *** جرى عليك وأذرت دمعة تكف

ذكر أبو عمرو الشيباني أن الشعر لحريث بن عتاب الطائي، وذكر عمرو بن بانه أنه لإسماعيل بن بشار النساء، والصحيح أنه لحريث، والغناء لغريص ثقيل أول بالوسطى عن عمرو، وذكر الهشامي أنه لمالك.

ص: 508

نسبه

حريث بن عَنَاب (بالنون) بن مطر بن سلسلة بن كعب بن عوف(1) بن عنين(2) بن نائل بن أسودان، و هو نبهان بن عمرو بن الغوث بن طيّء، شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية، و ليس بمذكور من الشعراء، لأنه كان بدويًا مقلًا غير متصدد بالشعر للناس في مدح و لا هجاء، و لا يعدو شعره أمر ما يخصه.

يشب بحبي بنت الأسود

أخبرني بنسبه و ما أذكره من أخباره عمي عن الحزنبل عن عمرو بن أبي عمرو الشيباني، عن أبيه، و تمام الأبيات التي فيها الغناء بعد البيتين الأولين قوله:

يدوم ودّي لمن دامت مودّته *** و أصرف النفس أحياناً فتصرف(3)

يا ويح كلّ محبّ كيف أرحمه *** لأنني عارف صدق(4) الذي يصف

لا تأمن بعد حبيّ خلة أبدا *** على الخيانة إنّ الخائن الظرف(5)

كانها ريشة في أرض(6) بلقعة *** من حيثما واجهتها الريح تنصرف

ينسي الخليلين طول النأي بينهما *** و تلتقي طرف شتي فتألف

قال أبو عمرو، قال حريث هذه القصيدة في امرأة يقال لها حبي بنت الأسود من بني بحتر بن عتود، و كان يهواها و يتحدث إليها، ثم خطبها، فوعده أهلها أن يزوجه/و وعده ألاّ تجيب إلى تزويج إلاّ به، فخطبها رجل من بني ثعل و كان موسراً فمالت إليه و تركت حريثاً، و قد خيرت بينهما فاخترت الثعلبيّ، فترّوجها، فطفق حريث يهجو قومها و قوم المتزوج بها من بني بحتر و بني ثعل، فقال يهجو بني ثعل:

بني ثعل أهل الخنا ما حديثكم *** لكم منطوق غاو و للناس منطوق

كانكم معزى قواصع جرّة(7) *** من العي أو طير بخفان ينعق

ص: 509

1- في ب، س، ج: «عون».

2- كذا في ج، ط، مط، مب. و الذي في ب، س، ها «عنبر».

3- كذا في ط، مط، ها. و الذي في ب، س، ج، مب: و أصرف الناس أحياناً فينصرفوا

4- في رواية «كأنني..... بعض».

5- الظرف: الرجل الحديث الشرف.

6- كذا في ب، س، ج، مب. و الذي في ط، مط، ها «عرض».

7- في ب، س: «مواضع حرة»؛ والتصويب عن باقي الأصول. وقصعت الناقة بجرتها إذا ردتّها إلى جوفها أو مضغتها. أو ملأت بها فاهها،
يصنفهم بالعيّ والفهاهة.

دياقية قلف كأن خطيبهم *** سراة الصنحى في سلحه يتمطق (1)

قال أبو عمرو: و لم يزل حريث يهجو بني بحتر و بني ثعل من أجل حبي، فبينما هو ذات يوم بخبير و قد نزل على رجل من قريش و هو جالس بفنائنه ينشد الشعر الذي قاله يهجو به بني ثعل و بني بحتر ابني عتود، و بخبير يومئذ رجل من بني جشم بن أبي حارثة بن جدي بن تدول بن بحتر يقال له أوفى بن حجر بن أسيد بن حبي بن ثرملة بن ثرغل بن خيثم بن أبي حارثة عند بني أخت له من قريش، فمرّ أوفى هذا بحريث بن عتاب و هو ينشد شعرا هجا به بني بحتر، فسمعه أوفى و هو ينشد قوله:

و إن أحقّ الناس طرا إهانة (2) *** عتود يباريه فريير و ثعلب

العتود: التيس الهرم. و الفريير: ولد الظبية. و يباريه: يفعل فعله. فدنا منه أوفى و قال: إني رجل أصمّ لا أكاد أسمع، فتقرّب إليّ، فقال له: و من أنت؟ فقال: أنا رجل من قيس، و أنا أهاجي هذا الحيّ من بني ثعل و بني بحتر، و أحبّ/أن أروي ما قيل فيهم من الهجاء، فأدّنه منه، و كانت معه هراوة و قد اشتمل عليها، فلما تمكّن من ابن عتاب جمع يديه بالهراوة ثم ضرب بها أنفه فحطمه، و سقط على وجهه و وثب القرشيّ على أوفى فأخذه، فوثب بنو أخته فانتزعوه من القرشيّ، و كاد أن يقع بينهم شرّ، و أفلت أوفى و دوري ابن عتاب حتى صلح و استوى أنفه، فقال أوفى في ذلك:

لاقي ابن عتاب بخبير ماجدا *** يزع اللئام و ينصر الأحسابا

فضربته بهراوتي فتركته *** كالحلس منعفر الجبين مصابا

قال: ثم لحق أوفى بقومه، فلما كان بعد ذلك بمدة اتهمه رجل من قريش بأنه سرق عبدا له و باعه بخبير، فلم يزل القرشيّ يطلبه حتى أخذه و أقام عليه البيّنة، فحبس في سجن المدينة، و جعلت للقرشيّ يده، فبعث ابن عتاب إلى عشيرته بني نبهان، فأبوا أن يعاونوه، و أقبل عرفاء بني بحتر إلى المدينة يريدون أن يؤدّوا صدقات قومهم فيهم حصن و سلامة ابنا معرّض، و سعد بن عمرو بن لأم، و منصور بن الوليد بن حارثة، و جبار بن أنيف، فلقوا القرشيّ و انتسبوا له، و قالوا: نحن نعطيك العوض من عبدك و نرضيك، و لم يزالوا به حتى قبل و خلّى سبيله، فقال حريث يمدحهم و يهجو قومه الأذنين من بني نبهان:

لما رأيت العبد نبهان تاركي *** بلّماعة فيها الحوادث تخطر (3)

نصرت بمنصور و بابني معرّض *** و سعد و جبار بل الله ينصر

و ذو العرش أعطاني المودّة منهم *** و ثبت ساقى بعد ما كدت أعثر

إذا ركب الناس الطريق رأيتهم *** لهم خابط أعمى و آخر مبصر

لكلّ بني عمرو بن غوث (4) رباعة *** و خيرهم في الشرّ و الخير بحتر

ص: 510

الباء.

2- كذا في ب، س. و الذي في باقي النسخ: «إلا أهابه».

3- اللماعة، الفلاة يلمع فيها السراب.

4- الرباعة: السيادة.

مر بنسوة فضحكن منه فقال شعرا

وقال أبو عمرو: مرّ ابن عَنّاب بعد ما أسنّ بنسوة من بني قليع وهو يتوكأ على عصا/فضحكن منه، فوقف عليهنّ وأنشأ يقول:

هزئت نساء بني قليع أن رأّت *** خلق القميص على العصا يتركّع

وجعلنني هزواً ولو يعرفني *** لعلمن أنّي عند ضيمي أروع(1)

خير إغارته على قوم من بني أسد

قال أبو عمرو: وكان حريث بن عَنّاب أغار على قوم من بني أسد فاستاق إبلا لهم، فطلبه السلطان، فهرب من نواحي المدينة وخبير إلى جبلين في بلاد طيبى يقال لهما: مرّى والشّموس حتى غرم عنه قومه ما طلب، ثم عاود وقال في ذلك:

إذا الدّين أودى بالفساد فقل له *** يدعنا وركنا من معدّ نصادمه

بييض خفاف مرهفات قواطع *** لداود فيها أثره و خواتمه(2)

وزرق كستها ريشها مضر حيّة *** أثيت خوافي ريشها و قوادمه(3)

إذا ما خرجنا خرّت الأكم سجّدا *** لعزّ علا حيزومه و علاجمه(4)

إذا نحن سرنا بين شرق و مغرب *** تحرّك يقظان التّراب و نائمه

و تقزّع متّا الإنس و الجنّ كلّها *** و يشرب مهجور المياه و عائمه

ستمع مرّى و الشّموس أخاهما *** إذا حكم السلطان حكما يضاجمه

يميل فيه. و يروى: يصاحمه، و قال أبو عمرو: يصاحمه: يزاحمه. و الأصح منه مأخوذ.

إلى هنا انتهى الجزء الرابع عشر من كتاب الأغاني و يليه إن شاء الله تعالى الجزء الخامس عشر منه و أوّله أخبار جعفر بن الزبير و نسبه

ص: 511

1- الأروع: الذي يروعك بشجاعته.

2- أثر السيف: فرنده و جوهره و وشيه.

3- الزرق: النصال. و المضرحية: جمع مضرحيّ، و هو النسر أو السيد الكريم. و الأثيث: الكثير العظم. و الخوافي: ريشات إذا ضم الطائر جناحيه خفيت. و القوادم: أربع أو عشر ريشات في مقدّم الجناح.

4- الحيزوم هنا: الغليظ من الأرض أو المرتفع منها. العلاجم: جمع علجم و هو الطويل من الإبل.

فهرس موضوعات الجزء الرابع عشر

الموضوع الصفحة

بيان 251

أخبار الحصين بن الحمام و نسبه 253

أخبار محمد بن يسير و نسبه 264

أخبار ديك الجنّ و نسبه 287

أخبار قيس بن عاصم و نسبه 300

أخبار محمد بن حازم و نسبه 314

أخبار ابن القصّار و نسبه 428

أخبار معبد 330

أخبار ابن أبي الزوائد و نسبه 333

أخبار أبي الأسد و نسبه 340

أخبار قيس بن الحداديّة و نسبه 348

أخبار ابن قنبر و نسبه 360

أخبار الأسود و نسبه 365

أخبار علي بن الخليل 369

أخبار محمد الزف 378

أخبار أبي الشّبل و نسبه 382

أخبار عثعث 395

أخبار عبد الله بن الزبير و نسبه 399

أخبار ثابت قطنة 428

أخبار كعب الأشقرِيّ ونسبه 441

أخبار العباس بن مرداس ونسبه 454

أخبار حماد عجرد ونسبه 466

أخبار حريث ونسبه 509

الفهرس 513

ص: 512

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم
جَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ
(التوبة : 41)

منذ عدة سنوات حتى الآن ، يقوم مركز القائمة لأبحاث الكمبيوتر بإنتاج برامج الهاتف المحمول والمكتبات الرقمية وتقديمها مجاناً. يحظى هذا المركز بشعبية كبيرة ويدعمه الهدايا والندور والأوقاف وتخصيص النصيب المبارك للإمام عليه السلام. لمزيد من الخدمة ، يمكنك أيضاً الانضمام إلى الأشخاص الخيريين في المركز أينما كنت.

هل تعلم أن ليس كل مال يستحق أن ينفق على طريق أهل البيت عليهم السلام؟
ولن ينال كل شخص هذا النجاح؟
تهانينا لكم.

رقم البطاقة :

6104-3388-0008-7732

رقم حساب بنك ميلا:

9586839652

رقم حساب شيبا:

IR390120020000009586839652

المسمى: (معهد الغيمية لبحوث الحاسوب).

قم بإيداع مبالغ الهدية الخاصة بك.

عنوان المكتب المركزي :

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اي، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم 129، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الإلكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي 03134490125

هاتف المكتب في طهران 021 - 88318722

قسم البيع 09132000109 شؤون المستخدمين 09132000109.

مركز
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية
اصبهان
الغمامية



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

